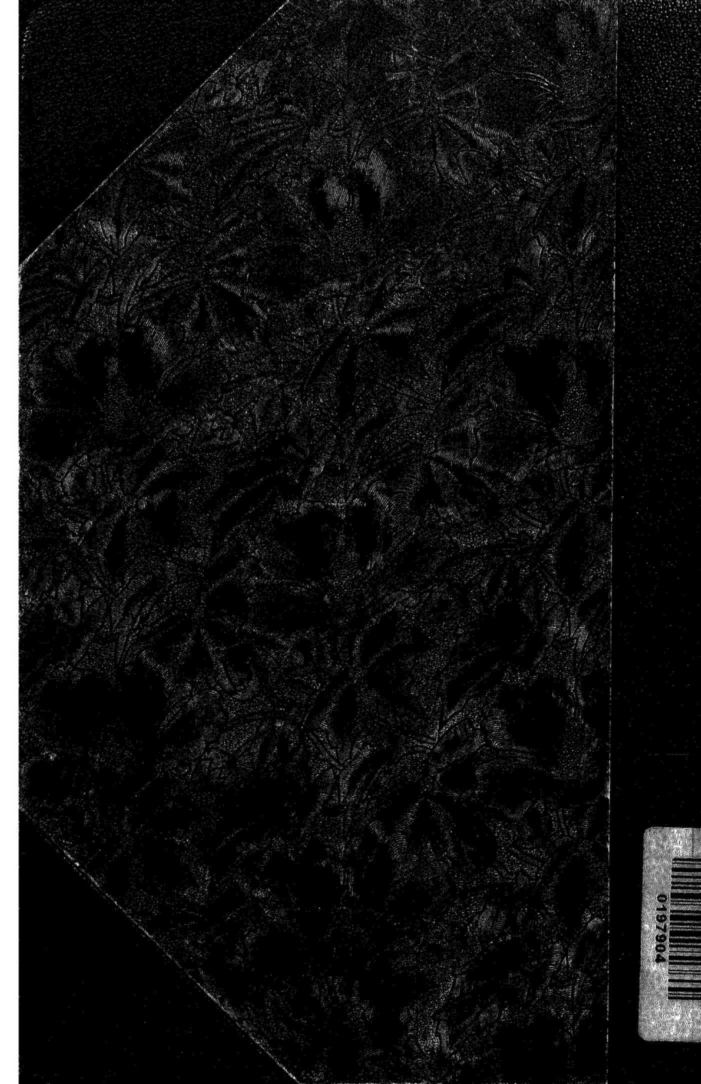
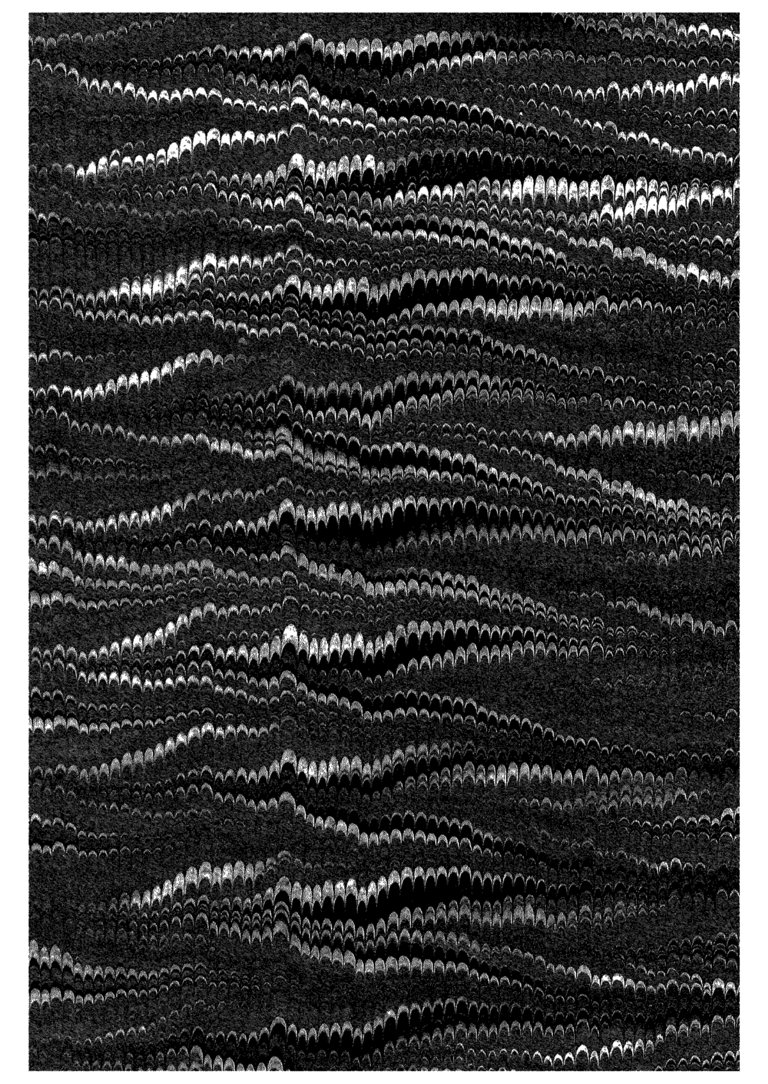
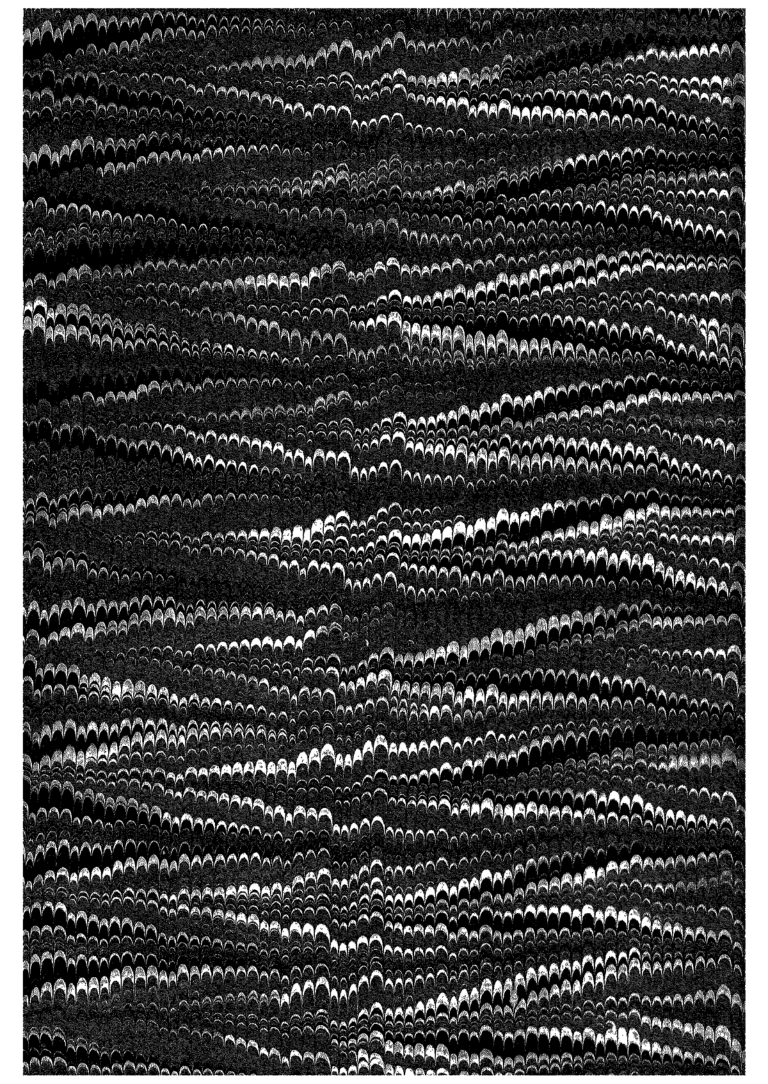






وزارة المعارف العمومية

تفسير القرآن الجليل

المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل

تأليف

الإمام الجليل العلامة أبى البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى

عليه سحائب الرحمة والرضوان آمين

قال فى كشف الظنون :

(مدارك التنزيل ، وحقائق التأويل) للإمام حافظ الدين عبد الله بن أحمد النسفى المتوفى سنة ٧٠١ وقيل عشر وسبعمائة . أوله الحمد لله المنزه بذاته عن إشارة الأوهام الخ . وهو كتاب وسط فى التأويلات جامع لوجوه الإعراب والقراءات متضمن لدقائق علم البديع والاشارات موشح بأقاويل أهل السنة والجماعة خال عن أباطيل أهل البدع والضلالة ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل (اهـ .)

المجلد الأول

القاهرة

طبع بالمطبعة الأميرية ببولاق

١٩٣٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنزه بذاته عن إشارة الأوهام ، المقدّس بصفاته عن إدراك العقول والأفهام. المتصف بالألوهية قبل كل موجود ، الباقى بالنعوت السرمدية بعد كل محدود . الملك الذى طمست سُبُحات جلاله الأبصار ، المتكبر الذى أزاحت سطوات كبريائه الأفكار . القديم الذى تعالى عن مماثلة الحُدْثان ، العظيم الذى تنزه عن ممـاسة المكان . المتعالى عن مضاهاة الأجسام ، ومشابهة الأنام . القادر الذى لا يشار اليه بالتكييف ، القاهر الذى لا يسأل عن التحميل والتكليف . العليم الذى خلق الإنسان وعلّمه البيان ، الحكيم الذى نزل القرآن شفاء للأرواح والأبدان. والصلاة والسلام على المستل من أرومة البلاغة والبراعة، المحتل فى بحبوحة النصاحة والفصاحة . محمد المبعوث الى خليقته ، الداعى الى الحق وطريقته . صلى الله وسلم عليـه ، وعلى آله وشيعته . قال مولانا الشيخ الإمام المعظم ، والحبر الهام المقدّم . أسـتاذ أهل الأرض ، محيي السنة والفرض . كشاف حقائق أسرار التنزيل ، مفتاح أسرار حقائق التأويل . ترجمان كلام الرحمن ، صاحب علم المعانى والبيان . الجامع بين الأصول والفروع ، المرجوع اليه فى المعقول والمسموع . حافظ الملة والدين ، شيخ الإسلام والمسلمين ، وارث علوم الأنبياء والمرسلين، أكمل فحول المجتهدين، قدوة قروم المحققين. ذو السعادات والكرامات، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى نفع الله الإسلام بطول بقائه ، والمسلمين بيمن لقائه : قد سألنى من تتعين إجابته كتابا وسطا فى التأويلات ، جامعا لوجوه الإعراب والقراءات ، متضمنا لدقائق علمى البديع والإشارات . حاليا بأقاويل أهل السنة والجماعة ، خاليا عن أباطيل أهل البدع والضلالة . ليس بالطويل الممل ، ولا بالقصير المخل . وكنت أقدّم فيه رجلا وأؤخر أخرى استقصارا لقوة البشر ، عن درك هـذا الوطر ، وأخذا لسبيل الحذر ، عن ركوب متن الخطر . حتى شرعت فيه بتوفيق الله والعوائق كثيرة ، وأتممته فى مدّة يسـيرة . وسميته بمدارك التنزيل ، وحقائق التأويل . وهو الميسر لكل عسير ، وهو على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير م

المؤلف

فاتحة الكتاب [1]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ [2]

[1] مكية وقيل مدنية . والأصح أنها مكية ومدنية . نزلت بمكة حين فرضت الصلاة . ثم نزلت بالمدينة حين حولت القبلة إلى الكعبة . وتسمى أم القرآن للحديث . قال عليه السلام : لا صلاة لمن لم يقرأ بأم القرآن . ولاشتمالها على المعانى التى فى القرآن . وسورة الوافية والكافية لذلك . وسورة الكنز لقوله عليه السلام حاكيا عن الله تعالى : فاتحة الكتاب كنز من كنوز عرشى. وسورة الشفاء والشافية لقوله عليه السلام : فاتحة الكتاب شفاء من كل داء الا السام . وسورة المثانى لأنها تثنى فى كل صلاة . وسورة الصلاة لما يروى ولأنها تكون واجبة أو فريضة . وسورة الحمد والأساس فانها أساس القرآن . قال ابن عباس رضى الله عنهما : اذا اعتللت أو اشتكيت فعليك بالأساس . وآيها سبع بالاتفاق .

[2] قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على أن التسمية ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها من السور . وانما كتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها . وهو مذهب أبى حنيفة ومن تابعه رحمهم الله . ولذا لايجهر بها عندهم فى الصلاة . وقراء مكة والكوفة على أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة . وعليه الشافعى وأصحابه رحمهم الله . ولذا يجهرون بها فى الصلاة وقالوا قد أثبتها السلف فى المصحف مع الأمر بتجريد القرآن عما ليس منه . وعن ابن عباس رضى الله عنهما : من تركها فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله . ولنا حديث أبى هريرة قال سمعت النبى عليه السلام يقول قال الله تعالى : قسمت الصلاة أى الفاتحة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل فاذا قال العبد (الحمد لله رب العالمين) قال الله تعالى حمدنى عبدى . واذا قال (الرحمن الرحيم) قال الله تعالى أثنى علىّ عبدى . واذا قال (مالك يوم الدين) قال مجدنى عبدى . واذا قال (إياك نعبد وإياك نستعين) قال هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل . فاذا قال (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قال هذا لعبدى ولعبدى ماسأل. فالابتداء بقوله الحمد لله دليل على أن التسمية ليست من الفاتحة. واذا لم تكن من الفاتحة لا تكون من غيرها إجماعا . والحديث مذكور فى صحاح المصابيح . وما ذكروا لا يضرنا لأن التسمية آية من القرآن أنزلت للفصل بين السور عندنا . ذكره فخر الاسلام

فى المبسوط . وإنما يرد علينا أن لو لم نجعلها آية من القرآن . وتمام تقريره فى الكافى . وتعلقت الباء بمحذوف تقديره بسم الله أقرأ أو أتلو لأن الذى يتلو التسمية مقروء كما أن المسافر اذا حل وارتحل فقال بسم الله والبركات كان المعنى بسم الله أحل وبسم الله أرتحل وكذا الذابح وكل فاعل يبدأ فى فعله بسم الله كان مضمرا ماجعل التسمية مبدأ له . وإنما قدر المحذوف متأخرا لأن الأهم من الفعل والمتعلّق به هو المتعلّق به . وكانوا يبدءون بأسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات وباسم العزى فوجب أن يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وجل بالابتداء . وذا بتقديمه وتأخير الفعل. وإنما قدّم الفعل فى (اقرأ بآسم ربك) لأنها أوّل سورة نزلت فى قول وكان الأمر بالقراءة أهم فكان تقديم الفعل أوقع . ويجوز أن يحمل (اقرأ) على معنى افعل القراءة وحققها كقولهم فلان يعطى ويمنع غير متعد الى مقروء به وأن يكون باسم ربك مفعول اقرأ الذى بعده . واسم الله يتعلق بالقراءة تعلق الدهن بالإنبات فى قوله (تنبت بالدهن) على معنى متبركا باسم الله اقرأ . ففيه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه وكيف يعظمونه . وبنيت الباء على الكسر لأنها تلازم الحرفية والجر فكسرت لتشابه حركتها عملها . والاسم من الأسماء التى بنوا أوائلها على السكون كالابن والابنة وغيرهما فاذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة تفاديا عن الابتداء بالساكن تعذرا واذا وقعت فى الدرج لم يفتقر الى زيادة شىء. ومنهم من لم يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال سم وسم . وهو من الأسماء المحذوفة الأعجاز كيد ودم وأصله سمو بدليل تصريفه كأسماء وسمى وسميت. واشتقاقه من السمو وهو الرفعة لأن التسمية تنويه بالمسمى وإشادة بذكره. وحذفت الألف فى الخط هنا وأثبتت فى قوله (اقرأ بآسم ربك) ، لأنه اجتمع فيها أى فى التسمية مع أنها تسقط فى اللفظ كثرة الاستعمال. وطولت الباء عوضا من حذفها. وقال عمر بن عبد العزيز لكاتبه طول الباء وأظهر السينات ودور الميم . والله أصله الإله ونظيره الناس أصله الأناس حذفت الهمزة وعوض عنها حرف التعريف. والإله من أسماء الأجناس يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بالحق كما أن النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا . وأما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره . وهو اسم غير صفة لأنك تصفه ولا تصف به لا تقول شىء إله كما لا تقول شىء رجل وتقول إله واحد صمد ولأن صفاته تعالى لا بد لها من موصوف تجرى عليه فلو جعلتها كلها صفات لبقيت صفات غير جارية على اسم موصوف بها وذا لايجوز .ولا اشتقاق لهذا الاسم عند الخليل والزجاج ومحمد بن الحسن والحسين بن الفضل. وقيل معنى الاشتقاق أن ينتظم الصيغتين فصاعدا معنى واحد. وصيغة هذا الاسم وصيغة قولهم أَلِهَ اذا تحير ينتظمهما معنى التحير والدهشة وذلك أن الأوهام تتحير فى معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذا كثر الضلال وفشا الباطل وقل النظر الصحيح. وقيل هو من قولهم أَلَهَ يأْلَهُ إلاها اذا

الْحَمْدُ (١) لِلَّهِ (٢)

عبد . فهو مصدر بمعنى مألوه أى معبود كقوله (هذا خلق الله) أى مخلوقه . وتفخم لامه اذا كان قبلها فتحة أو ضمة وترقق اذا كان قبلها كسرة ومنهم من يرققها بكل حال ومنهم من يفخم بكل حال والجمهور على الأول . والرحمن فعلان من رحم وهو الذى وسعت رحمته كل شىء كغضبان من غضب وهو الممتلئ غضبا. وكذا الرحيم فعيل منه كمريض من مرض. وفى الرحمن من المبالغة ما ليس فى الرحيم لأن فى الرحيم زيادة واحدة وفى الرحمن زيادتين وزيادة اللفظ تدل على زيادة المعنى ولذا جاء فى الدعاء يارحمن الدنيا لأنه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لأنه يخص المؤمن . وقالوا الرحمن خاص تسمية لأنه لايوصف به غيره وعام معنى لما بينا والرحيم بعكسه لأنه يوصف به غيره ويخص المؤمنين . ولذا قدم الرحمن - وان كان أبلغ والقياس الترقى من الأدنى الى الأعلى يقال فلان عالم ذو فنون نحرير ، لأنه كالعلم لما لم يوصف به غير الله . ورحمة الله إنعامه على عباده وأصلها العطف وأما قول الشاعر فى مسيلمة * وأنت غيث الورى لا زلت رحمانا * فباب من تعنتهم فى كفرهم . ورحمن غير منصرف عند من زعم أن الشرط انتفاء فعلانة إذ ليس له فعلانة ومن زعم أن الشرط وجود فعلى صرفه إذ ليس له فعلى والأول الوجه .

(١) الوصف الجميل على جهة التفضيل. وهو رفع بالابتداء وأصله النصب وقد قرئ باضمار فعله على أنه من المصادر المنصوبة بأفعال مضمرة فى معنى الإخبار كقولهم شكرا وكفرا. والعدول عن النصب إلى الرفع للدلالة على ثبات المعنى واستقراره . والخبر لله .

(٢) اللام متعلق بمحذوف أى واجب أو ثابت . وقيل الحمد والمدح أخوان وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها تقول حمدت الرجل على إنعامه وحمدته على شجاعته وحسبه . وأما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال :

أفادتكم النعماء منى ثلاثة * يدى ولسانى والضمير المحجبا

أى القلب . والحمد باللسان وحده وهو إحدى شعب الشكر ومنه الحديث الحمد رأس الشكر ما شكر اللهَ عبدٌ لم يحمده . وجعله رأس الشكر لأن ذكر النعمة باللسان أشيع لها من الاعتقاد وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب وما فى عمل الجوارح من الاحتمال . ونقيض الحمد الذم ونقيض الشكر الكفران . وقيل المدح ثناء على ما هو له من أوصاف الكمال ككونه باقيا قادرا

رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١) ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (٢) ۝ مَٰلِكِ (٣) يَوْمِ ٱلدِّينِ (٤) ۝

عالمـا أبديا أزليا والشكر ثناء على ما هو منه من أوصاف الافضال والحمـد يشملهما . والألف واللام فيه للاستغراق عندنا خلافا للمعتزلة ولذا قرن باسم الله لأنه اسم ذات فيستجمع صفات الكمال . وهو بناء على مسألة خلق الأفعال وقد حققته فى مواضع .

(١) الرب المـالك ومنه قول صفوان لأبى سـفيان لأن يربّنى رجل من قريش أحب إلىّ من أن يربنى رجل من هوازن تقول ربه يربه ربا فهو رب . ويجوز أن يكون وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل. ولم يطلقوا الرب إلا فى الله وحده وهو فى العبيد مع التقييد: (إنه ربى أحسن مثواى . قال ارجع الى ربك) . وقال الواسطى هو الخالق ابتداء والمربى غذاء والغافر انتهاء وهو اسم الله الأعظم . والعالم هو ما علم به الخالق من الأجسام والجواهر والأعراض أو كل موجود سـوى الله تعـالى سمى به لأنه علم على وجوده . وإنمـا جمع بالواو والنون مع أنه يختص بصفات العقلاء أو ما فى حكمها من الأعلام لمـا فيـه من معنى الوصفية وهى الدلالة على معنى العلم .

(٢) ذكرهما قد مر وهو دليل على أن التسمية ليست من الفاتحة إذ لو كانت منها لمـا أعادهما لخلو الإعادة عن الإفادة .

(٣) عاصم وعلى — ملِك غيرهما . وهو الاختيار عند البعض لاستغنائه عن الإضافة ولقوله (لمن الملك اليوم) ولأن كل ملك مالك وليس كل مالك ملكا ولأن أمر الملك ينفذ على المـالك دون عكسه وقيل المـالك أكثر ثوابا لأنه أكثر حروفا . وقرأ أبو حنيفة والحسن رضى الله عنهما مَلَكَ .

(٤) أى يوم الجزاء ويقال كما تدين تدان أى كما تفعل تجازى . وهذه إضافة اسم الفاعل إلى الظرف على طريق الاتساع كقولهم "يا سارق الليلة أهل الدار" أى مالك الأمر كله فى يوم الدين . والتخصيص بيوم الدين لأن الأمر فيه لله وحده . وإنما ساغ وقوعه صفة للمعرفة مع أن إضافة اسم الفاعل إضافة غير حقيقية لأنه أريد به الاستمرار فكانت الإضافة حقيقية فساغ أن يكون صفة للمعرفة .

وهـذه الأوصاف التى أجريت على الله سبحانه وتعالى من كونه ربا أى مالكا للعالمين ، ومنعما بالنعم كلها ومالكا للأمر كله يوم الثواب والعقاب بعـد الدلالة على اختصاص الحمد به فى قوله الحمد لله ، دليل على أن من كانت هذه صفاته لم يكن أحد أحق منه بالحمد والثناء عليه .

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ [1] ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ [2] ﴿٦﴾

(١) إيا عند الخليل وسيبويه اسم مضمر. والكاف حرف خطاب عند سيبويه ولا محل له من الإعراب، وعند الخليل هو اسم مضمر أضيف إيا اليه لأنه يشبه المظهر لتقدمه على الفعل والفاعل. وقال الكوفيون إياك بكمالها اسم. وتقديم المفعول لقصد الاختصاص والمعنى نخصك بالعبادة وهى أقصى غاية الخضوع والتذلل ونخصك بطلب المعونة. وعدل عن الغيبة إلى الخطاب للالتفات وهو قد يكون من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم كقوله تعالى (حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة) وقوله (والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه) وقول امرئ القيس :

تطاول ليلك بالأثمد * ونام الخلىّ ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة * كليلة ذى العائر الأرمد
وذلك من نبإ جاءنى * وخبرته عن أبى الأسود

فالتفت فى الأبيات الثلاثة حيث لم يقل ليلى وبت وجاءك والعرب يستكثرون منه ويرون الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل فى القبول عند السامع وأحسن تطرية لنشاطه وأملأ لاستلذاذ إصغائه. وقد تختص مواقعه بفوائد ولطائف قلما تتضح إلا للحذاق المهرة والعلماء النحارير وقليل ما هم. ومما اختص به هذا الموضع أنه لما ذكر الحقيق بالحمد والثناء وأجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة فى المهمات نخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل إياك يا من هذه صفاته نعبد ونستعين لا غيرك. وقدمت العبادة على الاستعانة لأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة أقرب إلى الإجابة أو لنظم الآى كما قدم الرحمن وإن كان الأبلغ لا يقدم. وأطلقت الاستعانة لتتناول كل مستعان فيه. ويجوز أن يراد الاستعانة به وبتوفيقه على أداء العبادات ويكون قوله اهدنا بيانا للطلوب من المعونة كأنه قيل كيف أعينكم فقالوا : (اهدنا الصراط المستقيم) .

(٢) أى ثبتنا على المنهاج الواضح كقولك للقائم قم حتى أعود اليك أى اثبت على ما أنت عليه. أو اهدنا فى الاستقبال كما هديتنا فى الحال. وهدى يتعدى بنفسه إلى مفعول واحد. فأما تعديه إلى مفعول آخر فقد جاء متعديا اليه بنفسه كهذه الآية وقد جاء متعديا باللام وبإلى كقوله تعالى (هدانا لهذا) وقوله (هدانى ربى إلى صراط مستقيم). والسراط الجادة من سرط الشىء إذا ابتلعه كأنه يسرط السابلة إذا سلكوه. والصراط من قلب السين صادا لتجانس الطاء فى الإطباق لأن

صِرَٰطَ(١) ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ(٢) غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ(٣) ﴿٧﴾

الصاد والضاد والطاء والظاء من حروف الإطبـاق . وقد تشم الصاد صوت الزاى لأن الزاى إلى الطاء أقرب لأنهما مجهورتان . وهى قراءة حمزة . والسين قراءة ابن كثير فى كل القرآن وهى الأصل فى الكلمة . والباقون بالصاد الخالصة وهى لغة قريش وهى الثابتة فى المصحف الإمام . ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل . والمراد به طريق الحق وهو ملة الإسلام .

(١) بدل من الصراط وهو فى حكم تكرير العامل . وفائدته التأكيد والإشعار بأن الصراط المستقيم تفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على أبلغ وجه وآكده .

(٢) هم المؤمنون أو الأنبياء عليهم السلام أو قوم موسى قبل أن يغيروا .

(٣) بدل من الذين أنعمت عليهم يعنى أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال ، أو صفة للذين يعنى أنهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهى نعمة الإيمـان وبين السلامة من غضب الله والضلال . وإنمـا ساغ وقوعه صفة للذين وهو معرفة وغير لا يتعرف بالإضافة لأنه إذا وقع بين متضادين وكانا معرفتين تعرف بالإضافة نحو عجبت من الحركة غير السكون والمنعم عليهم والمغضوب عليهم متضادان، ولأن الذين قريب من النكرة لأنه لم يرد به قوم بأعيانهم وغير المغضوب عليهم قريب من المعرفة للتخصيص الحاصل له باضافته فكل واحد منهما فيه إبهـام من وجه واختصاص من وجه فاستويا . وعليهم الأولى محلها النصب على المفعولية ومحل الثانية الرفع على الفاعلية . وغضب الله إرادة الانتقام من المكذبين وإنزال العقوبة بهم وأن يفعل بهم ما يفعله الملك إذا غضب على ما تحت يده. وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لقوله تعالى (من لعنه الله وغضب عليه). والضالون هم النصارى لقوله تعالى (قد ضلوا من قبل) . ولا زائدة عند البصريين للتوكيد وعند الكوفيين هى بمعنى غير .

(آمين) صوت سمى به الفعل الذى هو استجب كما أن رويد اسم لأمهل وعن ابن عباس رضى الله عنهما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين فقـال افعل . وهو مبنى وفيه لغتان مد ألفه وقصرها وهو الأصل والمد باشباع الهمزة قال :

يارب لا تسلبنّى حبها أبدا * ويرحم الله عبدا قال آمينا

وقال : أمين فزاد الله ما بيننا بعدا . قال عليه السلام : لقننى جبريل آمين عند قراءة فاتحة الكتاب وقال إنه كالختم على الكتاب . وليس من القرآن بدليل أنه لم يثبت فى المصاحف .

سورة البقرة مدنية

وهى مائتان وست أو سبع وثمانون آية



(1) الٓمٓ ﴿١﴾

(١) ونظائرها أسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التى منها ركبت الكلم فالقاف تدل على أول حروف قال والألف تدل على أوسط حروف قال واللام تدل على الحرف الأخير منه وكذلك ما أشبهها . والدليل على أنها أسماء أن كلا منها يدل على معنى فى نفسه ويتصرف فيها بالإمالة والتفخيم وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير. وهى معربة وإنما سكنت سكون زيد وغيره من الأسماء حيث لا يمسها إعراب لفقد مقتضيه . وقيل إنها مبنية كالأصوات نحو غاق فى حكاية صوت الغراب . ثم الجمهور على أنها أسماء السور . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : أقسم الله بهذه الحروف. وقال ابن مسعود رضى الله عنه : إنها اسم الله الأعظم. وقيل إنها من المتشابه الذى لا يعلم تأويله إلا الله وما سميت معجمة إلا لإعجامها وإبهامها. وقيل ورود هذه الأسماء على نمط التعديد كالإيقاظ لمن تحدى بالقرآن وكالتحريك للنظر فى أن هذا المتلو عليهم ، وقد عجزوا عنه عن آخرهم، كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم. ليؤديهم النظر إلى أن يستيقنوا أن لم تتساقط مقدرتهم دونه ولم يظهر عجزهم عن أن يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة وهم أمراء الكلام ، إلا لأنه ليس من كلام البشر وأنه كلام خالق القوى والقدر . وهذا القول من الخلاقة بالقبول بمنزل . وقيل إنما وردت السور مصدرة بذلك ليكون أول ما يقرع الأسماع مستقلا بوجه من الإغراب وتقدمة من دلائل الإعجاز . وذلك أن النطق بالحروف أنفسها كانت العرب فيه مستوية الأقدام الأميون منهم وأهل الكتاب بخلاف النطق بأسامى الحروف فانه كان مختصا بمن خط وقرأ وخالط أهل الكتاب وتعلم منهم وكان مستبعدا من الأمى التكلم بها استبعاد الخط والتلاوة فكان حكم النطق بذلك مع اشتهار أنه لم يكن ممن اقتبس شيئا من أهله حكم الأقاصيص المذكورة فى القرآن التى لم تكن قريش ومن يضاهيهم فى شىء من الإحاطة بها، فى أن ذلك حاصل له من جهة الوحى وشاهد لصحة

نبوته . واعلم أن المذكور فى الفواتح نصف أسامى حروف المعجم وهى الألف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون فى تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم. وهى مشتملة على أنصاف أجناس الحروف. فمن المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء . ومن المجهورة نصفها الألف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون . ومن الشديدة نصفها الألف والكاف والطاء والقاف. ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون. ومن المطْبِقة نصفها الصاد والطاء . ومن المنفتحة نصفها الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون . ومن المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء . ومن المنخفضة نصفها الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون . ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء . وغير المذكورة من هذه الأجناس مكثورة بالمذكورة منها وقد علمت أن معظم الشىء ينزل منزلة كله فكأن الله تعالى عدّد على العرب الألفاظ التى منها تراكيب كلامهم إشارة الى ما مر من التبكيت لهم وإلزام الحجة إياهم . وانما جاءت مفرقة على السور لأن إعادة التنبيه على المتحدى به مؤلفا منها لا غير أوصل الى الغرض . وكذا كل تكرير ورد فى القرآن فالمطلوب منه تمكين المكرر فى النفوس وتقريره. ولم تجىء على وتيرة واحدة ـــ بل اختلفت أعداد حروفها مثل ص وق ون وطه وطس ويس وحم والم والر وطسم والمص والمر وكهيعص وحم عسق فوردت على حرف وحرفين وثلاثة وأربعة وخمسة ، كعادة افتنانهم فى الكلام . وكما أن أبنية كلماتهم على حرف وحرفين الى خمسة أحرف ، سلك فى الفواتح هذا المسلك. والم آية حيث وقعت وكذا المص آية . والمر لم تعد آية وكذا الر لم تعد آية فى سورها الخمس . وطسم آية فى سورتيها وطه ويس آيتان . وطس ليست بآية . وحم آية فى سورها كلها وحم عسق آيتان وكهيعص آية . وص ون وق ثلاثها لم تعد آية. وهذا عند الكوفيين ومن عداهم لم يعد شيئا منها آية. وهذا علم توقيفى لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور . ويوقف على جميعها وقف التمام اذا حملت على معنى مستقل غير محتاج الى ما بعده وذلك اذا لم تجعل أسماء للسور ونعق بها كما ينعق بالأصوات أو جعلت وحدها أخبار ابتداء محذوف كقوله (الم الله) أى هذه الم ثم ابتدأ فقال (الله لا إله الا هو الحى القيوم) . ولهذه الفواتح محل من الإعراب فيمن جعلها أسماء للسور لأنها عنده كسائر الأسماء الأعلام وهو الرفع على الابتداء أو النصب أو الجر لصحة القسم بها وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين . ومن لم يجعلها أسماء للسور لم يتصور أن يكون لها محل فى مذهبه كما لا محل للجملة المبتدأة وللمفردات المعدودة .

ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ (١) لَا رَيْبَ (٢) فِيهِ (٣)

(١) أى ذلك الكتاب الذى وعد به على لسان موسى وعيسى عليهما السلام أو ذلك إشارة الى الم . وإنما ذكّر اسم الإشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة لأن الكتاب إن كان خبره كان ذلك فى معناه ومسماه مسماه بجاز إجراء حكمه عليه بالتذكير والتأنيث وإن كان صفته فالإشارة به الى الكتاب صريحا لأن اسم الإشارة مشار به الى الجنس الواقع صفة له تقول هند ذلك الانسان أو ذلك الشخص فعل كذا . ووجه تأليف ذلك الكتاب مع الم إن جعلت الم اسما للسورة أن يكون الم مبتدأ وذلك مبتدأ ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر للمبتدأ الأول ومعناه أن ذلك هو الكتاب الكامل كأن ما عداه من الكتب فى مقابلته ناقص كما تقول هو الرجل أى الكامل فى الرجولية الجامع لما يكون فى الرجال من مرضيات الخصال. وأن يكون الم خبر مبتدأ محذوف أى هذه الم جملة وذلك الكتاب جملة أخرى . وإن جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب أى ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل .

(٢) لا شك وهو مصدر رابنى اذا حصل فيك الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ، ومنه قوله عليه السلام : دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة وإن الصدق طمأنينة أى فان كون الأمر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له وتسكن. ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوائبه. وإنما نفى الريب على سبيل الاستغراق وقد ارتاب فيه كثير لأن المنفى كونه متعلقا للريب ومظنة له لأنه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغى لمرتاب أن يقع فيه، لا أن أحدا لا يرتاب . وإنما لم يقل لا فيه ريب كما قال لا فيها غول لأن المراد فى إيلاء الريب حرف النفى ، نفى الريب عنه وإثبات أنه حق لا باطل كما يزعم الكفار . ولو أولى الظرف لقصد إلى ما يبعد عن المراد وهو أن كتابا آخر فيه ريب لا فيه كما قصد فى قوله تعالى (لا فيها غول) تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بأنها لا تغتال العقول كما تغتالها هى . والوقف على فيه هو المشهور . وعن نافع وعاصم أنهما وقفا على ريب ولا بد للواقف من أن ينوى خبرا والتقدير لا ريب فيه .

(٣) فيه باشباع كل هاء مكى. ووافقه حفص فى (فيه مهانا) وهو الأصل كقولك مررت به ومن عنده وفى داره وكما لا يقال فى داره ومن عنده وجب ألا يقال فيه . وقال سيبويه ما قاله مؤد الى الجمع بين ثلاثة أحرف سواكن الياء قبل الهاء والهاء ــ اذ الهاء المتحركة فى كلامهم بمنزلة الساكنة لأن الهاء خفية والخفى قريب من الساكن ، والياء بعدها .

هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) [1]

[1] والهدى مصدر على فعل كالبكى وهو الدلاله الموصلة الى البغيـة بدليل وقوع الضلالة فى مقابلتـه فى قوله (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) . وإنّما قيل (هدى للتقين) والمتقون مهتدون لأنه كقولك للعزيز المكرم أعزك الله وأكرمك تريد طلب الزيادة على ما هو ثابت فيه واستدامته كقوله (اهدنا الصراط المستقيم) أو لأنه سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين كقوله عليه السلام : من قتل قتيلا فله سلبه وقول ابن عباس رضى الله عنهما : اذا أراد أحدكم الحج فليعجل فانه يمرض المريض . فسمى المشارف للقتل والمرض قتيلا ومريضا . ولم يقل هدى للضالين لأنهم فريقان فريق عَلم بقاءهم على الضلالة وفريق علم أن مصيرهم الى الهدى وهو هدى لهؤلاء فحسب فلو جىء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين الى الهدى بعـد الضلال فاختصر الكلام باجرائه على الطريقـة التى ذكرنا فقيل هدى للتقين مع أن فيه تصديرا للسورة — التى هى أولى الزهراوين وسنام القرآن ، بذكر أولياء الله . والمتقى فى اللغة اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى ففاؤها واو ولامها ياء واذا بنيت من ذلك افتعل قلبت الواو تاء وأدغمتها فى التاء الأخرى فقلت اتقى والوقاية فرط الصيانة ؛ وفى الشريعة من يق نفسه تعاطى ما يستحق به العقوبة من فعل أو ترك . ومحل هدى الرفع لأنه خبر مبتدأ محذوف أو خبر مع لا ريب فيه لذلك أو النصب على الحال من الهاء فى فيه . والذى هو أرسخ عرقا فى البلاغة أن يقال إن قوله (الم) جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها و(ذلك الكتاب) جملة ثانية و(لا ريب فيه) ثالثة و(هدى للتقين) رابعة. وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة حيث جىء بها متناسقة هكذا من غير حرف عطف وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق بعض فالثانية متحدة بالأولى معتنقة لها وهلم جرا الى الثالثة والرابعة . بيان ذلك أنه نبه أولا على أنه الكلام المتحدى به ثم أشير اليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدى ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلا بكماله لأنه لا كمال أكمل مما للحق واليقين ولا نقص أنقص مما للباطل والشبهة. وقيل لعالم: فيم لذتك؟ قال فى حجة تتبختر اتضاحا وفى شبهة تتضاءل افتضاحا. ثم أخبر عنه بأنه (هدى للتقين) فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) . ثم لم تخل كل واحدة من الأربع بعد أن رتبت هذا الترتيب الأنيق ونظمت هـذا النظم الرشيق من نكتة ذات جزالة . ففى الأولى الحذف والرمز الى المطلوب بألطف وجه . وفى الثانية ما فى التعريف من الفخامة . وفى الثالثة ما فى تقديم الريب على الظرف

ٱلَّذِينَ (١) يُؤْمِنُونَ (٢) بِٱلْغَيْبِ (٣) وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ (٤)

وفى الرابعة الحذف ، ووضع المصدر الذى هو هدى موضع الوصف الذى هو هاد كأن نفسه هداية ، وإيراده منكرا ففيه إشعار بأنه هدى لا يكتنه كنهه ، والإيجاز فى ذكر المتقين كما مر .

(١) فى موضع رفع أو نصب على المدح أى هم (الذين يؤمنون) أو أعنى (الذين يؤمنون) أو هو مبتدأ وخبره (أولئك على هدى) أو جر على أنه صفة للمتقين . وهى صفة واردة بيانا وكشفا للتقين كقولك زيد الفقيه المحقق لاشتمالها على ما أسست عليه حال المتقين من الإيمان – الذى هو أساس الحسنات ، والصلاة والصدقة . فهما العبادات البدنية والمالية وهما العيار على غيرهما. ألا ترى أن النبى عليه السلام سمى الصلاة عماد الدين ، وجعل الفاصل بين الإسلام والكفر ترك الصلاة ، وسمى الزكاة قنطرة الإسلام . فكان من شأنهما استتباع سائر العبادات . ولذلك اختصر الكلام بأن استغنى عن عد الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لها مع ما فى ذلك من الإفصاح عن فضل هاتين العبادتين . أو صفة مسرودة مع المتقين تفيد غير فائدتها كقولك زيد الفقيه المتكلم الطبيب . ويكون المراد بالمتقين الذين يجتنبون السيئات .

(٢) يصدقون . وهو إفعال من الأمن وقولهم آمنه أى صدقه وحقيقته آمنه التكذيب والمخالفة . وتعديته بالباء لتضمنه معنى أقر واعترف .

(٣) بما غاب عنهم مما أنبأهم به النبى عليه السلام من أمر البعث والنشور والحساب وغير ذلك . فهو بمعنى الغائب تسمية بالمصدر من قولك غاب الشىء غيبا . هذا إن جعلته صلة للإيمان . وإن جعلته حالا كان بمعنى الغيبة والخفاء أى يؤمنون غائبين عن المؤمَن به . وحقيقته متلبسين بالغيب . والإيمان الصحيح أن يقر باللسان ويصدق بالجنان والعمل ليس بداخل فى الإيمان .

(٤) أى يؤدونها فعبر عن الأداء بالإقامة لأن القيام بعض أركانها كما عبر عنه بالقنوت وهو القيام ، وبالركوع والسجود والتسبيح لوجودها فيها . أو أريد باقامة الصلاة تعديل أركانها من أقام العود اذا قومه ؛ أو الدوام عليها والمحافظة من قامت السوق اذا نفقت لأنه اذا حوفظ عليها كانت كالشىء النافق الذى تتوجه اليه الرغبات واذا أضيعت كانت كالشىء الكاسد الذى لا يرغب فيه . والصلاة فعلة من صلى كالزكاة من زكى وكتابتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى حرك الصلوين أى الأليتين لأن المصلى يفعل ذلك فى ركوعه وسجوده . وقيل للداعى مصل تشبيها له فى تخشعه بالراكع والساجد .

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ(١) يُنفِقُونَ(٢) ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ(٣) بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ(٤) وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ(٥) وَبِالْآخِرَةِ(٦) هُمْ يُوقِنُونَ(٧) ﴿٤﴾

(١) أعطيناهم وما بمعنى الذى .

(٢) يتصدقون . أدخل من التبعيضية صيانة لهم عن التبذير المنهى عنه . وقدم المفعول دلالة على كونه أهم . والمراد به الزكاة لاقترانه بالصلاة التى هى أختها أو هى وغيرها من النفقات فى سبل الخير لمجيئه مطلقا . وأنفق الشىء وأنفده أخوان كنفق الشىء ونفد وكل ما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء فدالّ على معنى الخروج والذهاب . ودلت الآية على أن الأعمال ليست من الإيمان حيث عطف الصلاة والزكاة على الإيمان والعطف يقتضى المغايرة .

(٣) هم مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلّام وأضرابه من الذين آمنوا بكل وحى أنزل من عند الله وأيقنوا بالآخرة إيقانا زال معه ما كانوا عليه من أنه لا يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى وأن النار لن تمسهم إلا أياما معدودات . ثم إن عطفتهم على الذين يؤمنون بالغيب دخلوا فى جملة المتقين . وإن عطفتهم على المتقين لم يدخلوا فكأنه قيل هدى للمتقين وهدى للذين يؤمنون بما أنزل اليك . أو المراد به وصف الأولين ووسط العاطف كما يوسط بين الصفات فى قولك هو الشجاع والجواد وقوله :

الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة فى المزدحم

والمعنى أنهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه .

(٤) يعنى القرآن . والمراد جميع القرآن لا القدر الذى سبق إنزاله وقت إيمانهم لأن الإيمان بالجميع واجب . وإنما عبر عنه بلفظ الماضى وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد ، ولأنه اذا كان بعضه نازلا و بعضه منتظر النزول جعل كأن كله قد نزل .

(٥) يعنى سائر الكتب المنزلة على النبيين .

(٦) هى تأنيث الآخر الذى هو ضد الأول وهى صفة والموصوف محذوف وهو الدار بدليل قوله (تلك الدار الآخرة) وهى من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا . وعن نافع أنه خففها بأن حذف الهمزة وألقى حركتها على اللام .

(٧) الإيقان إتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه .

أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى[1] مِّن رَّبِّهِمْ[2] وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ[3] ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ[4]

(١) الجملة فى موضع الرفع إن كان الذين يؤمنون بالغيب مبتدأ وإلا فلا محل لها . ويجوز أن يجرى الموصول الأول على المتقين وأن يرتفع الثانى على الابتداء وأولئك خبره . ويجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا بأهل الكتاب الذين لا يؤمنون بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ظانون أنهم على الهدى وطامعون أنهم ينالون الفلاح عند الله . ومعنى الاستعلاء فى (على هدى) مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به بحيث شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه . ونحوه هو على الحق وعلى الباطل. وقد صرحوا بذلك فى قولهم جعل الغواية مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى .

(٢) ومعنى (هدى من ربهم) أى أوتوه من عنده . ونكر هدى ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه كأنه قيل على أى هدى . ونحوه "لقد وقعت على لحم" أى على لحم عظيم .

(٣) أى الظافرون بما طلبوا الناجون عما هربوا فالفلاح درك البغية والمفلح الفائز بالبغية كأنه الذى انفتحت له وجوه الظفر والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذا اخواته فى الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى . وجاء بالعطف هنا بخلاف قوله (أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) لاختلاف الخبرين المقتضيين للعطف هنا واتحاد الغفلة والتشبيه بالبهائم ثم فكانت الثانية مقررة للأولى فهى من العطف بمعزل . وهم فصل. وفائدته الدلالة على أن الوارد بعده خبر لا صفة، والتوكيد، وإيجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره. أو هو مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر أولئك . فانظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله أحد على طرق شتى وهى ذكر اسم الإشارة ، وتكريره ففيه تنبيه على أنهم كما ثبت لهم الأثرة بالهدى فهى ثابتة لهم بالفلاح ، وتعريف المفلحون ففيه دلالة على أن المتقين هم الناس الذين بلغك أنهم يفلحون فى الآخرة كما اذا بلغك أن إنسانا قد تاب من أهل بلدك فاستخبرت من هو فقيل زيد التائب أى هو الذى أخبرت بتوبته ، وتوسيط الفصل بينه وبين أولئك ليبصرك مراتبهم ويرغبك فى طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا . اللهم زينا بلباس التقوى واحشرنا فى زمرة من صدرت بذكرهم سورة البقرة .

(٤) لما قدم ذكر أوليائه بصفاتهم المقربة اليه وبين أن الكتاب هدى لهم قفى على أثره بذكر أضدادهم وهم العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى بقوله (إن الذين كفروا). الكفر ستر الحق بالجحود. والتركيب دال على الستر ولذا سمى الزراع كافرا وكذا الليل . ولم يأت بالعاطف هنا كما فى قوله (إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم) لأن الجملة الأولى

سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ (١) لَا يُؤۡمِنُونَ (٢) خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ (٣)

هنا مسوقة بيانا لذكر الكتاب لا خبرا عن المؤمنين وسيقت الثانية للإخبار عن الكفار بكذا . فبين الجملتين تفاوت فى المراد وهما على حد لا مجال للعطف فيه . وإن كان مبتدأ على تقدير فهو كالجارى عليه . والمراد بالذين كفروا أناس بأعيانهم علم الله أنهم لا يؤمنون كأبى جهل وأبى لهب وأضرابهما .

(١) بهمزتين كوفى . وسواء بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر ومنه قوله تعالى (الى كلمة سواء) أى مستوية . وارتفاعه على أنه خبر لإن و (أأنذرتهم أم لم تنذرهم) مرتفع به على الفاعلية كأنه قيل إن الذين كفروا مستو عليهم إنذارك وعدمه . أو يكون سواء خبرا مقدما و (أأنذرتهم أم لم تنذرهم) فى موضع الابتداء أى سواء عليهم إنذارك وعدمه والجملة خبر لإن . وانما جاز الإخبار عن الفعل مع أنه خبر أبدا لأنه من جنس الكلام المهجور فيه جانب اللفظ الى جانب المعنى . والهمزة وأم مجردتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام رأسا . قال سيبويه جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء فى قولك اللهم اغفر لنا أيتها العصابة . يعنى أن هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام كما جرى ذلك على صورة النداء ولا نداء . والإنذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصى .

(٢) جملة مؤكدة للجملة قبلها أو خبر لإن والجملة قبلها اعتراض أو خبر بعد خبر . والحكمة فى الإنذار مع العلم بالإصرار إقامة الحجة وليكون الإرسال عاما وليثاب الرسول .

(٣) قال الزجاج الختم التغطية لأن فى الاستيثاق من الشىء بضرب الخاتم عليه تغطية له لئلا يطلع عليه . وقال ابن عباس طبع الله على قلوبهم فلا يعقلون الخير . يعنى أن الله طبع عليها بجعلها بحيث لا يخرج منها ما فيها من الكفر ولا يدخلها ما ليس فيها من الإيمان . وحاصل الختم والطبع خلق الظلمة والضيق فى صدر العبد عندنا فلا يؤمن ما دامت تلك الظلمة فى قلبه ؛ وعند المعتزلة إعلام محض على القلوب بما يظهر للملائكة أنهم كفار فيلعنونهم ولا يدعون لهم بخير . وقال بعضهم إن إسناد الختم الى الله تعالى مجاز والخاتم فى الحقيقة الكافر إلا أنه تعالى لما كان هو الذى أقدره ومكنه أسند إليه الختم كما يسند الفعل الى السبب فيقال بنى الأمير المدينة لأن للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب له فاسناده الى الفاعل حقيقة وقد يسند الى هـذه الأشياء مجازا لمضاهاتها الفاعل فى ملابسة الفعل كما يضاهى الرجل الأسد فى جرأته فيستعار له اسمه . وهذا فرع مسألة خلق الأفعال .

وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ (١) وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ (٢) وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣) ۝ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ (٤)

---

(١) وحّد السمع كما وحد البطن فى قوله "كلوا فى بعض بطنكم تعفوا" لأمن اللبس، ولأن السمع مصدر فى أصله يقال سمعت الشىء سمعا وسماعا والمصدر لا يجمع لأنه اسم جنس يقع على القليل والكثير فلا يحتاج فيه الى التثنية والجمع فلمح الأصل. وقيل المضاف محذوف أى وعلى مواضع سمعهم. وقرئ (وعلى أسماعهم).

(٢) بالرفع خبر ومبتدأ. والبصر نور العين وهو ما يبصر به الرائى كما أن البصيرة نور القلب وهى ما به يستبصر ويتأمل وكأنهما جوهران لطيفان خلقهما الله تعالى فيهما آلتين للإبصار والاستبصار. والغشاوة الغطاء فعالة من غشاه اذا غطاه. وهذا البناء لما يشتمل على الشىء كالعصابة والعمامة والقلادة. والأسماع داخلة فى حكم الختم لا فى حكم التغشية لقوله (وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة) ولوقفهم على سمعهم دون قلوبهم. ونصب المفضل وحده غشاوة باضمار جعل. وتكرير الجار فى قوله (وعلى سمعهم) دليل على شدة الختم فى الموضعين. قال الشيخ الإمام أبو منصور بن على رحمه الله: الكافر لما لم يسمع قول الحق ولم ينظر فى نفسه وغيره من المخلوقات ليرى آثار الحدوث فيعلم أن لا بد له من صانع، جعل كأن على بصره وسمعه غشاوة وإن لم يكن ذلك حقيقة. وهذا دليل على أن الأسماع عنده داخلة فى حكم التغشية. والآية حجة لنا على المعتزلة فى الأصلح فانه أخبر أنه ختم على قلوبهم ولا شك أن ترك الختم أصلح لهم.

(٣) العذاب مثل النكال بناء ومعنى لأنك تقول أعذب عن الشىء اذا أمسك عنه كما تقول نكل عنه. والفرق بين العظيم والكبير أن العظيم يقابل الحقير والكبير يقابل الصغير فكأن العظيم فوق الكبير كما أن الحقير دون الصغير. ويستعملان فى الجثة والأحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته أو خطره.

ومعنى التنكير أن على أبصارهم نوعا من التغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامى عن آيات الله، ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم من العذاب لا يعلم كنهه الا الله.

(٤) افتتح سبحانه وتعالى بذكر الذين أخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم ثم ثنى بالكافرين قلوبا وألسنة ثم ثلث بالمنافقين الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم. وهم أخبث

وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ (٨) [(١)]

الكفرة لأنهم خلطوا بالكفر استهزاء وخداعا ولذا نزل فيهم (إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار) وقال مجاهد أربع آيات من أول السورة فى نعت المؤمنين وآيتان فى ذكر الكافرين وثلاث عشرة آية فى المنافقين نعى عليهم فيها مكرهم وخبثهم وسفههم واستجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الأمثال الشنيعة . وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة . وأصل ناس أناس حذفت همزته تخفيفا . وحذفها كاللازم مع لام التعريف لا يكاد يقال الأناس . ويشهد لأصله إنسان وأناسى وإنس . وسموا به لظهورهم وأنهم يؤنسون أى يبصرون كما سمى الجن لاجتنانهم . ووزن ناس فعال لأن الزنة على الأصول فانك تقول وزن قه افعل وليس معك الا العين . وهو من أسماء الجمع ولام التعريف فيه للجنس . ومن موصوفة ويقول صفة لها كأنه .قيل ومن الناس ناس يقولون كذا . وانما خصوا الإيمان بالله وباليوم الآخر (وهو الوقت الذى لاحد له وهو الأبد الدائم الذى لا ينقطع . وانما سمى بالآخر لتأخره عن الأوقات المنقضية . أو الوقت المعهود من النشور الى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار) ، لأنهم أوهموا فى هذا المقال أنهم أحاطوا بجانبى الإيمان أوله وآخره . وهذا لأن حاصل المسائل الاعتقادية يرجع الى مسائل المبدأ وهى العلم بالصانع وصفاته وأسمائه ، ومسائل المعاد وهى العلم بالنشور والبعث من القبور والصراط والميزان وسائر أحوال الآخرة . وفى تكرير الباء إشارة الى أنهم ادعوا كل واحد من الإيمانين على صفة الصحة والاستحكام .

(١) انما طابق قوله (وماهم بمؤمنين) — وهو فى ذكر شأن الفاعل لا الفعل ، قولهم (آمنا بالله وباليوم الآخر) وهو فى ذكر شأن الفعل لا الفاعل ، لأن المراد إنكار ما ادعوه ونفيه على أبلغ وجه وآكده وهو إخراج ذواتهم من أن تكون طائفة من المؤمنين . ونحوه قوله تعالى (يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها) فهو أبلغ من قولك وما يخرجون منها . وأطلق الإيمان فى الثانى بعد تقييده فى الأول لأنه يحتمل أن يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه ويحتمل أن يراد نفى أصل الإيمان وفى ضمنه نفى المذكور أولا . والآية تنفى قول الكرّاميّة أن الإيمان هو الإقرار باللسان لا غير لأنه نفى عنهم اسم الإيمان مع وجود الإقرار منهم . وتؤيد قول أهل السنة إنه إقرار باللسان وتصديق بالجنان . ودخلت الباء فى خبرما مؤكدة للنفى لأنه يستدل به السامع على الجحد اذا غفل عن أول الكلام . ومَن موحد اللفظ فلذا قيل يقول. وجمع (وماهم بمؤمنين) نظرا الى معناه .

يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ (١) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ (٢) وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ (٣) وَمَا يَشْعُرُونَ (٤) ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ (٥)

(١) أى رسول الله فحذف المضاف كقوله (واسأل القرية) كذا قاله أبو على رحمه الله وغيره أى يظهرون غير مافى أنفسهم فالخداع إظهار غير ما فى النفس. وقد رفع الله منزلة النبى صلى الله عليه وسلم حيث جعل خداعه خداعه وهو كقوله (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم) وقيل معناه يخادعون الله فى زعمهم لأنهم يظنون أن الله ممن يصح خداعه. وهذا المثال يقع كثيراً لغير اثنين نحو قولك عاقبت اللص وقد قرئ يخدعون الله . وهو بيان ليقول أو مستأنف كأنه قيل ولم يدعون الإيمان كاذبين وما منفعتهم فى ذلك فقيل (يخادعون الله) ومنفعتهم فى ذلك متاركتهم عن المحاربة التى كانت مع من سواهم من الكفار و إجراء أحكام المؤمنين عليهم ونيلهم من الغنائم وغيرذلك . قال صاحب الوقوف: الوقف لازم على (بمؤمنين) لأنه لو وصل لصار التقدير وماهم بمؤمنين مخادعين فينتفى الوصف — كقولك ما هو برجل كاذب، والمراد نفى الإيمان عنهم و إثبات الخداع لهم . ومن جعل يخادعون حالا من الضمير فى يقول والعامل فيها يقول والتقدير يقول آمنا بالله مخادعين ، أو حالا من الضمير فى بمؤمنين والعامل فيها اسم الفاعل والتقدير وما هم بمؤمنين فى حال خداعهم، لا يقف. والوجه الأول .

(٢) أى يخادعون رسول الله والمؤمنين باظهار الإيمان و إضمار الكفر .

(٣) أى وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين إلا أنفسهم لأن ضررها يلحقهم وحاصل خداعهم وهو العذاب فى الآخرة يرجع اليهم فكأنهم خدعوا أنفسهم . (وما يخادعون) أبو عمرو ونافع ومكى للمطابقة . وعذر الأولين أن خدع وخادع هنا بمعنى واحد. والنفس ذات الشيء وحقيقته ثم قيل للقلب والروح، النفس لأن النفس بهما، وللدم نفس لأن قوامها بالدم، وللماء نفس لفرط حاجتها اليه . والمراد بالأنفس ههنا ذواتهم . والمعنى بمخادعتهم ذواتهم أن الخداع لاصق بهم لا يعدوهم الى غيرهم .

(٤) وما يشعرون أن حاصل خداعهم يرجع اليهم. والشعور علم الشيء علم حس. من الشعار وهو ثوب يلى الجسد. ومشاعر الإنسان حواسه لأنها آلات الشعور. والمعنى أن لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادى غفلتهم كالذى لاحس له .

(٥) أى شك ونفاق لأن الشك تردد بين الأمرين والمنافق متردد. فى الحديث مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين. والمريض متردد بين الحياة والموت. ولأن المرض ضد الصحة والفساد يقابل الصحة . فصار المرض اسما لكل فساد والشك والنفاق فساد فى القلب .

فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا (١) وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ (٢) بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ (٣) ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ (٤) لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ (٥) قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (٦) ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ (٧) ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ

---

(١) أى ضعفا عن الانتصار وعجزا عن الاقتدار . وقيل المراد به خلق النفاق فى حالة البقاء بخلق أمثاله كما عرف فى زيادة الإيمان .

(٢) فعيل بمعنى مفعل أى مؤلم .

(٣) كوفى . أى بكذبهم فى قولهم (آمنا بالله وباليوم الآخر) فما مع الفعل بمعنى المصدر . والكذب الإخبار عن الشىء على خلاف ما هو به. يكذّبون غيرهم. أى بتكذيبهم النبى عليه السلام فيما جاء به. وقيل هو مبالغة فى كذب كما بولغ فى صدق فقيل صدّق. ونظيرهما بان الشىء وبيّن .

(٤) معطوف على يكذبون ويجوز أن يعطف على يقول آمنا لأنك لو قلت ومن الناس من (اذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنّما نحن مصلحون) لكان صحيحا .

(٥) الفساد خروج الشىء عن حال استقامته وكونه منتفعا به . وضده الصلاح وهو الحصول على الحال المستقيمة النافعة . والفساد فى الأرض هيج الحروب والفتن لأن فى ذلك فساد ما فى الأرض وانتفاء الاستقامة عن أحوال الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية. وكان فساد المنافقين فى الأرض أنهم كانوا يمايلون الكفار ويمالئونهم على المسلمين بافشاء أسرارهم اليهم وإغرائهم عليهم وذلك مما يؤدى الى هيج الفتن بينهم .

(٦) بين المؤمنين والكافرين بالمداراة . يعنى أن صفة المصلحين خلصت لنا وتمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد لأن إنما لقصر الحكم على شىء أو لقصر الشىء على حكم كقولك إنما ينطلق زيد وإنما زيد كاتب . وما كافة لأنها تكفها عن العمل .

(٧) (لا يشعرون) أنهم مفسدون فحذف المفعول للعلم به. ألا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفى لإعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها. والاستفهام اذا دخل على النفى أفاد تحققا كقوله تعالى (أليس ذلك بقادر) . ولكونها فى هذا المنصب من التحقيق لا تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم. وقد رد الله ما ادعوه من الانتظام فى جملة المصلحين أبلغ رد وأدله على سخط عظيم . والمبالغة فيه من جهة الاستئناف ، وما فى ألا وإن من التأكيد ، وتعريف الخبر، وتوسيط الفصل ، وقوله (لا يشعرون) .

ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ[(١)] أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ[(٢)] ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا[(٣)] وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ[(٤)]

---

(١) نصحوهم من وجهين : أحدهما تقبيح ما كانوا عليه لبعده عن الصواب وجره الى الفساد ، وثانيهما تبصيرهم الطريق الأسد من اتباع ذوى الأحلام . فكان من جوابهم أن سفهوهم لتمادى جهلهم. وفيه تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة. وإنما صح إسناد قيل الى لا تفسدوا وآمنوا مع أن إسناد الفعل الى الفعل لا يصح لأنه إسناد الى لفظ الفعل والممتنع إسناد الفعل الى معنى الفعل. فكأنه قيل واذا قيل لهم هذا القول. ومنه زعموا مطية الكذب. وما فى كما كافة كما فى ربما، أو مصدرية كما فى (بما رحبت) . واللام فى الناس للعهد أى كما آمن الرسول ومن معه وهم ناس معهودون أو عبد الله بن سلام وأشياعه أى كما آمن أصحابكم وإخوانكم. أو للجنس أى كما آمن الكاملون فى الإنسانية ، أو جعل المؤمنون كأنهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم . والكاف فى (كما آمن) فى موضع النصب لأنه صفة مصدر محذوف أى إيمانا مثل إيمان الناس ومثله (كما آمن السفهاء) . والاستفهام فى (أنؤمن) للإنكار . واللام فى السفهاء مشار بها الى الناس . وإنما سفهوهم وهم العقلاء المراجيح لأنهم بجهلهم اعتقدوا أن ما هم فيه هو الحق وأن ما عداه باطل ومن ركب متن الباطل كان سفيها . والسفه سخافة العقل وخفة الحلم .

(٢) (لا يعلمون) أنهم هم السفهاء. وإنما ذكر هنا لا يعلمون وفيما تقدم لا يشعرون لأنه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه أحسن طباقا له ، ولأن الإيمان يحتاج فيه الى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة . أما الفساد فى الأرض فأمر مبنى على العادات فهو كالمحسوس. والسفهاء خبر إن. وهم فصل، أو مبتدا والسفهاء خبر (هم) والجملة خبر إن .

(٣) قرأ أبو حنيفة رحمه الله واذا لاقوا يقال لقيته ولاقيته اذا استقبلته قريبا منه . الآية الأولى فى بيان مذهب المنافقين والترجمة عن نفاقهم. وهذه فى بيان ما كانوا يعملون مع المؤمنين من الاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين وإيهامهم أنهم معهم .

(٤) خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه . وبإلى أبلغ لأن فيه دلالة الابتداء والانتهاء . أى اذا خلوا من المؤمنين الى شياطينهم. ويجوز أن يكون من خلا بمعنى مضى. وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين فى تمردهم وهم اليهود . وعن سيبويه أن نون الشياطين أصلية بدليل قولهم تشيطن . وعنه أنها زائدة . واشتقاقه من شطن اذا بعد لبعده من الصلاح والخير ، أو من شاط اذا بطل ومن أسمائه الباطل .

قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ (١) إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ (٢) ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ (٣) وَيَمُدُّهُمۡ (٤) فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ (٥) يَعۡمَهُونَ (٦) ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ (٧)

(١) إنا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم . وإنما خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالإسمية محققة بإن لأنهم فى خطابهم مع المؤمنين فى ادعاء حدوث الإيمان منهم لا فى ادعاء أنهم أوحديون فى الإيمان إما لأن أنفسهم لا تساعدهم عليه اذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك وإما لأنه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التأكيد والمبالغة . وكيف يطمعون فى رواجه وهم بين ظهرانى المهاجرين والأنصار . وأما خطابهم مع إخوانهم فقد كان عن رغبة وقد كان متقبلا منهم رائجا عنهم فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتأكيد .

(٢) تأكيد لقوله (إنا معكم) لأن معناه الثبات على اليهودية وقوله (إنما نحن مستهزئون) رد للاسلام ودفع له منهم لأن المستهزئ بالشيء المستخف به منكر له ودافع لكونه معتدا به ودفع نقيض الشيء تأكيد لثباته . أو استئناف كأنهم اعترضوا عليهم بقولهم ، حين قالوا لهم إنا معكم : إن كنتم معنا فلم توافقون المؤمنين؟ فقالوا (إنما نحن مستهزئون) . والاستهزاء السخرية والاستخفاف وأصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على المكان .

(٣) أى يجازيهم على استهزائهم فسمى جزاء الاستهزاء باسمه كقوله تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها . فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه) فسمى جزاء السيئة سيئة وجزاء الاعتداء اعتداء وإن لم يكن الجزاء سيئة واعتداء . وهذا لأن الاستهزاء لا يجوز على الله تعالى من حيث الحقيقة لأنه من باب العبث وتعالى عنه . قال الزجاج هو الوجه المختار . واستئناف قوله (الله يستهزئ بهم) من غير عطف فى غاية الجزالة والفخامة وفيه أن الله تعالى هو الذى يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ الذى ليس استهزاؤهم اليه باستهزاء لما ينزل بهم من النكال والذل والهوان . ولما كانت نكايات الله وبلاياه تنزل عليهم ساعة فساعة قيل (الله يستهزئ بهم) ولم يقل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا لقوله إنما نحن مستهزئون .

(٤) أى يمهلهم عن الزجاج .

(٥) فى غلوهم فى كفرهم .

(٦) حال أى يتحيرون ويترددون . وهذه الآية حجة على المعتزلة فى مسألة الأصلح .

(٧) مبتدا خبره الذين اشتروا الخ .

ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ[1] فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ[2] وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ[3] ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا[4]

(١) أى استبدلوها به واختاروها عليه . وإنما قال (اشتروا الضلالة بالهدى) ولم يكونوا على هدى ، لأنها فى قوم آمنوا ثم كفروا ، أو فى اليهود الذين كانوا مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم فلما جاءهم كفروا به ، أو جعلوا لتمكنهم منه كأن الهدى قائم فيهم فتركوه بالضلالة . وفيه دليل على جواز البيع تعاطيا لأنهم لم يتلفظوا بلفظ الشراء ولكن تركوا الهدى بالضلالة عن اختيارهم وسمى ذلك شراء . فصار دليلا لنا على أن من أخذ شيئا من غيره وترك عليه عوضه برضاه فقد اشتراه وإن لم يتكلم به . والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء يقال ضل منزله . فاستعير للذهاب عن الصواب فى الدين .

(٢) الربح الفضل على رأس المال والتجارة صناعة التاجر وهو الذى يبيع ويشترى للربح . وإسناد الربح الى التجارة من الإسناد المجازى ومعناه فما ربحوا فى تجارتهم اذ التجارة لا تربح . ولما وقع شراء الضلالة بالهدى مجازا أتبعه ذكر الربح والتجارة ترشيحا له كقوله :

ولما رأيت النسر عزّ ابن دأية * وعشش فى وكريه جاش له صدرى

لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب أتبعه ذكر التعشيش والوكر .

(٣) لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر . والمعنى أن مطلوب التجار سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد أضاعوهما فرأس مالهم الهدى ولم يبق لهم مع الضلالة . وإذا لم يبق لهم إلا الضلالة لم يوصفوا باصابة الربح وإن ظفروا بالأغراض الدنيوية ، لأن الضال خاسر ، ولأنه لا يقال لمن لم يسلم له رأس ماله قد ربح . وقيل الذين صفة أولئك و(فما ربحت تجارتهم) إلى آخر الآية فى محل الرفع خبر أولئك .

(٤) لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة فى الكشف وتتميما للبيان . ولضرب الأمثال فى إبراز خفيات المعانى ورفع الأستار عن الحقائق تأثير ظاهر . ولقد كثر ذلك فى الكتب السماوية . ومن سور الإنجيل سورة الأمثال . والمثل فى أصل كلامهم هو المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه . ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده ، مثل . ولم يضربوا مثلا إلا قولا فيه غرابة ولذا حوفظ عليه فلا يغير . وقد استعير المثل للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة . كأنه قيل حالهم العجيبة الشأن كحال الذى

فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ[1] ﴿١٧﴾

استوقد نارا . وكذلك قوله (مثل الجنة التي وعد المتقون) أى فيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة الشأن ثم أخذ فى بيان عجائبها . (ولله المثل الأعلى) أى الوصف الذى له شأن من العظمة والجلالة . ووضع الذى موضع الذين كقوله (وخضتم كالذى خاضوا) فلا يكون تمثيل الجماعة بالواحد ، أو قصد جنس المستوقدين أو أريد الفوج الذى استوقد نارا . على أن ذوات المنافقين لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد إنما شبهت قصتهم بقصة المستوقد . ومعنى استوقد أوقد . ووقود النار سطوعها . والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق . واشتقاقها من نار ينور إذا نفر لأن فيها حركة واضطرابا .

(١) الإضاءة فرط الإنارة ومصداقه قوله (هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا) . وهى فى الآية متعدية . ويحتمل أن تكون غير متعدية مسندة إلى (ما حوله) والتأنيث للحمل على المعنى لأن ما حول المستوقد أماكن وأشياء . وجواب فلما (ذهب الله بنورهم) وهو ظرف زمان والعامل فيه جوابه مثل إذا . وما موصولة وحوله نصب على الظرف . أو نكرة موصوفة والتقدير فلما أضاءت شيئا ثابتا حوله . وجمع الضمير وتوحيده للحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى . والنور ضوء النار وضوء كل نير . ومعنى أذهبه أزاله وجعله ذاهبا . ومعنى ذهب به استصحبه ومضى به . والمعنى أخذ الله بنورهم وأمسكه (وما يمسك فلا مرسل له) فكان أبلغ من الإذهاب . ولم يقل ذهب الله بضوئهم لقوله (فلما أضاءت)لأن ذكر النور أبلغ لأن الضوء فيه دلالة على الزيادة والمراد إزالة النور عنهم رأسا ولو قيل ذهب الله بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا ألا ترى كيف ذكر عقيبه (وتركهم فى ظلمات) والظلمة عرض ينافى النور ، وكيف جمعها ، وكيف نكرها ، وكيف أتبعها ما يدل على أنها ظلمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله (لا يبصرون) . وترك بمعنى طرح وخلى إذا علق بواحد ، فإذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صيّر فيجرى مجرى أفعال القلوب ومنه (وتركهم فى ظلمات) أصله هم فى ظلمات ثم دخل ترك فنصب الجزأين. والمفعول الساقط من (لا يبصرون) من قبيل المتروك المطروح لا من قبيل المقدر المنوى كأن الفعل غير متعد أصلا . وإنما شبهت حالهم بحال المستوقد لأنهم غب الإضاءة وقعوا فى ظلمة وحيرة . نعم المنافق خابط فى ظلمات الكفر أبدا ولكن المراد ما استضاءوا به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة على ألسنتهم . ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق المفضية بهم إلى ظلمة

صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ (١) فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (٢) ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ (٣)

العقاب السرمدى . وللآية تفسير آخر وهو أنهم لما وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى عقّب ذلك بهذا التمثيل ليمثّل هداهم الذى باعوه بالنار المضيئة ماحول المستوقد، والضلالة التى اشتروها بذهاب الله بنورهم وتركه إياهم فى الظلمات . وتنكير النار للتعظيم .

(١) أى هم صم . كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن الإصاخة إلى الحق مسامعهم وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم وأن ينظروا ويتبصروا بعيونهم جعلوا كأنما إيفت مشاعرهم . وطريقته عند علماء البيان طريقة قولهم هم ليوث للشجعان وبحور للأسخياء إلا أن هذا فى الصفات وذلك فى الأسماء. وما فى الآية تشبيه بليغ فى الأصح لا استعارة لأن المستعار له مذكور وهم المنافقون والاستعارة إنما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لأن يراد به المنقول عنه والمنقول إليه لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام .

(٢) لا يعودون إلى الهدى بعد أن باعوه أو عن الضلالة بعد أن اشتروها لتنوع الرجوع إلى الشيء وعنه . أو أراد أنهم بمنزلة المتحيّرين الذين بقوا جامدين فى مكانهم لا يبرحون ولا يدرون أيتقدّمون أم يتأخرون .

(٣) ثنى الله سبحانه وتعالى فى شأنهم بتمثيل آخر لزيادة الكشف والإيضاح . شبه المنافق فى التمثيل الأول بالمستوقد نارا وإظهارَه الإيمان بالإضاءة وانقطاعَ انتفاعه بانطفاء النار . وهنا شبه دين الإسلام بالصيب لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر ؛ وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات ؛ وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق؛ وما يصيبهم من الأفزاع والبلايا من جهة أهل الإسلام بالصواعق . والمعنى أو كمثل ذوى صيب . فحذف مثل لدلالة العطف عليه ، وذوى لدلالة يجعلون عليه . والمراد كمثل قوم أخذتهم السماء بهذه الصفة فلقوا منها ما لقوا فهذا تشبيه أشياء بأشياء إلا أنه لم يصرح بذكر المشبهات كما صرح فى قوله (وما يستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء) وقول امرئ القيس :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالى

بل جاء به مطويا ذكره على سنن الاستعارة . والصحيح أن التمثيلين من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا يتكلف لواحد واحد شيء يقدر شبهه به . بيانه أن العرب تأخذ

أشياء فرادى معزولا بعضها من بعض لم يأخذ هـذا بحُجْزة ذاك فتشبهها بنظائرها كما فعل امرؤ القيس . وتشبه كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا بأخرى مثلها كقوله تعالى (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها) الآية فالمراد تشبيه حال اليهود فى جهلها بما معها من التوراة بحال الحمار فى جهله بما يحمل من أسفار الحكمة وتساوى الحالتين عنده من حمل أسفار الحكمة وحمل ما سواها من الأوقار لا يشعر من ذلك إلا بما يمر بدَفّيه من الكد والتعب . وكقوله (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء) فالمراد قلة بقاء زهرة الحياة الدنيا كقلة بقاء الخضر فهو تشبيه كيفية بكيفية . فأما أن يراد تشبيه الأفراد بالأفراد غير منوط بعضها ببعض ومصيّرة شيئا واحدا ، فلا . فكذلك لما وصف وقوع المنافقين فى ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة ، شبهت حيرتهم وشدة الأمر بما يكابد من طفئت ناره بعد إيقادها فى ظلمة الليل . وكذلك من أخذته السماء فى الليلة المظلمة مع رعد و برق وخوف من الصواعق. والتمثيل الثانى أبلغ لأنه أدل على فرط الحيرة وشدة الأمر ولذا أخّر. وهم يتدرجون فى مثل هذا من الأهون الى الأغلظ. وعطف أحد التمثيلين على الآخر بأو لأنها فى أصلها لتساوى شيئين فصاعدا فى الشك عند البعض، ثم استعيرت لمجرد التساوى كقولك جالس الحسن أو ابن سيرين تريد أنهما سيان فى استصواب أن يجالسا ، وقوله تعالى (ولا تطع منهم آثما أو كفورا) أى الآثم والكفور سيان فى وجوب العصيان . فكذا هنا معناه أن كيفية قصة المنافقين مشبهة لكيفيتى هاتين القصتين وأن الكيفيتين سواء فى استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبأيتهما مثلتها فأنت مصيب وإن مثلتها بهما جميعا فكذلك . والصيب المطر الذى يصوب أى ينزل ويقع . ويقال للسحاب صيب أيضا. وتنكير صيب لأنه نوع من المطر شديد هائل كما نكرت النار فى التمثيل الأول . والسماء هذه المظلة . وعن الحسن أنها موج مكفوف . والفائدة فى ذكر السماء ـ والصيب لا يكون الا من السماء ، أنه جاء بالسماء معرفة فأفاد أنه غمام أخذ بآفاق السماء ونفى أن يكون من سماء أى من أفق واحد من بين سائر الآفاق لأن كل أفق من آفاقها سماء . ففى التعريف مبالغة كما فى تنكير صيب وتركيبه وبنائه . وفيه دليل على أن السحاب من السماء ينحدر ، ومنها يأخذ ماءه . وقيل إنه يأخذ من البحر و يرتفع . ظلمات مرفوع بالجار والمجرور لأنه قد قوى لكونه صفة لصيب بخلاف ما لو قلت ابتداء فيه ظلمات ففيه خلاف بين الأخفش وسيبويه. والرعد الصوت الذى يسمع من السحاب لاصطكاك أجرامه ، أو ملك يسوق السحاب . والبرق الذى يلمع من السحاب من برق الشىء بريقا إذا لمع . والضمير فى فيه يعود إلى الصيب فقد جعل الصيب مكانا للظلمات فإن أريد به السحاب فظلماته ـــ إذا كان أسحم مطبقا ، ظلمتا

يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم (١) مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ (٢) حَذَرَ ٱلْمَوْتِ (٣) وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ (٤) ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ (٥)

سُحمته وتطبيقه مضمومة إليهما ظلمة الليل . وأما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة أظلال غمامه مع ظلمة الليل . وجعْل الصيب مكانا للرعد والبرق على إرادة السحاب به ، ظاهر . وكذا إن أريد به المطر لأنهما ملتبسان به فى الجملة . ولم يجمع الرعد والبرق لأنهما مصدران فى الأصل يقال رعدت السماء رعدا و برقت برقا فروعى حكم الأصل بأن ترك جمعهما . ونكرت هذه الأشياء لأن المراد أنواع منها كأنه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف و برق خاطف .

(١) الضمير لأصحاب الصيب و إن كان محذوفا كما فى قوله (أو هم قائلون) لأن المحذوف باق معناه و إن سقط لفظه . ولا محل ليجعلون لكونه مستأنفا لأنه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول فكأن قائلا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد ؟ فقيل (يجعلون أصابعهم فى آذانهم) ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق ؟ فقال (يكاد البرق يخطف أبصارهم) وإنما ذكر الأصابع ولم يذكر الأنامل ورءوس الأصابع هى التى تجعل فى الآذان، اتساعا كقوله (فاقطعوا أيديهما) والمراد إلى الرسغ. ولأن فى ذكر الأصابع من المبالغة ما ليس فى ذكر الأنامل . وانما لم يذكر الأصبع الخاص الذى تسد به الأذن لأن السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها أولى بآداب القرآن . ولم يذكر المُسبِّحة لأنها مستحدثة غير مشهورة .

(٢) متعلق بيجعلون أى من أجل الصواعق يجعلون أصابعهم فى آذانهم والصاعقة قصفة رعد تنقضّ معها شِقة من نار . قالوا تنقدح من السحاب إذا اصطكت أجرامه . وهى نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء إلا أتت عليه إلا أنها مع حدتها سريعة الخمود . يحكى أنها سقطت على نخلة فأحرقت نحو نصفها ثم طفِئت. ويقال صعقته الصاعقة إذا أهلكته فصعق أى مات إما بشدة الصوت أو بالإحراق .

(٣) مفعول له . والموت فساد بنية الحيوان أوعرض لايصح معه إحساس، معاقب للحياة.

(٤) يعنى أنهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط فهو مجاز وهذه الجملة اعتراض لا محل لها .

(٥) الخطف الأخذ بسرعة وكاد يستعمل لتقريب الفعل جدا وموضع يخطف نصب لأنه خبر كاد .

كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ(١) وَإِذَآ أَظْلَمَ(٢) عَلَيْهِمْ قَامُواْ(٣) وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ(٤) وَأَبْصَـٰرِهِمْ(٥) إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ(٦) ﴿٢٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ(٧)

(١) كل ظرف وما نكرة موصوفة معناها الوقت والعائد محذوف أى كل وقت أضاء لهم فيه والعامل فيه جوابها وهو (مشوا فيه) أى فى ضوئه. وهو استئناف ثالث كأنه جواب لمن يقول كيف يصنعون فى تارتى خفوق البرق وخفيته؟ وهذا تمثيل لشدة الأمر على المنافقين بشدته على أصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما يأتون وما يذرون. إذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف أن يخطف أبصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة فإذا خفى وفتر لمعانه بقوا واقفين. وأضاء متعد أى كلما نور لهم ممشى ومسلكا أخذوه والمفعول محذوف؛ أو غير متعد أى كلما لمع لهم مشوا فى مطرح نوره. والمشى جنس الحركة المخصوصة فإذا اشتد فهو سعى فإذا ازداد فهو عدو.

(٢) أظلم غير متعد. وذكر مع أضاء كلما ومع أظلم إذا لأنهم حراص على وجود ما همهم به معقود من إمكان المشى فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف.

(٣) وقفوا وثبتوا فى مكانهم ومنه قام الماء إذا جمد.

(٤) بقصيف الرعد.

(٥) بوميض البرق. ومفعول شاء محذوف لدلالة الجواب عليه أى ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بهما. ولقد تكاثر هذا الحذف فى شاء وأراد لا يكادون يبرزون المفعول إلا فى الشىء المستغرب كنحو قوله:

فلو شئت أن أبكى دما لبكيته * عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

وقوله تعالى (لو أردنا أن نتخذ لهوا. ولو أراد الله أن يتخذ ولدا).

(٦) أى أن الله قادر على كل شىء.

(٧) لما عدد الله فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم وأحوالهم وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله ويرديها أقبل عليهم بالخطاب وهو من الالتفات المذكور فقال (يا أيها الناس) الآية. قال علقمة: ما فى القرآن (يا أيها الناس) فهو خطاب لأهل مكة وما فيه (يا أيها الذين آمنوا) فهو خطاب لأهل المدينة. وهذا خطاب لمشركى مكة. ويا حرف وضع لنداء البعيد — وأى والهمزة للقريب — ثم استعمل

ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ⁽¹⁾ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ⁽²⁾ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ⁽³⁾ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ⁽⁴⁾ ﴿٢١﴾
ٱلَّذِى⁽⁵⁾ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا⁽⁶⁾

فى مناداة من غفل وسها وإن قرب ودنا تنزيلا له منزلة من بعد ونأى فإذا نودى به القريب المقاطن فذاك للتوكيد المؤذن بأن الخطاب الذى يتلوه معتنى به جدا . وقول الداعى يارب وهو أقرب إليه من حبل الوريد استقصار منه لنفسه واستبعاد لها عن مظان الزلفى هضما لنفسه وإقرارا عليها بالتفريط مع فرط التهالك على استجابة دعوته . وأى وصلة إلى نداء ما فيه الألف واللام كما أن ذو والذى وصلتان إلى الوصف بأسماء الأجناس ووصف المعارف بالجمل . وهو اسم مبهم يفتقر إلى ما يزيل إبهامه فلا بد أن يردفه اسم جنس أو ما يجرى مجراه يتصف به حتى يتضح المقصود بالنداء . فالذى يعمل فيه يا ، أى . والتابع له صفته نحو يا زيد الظريف . إلا أن أيًّا لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك عن الصفة . وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لتأكيد معنى النداء وللعوض عما يستحقه أى من الإضافة . وكثر النداء فى القرآن على هذه الطريقة لأن ما نادى الله به عباده من أوامره ونواهيه ووعده ووعيده أمور عظام وخطوب جسام يجب عليهم أن يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم إليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ .

(١) وحدوه قال ابن عباس رضى الله عنهما كل عبادة فى القرآن فهى توحيد .

(٢) صفة موضحة مميزة لأنهم كانوا يسمون الآلهة أربابا . والخلق إيجاد المعدوم على تقدير واستواء . وعند المعتزلة إيجاد الشىء على تقدير واستواء . وهذا بناء على أن المعدوم شىء عندهم لأن الشىء ما صح أن يعلم ويخبر عنه عندهم وعندنا هو اسم للموجود . خلقكم بالإدغام أبو عمرو .

(٣) احتج عليهم بأنه خالقهم وخالق من قبلهم لأنهم كانوا مقرين بذلك فقيل لهم إن كنتم مقرين بأنه خالقكم فاعبدوه ولا تعبدوا الأصنام .

(٤) أى اعبدوا على رجاء أن تتقوا فتنجوا بسببه من العذاب . ولعل للترجى والإطماع ولكنه إطماع من كريم فيجرى مجرى وعده المحتوم وفاؤه وبه قال سيبويه . وقال قطرب هو بمعنى كى أى لكى تتقوا .

(٥) أى صير . ومحل الذى نصب على المدح أو رفع بإضمار هو .

(٦) بساطا تقعدون عليها وتنامون وتتقلبون وهو مفعول ثان لجعل. وليس فيه دليل على أن الأرض مسطحة أو كرية إذ الافتراش ممكن على التقديرين .

وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً[1] وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً[2] فَأَخْرَجَ بِهِۦ[3] مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا[4] لَّكُمْ[5] فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا[6] وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ[7] ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ[8]

(١) سقفا كقوله تعالى (وجعلنا السماء سقفا محفوظا) وهو مصدر سمى به المبنىّ .

(٢) مطرا .

(٣) بالمـاء . نعم خروج الثمرات بقدرته ومشيئته وإيجاده ولكن جعل المـاء سببا فى خروجها كماء الفحل فى خلق الولد وهو قادر على إنشـاء الكل بلا سبب كما أنشأ نفوس الأسباب والمواد ولكنّ له فى إنشاء الأشياء مدرجا لهـا من حال الى حال وناقلا من مرتبـة إلى مرتبة ، حكما وعبرا للنظار بعيون الاستبصار . ومن فى (من الثمرات) للتبعيض أو للبيان .

(٤) مفعول له إن كانت مِنْ للتبعيض ومفعول به لأخرج إن كانت للبيان . وإنمـا قيل الثمرات دون الثمر والثمـار — وإن كان الثمر المخرج بمـاء السماء كثيرا ، لأن المراد بجماعة الثمرة ولأن الجموع يتعاور بعضها موقع بعض لالتقائها فى الجمعية .

(٥) صفة جارية على الرزق إن أريد به العين . وإن جعل اسما للمعنى فهو مفعول به كأنه قيل رزقا إياكم .

(٦) هو متعلق بالأمر أى اعبدوا ربكم فلا تجعـلوا له أندادا لأن أصل العبادة وأساسها التوحيد وألا يجعـل له ند ولا شريك . ويجوز أن يكون الذى رفعا على الابتداء وخبره (فلا تجعلوا) ودخول الفاء لأن الكلام يتضمن الجزاء أى الذى حفكم بهذه الآيات العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء. والند المثل ولا يقال إلا للمثل المخالف المناوئ . ومعنى قولهم ليس لله ند ولا ضد نفى ما يسد مسده ونفى ما ينافيه .

(٧) (تعلمون) أنها لاتخلق شيئا ولا ترزق والله الخالق الرازق. أو مفعول تعلمون متروك أى وأنتم من أهل العلم وجعل لأصنام لله أندادا غاية الجهل .والجملة حال من الضمير فى (فلا تجعلوا).

(٨) لما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية ويبطل الإشراك (لخلقهم أحياء قادرين، وخلق الأرض التى هى مثواهم ومستقرهم، وخلق السماء التى هى كالقبة المضروبة والخيمة المطنّبة على هذا القرار، وما سوّاه عز وجل من شبه عقد النكاح بين المقلّة والمظلّة بإنزال المـاء منها عليها والإخراج به من بطنها أشباه النسل من الثمـار رزقا لبنى آدم . فهذا كله دليل موصل إلى التوحيد مبطل الإشراك لأن شيئا من المخلوقات لا يقدر على إيجاد شىء منها) ، عطف على

مِمَّا (١) نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا (٢) فَأْتُوا بِسُورَةٍ (٣)

ذلك ما هو الحجة على إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يقرر إعجاز القرآن فقال (وإن كنتم فى ريب) الآية .

(١) ما نكرة موصوفة أو بمعنى الذى .

(٢) محمد عليه السلام . والعبد اسم لمملوك من جنس العقلاء . والمملوك موجود قُهر بالاستيلاء . وقيل نزلنا دون أنزلنا لأن المراد به النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازّه لمكان التحدى . وذلك أنهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله لم ينزل هكذا نجوما سورة بعد سورة وآيات غب آيات على حسب النوازل وعلى سنن ما نرى عليه أهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا حينا فحينا شيئا فشيئا لا يلقى الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمى الناثر بخطبه ضربة فلو أنزله الله لأنزله جملة . قال الله تعالى (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) فقيل إن ارتبتم فى هذا الذى وقع إنزاله هكذا على تدريج (فأتوا بسورة) .

(٣) أى فهاتوا أنتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما فردا من نجومه سورة من أصغر السور . والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التى أقلها ثلاث آيات . وواوها إن كانت أصلا فإما أن تسمى بسور المدينة وهو حائطها لأنها طائفة من القرآن محدودة محوزة على حيالها كالبلد المسور أو لأنها محتوية على فنون من العلم وأجناس من الفوائد كاحتواء سور المدينة على ما فيها . وإما أن تسمى بالسُورة التى هى الرتبة لأن السُوَر بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القارئ وهى أيضا فى نفسها مرتّبة طوال وأوساط وقصار، أو لرفعة شأنها وجلالة محلها فى الدين . وإن كانت منقلبة عن همزة فلأنها قطعة وطائفة من القرآن كالسؤرة التى هى البقية من الشىء . وأما الفائدة فى تفصيل القرآن وتقطيعه سورا فهى كثيرة . (ولذا أنزل الله تعالى التوراة والإنجيل والزبور وسائر ما أوحاه إلى أنبيائه مسورة مترجمة السور . وبوب المصنفون فى كل فن كتبهم أبوابا موشحة الصدور بالتراجم) . منها أن الجنس إذا انطوت تحته أنواع واشتمل على أصناف كان أحسن من أن يكون بيانا واحدا . ومنها أن القارئ إذا ختم سورة أو بابا من الكتاب ثم أخذ فى آخر كان أنشط له وأبعث على الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله . ومن ثم جزأ القراء القرآن أسباعا وأجزاء وعشورا وأخماسا . ومنها أن الحافظ إذا حذق السورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه ويجل فى نفسه . ومنه حديث أنس رضى الله عنه كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جل فينا . ومن ثم كانت القراءة فى الصلاة بسورة تامة أفضل .

مِن مِّثْلِهِۦ[(١)] وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم[(٢)] مِّن دُونِ ٱللَّهِ[(٣)] إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ[(٤)] ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ[(٥)]

---

(١) متعلق بسورة صفة لها . والضمير لمـا نزلنـا أى بسورة كائنة من مثله . يعنى فأتوا بسورة ممـا هو على صفته فى البيان الغريب وعلو الطبقة فى حسن النظم ؛ أو لعبدنا أى فأتوا ممّن هو على حاله من كونه أميا لم يقرأ الكتب ولم يأخذ من العلماء . ولا قصد إلى مثل ونظير هنالك . ورد الضمير إلى المنزل أولى لقوله تعالى (فأتوا بسورة مثله . فأتوا بعشر سور مثله . على أن يأتوا بمثل هـذا القرآن لا يأتون بمثله) ، ولأن الكلام مع رد الضمير إلى المنزل أحسن ترتيبا وذلك أن الحديث فى المنزل لا فى المنزل عليه وهو مسوق إليه فإن المعنى و إن ارتبتم فى أن القرآن منزل من عند الله فهاتوا أنتم نبذا ممـا يماثله وقضية الترتيب لو كان الضـمير مردودا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال و إن ارتبتم فى أن محمدا منزل عليـه فهاتوا قرآنا من مثله ، ولأن هذا التفسير يلائم قوله (وادعوا شهداءكم) .

(٢) جمع شهيد بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة .

(٣) أى غير الله وهو متعلق بشهداءكم أى ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم أنهم يشهدون لكم يوم القيامة أنكم على الحق أو من يشهد لكم بأنه مثل القرآن .

(٤) أن ذلك مختلق وأنه من كلام محمد عليه السلام وجواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله أى إن كنتم صادقين فى دعواكم فأتوا أنتم بمثله واستعينوا بآلهتكم على ذلك .

(٥) لمـا أرشدهم إلى الجهة التى منهـا يتعرفون صدق النبى عليـه السلام قال لهم فإذا لم تعارضوه و بان عجزكم ووجب تصديقه فآمنوا وخافوا العذاب المعد لمن كذب وعاند . وفيه دليلان على إثبات النبوة صحة كون المتحدى به معجزا والإخبار بأنهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه إلا الله . ولمـا كان العجز عن المعارضة قبل التأمل كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم واعتمادهم على بلاغتهم سـيق الكلام معهم على حسب حسبانهم بمجىء بإن الذى للشك دون إذا الذى للوجوب . وعبر عن الإتيان بالفعل لأنه فعل من الأفعال والفائدة فيه أنه جار مجرى الكناية التى تعطيك اختصارا إذ لو لم يعدل من لفظ الإتيـان إلى لفظ الفعل لاستطيل أن يقال فإن لم تأتوا بسورة من مثله ولن تأتوا بسورة من مثله . ولا محل لقوله (ولن تفعلوا) لأنها جملة اعتراضية . وحسن هذا الاعتراض أن لفظ الشرط للتردد فقطع التردد بقوله

أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ (١) وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ (٢)

(ولن تفعلوا). ولا ولن أختان فى نفى المستقبل إلا أن فى لن تأكيدا وعن الخليل أصلها لا أن وعند الفراء لا أبدلت ألفها نونا . وعند سيبويه حرف موضوع لتأكيد نفى المستقبل . وإنما علم أنه إخبار عن الغيب على ما هو به حتى صار معجزة لأنهم لو عارضوه بشىء لاشتهر فكيف والطاعنون فيه أكثر عددا من الذابين عنه. وشرط فى اتقاء النار انتفاء إتيانهم بسورة من مثله لأنهم إذا لم يأتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق الرسول وإذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد وأبوا الانقياد استوجبوا النار فقيل لهم إن استبنتم العجز فاتركوا العناد فوضع فاتقوا النار موضعه لأن اتقاء النار سبب ترك العناد وهو من باب الكناية وهى من شعب البلاغة وفائدته الإيجاز الذى هو من حلية القرآن . والوَقود ما ترفع به النار يعنى الحطب وأما المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح . وصلة الذى والتى يجب أن تكون معلوما للمخاطب فيحتمل أن يكونوا سمعوا من أهل الكتاب أو من رسول الله أوسمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى (نارا وقودها الناس والحجارة) . وإنما جاءت النار منكرة ثم ومعرفة هنا لأن تلك الآية نزلت بمكة ثم نزلت هذه الآية بالمدينة مشارا بها إلى ما عرفوه أولا . ومعنى قوله تعالى (وقودها الناس والحجارة) أنها نار ممتازة عن غيرها من النيران بأنها تتقد بالناس والحجارة . وهى حجارة الكبريت فهى أشد توقدا وأبطأ خمودا وأنتن رائحة وألصق بالبدن ؛ أو الأصنام المعبودة فهى أشد تحسيرا . وإنما قرن الناس بالحجارة لأنهم قرنوا بها أنفسهم فى الدنيا حيث عبدوها وجعلوها لله أندادا ونحوه قوله تعالى (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) أى حطبها فقرنهم بها محماة فى نار جهنم إبلاغا فى إيلامهم .

(١) هيئت لهم . وفيه دليل على أن النار مخلوقة خلافا لما يقوله جهم .

(٢) سنة الله فى كتابه أن يذكر الترغيب مع الترهيب تنشيطا لاكتساب ما يُزْلف وتثبيطا عن اقتراف ما يتلف. فلما ذكر الكفار وأعمالهم وأوعدهم بالعقاب قفاه بذكر المؤمنين وأعمالهم وتبشيرهم بقوله (وبشّر) . والمأمور بقوله (وبشر) الرسول عليه السلام أو كل أحد وهذا أحسن لأنه يؤذن بأن الأمر لعظمه وفخامة شأنه محقوق بأن يبشر به كل من قدر على البشارة به . وهو معطوف على (فاتقوا) كما تقول يا بنى تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بنى أسد بإحسانى إليهم. أو جملة وصف ثواب المؤمنين معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كقولك زيد يعاقب بالقيد والإرهاق وبشر عمرا بالعفو والإطلاق . والبشارة الإخبار بما يظهر سرور المخبر به

أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ[(١)] تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ[(٢)]

ومن ثم قال العلماء إذا قال لعبيده أيكم بشرنى بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق أولهم لأنه هو الذى أظهر سروره بخبره دون الباقين ولو قال أخبرنى مكان بشرنى عتقوا جميعا لأنهم أخبروه . ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من أوائل ضوئه . وأما (فبشرهم بعذاب أليم) فمن العكس فى الكلام الذى يقصد به الاستهزاء الزائد فى غيظ المستهزأ به كما يقول الرجل لعدوه أبشر بقتل ذريتك ونهب مالك . والصالحة نحو الحسنة فى جريها مجرى الاسم . والصالحات كل ما استقام من الأعمال بدليل العقل والكتاب والسنة . واللام للجنس . والآية حجة على من جعل الأعمال إيمانا لأنه عطف الأعمال الصالحة على الإيمان والمعطوف غير المعطوف عليه . ولا يقال إنكم تقولون يجوز أن يدخل المؤمن الجنة بدون الأعمال الصالحة والله تعالى بشر بالجنة لمن آمن وعمل صالحا لأن البشارة المطلقة بالجنة شرطها اقتران الأعمال الصالحة بالإيمان ولا نجعل لصاحب الكبيرة البشارة المطلقة بل نثبت بشارة مقيدة بمشيئة الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم يدخله الجنة .

(١) أى بأن لهم جنات وموضع أن وما عملت فيه النصب ببشر عند سيبويه خلافا للخليل وهو كثير فى التنزيل. والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف. والتركيب دائر على معنى الستر ومنه الجن والجنون والجنين والجنة والجان والجنان وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان . والجنة مخلوقة لقوله تعالى (اسكن أنت وزوجك الجنة) خلافا لبعض المعتزلة . ومعنى جمع الجنة وتنكيرها أن الجنة اسم لدار الثواب كلها وهى مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب بحسب أعمال العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان .

(٢) الجملة فى موضع النصب صفة لجنات. والمراد من تحت أشجارها كما ترى الأشجار النابتة على شواطئ الأنهار الجارية . وأنهار الجنة تجرى فى غير أخدود . وأنزه البساتين ما كانت أشجارها مظلة والأنهار فى خلالها مطردة . والجرى الاطّراد . والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال للنيل نهر مصر واللغة العالية نَهَر ومدار التركيب على السعة . وإسناد الجرى إلى الأنهار مجازى. وإنما عرف الأنهار لأنه يحتمل أن يراد بها أنهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الإضافة كقوله تعالى (واشتعل الرأس شيبا). أو يشار باللام إلى الأنهار المذكورة فى قوله تعالى (فيها أنهار من ماء غير آسن) الآية . والماء الجارى من النعمة العظمى واللذة الكبرى . ولذا قرن الله تعالى الجنات بذكر الأنهار الجارية وقدمه على سائر نعوتها .

كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ (١) (٢) (٣) (٤)
وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا (٥)

(١) صفة ثانية لجنات أو جملة مستأنفة لأنه لما قيل إن لهم جنات، لم يخل خلد السامع أن يقع فيه أثمار تلك الجنات أشباه ثمار جنات الدنيا أم أجناس أخر لا تشابه هذه الأجناس؟ فقيل إن ثمارها أشباه ثمار جنات الدنيا أى أجناسها أجناسها وإن تفاوتت إلى غاية لا يعلمها إلا الله.

(٢) أى كلما رزقوا من الجنات — من أىّ ثمرة كانت من تفاحها أو رمانها أو غير ذلك — رزقا، قالوا ذلك. فمن الأولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لأن الرزق قد ابتدئ من الجنات. والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة. ونظيره أن تقول رزقنى فلان فيقال لك من أين فتقول من بستانه فيقال من أى ثمرة رزقك من بستانه فتقول من الرمان. وليس المراد من الثمرة التفاحة الواحدة أو الرمانة الفذة وإنما المراد نوع من أنواع الثمار.

(٣) أى رزقناه لحذف العائد.

(٤) أى من قبل هذا فلما قطع عن الإضافة بنى. والمعنى هذا مثل الذى رزقنا من قبل وشبهه بدليل قوله (وأتوا به متشابها). وهذا كقولك أبو يوسف أبو حنيفة تريد أنه لاستحكام الشبه كأن ذاته ذاته.

(٥) الضمير فى به يرجع إلى المرزوق فى الدنيا والآخرة جميعا لأن قوله (هذا الذى رزقنا من قبل) انطوى تحته ذكر ما رزقوه فى الدارين. وإنما كان ثمار الجنة مثل ثمار الدنيا ولم تكن أجناسا أخر لأن الإنسان بالمألوف آنس وإلى المعهود أميل وإذا رأى ما لم يألفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه، ولأنه إذا شاهد ماسلف له به عهد ورأى فيه مزية ظاهرة وتفاوتا بينا كان استعجابه به أكثر واستغرابه أوفر. وتكريرهم هذا القول عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهى الأمر وتمادى الحال فى ظهور المزية، وعلى أن ذلك التفاوت العظيم هو الذى يستملى تعجبهم فى كل أوان. أو إلى الرزق كما أن هذا إشارة إليه. والمعنى أن ما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا فى نفسه كما يحكى عن الحسن يؤتى أحدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بالأخرى فيقول هذا الذى أتينا به من قبل. فيقول الملك: كل فاللون واحد والطعم مختلف. وعنه عليه السلام والذى نفس محمد بيده إن الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هى بواصلة إلى فيه حتى يبدلها الله مكانها مثلها فإذا أبصروها والهيئة هيئة الأولى قالوا ذلك. وقوله (وأتوا به متشابها) جملة معترضة للتقرير كقولك فلان أحسن بفلان ونعم ما فعل ورأى من الرأى كذا وكان صوابا ومنه (وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون).

وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ (١) مُّطَهَّرَةٌ (٢) وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٣) ﴿٢٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً (٤)

(١) أزواج مبتدأ ولهم الخبر وفيها ظرف للاستقرار .

(٢) (مطهّرة) من مساوى الأخلاق لا طمحات ولا مرحات ؛ أو مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة وما لا يختص بهن من البول والغائط وسائر الأقذار والأدناس . ولم تجمع الصفة كالموصوف لأنهما لغتان فصيحتان . ولم يقل طاهرة لأن مطهرة أبلغ لأنها تكون للتكثير وفيها إشعار بأن مطهرا طهرهن وما ذلك إلا الله عز وجل .

(٣) الخلد والخلود البقاء الدائم الذى لا ينقطع. وفيه بطلان قول الجهمية فإنهم يقولون بفناء الجنة وأهلها لأنه تعالى وصف بأنه الأول والآخر وتحقيق وصف الأولية بسبقه على الخلق أجمع فيجب تحقيق وصف الآخرية بالتأخر عن سائر المخلوقات وذا إنما يتحقق بعد فناء الكل فوجب القول به ضرورة ، ولأنه تعالى باق وأوصافه باقية فلو كانت الجنة باقية مع أهلها لوقع التشابه بين الخالق والمخلوق وذا محال . قلنا الأول فى حقه هو الذى لا ابتداء لوجوده والآخر هو لذى لا انتهاء له وفى حقنا الأول هو الفرد السابق والآخر هو الفرد اللاحق . واتصافه بهما لبيان صفة الكمال ونفى النقيصة والزوال وذا فى تنزيهه عن احتمال الحدوث والفناء لا فيما قالوه . وأنّى يقع التشابه فى البقاء وهو تعالى باق لذاته وبقاؤه واجب الوجود وبقاء الخلق به وهو جائز الوجود .

(٤) لما ذكر الله تعالى الذباب والعنكبوت فى كتابه وضرب به مثلا ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فنزل (إن الله لايستحيي أن يضرب مثلا ما). أى لايترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي أن يتمثل بها لحقارتها . وأصل الحياء تغير وانكسار يعترى الإنسان من تخوف ما يعاب به ويذم . ولا يجوز على القديم التغير وخوف الذم . ولكن الترك لما كان من لوازمه عبر عنه به . ويجوز أن تقع هذه العبارة فى كلام الكفرة فقالوا أما يستحيي رب محمد أن يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت . فجاءت على سبيل المقابلة وإطباق الجواب على السؤال. وهو فن من كلامهم بديع. وفيه لغتان التعدى بنفسه وبالجار يقال استحييته واستحييت منه وهما محتملتان هنا. وضرْب المثل صنعه ، من ضرب اللبن وضرب الخاتم . و(ما) هذه إبهامية وهى التى إذا اقترنت باسم نكرة أبهمته إبهاما وزادته عموما كقولك أعطنى كتابا ما تريد أى كتاب كان . أو صلة للتأكيد كالتى فى قوله تعالى (فبما نقضهم ميثاقهم)

فَمَا فَوْقَهَا (١) فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ (٢) مِن رَّبِّهِمْ (٣) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا (٤)

كأنه قال لا يستحيي أن يضرب مثلا البتة. وبعوضة عطف بيان لمثلا. أو مفعول ليضرب ومثلا حال من النكرة مقدمة عليه. أو انتصبا مفعولين على أن ضرب بمعنى جعل. واشتقاقها من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال بعضه البعوض ومنه بعض الشيء لأنه قطعة منه. والبعوض في أصله صفة على فعول كالقطوع فغلبت .

(١) فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة. أو فما زاد عليها في الحجم. كأنه أراد بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لأنهما أكبر من البعوضة. ولا يقال كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهي النهاية في الصغر، لأن جناح البعوضة أقل منها وأصغر بدرجات وقد ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا .

(٢) الضمير للمثل أو لأن يضرب. والحق الثابت الذي لا يسوغ إنكاره يقال حق الأمر إذا ثبت ووجب .

(٣) في موضع النصب على الحال والعامل معنى الحق وذو الحال الضمير المستتر فيه .

(٤) يوقف عليه. إذ لو وصل لصار ما بعده صفة له وليس كذلك . وفي قولهم (ماذا أراد الله بهذا مثلا) استحقار كما قالت عائشة رضي الله عنها في عبد الله بن عمرو "يا عجبا لابن عمرو هذا" محقرة له . ومثلا نصب على التمييز أو على الحال كقوله (هذه ناقة الله لكم آية). و(أما) حرف فيه معنى الشرط ولذا يجاب بالفاء . وفائدته في الكلام أن يعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب فإذا قصدت توكيده وأنه لا محالة ذاهب قلت أما زيد فذاهب . ولذا قال سيبويه في تفسيره : مهما يكن من شيء فزيد ذاهب. وهذا التفسير يفيد كونه تأكيداً وأنه في معنى الشرط. وفي إيراد الجملتين مصدرتين به وأن لم يقل فالذين آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون، إحماد عظيم لأمر المؤمنين واعتداد بليغ بعلمهم أنه الحق ، ونعى على الكافرين إغفالهم حظهم ورميهم بالكلمة الحمقاء. و(ماذا) فيه وجهان أن يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي وما استفهاما فيكون كلمتين. وأن تكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما واحدا للاستفهام فيكون كلمة واحدة. فما على الأول رفع بالابتداء وخبره ذا مع صلته أي أراد والعائد محذوف. وعلى الثاني منصوب المحل بأراد والتقدير أي شيء أراد الله . والإرادة مصدر أردت الشيء إذا طلبته نفسك ومال إليه قلبك وهي عند

يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا[1]

المتكلمين معنى يقتضى تخصيص المفعولات بوجه دون وجه. والله تعالى موصوف بالإرادة على الحقيقة عند أهل السنة. وقال معتزلة بغداد إنه تعالى لا يوصف بالإرادة على الحقيقة. فإذا قيل أراد الله كذا فإن كان فعله فمعناه أنه فعل وهو غير ساه ولا مكره عليه وإن كان فعل غيره فمعناه أنه أمر به .

[1] جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين بأما، وأن فريق العالمين بأنه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة، وأن العلم بكونه حقا من باب الهدى، وأن الجهل بحسن مورده من باب الضلالة. وأهل الهدى كثير فى أنفسهم وإنما يوصفون بالقلة بالقياس إلى أهل الضلال ولأن القليل من المهتدين كثير فى الحقيقة وإن قلوا فى الصورة :

إنّ الكرام كثير فى البلاد وإن * قلوا كما غيرهم قُلّ وإن كثروا

والإضلال خلق فعل الضلال فى العبد ، والهداية خلق فعل الاهتداء . هـذا هو الحقيقة عند أهل السنة. وسياق الآية لبيان أن ما استنكره الجهلة من الكفار واستغربوه من أن تكون المحقرات من الأشياء مضروبا بها المثل، ليس بموضع الاستنكار والاستغراب . لأن التمثيل إنما يصار إليه لما فيه من كشف المعنى وإدناء المتوهم من المشاهد. فإن كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به كذلك . وإن كان حقيرا كان المتمثل به كذلك . ألا ترى أن الحق لما كان واضحا جليا تمثل له بالضياء والنور، وأن الباطل لما كان بضد صفته تمثل له بالظلمة. ولما كانت حال الآلهة التى جعلها الكفار أنداداً لله لا حال أحقر منها وأقل — ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها فى الضعف والوهن، وجعلت أقل من الذباب، وضربت لها البعوضة فالذى دونها مثلا — لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقل للتمثل استحى من تمثيلها بالبعوضة لأنه مصيب فى تمثيله محق فى قوله سائق للمثل على قضية مضربه . ولبيان أن المؤمنين الذين عادتهم الإنصاف والنظر فى الأمور بناظر العقل إذا سمعوا بهذا التمثيل علموا أنه الحق، وأن الكفار الذين غلب الجهل على عقولهم إذا سمعوه كابروا وعاندوا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالإنكار، وأن ذلك سبب هدى المؤمنين وضلال الفاسقين. والعجب منهم كيف أنكروا ذلك وما زال الناس يضربون الأمثال بالبهائم والطيور وخشاش الأرض فقالوا، أجمع من ذرّة، وأجرأ من الذباب، وأسمع من قراد، وأضعف من فراشة ، وآكل من السوس، وأضعف من البعوضة، وأعز من مخ البعوض. ولكن ديدن المحجوج والمبهوت أن يرضى لفرط الحيرة بدفع الواضح وإنكار اللائح .

وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ[(١)] ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ[(٢)] عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ[(٣)] وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ[(٤)] وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ[(٥)] أُو۟لَٰٓئِكَ[(٦)] هُمُ[(٧)]

(١) هو مفعول يضل وليس بمنصوب على الاستثناء لأن يضل لم يستوف مفعوله . والفسق الخروج عن القصد . والفاسق فى الشريعة الخارج عن الأمر بارتكاب الكبيرة. وهو النازل بين المنزلتين أى بين منزلة المؤمن والكافر عند المعتزلة وسيمر عليك ما يبطله إن شاء الله .

(٢) النقض الفسخ وفك التركيب . والعهد الموثق . والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله أحبار اليهود المتعنتون أو منافقوهم أو الكفار جميعا . وعهد الله ما ركز فى عقولهم من الحجة على التوحيد كأنه أمر وصاهم به ووثقه عليهم . أو أخذ الميثاق عليهم بأنهم إذا بعث إليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره . أو أخذ الله العهد عليهم أن لا يسفكوا دماءهم ولا يبغى بعضهم على بعض ولا يقطعوا أرحامهم . وقيل عهد الله إلى خلقه ثلاثة عهود العهد الأول الذى أخذه على جميع ذرية آدم عليه السلام بأن يقروا بربوبيته وهو قوله تعالى (وإذ أخذ ربك من بنى آدم) الآية ، وعهد خص به النبيين أن يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين وهو قوله تعالى (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) وعهد خص به العلماء وهو قوله تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) .

(٣) أصله من الوثاقة وهى إحكام الشىء . والضمير للعهد . وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله وإلزامه أنفسهم . ويجوز أن يكون بمعنى توثقته كما أن الميعاد بمعنى الوعد . أو لله تعالى أى من بعد توثقته عليهم . ومن لابتداء الغاية .

(٤) هو قطعهم الأرحام وموالاة المؤمنين. أو قطعهم ما بين الأنبياء من الوصلة والاجتماع على الحق فى إيمانهم ببعض وكفرهم ببعض . والأمر طلب الفعل بقول مخصوص على سبيل الاستعلاء . وما نكرة موصوفة أو بمعنى الذى . وأن يوصل فى موضع جر بدل من الهاء أى بوصله أو فى موضع رفع أى هو أن يوصل .

(٥) بقطع السبيل والتعويق عن الإيمان .

(٦) مبتدأ .

(٧) فصل . والخبر (الخاسرون) .

ٱلْخَٰسِرُونَ(١) ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ(٢) وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا(٣) فَأَحْيَٰكُمْ(٤) ثُمَّ يُمِيتُكُمْ(٥) ثُمَّ يُحْيِيكُمْ(٦) ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ(٧) ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم(٨) مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا(٩)

(١) أى المغبونون حيث استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب .

(٢) معنى الهمزة التى فى كيف مثله فى قولك أتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو إلى الإيمان وهو الإنكار والتعجب ونظيره قولك أتطير بغير جناح وكيف تطير بغير جناح .

(٣) نطفا فى أصلاب آبائكم . والواو للحال و"قد" مضمرة . والأموات جمع ميْت كالأقوال جمع قول . ويقال لعادم الحياة أصلا ميت أيضا كقوله تعالى (بلدة ميتا) .

(٤) فى الأرحام .

(٥) عند انقضاء آجالكم .

(٦) للبعث .

(٧) تصيرون إلى الجزاء . أو ثم يحييكم فى قبوركم ثم إليه ترجعون للنشور . و إنما كان العطف الأول بالفاء والبواقى بثم لأن الإحياء الأول قد تعقب الموت بلا تراخ وأما الموت فقد تراخى عن الحياة والحياة الثانية كذلك تتراخى عن الموت إن أريد النشور و إن أريد إحياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع إلى الجزاء أيضا متراخ عن النشور . و إنما أنكر اجتماع الكفر مع القصة التى ذكرها لأنها مشتملة على آيات بينات تصرفهم عن الكفر ولأنها تشتمل على نعم جسام حقها أن تشكر ولا تكفر .

(٨) أى لأجلكم ولانتفاعكم به فى دنياكم ودينكم . أما الأول فظاهر . وأما الثانى فالنظر فيه وما فيه من العجائب الدالة على صانع قادر حكيم عليم وما فيه من التذكير بالآخرة لأن ملاذها تذكر ثوابها ومكارهها تذكر عقابها . وقد استدل الكرخى وأبو بكر الرازى والمعتزلة بقوله خلق لكم على أن الأشياء التى يصح أن ينتفع بها خلقت مباحة فى الأصل .

(٩) نصب على الحال من ما .

ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ(١) إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ(٢) سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ(٣) بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ(٤) إِنِّى جَاعِلٌ(٥) فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً(٦) قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ

(١) الاستواء الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود أى قام واعتدل ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل أى قصده قصدا مستويا من غير أن يلوى على شيء ومنه قوله تعالى (ثم استوى إلى السماء) أى أقبل وعمد إلى خلق السموات بعد ما خلق ما فى الأرض من غير أن يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر والمراد بالسماء جهات العلو كأنه قيل ثم استوى الى فوق .

(٢) الضمير فى (فسوّاهنّ) مبهم يفسره (سبع سموات) كقولهم ربه رجلا . وقيل الضمير راجع إلى السماء ولفظها واحد ومعناها الجمع لأنها فى معنى الجلس . ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه وإخلاؤه من العوج والفطور أو إتمام خلقهن . و (ثم) هنا لبيان فضل خلق السموات على خلق الأرض . ولا يناقض هذا قوله (والأرض بعد ذلك دحاها) لأن جرم الأرض تقدم خلقه خلق السماء وأما دحوها فمتأخر . وعن الحسن خلق الله الأرض فى موضع بيت المقدس كهيئة الفِهْر عليها دخان ملتزق بها ثم أصعد الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر فى موضعها وبسط منها الأرض فذلك قوله تعالى (كانتا رتقا) وهو الالتزاق .

(٣) فمن ثَمّ خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما فى الأرض على حسب حاجات أهلها ومنافعهم . وهُو وأخواته مدنى غير ورش.وهْو هو وأبو عمرو وعلى. جعلوا الواو كأنها من نفس الكلمة فصار بمنزلة عضد وهم يقولون فى عضد عضد بالسكون .

(٤) لما خلق الله تعالى الأرض أسكن فيها الجن وأسكن فى السماء الملائكة فأفسدت الجن فى الأرض فبعث إليهم طائفة من الملائكة فطردتهم إلى جزائر البحار ورءوس الجبال وأقاموا مكانهم . فأمر نبيه عليه السلام أن يذكر قصتهم فقال (وإذ قال ربك) الآية . إذ نصب باضمار اذكر . والملائكة جمع ملأك كالشمائل جمع شمأل وإلحاق التاء لتأنيث الجمع .

(٥) أى مصير من جعل الذى له مفعولان وهما (فى الأرض خليفة) .

(٦) هو من يخلف غيره . فعيلة بمعنى فاعلة وزيدت الهاء للمبالغة . والمعنى خليفة منكم لأنهم كانوا سكان الأرض نخلفهم فيها آدم وذريته ولم يقل خلائف أو خلفا. لأنه أريد بالخليفة آدم واستغنى بذكره عن ذكر بنيه كما تستغنى بذكر أبى القبيلة فى قولك مضر وهاشم . أو أريد من

فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا(١) وَيَسْفِكُ(٢) الدِّمَاءَ وَنَحْنُ(٣) نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ(٤) وَنُقَدِّسُ لَكَ(٥) قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ(٦) ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ(٧) الْأَسْمَاءَ(٨) كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ

يخلفكم أو خلقا يخلفكم فوحد لذلك . أو خليفة منى لأن آدم كان خليفة الله فى أرضه وكذلك كل نبى قال الله تعالى (ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض) . وإنما أخبرهم بذلك ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا بما أجيبوا به فيعرفوا حكمته فى استخلافهم قبل كونهم . أو ليعلّم عباده المشاورة فى أمورهم قبل أن يقدموا عليها وإن كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة .

(١) تعجبٌ من أن يستخلف مكان أهل الطاعة أهل المعصية وهو الحكيم الذى لا يجهل . وإنما عرفوا ذلك بإخبار من الله تعالى أو من جهة اللوح أو قاسوا أحد الثقلين على الآخر .

(٢) أى يصب .

(٣) الواو للحال كما تقول أتحسن إلى فلان وأنا أحق منه بالإحسان .

(٤) فى موضع الحال أى نسبح حامدين لك ومتلبسين بحمدك كقوله تعالى (وقد دخلوا بالكفر) أى دخلوا كافرين .

(٥) ونطهر أنفسنا لك . وقيل التسبيح والتقديس تبعيد الله من السوء من سبح فى الأرض وقدس فيها إذا ذهب فيها وأبعد .

(٦) أى أعلم من الحكم فى ذلك ما هو خفى عليكم . يعنى يكون فيهم الأنبياء والأولياء والعلماء . وما بمعنى الذى وهو مفعول أعلم والعائد محذوف أى ما لا تعلمونه . إنىَ حجازى وأبو عمرو .

(٧) هو اسم أعجمى وأقرب أمره أن يكون على فاعل كآزر . واشتقاقهم آدم من أديم الأرض أو من الأُدَمة كاشتقاقهم يعقوب من العقب وإدريس من الدرس وإبليس من الإبلاس .

(٨) أى أسماء المسميات فحذف المضاف إليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الأسماء إذ الاسم يدل على المسمى وعوض منه اللام كقوله تعالى (واشتعل الرأس شيبا) ولا يصح أن يقدر وعلم آدم مسميات الأسماء على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه لأن التعليم تعلق بالأسماء لا بالمسميات لقوله تعالى (أنبئونى بأسماء هؤلاء) و (أنبئهم بأسمائهم) ولم يقل أنبئونى بهؤلاء وأنبئهم بهم . ومعنى تعليمه أسماء المسميات أنه تعالى أراه الأجناس التى خلقها وعلمه أن هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا . وعن ابن عباس رضى الله عنهما علمه اسم كل شىء حتى القصعة والمغرفة .

عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ[1] فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى[2] بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ[3] ۝ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ[4] لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ[5] إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ[6] ٱلْحَكِيمُ[7] ۝ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ[8] قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ[9] وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ[10] وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ[11] ۝

(١) أى عرض المسميات . وإنما ذكّر لأن فى المسميات العقلاء فغلّبهم . وإنما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الإنباء على سبيل التبكيت .

(٢) أخبرونى .

(٣) فى زعمكم أنى أستخلف فى الأرض مفسدين سفاكين للدماء . وفيه رد عليهم وبيان أن فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التى هى أصول الفوائد كلها ما يستأهلون لأجله أن يستخلفوا .

(٤) تنزيها لك أن يخفى عليك شىء أو عن الاعتراض عليك فى تدبيرك . وأفادتنا الآية أن علم الأسماء فوق التخلى للعبادة فكيف بعلم الشريعة . وانتصابه على المصدر تقديره سبحت الله تسبيحا .

(٥) وليس فيه علم الأسماء . وما بمعنى الذى . والعلم بمعنى المعلوم أى لا معلوم لنا إلا الذى علمتنا .

(٦) غير المعلَّم .

(٧) فيما قضيت وقدرت . والكاف اسم إن وأنت مبتدأ وما بعده خبره والجملة خبر إن. أو (أنت) فصل والخبر (العليم) والحكيم خبر ثان .

(٨) سمى كل شىء باسمه .

(٩) أى أعلم ما غاب فيهما عنكم مما كان ومما يكون .

(١٠) تظهرون .

(١١) تسرون .

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ(١) فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ(٢) أَبَىٰ(٣) وَٱسْتَكْبَرَ(٤) وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ(٥) ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ(٦) أَنتَ(٧) وَزَوْجُكَ

(١) أى اخضعوا له وأقروا بالفضل له، عن أبيّ بن كعب . وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان ذلك انحناء ولم يكن خرورا على الذقن . والجمهور على أن المأمور به وضع الوجه على الأرض . وكان السجود تحية لآدم عليه السلام فى الصحيح إذ لو كان لله تعالى لما امتنع عنه إبليس . وكان سجود التحية جائزا فيما مضى ثم نسخ بقوله عليه السلام لسلمان حين أراد أن يسجد له . لا ينبغى لمخلوق أن يسجد لأحد إلا لله تعالى .

(٢) الاستثناء متصل لأنه كان من الملائكة كذا قاله علىّ وابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم، ولأن الأصل أن الاستثناء يكون من جنس المستثنى منه. ولهذا قال (ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك) وقوله (كان من الجن) معناه صار من الجن كقوله (فكان من المغرقين). وقيل الاستثناء منقطع لأنه لم يكن من الملائكة بل كان من الجن بالنص وهو قول الحسن وقتادة، ولأنه خلق من نار والملائكة خلقوا من النور ، ولأنه أبى وعصى واستكبر والملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ولا يستكبرون عن عبادته، ولأنه قال (أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى) ولا نسل للملائكة. وعن الجاحظ أن الجن والملائكة جنس واحد فمن طهر منهم فهو ملك ومن خبث فهو شيطان. ومن كان بين بين فهو جن .

(٣) امتنع مما أمر به .

(٤) تكبر عنه .

(٥) وصار من الكافرين بإبائه واستكباره ورده الأمر. لا بترك العمل بالأمر لأن ترك السجود لا يخرج من الإيمان ولا يكون كفرا عند أهل السنة خلافا للمعتزلة والخوارج . أو كان من الكافرين فى علم الله أى وكان فى علم الله أنه يكفر بعد إيمانه لأنه كان كافرا أبدا فى علم الله . وهى مسألة الموافاة .

(٦) أمر من سكن الدار يسكنها سكنى إذا أقام فيها . ويقال سكن المتحرك سكونا .

(٧) تأكيد للمستكن فى اسكن ليصح عطف وزوجك عليه .

(١)ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا(٢) رَغَدًا(٣) حَيْثُ شِئْتُمَا(٤) وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ(٥) فَتَكُونَا(٦)
مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ(٧) ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا(٨) فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ(٩)

(١) هى جنة الخلد التى وعدت للمتقين للنقل المشهور واللام للتعريف . وقالت المعتزلة كانت بستانا باليمن لأن الجنة لا تكليف فيها ولا خروج عنها. قلنا إنما لا يخرج منها من دخلها جزاء . وقد دخل النبي عليه السلام ليلة المعراج ثم خرج منها . وأهل الجنة يكلفون المعرفة والتوحيد .

(٢) من ثمـارها لحذف المضاف .

(٣) وصف للمصدر أى أكلا رغدا واسعا .

(٤) شئتما وبابه بغير همز أبو عمرو . وحيث للمكان المبهم أى أىّ مكان من الجنة شئتما .

(٥) أى الحنطة . ولذا قيل كيف لا يعصى الإنسـان ، وقوته من شجرة العصيان ؟ أو الكرمة لأنها أصل كل فتنة . أو التينة .

(٦) جزم عطف على تقربا أو نصب جواب للنهى .

(٧) من الذين ظلموا أنفسهم أو من الضارين أنفسهم .

(٨) أى عن الشجرة . أى فحملهما الشيطان على الزلة بسببها . وتحقيقه فأصدر الشيطان زلتهما عنها. أو فأزلهما عن الجنة بمعنى أذهبهما عنها وأبعدهما . فأزالهما حمزة . وزلة آدم بالخطأ فى التأويل إما بحمل النهى على التنزيه دون التحريم ، أو بحمل اللام على تعريف العهد وكان الله تعالى أراد الجنس . والأول الوجه . وهذا دليل على أنه يجوز إطلاق اسم الزلة على الأنبياء عليهم السلام كما قال مشايخ بخارى . لأنه اسم الفعل يقع على خلاف الأمر من غير قصد إلى الخلاف كزلة المـاشى فى الطين . وقال مشايخ سمرقند لا يطلق اسم الزلة على أفعالهم كما لا تطلق المعصية . وإنمـا يقال فعلوا الفاضل وتركوا الأفضل فعوتبوا عليه .

(٩) من النعيم والكرامة. أو من الجنة إن كان الضمير للشجرة فى (عنها) . وقد توصل إلى إزلالهما بعد ما قيل له (اخرج منها فإنك رجيم) لأنه منع عن دخولها على جهة التكرمة كدخول الملائكة لا عن دخولها على جهة الوسوسة ابتلاء لآدم وحواء . وروى أنه أراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل فى فم الحية حتى دخلت به . وقيل قام عند الباب فنادى .

وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟(١) بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ(٢) وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ(٣) وَمَتَٰعٌ(٤) إِلَىٰ حِينٍ(٥) ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ(٦) ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ(٧) عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ(٨) ٱلرَّحِيمُ(٩) ﴿٣٧﴾

(١) الهبوط النزول إلى الأرض. والخطاب لآدم وحواء وإبليس وقيل والحية. والصحيح لآدم وحواء. والمراد هما وذريتهما لأنهما لما كانا أصل الإنس ومتشعبهم جعلا كأنهما الإنس كلهم . ويدل عليه قوله تعالى (قال اهبطا منها جميعا) .

(٢) المراد به ما عليه الناس من التباغى والتعادى وتضليل بعضهم لبعض. والجملة فى موضع الحال من الواو فى اهبطوا أى اهبطوا متعادين .

(٣) موضع استقرار أو استقرار .

(٤) وتمتع بالعيش .

(٥) إلى يوم القيامة أو إلى الموت. قال ابراهيم بن أدهم أورثتنا تلك الأكلة حزنا طويلا.

(٦) أى استقبلها بالأخذ والقبول والعمل بها . وبنصب آدم ورفع كلمات مكى على أنها استقبلته بأن بلغته واتصلت به وهن قوله تعالى (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) وفيه موعظة لذريتهما حيث عرفوا كيفية السبيل إلى التنصل من الذنوب . وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن أحب الكلام إلى الله تعالى ما قاله أبونا آدم حين اقترف الخطيئة: "سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله إلا أنت. ظلمت نفسى فاغفر لى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت". وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: يارب ألم تخلقنى بيدك؟ قال بلى. قال يارب ألم تنفخ فىّ من روحك؟ ألم تسبق رحمتك غضبك؟ ألم تسكنّى جنتك ؟ وهو تعالى يقول بلى بلى . قال فلم أخرجتنى من الجنة ؟ قال بشؤم معصيتك . قال فلو تبت أراجعى أنت إليها ؟ قال نعم .

(٧) فرجع عليه بالرحمة والقبول واكتفى بذكر توبة آدم لأن حواء كانت تبعا له . وقد طُوى ذكر النساء فى أكثر القرآن والسنة لذلك .

(٨) الكثير القبول للتوبة .

(٩) على عباده .

قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا(١) فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى(٢) فَمَن تَبِعَ هُدَايَ(٣) فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ(٤) وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ(٥) ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ(٦) أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ(٧) هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ(٨) ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ(٩) وَأَوْفُواْ(١٠) بِعَهْدِيٓ(١١)

---

(١) حال أى مجتمعين . وكرر الأمر بالهبوط للتأكيد . أو لأن الهبوط الأول من الجنة إلى السماء والثانى من السماء إلى الأرض . أو لما نيط به من زيادة قوله (فإمّا يأتينكم) .

(٢) أى رسول أبعثه إليكم . أو كتاب أنزله عليكم بدليل قوله تعالى (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) فى مقابلة قوله (فمن اتبع هداى) .

(٣) أى بالقبول والإيمان به .

(٤) فى المستقبل . فلا خوفَ بالفتح فى كل القرآن يعقوب .

(٥) على ما خلفوا . والشرط الثانى مع جوابه جواب الشرط الأول كقولك إن جئتنى فإن قدرت أحسنت إليك .

(٦) مبتدأ والخبر (أصحاب) والجملة فى موضع الرفع خبر المبتدأ أعنى (والذين) .

(٧) أى أهلها ومستحقوها .

(٨) هو يعقوب عليه السلام وهو لقب له ومعناه فى لسانهم صفوة الله أو عبد الله . فإسرا هو العبد أو الصفوة . و إيل هو الله بالعبرية . وهو غير منصرف لوجود العلمية والعجمة .

(٩) ذِكْرُهُم النعمةَ أَلّا يخلوا بشكرها و يطيعوا مانحها . وأراد بها ما أنعم به على آبائهم مما عدد عليهم من الإنجاء من فرعون وعذابه ومن الغرق، ومن العفو عن اتخاذ العجل والتوبة عليهم؛ وما أنعم به عليهم من إدراك زمن محمد صلى الله عليه وسلم المبشر به فى التوراة والإنجيل .

(١٠) أدوا وافيا تاما . يقال وفيت له بالعهد فأنا واف به وأوفيت له بالعهد فأنا موف به . والاختيار أوفيت . وعليه نزل التنزيل .

(١١) بما عاهدتمونى عليه من الإيمان بى والطاعة لى أو من الإيمان بنبى الرحمة والكتاب المعجز .

أُوفِ بِعَهْدِكُمْ (١) وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ (٢) وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ (٣) مُصَدِّقًا (٤) لِّمَا مَعَكُمْ (٥) وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ (٦) وَلَا تَشْتَرُواْ (٧) بِـَٔايَٰتِى (٨) ثَمَنًا قَلِيلًا (٩) وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ (١٠)

---

(١) بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم . والعهد يضاف إلى المعاهِد والمعاهَد جميعا . وعن قتادة هما (لئن أقمتم) و (لأكفرنَّ) . وقال أهل الإشارة : أوفوا فى دار محنتى، على بساط خدمتى ، بحفظ حرمتى، أوف فى دار نعمتى، على بساط كرامتى ، بسرور رؤيتى .

(٢) فلا تنقضوا عهدى وهو من قولك زيدا رهبته. وهو أوكد فى إفادة الاختصاص من إياك نعبد . وإياى منصوب بفعل مضمر دل عليه ما بعده وتقديره فارهبوا إياى فارهبون . وحذف الأول لأن الثانى يدل عليه. وإنما لم ينتصب بقوله فارهبون لأنه أخذ مفعوله وهو الياء المحذوفة وكسرة النون دليل الياء كما لا يجوز نصب زيد فى زيدا فاضربه باضرب الذى هو ظاهر .

(٣) يعنى القرآن .

(٤) حال مؤكدة من الهاء المحذوفة كأنه قيل أنزلته مصدقا .

(٥) من التوراة . يعنى فى العبادة والتوحيد والنبوة وأمر محمد عليه السلام .

(٦) أى أول من كفر به أو أول حزب أو فوج كافر به أو ولا يكن كل واحد منكم أول كافر به . وهذا تعريض بأنه كان يجب أن يكونوا أول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته . والضمير فى به يعود إلى القرآن .

(٧) ولا تستبدلوا .

(٨) بتغييرها وتحريفها .

(٩) قال الحسن هو الدنيا بحذافيرها . وقيل هو الرياسة التى كانت لهم فى قومهم خافوا عليها الفوات لو اتبعوا رسول الله .

(١٠) نخافونى . فارهبونى فاتقونى بالياء فى الحالين وكذلك كل ياء محذوفة فى الخط ـ يعقوب .

وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ[1] وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ[2] وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ[3] ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ[4] وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ[5] ﴿٤٣﴾ أَتَأْمُرُونَ[6] ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ[7] وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ[8]

---

(١) لبس الحق بالباطل خلطه. والباء، إن كانت صلة مثلها فى قولك لبست الشىء بالشىء خلطته به، كان المعنى ولا تكتبوا فى التوراة ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذى كتبتم حتى لا يميز بين حقها و باطلكم. وإن كانت باء الاستعانة كالتى فى قولك كتبت بالقلم، كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم الذى تكتبونه .

(٢) هو مجزوم داخل تحت حكم النهى بمعنى ولا تكتموا . أو منصوب بإضمار أن ، والواو بمعنى الجمع. أى ولا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن . وهما أمران متميزان . لأن لبس الحق بالباطل ما ذكرنا من كَتْبِهِم فى التوراة ما ليس منها . وكتمانهم الحق أن يقولوا لا نجد فى التوراة صفة محمد أو حكم كذا .

(٣) فى حال علمكم أنكم لابسون وكاتمون وهو أقبح لهم لأن الجهل بالقبيح ربما عذر مرتكبه .

(٤) أى صلاة المسلمين وزكاتهم . .

(٥) منهم لأن اليهود لا ركوع فى صلاتهم أى أَسْلِموا واعملوا عمل أهل الإسلام . وجاز أن يراد بالركوع الصلاة كما يعبر عنها بالسجود ، وأن يكون أمرا بالصلاة مع المصلين يعنى فى الجماعة . أى صلوها مع المصلين لا منفردين .

(٦) الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجب من حالهم .

(٧) أى سعة الخير والمعروف. ومنه البَرّ لسعته . ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت . وكان الأحبار يأمرون من نصحوه فى السر من أقاربهم وغيرهم باتباع محمد عليه السلام ولا يتبعونه . وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون وإذا أُتوا بالصدقات ليفرقوها خانوا فيها .

(٨) وتتركونها من البر كالمنسيات .

وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ[1] أَفَلَا تَعْقِلُونَ[2] ﴿٤٤﴾ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ[3] وَٱلصَّلَوٰةِ[4] وَإِنَّهَا[5] لَكَبِيرَةٌ[6] إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ[7] ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ[8] وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ[9] ﴿٤٦﴾

(١) تبكيت أى تتلون التوراة وفيها نعت محمد عليه السلام أو فيها الوعيد على الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل .

(٢) أفلا تفطنون لقبح ما أقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه وهو توبيخ عظيم .

(٣) على حوائجكم إلى الله .

(٤) أى بالجمع بينهما وأن تصلوا صابرين على تكاليف الصلاة محتملين لمشاقها وما يجب فيها من إخلاص القلب ودفع الوساوس الشيطانية والهواجس النفسانية ومراعاة الآداب والخشوع واستحضار العلم بأنه انتصاب بين يدى جبار السموات والأرض، أو استعينوا على البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء إلى الصلاة عند وقوعها . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة . وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه نعى إليه أخوه قُثَم وهو فى سفر فاسترجع وصلى ركعتين ثم قال (واستعينوا بالصبر والصلاة) . وقيل الصبر الصوم لأنه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر . وقيل الصلاة الدعاء أى استعينوا على البلايا بالصبر والالتجاء إلى الدعاء والابتهال إلى الله فى دفعه .

(٥) الضمير للصلاة أو للاستعانة .

(٦) لشاقة ثقيلة من قولك كبر علىّ هذا الأمر .

(٧) لأنهم يتوقعون ما ادخر للصابرين على متاعبها فتهون عليهم ألا ترى إلى قوله (الذين يظنون) الآية . والخشوع الإخبات والتطامن وأما الخضوع فاللين والانقياد .

(٨) أى يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده ويطمعون فيه . وفسر يظنون بيتيقنون لقراءة عبد الله يعلمون . أى يعلمون أنه لا بد من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك . وأما من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة خالصة . وفسر اللقاء بالرؤية وملاقو ربهم بمعاينوه بلا كيف .

(٩) لا يملك أمرهم فى الآخرة أحد سواه .

يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ(١) وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ(٢) عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ(٣) ۝ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا(٤) لَّا تَجْزِى نَفْسٌ(٥) عَن نَّفْسٍ(٦) شَيْـًٔا(٧) وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ(٨) وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ(٩) وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ(١٠) ۝ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ(١١) فِرْعَوْنَ

(١) التكرير للتأكيد .

(٢) نصب عطف على نعمتى أى اذكروا نعمتى وتفضيلى .

(٣) على الجم الغفير من الناس يقال رأيت عالما من الناس والمراد الكثرة .

(٤) أى يوم القيامة وهو مفعول به لا ظرف .

(٥) مؤمنة .

(٦) كافرة .

(٧) أى لا تقضى عنها شيئا من الحقوق التى لزمتها . وشيئا مفعول به أو مصدر أى قليلا من الجزاء . والجملة منصوبة المحل صفة يوما والعائد منها إلى الموصوف محذوف تقديره لا تجزى فيه .

(٨) ولا تقبل بالتاء مكى وبصرى . والضمير فى منها يرجع إلى النفس المؤمنة أى لا تقبل منها شفاعة للكافرة . وقيل كانت اليهود تزعم أن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم فأويسوا فهو كقوله (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) . وتشبث المعتزلة بالآية فى نفى الشفاعة للعصاة مردود لأن المنفى شفاعة الكفار وقد قال عليه السلام : شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى من كذّب بها لم ينلها .

(٩) أى فدية لأنها معادلة للمفدى .

(١٠) يعاونون . وجمع لدلالة النفس المنكّرة على النفوس الكثيرة . وذكّر لمعنى العباد أو الأناسى .

(١١) أصل آل أهل ولذلك يصغر بأهيل فأبدلت هاؤه ألفا . وخص استعماله بأولى الخطر كالملوك وأشباههم فلا يقال آل الإسكاف والحجام . وفرعون علم لمن ملك العمالقة كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس .

يَسُومُونَكُمْ[(١)] سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ[(٢)] وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ[(٣)] وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ[(٤)] مِّن رَّبِّكُمْ[(٥)] عَظِيمٌ[(٦)] ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا[(٧)] بِكُمُ[(٨)] ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ[(٩)] ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا[(١٠)] مُوسَىٰٓ

(١) حال من آل فرعون أى يولونكم من سامه خسفا إذا أولاه ظلما . وأصله من سام السلعة إذا طلبها كأنها بمعنى يبغونكم سوء العذاب و يريدونكم عليه . ومساومة البيع مزايدة أو مطالبة . وسوء مفعول ثان ليسومونكم وهو مصدر سيئ يقال أعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما . ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيئ ، أشده وأفظعه .

(٢) بيان لقوله يسومونكم ولذا ترك العاطف .

(٣) يتركون بناتكم أحياء للخدمة. و إنما فعلوا بهم ذلك لأن الكهنة أنذروا فرعون بأنه يولد مولود يزول ملكه بسببه كما أنذروا نمرود فلم يغن عنهما اجتهادهما فى التحفظ وكان ما شاء الله .

(٤) محنة إن أشير بذلكم إلى صنع فرعون . ونعمة إن أشير به الى الإنجاء .

(٥) صفة لبلاء .

(٦) صفة ثانية .

(٧) فصلنا بين بعضه و بعض حتى صارت فيه مسالك لكم . وقرئ فرّقنا أى فصلنا يقال فرق بين الشيئين وفرق بين الأشياء لأن المسالك كانت اثنى عشر على عدد الأسباط .

(٨) كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم فكأنما فرق بهم . أو فرقناه بسببكم . أو فرقناه ملتبسا بكم فيكون فى موضع الحال . روى أن بنى اسرائيل قالوا لموسى عليه السلام أين أصحابنا فنحن لا نرضى حتى نراهم. فأوحى الله إليه أن قل بعصاك هكذا فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا وتسامعوا كلامهم .

(٩) إلى ذلك وتشاهدونه ولا تشكّون فيه .

(١٠) إنما قال (وإذ واعدنا موسى) لأن الله تعالى وعده بالوحى ووعده هو المجيء للميقات إلى الطور . وعدنا حيث كان بصرى . لما دخل بنو إسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون إليه وعد الله تعالى موسى أن ينزل عليه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذى الحجة .

أَرْبَعِينَ لَيْلَةً(١) ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ(٢) مِنۢ بَعْدِهِۦ(٣) وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ(٤) ۝ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم(٥) مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ(٦) لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(٧) ۝ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ(٨) لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ(٩) ۝ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ(١٠) يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ(١١) فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ(١٢) فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ(١٣) ذَٰلِكُمْ(١٤)

(١) قال (أربعين ليلة) لأن الشهور غررها بالليالى . وأربعين مفعول ثان لواعدنا لا ظرف لأنه ليس معناه واعدناه فى أربعين ليلة .

(٢) أى إلها فحذف المفعول الثانى لاتخذتم . وبابه بالإظهار مكى وحفص .

(٣) من بعد ذهابه إلى الطور .

(٤) أى بوضعكم العبادة غير موضعها والجملة حال أى عبدتموه ظالمين .

(٥) محونا ذنوبكم عنكم .

(٦) من بعد اتخاذكم العجل .

(٧) لكى تشكروا النعمة فى العفو عنكم .

(٨) يعنى الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل وهو التوراة ونظيره رأيت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة ؛ أو التوراة والبرهان الفارق بين الكفر والإيمان من العصا واليد وغيرهما من الآيات ؛ أو الشرع الفارق بين الحلال والحرام . وقيل الفرقان انفلاق البحر أو النصر الذى فرق بينه وبين عدوه .

(٩) لكى تهتدوا .

(١٠) للذين عبدوا العجل .

(١١) معبودا .

(١٢) هو الذى خلق الخلق بريئا من التفاوت . وفيه تقريع لما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذى برأهم أبرياء من التفاوت إلى عبادة البقر الذى هو مثل فى الغباوة والبلادة .

(١٣) قيل هو على الظاهر وهو البخع وقيل معناه قتل بعضهم بعضا وقيل أمر من لم يعبد العجل أن يقتلوا العبدة فقتل سبعون ألفا .

(١٤) التوبة والقتل .

خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ(١) فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ(٢) ٱلرَّحِيمُ(٣) ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً(٤) فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ(٥) وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ(٦) ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم(٧) مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(٨) ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ(٩)

(١) من الإصرار على المعصية .

(٢) المفضال بقبول التوبة وإن كثرت .

(٣) يعفو الحَوْبَة وإن كبرت . والفاء الأولى للتسبيب لأن الظلم سبب التوبة . والثانية للتعقيب لأن المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا أنفسكم إذ الله تعالى جعل توبتهم قتل أنفسهم . والثالثة متعلقة بشرط محذوف كأنه قال فإن فعلتم فقد تاب عليكم .

(٤) عيانا وانتصابها على المصــدر كما تنصب القرفصاء بفعل الجلوس أو على الحــال من نرى أى ذوى جهرة .

(٥) أى الموت. قيل هى نار جاءت من السماء فأحرقتهم. روى أن السبعين الذين كانوا مع موسى عليه السلام عند الانطلاق إلى الجبل قالوا له نحن لم نعبد العجل كما عبــده هؤلاء فأرنا الله جهرة . فقال موسى سألته ذلك فأباه علىّ . فقالوا إنك رأيت الله تعالى فلن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فبعث الله عليهم صاعقة فأحرقتهم. وتعلقت المعتزلة بهذه الآية فى نفى الرؤية لأنه لو كان جائز الرؤية لمـا عذبوا بسؤال ما هو جائز الثبوت. قلنا إنمـا عوقبوا بكفرهم لأن قولهم إنك رأيت الله فلن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة كفر منهم. ولأنهم امتنعوا عن الإيمان بموسى بعد ظهور معجزته حتى يروا ربهم جهرة والإيمان بالأنبياء واجب بعد ظهور معجزاتهم ولا يجوز اقتراح الآيات عليهم . ولأنهم لم يسألوا سؤال استرشاد بل سؤال تعنت وعناد .

(٦) إليها حين نزلت .

(٧) أحييناكم وأصله الإثارة .

(٨) نعمة البعث بعد الموت .

(٩) جعلنا الغمام يظلكم . وذلك فى التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون فى ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى .

وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ(١) وَالسَّلْوَىٰ(٢) كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ(٣) مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا(٤) وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ(٥) ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا(٦) ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ(٧) فَكُلُوا مِنْهَا(٨) حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا(٩) وَادْخُلُوا الْبَابَ(١٠) سُجَّدًا(١١) وَقُولُوا حِطَّةٌ(١٢)

---

(١) الترنجبين وكان ينزل عليهم مثل الثلج من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس لكل إنسان صاع .

(٢) كان يبعث الله عليهم الجنوب فتحشر عليهم السلوى وهى السُّمَانَى فيذبح الرجل منها ما يكفيه .

(٣) وقلنا لهم كلوا من لذيذات أو حلالات (ما رزقناكم) .

(٤) يعنى فظلموا بأن كفروا هذه النعم (وما ظلمونا) .

(٥) أنفسهم مفعول يظلمون وهو خبر كان .

(٦) (قلنا) لهم بعد ما خرجوا من التيه .

(٧) أى بيت المقدس أو أريحاء والقرية المجتمع من قريت لأنها تجمع الخلق. أمروا بدخولها بعد التيه .

(٨) من طعام القرية وثمارها .

(٩) واسعا .

(١٠) باب القرية أو باب القبة التى كانوا يصلون إليها . وهم لم يدخلوا بيت المقدس فى حياة موسى عليه السلام وإنما دخلوا الباب فى حياته ودخلوا بيت المقدس بعده .

(١١) حال وهو جمع ساجد . أمروا بالسجود عند الانتهاء إلى الباب شكرا لله تعالى وتواضعا له .

(١٢) فعلة من الحط كالجلسة وهى خبر مبتدأ محذوف أى مسألتنا حطة أو أمرك حطة . والأصل النصب وقد قرئ به بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة . وإنما رفعت لتعطى معنى الثبات . وقيل أمرنا حطة أى أن نحط فى هذه القرية ونستقر فيها . وعن علىّ رضى الله عنه هو بسم الله الرحمن الرحيم . وعن عكرمة هو لا إله إلا الله .

نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ (١) وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ (٢) ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ (٣) فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا (٤) مِّنَ ٱلسَّمَآءِ (٥) بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ (٦) ﴿٥٩﴾ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ (٧) فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ (٨) فَٱنفَجَرَتْ (٩)

(١) جمع خطيئة وهى الذنب . يُغفَر مدنى . تُغفَر شامى .

(٢) أى من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا فى زيادة ثوابه ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة .

(٣) فيه حذف وتقديره (فبدل الذين ظلموا) بالذى قيل لهم (قولا غير الذى قيل لهم). فبدل يتعدى إلى مفعول واحد بنفسه و إلى آخر بالباء فالذى مع الباء متروك والذى بغير باء موجود. يعنى وضعوا مكان حطة قولا غيرها. أى أمروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه إلى قول ليس معناه معنى ما أمروا به ولم يمتثلوا أمر الله . وقيل قالوا مكان حطة حنطة . وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا أى حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله إلى طلب ما يشتهون من أعراض الدنيا .

(٤) عذابا . وفى تكرير الذين ظلموا زيادة فى تقبيح أمرهم و إيذان بإنزال الرجز عليهم لظلمهم .

(٥) صفة لرجز .

(٦) بسبب فسقهم . روى أنه مات منهم فى ساعة بالطاعون أربعة وعشرون ألفا وقيل سبعون ألفا .

(٧) موضع إذ نصب كأنه قيل واذكروا إذ استسقى أى استدعى أن يسق قومه .

(٨) عطشوا فى التيه فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر. واللام للعهد والإشارة إلى حجر معلوم. فقد روى أنه حجر طورى حمله معه وكان مربعا له أربعة أوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاث أعين لكل سبط عين وكانوا ستمائة ألف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا . أو للجنس أى اضرب الشىء الذى يقال له الحجر. وهذا أظهر فى الحجة وأبين فى القدرة .

(٩) الفاء متعلقة بمحذوف أى فضرب فانفجرت أى سالت بكثرة أو فإن ضربت فقد انفجرت وهى على هذا فاء فصيحة لا تقع إلا فى كلام بليغ .

مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا(١) قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ(٢) مَّشْرَبَهُمْ(٣) كُلُوا۟(٤) وَٱشْرَبُوا۟(٥) مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ(٦) وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ(٧) مُفْسِدِينَ(٨) ۝ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ(٩) فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ(١٠) يُخْرِجْ(١١) لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ(١٢) مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا(١٣) وَفُومِهَا(١٤) وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ(١٥) بِٱلَّذِى هُوَ

---

(١) على عدد الأسباط . وقرئ بكسر الشين وفتحها وهما لغتان . وعينا تمييز .

(٢) كل سبط .

(٣) عينهم التى يشربون منها .

(٤) وقلنا لهم كلوا من المن والسلوى .

(٥) من ماء العيون .

(٦) أى الكل مما رزقكم الله .

(٧) لا تفسدوا فيها والعيث أشد الفساد .

(٨) حال مؤكدة أى لا تتمادوا فى الفساد فى حال فسادكم لأنهم كانوا متمادين فيه .

(٩) هو ما رزقوا فى التيه من المن والسلوى . وإنما قالوا على طعام واحد وهما طعامان لأنهم أرادوا بالواحد ما لا يتبدل . ولو كان على مائدة الرجل ألوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها يقال لا يأكل فلان إلا طعاما واحدا ويراد بالوحدة نفى التبدل والاختلاف . أو أرادوا أنهما ضرب واحد لأنهما معا من طعام أهل التلذذ والترف وكانوا من أهل الزراعات فأرادوا ما ألفوا من البقول والحبوب وغير ذلك .

(١٠) سله وقل له أخرج لنا .

(١١) يظهر لنا ويوجد .

(١٢) هو ما أنبتته الأرض من الخضر والمراد به أطايب البقول كالنعناع والكرفس والكراث ونحوهما مما يأكل الناس .

(١٣) يعنى الخيار .

(١٤) هو الحنطة أو الثوم لقراءة ابن مسعود وثومها .

(١٥) أقرب منزلة وأدون مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار .

خَيْرٌ(١) ٱهْبِطُواْ مِصْرًا(٢) فَإِنَّ لَكُم(٣) مَّا سَأَلْتُمْ(٤) وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ(٥) وَبَآءُو بِغَضَبٍ(٦) مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ(٧) بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ(٨) بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ(٩) ذَٰلِكَ(١٠) بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ(١١) ﴿٦١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ

(١) أرفع وأجل .

(٢) من الأمصار أى انحدروا إليه من التيه . و بلاد التيه ما بين بيت المقدس إلى قِنّسرين وهى اثنـا عشر فرسخا فى ثمانية فوارسخ ؛ أو مصر فرعون و إنمـا صرفه مع وجود السببين وهما التأنيث والتعريف لإرادة البلد أو لسكون وسطه كنوح ولوط وفيهما العجمة والتعريف .

(٣) فيها .

(٤) أى فإن الذى سألتم يكون فى الأمصار لا فى التيه .

(٥) أى الهوان والفقر يعنى جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيهـا كما يكون فى القبة من ضربت عليه . أو ألصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه . فاليهود صاغرون أذلاء أهل مسكنة وفقر إما على الحقيقة و إما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة أن تضاعف عليهم الجزية . عليهُـمُ الذلة حمزة وعلىّ وكذا كل ما كان قبل الهاء ياء ساكنة . و بكسر الهـاء والميم أبو عمرو . و بكسر الهـاء وضم الميم غيرهم .

(٦) من قولك باء فلان بفلان إذا كان حقيقا بأن يقتل به لمساواته له . أى صاروا أحقاء بغضبه . وعن الكسائى حقّوا .

(٧) إشارة إلى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة والخلاقة بالغضب .

(٨) بالهمزة نافع وكذا بابه . أى ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الأنبياء . وقد قتلت اليهود شعياء وزكريا ويحيى صلوات الله عليهم . والنبى من النبأ لأنه يخبر عن الله تعالى فعيل بمعنى مفعل أو بمعنى مفعل . أو من نبا أى ارتفع . والنبوة المكان المرتفع .

(٩) عندهم أيضا فإنهم لو أنصفوا لم يذكروا شيئا يستحقون به القتل عندهم فى التوراة . وهو فى محل النصب على الحال من الضمير فى يقتلون أى يقتلونهم مبطلين .

(١٠) تكرار للإشارة .

(١١) بسبب ارتكابهم أنواع المعاصى واعتدائهم حدود الله فى كل شىء مع كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء . وقيل هو اعتداؤهم فى السبت . و يجوز أن يشار بذلك إلى الكفر وقتل الأنبياء

ءَامَنُوا۟ (١) وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ (٢) وَٱلنَّصَـٰرَىٰ (٣) وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ (٤) مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ (٥) وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ (٦) عِندَ رَبِّهِمْ (٧) وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٨) ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ (٩) وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ (١٠) خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم (١١) بِقُوَّةٍ (١٢)

على معنى أن ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم لأنهم انهمكوا فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم بخسروا على بجحود الآيات وقتلهم الأنبياء، أو ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا .

(١) بألسنتهم من غير مواطأة القلوب وهم المنافقون .

(٢) تهودوا يقال هاد يهود وتهود إذا دخل فى اليهودية وهو هائد والجمع هود .

(٣) جمع نصران كندمان وندامى يقال رجل نصران وامرأة نصرانة والياء فى نصرانى للمبالغة كالتى فى أحمرى سموا نصارى لأنهم نصروا المسيح .

(٤) الخارجين من دين مشهور إلى غيره من صبأ إذا خرج من الدين . وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة . وقيل هم يقرءون الزبور .

(٥) من هؤلاء الكفرة إيمانا خالصا .

(٦) ثوابهم .

(٧) فى الآخرة .

(٨) ومحل من آمن الرفع إن جعلته مبتدأ خبره فلهم أجرهم، والنصب إن جعلته بدلا من اسم إن والمعطوف عليه . فخبر إن فى الوجه الأول الجملة كما هى، وفى الثانى فلهم والفاء لتضمن مَن معنى الشرط .

(٩) بقبول ما فى التوراة .

(١٠) أى الجبل حتى قبلتم وأعطيتم الميثاق . وذلك أن موسى عليه السلام جاءهم بالألواح فرأوا ما فيها من الآصار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وأبوا قبولها . فأمر الله تعالى جبريل عليه السلام فقلع الطور من أصله ورفعه فظلله فوقهم وقال لهم موسى إن قبلتم وإلا ألقى عليكم حتى قبلوا .

(١١) وقلنا لكم خذوا ما آتيناكم من الكتاب أى التوراة .

(١٢) بجد وعزيمة .

وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ (١) لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢) ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم (٣) مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ (٤) فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ (٥) لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (٦) ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ (٧) ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ (٨) فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ (٩) قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ (١٠) ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا (١١) نَكَٰلًا (١٢) لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا (١٣) وَمَا خَلْفَهَا (١٤)

(١) واحفظوا ما فى الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه .

(٢) رجاء منكم أن تكونوا متقين .

(٣) ثم أعرضتم عن الميثاق والوفاء به .

(٤) من بعد القبول .

(٥) بتأخير العذاب عنكم أو بتوفيقكم للتوبة .

(٦) الهالكين فى العذاب .

(٧) عرفتم فيتعدّى إلى مفعول واحد .

(٨) هو مصدر سبتت اليهود إذا عظمت يوم السبت. وقد اعتدوا فيه أى جاوزوا ما حدّ لهم فيه من التجرّد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد . وذلك أن الله تعالى نهاهم أن يصيدوا فى السبت ثم ابتلاهم فما كان يبقى حوت فى البحر إلا أخرج خرطومه يوم السبت فإذا مضى تفرّقت . فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا إليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها يوم السبت لأمنها من الصيد فكانوا يسدّون مشارعها من البحر فيصطادونها يوم الأحد . فذلك الحبس فى الحياض هو اعتداؤهم .

(٩) بتكويننا إياكم .

(١٠) خبر كان أى كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد .

(١١) يعنى المسخة .

(١٢) عبرة تُنكل من اعتبر بها أى تمنعه .

(١٣) لما قبلها .

(١٤) وما بعدها من الأمم والقرون لأن مسختهم ذكرت فى كتب الأوّلين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين .

وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (١) ۝ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ (٢) إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن (٣) تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً (٤) قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا (٥) قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ (٦) أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ (٧) ۝ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ (٨) قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ (٩) وَلَا بِكْرٌ (١٠) عَوَانٌۢ (١١)

(١) الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحى قومهم أو لكل متق سمعها .

(٢) أى واذكروا إذ قال موسى. وهو معطوف على نعمتى فى قوله (اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم) كأنه قال اذكروا ذاك واذكروا إذ قال موسى . وكذلك هذا فى الظروف التى مضت أى اذكروا نعمتى واذكروا وقت إنجائنا إياكم واذكروا وقت فرقنا واذكروا نعمتى واذكروا وقت استسقاء موسى ربه لقومه ، والظروف التى تأتى إلى قوله (وإذ ابتلى إبراهيم ربه) .

(٣) أى بأن .

(٤) قال المفسرون أول القصة مؤخر فى التلاوة وهو قوله تعالى (وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها) . وذلك أن رجلا موسرا اسمه عاميل قتله بنو عمه ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم جاءوا يطالبون بديته فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيا فيخبرهم بقاتله .

(٥) أتجعلنا مكان هزء أو أهل هزء أو الهزء نفسه لفرط الاستهزاء . هزأ بسكون الزاى والهمزة حمزة . وبضمتين والواو حفص . غيرهما بالتثقيل والهمزة .

(٦) العياذ واللياذ من واد واحد .

(٧) لأن الهزء فى مثل هذا من باب الجهل والسفه . وفيه تعريض بهم أى أنتم جاهلون حيث نسبتمونى إلى الاستهزاء .

(٨) سؤال عن حالها وصفتها لأنهم كانوا عالمين بماهيتها ، لأن ما وإن كانت سؤالا عن الجنس ، وكيف عن الوصف ، ولكن قد تقع ما موقع كيف . وذلك أنهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيا فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشان . وما هى خبر ومبتدأ .

(٩) مسنة. وسميت فارضا لأنها فرضت سنها أى قطعتها وبلغت آخرها وارتفع فارض لأنه صفة لبقرة .

(١٠) فتية ، عطف عليه .

(١١) نَصَف .

بَيْنَ ذَٰلِكَ (١) فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ (٢) ﴿٦٨﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا (٣) قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا (٤) تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ (٥) ﴿٦٩﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ (٦) إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا (٧) وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٨) ﴿٧٠﴾

(١) بين الفارض والبكر. ولم يقل بين ذينك مع أن بين يقتضى شيئين فصاعدا لأنه أراد بين هذا المذكور. وقد يجرى الضمير مجرى اسم الإشارة فى هذا . قال أبو عبيدة قلت لرؤبة فى قوله :

فيها خطوط من سواد وبلق * كأنه فى الجلد توليع البهق

إن أردت الخطوط فقل كأنها . وإن أردت السواد والبلق فقل كأنهما . فقال أردت كأن ذاك .

(٢) أى تؤمرونه بمعنى تؤمرون به أو أمركم بمعنى مأموركم تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الأمير .

(٣) موضع ما رفع لأن معناه الاستفهام تقديره ادع لنا ربك يبين لنا أى شىء لونها .

(٤) الفقوع أشد ما يكون من الصفرة وأنصعه يقال فى التوكيد أصفر فاقع . وهو توكيد لصفراء وليس خبرا عن اللون إلا أنه ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل . ولا فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها . وفى ذكر اللون فائدة التوكيد لأن اللون اسم للهيئة وهى الصفرة فكأنه قيل شديدة الصفرة صفرتها فهو من قولك جدّ جده .

(٥) لحسنها . والسرور لذة فى القلب عند حصول نفع أو توقعه . عن علىّ رضى الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله تعالى (تسر الناظرين) .

(٦) تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا بيانا لوصفها . عن النبى عليه السلام لو اعترضوا أدنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شدّدوا فشدّد الله عليهم والاستقصاء شؤم .

(٧) إن البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا .

(٨) إلى البقرة المراد ذبحها ، أو إلى ما خفى علينا من أمر القاتل . وإن شاء الله اعتراض بين اسم إن وخبرها . وفى الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد أى لو لم يقولوا إن شاء الله .

قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ(١) وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ(٢) مُسَلَّمَةٌ(٣) لَّاشِيَةَ فِيهَا(٤) قَالُواْ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ(٥) فَذَبَحُوهَا(٦) وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ(٧) ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ(٨) نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا(٩) وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ(١٠) ﴿٧٢﴾

(١) (لا ذلول) صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول. يعنى لم تذلل للكراب و إثارة الأرض.

(٢) ولا هى من النواضح التى يسنى عليها لسق الحروث. ولا الأولى نافية والثانية مزيدة لتوكيد الأولى لأن المعنى لا ذلول شير الأرض أى تقلبها للزراعة وتسق الحرث على أن الفعلين صفتان لذلول كأنه قيل لا ذلول مثيرة وساقية.

(٣) عن العيوب وآثار العمل.

(٤) لا لُمْعة فى نُقْبتها من لون آخر سوى الصفرة فهى صفراء كلها حتى قرنها وظلفها. وهى فى الأصل مصدر وشاه وشيا وشية إذا خلط بلونه لونا آخر.

(٥) أى بحقيقة وصف البقرة وما بقى إشكال فى أمرها. جئت وبابه بغير همز أبو عمرو.

(٦) فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الأوصاف كلها فذبحوها.

(٧) لغلاء ثمنها أو خوف الفضيحة فى ظهور القاتل. روى أنه كان فى بنى اسرائيل شيخ صالح له عجلة فأتى بها الغيضة وقال اللهم إنى استودعتكها لابنى حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت البقرة وكانت من أحسن البقر وأسمنه. فساوموها اليتيم وأمه حتى اشتروها بملء مَسكها ذهبا وكانت البقرة إذ ذاك بثلاثة دنانير. وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة أربعين سنة. وهذا البيان من قبيل تقييد المطلق فكان نسخا. والنسخ قبل الفعل جائز وكذا قبل التمكن منه عندنا خلافا للمعتزلة.

(٨) بتقدير واذكروا. خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم.

(٩) فاختلفتم واختصمتم فى شأنها لأن المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا أى يدفع. أو تدافعتم بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض فيدفع المطروح عليه الطارح. أو لأن الطرح فى نفسه دفع. وأصله تدارأتم ثم أرادوا التخفيف فقلبوا التاء دالا لتصير من جنس الدال التى هى فاء الكلمة ليمكن الإدغام ثم سكنوا الدال إذ شرط الإدغام أن يكون الأول ساكنا وزيدت همزة الوصل لأنه لا يمكن الابتداء بالساكن. فادّاراتم بغير همز أبو عمرو.

(١٠) مظهر لا محالة ما كتمتم من أمر القتل لا يتركه مكتوما. وأعمل (مخرج) على حكاية ما كان مستقبلا فى وقت التدارؤ. وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وهما (اداراتم) و

فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ(١) بِبَعْضِهَا(٢) كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ(٣) وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ(٤) لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ(٥) ﴿٧٣﴾

(فقلنـا) .

(١) الضمير يرجع إلى النفس . والتذكير بتأويل الشخص والإنسان . أو الى القتيل لمـا دل عليه ما كنتم تكتمون .

(٢) ببعض البقرة وهو لسانها أو فخذها اليمنى أو عجبها . والمعنى فضربوه فحيى . فحذف ذلك لدلالة (كذلك يحيي الله الموتى) عليه .

(٣) إما أن يكون خطابا للمنكرين فى زمن النبي عليه السلام وإما أن يكون خطابا للذين حضروا حياة القتيل بمعنى وقلنا لهم (كذلك يحيي الله الموتى) يوم القيامة . روى أنهم لمـا ضربوه قام بإذن الله تعـالى وقال قتلنى فلان وفلان لابنى عمـه ثم سقط ميتا فأخذا وقتلا . ولم يورث قاتل بعد ذلك .

(٤) دلائله على أنه قادر على كل شيء .

(٥) فتعملون على قضية عقولكم وهى أن من قدر على إحياء نفس واحدة قدر على إحياء جميعها لعدم الاختصاص .

والحكمة فى ذبح البقرة وضربه ببعضها وإن قدر على إحيائه بلا واسـطة التقرب به ، الإشعار بحسن تقـديم القربة على الطلب والتعليم لعباده ترك التشديد فى الأمور والمسارعة إلى امتثال أوامر الله من غير تفتيش وتكثير سؤال وغير ذلك . وقيل إنمـا أمروا بذبح البقرة دون غيرها من البهائم لأنها أفضـل قرابينهم ، ولعبادتهم العجل فأراد الله تعـالى أن يهون معبودهم عندهم . وكان ينبغى أن يقدّم ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة على الأمر بذبحها وأن يقال(وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها) فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها.ولكنه تعالى إنما قص قصص بنى اسرائيل تعديدا لمـا وجد منهم من الجنايات وتقريعا لهم عليها . وهاتان القصتان وإن كانتا متصلتين فتستقل كل واحدة منهما بنوع من التقريع . فالأولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة إلى الامتثال وما يتبع ذلك. والثانيـة للتقريع على قتل النفس المحرمة وما تبعه من الآية العظيمة. وإنما قدمت قصة الأمر بذبح البقرة على ذكر القتيل لأنه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب المراد فى تثنية التقريع . ولقد روعيت نكتة بعد ما استؤنفت الثانيـة استئناف قصة برأسها ، أن وصلت بالأولى بضمير البقرة لا باسمها الصريح فى قوله (اضربوه ببعضها) ليعلم أنهما قصتان فيما يرجع إلى التقريع وقصة واحدة بالضمير الراجع إلى البقرة. وقيل هذه القصة تشير إلى أن من أراد إحياء قلبه بالمشاهدات فليمت نفسه بأنواع المجاهدات .

ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم(١) مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ(٢) فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ(٣) أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً(٤) وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ(٥) لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ(٦) وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ(٧) فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ(٨) وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ(٩) مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ(١٠) وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ(١١) ﴿٧٤﴾

(١) معنى ثم استبعاد القسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها . وصفة القلوب بالقسوة مثل لنبوها عن الاعتبار والاتعاظ .

(٢) إشارة الى إحياء القتيل أو إلى جميع ما تقدم من الآيات المعدودة .

(٣) فهى فى قسوتها مثل الحجارة .

(٤) منها . وأشد معطوف على الكاف تقديره أو مثل أشد قسوة فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه . أو هى فى أنفسها أشد قسوة . يعنى أن من عرف حالها شبهها بالحجارة أو بجوهر أقسى منها وهو الحديد مثلا . أو من عرفها شبهها بالحجارة أو قال هى أقسى من الحجارة . وإنما لم يقل أقسى لكونه أبين وأدل على فرط القسوة . وترك ضمير المفضل عليه لعدم الإلباس كقولك زيد كريم وعمرو أكرم .

(٥) بيان لزيادة قسوة قلوبهم على الحجارة .

(٦) ما بمعنى الذى فى موضع النصب وهو اسم إن واللام للتوكيد والتفجر التفتح بالسعة والكثرة .

(٧) أصله يتشقق و به قرأ الأعمش فقلبت التاء شينا وأدغمت .

(٨) يعنى أن من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير ومنها ما ينشق انشقاقا بالطول أو بالعرض فينبع منه الماء أيضا وقلوبهم لا تندى .

(٩) يتردى من أعلى الجبل .

(١٠) قيل هو مجاز عن انقيادها لأمر الله وأنها لا تمتنع على ما يريد فيها وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل ما أمرت به . وقيل المراد به حقيقة الخشية على معنى أنه يخلق فيها الحياة والتمييز . وليس شرط خلق الحياة والتمييز فى الجسم أن يكون على بنية مخصوصة عند أهل السنة وعلى هذا قوله (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل) الآية . يعنى وقلوبهم لا تخشى .

(١١) وبالياء مكى . وهو وعيد .

أَفَتَطْمَعُونَ(١) أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ(٢) وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ(٣) يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ(٤) ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ(٥) مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ(٦) وَهُمْ يَعْلَمُونَ(٧) ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا(٨) الَّذِينَ آمَنُوا(٩) قَالُوا(١٠) آمَنَّا(١١) وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ(١٢) إِلَىٰ بَعْضٍ(١٣) قَالُوا(١٤) أَتُحَدِّثُونَهُم(١٥) بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ(١٦) لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ(١٧) أَفَلَا تَعْقِلُونَ(١٨) ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ(١٩)

(١) الخطاب لرسول الله والمؤمنين .

(٢) أن يؤمنوا لأجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله تعالى (فآمن له لوط). يعنى اليهود .

(٣) طائفة فيمن سلف منهم .

(٤) أى التوراة .

(٥) كما حرفوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآية الرجم .

(٦) من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم .

(٧) أنهم كاذبون مفترون . والمعنى إن كفر هؤلاء وحرفوا فلهم سابقة فى ذلك .

(٨) أى المنافقون أو اليهود .

(٩) أى المخلصين من أصحاب محمد عليه السلام .

(١٠) أى المنافقون .

(١١) بأنكم على الحق وأن محمدا هو الرسول المبشر به .

(١٢) الذين لم ينافقوا .

(١٣) إلى الذين نافقوا .

(١٤) عاتبين عليهم .

(١٥) أتخبرون أصحاب محمد عليه السلام .

(١٦) بما بين الله لكم فى التوراة من صفة محمد عليه السلام .

(١٧) ليحتجوا عليكم بما أنزل ربكم فى كتابه . جعلوا محاجتهم به وقولهم هو فى كتابكم هكذا، محاجة عند الله . ألا تراك تقول هو فى كتاب الله تعالى هكذا وهو عند الله هكذا بمعنى واحد . وقيل هذا على إضمار المضاف أى عند كتاب ربكم . وقيل ليجادلوكم ويخاصموكم به بما قلتم لهم عند ربكم فى الآخرة يقولون كفرتم بعد أن وقفتم على صدقه .

(١٨) أن هذه حجة عليكم حيث تعترفون به ثم لا تتابعونه .

(١٩) جميع (ما يسرون وما يعلنون) .

وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٧) وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٧٨) فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ (٧٩) وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ

(١) ومن ذلك إسرارهم الكفر وإعلانهم الإيمان .

(٢) ومن اليهود .

(٣) لا يحسنون الكتب فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها .

(٤) التوراة .

(٥) إلا ما هم عليه من أمانيهم وأن الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا تمسهم النار إلا أياما معدودة ؛ أو إلا أكاذيب مختلقة سمعوها من علمائهم فتقبلوها على التقليد ومنه قول عثمان رضى الله عنه ما تمنيت منذ أسلمت ؛ أو إلا ما يقرءون من قوله :

تمنى كتاب الله أول ليلة * وآخرها لاقى حمام المقادر

أى لا يعلمون هؤلاء حقيقة المنزل وإنما يقرءون أشياء أخذوها من أحبارهم . والاستثناء منقطع .

(٦) وما هم .

(٧) لا يدرون ما فيه فيجحدون نبوّتك بالظن . ذكر العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم ثم العوام الذين قلدوهم .

(٨) فى الحديث ويل واد فى جهنم .

(٩) المحرف .

(١٠) من تلقاء أنفسهم من غير أن يكون منزلا . وذكر الأيدى للتأكيد وهو من مجاز التأكيد .

(١١) عوضا يسيرا .

(١٢) من الرشا .

(١٣) أربعين يوما عدد أيام عبادة العجل . وعن مجاهد رضى الله عنه كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذب مكان كل ألف سنة يوما .

عَهْدًا[1] فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ[2] أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ[3] ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ[4] مَن كَسَبَ سَيِّئَةً[5] وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ[6] فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ[7] بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ[8] إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا[9] وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ[10] وَٱلْيَتَٰمَىٰ[11] وَٱلْمَسَٰكِينِ[12] وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا[13] وَأَقِيمُوا۟

(١) أى عهد إليكم أنه لا يعذبكم إلا هذا المقدار .

(٢) متعلق بمحذوف تقديره إن اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده .

(٣) أم إما أن تكون معادلة. أى أتقولون على الله ما تعلمون أم تقولون عليه ما لا تعلمون . أو منقطعة أى بل أتقولون على الله ما لا تعلمون .

(٤) إثبات لما بعد النفى وهو (لن تمسنا النار) أى بلى تمسكم أبدا بدليل قوله (هم فيها خالدون).

(٥) شركا ، عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما رضى الله عنهم .

(٦) وسدت عليه مسالك النجاة ، بأن مات على شركه . فأما إذا مات مؤمنا فأعظم الطاعات وهو الإيمان معه فلا يكون الذنب محيطا به فلا يتناوله النص . وبهذا التأويل يبطل تشبث المعتزلة والخوارج . وقيل استولت عليه كما يحيط العدو ولم يتفصّ عنها بالتوبة . خطياته مدنى .

(٧) الميثاق العهد المؤكد غاية التأكيد .

(٨) إخبار فى معنى النهى كما تقول تذهب الى فلان تقول له كذا تريد الأمر . وهو أبلغ من صريح الأمر والنهى لأنه كأنه سورع إلى الامتثال والانتهاء وهو يخبر عنه . وتنصره قراءة أبىّ (لا تعبدوا) ، وقوله (وقولوا) . والقول مضمر . لا يعبدون مكى وحمزة وعلىّ لأن بنى اسرائيل اسم ظاهر والأسماء الظاهرة كلها غيب . ومعناه ألا يعبدوا فلما حذفت أن رفع .

(٩) أى وأحسنوا ليلتئم عطف الأمر وهو قوله (وقولوا) عليه .

(١٠) القرابة .

(١١) جمع يتيم وهو الذى فقد أباه قبل الحلم إلى الحلم لقوله عليه السلام لا يتم بعد البلوغ .

(١٢) جمع مسكين وهو الذى أسكنته الحاجة .

(١٣) قولا هو حسن فى نفسه لإفراط حسنه . حَسَنا حمزة وعلىّ .

ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ(١) إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمۡ(٢) وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ(٣) ﴿٨٣﴾ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ وَلَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ(٤) ثُمَّ أَقۡرَرۡتُمۡ(٥) وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ(٦) ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ(٧) تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ(٨) وَتُخۡرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمۡ تَظَٰهَرُونَ(٩) عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ(١٠) وَإِن يَأۡتُوكُمۡ(١١) أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ(١٢) وَهُوَ(١٣) مُحَرَّمٌ عَلَيۡكُمۡ إِخۡرَاجُهُمۡ أَفَتُؤۡمِنُونَ(١٤) بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ

(١) عن الميثاق ورفضتموه .

(٢) قيل هم الذين أسلموا منهم .

(٣) وأنتم قوم عادتكم الإعراض والتولية عن المواثيق .

(٤) أى لا يفعل ذلك بعضكم ببعض. جعل غير الرجل نفسه إذا اتصل به أصلا أو دينا . وقيل إذا قتل غيره فكأنما قتل نفسه لأنه يقتص منه .

(٥) بالميثاق واعترفتم على أنفسكم بلزومه .

(٦) عليها كما تقول فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها . أو (وأنتم تشهدون) اليوم يامعشر اليهود على إقرار أسلافكم بهذا الميثاق .

(٧) استبعاد لما أسند إليهم من القتل والإجلاء والعدوان بعد أخذ الميثاق منهم وإقرارهم وشهادتهم . أنتم مبتدأ وهؤلاء بمعنى الذين .

(٨) صلة هؤلاء . وهؤلاء مع صلته خبر أنتم .

(٩) غير مراقبين ميثاق الله .

(١٠) بالتخفيف كوفى . أى تتعاونون . و بالتشديد غيرهم . فمن خفف فقد حذف إحدى التاءين. ثم قيل هى الثانية لأن الثقل بها وقيل الأولى. ومن شدد قلب التاء الثانية ظاء وأدغم .

(١١) بالمعصية والظلم .

(١٢) تفدوهم أبو عمرو. أسرى تفدوهم مكى وشامى. أسرى تفدوهم حمزة أسارى تفادوهم على . فدى وفادى بمعنى. وأسارى حال وهو جمع أسير وكذلك أسرى .

(١٣) الضمير للشأن أو هو ضمير مبهم تفسيره (إخراجهم) .

(١٤) بفداء الأسرى .

بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ[1] مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ[2] مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ[3] فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ[4] وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ[5] ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ[6] فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ[7] ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ[8] وَقَفَّيْنَا[9] مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ[10] ٱلْبَيِّنَٰتِ[11] وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ[12] أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ[13]

---

(١) بالقتال والإجلاء . قال السّدى : أخذ الله عليهم أربعة عهود ترك القتل وترك الإخراج وترك المظاهرة وفداء الأسير فأعرضوا عن كل ما أمروا به إلا الفداء .

(٢) هو إشارة إلى الإيمان ببعض والكفر ببعض .

(٣) فضيحة وهوان .

(٤) وهو الذى لا رَوْحَ فيه ولا فرج أو إلى أشد من عذاب الدنيا .

(٥) بالياء مكى ونافع وأبو بكر .

(٦) اختاروها على الآخرة اختيار المشترى .

(٧) ولا ينصرهم أحد بالدفع عنهم .

(٨) التوراة أتاه جملة .

(٩) يقال قفّاه إذا أتبعه من القفا ، نحو ذَنَبَهُ من الذنب . وقفّاه به إذا أتبعه إياه . يعنى وأرسلنا على أثره الكثير من الرسل . وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعياء وأرمياء وعزير وحزقيل وإلياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم .

(١٠) هى بمعنى الخادم . ووزن مريم عند النحويين مفعل لأن فَعْيلا لم يثبت فى الأبنية.

(١١) البينات المعجزات الواضحات كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والإخبار بالمغيبات .

(١٢) أى الطهارة . وبالسكون حيث كان مكى . أى بالروح المقدسة كما يقال حاتم الجود . ووصفها بالقدس للاختصاص والتقريب . أو بجبريل عليه السلام لأنه يأتى بما فيه حياة القلوب . وذلك لأنه رفعه إلى السماء حين قصد اليهود قتله . أو بالانجيل كما قال فى القرآن (روحا من أمرنا) . أو باسم الله الأعظم الذى كان يحيى الموتى بذكره .

(١٣) تحب .

أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ(١) فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ(٢) وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ(٣) ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌ(٤) بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ(٥) فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ(٦) ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ(٧) كِتَٰبٌ(٨) مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ(٩) وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ(١٠) يَسْتَفْتِحُونَ(١١) عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا

(١) تعظمتم عن قبوله .

(٢) كعيسى ومحمد عليهما السلام .

(٣) كزكريا ويحيى عليهما السلام. ولم يقل قتلتم لوفاق الفواصل، أو لأن المراد وفريقا تقتلونه بعد لأنكم تحومون حول قتل محمد عليه السلام لولا أنى أعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة . والمعنى ولقد آتينا يا بنى اسرائيل أنبياءكم ما آتيناهم فكلما جاءكم رسول منهم بالحق استكبرتم عن الإيمان به . فوسط بين الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجب من شأنهم .

(٤) جمع أغلف أى هى خلقة مغشاة بأغطية لا يتوصل إليها ما جاء به محمد عليه السلام ولا تفقهه . مستعار من الأغلف الذى لم يختن .

(٥) فرد الله أن تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لأنها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق . وإنما طردهم بكفرهم وزيغهم .

(٦) (فقليلا) صفة مصدر محذوف أى فإيمانا قليلا يؤمنون. وهو إيمانهم ببعض الكتاب. وقيل القلة بمعنى العدم . وما مزيدة .

وقيل غلف تخفيف غُلُف وقرئ به جمع غلاف أى قلوبنا أوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره . أو أوعية للعلوم فلو كان ما جئت به حقا لقبلنا .

(٧) أى اليهود .

(٨) أى القرآن .

(٩) من كتابهم لا يخالفه .

(١٠) يعنى القرآن .

(١١) يستنصرون على المشركين إذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبى المبعوث فى آخر الزمان الذى نجد نعته فى التوراة ويقولون لأعدائهم المشركين قد أظل زمان نبى يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم .

جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ[(١)] كَفَرُواْ بِهِۦ[(٢)] فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ[(٣)] ﴿٨٩﴾ بِئۡسَمَا[(٤)] ٱشۡتَرَوۡاْ[(٥)] بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ[(٦)] بَغۡيًا[(٧)] أَن يُنَزِّلَ[(٨)] ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ[(٩)] عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ[(١٠)] فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ[(١١)] وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ[(١٢)] ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ[(١٣)] ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ[(١٤)] قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا[(١٥)] وَيَكۡفُرُونَ

(١) ما موصولة أى ما عرفوه وهو فاعل جاء .

(٢) بغيا وحسدا وحرصا على الرياسة .

(٣) أى عليهم وضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة على أن اللعنة لحقتهم لكفرهم . واللام للعهد ؛ أو للجنس ودخلوا فيه دخولا أوليا . وجواب لما الأولى مضمر وهو نحو كذبوا به أو أنكروه . أو كفروا جواب الأولى والثانية لأن مقتضاهما واحد .

(٤) ما نكرة موصوفة مفسرة لفاعل بئس أى بئس شيئا. بئسما وبابه غير مهموز أبوعمرو.

(٥) أى باعوا . والمخصوص بالذم (أن يكفروا) .

(٦) يعنى القرآن .

(٧) مفعول له أى حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة (اشتروا)

(٨) لأن ينزل أو على أن ينزل أى حسدوه على أن ينزل الله. ينزل بالتخفيف مكى و بصرى.

(٩) الذى هو الوحى .

(١٠) وهو محمد عليه السلام .

(١١) فصاروا أحقاء بغضب مترادف لأنهم كفروا بنبي الحق و بغوا عليه . أو كفروا بمحمد بعد عيسى عليهما السلام . أو بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك .

(١٢) مذل .

(١٣) لهؤلاء اليهود .

(١٤) يعنى القرآن أو هو مطلق يتناول كل كتاب .

(١٥) أى التوراة .

بِمَا وَرَآءَهُۥ[1] وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ[2] قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ[3] إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ[4] ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ[5] مِنۢ بَعْدِهِۦ[6] وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ[7] ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ[8] خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟[9] قَالُوا۟ سَمِعْنَا[10] وَعَصَيْنَا[11] وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ[12]

---

(١) أى قالوا ذلك والحال أنهم يكفرون بما وراء التوراة .

(٢) غير مخالف له . وفيه رد لمقالتهم لأنهم إذا كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها . ومصدقا حال مؤكدة .

(٣) أى فلم قتلتم فوضع المستقبل موضع الماضى ويدل عليه قوله (من قبل)أى من قبل محمد عليه السلام . اعتراض عليهم بقتلهم الأنبياء مع ادعائهم الإيمان بالتوراة . والتوراة لا تسوغ قتل الأنبياء . قيل قتلوا فى يوم واحد ثلثمائة نبى فى بيت المقدس .

(٤) بالآيات التسع . وأدغم الدال فى الجيم حيث كان أبو عمرو وحمزة وعلىّ .

(٥) إلها .

(٦) من بعد خروج موسى عليه السلام إلى الطور .

(٧) هو حال أى عبدتم العجل وأنتم واضعون العبادة غير موضعها . أو اعتراض أى وأنتم قوم عادتكم الظلم .

(٨) كرر ذكر رفع الطور لما نيط به من زيادة ليست مع الأولى .

(٩) ما أمرتم به فى التوراة .

(١٠) قولك .

(١١) أمرك . وطابق قوله جوابهم من حيث إنه قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة .

(١٢) أى تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الصبغ الثوب. وقوله فى قلوبهم بيان لمكان الإشراب . والمضاف وهو الحب محذوف .

بِكُفْرِهِمْ[1] قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ[2] إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ[3] ﴿٩٣﴾ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ[4] عِندَ[5] ٱللَّهِ خَالِصَةً[6] مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ[7] فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ[8] ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا[9] بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ[10] وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ[11] ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ[12] ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ[13] وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟[14]

(١) بسبب كفرهم واعتقادهم التشبيه .

(٢) بالتوراة لأنه ليس فى التوراة عبادة العجل . وإضافة الأمر إلى إيمانهم تهكم . وكذا إضافة الإيمان اليهم .

(٣) تشكيك فى إيمانهم وقدح فى صحة دعواهم له .

(٤) أى الجنة . ولكم خبر كان .

(٥) ظرف .

(٦) حال من الدار الآخرة أى سالمة لكم ليس لأحد سواكم فيها حق . يعنى إن صح قولكم لن يدخل الجنة إلا من كان هودا .

(٧) هو للجنس .

(٨) فيما تقولون لأن مَن أيقن أنه من أهل الجنة اشتاق إليها تخلصا من الدار ذات الشوائب كما نقل عن العشرة المبشَّرين بالجنة أن كل واحد منهم كان يحب الموت ويحن إليه .

(٩) هو نصب على الظرف أى لن يتمنوه ما عاشوا .

(١٠) بما أسلفوا من الكفر بمحمد عليه السلام وتحريف كتاب الله وغير ذلك . وهو من المعجزات لأنه إخبار بالغيب . وكان كما أخبر به كقوله (ولن تفعلوا) ، ولو تمنوه لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث .

(١١) تهديد لهم .

(١٢) مفعولا وجد (هم) و (أحرص) .

(١٣) التنكير يدل على أن المراد حياة مخصوصة وهى الحياة المتطاولة . ولذا كانت القراءة بها أوقع من قراءة أُبى على الحياة .

(١٤) هو محمول على المعنى لأن معنى أحرص الناس أحرص من الناس . نعم قد دخل الذين أشركوا تحت الناس ولكنهم أفردوا بالذكر لأن حرصهم شديد كما أن جبريل وميكائيل خصا

يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ (١) وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ (٢) وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ (٣) ﴿٩٦﴾ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ (٤) فَإِنَّهُۥ (٥) نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ (٦)

بالذكر وإن دخلا تحت الملائكة . أو أريد وأحرص من الذين أشركوا لحذف لدلالة أحرص الناس عليه. وفيه توبيخ عظيم لأن الذين أشركوا لا يؤمنون بعاقبة ولا يعرفون إلا الحياة الدنيا فحرصهم عليها لا يستبعد لأنها جنتهم . فإذا زاد فى الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا بأعظم التوبيخ . وإنما زاد حرصهم على الذين أشركوا لأنهم علموا أنهم صائرون إلى النار لعلمهم بحالهم والمشركون لا يعلمون ذلك .

(١) بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف . قال فى جامع العلوم وغيره (لو يعمر) بمعنى أن يعمر . فلو هنا نائبة عن أن وأن مع الفعل فى تأويل المصدر وهو مفعول يود أى يود أحدهم تعمير ألف سنة .

وقيل أراد بالذين أشركوا المجوس لأنهم كانوا يقولون لملوكهم عش ألف نيروز. وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو قول الأعاجم زى هزارسال . وقيل (ومن الذين أشركوا) كلام مبتدأ أى ومنهم ناس يود أحدهم على حذف الموصوف. والذين أشركوا على هذا مشار به إلى اليهود لأنهم قالوا عزير ابن الله .

(٢) الضمير لأحدهم وقوله (أن يعمّر) فاعل بمزحزحه أى وما أحدهم بمن يزحزحه من النار تعميره . ويجوز أن يكون (هو) مبهما و (أن يعمر) موضحه . والزحزحة التبعيد والإنحاء .

(٣) أى بعمل هؤلاء الكفار فيجازيهم عليه . وبالتاء يعقوب .

(٤) بفتح الجيم وكسر الراء بلا همز مكى، وبفتح الراء والجيم والهمز مشبعا كوفى غير حفص، وبكسر الراء والجيم بلا همز غيرهم . ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة . ومعناه عبد الله لأن جبر هو العبد بالسريانية وإيل اسم الله. روى أن ابن صوريا من أحبار اليهود حاج النبي صلى الله عليه وسلم وسأله عمن يهبط عليه بالوحى. فقال جبريل . فقال ذاك عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وقد عادانا مرارا وأشدها أنه أنزل على نبينا أن بيت المقدس سيخربه بختنصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل وقال إن كان ربكم أمره بهلاككم فإنه لا يسلطكم عليه وإن لم يكن إياه فعلى أى ذنب تقتلونه .

(٥) فإن جبريل نزل القرآن. ونحو هذا الإضمار أعنى إضمار ما لم يسبق ذكره، فيه فخامة حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه ويكتفى عن اسمه الصريح بذكر شىء من صفاته.

(٦) أى حفظه إياك . وخص القلب لأنه محل الحفظ كقوله (نزل به الروح الأمين على قلبك) . وكان حق الكلام أن يقال على قلبى ولكن جاء على حكاية كلام الله كما تكلم به

بِإِذْنِ ٱللَّهِ[1] مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ[2] ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ[3] فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ[4] ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ[5] ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا[6] عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ[7] فَرِيقٌ[8] مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ[9] ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ[10] مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ

وإنما استقام أن يقع فإنه نزله جزاء للشرط لأن تقديره إن عادى جبريل أحد من أهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو أنصفوا لأحبوه وشكروا له صنيعه فى إنزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم. وقيل جواب الشرط محذوف تقديره من كان عدوا لجبريل فليمت غيظا فإنه نزل الوحى على قلبك .

(١) بأمره .

(٢) رد على اليهود حين قالوا إن جبريل ينزل بالحرب والشدة فقيل فإنه ينزل بالهدى والبشرى أيضا .

(٣) بصرى وحفص، وميكائل باختلاس الهمزة كميكاعل مدنى ، وميكائيل بالمد وكسر الهمزة مشبعة غيرهم.وخص الملكان بالذكر لفضلهما كأنهما من جنس آخر إذ التغاير فى الوصف ينزل منزلة التغاير فى الذات .

(٤) أى لهم . بجاء بالظاهر ليدل على أن الله إنما عاداهم لكفرهم وأن عداوة الملائكة كفر كعداوة الأنبياء ومن عاداهم عاداه الله .

(٥) المتمردون من الكفرة . واللام للجنس. والأحسن أن تكون إشارة إلى أهل الكتاب . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال ابن صورى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشىء نعرفه وما أنزل عليك من آية فنتبعك بها فنزلت .

(٦) الواو للعطف على محذوف تقديره أكفروا بالآيات البينات وكلما .

(٧) نقضه و رفضه .

(٨) قال (فريق) لأن منهم من لم ينقض .

(٩) بالتوراة وليسوا من الدين فى شىء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولا يبالون به .

(١٠) محمد صلى الله عليه وسلم .

مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ (١) كِتَـٰبَ ٱللَّهِ (٢) وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ (٣) كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤) ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ (٥) عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ (٦) وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ (٧) وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ (٨) يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ (٩) وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ (١٠) بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ (١١)

(١) أى التوراة . والذين أوتوا الكتاب اليهود .

(٢) يعنى التوراة لأنهم بكفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم المصدق لما معهم كافرون بها نابذون لها . أو كتاب الله القرآن نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول .

(٣) مَثَلٌ لتركهم و إعراضهم عنه . مُثِّل بما يرمى به وراء الظهور استغناء عنه وقلة التفات إليه .

(٤) أنه كتاب الله .

(٥) أى نَبَذ اليهودُ كتاب الله واتبعوا كتب السحر والشعوذة التى كانت تقرؤها .

(٦) أى على عهد ملكه وفى زمانه. وذلك أن الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمون إلى ما سمعوا أكاذيب يلفقونها ويلقونها إلى الكهنة وقد دوّنوها فى كتب يقرءونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك فى زمن سليمان عليه السلام حتى قالوا إن الجن تعلم الغيب . وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه إلا بهذا العلم وبه سخر الجن والإنس والريح .

(٧) تكذيب للشياطين ودفع لما بَهَتَتْ به سليمان من اعتقاد السحر والعمل به .

(٨) هم الذين كفروا باستعمال السحر وتدوينه. و (لكن) بالتخفيف (الشياطين) بالرفع شامى وحمزة وعلىّ .

(٩) فى موضع الحال أى كفروا معلمين الناس السحر قاصدين به إغواءهم وإضلالهم .

(١٠) الجمهور على أن ما بمعنى الذى . وهو نصب عطف على السحر . أى ويعلمونهم ما أنزل على الملكين . أو على (ما تتلو) أى واتبعوا ما أنزل على الملكين .

(١١) علمان لهما وهما عطف بيان للملكين. والذى أنزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله للناس. من تعلمه منهم وعمل به كان كافرا إن كان فيه رد ما لزم فى شرط الإيمان. ومن تجنبه أو تعلمه لا ليعمل به ولكن ليتوقاه ولئلا يغتر به كان مؤمنا. قال الشيخ أبو منصور الماتريدى

وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ (١) حَتَّىٰ يَقُولَآ (٢) إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ (٣) فَلَا تَكْفُرْ (٤) فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا (٥) مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ (٦) وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ (٧) مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ (٨) وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ (٩) وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ (١٠) لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ (١١) مَا لَهُۥ

رحمه الله القول بأن السحر على الإطلاق كفر خطأ بل يجب البحث عن حقيقته فإن كان فى ذلك رد ما لزم فى شرط الإيمان فهو كفر وإلا فلا . ثم السحر الذى هو كفر يقتل عليه الذكور لا الإناث. وما ليس بكفر وفيه إهلاك النفس ففيه حكم قطاع الطريق ويستوى فيه المذكر والمؤنث وتقبل توبته إذا تاب . ومن قال لا تقبل فقد غلط فإن سحرة فرعون قبلت توبتهم . وقيل (أنزل) أى قذف فى قلوبهما مع النهى عن العمل . قيل إنهما ملكان اختارتهما الملائكة لتركَّب فيهما الشهوة حين عيَّرت بنى آدم . فكانا يحكمان فى الأرض ويصعدان بالليل فهويا زهرة فحملتهما على شرب الخمر فزنيا فرآهما إنسان فقتلاه فاختارا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة فهما يعذبان منكوسين فى جب ببابل . وسميت ببابل لتبلبل الألسن بها .

(١) وما يعلم الملكان أحدا .

(٢) حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له (إنما نحن فتنة) .

(٣) ابتلاء واختبار من الله .

(٤) بتعلمه والعمل به على وجه يكون كفرا .

(٥) الفاء عطف على قوله يعلمون الناس السحر أى يعلمونهم فيتعلمون من السحر والكفر اللذين دل عليهما قوله (كفروا) و (يعلمون الناس السحر)؛ أو على مضمر والتقدير فيأتون فيتعلمون . والضمير لما دل عليه من أحد أى فيتعلم الناس من الملكين .

(٦) أى علم السحر الذى يكون سببا فى التفريق بين الزوجين بأن يحدث الله عنده النشوز والخلاف ابتلاء منه. وللسحر حقيقة عند أهل السنة كثرهم الله. وعند المعتزلة هو تخييل وتمويه.

(٧) بالسحر .

(٨) بعلمه ومشيئته .

(٩) فى الآخرة. وفيه دليل على أنه واجب الاجتناب كتعلم الفلسفة التى تجر إلى الغواية .

(١٠) أى اليهود .

(١١) أى استبدل ما تتلو الشياطين من كتاب الله .

فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ(١) وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا(٢) بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ(٣) ۝ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا(٤) وَٱتَّقَوْا(٥) لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ(٦) ۝ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَٰعِنَا وَقُولُوا ٱنظُرْنَا(٧) وَٱسْمَعُوا(٨) وَلِلْكَـٰفِرِينَ(٩) عَذَابٌ أَلِيمٌ(١٠) ۝ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ(١١) عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ

---

(١) من نصيب .

(٢) باعوها .

(٣) إنما نفى العلم عنهم مع إثباته لهم بقوله (ولقد علموا) على سبيل التوكيد القسمى ، لأن معناه لو كانوا يعملون بعلمهم. جعلهم حين لم يعملوا به كأنهم لا يعلمون .

(٤) برسول الله والقرآن .

(٥) الله فتركوا ماهم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين .

(٦) أن ثواب الله خير مما هم فيه . وقد علموا . لكنه جهّلهم لما تركوا العمل بالعلم . والمعنى لأثيبوا من عند الله ما هو خير. وأوثرت الجملة الاسمية على الفعلية فى جواب لو، لما فيها من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها . ولم يقل لمثوبة الله خير، لأن المعنى لشىء من الثواب خير لهم. وقيل (لو) بمعنى التمنى كأنه قيل وليتهم آمنوا. ثم ابتدأ لمثوبة من عند الله خير.

(٧) كان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ألقى عليهم شيئا من العلم : راعنا يارسول الله . أى راقبنا وانتظرنا حتى نفهمه ونحفظه . وكانت لليهود كلمة يتسابّون بها عبرانية أو سريانية وهى راعينا . فلما سمعوا بقول المؤمنين راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول وهم يعنون به تلك المسبة. فنهى المؤمنون عنها وأمروا بما هو فى معناها وهو (انظرنا) من نظره إذا انتظره .

(٨) وأحسنوا سماع ما يكلمكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلقى عليكم من المسائل، بآذان واعية وأذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا إلى الاستعادة وطلب المراعاة . أو واسمعوا سماع قبول وطاعة ولا يكن سماعكم كسماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا .

(٩) ولليهود الذين سبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١٠) مؤلم .

(١١) وبالتخفيف مكى وأبو عمرو .

مِّن رَّبِّكُمْ[(١)] وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ[(٢)] وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ[(٣)] ۝ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا[(٤)] نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ[(٥)] أَوْ مِثْلِهَآ[(٦)] أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ[(٧)] ۝ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ[(٨)] وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ[(٩)] وَلَا نَصِيرٍ[(١٠)] ۝ أَمْ[(١١)] تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ

(١) من الأولى للبيـان لأن الذين كفروا جنس تحته نوعان أهل الكتاب والمشركون. والثانية مزيدة لاستغراق الخير. والثالثة لابتداء الغاية. والخير الوحى وكذلك الرحمة .

(٢) يعنى أنهم يرون أنفسهم أحق بأن يوحى إليهم فيحسدونكم وما يحبون أن ينزل عليكم شىء من الوحى والله يختص بالنبوة من يشاء .

(٣) فيه إشعار بأن إيتاء النبوة من الفضل العظيم .

(٤) لمـا طعنوا فى النسخ فقالوا : ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ، ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا ، نزل (ما ننسخ من آية). تفسير النسخ لغة التبديل . وشريعـة بيان انتهاء الحكم الشرعى المطلق الذى تقرر فى أوهامنا استمراره بطـريق التراخى . فكان تبديلا فى حقنا بيانا محضا فى حق صاحب الشرع . وفيه جواب عن البـداء الذى يدعيه منكروه أعنى اليهود. ومحله حكم يحتمل الوجود والعدم فى نفسه لم يلحق به ما ينافى النسخ من توقيت أو تأبيد ثبت نصا أو دلالة . وشرطه التمكن من عقـد القلب عندنا دون التمكن من الفعل ، خلافا للمعتزلة . وإنمـا يجوز النسخ بالكتاب والسنة متفقا ومختلفا . ويجوز نسخ التلاوة والحكم ، والحكم دون التلاوة ، والتلاوة دون الحكم ، ونسخ وصف بالحكم مثل الزيادة على النص. فإنه نسخ عندنا خلافا للشافعى رحمه الله . والإنساء أن يذهب بحفظها عن القلوب . أو ننسأها مكى وأبو عمرو أى نؤخرها من نسأت أى أخرت .

(٥) أى نأت بآية خير منها للعباد أى بآية العمل بها أكثر للثواب .

(٦) فى ذلك إذ لا فضيلة لبعض الآيات على البعض .

(٧) أى قادر فهو يقدر على الخير وعلى مثله .

(٨) فهو يملك أموركم ويدبرها وهو أعلم بما يتعبدكم به من ناسخ أو منسوخ .

(٩) يلى أمركم .

(١٠) ناصر يمنعكم من العذاب .

(١١) أم منقطعة وتقديره بل أتريدون .

مِن قَبْلُ(١) وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ(٢) فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ(٣) ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم(٤) مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا(٥) حَسَدًا(٦) مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم(٧) مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟(٨) حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ(٩) إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ(١٠) ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ(١١) تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ(١٢) إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ(١٣) ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ

---

(١) روى أن قريشا قالوا : يا محمد اجعل لنا الصفا ذهبا ووسع لنا أرض مكة . فنهوا أن يقترحوا عليه الآيات كما اقترح قوم موسى عليه حين قالوا (اجعل لنا إلها) .

(٢) ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها .

(٣) قصده ووسطه .

(٤) أن يردوكم .

(٥) حال من كُمْ أى يردونكم عن دينكم كافرين . نزلت حين قالت اليهود للمسلمين بعد واقعة أحد ألم تروا إلى ما أصابكم ؟ ولو كنتم على الحق لما هزمتم . فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم .

(٦) مفعول له أى لأجل الحسد وهو الأسف على الخير عند الغير .

(٧) يتعلق بود. أى ودوا من عند أنفسهم ومن قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لأنهم ودوا ذلك (من بعد ما تبيّن لهم الحقّ) أى من بعد علمهم بأنكم على الحق؛ أو بحسدا أى حسدا متبالغا منبعثا من أصل نفوسهم .

(٨) فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة .

(٩) بالقتال .

(١٠) فهو يقدر على الانتقام منهم .

(١١) من حسنة صلاة أو صدقة أو غيرهما .

(١٢) تجدوا ثوابه عنده .

(١٣) فلا يضيع عنده عمل عامل .

إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ[1] تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ[2] قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ[3] إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ[4] ﴿١١١﴾ بَلَىٰ[5] مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ[6] وَهُوَ مُحْسِنٌ[7] فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ[8] عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ[9] وَهُمْ يَتْلُونَ[10] ٱلْكِتَـٰبَ[11] كَذَٰلِكَ

(١) الضمير لأهل الكتاب من اليهود والنصارى . أى وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هودا. وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى . فلف بين القولين ثقة بأن السامع يرد إلى كل فريق قوله ، وأمنا من الإلباس لما عُلِم من التعادى بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما صاحبه. ألا ترى إلى قوله تعالى (وقالت اليهود ليست النصارى على شىء وقالت النصارى ليست اليهود على شىء) . وهود جمع هائد كعائذ وعوذ . وَوَحّدَ اسم كان للفظ مَن ، وجمع الخبر لمعناه

(٢) أشير بها إلى الأمانى المذكورة وهى أمنيتهم ألا ينزل على المؤمنين خير من ربهم ، وأمنيتهم أن يردوهم كفارا ، وأمنيتهم ألا يدخل الجنة غيرهم. أى تلك الأمانى الباطلة أمانيهم . والأمنيّة أفعولة من التمنى مثل الأضحوكة .

(٣) هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة . وهات بمنزلة هاء بمعنى أحضر . وهو متصل بقولهم (لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى) و(تلك أمانيهم) اعتراض .

(٤) فى دعواكم .

(٥) إثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة .

(٦) من أخلص نفسه له لا يشرك به غيره .

(٧) مصدق بالقرآن .

(٨) جواب (من أسلم) . وهو كلام مبتدأ متضمن لمعنى الشرط . و(بلى) رد لقولهم .

(٩) أى على شىء يصح ويعتد به.

(١٠) الواو للحال. والكتاب للجنس . أى قالوا ذلك وحالهم أنهم من أهل العلم والتلاوة للكتب. وحق من حمل التوراة والإنجيل وآمن به ألا يكفر بالباقى لأن كل واحد من الكتابين مصدق للآخر .

(١١) مثل ذلك القول الذى سمعت به .

قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ (١) بَيْنَهُمْ (٢) يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ (٣) مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ (٤) أُو۟لَٰٓئِكَ (٥) مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ (٦) إِلَّا خَآئِفِينَ (٧) لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ (٨)

(١) أى الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الأصنام والمعطلة، قالوا لأهل كل دين ليسوا على شىء . وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا أنفسهم مع علمهم فى سلك من لا يعلم .

(٢) أى بين اليهود والنصارى بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب اللائق به .

(٣) موضع (مَنْ) رفع على الابتداء وهو استفهام وأظلم خبره . والمعنى أىّ أحد أظلم . و(أن يذكر) ثانى مفعولى منع لأنك تقول منعته كذا ومثله (وما منعنا أن نرسل بالآيات . وما منع الناس أن يؤمنوا). ويجوز أن يحذف حرف الجر مع أن أى من أن يذكر، وأن تنصبه مفعولا له بمعنى منعها كراهة أن يذكر. وهو حكم عام لجنس مساجد الله وأن مانعها من ذكر الله مفرط فى الظلم. والمراد بمن العموم كما أريد العموم بمساجد الله . والسبب فيه طرح النصارى فى بيت المقدس الأذى ومنعهم الناس أن يصلوا فيه، أو منع المشركين رسول الله أن يدخل المسجد الحرام عام الحديبية . وإنما قيل مساجد الله وكان المنع على مسجد واحد وهو بيت المقدس أو المسجد الحرام ، لأن الحكم ورد عاما وإن كان السبب خاصا كقوله تعالى (ويل لكل همزة) والمنزول فيه الأخنس بن شريق .

(٤) بانقطاع الذكر .

(٥) المانعون .

(٦) أى ما كان ينبغى لهم أن يدخلوا مساجد الله .

(٧) حال من الضمير فى يدخلوها أى على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلا أن يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها . والمعنى ما كان الحق إلا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم . روى أنه لا يدخل بيت المقدس أحد من النصارى الا متنكرا خيفة أن يقتل. وقال قتادة لا يوجد نصرانى فى بيت المقدس الا بولغ ضربا . ونادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا لايحجنّ بعد هذا العام مشرك . وقيل معناه النهى عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله تعالى (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله) .

(٨) قتل وسبى للحربىّ، وذلة بضرب الجزية للذمىّ .

وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ[١] ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ[٢] فَأَيْنَمَا[٣] تُوَلُّوا[٤] فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ[٥] إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ[٦] ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا[٧] ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُ[٨] بَل لَّهُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ[٩] كُلٌّ لَّهُ قَٰنِتُونَ[١٠] ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) أى النــار .

(٢) أى بلاد المشرق والمغرب كلها له وهو مالكها ومتوليها .

(٣) شرط .

(٤) مجزوم به . أى ففى أى مكان فعلتم التولية . يعنى تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله تعالى (فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) والجواب (فثم وجه الله) .

(٥) أى جهته التى أمر بها ورضيها . والمعنى أنكم اذا مُنعتم أن تصلوا فى المسجد الحرام أو فى بيت المقدس ، فقد جعلت لكم الأرض مسجدا . فصلوا فى أية بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فإن التولية ممكنة فى كل مكان .

(٦) أى هو واسع الرحمة يريد التوسعة على عباده. وهو عليم بمصالحهم. وعن ابن عمر رضى الله عنهما : نزلت فى صلاة المسافر على الراحلة أينما توجهت. وقيل عميت القبلة على قوم فصلوا إلى أنحـاء مختلفة فلما أصبحوا تبينوا خطأهم فعذروا. هو حجة على الشافعى رحمه الله فيما إذا استدبر. وقيل فأينما تولوا للدعاء والذكر .

(٧) يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله . قالوا شامى . فإثبات الواو باعتبار أنه قصة معطوفة على ما قبلها. وحذفه باعتبار أنه استئناف قصة أخرى .

(٨) تنزيه له عن ذلك وتبعيد .

(٩) أى هو خالقه ومالكه ومن بجملته المسيح وعزير والولادة تنافى الملك .

(١٠) منقادون لا يمتنع شىء منهم على تكوينه وتقديره . والتنوين فى (كل) عوض عن المضاف إليه أى كل ماف السموات والأرض أو كل من جعلوه لله ولدا (له قانتون) مطيعون عابدون مقرون بالربوبية منكرون لمـا أضافوا اليهم . وجاء بما الذى لغير أولى العلم مع قوله قانتون كقوله سبحان ما سخركن لنا .

وَالْأَرْضِ[1] وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا[2] فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ[3] ﴿١١٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ[4] لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ[5] أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ[6] كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ[7] قَدْ بَيَّنَّا الْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ[8] ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا[9]

---

(١) أى مخترعهما ومبدعهما لا على مثال سبق . وكل من فعل مالم يسبق إليه يقال له أبدعت . ولهذا قيل لمن خالف السنة والجماعة مبتدع لأنه يأتى فى دين الإسلام ما لم يسبقه إليه الصحابة والتابعون رضى الله عنهم .

(٢) أى حكم أو قدر .

(٣) هو من كان التامة أى احدُث فيحدُث. وهذا مجاز عن سرعة التكوين وتمثيل ولاقول ثَمَّ . وإنما المعنى أن ما قضاه من الأمور وأراد كونه فإنما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولاتوقف كما أن المأمور المطيع الذى يؤمر فيمتثل لايتوقف ولا يمتنع ولايكون منه إباء. وأكد بهذا استبعاد الولادة لأن من كان بهذه الصفة من القدرة كانت صفاته مباينة لصفات الأجسام فأنَّى يتصور التوالد ثَمَّ . والوجه الرفع فى (فيكون) وهو قراءة العامة على الاستئناف . أى فهو يكون. أو على العطف على يقول. ونصبه ابن عامر على لفظ كن لأنه أمر وجواب الأمر بالفاء نصب . وقلنا إنّ (كن) ليس بأمر حقيقة إذ لا فرق بين أن يقال وإذا قضى أمراً فإنما يكونه فيكون وبين أن يقال فإنما يقول له كن فيكون . وإذا كان كذلك فلا معنى للنصب . وهذا لأنه لو كان أمرا فإما أن يخاطب به الموجود والموجود لا يخاطب بكن أو المعدوم والمعدوم لا يخاطب .

(٤) من المشركين أو من أهل الكتاب . ونفى عنهم العلم لأنهم لم يعملوا به .

(٥) هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة وكلم موسى ، استكبارا منهم وعتوا .

(٦) جحودا لأن يكون ما أتاهم من آيات الله آيات واستهانة بها .

(٧) أى قلوب هؤلاء ومَنْ قبلهم فى العمى .

(٨) أى لقوم ينصفون فيوقنون أنها آيات يجب الاعتراف بها والإذعان لها والاكتفاء بها عن غيرها .

(٩) للمؤمنين بالثواب .

وَنَذِيرًا(١) وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ(٢) ﴿١١٩﴾ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ(٣) قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ(٤) هُوَ ٱلْهُدَىٰ(٥) وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم(٦) بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ(٧) مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ(٨) مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ(٩) ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ(١٠)

(١) للكافرين بالعقاب .

(٢) ولا نسألك عنهم ما لهم لم يؤمنوا بعد أن بلّغت وبلّغت جهدك فى دعوتهم . وهو حال كنذيرا وبشيرا وبالحق أى وغير مسئول، أو مستأنف . قراءة نافع ولا تَسْأَلْ على النهى. ومعناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول كيف فلان ؟ سائلا عن الواقع فى بلية. فيقال لك : لا تَسْأَلْ عنــه . وقيل نهى الله نبيه عن السؤال عن أحوال الكفرة حين قال : ليت شعرى ما فعل أبواى .

(٣) كأنهم قالوا لن نرضى عنك وإن أبلغت فى طلب رضانا حتى تتبع ملتنا إقناطا منهم لرسول الله عن دخولهم فى الإسلام . فذكر الله عز وجل كلامهم .

(٤) الذى رضى لعباده .

(٥) أى الإســلام . وهو الهدى كله ليس وراءه هدى والذى تدعون إلى اتباعه ما هو هدى . إنمــا هو هوى . ألا ترى إلى قوله (ولئن اتبعت أهواءهم) .

(٦) أى أقوالهم التى هى أهواء وبدع .

(٧) أى من العلم بأن دين الله هو الإسلام ، أو من الدين المعلوم صحته بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة .

(٨) من عذاب الله .

(٩) ناصر .

(١٠) مبتدأ .

ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ(١) حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ(٢) أُو۟لَٰٓئِكَ(٣) يُؤْمِنُونَ بِهِۦ(٤) وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ(٥) ۝ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ(٦) وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ(٧) ۝ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ(٨) ۝ وَإِذِ(٩) ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ(١٠) بِكَلِمَٰتٍ

(١) صلته. وهم مؤمنو أهل الكتاب وهو التوراة والإنجيل؛ أو أصحاب النبي عليه السلام والكتاب القرآن .

(٢) حال مقدرة من هم لأنهم لم يكونوا تالين له وقت إيتائه .

(٣) نصب على المصدر أى يقرءونه حق قراءته فى الترتيل وأداء الحروف والتدبر والتفكر. أو يعملون به ويؤمنون بما فى مضمونه ولا يغيرون ما فيه من نعت النبي صلى الله عليه وسلم .

(٤) مبتدأ خبره يؤمنون به . والجملة خبر الذين . ويجوز أن يكون يتلونه خبرا والجملة خبر آخر .

(٥) حيث اشتروا الضلالة بالهدى .

(٦) أى أنعمتها عليكم .

(٧) وتفضيلى إياكم على عالمى زمانكم .

(٨) هم رفع بالابتداء والخبر ينصرون والجمل الأربع وصف ليوما . أى واتقوا يوما لا تجزى فيه ولا يقبل فيه ولا تنفعها فيه ولاهم ينصرون فيه . وتكرير هاتين الآيتين لتكرار المعاصى منهم وختم قصة بنى إسرائيل بما بدأ به .

(٩) أى واذكر إذ .

(١٠) اختبره بأوامر ونواه. والاختبار منا لظهور مالم نعلم. ومن الله لإظهار ما قد علم. وعاقبة الابتلاء ظهور الأمر الخفى فى الشاهد والغائب جميعا. فلذا تجوز إضافته إلى الله تعالى . وقيل اختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار أحد الأمرين ما يريد الله تعالى وما يشتهيه العبد كأنه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك . وقرأ أبو حنيفة رضى الله عنه إبراهيم

فَأَتَمَّهُنَّ (١) قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا (٢) قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي (٣) قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي (٤) الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ (٥) مَثَابَةً (٦) لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا (٧) وَاتَّخِذُوا

ربه برفع ابراهيم وهى قراءة ابن عباس رضى الله عنهما. أى دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه إليهن أم لا .

(١) أى قام بهن حق القيام وأدّاهن أحسن التأدية من غير تفريط وتوان . ونحوه (وإبراهيم الذى وفّى). ومعناه فى قراءة أبى حنيفة رحمه الله فأعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئا. والكلمات على هذا ما سأل إبراهيم ربه فى قوله (رب اجعل هذا بلدا آمنا. واجعلنا مسلمين لك. وابعث فيهم رسولا منهم. ربنا تقبل منا) والكلمات على القراءة المشهورة خمس فى الرأس الفرق وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق . وخمس فى الجسد الختان وتقليم الاظفار ونتف الإبط وحلق العانة والاستنجاء . وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى ثلاثون سهما من الشرائع عشر فى براءة (التائبون) الآية. وعشر فى الأحزاب (إن المسلمين والمسلمات) الآية. وعشر فى المؤمنين والمعارج إلى قوله (يحافظون) . وقيل هى مناسك الحج .

(٢) هو اسم مَن يؤتم به أى يأتمون بك فى دينهم .

(٣) أى واجعل من ذريتى إماما يقتدى به . ذرية الرجل أولاده ذكورهم وإناثهم فيه سواء . فعيلة من الذرء أى الخلق فأبدلت الهمزة ياء .

(٤) بسكون الياء حمزة وحفص. أى لا تصيب الإمامة أهل الظلم من ولدك أى أهل الكفر . أخبر أن إمامة المسلمين لا تثبت لأهل الكفر وأن من أولاده المسلمين والكافرين قال الله تعالى (وباركنا عليه وعلى إسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين) . والمحسن المؤمن والظالم الكافر . قالت المعتزلة هذا دليل على أن الفاسق ليس بأهل للإمامة . قالوا وكيف يجوز نصب الظالم للإمامة والإمام إنما هو لكف الظلمة فإذا نصب من كان ظالما فى نفسه فقد جاء المثل السائر "من استرعى الذئب ظلم". ولكنا نقول المراد بالظالم الكافر هنا إذ هو الظالم المطلق. وقيل إنه سأل أن يكون ولده نبيا كما كان هو فاخبر أن الظالم لا يكون نبيا .

(٥) أى الكعبة وهو اسم غالب لها كالنجم للثريا .

(٦) مباءة ومرجعا للحجاج والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون إليه .

(٧) وموضع أمن فإن الجانى يأوى إليه فلا يتعرض له حتى يخرج. وهو دليل لنا فى الملتجئ إلى الحرم .

مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى(١) وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ(٢) أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ(٣) لِلطَّآئِفِينَ(٤) وَٱلْعَـٰكِفِينَ(٥) وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ(٦) ۝ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا(٧) بَلَدًا ءَامِنًا(٨) وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ(٩) مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ(١٠) قَالَ وَمَن كَفَرَ(١١) فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا(١٢) ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ(١٣) إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ

(١) وقلنا اتخذوا منه موضع صلاة تصلون فيه. وعنه عليه السلام أنه أخذ بيد عمر فقال هذا مقام إبراهيم فقال عمر أفلا نتخذه مصلى؟ فقال عليه السلام لم أومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت. وقيل مصلى مدعى. ومقام إبراهيم الحجر الذى فيه أثر قدميه. وقيل الحرم كله مقام إبراهيم. واتخذوا شامى ونافع بلفظ الماضى عطفا على جعلنا أى واتخذ الناس من مكان إبراهيم الذى وسم به لاهتمامه به وإسكان ذريته عنده، قبلة يصلون إليها .

(٢) أمرناهما .

(٣) بفتح الياء مدنى وحفص . أى بأن طهرا أو أى طهرا . والمعنى طهراه من الأوثان والخبائث والأنجاس كلها . .

(٤) للدائرين حوله .

(٥) المجاورين الذين عكفوا عنده أى أقاموا لا يبرحون أو المعتكفين . وقيل (للطائفين) للنزاع إليه من البلاد (والعاكفين) والمقيمين من أهل مكة .

(٦) والمصلين، جمعا راكع وساجد .

(٧) أى اجعل هذا البلد أو هذا المكان .

(٨) ذا أمن كعيشة راضية أو آمنا من فيه كقولك ليل نائم. فهذا مفعول أول وبلدا مفعول ثان وآمنا صفة له .

(٩) لأنه لم يكن لهم ثمرة .

(١٠) بدل من أهله بدل البعض من الكل أى وارزق المؤمنين من أهله خاصة قاس الرزق على الإمامة فخص المؤمنين به .

(١١) (قال) الله تعالى جوابا له (ومن كفر) أى وأرزق من كفر .

(١٢) تمتيعا قليلا أو زمانا قليلا إلى حين أجله . فأمتعه شامى .

(١٣) ألجئه .

وبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ(١) ۝ وَإِذْ يَرْفَعُ(٢) إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ(٣) مِنَ ٱلْبَيْتِ(٤) وَإِسْمَـٰعِيلُ(٥) رَبَّنَا(٦) تَقَبَّلْ مِنَّآ(٧) إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ(٨) ٱلْعَلِيمُ(٩) ۝ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ(١٠) لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ(١١) أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا(١٢) مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ(١٣) إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝

---

(١) المرجع الذى يصير إليه ، النار. فالمخصوص بالذم محذوف .

(٢) حكاية حال ماضية .

(٣) هى جمع قاعدة وهى الأساس والأصل لما فوقه وهى صفة غالبة ومعناها الثابتة . ورفع الأساس البناء عليها لأنها إذا بنى عليها نقلت عن هيئة الانخفاض إلى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر .

(٤) بيت الله وهو الكعبة . وفى إبهام القواعد وتبيينها بعد الإبهام تفخيم لشأن المبين .

(٥) هو عطف على إبراهيم وكان إبراهيم يبنى و إسمعيل يناوله الحجارة .

(٦) أى يقولان ربنا. وهذا الفعل فى محل النصب على الحال وقد أظهره عبد الله فى قراءته ومعناه يرفعانها قائلين ربنا .

(٧) تقربنا إليك ببناء هذا البيت .

(٨) لدعائنا .

(٩) بضمائرنا ونياتنا .

(١٠) مخلصين لك أوجهنا من قوله (أسلم وجهه لله) أو مستسلمين يقال أسلم له واستسلم إذا خضع وأذعن . والمعنى زدنا إخلاصا و إذعانا لك .

(١١) واجعل (من ذريتنا أمة مسلمة لك) . ومن للتبعيض أو للتبيين . قيل أراد بالأمة أمة محمد عليه السلام . وإنما خصا بالدعاء ذريتهما لأنهم أولى بالشفقة كقوله تعالى (قوا أنفسكم وأهليكم نارا) .

(١٢) منقول من رأى بمعنى أبصر أو عرف ولذا لم يتجاوز مفعولين أى و بصّرنا متعبداتنا فى الحج أو عرفناها . وواحد المناسك منسك بفتح السين وكسرها وهو المتعبّد ولهذا قيل للعابد ناسك . وأرْنامكى قاسه على فخذ فى فخذ . وأبو عمرو يشم الكسرة .

(١٣) ما فرط منا من التقصير أو استتابا لذريتهما .

رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ(١) رَسُولًا مِّنْهُمْ(٢) يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ(٣) وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَٰبَ(٤) وَالْحِكْمَةَ(٥) وَيُزَكِّيهِمْ(٦) إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ(٧) الْحَكِيمُ(٨) ۝ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ(٩) إِلَّا مَن(١٠) سَفِهَ نَفْسَهُۥ(١١) وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَٰهُ فِى الدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى الْءَاخِرَةِ لَمِنَ الصَّٰلِحِينَ(١٢) ۝

(١) فى الأمة المسلمة .

(٢) من أنفسهم. فبعث الله فيهم محمدا عليه السلام. قال عليه السلام أنا دعوة أبى إبراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمى

(٣) يقرأ عليهم ويبلغهم ما توحى إليه من دلائل وحدانيتك وصدق أنبيائك ورسلك .

(٤) القرآن .

(٥) السنة وفهم القرآن .

(٦) ويطهرهم من الشرك وسائر الأرجاس .

(٧) الغالب الذى لا يغلب .

(٨) فيما أوليت .

(٩) استفهام بمعنى الجحد وإنكار أن يكون فى العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذى هو ملة إبراهيم . والملة السنة والطريقة كذا عن الزجاج .

(١٠) فى محل الرفع على البدل من الضمير فى يرغب. وصح البدل لأن من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك أحد إلا زيد . والمعنى وما يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه .

(١١) أى جهل نفسه أى لم يفكر فى نفسه فوضع سفه موضع جهل وعدى كما عدى . أو معناه سفه فى نفسه فحذف فى كما حذف من فى قوله (واختار موسى قومه) أى من قومه، وعلى فى قوله (ولا تعزموا عقدة النكاح) أى على عقدة النكاح . والوجهان عن الزجاج. وقال الفراء هو منصوب على التمييز وهو ضعيف لكونه معرفة .

(١٢) بيان لخطأ رأى من يرغب عن ملته لأن من جمع كرامة الداوين لم يكن أحد أولى بالرغبة فى طريقته منه .

إِذْ⁽¹⁾ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ⁽²⁾ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ⁽³⁾ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ⁽⁴⁾ بِهَآ⁽⁵⁾ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ⁽⁶⁾ يَٰبَنِىَّ⁽⁷⁾ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ⁽⁸⁾ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ⁽⁹⁾ ﴿١٣٢﴾ أَمْ⁽¹⁰⁾ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ⁽¹¹⁾ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا⁽¹²⁾ تَعْبُدُونَ

(1) ظرف لاصطفيناه ، أو انتصب باضمار اذكر كأنه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم أنه المصطفى الصالح الذى لا يُرغب عن ملة مثله .

(2) أذعن أو أطع أو أخلص دينك لله .

(3) أى أخلصت أو انقدت .

(4) وأوصى مدنى وشامى .

(5) بالملة أو بالكلمة وهى (أسلمت لرب العالمين) .

(6) هو معطوف على إبراهيم داخل فى حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه أيضا .

(7) على إضمار القول .

(8) أى أعطاكم الدين الذى هو صفوة الأديان وهو دين الإسلام ووفقكم للأخذ به .

(9) فلا يكن موتكم إلا على حال كونكم ثابتين على الإسلام. فالنهى فى الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الإسلام إذا ماتوا كقولك لا تصـلّ إلا وأنت خاشع فلا تنهاه عن الصـلاة ولكن عن ترك الخشوع فى صلاته .

(10) أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار. والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر. أى ما كنتم حاضرين يعقوب عليه السلام إذ حضره الموت أى حين احتضر . والخطاب للمؤمنين بمعنى ما شهدتم ذلك وإنما حصل لكم العلم به من طريق الوحى . أو متصلة ويقدر قبلها محذوف. والخطاب لليهود لأنهم كانوا يقولون ما مات نبى إلا على اليهودية كأنه قيل أتدعون على الأنبياء اليهودية أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت .

(11) بدل من إذ الأولى والعامل فيهما شهداء أو ظرف لحضر .

(12) ما استفهام فى محل النصب بتعبدون أى أى شىء تعبدون . وما عام فى كل شىء . أو هو سؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد أفقيه أم طبيب .

مِنْ بَعْدِى (١) قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ (٢) إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ (٣) إِلَٰهًا وَٰحِدًا (٤) وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ (٥) ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ (٦) أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ (٧) لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ (٨) وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٩) ﴿١٣٤﴾ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ (١٠) تَهْتَدُوا۟ (١١) قُلْ بَلْ مِلَّةَ (١٢) إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا (١٣) وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (١٤) ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ (١٥) ءَامَنَّا

---

(١) من بعد موتى .

(٢) أعيد ذكر الإله لئلا يعطف على الضمير المجرور بدون إعادة الجار .

(٣) عطف بيان لآبائك . وجعل إسماعيل من جملة آبائه وهو عمه لأن العم أب . قال عليه السلام فى العباس : هذا بقية آبائى .

(٤) بدل من إله آبائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة ، أو نصب على الاختصاص أى نريد بإله آبائك إلها واحدا .

(٥) حال من فاعل نعبد أو جملة معطوفة على نعبد أو جملة اعتراضية مؤكدة .

(٦) إشارة إلى الأمة المذكورة التى هى إبراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون .

(٧) مضت .

(٨) أى أن أحداً لا ينفعه كسب غيره متقدما كان أو متأخرا فكما أن أولئك لا ينفعهم إلا ما اكتسبوا فكذلك أنتم لا ينفعكم إلا ما اكتسبتم . وذلك لافتخارهم بآبائهم .

(٩) ولا تؤاخذون بسيئاتهم .

(١٠) أى قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى .

(١١) جزم لأنه جواب الأمر .

(١٢) بل نتبع ملة إبراهيم .

(١٣) حال من المضاف إليه نحو رأيت وجه هند قائمة . والحنيف المائل عن كل دين باطل إلى دين الحق .

(١٤) تعريض بأهل الكتاب وغيرهم لأن كلا منهم يدعى اتباع ملة إبراهيم وهو على الشرك .

(١٥) هذا خطاب للمؤمنين . أو للكافرين أى قولوا لتكونوا على الحق وإلا فأنتم على الباطل .

بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا (١) وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ (٢) وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ (٣) وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ (٤) ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ (٥) وَّإِن تَوَلَّوْا۟ (٦) فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ (٧) فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ (٨) وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ (٩)

(١) أى القرآن .

(٢) السبط الحافد. وكان الحسن والحسين سبطى رسول الله صلى الله عليه وسلم. والأسباط حفدة يعقوب ذرارى أبنائه الاثنى عشر. ويعدى أنزل بإلى وعلى ، فلذا ورد هنا بإلى وفى آل عمران بعلى .

(٣) أى لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى. وأحد فى معنى الجماعة ولذا صح دخول بين عليه .

(٤) لله مخلصون .

(٥) ظاهر الآية مشكل لأنه يوجب أن يكون لله تعالى مثل وتعالى عن ذلك. فقيل الباء زائدة ومثل صفة مصدر محذوف تقديره فإن آمنوا إيمانا مثل إيمانكم والهاء يعود إلى الله عز وجل . وزيادة الباء غير عزيز قال الله تعالى (والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها) والتقدير جزاء سيئة مثلها كقوله فى الآية الأخرى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) . وقيل المثل زيادة أى فإن آمنوا بما آمنتم به يؤيده قراءة ابن مسعود رضى الله عنه (بما آمنتم به) وما بمعنى الذى بدليل قراءة أبى (بالذى آمنتم به) . وقيل الباء للاستعانة كقولك كتبت بالقلم أى فإن دخلوا فى الإيمان بشهادة مثل شهادتكم التى آمنتم بها .

(٦) عما تقولون لهم ولم ينصفوا أو إن تولوا عن الشهادة والدخول فى الإيمان بها .

(٧) أى فما هم إلا فى خلاف وعداوة وليسوا من طلب الحق فى شىء .

(٨) ضمان من الله لإظهار رسوله عليهم. وقد أنجز وعده بقتل بعضهم وإجلاء بعضهم. ومعنى السين أن ذلك كائن لا محالة وإن تأخر إلى حين .

(٩) لما ينطقون به .

ٱلْعَلِيمُ⁽¹⁾ ۝ صِبْغَةَ ٱللَّهِ⁽²⁾ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً⁽³⁾ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ⁽⁴⁾ ۝ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ⁽⁵⁾ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ⁽⁶⁾ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ⁽⁷⁾ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ⁽⁸⁾ ۝ أَمْ تَقُولُونَ⁽⁹⁾ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ

(١) بما يضمرون من الحسد والغِلّ وهو معاقبهم عليه فهو وعيد لهم ، أو وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى يسمع ما تدعو به و يعلم نيتك وما تريده من إظهار دين الحق وهو مستجيب لك وموصلك إلى مرادك .

(٢) دين الله. وهو مصدر مؤكد منتصب عن قوله (آمنا بالله) وهى فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهى الحالة التى يقع عليها الصبغ . والمعنى تطهير الله لأن الإيمان يطهر النفوس . والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم فى ماء أصفر يسمونه المعمودية و يقولون هو تطهير لهم فإذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال الآن صار نصرانيا حقا . فأمر المسلمون بأن يقولوا لهم : آمنا بالله وصبغنا الله بالإيمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم . وجيء بلفظ الصبغة للمشاكلة كقولك لمن يغرس الأشجار : اغرس كما يغرس فلان. تريد رجلا يصطنع الكرم .

(٣) تمييز أى لا صبغة أحسن من صبغته يريد الدين أو التطهير .

(٤) عطف على آمنا بالله . وهذا العطف يدل على أن قوله صبغة الله داخل فى مفعول قولوا آمنا أى قولوا هذا وهذا ونحن له عابدون ، و يرد قول من زعم أن صبغة الله بدل من ملة إبراهيم أو نصب على الإغراء بمعنى عليكم صبغة الله ، لما فيه من فك النظم و إخراج الكلام عن التئامه . وانتصابها على أنها مصدر مؤكد هو الذى ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام .

(٥) أى أتجادلوننا فى شأن الله واصطفائه النبى من العرب دونكم وتقولون لو أنزل الله على أحد لأنزل علينا وترونكم أحق بالنبوة منا .

(٦) نشترك جميعا فى أننا عباده وهو ربنا وهو يصيب برحمته وكرامته من يشاء من عباده.

(٧) يعنى أن العمل هو أساس الأمر وكما أن لكم أعمالا فلنا كذلك .

(٨) أى نحن له موحدون نخصه بالإيمان وأنتم به مشركون . والمخلص أحرى بالكرامة وأولى بالنبوة من غيره .

(٩) بالتاء شامى وكوفى غير أبى بكر. وأم على هذا معادلة للهمزة فى أتحاجوننا يعنى أى الأمرين تأتون : المحاجة فى حكم الله أم ادعاء اليهودية والنصرانية على الأنبياء؟ أو منقطعة أى بل أتقولون . يقولون غيرهم بالياء . وعلى هذا لا تكون الهمزة إلا منقطعة .

وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ (١) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ (٢) وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٣) ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (٤) ﴿١٤١﴾ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ (٥) مَا وَلَّىٰهُمْ (٦) عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا (٧) قُل لِّلَّهِ

(١) أمر نبيه عليه السلام أن يقول مستفهما رادا عليهم بقوله (أأنتم أعلم أم الله) . يعنى أن الله شهد لهم بملة الإسلام فى قوله (ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما) .

(٢) أى كتم شهادة الله التى عنده أنه شهد بها وهى شهادة الله لإبراهيم بالحنيفية . والمعنى أن أهل الكتاب لا أحد أظلم منهم لأنهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها ؛ أو أنا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن أحد أظلم منا فلا نكتمها . وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد عليه السلام بالنبوة فى كتبهم وسائرشهاداته . ومن فى قوله (من الله) مثلها فى قولك هذه شهادة منى لفلان إذا شهدت له ، فى أنها صفة لها .

(٣) من تكذيب الرسل وكتمان الشهادة .

(٤) كررت للتأكيد أو لأن المراد بالأول الأنبياء عليهم السلام وبالثانى أسلاف اليهود والنصارى .

(٥) الخفاف الأحلام فأصل السفه الخفة . وهم اليهود لكراهتهم التوجه إلى الكعبة وأنهم لا يرون النسخ ؛ أو المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء ؛ أو المشركون لقولهم رغب عن قبلة آبائه ثم رجع إليها والله ليرجعن إلى دينهم . وفائدة الإخبار بقولهم قبل وقوعه توطين النفس إذ المفاجأة بالمكروه أشد وإعداد الجواب قبل الحاجة إليه أقطع للخصم ، فقبل الرمى يراش السهم .

(٦) ما صرفهم .

(٧) يعنون بيت المقدس . والقبلة الجهة التى يستقبلها الإنسان فى الصلاة لأن المصلى يقابلها .

ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ (١) يَهْدِى مَن يَشَآءُ (٢) إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣) ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ (٤) أُمَّةً وَسَطًا (٥) لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ (٦) عَلَى ٱلنَّاسِ (٧) وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا (٨)

(١) أى بلاد المشرق والمغرب والأرض كلها له .

(٢) من أهلها .

(٣) طريق مستو. أى يرشد من يشاء إلى قبلة الحق وهى الكعبة التى أمرنا بالتوجه إليها. أو الأماكن كلها لله فيأمر بالتوجه إلى حيث شاء فتارة إلى الكعبة وطورا إلى بيت المقدس لا اعتراض عليه لأنه المالك وحده .

(٤) ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم. فالكاف للتشبيه وذا جر بالكاف واللام للفرق بين الإشارة إلى القريب والإشارة إلى البعيد والكاف للخطاب لا محل لها من الإعراب .

(٥) خيارا . وقيل للخيار وسط لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل والأوساط محمية. أى كما جعلت قبلتكم خير القبل جعلتكم خير الأمم . أو عدولا لأن الوسط عدل بين الأطراف ليس إلى بعضها أقرب من بعض. أى كما جعلنا قبلتكم متوسطة بين المشرق والمغرب جعلناكم أمة وسطا بين الغلو والتقصير فإنكم لم تغلوا غلو النصارى حيث وصفوا المسيح بالألوهية ولم تقصروا تقصير اليهود حيث وصفوا مريم بالزنا وعيسى بأنه ولد الزنا .

(٦) غير منصرف لمكان ألف التأنيث .

(٧) صلة شهداء .

(٨) عطف على لتكونوا . روى أن الأمم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياء فيطالب الله الأنبياء بالبينة على أنهم قد بلغوا وهو أعلم . فيؤتى بأمة محمد عليه السلام فيشهدون فتقول الأمم من أين عرفتم؟ فيقولون علمنا ذلك بإخبار الله تعالى فى كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق. فيؤتى بمحمد عليه السلام فيسأل عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم . والشهادة قد تكون بلا مشاهدة كالشهادة بالتسامع فى الأشياء المعروفة . ولما كان الشهيد كالرقيب جىء بكلمة الاستعلاء كقوله تعالى (كنت أنت الرقيب عليهم) . وقيل (لتكونوا شهداء على الناس) فى الدنيا فيما لا يصح إلا بشهادة العدول الأخيار (ويكون الرسول عليكم شهيدا) يزكيكم ويعلم بعدالتكم . واستدل الشيخ أبو منصور رحمه الله بالآية على أن الإجماع حجة لأن الله تعالى وصف هذه

وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ[١] إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ[٢] وَإِن كَانَتْ[٣] لَكَبِيرَةً[٤] إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ[٥] وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ

الأمة بالعدالة . والعدل هو المستحق للشهادة وقبولها . فإذا اجتمعوا على شىء وشهدوا به لزم قبوله . وأخرت صلة الشهادة أولا وقدمت آخرا ، لأن المراد فى الأول إثبات شهادتهم على الأمم وفى الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم .

(١) أى (وما جعلنا القبلة) الجهة (التى كنت عليها) وهى الكعبة . فالتى كنت عليها ليست بصفة للقبلة بل هى ثانى مفعولى جعل . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى بمكة إلى الكعبة ثم أمر بالصلاة إلى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تأليفا لليهود ثم حول إلى الكعبة .

(٢) أى (وما جعلنا القبلة) التى تحب أن تستقبلها ، الجهة (التى كنت عليها) أولا بمكة ، إلا امتحانا للناس وابتلاء لنعلم الثابت على الإسلام الصادق فيه ، ممن هو على حرف ينكص (على عقبيه) لقلقه يرجع فيرتد عن الإسلام عند تحويل القبلة . قال الشيخ أبو منصور رحمه الله معنى قوله (لنعلم) أى لنعلم كائنا أو موجودا ما قد علمناه أنه يكون ويوجد. فالله تعالى عالم فى الأزل بكل ما أراد وجوده ، أنه يوجد فى الوقت الذى شاء وجوده فيه . ولا يوصف بأنه عالم فى الأزل بأنه موجود كائن . لأنه ليس بموجود فى الأزل فكيف يعلمه موجودا ؟ فإذا صار موجودا يدخل تحت علمه الأزلى فيصير معلوما له موجودا كائنا . والتغير على المعلوم لا على العلم . أو لنميز التابع من الناكص كما قال تعالى (ليميز الله الخبيث من الطيب) فوضع العلم موضع التمييز لأن العلم به يقع التمييز. أو ليعلم رسول الله عليه الصلاة والسلام والمؤمنون . وإنما أسند علمهم إلى ذاته لأنهم خواصه . أو هو على ملاطفة الخطاب لمن لا يعلم كقولك لمن ينكر ذوب الذهب : فلنلقه فى النار لنعلم أيذوب .

(٣) أى التحويلة أو الجعلة أو القبلة . وإن هى المخففة .

(٤) أى ثقيلة شاقة وهى خبر كان . واللام فارقة .

(٥) أى هداهم الله فحذف العائد . أى إلا على الثابتين الصادقين فى اتباع الرسول .

إِيمَـٰنَكُمْ[1] إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ[2] رَّحِيمٌ[3] ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ[4] فَلَنُوَلِّيَنَّكَ[5] قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا[6] فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ[7] وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ[8] فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ[9] مِن

(١) أى صلاتكم إلى بيت المقدس . سمى الصلاة إيمانا لأن وجوبها على أهل الإيمـان، وقبولها من أهل الإيمـان، وأداؤها فى الجماعة دليل الإيمـان . لمـا توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة قالوا : كيف بمن مات قبل التحويل من إخواننا ؟ فنزلت . ثم علل ذلك فقال (إن الله بالناس لرءوف رحيم) .

(٢) مهموز مشبع حجازى وشامى وحفص . رَؤُف غيرهم بوزن فعل وهما للبالغة .

(٣) لا يضيع أجورهم . والرأفة أشد من الرحمة . وجمع بينهما كما فى الرحمن الرحيم .

(٤) تردد وجهك وتصرّف نظرك فى جهة السماء . وكان رسـول الله صلى الله عليه وسلم يتوقع من ربه أن يحوله إلى الكعبة موافقة لإبراهيم ومخالفة لليهود ، ولأنها أدعى للعرب إلى الإيمـان لأنها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم .

(٥) فلنعطينك ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا إذا جعلته واليا له ؛ أو فلنجعلنك تلى سمتها دون سمت بيت المقدس .

(٦) تحبها وتميل إليها لأغراضك الصحيحة التى أضمرتها ووافقت مشيئة الله وحكمته .

(٧) أى نحوه . وشطر نصب على الظرف. أى اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد أى فى جهته وسمته لأن استقبال عين القبلة متعسر على النائى. وذِكْر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على أن الواجب مراعاة الجهة دون العين . روى أنه عليه السلام قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه إلى الكعبة .

(٨) من الأرض وأردتم الصلاة .

(٩) أى التحويل إلى الكعبة هو الحق لأنه كان فى بشارة أنبيائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يصلى إلى القبلتين .

رَبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ [(١)] ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ [(٢)] بِكُلِّ ءَايَةٍ [(٣)] مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ [(٤)] وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ [(٥)] وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ [(٦)] وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ [(٧)] إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ [(٨)] ﴿١٤٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ [(٩)] يَعْرِفُونَهُۥ [(١٠)] كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ [(١١)] وَإِنَّ فَرِيقًا

---

(١) بالياء مكى وأبو عمرو ونافع وعاصم ؛ وبالتاء غيرهم . فالأول وعيد للكافرين بالعقاب على الجحود والإباء . والثانى وعد للمؤمنين بالثواب على القبول والأداء .

(٢) أراد ذوى العناد منهم .

(٣) برهان قاطع أن التوجه إلى الكعبة هو الحق .

(٤) لأن تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بإيراد الحجة إنما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم بما فى كتبهم من نعتك أنك على الحق وجواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط .

(٥) حسم لأطماعهم إذ كانوا اضطربوا فى ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن يكون صاحبنا الذى ننتظره ، وطمعوا فى رجوعه إلى قبلتهم . ووحدت القبلة وإن كان لهم قبلتان فلليهود قبلة وللنصارى قبلة ، لاتحادهم فى البطلان .

(٦) يعنى أنهم مع اتفاقهم على مخالفتك ، مختلفون فى شأن القبلة لا يرجى اتفاقهم كما لا ترجى موافقتهم لك ، فاليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس .

(٧) أى من بعد وضوح البرهان والإحاطة بأن القبلة هى الكعبة وأن دين الله هو الإسلام .

(٨) لمن المرتكبين الظلم الفاحش . وفى ذلك لطف للسامعين وتهييج للثبات على الحق وتحذير لمن يترك الدليل بعد إنارته و يتبع الهوى . وقيل الخطاب فى الظاهر للنبى عليه السلام والمراد أمته .

(٩) لزم الوقف على (الظالمين) . إذ لو وصل لصار (الذين) صفة للظالمين وهو مبتدأ والخبر (يعرفونه) .

(١٠) أى محمدا عليه السلام أو القرآن أو تحويل القبلة والأول أظهر لقوله (كما يعرفون أبناءهم) .

(١١) قال عبد الله بن سلام أنا أعلم به منى بابنى . فقال له عمر : ولم ؟ قال لأنى لست أشك فى محمد أنه نبى فأما ولدى فلعل والدته خانت . فقبل عمر رأسه .

مِّنْهُمْ (١) لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ (٢) وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٣) ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ (٤) مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٥) ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ (٦) وِجْهَةٌ (٧) هُوَ (٨) مُوَلِّيهَا (٩) فَاسْتَبِقُوا (١٠) الْخَيْرَاتِ (١١) أَيْنَ مَا تَكُونُوا (١٢) يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا (١٣) إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ (١٤)

(١) أى الذين لم يسلموا .

(٢) حسدا وعنادا .

(٣) أن الله تعالى بيّنه فى كتابهم .

(٤) مبتدأ خبره (من ربك). واللام للجنس أى الحق من الله لا من غيره . يعنى أن الحق ما ثبت أنه من الله كالذى أنت عليه . وما لم يثبت أنه من الله كالذى عليه أهل الكتاب فهو الباطل . أو للعهد والإشارة إلى الحق الذى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم. أو خبر مبتدأ محذوف أى هو الحق . و (من ربك) خبر بعد خبر أو حال .

(٥) الشاكّين فى أنه من ربك .

(٦) من أهل الأديان المختلفة .

(٧) قبلة . وقرئ بها .

(٨) الضمير لكل .

(٩) الضمير للوجهة . أى هو مولّيها وجهه فحذف أحد المفعولين . أو (هو) لله تعالى أى الله موليها إياه . هو مولاها شامى أى هو مولى تلك الجهة قد وليها . والمعنى ولكل أمة قبلة يتوجه إليها منكم ومن غيركم .

(١٠) أنتم .

(١١) فاستبقوا إليها غيركم من أمر القبلة وغيره .

(١٢) أنتم وأعداؤكم .

(١٣) يوم القيامة فيفصل بين المحق والمبطل .

أو (ولكل منكم) يا أمة محمد (وجهة) جهة يصلى إليها جنوبية أو شمالية أو شرقية أو غربية فاستبقوا الفاضلات من الجهات وهى الجهات المسامتة للكعبة وإن اختلفت (أينما تكونوا) من الجهات المختلفة (يأت بكم الله جميعا) ويجمعكم ويجعل صلاتكم كأنها إلى جهة واحدة وكأنكم تصلون حاضرى المسجد الحرام .

(١٤) ومن أى بلد خرجت للسفر .

فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ[(١)] وَإِنَّهُۥ[(٢)] لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ[(٣)] ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ[(٤)] لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ[(٥)] إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ[(٦)] فَلَا تَخْشَوْهُمْ[(٧)] وَٱخْشَوْنِى[(٨)] وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ[(٩)] وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ[(١٠)] ﴿١٥٠﴾ كَمَآ[(١١)] أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا

---

(١) إذا صليت .

(٢) وإن هذا المـأمور به (للحق من ربك) .

(٣) وبالياء أبو عمرو .

(٤) وهذا التكرير لتأكيد أمر القبلة وتشديده لأن النسخ من مظانّ الفتنة والشبهة فكرر عليهم ليثبتوا . على أنه نيط بكل واحد مالم ينط بالآخر فاختلفت فوائدها .

(٥) أى قد عرّفكم الله جل ذكره أمر الاحتجاج فى القبلة بما قد بيّن فى قوله (ولكل وجهة هو موليها) ، (لئلا يكون للنـاس) لليهود (عليكم حجة) فى خلاف مافى التوراة من تحويل القبلة . وأطلق اسم الحجة على قول المعاندين لأنهم يسوقونه سياق الحجة .

(٦) استثناء من الناس أى لئلا يكون حجة لأحد من اليهود إلا المعاندين منهم القائلين ماترك قبلتنا إلى الكعبة إلاميلا إلى دين قومه وحبًّا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الأنبياء عليهم السلام.

أو معناه لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض فى تركم التوجه إلى الكعبة التى هى قبلة إبراهيم وإسماعيل أبى العرب (إلا الذين ظلموا منهم) وهم أهل مكة حين يقولون بدا له فرجع إلى قبلة آبائه ويوشك أن يرجع الى دينهم . ثم استأنف منبها بقوله (فلا تخشوهم) .

(٧) فلا تخافوا مطاعنهم فى قبلتكم فإنهم لا يضرونكم .

(٨) فلا تخالفوا أمرى .

(٩) أى عرّفتكم لئلا يكون عليكم حجة ولأتم نعمتى عليكم بهدايتى إيا كم إلى الكعبة .

(١٠) ولكى تهتدوا إلى قبلة إبراهيم .

(١١) الكاف إما أن يتعلق بمـا قبله أى ولأتم نعمتى عليكم فى الآخرة بالثواب كما أتممتها

مِّنكُمْ (١) يَتْلُواْ (٢) عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا (٣) وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ (٤) وَٱلْحِكْمَةَ (٥) وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ (٦) ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ (٧) أَذْكُرْكُمْ (٨) وَٱشْكُرُواْ لِى (٩) وَلَا تَكْفُرُونِ (١٠) ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ (١١) وَٱلصَّلَوٰةِ (١٢) إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ (١٣) ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ (١٤) أَمْوَٰتٌۢ (١٥) بَلْ أَحْيَآءٌ (١٦) وَلَٰكِن

عليكم فى الدنيا بإرسال الرسول ؛ أو بما بعده أى كما ذكرتكم بإرسال الرسول فاذكرونى بالطاعة أذكركم بالثواب . فعلى هذا يوقف على (تهتدون) وعلى الأول لا .

(١) من العرب .

(٢) يقرأ عليكم .

(٣) القرآن .

(٤) القرآن .

(٥) السنة والفقه .

(٦) ما لا سبيل إلى معرفته إلا بالوحى .

(٧) بالمقدرة .

(٨) بالمغفرة . أو بالثناء والعطاء أو بالسؤال والنوال أو بالتوبة وعفو الحوبة أو بالإخلاص والخلاص أو بالمناجاة والنجاة .

(٩) ما أنعمت به عليكم .

(١٠) ولا تجحدوا نعمائى .

(١١) فبه تنال كل فضيلة .

(١٢) فإنها تنهى عن كل رذيلة .

(١٣) بالنصر والمعونة .

(١٤) نزلت فى شهداء بدر وكانوا أربعة عشر رجلا .

(١٥) أى هم أموات .

(١٦) أى هم أحياء .

لَا تَشْعُرُونَ(١) ۝ وَلَنَبْلُوَنَّكُم(٢) بِشَىْءٍ(٣) مِّنَ ٱلْخَوْفِ(٤) وَٱلْجُوعِ(٥) وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ(٦) وَٱلْأَنفُسِ(٧) وَٱلثَّمَرَٰتِ(٨) وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ(٩) ۝ ٱلَّذِينَ(١٠) إِذَآ أَصَٰبَتْهُم

(١) لاتعلمون ذلك لأن حياة الشهيد لاتعلم حسا. عن الحسن رضى الله عنه أن الشهداء أحياء عند الله تُعْرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل إليهم الرَّوْحُ والفَرَحُ كما تُعْرض النار على أرواح آل فرعون غدوا وعشيا فيصل إليهـم الوجع. وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيهـا .

(٢) ولنصيبنكم بذلك إصابة تشبه فعل المختبر لأحوالكم هل تصبرون على ما أنتم عليه من الطاعة أم لا .

(٣) بقليل من كل واحدة من هذه البلايا وطرف منه. وقلل ليؤذن أن كل بلاء أصاب الإنسان وإن جل ففوقه مايقلّ إليه، ويريَهم أن رحمته معهم فى كل حال. وأعلمهم بوقوع البلواء قبل وقوعها ليوطنوا نفوسهم عليها .

(٤) خوف الله والعدو .

(٥) أى القحط أو صوم شهر رمضان .

(٦) بموت المواشى أو الزكاة. وهو عطف على شىء أو على الخوف أى وشىء من نقص الأموال .

(٧) بالقتل والموت أو بالمرض والشيب .

(٨) ثمرات الحرث أو موت الأولاد لأن الولد ثمرة الفؤاد .

(٩) على هذه البلايا أو المسترجعين عند البلايا لأن الاسترجاع تسليم وإذعان. وفى الحديث من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته وأحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه. وطفئ سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (إنا لله وإنا اليه راجعون) فقيل أمصيبة هى؟ قال نعم كل شىء يؤذى المؤمن فهو مصيبة. والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل من يتأتى منه البشارة .

(١٠) نصب صفة للصابرين. ولا وقف عليه بل يوقف على (راجعون) . ومن ابتدأ بالذين وجعل الخبر (أولئك) يقف على الصابرين لا على راجعون. والأول الوجه لأن الذين وما بعده بيان للصابرين .

مُّصِيبَةٌ[1] قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ[2] وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ[3] ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ[4] وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ[5] ﴿١٥٧﴾ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ[6] مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ[7] فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ[8] أَوِ ٱعْتَمَرَ[9] فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ[10] أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا[11]

(١) مكروه . اسم فاعل من أصابته شدة أى لحقته . ولا وقف على مصيبة لأن قالوا جواب إذا . وإذا وجوابها صلة الذين .

(٢) إقرار له بالملك .

(٣) إقرار على نفوسنا بالهُلْك .

(٤) الصلاة الحنو والتعطف فوضعت موضع الرأفة وجمع بينها وبين الرحمة كقوله (رأفة ورحمة . رءوف رحيم) والمعنى عليهم رأفة بعد رأفة ورحمة بعد رحمة .

(٥) لطريق الصواب حيث استرجعوا وأذعنوا لأمر الله . قال عمر رضى الله عنه نعم العِدلان ونعم العِلاوة أى الصلاة والرحمة والاهتداء .

(٦) هما علمان للجبلين .

(٧) من أعلام مناسكه ومتعبداته جمع شعيرة وهى العلامة .

(٨) قصد الكعبة .

(٩) زار الكعبة . فالحج القصد والاعتمار الزيارة . ثم غلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين . وهما فى المعانى كالنجم والبيت فى الأعيان .

(١٠) فلا إثم عليه .

(١١) أى يتطوف فأدغم التاء فى الطاء . وأصل الطوف المشى حول الشىء . والمراد هنا السعى بينهما . قيل كان على الصفا أساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان يروى أنهما كانا رجلا وامرأة زنيا فى الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله وكان أهل الجاهلية إذا سعوا مسحوهما . فلما جاء الإسلام وكسرت الأوثان كره المسلمون الطواف بينهما لأجل فعل الجاهلية فرفع عنهم الجناح بقوله (فلا جناح) . وهو دليل على أنه ليس بركن كما قال مالك والشافعى رحمهما الله تعالى .

وَمَن تَطَوَّعَ[1] خَيْرًا[2] فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ[3] عَلِيمٌ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ[4] يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا[5] مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ[6] وَٱلْهُدَىٰ[7] مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ[8] لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ[9] أُولَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ[10] ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟[11] وَأَصْلَحُوا۟[12] وَبَيَّنُوا۟[13] فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ[14] وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ[15] أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ[16] ۝

---

(١) أى بالطواف بهما . وهو كذلك مشعر بأنه ليس بركن . ومن يطّوع حمزة وعلى أى يتطوع فأدغم التاء فى الطاء .

(٢) مجاز على القليل كثيرا .

(٣) بالأشياء صغيرا وكبيرا .

(٤) من احبار اليهود .

(٥) فى التوراة .

(٦) من الآيات الشاهدة على أمر محمد عليه السلام .

(٧) الهداية إلى الإسلام بوصفه عليه السلام .

(٨) أوضحناه .

(٩) فى التوراة . لم ندع فيه موضع إشكال فعمدوا إلى ذلك المبين فكتموه .

(١٠) الذين يتأتى منهم اللعن وهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين .

(١١) عن الكتمان وترك الإيمـان .

(١٢) ما أفسدوا من أحوالهم وتداركوا ما فرط منهم .

(١٣) وأظهروا ما كتموا .

(١٤) أقبل توبتهم .

(١٥) يعنى الذين ماتوا من هؤلاء الكاتمين ولم يتوبوا .

(١٦) ذكر لعنتهم أحياء ثم لعنتهم أمواتا. والمراد بالناس المؤمنون. أو المؤمنون والكافرون إذ بعضهم يلعن بعضا يوم القيامة قال الله تعالى (كلما دخلت أمة لعنت أختها) .

خَٰلِدِينَ(١) فِيهَا لَا يُخَفَّفُ(٢) عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ(٣) ۝ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ(٤) لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ(٥) ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ(٦) ۝ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ(٧) وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ(٨) ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ(٩) ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ(١٠) فَأَحْيَا بِهِ(١١) ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا(١٢) وَبَثَّ(١٣)

---

(١) حال من هم فى عليهم .

(٢) فى اللعنة أو فى النار إلا أنها أضمرت تفخيما لشأنها وتهويلا .

(٣) من الإنظار أى لا يمهلون أو لا ينتظرون ليعتذروا ، أو لا ينظر إليهم نظر رحمة .

(٤) فرد فى ألوهيته لا شريك له فيها ولا يصح أن يسمى غيره إلها .

(٥) تقرير للوحدانية بنفى غيره وإثباته . وموضع (هو) رفع لأنه بدل من موضع (لا إله) ولا يجوز النصب هنا لأن البدل يدل على أن الاعتماد على الثانى والمعنى فى الآية على ذلك والنصب يدل على أن الاعتماد على الأول .

(٦) أى المُولى لجميع النعم أصولها وفروعها ولا شىء سواه بهذه الصفة فما سواه إما نعمة وإما منعم عليه . ورفع على أنه خبر مبتدأ أو على البدل من هو لا على الوصف لأن المضمر لا يوصف .

لما عجب المشركون من إله واحد وطلبوا آية على ذلك نزل (إن فى خلق السموات والأرض) .

(٧) فى اللون والطول والقصر وتعاقبهما فى الذهاب والمجىء .

(٨) بالذى ينفعهم مما يحمل فيها ، أو بنفع الناس .

(٩) من لابتداء الغاية .

(١٠) مطر . ومن لبيان الجنس لأن ما ينزل من السماء مطر وغيره . ثم عطف على أنزل (فأحيا به) .

(١١) بالماء .

(١٢) يبسها . ثم عطف على (فأحيا) ، (وبثّ) .

(١٣) وفرّق .

فِيهَا[١] مِن كُلِّ دَآبَّةٍ[٢] وَتَصْرِيفِ الرِّيَـٰحِ[٣] وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ[٤] بَيْنَ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ[٥] لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ[٦] ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ النَّاسِ[٧] مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا[٨] يُحِبُّونَهُمْ[٩] كَحُبِّ اللَّهِ[١٠] وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ[١١] وَلَوْ يَرَى[١٢] الَّذِينَ ظَلَمُوٓا[١٣]

(١) فى الأرض .

(٢) هى كل ما يدب .

(٣) الريح حمزة وعلىّ . أى وتقليبها فى مهابها قَبولا ودَبورا وجنوبا وشمالا ، وفى أحوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقما ولواقح . وقيل تارة بالرحمة وطورا بالعذاب .

(٤) المذلل المنقاد لمشيئة الله تعالى فيمطر حيث شاء .

(٥) فى الهواء .

(٦) ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون فيستدلون بهذه الأشياء على قدرة موجدها وحكمة مبدعها ووحدانيـة منشئها . وفى الحديث ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بهـا أى لم يتفكر فيها ولم يعتبر بهـا .

(٧) أى (و) مع هذا البرهان النير (من الناس من يتخذ من دون الله أندادا) .

(٨) أمثالا من الأصنام .

(٩) يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب .

(١٠) كتعظيم الله والخضوع له . أى يحبون الأصنام كما يحبون الله يعنى يسوّون بينهم وبينه فى محبتهم لأنهم كانوا يقرون بالله ويتقربون إليه . وقيل يحبونهم كحب المؤمنين الله .

(١١) من المشركين لآلهتهم لأنهـم لا يعدلون عنه إلى غيره بحال والمشركون يعدلون عن أندادهم إلى الله عند الشدائد فيفزعون إليه ويخضعون له .

(١٢) (ترى) نافع وشامى على خطاب الرسول أو كل مخاطب . أى ولو ترى ذلك لرأيت أمرا عظيما .

(١٣) إشارة إلى متخذى الأنداد .

إِذْ يَرَوْنَ[1] ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا[2] وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ[3] ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ[4]
ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟[5] مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟[6] وَرَأَوُا۟[7] ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ[8] بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ[9] ﴿١٦٦﴾
وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟[10] لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً[11] فَنَتَبَرَّأَ[12] مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا[13] كَذَٰلِكَ[14]

---

(١) (يُرون) شامى .

(٢) حال .

(٣) شديد عذابه . أى ولو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم أن القــدرة كلها لله تعالى على كل شىء من الثواب والعقاب دون أندادهم ، ويعلمون شدة عقابه للظالمين إذا عاينوا العذاب يوم القيامة ، لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة. فحذف الجواب لأن لو إذا جاء فيما يشوق إليه أو يخوف منه قلما يوصل بجواب ليذهب القلب فيه كل مذهب . ولو يليها المـاضى وكذا إذ وضعها لتدل على المـاضى . وإنما دخلتا على المستقبل هنا لأن إخبار الله تعالى عن المستقبل باعتبار صدقه كالمـاضى .

(٤) مدغمة الذال فى التاء حيث وقعت عراقى غير عاصم . وهو بدل من إذ يرون العذاب .

(٥) أى المتبَعون وهم الرؤساء .

(٦) من الأتباع .

(٧) الواو فيه للحال أى تبرءوا فى حال رؤيتهم العذاب .

(٨) عطف على تبرأ .

(٩) الوُصَل التى كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الأنساب والمحاب .

(١٠) أى الأتباع .

(١١) رجعة إلى الدنيا .

(١٢) نصب على جواب التمنى لأن لو فى معنى التمنى والمعنى ليت لنا كرة فنتبرأ .

(١٣) الآن .

(١٤) مثل ذلك الإراء الفظيع .

يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ(١) حَسَرَٰتٍ(٢) عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ(٣) ﴿١٦٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ(٤) كُلُوا۟(٥) مِمَّا(٦) فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا(٧) طَيِّبًا(٨) وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ(٩) إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ(١٠) ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا(١١) يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ(١٢) وَٱلْفَحْشَآءِ(١٣) وَأَن تَقُولُوا۟(١٤) عَلَى

(١) أى عبادتهم الأوثان .

(٢) ندامات وهى مفعول ثالث ليريهم. ومعناه أن أعمالهم تنقلب عليهم حسرات فلا يرون إلا حسرات مكان أعمالهم .

(٣) بل هم فيها دائمون .

(٤) نزل فيمن حرّموا على أنفسهم البحائر ونحوها .

(٥) أمر إباحة .

(٦) من للتبعيض لأن كل ما فى الأرض ليس بمأكول .

(٧) مفعول كلوا أو حال مما فى الأرض .

(٨) طاهرا من كل شبهة .

(٩) طرقه التى يدعوكم إليهـا . بسكون الطاء أبو عمرو غير عباس ونافع وحمزة وأبو بكر. والخطوة فى الأصل ما بين قدمى الخاطى . يقال اتبع خطواته إذا اقتدى به واستن بسنته .

(١٠) ظاهر العداوة لا خفاء به . وأبان متعد ولازم . ولا يناقض هذه الآية قوله تعالى (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت) أى الشيطان ، لأنه عدو للناس حقيقة ووليهم ظاهرا . فإنه يريهم فى الظاهر الموالاة ويزين لهم أعمالهم ويريد بذلك هلاكهم فى الباطن .

(١١) بيـان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته . أى لا يأمركم بخير قط (إنمـا يأمركم بالسوء) .

(١٢) بالقبيح أو ما لا حدّ فيه .

(١٣) وما يتجاوز الحد فى القبح من العظائم . أو الفحشاء ما فيه حد .

(١٤) فى موضع الجر بالعطف على (بالسوء) أى وبأن تقولوا .

ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ(١) ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ(٢) ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا(٣) عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ(٤) أَوَلَوۡ(٥) كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـًٔا(٦) وَلَا يَهۡتَدُونَ(٧) ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ(٨) ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ(٩) بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً(١٠) صُمُّۢ(١١) بُكۡمٌ(١٢) عُمۡيٌ(١٣) فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ(١٤) ﴿١٧١﴾ يَٰٓأَيُّهَا(١٥) ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ

(١) هو قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف إلى الله تعالى مما لا يجوز عليه .

(٢) الضمير للناس . وعدل بالخطاب عنهم على طريق الالتفات . قيل هم المشركون . وقيل طائفة من اليهود . لما دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان واتباع القرآن (قالوا بل نتّبع ما ألفينا عليه آباءنا) .

(٣) وجدنا .

(٤) فإنهم كانوا خيرا منا وأعلم . فردّ الله عليهم بقوله (أو لو كان ...)

(٥) الواو للحال . والهمزة بمعنى الرد والتعجب . معناه أيتبعونهم (ولو كان آباؤهم) .

(٦) من الدين .

(٧) للصواب . ثم ضرب لهم مثلا فقال (ومثل الذين كفروا)

(٨) المضاف محذوف أى (ومثل) داعى (الذين كفروا) .

(٩) يصيح .

(١٠) المراد البهائم . والمعنى ومثل داعيهم إلى الإيمان فى أنهم لا يسمعون من الدعاء إلا جَرْس النغمة ودوىّ الصوت من غير إلقاء أذهان ولا استبصار ، كمثل الناعق بالبهائم التى لا تسمع إلا دعاء الناعق ونداءه الذى هو تصويت بها وزجر لها ولا تفقه شيئا آخر كما يفهم العقلاء . والنعيق التصويت . يقال نعق المؤذن ونعق الراعى بالضأن . والنداء ما يسمع . والدعاء قد يسمع وقد لا يسمع .

(١١) خبر مبتدأ مضمر أى هم صم .

(١٢) خبر ثان .

(١٣) عن الحق . خبر ثالث .

(١٤) الموعظة .

(١٥) بين أن ما حرمه المشركون حلال فقال (يا أيها الذين آمنوا) .

مَا رَزَقْنَٰكُمْ[١] وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ[٢] إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ[٣] ﴿﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ[٤] وَٱلدَّمَ[٥] وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ[٦] وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ[٧] فَمَنِ ٱضْطُرَّ[٨] غَيْرَ[٩] بَاغٍ[١٠] وَلَا عَادٍ[١١] فَلَآ إِثْمَ[١٢] عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ[١٣] رَّحِيمٌ[١٤] ﴿﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ[١٥] يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ

---

(١) من مستلذاته أو من حلالاته .

(٢) الذى رزقكموها .

(٣) إن صح أنكم تخصونه بالعبادة وتقرون أنه معطى النعم . ثم بين المحرم فقال (إنما حرم عليكم ...) .

(٤) وهى كل ما فارقه الروح من غير ذكاة مما يذبح . و(إنما) لإثبات المذكور ونفى ما عداه أى ما حرم عليكم إلا الميتة .

(٥) يعنى السائل لقوله فى موضع آخر (أو دما مسفوحا) . وقد حلت الميتتان والدمان بالحديث : أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال .

(٦) يعنى الخنزير بجميع أجزائه . وخص اللحم لأنه المقصود بالأكل .

(٧) أى ذبح للأصنام فذكر عليه غير اسم الله . وأصل الإهلال رفع الصوت . أى رفع به الصوت للصنم . وذلك قول أهل الجاهلية باسم اللات والعزى .

(٨) أى ألجئ . بكسر النون بصرى وحمزة وعاصم لالتقاء الساكنين أعنى النون والضاد . وبضمها غيرهم لضمة الطاء .

(٩) حال . أى فأكل (غير باغ) .

(١٠) للذة وشهوة .

(١١) متعدّ مقدار الحاجة . وقول من قال (غير باغ) على الإمام (ولا عاد) فى سفر حرام ، ضعيف لأن سفر الطاعة لا يبيح بلا ضرورة . والحبس بالحضر يبيح بلا سفر . ولأن بغيه لا يُخرج عن الإيمان فلايستحق الحرمان . والمضطر يباح له قدر ما يقع به القوام وتبقى معه الحياة دون ما فيه حصول الشبع لأن الإباحة للاضطرار فتقدر بقدر ما تندفع الضرورة .

(١٢) فى الأكل .

(١٣) للذنوب الكبائر فأنّى يؤاخذ بتناول الميتة عند الاضطرار .

(١٤) حيث رخص .

(١٥) نزل فى رؤساء اليهود وتغييرهم نعت النبى عليه السلام وأخذهم على ذلك الرشا .

مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا(١) أُو۟لَٰٓئِكَ(٢) مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ(٣) إِلَّا ٱلنَّارَ(٤) وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ(٥) وَلَا يُزَكِّيهِمْ(٦) وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(٧) ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ(٨) فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ(٩) ۝ ذَٰلِكَ(١٠) بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟(١١) فِى ٱلْكِتَٰبِ(١٢) لَفِى شِقَاقٍ(١٣) بَعِيدٍ(١٤) ۝ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟(١٥)

(١) فى صفة محمد عليه السلام .

(٢) أى عوضا أو ذا ثمن .

(٣) ملء بطونهم . تقول أكل فلان فى بطنه وأكل فى بعض بطنه . فحرف النفى مع الفعل خبر أولئك . وأولئك مع خبره خبر إن .

(٤) لأنه إذا أكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكأنه أكل النـار . ومنه قولهم "أكل فلان الدم" إذا أكل الدية التى هى بدل منه . قال "يأكلن كل ليلة إكافا" أى ثمن إكاف فسماه إكافا لتلبسه به بكونه ثمنا له .

(٥) كلاما يسرهم ، ولكن بنحو قوله (اخسئوا فيها ولا تكلمون) .

(٦) ولا يطهرهم من دنس ذنوبهم . أو لا يثنى عليهم .

(٧) مؤلم . والجمل الثلاث معطوفة على خبر إن فقد صار لإنّ أربعة أخبار من الجمل .

(٨) بكتمان نعت محمد عليه السلام .

(٩) فأىّ شيء أصبرهم على عمل يؤدى إلى النار . وهذا استفهام معناه التوبيخ .

(١٠) أى ذلك العذاب بسبب أن الله نزل ما نزل من الكتب بالحق .

(١١) أى أهل الكتاب .

(١٢) هو للجنس أى فى كتب الله فقالوا فى بعضها حق وفى بعضها باطل .

(١٣) خلاف .

(١٤) عن الحق .

أو كفرهم ذلك بسبب أن الله نزل القرآن بالحق كما يعلمون وإن الذين اختلفوا فيه لفى شقاق بعيد عن الهدى .

(١٥) أى ليس البر توليتكم .

وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ (١) وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ (٢) وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ (٣) وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ (٤) وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ (٥) ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ (٦) وَٱلْيَتَٰمَىٰ (٧) وَٱلْمَسَٰكِينَ (٨) وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ (٩) وَٱلسَّآئِلِينَ (١٠) وَفِى ٱلرِّقَابِ (١١)

---

(١) الخطاب لأهل الكتاب لأن قبلة النصارى مشرق بيت المقدس وقبلة اليهود مغربه وكل واحد من الفريقين يزعم أن البر التوجه إلى قبلته . فرد عليهم بأن البر ليس فيما أنتم عليه فإنه منسوخ . وقيل كثر خوض المسلمين وأهل الكتاب فى أمر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذى يجب أن تذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البر أمر القبلة ولكن البر الذى يجب الاهتمام به برّ من آمن وقام بهذه الأعمال . ليس البر بالنصب على أنه خبر ليس واسمه أن تولوا حمزة وحفص .

(٢) بر من آمن بالله . أو ذا البر من آمن والقولان على حذف المضاف والأول أجود . والبر اسم للخير ولكل فعل مرضى . ولكنْ البرُّ نافع وشامى . وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت ولكنَّ البَرَّ . وقرئ ولكنّ البار .

(٣) أى يوم البعث .

(٤) أى جنس كتب الله . أو القرآن .

(٥) أى على حب الله أو حب المال أو حب الإيتاء يريد أن يعطيه وهو طيب النفس بإعطائه .

(٦) أى القرابة . وقدمهم لأنهم أحق قال عليه الصلاة والسلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذوى رحمك صدقة وصلة .

(٧) المراد الفقراء من ذوى القربى واليتامى وإنما أطلق لعدم الإلباس .

(٨) المسكين الدائم السكون إلى الناس لأنه لا شيء له كالسكير للدائم السكر .

(٩) المسافر المنقطع وهو جنس وإن كان مفردا لفظا . وجعل ابنا للسبيل لملازمته له . أو الضيف .

(١٠) المستطعمين .

(١١) وفى معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم . أو فى فك الأسارى .

وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ[١] وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ[٢] وَٱلْمُوفُونَ[٣] بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُواْ[٤] وَٱلصَّـٰبِرِينَ[٥] فِى ٱلْبَأْسَآءِ[٦] وَٱلضَّرَّآءِ[٧] وَحِينَ ٱلْبَأْسِ[٨] أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ[٩] وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ[١٠] عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ[١١] فِى ٱلْقَتْلَى[١٢] ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ[١٣] وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ

(١) المكتوبة .

(٢) المفروضة قيل هو تأكيد للأول وقيل المراد بالأول نوافل الصدقات والمبارّ .

(٣) عطف على من آمن .

(٤) الله أو الناس .

(٥) نصب على المدح والاختصاص إظهارا لفضل الصبر فى الشدائد ومواطن القتال على سائر الأعمال .

(٦) الفقر والشدة .

(٧) المرض والزمانة .

(٨) وقت القتال .

(٩) أى أهل هذه الصفة هم الذين صدقوا فى الدين .

(١٠) روى أنه كان بين حيين من أحياء العرب دماء فى الجاهلية وكان لأحدهما طَول على الآخر فأقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالأنثى والاثنين بالواحد. فتحاكموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاء الله بالإسلام فنزل (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص) أى فرض.

(١١) وهو عبارة عن المساواة وأصله من قص أثره واقتصه إذا اتبعه ومنه القاصّ لأنه يتبع الآثار والأخبار .

(١٢) جمع قتيل . والمعنى فرض عليكم اعتبار المماثلة والمساواة بين القتلى .

(١٣) مبتدا وخبر أى الحر مأخوذ أو مقتول بالحر . وقال الشافعى رحمه الله لا يقتل الحر بالعبد لهذا النص . وعندنا يجرى القصاص بين الحر والعبد بقوله تعالى (أن النفس بالنفس) كما بين الذكر والأنثى . وبقوله عليه السلام : المسلمون تتكافأ دماؤهم . وبأن التفاضل غير معتبر فى الأنفس بدليل أن جماعة لو قتلوا واحدا قتلوا به . وبأن تخصيص الحكم بنوع لا ينفيه عن نوع آخر بل يبقى الحكم فيه موقوفا على ورود دليل آخر وقد ورد كما بينا .

فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ (١) ذَٰلِكَ (٢) تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ (٣) فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ (٤) فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٥) ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ (٦)

---

(١) قالوا العفو ضد العقوبة يقال عفوت عن فلان إذا صفحت عنه وأعرضت عن أن تعاقبه. وهو يتعدى بعن إلى الجانى وإلى الجناية (ثم عفونا عنكم. ويعفو عن السيآت) وإذا اجتمعا عدى إلى الأول باللام فتقول عفوت له عن ذنبه ومنه الحديث عفوت لكم عن صدقة الخيل والرقيق. وقال الزجاج (من عفى له) أى من ترك له القتل بالدية. وقال الأزهرى العفو فى اللغة الفضل ومنه (يسألونك ماذا ينفقون قل العفو) ويقال عفوت لفلان بمال إذا أفضلت له وأعطيته وعفوت له عما لى عليه إذا تركته. ومعنى الآية عند الجمهور فمن عفى له من جهة أخيه شىء من العفو، على أن الفعل مسند إلى المصدر كما فى سير بزيد بعض السير. والأخ ولىّ المقتول. وذكر بلفظ الأخوة بعثا له على العطف لما بينهما من الجنسية والإسلام. و(مَن) هو القاتل المعفو له عما جنى. وترك المفعول الآخر استغناء عنه. وقيل أقيم له مقام عنه. والضمير فى له وأخيه لمن ؛ وفى إليه للأخ أو للتبع الدال عليه (فاتباع) لأن المعنى فليتبع الطالب القاتل بالمعروف بأن يطالبه مطالبة جميلة. وليؤد إليه المطلوبُ أى القاتل بدلَ الدم أداء بإحسان بألا يمطله ولا يبخسه. وإنما قيل شىء من العفو ليعلم أنه إذا عفا عن بعض الدم أو عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص. ومن فسر (عفى) بترك جعل شىء مفعولا به. وكذا من فسره بأعطى. يعنى أن الولى إذا أعطى له شىء من مال أخيه يعنى القاتل بطريق الصلح فليأخذه بمعروف من غير تعنيف وليؤده القاتل اليه بلا تسويف. وارتفاع (اتباع) بأنه خبر مبتدأ مضمر أى فالواجب اتباع.

(٢) (ذلك) الحكم المذكور من العفو وأخذ الدية.

(٣) فإنه كان فى التوراة القتل لا غير وفى الإنجيل العفو بغير بدل لا غير وأبيح لنا القصاص والعفو وأخذ المال بطريق الصلح توسعة وتيسيرا. والآية تدل على أن صاحب الكبيرة مؤمن للوصف بالإيمان بعد وجود القتل، ولبقاء الأخوة الثابتة بالإيمان، ولاستحقاق التخفيف والرحمة.

(٤) (بعد ذلك) التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل أو القتل بعد أخذ الدية.

(٥) نوع من العذاب شديد الألم فى الآخرة.

(٦) كلام فصيح لما فيه من الغرابة إذ القصاص قتل وتفويت للحياة وقد جعل ظرفا

يَـٰٓأُولِى ٱلۡأَلۡبَـٰبِ (١) لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ (٢) ۝ كُتِبَ (٣) عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ (٤) إِن تَرَكَ خَيۡرًا (٥) ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ (٦) بِٱلۡمَعۡرُوفِ (٧) حَقًّا (٨) عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ (٩) ۝ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ (١٠) بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ (١١) فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ

للحياة. وفى تعريف القصاص وتنكير الحياة بلاغة بينة لأن المعنى ولكم فى هذا الجنس من الحكم الذى هو القصاص حياة عظيمة لمنعه عما كانوا عليه من قتل الجماعة بواحد متى اقتدروا فكان القصاص حياة وأى حياة. أو نوع من الحياة وهى الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالقصاص من القاتل لأنه إذا هم بالقتل فتذكر الاقتصاص ارتدع فسلم صاحبه من القتل وهو من القود فكان شرع القصاص سبب حياة نفسين .

(١) يا ذوى العقل .

(٢) (تتقون) القتل حذرا من القصاص .

(٣) فرض .

(٤) أى إذا دنا منه فظهرت أمارته .

(٥) مالا كثيرا . لما روى عن على رضى الله عنه أن مولى له أراد أن يوصى وله سبعمائة فمنعه وقال قال الله تعالى (إن ترك خيرا) والخير هو المال الكثير وليس لك مال . وفاعل (كُتب) الوصية .

(٦) وكانت الوصية للوارث فى بدء الإسلام فنسخت بآية المواريث كما بيناه فى شرح المنار . وقيل هى غير منسوخة لأنها نزلت فى حق من ليس بوارث بسبب الكفر لأنهم كانوا حديثى عهد بالإسلام يسلم الرجل ولا يسلم أبواه وقرابته والإسلام قطع الإرث فشرعت الوصية فيما بينهم قضاء لحق القرابة ندبا . وعلى هذا لا يراد بكتب فرض .

(٧) بالعدل وهو ألا يوصى للغنى ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث .

(٨) مصدر مؤكد أى حق ذلك حقا .

(٩) على الذين يتقون الشرك .

(١٠) فمن غير الإيصاء عن وجهه إن كان موافقا للشرع من الأوصياء والشهود .

(١١) أى الإيصاء .

يُبَدِّلُونَهُۥٓ(١) إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ(٢) عَلِيمٌ(٣) ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ(٤) مِن مُّوصٍ(٥) جَنَفًا(٦) أَوْ إِثْمًا(٧) فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ(٨) فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ(٩) إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ(١٠) عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ(١١) كَمَا كُتِبَ(١٢) عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ(١٣) لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(١٤) ﴿١٨٣﴾

---

(١) فما إثم التبديل إلا على مبدليه دون غيرهم من الموصى والموصى له لأنهما بريئان من الحيف .

(٢) لقول الموصى .

(٣) بجور المبدل .

(٤) علم . وهذا شائع فى كلامهم يقولون أخاف أن ترسل السماء ويريدون الظن الغالب الجارى مجرى العلم .

(٥) موصّ كوفى غير حفص .

(٦) ميلا عن الحق بالخطأ فى الوصية .

(٧) تعمدا للحيف .

(٨) بين الموصَى لهم وهم الوالدان والأقربون بإجرائهم على طريق الشرع .

(٩) حينئذ لأن تبديله تبديل باطل إلى حق. ذكر من يبدل بالباطل ثم من يبدل بالحق ليعلم أن كل تبديل لا يؤثم . وقيل هذا فى حال حياة الموصى . أى فمن حضر وصيته فرآه على خلاف الشرع فنهاه عن ذلك وحمله على الصلاح فلا إثم على هذا الموصى بما قال أولا .

(١٠) أى فرض .

(١١) هو مصدر صام والمراد صيام شهر رمضان .

(١٢) أى كتابة مثل ما كتب فهو صفة مصدر محذوف .

(١٣) على الأنبياء والأمم من لدن آدم عليه السلام إلى عهدكم فهو عبادة قديمة . والتشبيه باعتبار أن كل أحد له صوم أيام أى أنتم متعبدون بالصيام فى أيام كما تعبد من كان قبلكم .

(١٤) المعاصى بالصيام لأن الصيام أظلف لنفسه وأردع لها من مواقعة السوء . أو لعلكم تنتظمون فى زمرة المتقين إذ الصوم شعارهم .

أَيَّامًا(١) مَّعْدُودَاتٍ(٢) فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا(٣) أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ(٤) فَعِدَّةٌ(٥) مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ(٦) وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ(٧) فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ(٨) فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا(٩) فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ(١٠) وَأَن تَصُومُوا۟(١١) خَيْرٌ لَّكُمْ(١٢) إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ(١٣) ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ(١٤)

---

(١) انتصاب (أياما) بالصيام أى (كتب عليكم) أن تصوموا (أياما) .

(٢) موقّتات بعدد معلوم أى قلائل وأصله أن المال القليل يقدر بالعدد لا الكثير .

(٣) يخاف من الصوم زيادة المرض .

(٤) أو راكب سفر .

(٥) فعليه عدة أى فأفطر فعليه صيام عدد أيام فطره . والعدة بمعنى المعدود أى أمر أن يصوم أياما معدودة مكانها .

(٦) سوى أيام مرضه وسفره . وأخر لا ينصرف للوصف والعدل عن الألف واللام لأن الأصل فى فعلى صفة أن تستعمل فى الجمع بالألف واللام كالكبرى والكبر والصغرى والصغر .

(٧) وعلى المطيقين للصيام الذين لاعذر لهم إن أفطروا .

(٨) نصف صاع من بر أو صاع من غيره . فطعام بدل من فدية . (فديةُ طعامِ مساكين) مدنى وابن ذكوان . وكان ذلك فى بدء الإسلام . فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم فى الإفطار والفدية ثم نسخ التخيير بقوله (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) ولهذا كرر قوله (فمن كان منكم مريضا أو على سفر) لأنه لما كان مذكورا مع المنسوخ ذكر مع الناسخ ليدل على بقاء هذا الحكم . وقيل معناه لا يطيقونه فأضمر لا لقراءة حفصة كذلك . وعلى هذا لا يكون منسوخا .

(٩) فزاد على مقدار الفدية .

(١٠) فالتطوع أو الخير خير له . (يطوع) بمعنى يتطوع حمزة وعلىّ .

(١١) أيها المطيقون .

(١٢) من الفدية وتطوع الخير . وهذا فى الابتداء . وقيل وأن تصوموا فى السفر والمرض خير لكم لأنه أشق عليكم .

(١٣) شرط محذوف الجواب .

(١٤) مبتدأ خبره (الذى) . أو هو بدل من الصيام أو خبر مبتدأ محذوف أى هو شهر . والرمضان مصدر رمض إذا احترق من الرمضاء . فأضيف إليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف

ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى[١] لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ[٢] فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ[٣] وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ[٤] مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ[٥] وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ[٦] وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ[٧]

للتعريف والألف والنون . وسموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع ومقاساة شدّته، ولأنهم سموا الشهور بالأزمنة التى وقعت فيها فوافق هذا الشهر أيام رمَض الحر. فإن قلت ماوجه ماجاء فى الحديث من صام رمضان إيمانا واحتسابا، مع أن التسمية واقعة مع المضاف والمضاف إليه جميعا ؟ قلت هو من باب الحذف لأمن الإلباس .

(١) أى ابتدئ فيه إنزاله وكان ذلك فى ليلة القدر أو أنزل فى شأنه القرآن وهو قوله تعالى (كتب عليكم الصيام) . القرآن حيث كان غير مهموز مكى .

(٢) انتصب على الحال أى أنزل وهو هداية للنـاس إلى الحق وهو آيات واضحـات مكشوفات ممـا يهدى إلى الحق ويفرق بين الحق والباطل . ذكر أولا أنه هدى ثم ذكر أنه بينات من جملة ما هدى به الله وفرق بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال .

(٣) فمن كان شاهدا أى حاضرا مقيما غير مسافر فى الشهر فليصم فيـه ولا يفطر . والشهر منصوب على الظرف وكذا الهـاء فى ليصمه ولا يكون مفعولا به لأن المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر .

(٤) فعدة مبتدأ والخبر محذوف أى فعليه عدة أى صوم عدة .

(٥) حيث أباح الفطر بالسفر والمرض .

(٦) ومَن فرَض الفطر على المريض والمسافر حتى لو صاما تجب عليهما الإعادة، فقد عدل عن موجب هذا .

(٧) عدة ما أفطرتم بالقضـاء إذا زال المرض والسفر . والفعـل المعلل محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره لتعلموا (ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون)، شرع ذلك . يعنى جملة ما ذكر من أمر الشاهد بصوم الشهر، وأمر المرخص له بمراعاة عدة ما أفطر

وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ(١) مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ(٢) أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ(٣) فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى(٤) وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى(٥) لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ(٦) ۝ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ(٧) إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ(٨)

فيه، ومن الترخيص فى إباحة الفطر. فقوله (لتكملوا) علة الأمر بمراعاة العدة. (ولتكبروا) علة ما علم من كيفية القضاء والخروج من عهدة الفطر. و(لعلكم تشكرون) علة الترخيص. وهذا نوع من اللف اللطيف المسلك. ولتكملوا بالتشديد أبو بكر.

(١) عدى التكبير بعلى لتضمنه معنى الحمد كأنه قيل لتكبروا الله أى لتعظموه حامدين على ما هداكم إليه .

(٢) علما وإجابة لتعاليه عن القرب مكانا . ولما قال أعرابى لرسول الله صلى الله عليه وسلم أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه نزل (وإذا سألك عبادى عنى) .

(٣) الداعى دعانى فى الحالين سهل ويعقوب. ووافقهما أبو عمرو ونافع غير قالون فى الوصل. غيرهم بغير ياء فى الحالين . ثم إجابة الدعاء وعد صدق من الله لا خلف فيه غير أن إجابة الدعوة تخالف قضاء الحاجة . فإجابة الدعوة أن يقول العبد يارب فيقول الله لبيك عبدى وهذا أمر موعود موجود لكل مؤمن . وقضاء الحاجة إعطاء المراد وذا قد يكون ناجزا وقد يكون بعد مدة وقد يكون فى الآخرة وقد تكون الخيرة له فى غيره .

(٤) إذا دعوتهم للإيمان والطاعة كما أنى أجيبهم إذا دعونى لحوائجهم .

(٥) واللام فيهما للأمر .

(٦) ليكونوا على رجاء من إصابة الرشد وهو ضد الغى .

(٧) أى الجماع . كان الرجل إذا أمسى حل له الأكل والشرب والجماع إلى أن يصلى العشاء الآخرة أو يرقد فإذا صلاها أو رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء إلى القابلة . ثم إن عمر رضى الله عنه واقع أهله بعد صلاة العشاء الآخرة فلما اغتسل أخذ يبكى ويلوم نفسه فأتى النبى عليه السلام وأخبره بما فعل فقال عليه السلام ما كنت جديرا بذلك فنزل (أحل لكم) .

(٨) عدى بإلى لتضمنه معنى الإفضاء. وإنما كنى عنه بلفظ الرفث الدال على معنى القبح ولم يقل الإفضاء إلى نسائكم ، استقباحا لما وجد منهم قبل الإباحة كما سماه اختيانا لأنفسهم

هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ (١) عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ (٢) فَتَابَ عَلَيْكُمْ (٣) وَعَفَا عَنكُمْ (٤) فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ (٥) وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ (٦) وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ (٧) مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ (٨) مِنَ ٱلْفَجْرِ (٩)

---

(١) لمـّا كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشـتمل كل واحد منهما على صاحبه فى عناقه، شبه باللباس المشتمل عليه . وقيل لباس أى ستر عن الحرام . و(هن لباس لكم) استئناف كالبيان لسبب الإحلال . وهو أنه إذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذا رخص لكم فى مباشرتهن .

(٢) تظلمونها بالجماع وتنقصونها حظها من الخير. والاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة .

(٣) حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور .

(٤) ما فعلتم قبل الرخصة .

(٥) جامعوهن فى ليالى الصوم. وهو أمر إباحة. وسميت المجامعة مباشرة لالتصاق بشرتيهما.

(٦) واطلبوا ما قسم الله لكم وأثبت فى اللوح من الولد بالمباشرة . أى لا تباشروا لقضـاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسـل . أو (وابتغوا) المحل الذى كتبه الله لكم وحلله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم .

(٧) هو أول ما يبدو من الفجر المعترض فى الأفق كالخيط الممدود .

(٨) وهو مايمتد من سواد الليل . شبها بخيطين أبيض وأسود لامتدادهما .

(٩) بيان أنّ الخيط الأبيض من الفجر لا من غيره . واكتفى به عن بيان الخيط الأسود لأن بيان أحدهما بيان للآخر . أو من للتبعيض لأنه بعض الفجر وأوله . وقوله من الفجر أخرجه من باب الاستعارة وصيره تشبيها بليغا كما أن قولك رأيت أسدا مجاز فإذا زدت من فلان رجع تشبيهـا . وعن عدى بن حاتم قال عمدت إلى عقالين أبيض وأسود فجعلتهما تحت وسادتى فنظرت إليهما فلم يتبين لى الأبيض من الأسود فأخبرت النبي عليه السلام بذلك فقال "إنك لعريض القفا" — أى سليم القلب، لأنه مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته — "إنما ذلك بياض النهار وسواد الليل" .

ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ[1] إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ[2] فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ[3] حُدُودُ اللَّهِ[4] فَلَا تَقْرَبُوهَا[5] كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ[6] لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ[7] ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم[8] بِالْبَاطِلِ[9] وَتُدْلُوا بِهَا[10] إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا[11] فَرِيقًا[12]

---

(١) أى الكف عن هذه الأشياء . وفيه دليل على جواز النية بالنهار فى صوم رمضان، وعلى جواز تأخير الغسل إلى الفجر ، وعلى نفى الوصال ، وعلى وجوب الكفارة فى الأكل والشرب ، وعلى أن الجنابة لا تنافى الصوم .

(٢) معتكفون فيها . بين أن الجماع يحل فى ليالى رمضان لكن لغير المعتكف . والجملة فى موضع الحال . وفيه دليل على أن الاعتكاف لا يكون إلا فى المسجد وأنه لا يختص به مسجد دون مسجد .

(٣) الأحكام التى ذكرت .

(٤) أحكامه المحدودة .

(٥) بالمخالفة والتغيير .

(٦) شرائعه .

(٧) المحارم .

(٨) أى لا يأكل بعضكم مال بعض .

(٩) بالوجه الذى لم يبحه الله ولم يشرعه .

(١٠) ولا تدلوا بها فهو مجزوم داخل فى حكم النهى يعنى ولا تلقوا أمرها والحكومة فيها إلى الحكام . وقيل (وتدلوا بها) وتلقوا بعضها إلى حكام السوء على وجه الرشوة . يقال أدلى دلوه أى ألقاه فى البئر للاستسقاء .

(١١) بالتحاكم .

(١٢) طائفة .

مِنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ(١) وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ(٢) ۝ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ(٣) قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ(٤) وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا(٥) وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ(٦)

(١) بشهادة الزور أو بالأيمان الكاذبة أو بالصلح مع العلم بأن المقضى له ظالم. وقال عليه السلام للخصمين إنما أنا بشر وأنتم تختصمون إلىّ ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع منه. فمن قضيت له بشىء من حق أخيه فلا يأخذن منه شيئا فإن ما أقضى له قطعة من نار . فبكيا وقال كل واحد منهما حق لصاحبى .

(٢) أنكم على الباطل.وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها أقبح وصاحبه بالتوبيخ أحق.

(٣) جمع هلال سمى به لرفع الناس أصواتهم عند رؤيته . قال معاذ بن جبل يارسول الله ما بال الهلال يبــدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويسـتوى ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة واحدة كالشمس فنزل (يسئلونك عن الأهلة) .

(٤) أى معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدّة نسائهم وأيام حيضهن ومدة حملهن وغير ذلك ، ومعالم للحج يعرف بها وقته .

(٥) كان ناس من الأنصار إذا أحرموا لم يدخل أحد منهم حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب فإن كان من أهل المدر نقب نقبا فى ظهر بيته منه يدخل ويخرج وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخباء فنزل (وليس البرّ) أى ليس البر بتحرجكم من دخول البــاب . ولا خلاف فى رفع البر هنا لأن الآية ثمة تحتمل الوجهين كما بينا لجاز الرفع والنصب ثمة وهذه لا تحتمل إلا وجها واحدا وهو الرفع إذ الباء لا تدخل إلا على خبر ليس. البيوت وبابه مدنى وبصرى وحفص وهو الأصل مثل كعب وكعوب . ومن كسر الباء فلمكان الياء بعدها ولكن هى توجب الخروج من كسر الى ضم .

(٦) برّ من اتقى ما حرم الله.وكأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الأهلة وعن الحكمة فى نقصانها وتمـامها : معلوم أن كل ما يفعله الله تعالى لا يكون إلا حكمة . فدعوا السؤال عنه وانظروا فى خصلة واحدة تفعلونها مما ليس من البر فى شىء وأنتم تحسبونها برا. فهذا وجه اتصاله بمـا قبله. ويحتمــل أن يكون ذلك على طريق الاستطراد لمـا ذكر أنها مواقيت الحج، لأنه كان من أفعالهم فى الحج . ويحتمل أن يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم فى سؤالهم وأن مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخل من ظهره. والمعنى ليس البر وما ينبغى أن تكونوا عليه بأن تعكسوا

وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ (١) تُفْلِحُونَ (٢) ﴿١٨٩﴾ وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ (٣) ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ (٤) وَلَا تَعْتَدُوٓاْ (٥) إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ (٦) وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ (٧) وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ

فى مسائلكم ولكن البرّ برّ من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله . ثم قال (وأتوا البيوت من أبوابها) أى وباشروا الأمور من وجوهها التى يجب أن تباشر عليها ولا تعكسوا . أو المراد وجوب الاعتقاد بأن جميع أفعاله تعالى حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك فى ذلك حتى لا يسأل عنه لما فى السؤال من الاتهام بمقارفة الشك (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) .

(١) فيما أمركم به ونهاكم عنه .

(٢) لتفوزوا بالنعيم السرمدى .

(٣) المقاتلة فى سبيل الله الجهاد لإعلاء كلمة الله وإعزاز الدين .

(٤) يناجزونكم القتال دون المحاجزين. وعلى هذا يكون منسوخا بقوله تعالى (وقاتلوا المشركين كافة) . وقيل هى أول آية نزلت فى القتال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتل ويكف عمن كف . أو الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من أهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء . أو الكفرة كلهم لأنهم قاصدون لمقاتلة المسلمين فهم فى حكم المقاتلة .

(٥) فى ابتداء القتال أو بقتال من نهيتم عنه من النساء والشيوخ ونحوهما أو بالمُثْلَة .

(٦) وجدتموهم . والثقف الوجود على وجه الأخذ والغلبة .

(٧) أى من مكة. وعدهم الله تعالى فتح مكة بهذه الآية وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح .

مِنَ ٱلْقَتْلِ(١) وَلَا تُقَـٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِيهِ(٢) فَإِن قَـٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ(٣) كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ(٤) ۝ فَإِنِ ٱنتَهَوْا(٥) فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ(٦) رَّحِيمٌ(٧) ۝ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ(٨) وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ(٩) فَإِنِ ٱنتَهَوْا فَلَا عُدْوَٰنَ(١٠) إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ(١١) بِٱلشَّهْرِ

---

(١) أى شركهم بالله أعظم من القتل الذى يحل بهم منكم . وقيل الفتنة عذاب الآخرة. وقيل المحنة والبلاء الذى ينزل بالإنسان فيعذب به أشد عليه من القتل. وقيل لحكيم : ما أشد من الموت؟ قال: الذى يتمنى فيه الموت. فقد جعل الإخراج من الوطن من الفتن التى يتمنى عندها الموت .

(٢) أى ولا تبدءوا بقتالهم فى الحرم حتى يبدءوا. فعندنا المسجد الحرام يقع على الحرم كله .

(٣) فى الحرم. فعندنا يقتلون فى الأشهر الحرم لا فى الحرم إلا أن يبدءوا بالقتال معنا فحينئذ نقتلهم وإن كان ظاهر قوله (واقتلوهم حيث ثقفتموهم) يبيح القتل فى الأمكنة كلها . لكن لقوله (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه) خص الحرم إلا عند البداءة منهم كذا فى شرح التأويلات . ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم حمزة وعلىّ .

(٤) مبتدأ وخبر .

(٥) عن الشرك والقتال .

(٦) لما سلف من طغيانهم .

(٧) بقبول توبتهم وإيمانهم .

(٨) شرك . وكان تامة وحتى بمعنى كى أو إلى أن

(٩) خالصا ليس للشيطان فيه نصيب أى لا يعبد دونه شىء .

(١٠) فإن امتنعوا عن الكفر فلا تقاتلوهم فإنه لا عدوان إلا على الظالمين ولم يبقوا ظالمين. أو فلا تظلموا إلا الظالمين غير المنتهين . سمى جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة كقوله (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه) .

(١١) مبتدأ خبره بالشهر. قاتلهم المشركون عام الحديبية فى الشهر الحرام وهو ذو القعدة. فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك فى ذى القعدة : (الشهر الحرام بالشهر الحرام) .

ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ (١) فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ (٢) فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ (٣) وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ (٤) وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ (٥) ۝ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ (٦) وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ (٧) وَأَحْسِنُوٓا۟ (٨) إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ (٩) ۝ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ (١٠) فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ (١١) فَمَا ٱسْتَيْسَرَ

(١) أى هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه يعنى تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم.

(٢) أى وكل حرمة يجرى فيها القصاص. مَن هتك حرمة أىّ حرمة كانت اقتص منه بأن تهتك له حرمة. فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا وأكد ذلك بقوله (فمن اعتدى عليكم) .

(٣) من شرطية . والباء غير زائدة والتقدير بعقوبة مماثلة لعدوانهم ؛ أو زائدة وتقديره عدوانا مثل عدوانهم .

(٤) فى حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا إلى ما لا يحل لكم .

(٥) بالنصر .

(٦) تصدقوا فى رضا الله وهو عام فى الجهاد وغيره

(٧) أى أنفسكم . والباء زائدة . أو ولا تقتلوا أنفسكم بأيديكم كما يقال أهلك فلان نفسه بيده إذا تسبب لهلاكها . والمعنى النهى عن ترك الإنفاق فى سبيل الله لأنه سبب الهلاك ، أو عن الإسراف فى النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله ، أو من الإخطار بالنفس ، أو عن ترك الغزو الذى هو تقوية للعدو . والتهلكة والهلاك والهلك واحد .

(٨) الظن بالله فى الإخلاف .

(٩) إلى المحتاجين .

(١٠) وأدوهما تامين بشرائطهما وفرائضهما لوجه الله تعالى بلا توان ولا نقصان . وقيل الإتمام يكون بعد الشروع . فهو دليل على أن من شرع فيهما لزمه إتمامهما . وبه نقول. إن العمرة تلزم بالشروع. ولا تمسك للشافعى رحمه الله بالآية على لزوم العمرة لأنه أمر بإتمامها . وقد يؤمر بإتمام الواجب والتطوع . أو إتمامهما أن تحرم بهما من دويرة أهلك. أو أن تفرد لكل واحد منهما سفرا . أو أن تنفق فيهما حلالا . أو ألا تتجر معهما .

(١١) يقال أحصر فلان إذا منعه أمر من خوف أو مرض أو عجز ، وحصر إذا حبسه عدو

مِنَ ٱلْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ[١] مَحِلَّهُۥ[٢] فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا[٣] أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ[٤] فَفِدْيَةٌ[٥] مِّن صِيَامٍ[٦] أَوْ صَدَقَةٍ[٧] أَوْ نُسُكٍ[٨] فَإِذَآ أَمِنتُمْ[٩] فَمَن تَمَتَّعَ[١٠] بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ[١١] فَمَا ٱسْتَيْسَرَ

عن المضى . وعندنا الإحصار يثبت بكل منع من عدو أو مرض أو غيرهما لظاهر النص . وقد جاء فى الحديث "من كسر أو عرج فقد حل" أى جاز له أن يحل "وعليه الحج من قابل". وعند الشافعى رحمه الله الإحصار بالعدو وحده . وظاهر النص يدل على أن الإحصار يتحقق فى العمرة أيضا لأنه ذكر عقيبهما .

(١) فما تيسر منه يقال يسُر الأمر واستيسر كما يقال صعب واستصعب . والهدى جمع هدية . يعنى فإن منعتم من المضى إلى البيت وأنتم محرمون بحج أو عمرة فعليكم إذا أردتم التحلل ما استيسر من الهدى من بعير أو بقرة أو شاة . فما رفع بالابتداء أى فعليكم ما استيسر أو نصب أى فاهدوا له ما استيسر .

(٢) الخطاب للمحصرين أى لا تحلوا بحلق الرأس حتى تعلموا أن الهدى الذى بعثتموه إلى الحرم بلغ محله أى مكانه الذى يجب نحره فيه وهو الحرم . وهو حجة لنا — فى أن دم الإحصار لا يذبح إلا فى الحرم — على الشافعى رحمه الله إذ عنده يجوز فى غير الحرم .

(٣) فمن كان منكم به مرض يحوجه إلى الحلق .

(٤) وهو القمل أو الجراحة .

(٥) فعليه إذا حلق فدية .

(٦) ثلاثة أيام .

(٧) على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر .

(٨) شاة . وهو مصدر أو جمع نسيكة .

(٩) الإحصار أى فإذا لم تحصروا وكنتم فى حال أمن وسعة .

(١٠) استمتع .

(١١) واستمتاعه بالعمرة إلى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها إلى الله قبل انتفاعه بالتقرب بالحج . وقيل إذا حل من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرما عليه إلى أن يحرم بالحج .

مِنَ ٱلْهَدْيِ(١) فَمَن لَّمْ يَجِدْ(٢) فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ(٣) وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ(٤) تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ(٥) ذَٰلِكَ(٦) لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ(٧) وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ(٨) وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ(٩) ﴿١٩٦﴾ ٱلْحَجُّ(١٠) أَشْهُرٌ مَّعْلُومَـٰتٌ(١١) فَمَن فَرَضَ(١٢)

(١) هو هدى المتعة وهو نسك يؤكل منه ويذبح يوم النحر .

(٢) الهدى .

(٣) فعليه صيام ثلاثة أيام فى وقت الحج وهو أشهره ما بين الإحرامين إحرام العمرة وإحرام الحج .

(٤) إذا نفرتم وفرغتم من أفعال الحج .

(٥) فى وقوعها بدلا عن الهدى أو فى الثواب أو المراد رفع الإبهام فلا يتوهم فى الواو أنها بمعنى الإباحة كما فى جالس الحسن وابن سيرين ألا ترى أنه لو جالسهما أو واحدا منهما كان ممتثلا .

(٦) إشارة إلى التمتع عندنا . إذ لا تمتع ولا قران لحاضرى المسجد الحرام عندنا . وعند الشافعى رحمه الله ، إلى الحكم الذى هو وجوب الهدى أو الصيام ولم يوجب عليهم شيئا .

(٧) هم اهل المواقيت فمن دونها إلى مكة .

(٨) فيما أمركم به ونهاكم عنه فى الحج وغيره .

(٩) لمن لم يتقه .

(١٠) أى وقت الحج كقولك البرد شهران .

(١١) معروفات عند الناس لايشكلن عليهم وهى شوّال وذو القعدة وعشر ذى الحجة. وفائدة توقيت الحج بهذه الأشهر أن شيئا من أفعال الحج لا يصح إلا فيها وكذا الإحرام عند الشافعى رحمه الله وعندنا وإن انعقد لكنه مكروه. وجمعت أى الأشهر لبعض الثالث أو لأن اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى (فقد صغت قلوبكما) .

(١٢) (فرض فيهنّ الحجّ) ألزمه نفسه بالإحرام .

فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ(١) فَلَا رَفَثَ(٢) وَلَا فُسُوقَ(٣) وَلَا جِدَالَ(٤) فِى ٱلْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ(٥) وَتَزَوَّدُوا۟(٦) فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ(٧) وَٱتَّقُونِ(٨) يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ(٩) ﴿١٩٧﴾

(١) فى هذه الأشهر .

(٢) هو الجماع أو ذكره عند النساء أو الكلام الفاحش .

(٣) هو المعاصى أو السباب لقوله عليه السلام سباب المؤمن فسوق . أو التنابز بالألقاب لقوله تعالى (بئس الاسم الفسوق) .

(٤) ولا مراء مع الرفقاء والخدم والمكّارين . وإنما أمر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب فى كل حال لأنه مع الحج أسمج كلبس الحرير فى الصلاة والتطريب فى قراءة القرآن. والمراد بالنفى وجوب انتفائها وأنها حقيقة بألا تكون . وقرأ أبو عمرو ومكى الأولين بالرفع فحملاهما على معنى النهى كأنه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق ، والثالث بالنصب على معنى الإخبار بانتفاء الجدال كأنه قيل ولا شك ولا خلاف فى الحج . ثم حث على الخير عقيب النهى عن الشر وأن يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والأخلاق الجميلة بقوله تعالى (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) .

(٥) أعلم بأنه عالم به يجازيكم عليه. ورد قول من نفى علمه بالجزئيات . كان أهل اليمن لا يتزوّدون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فنزل فيهم (وتزوّدوا) .

(٦) أى تزوّدوا واتقوا الاستطعام وإبرام الناس والتثقيل عليهم .

(٧) أى الاتقاء عن الإبرام والتثقيل عليهم ؛ أو تزوّدوا للمعاد باتقاء المحظورات فإن خير الزاد اتقاؤها .

(٨) وخافوا عقابى وهو مثل دعانى .

(٩) يا ذوى العقول يعنى أن قضية اللب تقوى الله ومن لم يتقه من الألباء فكأنه لا لب له . ونزل فى قوم زعموا أن لا حج لجمال وتاجر وقالوا هؤلاء الداجّ وليسوا بالحاج : (ليس عليكم جناح) .

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ[1] فَإِذَآ أَفَضْتُم[2] مِّنْ عَرَفَٰتٍ[3] فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ[4] عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ[5] وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ[6] وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ[7] لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ[8] ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ[9] وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ[10]

(١) فى أن تبتغوا فى مواسم الحج عطاء وتفضلا وهو النفع والربح بالتجارة والكراء .

(٢) دفعتم بكثرة من إفاضة الماء وهو صبه بكثرة . وأصله أفضتم أنفسكم فترك ذكر المفعول .

(٣) هى علم للموقف سمى بجمع كأذرعات . وإنما صرفت لأن التاء فيها ليست للتأنيث بل هى مع الألف قبلها علامة جمع المؤنث . وسميت بذلك لأنها وصفت لإبراهيم عليه السلام فلما رآها عرفها . وقيل التقى فيها آدم وحوّاء فتعارفا . وفيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة لأن الإفاضة لا تكون إلا بعده .

(٤) بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعوات أو بصلاة المغرب والعشاء .

(٥) هو قُزَح وهو الجبل الذى يقف عليه الإمام وعليه الميقدة . والمشعر المعلم لأنه مَعلم العبادة . ووصف بالحرام لحرمته . وقيل المشعر الحرام المزدلفة . وسميت المزدلفةَ وجَمْعا لأن آدم عليه السلام اجتمع فيها مع حوّاء وازدلف اليها أى دنا منها، أو لأنه يجمع فيها بين الصلاتين، أو لأن الناس يزدلفون إلى الله تعالى أى يتقربون بالوقوف فيها .

(٦) ما مصدرية أو كافة أى اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة أو اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه ولا تعدلوا عنه .

(٧) من قبل الهدى .

(٨) الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه. وإن مخففة من الثقيلة واللام فارقة .

(٩) ثم لتكن إفاضتكم (من حيث أفاض الناس) ولا تكن من المزدلفة. قالوا هذا أمر لقريش بالإفاضة من عرفات إلى جَمْع وكانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفات ويقولون نحن قطان حرمه فلا نخرج منه . وقيل الإفاضة من عرفات مذكورة فهى الإفاضة من جمع الى منى . والمراد بالناس على هذا الجنس ويكون الخطاب للمؤمنين .

(١٠) من مخالفتكم فى الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم أو من تقصيركم فى أعمال الحج .

إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ[١] ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ[٢] فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ[٣] أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا[٤] فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ[٥] رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا[٦] وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ[٧] ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم[٨] مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً[٩] وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً[١٠] وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ[١١] ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ[١٢] لَهُمْ نَصِيبٌ

---

(١) بكم .

(٢) فاذا فرغتم من عباداتكم التى أمرتم بها فى الحج ونفرتم .

(٣) أى فاذكروا الله ذكرا مثل ذكركم آباءكم . والمعنى فأكثروا من ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون فى ذكر آبائكم ومفاخرهم وأيامهم . وكانوا إذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل فيعدّدون فضائل آبائهم ويذكرون محاسن أيامهم .

(٤) أى أكثر . وهو فى موضع جر عطف على ما أضيف إليه الذكر فى قوله (كذكركم) كما تقولون كذكر قريش آباءهم أو قوم أشد منهم ذكرا . وذكرا تمييزا .

(٥) فمن الذين يشهدون الحج من يسأل الله حظوظ الدنيا فيقول (ربنا آتنا فى الدنيا) .

(٦) اجعل إيتاءنا أى إعطاءنا فى الدنيا خاصة يعنى الجاه والغنى .

(٧) نصيب لأن همه مقصور على الدنيا لكفره بالآخرة. والمعنى أكثروا ذكر الله ودعاءه لأن الناس من بين مقل لا يطلب بذكر الله إلا أغراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين أى من الذين قيل فيهم (ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة) .

(٨) ومن الذين يشهدون الحج .

(٩) نعمة وعافية أو علما وعبادة .

(١٠) عفوا ومغفرة . أو المال والجنة او ثناء الخلق ورضا الحق أو الإيمان والأمان أو الإخلاص والخلاص أو السنة والجنة أو القناعة والشفاعة أو المرأة الصالحة والحور العين أو العيش على سعادة والبعث من القبور على بشارة .

(١١) احفظنا من عذاب جهنم . أو عذاب النار امرأة السوء .

(١٢) أى الداعون بالحسنتين .

بِمَّا كَسَبُواْ (١) وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ (٢) ﴿٢٠٢﴾ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ (٣) فَمَن تَعَجَّلَ (٤) فِى يَوْمَيْنِ (٥) فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ (٦) وَمَن تَأَخَّرَ (٧) فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ (٨) وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ (٩) وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (١٠) ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن (١١) يُعْجِبُكَ

(١) من جنس ما كسبوا من الأعمال الحسنة وهو الثواب الذى هو المنافع الحسنة. أو من أجل ما كسبوا . أو سمى الدعاء كسبا لأنه من الأعمال والأعمال موصوفة بالكسب .

ويجوز أن يكون (أولئك) للفريقين وأن لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا .

(٢) يوشك أن يقيم القيامة ويحاسب العباد. فبادروا إكثار الذكر وطلب الآخرة. أو وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة أعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر من نقمته . روى أنه يحاسب الخلق فى قدر حلب شاة وروى فى مقدار لمحة .

(٣) هى أيام التشريق. وذكر الله فيها التكبير فى أدبار الصلوات وعند الجمار .

(٤) فمن عجل فى النفر أو استعجل النفر. وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل فى الأمر واستعجل ، ومتعديين يقال تعجل الذهاب واستعجله . والمطاوعة أوفق لقوله ومن تأخر .

(٥) من هــذه الأيام الثلاثة فلم يمكث حتى يرمى فى اليوم الثالث واكتفى برمى الجمار فى يومين من هذه الأيام الثلاثة .

(٦) فلا يأثم بهذا التعجل .

(٧) حتى رمى فى اليوم الثالث .

(٨) الصيد أو الرفث والفسوق . أى هو مخير فى التعجل والتأخر وإن كان التأخر أفضل. فقد يقع التخيير بين الفاضل والأفضل كما خير المسافر بين الصوم والإفطار وإن كان الصوم أفضل . وقيل كان أهل الجاهلية فريقين منهم من جعل المتعجل آثما ومنهم من جعل المتأخر آثما فورد القرآن بنفى المـأثم عنهما .

(٩) فى جميع الأمور .

(١٠) حين يبعثكم من القبور .

(١١) كان الأخنس بن شريق حلو المنطق إذا لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألان له القول وادعى أنه يحبه وأنه مسلم وقال يعلم الله أنى صادق فنزل فيه .

قَوْلُهُۥ(١) فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا(٢) وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ(٣) وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ(٤) ۝ وَإِذَا تَوَلَّىٰ(٥) سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا(٦) وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ(٧) وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُ(٨) ٱتَّقِ ٱللَّهَ(٩) أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ(١٠) فَحَسْبُهُۥ(١١) جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ(١٢) ۝ وَمِنَ ٱلنَّاسِ(١٣) مَن يَشْرِى نَفْسَهُ(١٤)

---

(١) يروقك و يعظم فى قلبك ومنه الشيء العجيب الذى يعظم فى النفس .

(٢) (فى) يتعلق بالقول أى يعجبك ما يقوله فى معنى الدنيا لأنه يطلب بادعاء المحبة حظ الدنيا ولا يريد به الآخرة . أو بيعجبك أى يعجبك حلو كلامه فى الدنيا لا فى الآخرة لما يرهقه فى الموقف من الحُبْسة واللُّكْنة .

(٣) أى يحلف ويقول الله شاهد على ما فى قلبى من محبتك ومن الإسلام .

(٤) شديد الجدال والعداوة للسلمين . والخصام المخاصمة. والإضافة بمعنى فى لأن أفعل يضاف إلى ما هو بعضه تقول زيد أفضل القوم ولا يكون الشخص بعض الحدث فتقديره ألد فى الخصومة . أو الخصام جمع خصم كصعب وصعاب والتقدير وهو أشد الخصوم خصومة.

(٥) عنك وذهب بعد إلانة القول وإحلاء المنطق .

(٦) كما فعل بثقيف فإنه كان بينه و بينهم خصومة فبيّتهم ليلا وأهلك مواشيهم وأحرق زروعهم .

(٧) أى الزرع والحيوان .

أو إذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد فى الأرض بإهلاك الحرث والنسل . وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل .

(٨) للأخنس .

(٩) فى الإفساد والإهلاك .

(١٠) حملته النخوة وحمية الجاهلية على الإثم الذى ينهى عنه وألزمته ارتكابه. أو الباء للسبب أى أخذته العزة من أجل الإثم الذى فى قلبه وهو الكفر .

(١١) أى كافيه .

(١٢) أى الفراش جهنم .

(١٣) نزل فى صهيب حين أراده المشركون على ترك الإسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فاشترى نفسه بماله منهم وأتى المدينة . أو فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل .

(١٤) يبيعها .

ٱبْتِغَآءَ(١) مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ(٢) ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ(٣) كَآفَّةً(٤) وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ(٥) إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ(٦) ۝ فَإِن زَلَلْتُم(٧) مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ(٨) فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ(٩) حَكِيمٌ(١٠) ۝ هَلْ يَنظُرُونَ(١١) إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ(١٢) فِى ظُلَلٍ(١٣) مِّنَ ٱلْغَمَامِ(١٤)

---

(١) لابتغاء .

(٢) حيث أثابهم على ذلك .

(٣) وبفتح السين حجازى وعلىّ . وهو الاستسلام والطاعة أى استسلموا لله وأطيعوه . أو الإسلام. والخطاب لأهل الكتاب لأنهم آمنوا بنبيهم وكتابهم. أو للمنافقين لأنهم آمنوا بألسنتهم.

(٤) لا يُخرج أحد منكم يده عن طاعتــه . حال من الضمير فى ادخلوا أى جميعاً ، أو من السلم لأنها تؤنث كأنهم أمروا أن يدخلوا فى الطاعات كلها أو فى شعب الإسلام وشرائعه كلها. وكافة من الكف كأنهم كفوا أن يخرج منهم أحد باجتماعهم .

(٥) وساوسه .

(٦) ظاهر العداوة .

(٧) ملتم عن الدخول فى السلم .

(٨) أى الحجج الواضحة والشواهد اللائحة على أن ما دعيتم إلى الدخول فيه هو الحق .

(٩) غالب لا يمنعه شىء من عذابكم .

(١٠) لا يعذب إلا بحق. وروى أن قارئاً قرأ غفور رحيم فسمعه أعرابى لم يقرأ القرآن فأنكره وقال ليس هذا من كلام الله إذ الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل والعصيان لأنه إغراء عليه .

(١١) ما ينتظرون .

(١٢) أى أمر الله و بأسه (كقوله أو يأتى أمر ربك. فجاءها بأسنا) أو المـأتىّ به محذوف بمعنى أن يأتيهم الله ببأسه للدلالة عليه بقوله (فاعلموا أن الله عزيز) .

(١٣) جمع ظلة وهى ما أظلك .

(١٤) السحاب . وهو للتهويل إذ الغمام مِظَنّة الرحمة فإذا أنزل منه العذاب كان الأمر أفظع وأهول .

وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ(١) وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ(٢) وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ(٣) ۝ سَلْ(٤) بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ(٥) وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ(٦) مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ(٧) فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ(٨) ۝ زُيِّنَ(٩) لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟(١٠) وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟(١١) فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ(١٢) وَٱللَّهُ يَرْزُقُ

(١) أى وتأتى الملائكة الذين وكلوا بتعذيبهم أو المراد حضورهم يوم القيامة .

(٢) أى وتم أمر إهلاكهم وفرغ منه .

(٣) أى أنه ملّك العباد بعض الأمور فترجع إليـه الأمور يوم النشـور . تَرجع الأمور حيث كان شامى وحمزة وعلىّ .

(٤) أصله اسأل فنقلت فتحة الهمزة الى السـين بعد حذفها واستغنى عن همزة الوصل فصار سل . وهو أمر للرسول أو لكل أحد. وهو سؤال تقريع كما يسأل الكفرة يوم القيامة .

(٥) على أيدى أنبيائهم وهى معجزاتهم أو من آية فى الكتب شاهدة على صحـة دين الإسلام . وكم استفهامية أو خبرية .

(٦) هى آياته وهى أجل نعمة من الله لأنها أسباب الهدى والنجاة من الضلالة .وتبديلهم إياها أن الله أظهرها لتكون أسـباب هداهم فجعلوها أسباب ضلالتهم كقوله (فزادتهم رجسا إلى رجسهم) . أو حرفوا آيات الكتب الدالة على دين محمد عليه السلام .

(٧) من بعد ما عرفها وصحت عنده لأنه إذا لم يعرفها فكأنها غائبة عنه .

(٨) لمن استحقه .

(٩) المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها فى أعينهم بوساوسه وحببهـا إليهم فلا يريدون غيرها .أو الله تعالى بخلق الشهوات فيهم ولأن جميع الكائنات منه ويدل عليه قراءة من قرأ (زَين للذين كفروا الحياة الدنيا) .

(١٠) كانوا يسخرون من فقراء المؤمنين كابن مسعود وعمار وصهيب ونحوهم . أى لا يريدون غير الدنيا وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها أو ممن يطلب غيرها .

(١١) عن الشرك وهم هؤلاء الفقراء .

(١٢) لأنهم فى جنة عالية وهم فى نار هاوية .

مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ[1] ﴿٢١٢﴾ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً[2] فَبَعَثَ[3] ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ[4] وَمُنذِرِينَ[5] وَأَنزَلَ مَعَهُمُ[6] ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ[7] لِيَحْكُمَ[8] بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ[9] وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ[10] إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ[11] مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ[12] بَغْيًۢا[13] بَيْنَهُمْ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ[14]

---

(١) بغير تقتير. يعنى أنه يوسع على من أراد التوسعة عليه كما وسع على قارون وغيره. وهذه التوسعة عليكم من الله لحكمة وهى استدراجكم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان المؤمنون أحق بها منكم .

(٢) متفقين على دين الإسلام من آدم إلى نوح عليهما السلام . أو هم نوح ومن كان معه فى السفينة .

(٣) فاختلفوا فبعث — ويدل على حذفه قوله تعالى (ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) وقراءة عبد الله (كان الناس أمة واحدة فاختلفوا) وقوله تعالى (وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا) .

أو كان الناس أمة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم . والأول الأوجه .

(٤) بالثواب للمؤمنين .

(٥) بالعقاب للكافرين وهما حالان .

(٦) أى مع كل واحد منهم كتابه .

(٧) بتبيان الحق .

(٨) الله أو الكتاب أو النبى المنزل عليه .

(٩) فى دين الإسلام الذى اختلفوا فيه بعد الاتفاق .

(١٠) فى الحق .

(١١) أى الكتاب المنزل لإزالة الاختلاف . أى ازدادوا فى الاختلاف لمّا أنزل عليهم الكتاب .

(١٢) على صدقه .

(١٣) مفعول له أى حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلّة إنصاف منهم .

(١٤) أى هدى الله الذين آمنوا للحق الذى اختلف فيه مَن اختلف .

مِنَ ٱلْحَقِّ(١) بِإِذْنِهِۦ(٢) وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ أَمْ(٣) حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم(٤) مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟(٥) مِن قَبْلِكُم(٦) مَّسَّتْهُمُ(٧) ٱلْبَأْسَآءُ(٨) وَٱلضَّرَّآءُ(٩) وَزُلْزِلُوا۟(١٠) حَتَّىٰ يَقُولَ(١١) ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ(١٢) مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ(١٣)

---

(١) بيان لما اختلفوا فيه .

(٢) بعلمه .

(٣) أم منقطعة لا متصلة لأن شرطها أن يكون قبلها همزة الاستفهام كقولك أعندك زيد أم عمرو أى أيّهما عندك وجوابه زيد إن كان عنده زيد أو عمرو إن كان عنده عمرو . وأما أم المنقطعة فتقع بعد الاستفهام و بعد الخبر . وتكون بمعنى بل والهمزة والتقدير بل أحسبتم . ومعنى الهمزة فيها للتقرير و إنكار الحسبان واستبعاده . لما ذكر ما كانت عليه الأمم من الاختلاف على النبيين بعد مجيء البينات تشجيعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين وأهل الكتاب و إنكارهم لآياته وعداوتهم له ، قال لهم على طريقة الالتفات التى هى أبلغ (أم حسبتم) .

(٤) أى ولم يأتكم . وفى لمّا معنى التوقع يعنى أن إتيان ذلك متوقَّع منتظر .

(٥) مضوا . أى حالهم التى هى مثل فى الشدة .

(٦) من النبيين والمؤمنين .

(٧) بيان للمثل وهو استئناف كأن قائلا قال كيف كان ذلك المثل ؟ فقيل (مستهم) .

(٨) أى البؤس .

(٩) المرض والجوع .

(١٠) وحركوا بأنواع البلايا وأزعجوا إزعاجا شديدا شبيها بالزلزلة .

(١١) يقول بالرفع نافع على حكاية حال ماضية نحو شربت الإبل حتى يجيء البعير يجر بطنه . وغيره بالنصب على إضمار أن ومعنى الاستقبال لأن أنْ علَمَ له .

(١٢) إلى الغاية التى قال الرسول ومن معه من المؤمنين فيها (متى نصر الله) .

(١٣) أى بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك . ومعناه طلب النصر وتمنيه واستطالة زمان الشدة .

أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ (١) يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ (٢) وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ (٣) كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ (٤) وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ (٥) وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ (٦) وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا (٧) وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ (٨) وَٱللَّهُ يَعْلَمُ (٩)

(١) قيل لهم إجابة لهم إلى طلبهم من عاجل النصر .

(٢) لما قال عمرو بن الجموح وهو شيخ كبير وله مال عظيم ما ذا ننفق من أموالنا وأين نضعها نزل (يسألونك) . تضمن قوله (ما أنفقتم من خير) بيان ما ينفقونه وهو كل خير . وبنى الكلام على ما هو أهم وهو بيان المصرف لأن النفقة لا يعتد بها إلا أن تقع موقعها . عن الحسن هى فى التطوع .

(٣) فيجزى عليه .

(٤) فرض عليكم جهاد الكفار .

(٥) من الكراهة فوضع المصدر موضع الوصف مبالغة كقولها * فإنما هى إقبال و إدبار * كأنه فى نفسه كراهة لفرط كراهتهم له . أو هو فعل بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز أى وهو مكروه لكم .

(٦) فإنتم تكرهون الغزو وفيه إحدى الحسنيين إما الظفر والغنيمة وإما الشهادة والجنة .

(٧) وهو القعود عن الغزو .

(٨) لما فيه من الذل والفقر وحرمان الغنيمة والأجر .

(٩) ما هو خير لكم .

وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ[١] ﴿٢١٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ[٢] قِتَالٍ فِيهِ[٣] قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ[٤] وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ[٥] وَكُفْرٌۢ بِهِۦ[٦] وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ[٧] وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ[٨] مِنْهُ[٩] أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ[١٠] وَٱلْفِتْنَةُ[١١] أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ[١٢] وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ

(١) (لا تعلمون) ذلك فبادروا الى ما يأمركم به وإن شق عليكم .

(٢) نزل فى سريّة بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا المشركين وقد أهلّ هلال رجب وهم لا يعلمون ذلك فقالت قريش قد استحل محمد عليه السلام الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف . أى يسألك الكفار أو المسلمون عن القتال فى الشهر الحرام .

(٣) بدل الاشتمال من الشهر . وقرئ (عن قتال فيه) على تكرير العامل كقوله (للذين استضعفوا لمن آمن منهم) .

(٤) أى إثم كبير . (قتال) مبتدأ و (كبير) خبره . وجاز الابتداء بالنكرة لأنها قد وصفت بفيه . وأكثر الأقاويل على أنها منسوخة بقوله تعالى (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) .

(٥) أى منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن البيت عام الحديبية . وهو مبتدأ .

(٦) أى بالله . عطف على صدّ .

(٧) عطف على سبيل الله . أى وصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام . وزعم الفراء أنه معطوف على الهاء فى به أى كفر به وبالمسجد الحرام . ولا يجوز عند البصريين العطف على الضمير المجرور إلا باعادة الجار فلا تقول مررت به وزيد ولكن تقول وبزيد . ولو كان معطوفا على الهاء هنا لقيل وكفر به وبالمسجد الحرام .

(٨) أى أهل المسجد الحرام وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون . وهو عطف على صدّ أيضا .

(٩) من المسجد الحرام . وخبر الأسماء الثلاثة (أكبر عند الله) .

(١٠) أى مما فعلته السرية من القتال فى الشهر الحرام على سبيل الخطأ والبناء على الظن .

(١١) الإخراج أو الشرك .

(١٢) فى الشهر الحرام .

أو تعذيب الكفار المسلمين أشد قبحا من قتل هؤلاء المسلمين فى الشهر الحرام .

يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ[1] إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟[2] وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ[3] فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ[4] فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ[5] وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ[6] ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟[7] وَجَٰهَدُوا۟[8] فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ[9] وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾

---

(١) أى الى الكفر وهو إخبار عن دوام عداوة الكفار للسلمين وأنهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم. وحتى معناها التعليل نحو فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة أى يقاتلونكم كى يردوكم .

(٢) استبعاد لاستطاعتهم كقولك لعدوك إن ظفرت بى فلا تبق علىّ وأنت واثق بأنه لا يظفر بك .

(٣) ومن يرجع عن دينه إلى دينهم .

(٤) أى يمت على الردة .

(٥) لما يفوتهم بالردة مما للسلمين فى الدنيا من ثمرات الإسلام وفى الآخرة من الثواب وحسن المآب .

(٦) وبها احتج الشافعى رحمه الله على أن الردة لا تحبط العمل حتى يموت عليها . وقلنا قد علق الحبط بنفس الردة بقوله تعالى (ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله) . والأصل عندنا أن المطلق لا يحمل على المقيد وعنده يحمل عليه فهو بناء على هذا . ولما قالت السرية أيكون لنا أجر المجاهدين فى سبيل الله نزل (إن الذين آمنوا) .

(٧) تركوا مكة وعشائرهم .

(٨) (جاهدوا) المشركين . ولا وقف عليه لأن (أولئك يرجون) خبر إن .

(٩) قيل من رجا طلب ، ومن خاف هرب .

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ (١) قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ (٢) وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ (٣) وَإِثْمُهُمَآ (٤) أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا (٥) وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ (٦)

---

(١) نزل فى الخمر أربع آيات. نزل بمكة (ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا) فكان المسلمون يشربونها وهى لهم حلال. ثم إن عمر ونفرا من الصحابة قالوا يا رسول الله أفتنا فى الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزل (يسألونك عن الخمر). فشربها قوم وتركها آخرون. ثم دعا عبدالرحمن بن عوف جماعة فشربوا وسكروا فأم بعضهم فقرا (قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون) فنزل (لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) فقل من يشربها. ثم دعا عتبان بن مالك جماعة فلما سكروا منها تخاصموا وتضاربوا فقال عمر اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزل (إنما الخمر والميسر) الى قوله (فهل أنتم منتهون) فقال عمر انتهينا يارب. وعن علىّ رضى الله عنه لو وقعت قطرة فى بئر فبنيت مكانها منارة لم أؤذن عليها ولو وقعت فى بحر ثم جف ونبت فيــه الكلا لم ارعه. والخمر ما غلى واشـتد وقذف بالزبد من عصير العنب. وسميت بمصدر خمره خمرا إذا ستره لتغطيتها العقل. والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد من فعله يقال يسرته إذا قمرته. واشتقاقه من اليسر لأنه أخذ مال الرجل بيسر وسهولة بلا كد وتعب. أو من اليسار كأنه سلب يساره. وصفة الميسر أنه كانت لهم عشرة أقداح سبعة منها عليها خطوط وهى الفذ وله سهم، والتوأم وله سهمان، والرقيب وله ثلاثة، والحلس وله أربعة، والنافس وله خمسة، والمسبل وله ستة، والمعلّى وله سبعة. وثلاثة أغفال لا نصيب لها وهى المنيح والسفيح والوغد. فيجعلون الأقداح فى خريطة ويضعونها على يد عدل ثم يجلجلها ويدخل يده ويخرج باسم رجل قدحا قدحا منها. فمن خرج له قدح من ذوات الأنصباء أخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح. ومن خرج له قدح مما لا نصيب له لم يأخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله. وكانوا يدفعون تلك الأنصباء الى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه. وفى حكم الميسر أنواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما. والمعنى يسألونك عما فى تعاطيهما بدليل (قل فيهما إثم).

(٢) بسبب التخاصم والتشاتم وقول الفحش والزور. كثير حمزة وعلىّ.

(٣) بالتجارة فى الخمر والتلذذ بشربها وفى الميسر بارتفاق الفقراء أو نيل المــال بلا كد.

(٤) وعقاب الإثم فى تعاطيهما.

(٥) لأن أصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الآثام من وجوه كثيرة.

(٦) أى الفضــل اى أنفقوا ما فضل عن قدر الحاجة. وكان التصدق بالفضل فى أول الإسلام فرضا فاذا كان الرجل صاحب زرع أمسك قوت سنة وتصدق بالفضل وإذا كان

كَذَٰلِكَ[١] يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا[٢] وَٱلْءَاخِرَةِ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ[٣] وَإِن تُخَالِطُوهُمْ[٤] فَإِخْوَٰنُكُمْ[٥] وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ[٦] مِنَ ٱلْمُصْلِحِ[٧] وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ[٨][٩] إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ[١٠]

صائما أمسك قوت يومه وتصدق بالفضل فنسخت بآية الزكاة . العفوُ أبو عمرو . فمن نصبه جعل ما ذا اسما واحداً فى موضع النصب بينفقون والتقدير قل ينفقون العفو. ومن رفعه جعل ما مبتدأ وخبره ذا مع صلته فذا بمعنى الذى وينفقون صلته أى ما الذى ينفقون فجاء الجواب العفو أى هو العفو فإعراب الجواب كإعراب السؤال ليطابق الجواب السؤال .

(١) الكاف فى موضع نصب نعت لمصدر محذوف أى تبيينا مثل هذا التبيين .

(٢) أى فى أمر الدنيا . وفى يتعلق بتتفكرون أى تتفكرون فيما يتعلق بالدارين فتأخذون بما هو أصلح لكم . أو تتفكرون فى الدارين فتؤثرون أبقاهما وأكثرهما منافع . ويجوز أن يتعلق بيبين أى يبين لكم الآيات فى أمر الدارين وفيما يتعلق بهما (لعلكم تتفكرون) .

(٣) لما نزل (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما) اعتزلوا اليتامى وتركوا مخالطتهم والقيام بأموالهم وذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل (ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير) أى مداخلتهم على وجه الإصلاح لهم ولأموالهم خير من مجانبتهم .

(٤) وتعاشروهم ولم تجانبوهم .

(٥) فهم إخوانكم فى الدين ومن حق الأخ أن يخالط أخاه .

(٦) لأموالهم .

(٧) لها فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير الإصلاح .

(٨) إعناتكم .

(٩) لحملكم على العنت وهو المشقة وأحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم .

(١٠) غالب يقدر على أن يعنت عباده ويحرجهم .

حَكِيمٌ(١) ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ(٢) وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ(٣) وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ(٤) حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ(٥) يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ(٦) وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ(٧) بِإِذْنِهِۦ(٨) وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ(٩) ﴿٢٢١﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ(١٠) قُلْ هُوَ أَذًى(١١) فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ

---

(١) لايكلف إلا وسعهم وطاقتهم .

(٢) لما سأل مَرْثَد النبي صلى الله عليه وسلم عن أن يتزوج عناق وكانت مشركة نزل (ولا تنكحوا المشركات) أى لا تتزوجوهن . يقال نكح إذا تزوج وأنكح غيره زوّجه .

(٣) ولو كان الحال أن المشركة تعجبكم وتحبونها .

(٤) ولا تزوجوهم بمسلمة كذا قاله الزجاج وقال جامع العلوم حذف أحد المفعولين والتقدير ولا تنكحوهن المشركين .

(٥) بين علة ذلك فقال (أولئك) وهو إشارة إلى المشركات والمشركين .

(٦) إلى الكفر الذى هو عمل أهل النار فحقهم ألا يوالَوا ولا يصاهروا .

(٧) أى وأولياء الله وهم المؤمنون يدعون إلى الجنة والمغفرة وما يوصل إليهما فهم الذين تحب موالاتهم ومصاهرتهم .

(٨) بعلمه أو بأمره .

(٩) يتعظون .

(١٠) كانت العرب إذا حاضت المرأة لم يؤا كلوها ولم يشار بوها ولم يسا كنوها كفعل اليهود والمجوس فسأل أبو الدحداح رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال يارسول الله كيف نصنع بالنساء إذا حضن فنزل (يسألونك عن المحيض) . هو مضدر يقال حاضت محيضا كقولك جاء مجيئا .

(١١) أى المحيض شيء يستقذر ويؤذى من يقربه .

فِي ٱلْمَحِيضِ (١) وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ (٢) حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ (٣) فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ (٤) إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ (٥) وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ (٦) ۝ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ (٧)

(١) فاجتنبوهن أى فاجتنبوا مجامعتهن . وقيل إن النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يعتزلونهن فى كل شيء فأمرالله بالاقتصاد بين الأمرين. ثم عند أبى حنيفة وأبى يوسف رحمهما الله يجتنب ما اشتمل عليه الإزار . ومحمد رحمه الله لا يوجب إلا اعتزال الفرج . وقالت عائشة رضى الله عنها يجتنب شعار الدم وله ما سوى ذلك .

(٢) مجامعين أو ولا تقربوا مجامعتهن .

(٣) بالتشديد كوفى غير حفص أى يغتسلن وأصله يتطهرن فأدغم التاء فى الطاء لقرب مخرجيهما . غيرهم يطْهرن أى ينقطع دمهن . والقراءتان كآيتين فعملنا بهما وقلنا له أن يقربها فى أكثر الحيض بعد انقطاع الدم وإن لم تغتسل عملا بقراءة التخفيف وفى أقل منه لا يقربها حتى تغتسل أو يمضى عليها وقت الصلاة عملا بقراءة التشديد. والحمل على هذا أولى من العكس لأنه حينئذ يجب ترك العمل بإحداهما لما عرف . وعند الشافعى رحمه الله لا يقربها حتى تطهر وتتطهر . دليله قوله تعالى (فإذا تطهرن فأتوهن) فجامعوهن لجمع بينهما .

(٤) من المأتى الذى أمركم الله به وحلله لكم وهو القبل .

(٥) من ارتكاب ما نهوا عنه أو العوادين إلى الله تعالى وإن زلوا فزلوا . والمحبة لمعرفته بعظم عفو الله حيث لا ييأس .

(٦) بالماء أو المتنزهين من أدبار النساء أو من الجماع فى الحيض أو من الفواحش .

(٧) كان اليهود يقولون اذا أتى الرجل أهله باركة أتى الولد أحول فنزل (نساؤكم حرث لكم) مواضع حرث لكم . وهذا مجاز شبهن بالمحارث تشبيها لما يلقى فى أرحامهن من النطف التى منها النسل بالبذور والولد بالنبات . ووقع قوله (نساؤكم حرث لكم) بيانا وتوضيحا لقوله (فأتوهن من حيث أمركم الله) أى أن المأتى الذى أمركم الله به هو مكان الحرث لا مكان الفرث تنبيها على أن المطلوب الأصلى فى الإتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فلا تأتوهن إلا من المأتى الذى نيط به هذا المطلوب .

فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ (١) وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ (٢) وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ (٣) وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ (٤) وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٥) ﴿﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ (٦) أَن تَبَرُّوا۟

(١) جامعوهن متى شئتم أو كيف شئتم باركة أو مستلقية أو مضطجعة بعــد أن يكون المـأتى واحدا وهو موضع الحرث. وهو تمثيل أى فأتوهن كما تأتون أراضيكم التى تريدون أن تحرثوها من أى جهة شئتم لا يحظر عليكم جهة دون جهة. وقوله (هو أذى فاعتزلوا النساء. من حيث أمركم الله . فأتوا حرثكم أنى شئتم) من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة. فعلى كل مسلم أن يتأدب بها ويتكلف مثلها فى المحاورات والمكاتبات .

(٢) ما يجب تقديمه من الأعمــال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتم عنــه . أو هو طلب الولد أو التسمية على الوطء .

(٣) فلا تجترئوا على المناهى .

(٤) صائرون إليه فاستعدوا للقائه .

(٥) بالثواب يامحمد .

وإنما جاء يسألونك ثلاث مرات بلا واو ثم مع الواو ثلاثا لأن سؤالهم عن تلك الحوادث الأول كأنه وقع فى أحوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لأن كل واحد من السـؤالات سؤال مبتدأ . وسألوا عن الحوادث الأخر فى وقت واحد فجىء بحرف الجمع لذلك .

(٦) العُرضة فُعلة بمعنى مفعول كالقبضة وهى اسم ما تعرضــه دون الشىء من عرض العود على الإناء فيتعرض دونه ويصير حاجزا ومانعا منه تقول فلان عرضــة دون الخير. كان الرجل يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم أو إصلاح ذات بين أو إحسان إلى أحد أو عبادة ثم يقـول أخاف الله أن أحنث فى يمينى فيترك البر إرادة البر فى يمينه فقيل لهم (ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم) أى حاجزا لمـا حلفتم عليه . وسمى المحلوف عليه يمينا بتلبسه باليمين كقوله عليه السلام من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه

وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ (١) وَٱللَّهُ سَمِيعٌ (٢) عَلِيمٌ (٣) ﴿٢٢٤﴾ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ (٤) وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم (٥) بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ (٦) وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (٧) ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ (٨) مِن نِّسَآئِهِمْ (٩) تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ

---

(١) عطف بيان لأيمانكم أى للأمور المحلوف عليها التى هى البر والتقوى والإصلاح بين الناس .

واللام تتعلق بالفعل أى ولا تجعلوا الله لأيمانكم برزخا . ويجوز أن تكون اللام للتعليل ويتعلق أن تبروا بالفعل أو بالعرضة أى ولا تجعلوا الله لأجل أيمانكم به عرضة لأن تبروا .

(٢) لأيمانكم .

(٣) بنياتكم .

(٤) اللغو الساقط الذى لا يعتد به من كلام وغيره . ولغو اليمين الساقط الذى لا يعتد به فى الأيمان وهو أن يحلف على شيء يظنه على ما حلف عليه والأمر بخلافه . والمعنى لا يعاقبكم بلغو اليمين الذى يحلفه أحدكم . وعند الشافعى رحمه الله هو ما يجرى على لسانه من غير قصد للحلف نحو لا والله وبلى والله .

(٥) ولكن يعاقبكم .

(٦) بما اقترفته من إثم القصد إلى الكذب فى اليمين وهو أن يحلف على ما يعلم أنه خلاف ما يقوله وهو اليمين الغموس . وتعلّق الشافعى بهذا النص على وجوب الكفارة فى الغموس لأن كسب القلب العزم والقصد . والمؤاخذة غير مبينة هنا وبينت فى المائدة فكان البيان ثمة بيانا هنا . وقلنا المؤاخذة هنا مطلقة وهى فى دار الجزاء والمؤاخذة ثم مقيدة بدار الابتلاء فلا يصح حمل البعض على البعض .

(٧) حيث لم يؤاخذكم باللغو فى أيمانكم .

(٨) يقسمون . وهى قراءة ابن عباس رضى الله عنه .

(٩) مِنْ يتعلق بالجار والمجرور أى للذين كما تقول لك منى نصرة ولك منى معونة أى للمؤلين من نسائهم (تربص أربعة أشهر) أى استقر للمؤلين ترقب أربعة أشهر ، لا بيؤلون لأن آلى يعدى بعلى يقال آلى فلان على امرأته . وقول القائل آلى فلان من امرأته وهم توهمه من هذه الآية . ولك أن تقول عدى بمن لما فى هذا القسم من معنى البعد فكأنه قيل يبعدون من نسائهم مؤلين .

فَإِن فَآءُو(١) فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ(٢) ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ(٣) فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ(٤) عَلِيمٌ(٥) ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ(٦) يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ(٧) ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ(٨) وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ

(١) فى الأشهر لقراءة عبد الله (فان فاءوا فيهن) أى رجعوا إلى الوطء عن الإصرار بتركه.

(٢) حيث شرع الكفارة .

(٣) بترك الفىء فتربصوا إلى مضى المدة .

(٤) لإيلائه .

(٥) بنيته . وهو وعيد على إصرارهم وتركهم الفيئة .

وعند الشافعى رحمه الله معناه (فان فاءوا . وإن عزموا) بعد مضى المدة لأن الفاء للتعقيب . وقلنا قوله (فإن فاءوا . وإن عزموا) تفصيل لقوله (للذين يؤلون من نسائهم) والتفصيل يعقب المفصل كما تقول أنا نزيلكم هـذا الشهر فإن أحمدتكم أقمت عندكم إلى آخره وإلا لم أقم إلا ريثما أتحول .

(٦) أراد المدخول بهن من ذوات الأقراء .

(٧) خبر فى معنى الأمر وأصل الكلام ولتتربص المطلقات . وإخراج الأمر فى صورة الخبر تأكيد للأمر وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله فكأنهن امتثلن الأمر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا . ونحوه قولهم فى الدعاء رحمك الله أخرج فى صورة الخبر ثقة بالاستجابة كأنما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها . وبناؤه على المبتدأ مما زاده أيضا فضل تأكيد لأن الجملة الاسمية تدل على الدوام والثبات بخلاف الفعلية . وفى ذكر الأنفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث لأن أنفس النساء طوامح إلى الرجال فأمرن أن يقمعن أنفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص .

(٨) جمع قَرء أو قُرء . وهو الحيض لقوله عليه السلام دعى الصلاة أيام أقرائك وقوله طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان ولم يقل طهران ، وقوله تعالى (واللائى يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر) فأقام الأشهر مقام الحيض دون الأطهار ، ولأن المطلوب من العدة استبراء الرحم والحيض هو الذى يستبرأ به الأرحام دون الطهر ولذلك كان الاستبراء من الأمة بالحيضة ، ولأنه لو كان طهرا كما قال الشافعى لانقضت العدة بقرأين وبعض الثالث فانتقص العدد عن الثلاثة لأنه إذا طلقها لآخر الطهر فذا محسوب من العدة عنده وإذا

مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ[١] بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ[٢] وَبُعُولَتُهُنَّ[٣] أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ[٤] فِى ذَٰلِكَ[٥] إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا[٦] وَلَهُنَّ[٧] مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ[٨] بِٱلْمَعْرُوفِ[٩]

طلقها فى آخر الحيض فذا غير محسوب من العدة عندنا والثلاث اسم خاص لعـدد مخصوص لا يقع على ما دونه . ويقال أقرأت المرأة إذا حاضت وامرأة مقرئ . وانتصاب ثلاثة على أنه مفعول به أى يتربصن مضى ثلاثة قروء، أو على الظرف أى يتربصن مدة ثلاثة قروء. وجاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التى هى الأقراء لاشتراكهما فى الجمعيـة اتساعا. ولعل القروء كانت اكثر استعمالا فى جمع قرء من الأقراء فأوثر عليه تنزيلا لقليل الاستعمال منزلة المهمل .

(١) من الولد أو من دم الحيض أو منهما. وذلك إذا أرادت المرأة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها أن تضع ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها ؛ أو كتمت حيضها وقالت — وهى حائض — قد طهرت استعجالا للطلاق .

(٢) عظّم فعلهنّ لأن من آمن بالله و بعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم .

(٣) البعول جمع بعل والتاء لاحقة لتأنيث الجمع .

(٤) أى أزواجهن أولى برجعتهن . وفيه دليل على أن الطلاق الرجعى لايحرم الوطء حيث سماه زوجا بعد الطلاق .

(٥) فى مدة ذلك التربص . والمعنى أن الرجل إن أراد الرجعة وأبتها المرأة وجب إيثار قوله على قولها وكان هو أحق منها، لا أن لها حقا فى الرجعة .

(٦) بالرجعة .

(٧) لمـا بينهم و بينهن وإحسانا إليهن ولم يريدوا مضارتهن .

(٨) ويجب لهن من الحق على الرجال من المهـر والنفقة وحسن العشرة وترك المضارة مثل الذى يجب لهم عليهن من الأمر والنهى . والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب الواجبَ فى كونه حسنة لا فى جنس الفعل فلا يجب عليه إذا غسلت ثيابه أو خبزت له أن يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال .

(٩) بالوجه الذى لا ينكر فى الشرع وعادات النـاس فلا يكلف أحد الزوجين صاحبـه ما ليس له .

وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ(١) وَٱللَّهُ عَزِيزٌ(٢) حَكِيمٌ(٣) ۝ ٱلطَّلَٰقُ(٤) مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ(٥) أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ(٦) وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ(٧) أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ(٨) شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ(٩) أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ(١٠) أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ

(١) زيادة فى الحق وفضيلة بالقيـام بأمرها وبالإنفاق وملك النكاح ، وإن اشتركا فى اللذة والاستمتاع .

(٢) لا يعترض عليه فى أموره .

(٣) لا يأمر إلا بما هو صواب وحسن .

(٤) الطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم .أى التطليق الشرعى تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والإرسال دفعة واحدة . ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله (ثم ارجع البصر كرتين) أى كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين . وهو دليل لنـا فى أن الجمع بين الطلقتين والثلاث بدعة فى طهر واحد لأن الله تعالى أمرنا بالتفريق . لأنه وإن كان ظاهره الخـبر فمعناه الأمر . وإلّا يؤدى إلى الخلف فى خبر الله تعالى لأن الطلاق على وجه الجمع قد يوجد . وقيل قالت أنصارية إن زوجى قال لا أزال أطلقك ثم أراجعك فنزلت (الطـلاق مرتان) أى الطلاق الرجعى مرتان لأنه لا رجعة بعد الثالث .

(٥) برجعة . والمعنى فالواجب عليكم إمساك بمعروف .

(٦) بألا يراجعها حتى تبين بالعدة . وقيل بأن يطلقها الثالثة فى الطهر الثـالث .

(٧) نزل فى جميلة و زوجها ثابت بن قيس بن شمـاس وكانت تبغضه وهو يحبها وقـد أعطاها حديقة فاختلعت منه بها وهو أول خلع كان فى الإسلام (ولا يحل لكم) أيها الأزواج أو الحكام لأنهم الآمرون بالأخذ والإيتاء عند الترافع إليهم فكأنهم الآخذون والمؤتون .

(٨) ممـا أعطيتموهن من المهور .

(٩) إلا أن يعلم الزوجان ترك إقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية لمـا يحدث من نشوز المرأة وسوء خلقها . (إلا أن يخافا) حمـزة على البناء للمفعول وإبدال (ألا يقيما) من ألف الضمير. وهو من بدل الاشتمـال نحو خيف زيد تركه إقامة حدود الله .

(١٠) أيها الولاة . وجاز أن يكون أول الخطاب للأزواج وآخره للحكام .

ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا(١) فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ(٢) تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ(٣) فَلَا تَعْتَدُوهَا(٤) وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ(٥) ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا(٦) فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ(٧) حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ(٨) فَإِن طَلَّقَهَا(٩) فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ(١٠) أَن يَتَرَاجَعَآ(١١) إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ(١٢) وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا(١٣)

---

(١) فلا جناح على الرجل فيما أخذ ولا عليها فيما أعطت .

(٢) فيما افتدت به نفسها واختلعت به من بدل ما أوتيت من المهر .

(٣) أى ما حدّ من النكاح واليمين والإيلاء والطلاق والخلع وغير ذلك .

(٤) فلا تجاوزوها بالمخالفة .

(٥) الضارّون أنفسهم .

(٦) مرة ثالثة بعد المرتين . فإن قلت الخلع طلاق عندنا وكذا عند الشافعى رحمه الله فى قول . فكأن هذه تطليقة رابعة . قلت الخلع طلاق ببدل فيكون طلقة ثالثة وهذه بيان لتلك أى فإن طلقها الثالثة ببدل فحكم التحليل كذا .

(٧) من بعد التطليقة الثالثة .

(٨) حتى تتزوج غيره . والنكاح يسند إلى المرأة كما يسند إلى الرجل كالتزوج . وفيه دليل على أن النكاح ينعقد بعبارتها . والإصابة شرطت بحديث العسيلة كما عرف فى أصول الفقه . والفقه فيه أنه لما أقدم على فراق لم يُبق للندم مخلصا ، لم تحل له إلا بدخول فحل عليها ليمتنع عن ارتكابه .

(٩) الزوج الثانى بعد الوطء .

(١٠) على الزوج الأول وعليها .

(١١) أن يرجع كل واحد منهما إلى صاحبه بالزواج .

(١٢) إن كان فى ظنهما أنهما يقيمان حقوق الزوجية . ولم يقل إن علما أنهما يقيمان لأن اليقين مغيب عنهما لا يعلمه إلا الله .

(١٣) وبالنون المفضل .

لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ(١) ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ(٢) فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ(٣) وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا(٤) لِّتَعْتَدُوا۟(٥) وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ(٦) فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ(٧) وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا(٨) وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ(٩) وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ(١٠) يَعِظُكُم بِهِۦ(١١) وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟(١٢) أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ(١٣) ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ

---

(١) يفهمون ما بين لهم .

(٢) أى آخر عدّتهن وشارفن منتهاها . والأجل يقع على المدّة كلها وعلى آخرها يقال لعمر الإنسان أجل وللموت الذى ينتهى به أجل .

(٣) أى فأما أن يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة وإما أن يخليها حتى تنقضى عدّتها وتبين من غير ضرار .

(٤) مفعول له أو حال أى مضارّين. كان الرجل يطلق المرأة ويتركها حتى يقرب انقضاء عدّتها ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن ليطوّل العدّة عليها فهو الإمساك ضرارا .

(٥) لتظلموهن أو لتلجئوهن إلى الافتداء .

(٦) يعنى الإمساك للضرار .

(٧) بتعريضها لعقاب الله .

(٨) أى جدّوا بالأخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها وإلا فقد اتخذتموها هزوا يقال لمن لم يجد فى الأمر إنما أنت لاعب وهازئ .

(٩) بالإسلام وبنبوّة محمد عليه السلام .

(١٠) من القرآن والسنة . وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها .

(١١) بما أنزل عليكم وهو حال .

(١٢) فيما امتحنكم به .

(١٣) من الذكر والاتقاء والاتعاظ وغير ذلك وهو أبلغ وعد ووعيد .

أَجَلَهُنَّ (١) فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ (٢) أَن يَنكِحْنَ (٣) أَزْوَاجَهُنَّ (٤) إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم (٥) بِالْمَعْرُوفِ (٦) ذَٰلِكَ (٧) يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ (٨) ذَٰلِكُمْ (٩) أَزْكَىٰ لَكُمْ (١٠) وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ (١١) وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٢) ﴿٢٣٢﴾ وَالْوَالِدَاتُ

(١) أى انقضت عدّتهن . فدل سياق الكلامين على افتراق البلوغين لأن النكاح يعقبه هنا وذا يكون بعد العدّة ؛ وفى الأولى الرجعة وذا يكون فى العدّة .

(٢) فلا تمنعوهن . العضل المنع والتضييق .

(٣) من أن ينكحن .

(٤) الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن . وفيه إشارة إلى انعقاد النكاح بعبارة النساء . والخطاب للأزواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدّة ظلما ولا يتركونهن يتزوجن من شئن من الأزواج. سموا أزواجا باسم ما يؤول إليه . أو للأولياء فى عضلهن أن يرجعن إلى أزواجهن الذين كانوا أزواجا لهن. سموا أزواجا باعتبار ما كان . نزلت فى معقل بن يسار حين عضل أخته أن ترجع إلى الزوج الأول. أو للناس أى لا يوجد فيما بينكم عضل لأنه إذا وجد بينهم وهم راضون كانوا فى حكم العاضلين .

(٥) إذا تراضى الخطاب والنساء .

(٦) بما يحسن فى الدين والمروءة من الشرائط . أو بمهر المثل والكفء لأن عند عدم أحدهما للأولياء أن يتعرضوا .

(٧) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أو لكل واحد .

(٨) فالموعظة إنما تنجح فيهم .

(٩) أى ترك العضل والضرار .

(١٠) أى لكم من أدناس الآثام . أو (أزكى وأطهر) أفضل وأطيب .

(١١) ما فى ذلك من الزكاء والطهر .

(١٢) ذلك .

يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ(١) حَوْلَيْنِ(٢) كَامِلَيْنِ(٣) لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ(٤) وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ(٥) رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ(٦) لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا(٧) لَا تُضَآرَّ(٨)

(١) خبر فى معنى الأمر المؤكد كيتربصن . وهذا الأمر على وجه الندب ، أو على وجه الوجوب إذا لم يقبل الصبى إلا ثدى أمّه أو لم توجد له ظئر أو كان الأب عاجزا عن الاستئجار . أو أراد الوالدات المطلقات و إيجاب النفقة والكسوة لأجل الرضاع .

(٢) ظرف .

(٣) تامّين وهو تأكيد لأنه مما يتسامح فيه فإنك تقول إنك أقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما .

(٤) بيان لمن توجه إليه الحكم أى هذا الحكم لمن أراد إتمام الرضاعة . والحاصل أن الأب يجب عليه إرضاع ولده دون الأم وعليه أن يتخذ له ظئرا إلا إذا تطوّعت الأم بإرضاعه وهى مندوبة إلى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز استئجار الأم ما دامت زوجة أو معتدة .

(٥) الهاء يعود إلى اللام الذى بمعنى الذى والتقدير وعلى الذى يولد له وهو الوالد . وله فى محل الرفع على الفاعلية كعليهم فى (المغضوب عليهم) . و إنما قيل على المولود له دون الوالد ليعلم أن الوالدات إنما ولدن لهم إذ الأولاد للآباء والنسب إليهم لا إليهن فكان عليهم أن يرزقوهن ويكسوهن إذا أرضعن ولدهم كالأظآر . ألا ترى أنه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله (واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا) .

(٦) بلا إسراف ولا تقتير وتفسيره ما يعقبه وهو أن لا يكلّف واحد منهما ما ليس فى وسعه ولا يتضارّا .

(٧) وُجدها أو قدر إمكانها . والتكليف إلزام ما يؤثر فى الكُلفة . وانتصاب وسعها على أنه مفعول ثان لتكلف لا على الاستثناء ودخلت إلا بين المفعولين .

(٨) مكى و بصرى بالرفع على الإخبار . ومعناه النهى . وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول وأن يكون الأصل تضارر بكسر الراء أو تضارر بفتحها . الباقون لا تضارَّ على النهى . والأصل تضارِر أسكنت الراء الأولى وأدغمت فى الثانية فالتقى الساكنان ففتحت الثانية لالتقاء الساكنين .

وَٰلِدَةٌۢ[١] بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ[٢] وَعَلَى ٱلْوَارِثِ[٣] مِثْلُ ذَٰلِكَ[٤] فَإِنْ أَرَادَا[٥] فِصَالًا عَن تَرَاضٍ[٦] مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ[٧] فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا[٨] وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن

(١) أى لا تضارّ والدة زوجها بسبب ولدها وهو أن تعنُف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة، وأن تشغل قلبه بالتفريط فى شأن الولد، وأن تقول بعد ما ألفها الصبى اطلب له ظئرا، وما أشبه ذلك .

(٢) أى ولا يضارّ مولود له امرأته بسبب ولده بأن يمنعها شيئا مما وجب عليه من رزقها وكسوتها أو يأخذه منها وهى تريد إرضاعه .

وإذا كان مبنيا للفعول فهو نهى عن أن يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن أن يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد .

أو تضار بمعنى تضر والباء من صلته أى لا تضرّ والدة ولدها فلا تسىء غذاءه وتعهده ولا تدفعه إلى الأب بعد ما ألفها . ولا يضر الوالد به بأن ينتزعه من يدها أو يقصر فى حقها فتقصر هى فى حق الولد . وإنما قيل بولدها وبولده لأنه لما نهيت المرأة عن المضارة أضيف إليها الولد استعطافا لها عليه وكذلك الوالد .

(٣) عطف على قوله (وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن) وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه أى وعلى وارث الصبى عند عدم الأب (مثل ذلك) .

(٤) أى مثل الذى كان على أبيه فى حياته من الرزق والكسوة . واختلف فيه فعند ابن أبى ليلى كل من ورثه . وعندنا من كان ذا رحم محرم منه لقراءة ابن مسعود رضى الله عنه (وعلى الوارث ذى الرحم المحرم مثل ذلك) وعند الشافعى رحمه الله لا نفقة فيما عدا الوِلاد .

(٥) يعنى الأبوين .

(٦) فطاما صادرا (عن تراض) .

(٧) بينهما .

(٨) فى ذلك، زادا على الحولين أو نقصا. وهذه توسعة بعد التحديد. والتشاور استخراج الرأى من شُرت العسل إذا استخرجته. وذكره ليكون التراضى عن تفكر فلا يضر الرضيع. فسبحان الذى أدب الكبير ولم يهمل الصغير. واعتبر اتفاقهما لأنّ للأب النسبة والولاية، وللأم الشفقة والعناية .

تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ(١) فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم(٢) مَّآ ءَاتَيْتُم(٣) بِٱلْمَعْرُوفِ(٤) وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ(٥) ۝ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ(٦) مِنكُمْ وَيَذَرُونَ(٧) أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ(٨) أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا(٩) فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ(١٠) فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ(١١) فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ(١٢) بِٱلْمَعْرُوفِ(١٣) وَٱللَّهُ

---

(١) أى لأولادكم عن الزجاج. وقيل استرضع منقول من أرضع يقال أرضعت المرأةُ الصبي واسترضعتُها الصبيَّ معدى إلى مفعولين أى أن تسترضعوا المراضع أولادكم فحذف أحد المفعولين . يعنى غير الأم عند إبائها أو عجزها .

(٢) إلى المراضع .

(٣) ما أردتم إيتاءه من الأجرة . أتيتم مكى من أتى إليه إحسانا إذا فعله ومنه قوله (كان وعده مأتيا) أى مفعولا. والتسليم ندب لا شرط للجواز .

(٤) متعلق بسلّمتم أى سلمتم الأجرة إلى المراضع بطيب نفس وسرور .

(٥) لا تخفى عليه أعمالكم فهو يجازيكم عليها .

(٦) تقول توفيت الشيء واستوفيته إذا أخذته وافيا تاما أى تُستوفى أرواحهم . يَتوفون المفضل أى يستوفون آجالهم .

(٧) ويتركون .

(٨) أى وزوجات الذين يتوفون منكم يتربصن أى يعتددن ؛ أو معناه يتربصن بعدهم بأنفسهن . فحذف بعدهم للعلم به . وإنما احتيج إلى تقديره لأنه لا بد من عائد يرجع إلى المبتدأ فى الجملة التى وقعت خبرا .

(٩) أى وعشر ليال والأيام داخلة معها. ولا يستعمل التذكير فيه ذهابا إلى الأيام تقول صمت عشرا . ولو ذكّرت لخرجت من كلامهم .

(١٠) فإذا انقضت عدتهن .

(١١) أيها الأئمة والحكام .

(١٢) من التعرض للخطّاب .

(١٣) بالوجه الذى لا ينكره الشرع .

بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ(١) وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ(٢) أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ(٣) عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ(٤) وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا(٥) إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا(٦) وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ(٧) حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ(٨) وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ(٩) فَٱحْذَرُوهُ(١٠)

(١) عالم بالبواطن .

(٢) الخطبة الاستنكاح . والتعريض أن تقول لها إنك لجميلة أو صالحة ومن غرضى أن أتزوج ونحو ذلك من الكلام الموهم أنه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه إن رغبت فيه. ولا يصرح بالنكاح فلا يقول إنى أريد أن أتزوجك. والفرق بين الكناية والتعريض أن الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له والتعريض أن تذكر شيئا تدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جئتك لأسلم عليك ولأنظر إلى وجهك الكريم ولذلك قالوا
* وحسبك بالتسليم منى تقاضيا * فكأنه إمالة الكلام إلى عرض يدل على الغرض .

(٣) أو سترتم وأضمرتم فى قلوبكم فلم تذكروه بألسنتكم لا معرّضين ولا مصرّحين .

(٤) لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن فاذكروهن (ولكن لا تواعدوهنّ سرّا).

(٥) جماعا لأنه مما يسر أى لا تقولوا فى العدة إنى قادر على هذا العمل .

(٦) وهو أن تعرّضوا ولا تصرّحوا. وإلا متعلق بلا تواعدوهن أى لا تواعدوهن مواعدة قط إلا مواعدة معروفة غير منكرة .

(٧) من عزم الأمر وعزم عليه. وذكر العزم مبالغة فى النهى عن عقد النكاح لأن العزم على الفعل يتقدمه فإذا نهى عنه كان عن الفعل أنهى . ومعناه ولا تعزموا عقد عقدة النكاح أو ولا تقطعوا عقدة النكاح لأن حقيقة العزم القطع ومنه الحديث لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروى لمن لم يبيّت الصيام .

(٨) أى ولا تعزموا على عقدة النكاح حتى تنقضى عدتها . وسميت العدة كتابا لأنها فرضت بالكتاب . يعنى حتى يبلغ التربص المكتوب عليها أجله أى غايته .

(٩) من العزم على ما لا يجوز .

(١٠) ولا تعزموا عليه .

وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ(١) ۝ لَّا جُنَاحَ(٢) عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ(٣) مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ(٤) أَوۡ تَفۡرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ(٥) وَمَتِّعُوهُنَّ(٦) عَلَى ٱلۡمُوسِعِ(٧) قَدَرُهُۥ(٨) وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ(٩) قَدَرُهُۥ مَتَٰعَۢا(١٠) بِٱلۡمَعۡرُوفِ(١١) حَقًّا(١٢) عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ(١٣) ۝ وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ

---

(١) لا يعاجلكم بالعقوبة .

(٢) نزل فيمن طلق امرأته ولم يكن سمى لها مهرا ولا جامعها . أى لا تبعة عليكم من إيجاب مهر . والدليل على أن الجناح تبعة المهر قوله (وإن طلقتموهن) الى قوله (فنصف ما فرضتم) فقوله (فنصف ما فرضتم) إثبات للجناح المنفى ثمة .

(٣) شرط . ويدل على جوابه (لا جناح عليكم) والتقدير إن طلقتم النساء فلا جناح عليكم .

(٤) ما لم تجامعوهن . وما شرطية أى إن لم تمسوهن . تماسوهن حمزة وعلىّ حيث وقع لأن الفعل واقع بين اثنين .

(٥) إلا أن تفرضوا لهن فريضة أو حتى تفرضوا. وفرض الفريضة تسمية المهر. وذلك أن المطلقة غير الموطوءة لها نصف المسمى إن سمى لها مهر. وإن لم يسم لها مهر فليس لها نصف مهر المثل بل تجب المتعة . ولا تجب المتعة عندنا إلا لهذه وتستحب لسائر المطلقات .

(٦) معطوف على فعل محذوف تقديره فطلقوهن ومتعوهن. والمتعة درع وملحفة وخمار .

(٧) الذى له سعة .

(٨) مقداره الذى يطيقه . قَدَره فيهما كوفى غير أبى بكر وهما لغتان .

(٩) الضيّق الحال .

(١٠) تأكيد لمتعوهن أى تمتيعا .

(١١) بالوجه الذى يحسن فى الشرع والمروءة .

(١٢) صفة لمتاعا أى متاعا واجبا عليهم ، أو حق ذلك حقا .

(١٣) على المسلمين أو على الذين يحسنون إلى المطلقات بالتمتيع . وسماهم قبل الفعل محسنين كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه . وليس هـذا الإحسان هو التبرع بما ليس عليه إذ هذه المتعة واجبة. ثم بين حكم التى سمى لها مهرا فى الطلاق قبل المس فقال (وإن طلقتموهنّ)

مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ(١) وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ(٢) فَرِيضَةً(٣) فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ(٤) أَوْ يَعْفُوَا۟(٥) ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ(٦) وَأَن تَعْفُوٓا۟(٧) أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ(٨) بَيْنَكُمْ(٩) إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ(١٠) حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ(١١)

(١) أن مع الفعل بتأويل المصدر فى موضع الجر أى من قبل مسكم إياهن .

(٢) فى موضع الحال .

(٣) مهرا .

(٤) يريد المطلقات . وأن مع الفعل فى موضع النصب على الاستثناء كأنه قيل فعليكم نصف ما فرضتم فى جميع الأوقات إلا وقت عفوهن عنكم من المهر. والفرق بين الرجال يعفون والنساء يعفون أن الواو فى الأول ضميرهم والنون علم الرفع . والواو فى الثانى لام الفعل والنون ضميرهن والفعل مبنى لا أثر فى لفظه للعامل .

(٥) عطف على محلّ (يعفون) .

(٦) هو الزوج كذا فسره علىّ رضى الله عنه . وهو قول سعيد بن جبير وشريح ومجاهد وأبى حنيفة والشافعى على الجديد رضى الله عنهم. وهذا لأن الطلاق بيده فكان بقاء العقد بيده. والمعنى أن الواجب شرعا هو النصف إلا أن تسقط هى الكل أو يعطى هو الكل تفضلا . وعند مالك والشافعى فى القديم هو الولى. قلنا هو لا يملك التبرع بحق الصغيرة فكيف يجوز حمله عليه .

(٧) مبتدأ خبره (أقرب). والخطاب للأزواج والزوجات على سبيل التغليب ذكره الزجاج. أى عفو الزوج باعطاء كل المهر خير له وعفو المرأة باسقاط كله خير لها. أو للأزواج .

(٨) التفضل .

(٩) أى ولا تنسوا أن يتفضل بعضكم على بعض .

(١٠) فيجازيكم على تفضلكم .

(١١) داوموا عليها بمواقيتها وأركانها وشرائطها .

وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ(١) وَقُومُواْ لِلَّهِ(٢) قَٰنِتِينَ(٣) ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ(٤) فَرِجَالًا(٥) أَوْ رُكْبَانًا(٦) فَإِذَآ أَمِنتُمْ(٧) فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ(٨) كَمَا عَلَّمَكُم(٩) مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ(١٠) ﴿٢٣٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ

(١) بين الصلوات أى الفضلى من قولهم للأفضل الأوسط . وإنما أفردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل. وهى صلاة العصر عند أبى حنيفة رحمه الله وعليه الجمهور لقوله عليه السلام يوم الأحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارا . وقال عليه السلام إنهـا الصلاة التى شغل عنها سليمان حتى توارت بالحجاب . وفى مصحف حفصة (والصلاة الوسطى صلاة العصر) ولأنها بين صلاتى الليل وصلاتى النهار. وفضلها لمـا فى وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم. وقيل صلاة الظهر لأنها فى وسط النهار. أو صلاة الفجر لأنها بين صلاتى النهـار وصلاتى الليل . أو صلاة المغرب لأنها بين الأربع والمثنى ولأنها بين صلاتى مخافتة وصلاتى جهر. أو صلاة العشاء لأنها بين وترين . أو هى غير معينة كليلة القدر ليحفظوا الكل .

(٢) فى الصلاة .

(٣) حال أى مطيعين خاشعين أو ذاكرين الله فى قيامكم . والقنوت أن تذكر الله قائمـا . أو مطيلين القيام .

(٤) فان كان بكم خوف من عدو أو غيره .

(٥) حال أى فصلوا راجلين وهو جمع راجل كقائم وقيام .

(٦) وُحدانا بإيماء . ويسقط عنه التوجه إلى القبلة .

(٧) فإذا زال خوفكم .

(٨) فصلوا صلاة الأمن .

(٩) أى ذكرا مثل ما علمكم .

(١٠) من صلاة الأمن .

مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً(١) لِأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا(٢) إِلَى الْحَوْلِ(٣) غَيْرَ إِخْرَاجٍ(٤) فَإِنْ خَرَجْنَ(٥) فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ(٦) مِن مَّعْرُوفٍ(٧) وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ(٨) ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ(٩) بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا(١٠) عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ(١١) تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ(١٢)

---

(١) بالنصب شامى وأبو عمرو وحمزة وحفص أى فليوصوا وصية عن الزجاج . غيرهم بالرفع أى فعليهم وصية .

(٢) نصب بالوصية لأنها مصدر . أو تقديره متعوهن متاعا .

(٣) صفة لمتاعا .

(٤) مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول . أو بدل من متاعا . والمعنى أن حق الذين يتوفون عن أزواجهم أن يوصوا قبل أن يحتضروا بأن تمتع أزواجهم بعدهم حولا كاملا أى ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن. وكان ذلك مشروعا فى أول الإسلام ثم نسخ بقوله تعالى (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا) إلى قوله (أربعة أشهر وعشرا) والناسخ متقدم عليه تلاوة ومتأخر نزولا كقوله تعالى (سيقول السفهاء من الناس) مع قوله تعالى (قد نرى تقلب وجهك فى السماء) .

(٥) بعد الحول .

(٦) من التزين والتعرض للخطّاب .

(٧) مما ليس بمنكر شرعا .

(٨) فيما حكم .

(٩) أى نفقة العدة . وإن أريد به المتعة فالمراد غير المطلقة المذكورة وهى على سبيل الندب .

(١٠) نصب على المصدر .

(١١) هو فى موضع الرفع لأنه خبر لعل .

(١٢) تقرير لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب وأخبار الأولين وتعجيب من شأنهم . ويجوز أن يخاطب به من لم ير ولم يسمع لأن هذا الكلام جرى مجرى المثل فى معنى التعجيب .

إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ (١) وَهُمْ أُلُوفٌ (٢) حَذَرَ ٱلْمَوْتِ (٣) فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ (٤) ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ (٥) إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ (٦) وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٧) ﴿٢٤٣﴾ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ (٨) وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ (٩) عَلِيمٌ (١٠) ﴿٢٤٤﴾

---

(١) من قرية قيل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فأماتهم الله ثم أحياهم بدعاء حزقيل عليه السلام . وقيل هم قوم من بنى اسرائيل دعاهم ملكهم إلى الجهاد فهربوا حذرا من الموت فأماتهم الله ثمانية أيام ثم أحياهم .

(٢) فى موضع النصب على الحال وفيه دليل على الألوف الكثيرة لأنها جمع كثرة . وهى جمع ألف لا آلف .

(٣) مفعول له .

(٤) أى فأماتهم الله . وإنما جىء به على هـذه العبارة للدلالة على أنهم ماتوا ميتة رجل واحد بأمر الله ومشيئته وتلك ميتة خارجة عن العادة . وفيه تشجيع للسلمين على الجهاد وأن الموت إذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفر فأولى أن يكون فى سبيل الله . والدليل على أنه ساق هذه القصة بعثا على الجهاد ما أتبعه من الأمر بالقتال فى سبيل الله وهو قوله (وقاتلوا فى سبيل الله) فحرض على الجهاد بعد الإعلام بأن الفرار من الموت لا يغنى .

(٥) ليعتبروا ويعلموا أنه لا مفر من حكم الله وقضائه . وهو معطوف على فعل محذوف تقديره فماتوا ثم أحياهم أو لما كان معنى قوله (فقال لهم الله موتوا) فأماتهم ، كان عطفا عليه معنى .

(٦) حيث يبصّرهم ما يعتبرون به كما بصّر أولئك وكما بصّركم باقتصاص خبرهم . أو لذو فضل على الناس حيث أحيا أولئك ليعتبروا فيفوزوا ولو شاء لتركهم موتى إلى يوم النشور .

(٧) ذلك .

(٨) هذا الخطاب لأمة محمد عليه السلام أو لمن أحياهم .

(٩) يسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون .

(١٠) بما يضمرونه .

مَّن[(١)] ذَا[(٢)] ٱلَّذِى[(٣)] يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا[(٤)] حَسَنًا[(٥)] فَيُضَٰعِفَهُۥ[(٦)] لَهُۥٓ أَضْعَافًا[(٧)] كَثِيرَةً[(٨)] وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ[(٩)] وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ[(١٠)] ﴿٢٤٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ[(١١)] مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ[(١٢)] بَعْدِ مُوسَىٰٓ[(١٣)] إِذْ قَالُواْ[(١٤)] لِنَبِىٍّ لَّهُمُ[(١٥)] ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا[(١٦)]

(١) استفهام فى موضع رفع بالابتداء .

(٢) خبره .

(٣) نعت لذا أو بدل منه .

(٤) صلة الذى . سمى ما ينفق فى سبيل الله قرضا لأن القرض ما يقبض ببدل مثله من بعدُ . سمى به لأن المقرض يقطعه من ماله فيدفعه إليه . والقرض القطع ومنه المقراض وقرض الفأر والانقراض . فنبههم بذلك على أنه لا يضيع عنده وأنه يجزيهم عليه لا محالة .

(٥) بطيبة النفس من المال الطيب . والمراد النفقة فى الجهاد لأنه لما أمر بالقتال فى سبيل الله ويحتاج فيه إلى المال حث على الصدقة ليتهيأ أسباب الجهاد .

(٦) بالنصب عاصم على جواب الاستفهام وبالرفع أبو عمرو ونافع وحمزة وعلىّ عطفا على يقرض . أو هو مستأنف أى فهو يضاعفه . فيضعّفَه شامى . فيضعّفُه مكى .

(٧) فى موضع المصدر .

(٨) لا يعلم كنهها إلا الله وقيل الواحد بسبعمائة .

(٩) يقتر الرزق على عباده ويوسعه عليهم فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدلكم الضيق بالسعة . ويبصط حجازى وعاصم وعلىّ .

(١٠) فيجازيكم على ما قدمتم .

(١١) الأشراف لأنهم يملئون القلوب جلالة والعيون مهابة .

(١٢) من للتبعيض .

(١٣) من بعد موته . ومن لابتداء الغاية .

(١٤) حين قالوا .

(١٥) هو شمعون أو يوشع أو اشمويل .

(١٦) أنهض للقتال معنا أميرا نصدر فى تدبير الحرب عن رأيه وننتهى إلى أمره .

نُقَـٰتِلْ (١) فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ قَالَ (٢) هَلْ (٣) عَسَيْتُمْ (٤) إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ (٥) أَلَّا تُقَـٰتِلُوا۟ (٦) قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَـٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ (٧) أُخْرِجْنَا مِن دِيَـٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا (٨) فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ (٩) تَوَلَّوْا۟ (١٠) إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ (١١) وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ (١٢) ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ (١٣) مَلِكًا (١٤)

(١) بالنون والجزم على الجواب .

(٢) صلة نقاتل .

(٣) النبى .

(٤) عسيتم حيث كان نافع .

(٥) شرط فاصل بين اسم عسى وخبره وهو (ألا تقاتلوا) .

(٦) والمعنى هل قاربتم ألا تقاتلوا يعنى هل الأمر كما أتوقعه أنكم لا تقـاتلون وتجبنون فأدخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده . وأراد بالاستفهام التقرير وتثبيت أن المتوقع كائن وأنه صائب فى توقعه .

(٧) وأىّ داع لنا إلى ترك القتال وأىّ غرض لنا فيه .

(٨) الواو فى (وقد) للحال . وذلك أن قوم جالوت كانوا يسكنون بين مصر وفلسطين فأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وأربعين . يعنون إذا بلغ الأمر منا هذا المبلغ فلا بد من الجهاد .

(٩) أى أجيبوا إلى ملتمسهم .

(١٠) أعرضوا عنه .

(١١) وهم كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر على عدد أهل بدر .

(١٢) وعيد لهم على ظلمهم بترك الجهاد .

(١٣) هو اسم أعجمى كجالوت وداود . ومنع من الصرف للتعريف والعجمة .

(١٤) حال .

قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا(١) وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ(٢) وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ(٣) قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ(٤) وَزَادَهُۥ بَسْطَةً(٥) فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ(٦) وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ(٧) وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ(٨) عَلِيمٌ(٩) ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ(١٠) فِيهِ سَكِينَةٌ(١١) مِّن رَّبِّكُمْ

(١) أى كيف ومن أين وهو إنكار لتملكه عليهم واستبعاد له .

(٢) الواو للحال .

(٣) أى كيف يتملك علينا والحال أنه لا يستحق التملك لوجود من هو أحق بالملك وأنه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به . وإنما قالوا ذلك لأن النبوة كانت فى سبط لاوى ابن يعقوب عليه السلام . والملك فى سبط يهوذا . وهو كان من سبط بنيامين . وكان رجلا سقاء أو دباغا فقيرا . وروى أن نبيهم دعا الله حين طلبوا منه ملكا فأتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها إلا طالوت .

(٤) الطاء فى اصطفاه بدل من التاء لمكان الصاد الساكنة . أى اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكمه . ثم ذكر مصلحتين أنفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم المبسوط والجسامة فقال (وزاده بسطة) .

(٥) مفعول ثان .

(٦) قالوا كان أعلم بنى إسرائيل بالحرب والديانات فى وقته ، وأطول من كل إنسان برأسه ومنكبه . والبسطة السعة والامتداد . والملك لا بد أن يكون من أهل العلم فان الجاهل ذليل مزدرى غير منتفع به ، وأن يكون جسيما لأنه أعظم فى النفوس وأهيب فى القلوب .

(٧) أى الملك له غير منازع فيه وهو يؤتيه من يشاء إيتاءه وليس ذلك بالوراثة .

(٨) أى واسع الفضل والعطاء يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر .

(٩) بمن يصطفيه للملك . فثمة طلبوا من نبيهم آية على اصطفاء الله طالوت .

(١٠) أى صندوق التوراة . وكان موسى عليه السلام إذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بنى إسرائيل ولا يفرون .

(١١) سكون وطمأنينة .

وَبَقِيَّةٌ(١) مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ(٢) تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ(٣) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ(٤) ۝ فَلَمَّا فَصَلَ(٥) طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ(٦) قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم(٧) بِنَهَرٍ(٨) فَمَن شَرِبَ مِنْهُ(٩) فَلَيْسَ مِنِّى(١٠) وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ(١١) فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ(١٢) إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ(١٣)

---

(١) هى رُضاض الألواح وعصا موسى وثيـابه وشىء من التوراة ونعـلا موسى وعمامة هرون عليهما السلام .

(٢) أى ممـا تركه موسى وهرون . والآل مقحم لتفخيم شأنهما .

(٣) يعنى التابوت. وكان رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة تحمله وهم ينظرون إليه. والجملة فى موضع الحال . وكذا (فيه سكينة) . و(من ربكم) نعت لسكينة . و(ممـا ترك) نعت لبقية .

(٤) إن فى رجوع التابوت إليكم علامة أن الله قد ملّك طالوت عليكم إن كنتم مصدقين .

(٥) خرج عن بلده الى جهاد العدو .

(٦) فى موضع الحال أى مختلطا بالجنود وهم ثمانون ألفا . وكان الوقت قيظا وسألوا أن يجرى الله لهم نهرا .

(٧) مختبركم أى يعاملكم معاملة المختبر. ليتميز المحقّ فى الجهاد من المعذّر .

(٨) وهو نهر فلسطين .

(٩) كرعا .

(١٠) فليس من أتباعى وأشياعى .

(١١) ومن لم يذقه من طعِم الشىءَ إذ ذاقه .

(١٢) و بفتح الياء مدنى وأبو عمرو .

(١٣) استثنى من قوله (فمن شرب منه فليس منى) . والجملة الثانية فى حكم المتأخرة عن الاستثناء إلا أنها قدمت للعناية .

غُرْفَةً بِيَدِهِۦ(١) فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ(٢) إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ(٣) فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ(٤) هُوَ(٥) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ(٦) قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا(٧) ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ(٨) وَجُنُودِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ(٩) أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم(١٠) مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ(١١) فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ(١٢) وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ(١٣) ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟(١٤) لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ(١٥) عَلَيْنَا صَبْرًا(١٦)

(١) غَرفة حجازى وأبو عمرو بمعنى المصدر. وبالضم بمعنى المغروف. ومعناه الرخصة فى اغتراف الغرفة باليد دون الكرع. والدليل عليه (فشربوا منه).

(٢) أى فكرعوا.

(٣) وهم ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا.

(٤) أى النهر.

(٥) طالوت.

(٦) أى القليل.

(٧) أى لا قوة لنا.

(٨) هو جبار من العمالقة من أولاد عمليق بن عاد وكان فى بيضته ثلثمائة رطل من الحديد.

(٩) يوقنون بالشهادة. قيل الضمير فى (قالوا) للكثير الذين انخذلوا. و (الذين يظنون) هم القليل الذين ثبتوا معه. وروى أن الغرفة كانت تكفى الرجل لشربه وإداوته. والذين شربوا منه اسودّت شفاههم وغلبهم العطش.

(١٠) كم خبرية وموضعها رفع بالابتداء.

(١١) خبرها.

(١٢) بنصره.

(١٣) بالنصر.

(١٤) خرجوا لقتالهم.

(١٥) اصبب.

(١٦) على القتال.

وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا [١] وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ [٢] ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم [٣] بِإِذْنِ اللَّهِ [٤] وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ [٥] وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ [٦] وَالْحِكْمَةَ [٧] وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ [٨] وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ [٩] بَعْضَهُم [١٠] بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ [١١] وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ [١٢] ﴿٢٥١﴾

(١) بتقوية قلوبنا وإلقاء الرعب فى صدور عدوّنا .

(٢) أعنّا عليهم .

(٣) أى طالوتُ والمؤمنون جالوتَ وجنودَه .

(٤) بقضائه .

(٥) كان بيشا أبو داود فى عسكر طالوت مع ستة من بنيه. وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم فأوحى الله الى نبيهم أن داود هو الذى يقتل جالوت فطلبه من أبيــه فجاء وقد مر فى طريقه بثلاثة أحجار دعاه كل واحد منها أن يحمــله وقالت له إنك تقتل بنا جالوت فحملها فى مخلاته ورمى بها جالوت فقتله وزوّجه طالوت بنته ثم حسده وأراد قتله ثم مات تائبا .

(٦) فى مشارق الأرض المقدّسة ومغاربها وما اجتمعت بنو اسرائيل على ملك قط قبل داود .

(٧) والنبوّة .

(٨) من صنعة الدروع وكلام الطيور والدواب وغير ذلك .

(٩) هو مفعول به .

(١٠) بدل من الناس . دفاع مدنى مصدر دفع أو دافع .

(١١) أى ولولا أن الله تعالى يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الأرض وبطلت منافعها من الحرث والنسل . أو ولولا أن الله تعالى ينصر المسلمين على الكافرين لفسدت الأرض بغلبة الكفار وقتل الأبرار وتخريب البلاد وتعذيب العباد .

(١٢) بإزالة الفساد عنهم وهو دليل على المعتزلة فى مسألة الأصلح .

تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ (١) نَتْلُوهَا (٢) عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ (٣) وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (٤) ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ (٥) فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ (٦) مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ (٧) وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ (٨) دَرَجَـٰتٍ (٩) وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ (١٠) وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ (١١) وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ

(١) مبتدأ خبره (آيات) و (نتلوها) حال من (آيات الله) والعامل فيه معنى الإشارة أو (آيات الله) بدل من تلك و (نتلوها) الخبر .

(٢) يعنى القصص التى اقتصها من حديث الألوف وإماتتهم وإحيائهم وتمليك طالوت وإظهاره على الجبابرة على يد صبى .

(٣) باليقين الذى لا يشك فيه أهل الكتاب لأنه فى كتبهم كذلك .

(٤) حيث تخبر بها من غير أن تعرف بقراءة كتاب أو سماع من أهله .

(٥) إشارة إلى جماعة الرسل التى ذكرت قصصها فى هذه السورة من آدم إلى داود أو التى ثبت علمها عند رسول الله عليه السلام .

(٦) بالخصائص وراء الرسالة لاستوائهم فيها كالمؤمنين يستوون فى صفة الإيمان ويتفاوتون فى الطاعات بعد الإيمان , ثم بين ذلك بقوله (منهم من كلّم الله) .

(٧) أى كلمه الله حذف العائد من الصلة يعنى منهم من فضله الله بأن كلمه من غير سفير وهو موسى عليه السلام .

(٨) مفعول أول .

(٩) مفعول ثان أى بدرجات أو إلى درجات . يعنى ومنهم من رفعه على سائر الأنبياء فكان بعد تفاوتهم فى الفضل أفضل منهم بدرجات كثيرة . وهو محمد صلى الله عليه وسلم لأنه هو المفضل عليهم بارساله إلى الكافة ، وبأنه أوتى ما لم يؤته أحد من الآيات المتكاثرة المرتقية الى ألف أو أكثر وأكبرها القرآن لأنه المعجزة الباقية على وجه الدهر . وفى هذا الإبهام تفخيم وبيان أنه العَلَم الذى لا يشتبه على أحد والمتميز الذى لا يلتبس . وقيل أريد به محمد وإبراهيم وغيرهما من أولى العزم من الرسل .

(١٠) كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وغير ذلك .

(١١) قويناه بجبريل أو بالإنجيل .

مَا ٱقْتَتَلَ(١) ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ(٢) مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ(٣) وَلَـٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟(٤) فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ(٥) وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟(٦) وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ(٧) ﴿٢٥٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم(٨) مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ(٩) وَلَا خُلَّةٌ(١٠) وَلَا شَفَـٰعَةٌ(١١) وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ(١٢) ﴿٢٥٤﴾

(١) أى ما اختلف لأنه سببه .

(٢) من بعد الرسل .

(٣) المعجزات الظاهرات .

(٤) بمشيئتى . ثم بين الإختلاف فقال (فنهم من آمن ومنهم من كفر) .

(٥) بمشيئتى . يقول الله أجريت أمور رسلى على هذا أى لم يجتمع لأحد منهم طاعة جميع أمته فى حياته ولا بعد وفاته بل اختلفوا عليه (فمنهم من آمن ومنهم من كفر) .

(٦) كرره للتأكيد . أى لو شئت ألا يقتتلوا لم يقتتلوا إذ لا يجرى فى ملكى إلا ما يوافق مشيئتى . وهذا يبطل قول المعتزلة لأنه أخبر أنه لو شاء ألا يقتتلوا لم يقتتلوا . وهم يقولون شاء ألا يقتتلوا فاقتتلوا .

(٧) أثبت الإرادة لنفسه كما هو مذهب أهل السنة .

(٨) فى الجهاد فى سبيل الله أو هو عام فى كل صدقة واجبة .

(٩) أى من قبل أن يأتى يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الإنفاق لأنه لا بيع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه .

(١٠) حتى يسامحكم أخلاؤكم به .

(١١) أى للكافرين فأما المؤمنون فلهم شفاعة . أو إلا بإذنه .

(١٢) (هم الظالمون) أنفسهم بتركهم التقديم ليوم حاجتهم . أو الكافرون بهذا اليوم هم الظالمون . (لا بيعَ فيه ولا خلةَ ولا شفاعةَ) مكى وبصرى .

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ (١) ٱلْحَىُّ (٢) ٱلْقَيُّومُ (٣) لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ (٤) وَلَا نَوْمٌ (٥) لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ (٦) مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ (٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ (٨) وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ (٩) إِلَّا بِمَا شَآءَ (١٠) وَسِعَ كُرْسِيُّهُ (١١) ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ (١٢)

(١) لا مع اسمه وخبره وما أبدل من موضعه فى موضع الرفع خبر المبتدأ وهو الله .

(٢) الباقى الذى لا سبيل عليه للفناء .

(٣) الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه .

(٤) نعاس وهو ما يتقدّم النوم من الفتور .

(٥) عن المفضل السنة ثقل فى الرأس، والنعاس فى العين، والنوم فى القلب. وهو تأكيد للقيوم لأن من جاز عليه ذلك استحال أن يكون قيوما . وقد أوحى إلى موسى عليه السلام قل لهؤلاء إنى أمسك السموات والأرض بقدرتى فلو أخذنى نوم أو نعاس لزالتا .

(٦) مُلكا ومِلكا .

(٧) ليس لأحد أن يشفع عنده إلا بإذنه. وهو بيان لملكوته وكبريائه وأن أحدا لا يتمالك أن يتكلم يوم القيامة إلا إذا أذن له فى الكلام . وفيه رد لزعم الكفار أن الأصنام تشفع لهم .

(٨) ما كان قبلهم وما يكون بعدهم . والضمير لما فى السموات والأرض لأن فيهم العقلاء .

(٩) من معلومه يقال فى الدعاء اللهم اغفر علمك فينا أى معلومك .

(١٠) إلا بما علّم .

(١١) أى علمه . ومنه الكراسة لتضمنها العلم . والكراسى العلماء . وسمى العلم كرسيا تسمية بمكانه الذى هو كرسى العالم . وهو كقوله تعالى (ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما) . أو ملكه تسمية بمكانه الذى هو كرسى الملك . أو عرشه كذا عن الحسن. أو هو سرير دون العرش . فى الحديث ما السموات السبع فى الكرسى إلا كحلقة ملقاة بفلاة . وفضل العرش على الكرسى كفضل الفلاة على تلك الحلقة . أو قدرته بدليل قوله (ولا يئوده) .

(١٢) ولا يثقله ولا يشق عليه .

حِفْظُهُمَا(١) وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ(٢) ٱلْعَظِيمُ(٣) ﴿٢٥٥﴾ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ(٤) قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ(٥)

(١) حفظ السموات والأرض .

(٢) فى ملكه وسلطانه .

(٣) فى عزه وجلاله . أو (العلىّ) المتعالى عن الصفات التى لا تليق به (العظيم) المتصف بالصفات التى تليق به فهما جامعان لكمال التوحيد .

وإنما ترتبت الجمل فى آية الكرسى بلا حرف عطف لأنها وردت على سبيل البيان : فالأولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه . والثانية لكونه مالكا لما يدبره . والثالثة لكبرياء شأنه . والرابعة لإحاطته بأحوال الخلق . والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها أو لجلاله وعظم قدره . وإنما فضلت هذه الآية حتى ورد فى فضلها ما ورد (منه ما روى عن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ آية الكرسى فى دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت ولا يواظب عليها إلا صديق أو عابد ومن قرأها إذا أخذ مضجعه أمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والأبيات حوله . وقال عليه السلام سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الأيام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسى. وقال ما قرئت هذه الآية فى دار إلا هجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة . وقال من قرأ آية الكرسى عند منامه بعث إليه ملك يحرسه حتى يصبح . وقال من قرأ هاتين الآيتين حين يمسى حفظ بهما حتى يصبح وإن قرأهما حين يصبح حفظ بهما حتى يمسى : آية الكرسى وأول حم المؤمن إلى إليه المصير) لاشتمالها على توحيد الله تعالى وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى ولا مذكور أعظم من رب العزة فما كان ذكرا له كان أفضل من سائر الأذكار . وبه يعلم أن أشرف العلوم علم التوحيد .

(٤) أى لا إجبار على الدين الحق وهو دين الإسلام . وقيل هو إخبار فى معنى النهى وروى أنه كان لأنصارى ابنان فتنصرا فلزمهما أبوهما وقال والله لا أدعكما حتى تسلما فأبيا فاختصما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الأنصارى يارسول الله أيدخل بعضى فى النار وأنا أنظر . فنزلت . فخلاهما . قال ابن مسعود وجماعة كان هذا فى الابتداء ثم نسخ بالأمر بالقتال .

(٥) قد تميز الإيمان من الكفر بالدلائل الواضحة .

فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّـٰغُوتِ(١) وَيُؤْمِنۢ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ(٢) بِالْعُرْوَةِ(٣) الْوُثْقَىٰ(٤) لَا انفِصَامَ لَهَا(٥) وَاللَّهُ سَمِيعٌ(٦) عَلِيمٌ(٧) ﴿٢٥٦﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا(٨) يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَـٰتِ(٩) إِلَى النُّورِ(١٠) وَالَّذِينَ كَفَرُوٓا(١١) أَوْلِيَآؤُهُمُ(١٢) الطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم(١٣) مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَـٰتِ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾

(١) بالشيطان أو الأصنام .

(٢) تمسك .

(٣) أى المعتصم والمتعلق .

(٤) تأنيث الأوثق أى الأشد من الحبل الوثيق المحكم المأمون .

(٥) لا انقطاع للعروة . وهذا تمثيل للعلوم بالنظر والاستدلال ، بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كأنه ينظر إليه بعينه فيحكم اعتقاده . والمعنى فقد عقد لنفسه من الدين عقدا وثيقا لا تحله شبهة .

(٦) لإقراره .

(٧) باعتقاده .

(٨) أرادوا أن يؤمنوا أى ناصرهم ومتولى أمورهم .

(٩) من ظلمات الكفر والضلالة . وجمعت لاختلافها .

(١٠) إلى الإيمان والهداية . ووحد لاتحاد الإيمان .

(١١) مبتدأ .

(١٢) الجملة خبره .

(١٣) جمع لأن الطاغوت فى معنى الجمع يعنى والذين صمموا على الكفر أمرهم على عكس ذلك .

أو الله ولى المؤمنين يخرجهم من الشبهة فى الدين إن وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم له من حلها حتى يخرجوا منها إلى نور اليقين . والذين كفروا أولياؤهم الشياطين يخرجونهم من نور البينات الذى يظهر لهم إلى ظلمات الشك والشبهة .

ثم عَجَّبَ نبيه عليه السلام وسَلّاه بمجادلة إبراهيم عليه السلام نمرود الذى كان يدعى الربوبية بقوله (ألم تر إلى الذى حاجّ إبراهيم) .

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ(١) أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ(٢) إِذْ قَالَ(٣) إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ(٤) ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ(٥) قَالَ(٦) أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ(٧) قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ(٨) فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ(٩) فَبُهِتَ(١٠) ٱلَّذِى كَفَرَ

(١) فى معارضته ربوبية ربه . والهـاء فى ربه يرجع الى ابراهيم أو إلى الذى حاج فهو ربهمـا .

(٢) لأن آتاه الله . يعنى أن إيتاء الملك أبطره وأورثه الكبر فحاجّ لذلك . وهو دليل على المعتزلة فى الأصلح . أو حاجّ وقت أن آتاه الله الملك .

(٣) نصب بحاج أو بدل من أن آتاه إذا جعل بمعنى الوقت .

(٤) ربّ حمزة .

(٥) كأنه قال له من ربك قال ربى الذى يحيي ويميت .

(٦) نمرود .

(٧) يريد أعفو عن القتل وأقتل. فانقطع اللعين بهذا عند المخاصمة فزاد إبراهيم عليه السلام ما لا يتأتى فيه التلبيس على الضَّعَفَة حيث قال (فإن الله يأتى بالشمس) .

(٨) عليه السلام .

(٩) وهذا ليس بانتقال من حجة إلى حجة كما زعم البعض لأن الحجة الأولى كانت لازمة ولكن لمـا عاند اللعين حجة الإحياء بتخلية واحد وقتل آخر، كلّمه من وجه لا يعاند . وكانوا أهل تنجيم . وحركة الكواكب من المغرب إلى المشرق معلومة لهم . والحركة الشرقية المحسوسة لنا قسرية كتحريك المـاء النمل على الرحى إلى غير جهة حركة النمل . فقال إن ربى يحرك الشمس قسرا على غير حركتها فإن كنت ربّا فحركها بحركتها فهو أهون .

(١٠) تحير ودهش .

وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ (١) أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ (٢) عَلَىٰ قَرْيَةٍ (٣) وَهِىَ خَاوِيَةٌ (٤) عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ (٥) يُحْىِۦ هَـٰذِهِ (٦) ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ (٧) قَالَ (٨)

(١) أى لا يوفقهم . وقالوا إنما لم يقل نمرود فليأت ربك بالشمس من المغرب لأن الله تعالى صرفه عنه . وقيل إنه كان يدعى الربوبية لنفسه وما كان يعترف بالربوبية لغيره . ومعنى قوله (أنا أحيي وأميت) أن الذى ينسب إليه الإحياء والإماتة أنا لا غيرى . والآية تدل على إباحة التكلم فى علم الكلام والمناظرة فيه لأنه قال (ألم تر إلى الذى حاجّ إبراهيم فى ربه) والمحاجة تكون بين اثنين فدل على أن إبراهيم حاجّه أيضا . ولو لم يكن مباحا لما باشرها إبراهيم عليه السلام لكون الأنبياء عليهم السلام معصومين عن ارتكاب الحرام . ولأنا أمرنا بدعاء الكفرة إلى الإيمان بالله وتوحيده وإذا دعوناهم إلى ذلك لا بد أن يطلبوا منا الدليل على ذلك وذا لا يكون إلا بعد المناظرة كذا فى شرح التأويلات .

(٢) معناه أو أرأيت مثل الذى فحذف لدلالة ألم تر عليه لأن كلتيهما كلمة تعجيب . أو هو محمول على المعنى دون اللفظ تقديره أرأيت كالذى حاجّ إبراهيم أو كالذى مرّ . وقال صاحب الكشف فيه الكاف زائدة والذى عطف على قوله (إلى الذى حاجّ) عن الحسن أن المارّ كان كافرا بالبعث لانتظامه مع نمرود فى سلك ، ولكلمة الاستبعاد التى هى (أنى يحيي) . والأكثر أنه عزير . أراد أن يعاين إحياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه إبراهيم عليه السلام . و (أنّى يحيي) اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الإحياء واستعظام لقدرة المحيي .

(٣) هى بيت المقدس حين خربه بختنصر . أو هى التى خرج منها الألوف .

(٤) ساقطة مع سقوفها أو سقطت السقوف ثم سقطت عليها الحيطان وكل مرتفع عرش .

(٥) أى كيف .

(٦) أى أهل هذه .

(٧) أى أحياه .

(٨) (قال) له ملَك .

كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ[١] قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ[٢] لَمْ يَتَسَنَّهْ[٣] وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ[٤] وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ[٥] وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ[٦] كَيْفَ نُنشِزُهَا[٧] ثُمَّ نَكْسُوهَا[٨] لَحْمًا[٩] فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ[١٠] قَالَ أَعْلَمُ

(١) بناء على الظن . وفيه دليل جواز الاجتهاد . روى أنه مات ضحى و بعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر إلى الشمس (يوما) ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال (أو بعض يوم) .

(٢) روى أن طعامه كان تينا وعنبا وشرابه عصيرا ولبنا فوجد التين والعنب كما جنيا والشراب على حاله .

(٣) لم يتغير . والهاء أصلية أو هاء سكت . واشتقاقه من السنة على الوجهين لأن لامها هاء لأن الأصل سنهة والفعل سانهت يقال سانهت فلانا أى عاملته سنة . أو واو لأن الأصل سنوة والفعل سانيت . ومعناه لم تغيره السنون . لم يتسن بحذف الهاء فى الوصل و بإثباتها فى الوقف حمزة وعلىّ .

(٤) كيف تفرقت عظامه ونخرت . وكان له حمار قد ربطه فمات وتفتتت عظامه . أو (وانظر) إليه سالما فى مكانه كما ربطته وذلك من أعظم الآيات أن يعيش مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير .

(٥) (ولنجعلك آية للناس) فعلنا ذلك . يريد إحياءه بعد الموت وحفظ ما معه . وقيل الواو عطف على محذوف أى لتعتبر ولنجعلك . قيل أتى قومه راكبا حمارا وقال أنا عزير فكذبوه فقال هاتوا التوراة فأخذ يقرؤها عن ظهر قلبه ولم يقرأ التوراة ظاهرا أحد قبل عزير . فذلك كونه آية . وقيل رجع إلى منزله فرأى أولاده شيوخا وهو شاب .

(٦) أى عظام الحمار أو عظام الموتى الذين تعجب من إحيائهم .

(٧) نحركها ونرفع بعضها إلى بعض للتركيب . ننشرها بالراء حجازى وبصرى ، نحييها .

(٨) أى العظام .

(٩) جعل اللحم كاللباس مجازا .

(١٠) فاعله مضمر تقديره (فلما تبين له) ان الله على كل شيء قدير

أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي(١) كَيْفَ(٢) تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي(٣) قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ(٤) فَصُرْهُنَّ(٥) إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا(٦) ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ(٧) يَأْتِينَكَ سَعْيًا(٨)

فحذف الأول لدلالة الثانى عليه كقولهم ضربنى وضربت زيدا . ويجوز (فلما تبين له) ما أشكل عليه يعنى أمر إحياء الموتى (قال) . أعلم على لفظ الأمر حمزة وعلىّ أى (قال) الله له (اعلم) أو هو خاطب نفسه .

(١) بصّرنى .

(٢) موضع (كيف) نصب بتحيى .

(٣) وإنما قال له (أولم تؤمن) وقد علم أنه أثبت الناس إيمانا ليجيب بما أجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين . و(بلى) إيجاب لما بعد النفى . معناه (بلى) آمنت ولكن لأزيد سكونا وطمأنينة بمضامّة علم الضرورة علم الاستدلال . وتظاهر الأدلة أسكن للقلوب وأزيد للبصيرة . فعلم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف الضرورى . واللام تتعلق بمحذوف تقديره ولكن سألت ذلك إرادة طمأنينة القلب .

(٤) طاوسا وديكا وغرابا وحمامة .

(٥) وبكسر الصاد حمزة أى أملهن واضممهن إليك .

(٦) ثم جزّئهن وفرّق أجزاءهن على الجبال التى بحضرتك وفى أرضك وكانت أربعة أجبل أو سبعة . جزءا بضمتين وهمز أبو بكر .

(٧) قل لهن تعالين بإذن الله .

(٨) مصدر فى موضع الحال أى ساعيات مسرعات فى طيرانهن أو فى مشيهن على أرجلهن . وإنما أمره بضمها إلى نفسه بعد أخذها ليتأملها ويعرف أشكالها وهيئاتها وحلاها لئلا تلتبس عليه بعد الإحياء ولا يتوهم أنها غير تلك . وروى أنه أمر بأن يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق أجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها وأن يمسك رءوسها ثم أمر أن يجعل أجزاءها على الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين بإذن الله تعالى . فجعل كلّ جزء يطير إلى الآخر حتى صارت جثثا ثم أقبلن فانضممن إلى رءوسهن كل جثة إلى رأسها .

وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ[(١)] حَكِيمٌ[(٢)] ۝ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ[(٣)] أَنۢبَتَتْ[(٤)] سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ[(٥)] وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ[(٦)] عَلِيمٌ[(٧)] ۝ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا[(٨)] وَلَآ أَذًى[(٩)] لَّهُمْ أَجْرُهُمْ[(١٠)] عِندَ رَبِّهِمْ

(١) لا يمتنع عليه ما يريده .

(٢) فيما يدبّر لا يفعل إلا ما فيه الحكمة .

ولما برهن على قدرته على الإحياء حث على الإنفاق فى سبيل الله وأعلم أن من أنفق فى سبيله فله فى نفقته أجر عظيم وهو قادر عليه فقال (مثل الذين ينفقون) .

(٣) لا بد من حذف مضاف أى مثل نفقتهم أو مثلهم كمثل باذر حبة .

(٤) المنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت سببا أسند إليها الإنبات كما يسند إلى الأرض وإلى الماء . ومعنى إنباتها سبع سنابل أن تخرج ساقا يتشعب منه سبع شعب لكل واحد سنبلة . وهذا التمثيل تصوير للأضعاف كأنها ماثلة بين عينى الناظر . والممثل به موجود فى الدُّخن والذرة وربما فرخت ساق البرّة فى الأرض القوية المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ . على أن التمثيل يصح وإن لم يوجد على سبيل الفرض والتقدير . ووضع سنابل موضع سنبلات كوضع قروء موضع أقراء .

(٥) أى يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت أحوال المنفقين . أو يزيد على سبعمائة لمن يشاء . يضعّف شامى . ويضعّف مكى .

(٦) واسع الفضل والجود .

(٧) بنيات المنفقين . .

(٨) هو أن يعتدّ على من أحسن إليه بإحسانه ويريه أنه اصطنعه وأوجب عليه حقا له . وكانوا يقولون إذا صنعتم صنيعة فانسوها .

(٩) هو أن يتطاول عليه بسبب ما أعطاه . ومعنى ثم إظهار التفاوت بين الإنفاق وترك المن والأذى وأن تركهما خير من نفس الإنفاق كما جعل الاستقامة على الإيمان خيرا من الدخول فيه بقوله (ثم استقاموا) .

(١٠) أى ثواب إنفاقهم .

وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ[1] وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ[2] ﴿٢٦٢﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ[3] وَمَغْفِرَةٌ[4] خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى[5] وَٱللَّهُ غَنِيٌّ[6] حَلِيمٌ[7] ﴿٢٦٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى[8] يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ[9] فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ[10] فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ[11] فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا[12] لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟[13] وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى

---

(١) من بخس الأجر .

(٢) من فوته . أو لا خوف من العذاب، ولا حزن بفوت الثواب . وإنما قال هنا (لهم أجرهم) وفيما بعد (فلهم أجرهم) لأن الموصول هنا لم يضمن معنى الشرط وضمنه ثمة .

(٣) ردّ جميل .

(٤) وعفو عن السائل إذا وجد منه ما يثقل على المسئول . أو ونيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل .

(٥) وصح الإخبار عن المبتدأ النكرة لاختصاصه بالصفة .

(٦) لا حاجة له إلى منفق يمنّ ويؤذى .

(٧) عن معاجلته بالعقوبة . وهذا وعيد له . ثم أكد ذلك بقوله (يأيها الذين آمنوا) .

(٨) الكاف نصب صفة مصدر محذوف والتقدير إبطالا مثل إبطال الذى . أو الكاف فى محل النصب على الحال أى لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذى ينفق .

(٩) أى لا تبطلوا ثواب صدقاتكم بالمن والأذى كابطال المنافق الذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يريد بإنفاقه رضا الله ولا ثواب الآخرة . ورئاء مفعول له .

(١٠) مثّله ونفقته التى لا ينتفع بها البتة بحجر أملس عليه تراب .

(١١) مطر عظيم القطر .

(١٢) أجرد نقيا من التراب الذى كان عليه .

(١٣) لا يجدون ثواب شئ مما أنفقوا . وإنما قال (لا يقدرون) بعد قوله (كالذى ينفق) لأنه أراد بالذى ينفق الجنس أو الفريق الذى ينفق .

ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ (١) ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ (٢) كَمَثَلِ جَنَّةٍ (٣) بِرَبْوَةٍ (٤) أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا (٥) ضِعْفَيْنِ (٦) فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ (٧) وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٨) ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ (٩) أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ (١٠) مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ لَهُۥ (١١) فِيهَا (١٢) مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ (١٣)

---

(١) ما داموا مختارين الكفر .

(٢) أى وتصديقا للإسلام وتحقيقا للجزاء من أصل أنفسهم. لأنه إذا أنفق المسلم ماله فى سبيل الله علم أن تصديقه وإيمانه بالثواب من أصل نفسه ومن إخلاص قلبه . ومن لابتداء الغاية . وهو معطوف على المفعول له أى للابتغاء والتثبيت . والمعنى ومثل نفقة هؤلاء فى زكاتها عند الله (كمثل جنة). أو مثّل حالهم عند الله بالجنة على الربوة، ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل. وكما أن كل واحد من المطرين يضعّف أُكُل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت أو قليلة بعد أن يطلب بها رضا الله تعالى زاكية عند الله زائدة فى زلفاهم وحسن حالهم عنده .

(٣) بستان .

(٤) مكان مرتفع . وخصها لأن الشجر فيها أزكى وأحسن ثمرا . برَبوة عاصم وشامى .

(٥) ثمرتها . أكْلها نافع ومكى وأبو عمرو .

(٦) مثلىْ ما كانت تثمر قبلُ بسبب الوابل .

(٧) فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها .

(٨) يرى أعمالكم على إكثار وإقلال ويعلم نياتكم فيهما من رياء وإخلاص .

(٩) الهمزة للإنكار .

(١٠) بستان .

(١١) لصاحب البستان .

(١٢) فى الجنة .

(١٣) يريد بالثمرات المنافع التى كانت تحصل له فيها. أو أنّ النخيل والأعناب لما كانا أكرم الشجر وأكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وإن كانت محتوية على سائر الأشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم أردفهما ذكر كل الثمرات .

وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ(١) وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ(٢) فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ(٣) فِيهِ(٤) نَارٌ(٥) فَٱحْتَرَقَتْ(٦) كَذَٰلِكَ(٧) يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ(٨) لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ(٩) ﴿٢٦٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ(١٠) وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ(١١) وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ(١٢) مِنْهُ تُنفِقُونَ(١٣) وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ(١٤) إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ(١٥) وَٱعْلَمُوٓاْ

(١) الواو للحال ومعناه أن تكون له جنة وقد أصابه الكبر .

(٢) أولاد صغار . الواو للحال أيضا والجملة فى موضع الحال من الهاء فى أصابه .

(٣) ريح تستدير فى الأرض ثم تسطع نحو السماء كالعمود .

(٤) فى الإعصار .

(٥) ارتفع بالظرف إذ جرى الظرف وصفا لإعصار .

(٦) الجنة .

وهــذا مثل لمن يعمل الأعمال الحسنة رياء فإذا كان يوم القيامة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة جامعة للثمار فبلغ الكبر وله أولاد ضعاف والجنة معاشهم فهلكت بالصاعقة .

(٧) كهذا البيان الذى بيّن فيما تقدم .

(٨) فى التوحيد والدين .

(٩) فتنتبهوا .

(١٠) من جياد مكسوباتكم . وفيه دليل وجوب الزكاة فى أموال التجارة .

(١١) من الحب والثمر والمعادن وغيرها . والتقدير ومن طيبات ما أخرجنا لكم إلا أنه حذف لذكر الطيبات .

(١٢) ولا تقصدوا المـال الردىء .

(١٣) تخصونه بالإنفاق. وهو فى محل الحال أى ولا تيمموا الخبيث منفقين أى مقدرين النفقة.

(١٤) وحالكم أنكم لا تأخذونه فى حقوقكم .

(١٥) إلا بأن تتسامحوا فى أخذه وتترخصوا فيه. من قولك أغمض فلان عن بعض حقه إذا غض بصره . ويقال للبائع أغمض أى لا تسـتقص كأنك لا تبصر . وعن ابن عباس رضى الله عنهما كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه .

أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ(١) حَمِيدٌ(٢) ۝ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ(٣) وَيَأْمُرُكُم(٤) بِٱلْفَحْشَآءِ(٥) وَٱللَّهُ يَعِدُكُم(٦) مَّغْفِرَةً(٧) مِّنْهُ وَفَضْلًا(٨) وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ(٩) عَلِيمٌ(١٠) ۝ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ(١١) مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ(١٢) ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا(١٣) كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ(١٤) ۝ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ(١٥)

---

(١) عن صدقاتكم .

(٢) مستحق للحمد أو محمود .

(٣) فى الإنفاق .

(٤) ويقول لكم إن عاقبة إنفاقكم أن تفتقروا . والوعد يستعمل فى الخير والشر .

(٥) ويغريكم على البخل ومنع الصدقات إغراء الآمر للمأمور . والفاحش عند العرب البخيل .

(٦) فى الإنفاق .

(٧) لذنوبكم وكفارة لها .

(٨) وأن يخلف عليكم أفضل مما أنفقتم . أو وثوابا عليه فى الآخرة .

(٩) يوسع على من يشاء .

(١٠) بأفعالكم ونياتكم .

(١١) علم القرآن والسنة . أو العلم النافع الموصل إلى رضا الله والعمل به . والحكيم عند الله هو العالم العامل .

(١٢) (ومن يؤتِ) يعقوب . أى ومن يؤته الله الحكمة .

(١٣) تنكير تعظيم أىْ أوتى خيرا أىّ خير كثير .

(١٤) وما يتعظ بمواعظ الله إلا ذوو العقول السليمة أو العلماء العمال . والمراد به الحث على العمل بما تضمنت الآى فى معنى الإنفاق .

(١٥) فى سبيل الله أو فى سبيل الشيطان .

أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ(١) فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ(٢) وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ(٣) مِنْ أَنصَارٍ(٤) ۝ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا(٥) هِىَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا(٦) ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ(٧) وَيُكَفِّرُ(٨) عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا(٩) تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ(١٠) ۝ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ(١١)

---

(١) فى طاعة الله أو فى معصيته .

(٢) لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه .

(٣) الذين يمنعون الصدقات أو ينفقون أموالهم فى المعاصى أو ينذرون فى المعاصى أو لا يفون بالنذور .

(٤) ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه .

(٥) فنعم شيأ إبداؤها . وما نكرة غير موصولة ولا موصوفة والمخصوص بالمدح هى . (فنعما هى) بكسر النون وإسكان العين أبو عمرو ومدنى غير ورش . وبفتح النون وكسر العين شامى وحمزة وعلىّ . وبكسر النون والعين غيرهم .

(٦) وتصيبوا بها مصارفها مع الإخفاء .

(٧) فالإخفاء خير لكم . قالوا المراد صدقات التطوع . والجهر فى الفرائض أفضل لنفى التهمة حتى إذا كان المزكى ممن لا يعرف باليسار كان إخفاؤه أفضل . والمتطوع إن أراد أن يقتدى به كان إظهاره أفضل .

(٨) بالنون وجزم الراء مدنى وحمزة وعلىّ . وبالياء ورفع الراء شامى وحفص . وبالنون والرفع غيرهم . فمن جزم فقد عطف على محل الفاء وما بعده لأنه جواب الشرط . ومن رفع فعلى الاستئناف . والياء على معنى يكفر الله . والنون على معنى نحن نكفر .

(٩) من الإبداء والإخفاء .

(١٠) عالم .

(١١) لا يجب عليك أن تجعلهم مهديين إلى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والأذى والإنفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك إلا أن تبلغهم النواهى فحسب . أو ليس عليك التوفيق على الهدى أو خلق الهدى وإنما ذلك إلى الله .

وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ (١) فَلِأَنفُسِكُمْ (٢) وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ (٣) وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ (٤) وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٥) ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ (٦) ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ (٧) لَا يَسْتَطِيعُونَ (٨) ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ (٩)

(١) من مال .

(٢) فهو لأنفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنّوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم .

(٣) وليست نفقتكم إلا ابتغاء وجه الله أى رضا الله ولطلب ما عنده فما بالكم تمّنون بها وتنفقون الخبيث الذى لا يوجه مثله إلى الله . أو هذا نفى معناه النهى أى ولا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله .

(٤) (يوفّ إليكم) ثوابه أضعافا مضاعفة فلا عذر لكم فى أن ترغبوا عن إنفاقه وأن يكون على أحسن الوجوه وأجملها .

(٥) ولا تنقصون كقوله (ولم تظلم منه شيأ) أى لم تنقص .

(٦) متعلق بمحذوف أى اعمدوا للفقراء . أو هو خبر مبتدأ محذوف أى هذه الصدقات للفقراء

(٧) هم الذين أحصرهم الجهاد فمنعهم من التصرف .

(٨) لاشتغالهم به .

(٩) للكسب . وقيل هم أصحاب الصفّة وهم نحو من أربعمائة رجل من مهاجرى قريش لم تكن لهم مساكن فى المدينة ولا عشائر فكانوا فى صفّة المسجد وهى سقيفته يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون فى كل سَرِيّة بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن كان عنده فضل أتاهم به إذا أمسى .

يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ[1] أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ[2] تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ[3] لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا[4] وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ[5] ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً[6] فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟[7] لَا يَقُومُونَ[8] إِلَّا كَمَا يَقُومُ

---

(١) بحالهم . يحسَبهم وبابه شامى ويزيد وحمزة وعاصم غير الأعشى وهبيرة . والباقون بكسر السين .

(٢) مستغنين من أجل تعففهم عن المسألة .

(٣) من صفرة الوجوه ورثاثة الحال .

(٤) إلحاحا . قيل هو نفى السؤال والإلحاح جميعا كقوله "على لا حبٍ لا يُهتَدى بمناره" يريد نفى المنار والاهتداء به . والإلحاح هو اللزوم وألا يفارق إلا بشىء يعطاه . وفى الحديث إن الله يحب الحيى الحليم المتعفف ويبغض البذئ السآل الملحف . وقيل معناه أنهم إن سألوا سألوا بتلطف ولم يلحوا .

(٥) لا يضيع عنده .

(٦) هما حالان أى مسرين ومعلنين يعنى يعممون الأوقات والأحوال بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال . وقيل نزلت فى أبى بكر الصديق رضي الله عنه حين تصدق بأربعين ألف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة فى السر وعشرة فى العلانية . أو فى علىّ رضى الله عنه لم يملك إلا أربعة دراهم تصدّق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية .

(٧) هو فضل مال خال عن العوض فى معاوضة مال بمـال . وكتب الربوا بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة . وزيدت الألف بعدها تشبيها بواو الجمع .

(٨) إذا بعثوا من قبورهم .

ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ[١] مِنَ ٱلْمَسِّ[٢] ذَٰلِكَ[٣] بِأَنَّهُمْ[٤] قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ[٥] وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ[٦] فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ[٧] فَٱنتَهَىٰ[٨] فَلَهُۥ مَا سَلَفَ[٩] وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ[١٠] وَمَنْ عَادَ[١١] فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ

---

(١) أى المصروع لأنه تخبط فى المعاملة بجوزى على المقابلة . والخبط الضرب على غير استواء كخبط العشواء .

(٢) من الجنون . وهو يتعلق بلا يقومون أى لا يقومون من المس الذى بهم إلا كما يقوم المصروع . أو بيقوم أى كما يقوم المصروع من جنونه . والمعنى أنهم يقومون يوم القيامة مخبلين كالمصروعين . تلك سيماهم يعرفون بها عند أهل الموقف . وقيل الذين يخرجون من الأجداث يوفضون إلا أكلة الربا فإنهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لأنهم أكلوا الربا فأرباه الله فى بطونهم حتى أثقلهم فلا يقدرون على الإيفاض .

(٣) (ذلك) العقاب .

(٤) بسبب أنهم .

(٥) ولم يقل إنما الربا مثل البيع مع أن الكلام فى الربا لا فى البيع لأنه جىء به على طريقة المبالغة وهو أنه قد بلغ من اعتقادهم فى حل الربا أنهم جعلوه أصلا وقانونا فى الحل حتى شبهوا به البيع .

(٦) إنكار لتسويتهم بينهما إذ الحل مع الحرمة ضدان فأنى يتماثلان ؟ ودلالة على أن القياس يهدمه النص لأنه جعل الدليل على بطلان قياسهم إحلال الله وتحريمه .

(٧) فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهى عن الربا .

(٨) فتبع النهى وامتنع .

(٩) فلا يؤاخذ بما مضى منه لأنه أخذ قبل نزول التحريم .

(١٠) يحكم فى شأنه يوم القيامة وليس من أمره إليكم شىء فلا تطالبوه به .

(١١) إلى استحلال الربا ، عن الزجاج . أو إلى الربا ، مستحلا

هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (١) ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ (٢) وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ (٣) وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ (٤) أَثِيمٍ (٥) ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦) ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ (٧) إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٨) ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ (٩) وَإِن تُبْتُمْ (١٠) فَلَكُمْ

(١) لأنهم بالاستحلال صاروا كافرين لأن من أحل ما حرم الله عز وجل فهو كافر فلذا استحق الخلود . وبهذا تبين أنه لا تعلق للمعتزلة بهذه الآية فى تخليد الفساق .

(٢) يذهب ببركته ويهلك المال الذى يدخل فيه .

(٣) ينميها ويزيدها أى يزيد المال الذى أخرجت منه الصدقة ويبارك فيه. وفى الحديث ما نقصت زكاة من مال قط .

(٤) عظيم الكفر باستحلال الربا .

(٥) متماد فى الإثم بأكله .

(٦) قيل المراد به الذين آمنوا بتحريم الربا .

(٧) أخذوا ما شرطوا على الناس من الربا وبقيت لهم بقايا فأمروا أن يتركوها ولا يطالبوا بها . روى أنها نزلت فى ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربا .

(٨) كاملى الإيمان فإن دليل كماله امتثال المأمور به .

(٩) فاعلموا بها . من أذن بالشىء إذا علم . يؤيده قراءة الحسن فأيقنوا . فآذنوا حمزة وأبو بكر غير ابن غالب ، فأعلموا بها غيركم . ولم يقل بحرب الله ورسوله لأن هذا أبلغ لأن المعنى فأذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله . وروى أنها لما نزلت قالت ثقيف لا طاقة لنا بحرب الله ورسوله .

(١٠) من الارتباء .

رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ (١) وَلَا تُظْلَمُونَ (٢) ۝ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ (٣) فَنَظِرَةٌ (٤) إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ (٥) وَأَن تَصَدَّقُوا (٦) خَيْرٌ لَّكُمْ (٧) إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨) ۝ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ (٩) فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ (١٠) وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١١) ۝ يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ (١٢) إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى (١٣) فَاكْتُبُوهُ

(١) المديونين بطلب الزيادة عليها .

(٢) بالنقصان منها .

(٣) وإن وقع غريم من غرمائكم (ذو عسرة) ذو إعسار .

(٤) فالحكم أو فالأمر نظرة أى إنظار .

(٥) يسار . ميسُرة نافع وهما لغتان .

(٦) بالتخفيف عاصم أى تتصدقوا برؤس أموالكم أو ببعضها على من أعسر من غرمائكم. وبالتشديد غيره . فالتخفيف على حذف إحدى التاءين والتشديد على الإدغام .

(٧) فى القيامة . وقيل أريد بالتصدق الإنظار لقوله عليه السلام لايحل دين رجل مسلم فيؤخره إلا كان له بكل يوم صدقة .

(٨) أنه خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به وإن علمه كأنه لا يعلمه .

(٩) تَرجعون أبو عمرو. فرجع لازم ومتعد. قيل هى آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام وقال ضعها فى رأس المـائتين والثمـانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها أحدا وعشرين يوما أو أحدا وثمـانين أو سبعة أيام أو ثلاث ساعات .

(١٠) أى جزاء ما كسبت .

(١١) بنقصان الحسنات وزيادة السيئات .

(١٢) أى إذا داين بعضكم بعضا يقال داينت الرجل إذا عاملته بدين معطيا أو آخذا .

(١٣) مدة معلومة كالحصاد أو الدياس أو رجوع الحاج. وإنما احتيج إلى ذكر الدين ولم يقل إذا تداينتم إلى أجل مسمى، ليرجع الضمير إليه فى قوله (فاكتبوه) إذ لو لم يذكر لوجب أن يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن. ولأنه أبين لتنويع الدين إلى مؤجل وحال. وإنما أمر بكتابة الدين لأن ذلك أوثق وآمن من النسيان وأبعد من الجحود. والمعنى إذا تعاملتم

وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ(١) كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ(٢) وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ(٣) أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ(٤) فَلْيَكْتُبْ(٥) وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ(٦) وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ(٧) وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا(٨) فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا(٩) أَوْ ضَعِيفًا(١٠)

بدين مؤجل فاكتبوه . والأمر للندب وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن المراد به السَّلَم وقال لما حرم الله الربا أباح السلَف . وعنه ، أشهد أن الله أباح السلم المضمون إلى أجل معلوم فى كتابه وأنزل فيه أطول آية . وفيه دليل على اشتراط الأجل فى السَّلَم .

(١) بين المتداينين .

(٢) هو متعلق بكاتب صفة له أى كاتب مأمون على ما يكتب، يكتب بالاحتياط لا يزيد على ما يجب أن يكتب ولا ينقص. وفيه دليل أن يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يجيء مكتوبه معدلا بالشرع. وهو أمر للمتداينين بتخير الكاتب وألا يستكتبوا إلا فقيها دينا حتى يكتب ما هو متفق عليه .

(٣) ولا يمتنع واحد من الكتّاب .

(٤) مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير . (وكما) متعلق بأن يكتب .

(٥) تلك الكتابة لا يعدل عنها .

(٦) ولا يكن المملى إلا من وجب عليه الحق لأنه هو المشهود على ثباته فى ذمته وإقراره به فيكون ذلك إقرارا على نفسه بلسانه . والإملال والإملاء لغتان .

(٧) (وليتق الله) الذى عليه الدين (ربه) فلا يمتنع عن الإملاء فيكون جحودا لكل حقه .

(٨) ولا ينقص من الحق الذى عليه شيئا فى الإملاء فيكون جحودا لبعض حقه .

(٩) أى مجنونا لأن السفه خفة فى العقل . أو محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف .

(١٠) صبيا .

أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ[1] فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ[2] بِٱلْعَدْلِ[3] وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ[4] مِن رِّجَالِكُمْ[5] فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ[6] فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ[7] مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ[8] أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ[9] وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟[10] وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟[11] أَن تَكْتُبُوهُ[12] صَغِيرًا

(١) لعيّ به أو خَرَس أو جهل باللغة .

(٢) الذى يلى أمره ويقوم به .

(٣) بالصدق والحق .

(٤) واطلبوا أن يشهد لكم شهيدان على الدَّيْن .

(٥) من رجال المؤمنين. والحرية والبلوغ شرط مع الإسلام. وشهادة الكفار بعضهم على بعض مقبولة عندنا .

(٦) فان لم يكن الشهيدان .

(٧) فليشهد رجل وامرأتان. وشهادة الرجال مع النساء تقبل فيما عدا الحدود والقصاص.

(٨) ممن تعرفون عدالتهم. وفيه دليل على أن غير المرضى شاهد .

(٩) لأجل أن تنسى إحداهما الشهادة فتذكرها الأخرى. إن تضل إحداهما على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد حمزة . كقوله (ومن عاد فينتقم الله منه) . فتُذْكِر بالنصب مكى و بصرى من الذُّكْر لا من الذِّكْر .

(١٠) لأداء الشهادة . أو للتحمل . لئلا تَتْوَى حقوقهم . وسماهم شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الكائن . فالأول للفرض والثانى للندب .

(١١) ولا تملوا قال الشاعر

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش * ثمانين حولا لا أبا لك يسأم

(١٢) الضمير للدين أو الحق .

أَوْ كَبِيرًا (١) إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ (٢) ذَٰلِكُمْ (٣) أَقْسَطُ (٤) عِندَ ٱللَّهِ (٥) وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ (٦) وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ (٧) إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً (٨) تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ (٩) فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا (١٠) وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ (١١) وَلَا يُضَآرَّ (١٢) كَاتِبٌ

---

(١) على أى حال كان الحق من صغر أو كبر . وفيه دلالة جواز السَّلَم فى الثياب لأن ما يكال أو يوزن لا يقال فيه الصغير والكبير وإنما يقال فى الذرعى . ويجوز أن يكون الضمير للكتاب وأن يكتبوه مختصرا أو مشبعا .

(٢) الى وقته الذى اتفق الغريمان على تسميته .

(٣) إشارة إلى (أن تكتبوه) لأنه فى معنى المصدر أى ذلك الكَتْب .

(٤) أعدل من القسط وهو العدل .

(٥) ظرف لا قسط .

(٦) وأعون على إقامة الشهادة . وبنى أفعلا التفضيل — أى أقسط وأقوم — من أقسط وأقام على مذهب سيبويه .

(٧) وأقرب من انتفاء الريب للشاهد والحاكم وصاحب الحق فإنه قد يقع الشك فى المقدار والصفات وإذا رجعوا إلى المكتوب زال ذلك . وألف أدنى منقلبة من واو لأنه من الدنو .

(٨) عاصم . أى إلا أن تكون التجارة تجارة . أو إلا أن تكون المعاملة تجارة حاضرة . غيره تجارةٌ حاضرةٌ على كان التامة . أى إلا أن تقع تجارة حاضرة : أوهى ناقصة والاسم (تجارة حاضرة) والخبر (تديرونها) .

(٩) ظرف لتديرونها ومعنى إدارتها بينهم تعاطيها يدا بيد .

(١٠) يعنى إلا أن تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد فلا بأس ألا تكتبوها لأنه لا يتوهم فيه ما يتوهم فى التداين .

(١١) أمر بالإشهاد على التبايع مطلقا ناجزا أو كالئا لأنه أحوط وأبعد من وقوع الاختلاف . أو أريد به (وأشهدوا إذا تبايعتم) هذا التبايع يعنى التجارة الحاضرة على أن الإشهاد كاف فيه دون الكتابة . والأمر للندب .

(١٢) يحتمل البناء للفاعل لقراءة عمر رضى الله عنه ولا يضارر ، وللمفعول لقراءة ابن عباس

وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا۟ (١) فَإِنَّهُۥ (٢) فُسُوقٌۢ (٣) بِكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ (٤) وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ (٥) وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (٦) ﴿٢٨٢﴾ وَإِن كُنتُمْ (٧) عَلَىٰ سَفَرٍ (٨) وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ (٩) مَّقْبُوضَةٌ (١٠)

رضى الله عنهما ولا يضارَر. والمعنى نهى الكاتب والشهيد عن ترك الإجابة إلى ما يطلب منهما وعن التحريف والزيادة والنقصان. أو النهى عن الضرار بهما بأن يعجلا عن مهم ويلزّا، أولا يعطى الكاتب حقه من الجُعْل، أو يحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد.

(١) وإن تضارّوا.

(٢) فإن الضرار.

(٣) مأثم.

(٤) فى مخالفة أوامره.

(٥) شرائع دينه.

(٦) لا يلحقه سهو ولا قصور.

(٧) أيها المتداينون.

(٨) مسافرين.

(٩) فرِهان مكى وأبو عمرو. أى فالذى يستوثق به رُهُن. وكلاهما جمع رهن كسقف وسقف وبغل وبغال. ورهن فى الأصل مصدر سمى به ثم كسّر تكسير الأسماء. ولما كان السفر مظنة لإعواز الكَتْب والإشهاد أمر على سبيل الإرشاد إلى حفظ المال من كان على سفر بأن يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكَتْب والإشهاد، لا أن السفر شرط تجويز الارتهان.

(١٠) يدل على اشتراط القبض لا كما زعم مالك أن الرهن يصح بالإيجاب والقبول بدون القبض.

فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا(١) فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَـٰنَتَهُۥ(٢) وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ(٣) وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ(٤) وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ(٥) وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ(٦) عَلِيمٌ(٧) ۝ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ(٨) وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ(٩)

---

(١) فان أمن بعض الدائنين بعض المديونين بحسن ظنه به فلم يتوثق بالكتابة والشهود والرهن .

(٢) دينه . وائتمن افتعل من الأمن . وهو حث للمديون على أن يكون عند ظن الدائن وأمنه منه وائتمانه له وأن يؤدّى إليه الحق الذى ائتمنه عليه فلم يرتهن منه . وسمى الدين أمانة وهو مضمون لائتمانه عليه بترك الارتهان منه .

(٣) فى إنكار حقه .

(٤) هذا خطاب للشهود .

(٥) ارتفع قلبه بآثم على الفاعلية كأنه قيل فانه يأثم قلبه. أو بالابتداء وآثم خبره مقدّم والجملة خبر إن. و إنما أسند إلى القلب وحده والجملة هى الآثمة لا القلب وحده لأن كتمان الشهادة أن يضمرها فى القلب ولا يتكلم بها فلما كان إثما مقترفا مكتسبا بالقلب أسند إليه لأن إسناد الفعل إلى الجارحة التى يعمل بها أبلغ كما تقول هذا مما أبصرته عينى ومما سمعته أذنى ومما عرفه قلبى . ولأن القلب رئيس الأعضاء والمضغة التى إن صلَحت صلَح الجسد كله . فكأنه قيل فقد تمكن الإثم فى أصل نفسه وملك أشرف مكان منه . ولأن أفعال القلوب أعظم من أفعال سائر الجوارح ألا ترى أن أصل الحسنات والسيئات الإيمان والكفر وهما من أفعال القلوب . وإذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بأنه من معاظم الذنوب. وعن ابن عباس رضى الله عنهما أكبر الكبائر الإشراك بالله وشهادة الزور وكتمان الشهادة .

(٦) من كتمان الشهادة وإظهارها .

(٧) لا يخفى عليه شىء .

(٨) خلقا وملكا .

(٩) يعنى من السوء .

يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ(١) فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ(٢) وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ(٣) قَدِيرٌ(٤) ۝ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ(٥) كُلٌّ

(١) يكافئكم ويجازيكم. ولاتدخل الوساوس وحديث النفس فيما يخفيه الإنسان لأن ذلك مما ليس فى وسعه الخلو منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه . والحاصل أن عزم الكفر كفر، وخطرة الذنوب من غير عزم معفوة ، وعزم الذنوب إذا ندم عليه ورجع عنه واستغفر منه مغفور. فأما إذا هم بسيئة وهو ثابت على ذلك إلا أنه منع عنه بمانع ليس باختياره فإنه لا يعاقب على ذلك عقوبة فعله . أى بالعزم على الزنا لا يعاقب عقوبة الزنا . وهل يعاقب عقوبة عزم الزنا ؟ قيل لا لقوله عليه السلام إن الله عفا عن أمتى ما حدّثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم به . والجمهور على أن الحديث فى الخطرة دون العزم، وأن المؤاخذة فى العزم ثابتة وإليه مال الشيخ أبو منصور وشمس الأئمة الحلوانى رحمهما الله . والدليل عليه قوله تعالى (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة) الآية . وعن عائشة رضى الله عنها ما همّ العبد بالمعصية من غير عمل يعاقب على ذلك بما يلحقه من الهم والحزن فى الدنيا . وفى أكثر التفاسير أنه لما نزلت هذه الآية جزعت الصحابة رضى الله عنهم وقالوا أنؤاخذ بكل ما حدّثت به أنفسنا فنزل قوله (آمن الرسول) إلى قوله (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) فتعلق ذلك بالكسب دون العزم .وفى بعضها أنها نسخت بهذه الآية. والمحققون على أن النسخ يكون فى الأحكام لا فى الأخبار .

(٢) برفعهما شامى وعاصم أى فهو يغفر ويعذب . وبجزمهما غيرهم عطفا على جواب الشرط . وبالإدغام أبو عمرو وكذا فى الإشارة والبشارة . وقال صاحب الكشاف : "مدغم الراء فى اللام لاحن مخطئ". لأن الراء حرف مكرر فيصير بمنزلة المضاعف ولا يجوز إدغام المضاعف . "وراويه عن أبى عمرو مخطئ مرتين لأنه يلحن وينسب إلى أعلم الناس فى العربية ما يؤذن بجهل عظيم" .

(٣) من المغفرة والتعذيب وغيرهما .

(٤) قادر .

(٥) إن عطف المؤمنون على الرسول كان الضمير الذى التنوين نائب عنه فى (كلّ) راجعا الى الرسول والمؤمنون أى كلهم (آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) ، ووقف عليه .

ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ(١) وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ(٢) بَيْنَ أَحَدٍ(٣) مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُواْ سَمِعْنَا(٤) وَأَطَعْنَا(٥) غُفْرَانَكَ(٦) رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ(٧) ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ(٨) ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا(٩) لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ(١٠) رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ(١١)

وإن كان مبتدأ كان عليه (كل) مبتدأ ثانيا والتقدير كل منهم ، وآمن خبر المبتدا الثانى ، والجملة خبر الأول ، وكان الضمير للمؤمنين . ووحد ضمير كل فى آمن على معنى كل واحد منهم آمن .

(١) وكتابه حمزة وعلىّ يعنى القرآن أو الجنس .

(٢) أى يقولون (لا نفرق) بل نؤمن بالكل .

(٣) أحد بمعنى الجمع ولذا دخل عليه بين وهو لا يدخل إلا على اسم يدل على أكثر من واحد تقول المال بين القوم ولا تقول المال بين زيد .

(٤) أجبنا قولك .

(٥) أمرك .

(٦) أى اغفر لنا غفرانك فهو منصوب بفعل مضمر .

(٧) المرجع وفيه إقرار بالبعث والجزاء .

والآية تدل على بطلان الاستثناء فى الإيمان وعلى بقاء الإيمان لمرتكب الكبائر .

(٨) محكى عنهم أو مستأنف .

(٩) إلا طاقتها وقدرتها لأن التكليف لا يرد إلا بفعل يقدر عليه المكلف كذا فى شرح التأويلات . وقال صاحب الكشاف « الوسع ما يسع الإنسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه أى لا يكلفها إلا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى غاية الطاقة والمجهود...فقد كان فى طاقة الإنسان أن يصلى أكثر من الخمس ويصوم أكثر من الشهر ويحج أكثر من حجة » .

(١٠) ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر. وخص الخير بالكسب والشر بالاكتساب لأن الافتعال للانكماش والنفس تنكمش فى الشر وتتكلف للخير .

(١١) تركنا أمرا من أوامرك سهوا .

أَوْ أَخْطَأْنَا(١) رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا(٢) كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا(٣) رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ(٤) وَٱعْفُ عَنَّا(٥) وَٱغْفِرْ لَنَا(٦) وَٱرْحَمْنَآ(٧) أَنتَ مَوْلَىٰنَا(٨) فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ(٩) ﴿٢٨٦﴾

(١) ودل هذا على جواز المؤاخذة فى النسيان والخطأ — خلافا للمعتزلة — لإمكان التحرز عنهما فى الجملة. ولولا جواز المؤاخذة بهما لم يكن للسؤال معنى .

(٢) عبئا يأصر حامله أى يحبسه مكانه لثقله . استعير للتكليف الشاق من نحو قتل الأنفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك .

(٣) كاليهـــود .

(٤) من العقوبات النازلة بمن قبلنا .

(٥) امح سيئاتنا .

(٦) واستر ذنوبنا . وليس بتكرار فالأول للكبائر والثانى للصغائر .

(٧) بتثقيل ميزاننا مع إفلاسنا .

أو الأول من المسخ والثانى من الخسف والثالث من الغرق .

(٨) سيدنا ونحن عبيدك أو ناصرنا أو متولى أمورنا .

(٩) فمن حق المولى أن ينصر عبيده .

فى الحديث من قرأ (آمن الرسول) الى آخره فى ليلة كفتاه . وفيه من قرأهما بعد العشاء الآخرة أجزأتاه عن قيام الليل . ويجوز أن يقال قرأت سورة البقرة أو قرأت البقرة لما روى عن علىّ رضى الله عنه خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش . وقال بعضهم يكره ذلك بل يقال قرأت السورة التى تذكر فيها البقرة والله أعلم .

سورة آل عمران مدنية

وهى مائتا آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ۝ ٱللَّهُ(١) لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ(٢) ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ(٣) ۝ نَزَّلَ(٤) عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ(٥) بِٱلْحَقِّ(٦)

(١) حركت الميم لالتقاء الساكنين أعنى سكونها وسكون لام الله. وفتحت لخفة الفتحة. ولم تكسر للياء وكسر الميم قبلها، تحاميا عن توالى الكسرات. وليس فتح الميم لسكونها وسكون ياء قبلها إذ لو كان كذلك لوجب فتحها فى حم. ولا يصح أن يقال إن فتح الميم هو فتحة همزة الله، نقلت إلى الميم، لأن تلك الهمزة همزة وصل تسقط فى الدرج وتسقط معها حركتها ولو جاز نقل حركتها لجاز إثباتها وإثباتها غير جائز. وأسكن يزيد والأعشى الميم وقطعا الألف. والباقون بوصل الألف وفتح الميم. والله مبتدأ.

(٢) خبره. وخبر لا مضمر والتقدير لا إله فى الوجود إلا (هو). و(هو) فى موضع الرفع بدل من موضع لا واسمه.

(٣) خبر مبتدأ محذوف أى هو الحى أو بدل من هو. والقيوم فيعول من قام وهو القائم بالقسط و (القائم على كل نفس بما كسبت).

(٤) اى هو نزّل.

(٥) القرآن.

(٦) حال أى نزله حقا ثابتا.

مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ[(١)] وَأَنزَلَ التَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ[(٢)] ۝ مِن قَبْلُ[(٣)] هُدًى لِّلنَّاسِ[(٤)] وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ[(٥)] إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَـٰتِ اللَّهِ[(٦)] لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ[(٧)] ۝ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ[(٨)] ۝ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ[(٩)] لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ[(١٠)] الْحَكِيمُ[(١١)] ۝

(١) لما قبله .

(٢) هما اسمان أعجميان . وتكلُّف اشتقاقهما من الورى والنجل ، ووزنهما بتفعلة وإفعيل ، إنما يصح بعد كونهما عربيين . وإنما قيل (نزّل الكتاب . وأنزل التوراة والإنجيل) لأن القرآن نزل منجما ونزل الكتابان جملة .

(٣) من قبل القرآن .

(٤) لقوم موسى وعيسى أو لجميع الناس .

(٥) أى جنس الكتب لأن الكل يفرق بين الحق والباطل . أو الزبور . أو كرر ذكر القرآن بما هو نعت له تفخيما لشأنه .

(٦) من كتبه المنزلة وغيرها .

(٧) ذو عقوبة شديدة لا يقدر على مثلها منتقم .

(٨) أى فى العالم . فعبر عنه بالسماء والأرض . أى هو مطلع على كفر من كفر و إيمان من آمن وهو مجازيهم عليه .

(٩) من الصور المختلفة .

(١٠) فى سلطانه .

(١١) فى تدبيره .

روى أنه لمّا قدم وفد بنى نجران وهم ستون راكبا أميرهم العاقب وعمدتهم السيد وأسقُفُهم وحبرهم أبو حارثة خاصموا فى أن عيسى إن لم يكن ولدا لله فمن أبوه ؟ فقال عليه السلام ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا وهو يشبه أباه؟ قالوا : بلى . قال ألم تعلموا أن الله تعالى حى لا يموت وعيسى يموت ، وأن ربنا قيّم على العباد يحفظهم و يرزقهم وعيسى لا يقدر على ذلك ، وأنه

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ(١) مِنْهُ(٢) ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ(٣) هُنَّ أُمُّ(٤) ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ(٥) مُتَشَٰبِهَٰتٌ(٦) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ(٧) فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ(٨) ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ(٩) وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ(١٠) وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ(١١) وَٱلرَّٰسِخُونَ

لا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء وعيسى لا يعلم إلا ما علّم، وأنه صوّر عيسى فى الرحم كيف شاء فحملته أمه ووضعته وأرضعته وكان يأكل ويحدث وربنا منزه عن ذلك كله ؟ فانقطعوا فنزل فيهم صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية .

(١) القرآن .

(٢) من الكتاب .

(٣) أحكمت عبارتها بأن حفظت من الاحتمال والاشتباه .

(٤) أصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد إليها .

(٥) وآيات أخر .

(٦) مشتبهات محتملات . مثال ذلك (الرحمن على العرش استوى) فالاستواء يكون بمعنى الجلوس وبمعنى القدرة والاستيلاء ولا يجوز الأول على الله تعالى بدليل المحكم وهو قوله (ليس كمثله شيء) .

أو المحكم ما أمر الله به فى كل كتاب أنزله نحو قوله (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم) الآيات، (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) الآيات . والمتشابه ما وراءه . أو ما لا يحتمل إلا وجها واحدا . وما احتمل أوجها . أو ما يعلم تأويله ، وما لا يعلم تأويله . أو الناسخ الذى يعمل به والمنسوخ الذى لا يعمل به . وإنما لم يكن كل القرآن محكما لما فى المتشابه من الابتلاء به والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه، ولما فى تقادح العلماء وإتعابهم القرائح فى استخراج معانيه ورده إلى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله تعالى .

(٧) ميل عن الحق وهم أهل البدع .

(٨) فيتعلقون بالمتشابه الذى يحتمل ما يذهب إليه المبتدع مما لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول أهل الحق .

(٩) طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم .

(١٠) وطلب أن يؤولوه التأويل الذى يشتهونه .

(١١) أى لا يهتدى إلى تأويله الحق الذى يجب أن يحمل عليه إلا الله .

فِي ٱلْعِلْمِ (١) يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ (٢) مِّنْ عِندِ رَبِّنَا (٣) وَمَا يَذَّكَّرُ (٤) إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ (٥) ۝ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا (٦) بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا (٧) وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً (٨) إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ (٩) ۝ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ (١٠) لَّا رَيْبَ فِيهِ (١١)

---

(١) والذين رسخوا أى ثبتوا فيه وتمكنوا وعضّوا فيه بضرس قاطع. مستأنف عند الجمهور. والوقف عندهم على قوله (إلا الله) وفسروا المتشابه بما استأثر الله بعلمه . وهو مبتدأ عندهم والخبر (يقولون أمنّا به) . وهو ثناء منه تعالى عليهم بالإيمان على التسليم واعتقاد الحقية بلا تكييف . وفائدة إنزال المتشابه الإيمان به، واعتقاد حقية ما أراد الله به، ومعرفة قصور أفهام البشر عن الوقوف على ما لم يجعل لهم إليه سبيلا . ويعضده قراءة أبيّ (ويقول الراسخون)، وعبد الله (إنْ تأويله إلا عند الله) . ومنهم من لا يقف عليه ويقول بأن الراسخين فى العلم يعلمون المتشابه . (ويقولون) كلام مستأنف موضح لحال الراسخين . بمعنى هؤلاء العالمون بالتأويل يقولون آمنا به أى بالمتشابه أو بالكتاب . وقيل يقولون حال من الراسخين .

(٢) من متشابهه ومحكمه .

(٣) من عند الله الحكيم الذى لا يتناقض كلامه .

(٤) وما يتعظ وأصله يتذكر .

(٥) أصحاب العقول وهو مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن التأمل .

(٦) لا تملها عن الحق بخلق الميل فى القلوب .

(٧) للعمل بالمحكم والتسليم للمتشابه .

(٨) من عندك، نعمة بالتوفيق والتثبيت .

(٩) كثير الهبة .

والآية من مقول الراسخين. ويحتمل الاستئناف أى قولوها. وكذلك التى بعدها وهى (ربنا إنك جامع الناس) .

(١٠) أى تجمعهم لحساب يوم و لجزاء يوم .

(١١) لا شك فى وقوعه .

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ(١) ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟(٢) لَن تُغْنِىَ(٣) عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ(٤) شَيْـًٔا(٥) وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ(٦) ۝ كَدَأْبِ(٧) ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا(٨) فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ(٩) وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ(١٠) ۝ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟(١١) سَتُغْلَبُونَ(١٢) وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ(١٣) وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ(١٤) ۝

---

(١) الموعد . والمعنى أن الإلهية تنافى خلف الميعاد كقولك إن الجواد لا يخيّب سائله . أى لا يخلف ما وعد المسلمين والكافرين من الثواب والعقاب .

(٢) برسول الله .

(٣) تنفع أو تدفع .

(٤) من عذابه .

(٥) من الأشياء .

(٦) حطبها .

(٧) الدأب مصدر دأب فى العمل اذا كدح فيه. فوضع موضع ماعليه الإنسان من شأنه وحاله . والكاف مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء الكفرة فى تكذيب الحق كدأب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم . أو منصوب المحل بلن تغنى أى لن تغنى عنهم مثل مالم تغن عن أولئك .كداب بلا همز حيث كان أبو عمرو .

(٨) تفسير لدأبهم مما فعلوا أو فعل بهم على أنهُ جواب سؤال مقدر عن حالهم . ويجوز أن يكون حالا أى قد كذبوا .

(٩) بسبب ذنوبهم يقال أخذته بكذا أى جازيته عليه .

(١٠) شديد عقابه فالإضافة غير محضة .

(١١) هم مشركو مكة .

(١٢) يوم بدر .

(١٣) من الجهنام وهى بئر عميقة . وبالياء فيهما حمزة وعلىّ .

(١٤) المستقر، جهنم .

قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ(١) فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا(٢) فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ(٣) وَأُخْرَىٰ(٤) كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ(٥) رَأْيَ ٱلْعَيْنِ(٦) وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ(٧) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ(٨) لَعِبْرَةً(٩) لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ(١٠) ﴿١٣﴾ زُيِّنَ(١١) لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ(١٢)

(١) الخطاب لمشركى قريش .

(٢) يوم بدر .

(٣) وهم المؤمنون .

(٤) وفئة أخرى .

(٥) يرى المشركون المسلمين مثلىْ عدد المشركين ألفين ، أو مثلىْ عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين . أراهم الله إياهم مع قلتهم أضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم . ترونهم نافع ، أى ترون يامشركى قريش المسلمين مثلىْ فئتكم الكافرة أو مثلىْ أنفسهم. ولايناقض هذا ما قال فى سورة الأنفال (ويقللكم فى أعينهم) لأنهم قللوا أولا فى أعينهم حتى اجترءوا عليهم فلما اجتمعوا كثروا فى أعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير فى حالتين مختلفتين . ونظيره من المحمول على اختلاف الأحوال (فيومئذ لايسأل عن ذنبه إنس ولا جان. وقفوهم إنهم مسئولون). وتقليلهم تارة وتكثيرهم أخرى فى أعينهم أبلغ فى القدرة وإظهار الآية . ومثليهم نصب على الحال لأنه من رؤية العين بدليل قوله (رأى العين) .

(٦) يعنى رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها .

(٧) كما أيد أهل بدر بتكثيرهم فى أعين العدو .

(٨) فى تكثير القليل .

(٩) لعظة .

(١٠) لذوى البصائر .

(١١) المزين هو الله عند الجمهور للابتلاء كقوله (إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم) دليله قراءة مجاهد (زين للناس) على تسمية الفاعل . وعن الحسن الشيطان .

(١٢) الشهوة توقان النفس إلى الشىء. جعل الأعيان التى ذكرها شهوات مبالغة فى كونها مشتهاة . أو كأنه أراد تخسيسها بتسميتها شهوات إذ الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية .

مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ(١) وَٱلْقَنَٰطِيرِ(٢) ٱلْمُقَنطَرَةِ(٣) مِنَ ٱلذَّهَبِ(٤) وَٱلْفِضَّةِ(٥) وَٱلْخَيْلِ(٦) ٱلْمُسَوَّمَةِ(٧) وَٱلْأَنْعَٰمِ(٨) وَٱلْحَرْثِ(٩) ذَٰلِكَ(١٠) مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا(١١) وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ(١٢) ۝ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ(١٣) لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ(١٤) تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ(١٥) خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ

(١) والإماء داخلة فيها .

(٢) جمع ابن . وقد يقع فى غير هذا الموضع على الذكور والإناث . وهنا أريد به الذكور فهم المشتهَون فى الطباع ، والمعدّون للدفاع .

(٣) جمع قنطار وهو المال الكثير قيل ملء مَسْك ثور أو مائة ألف دينار ولقد جاء الإسلام وبمكة مائة رجل قد قنطروا .

(٤) المنضدة أو المدفونة .

(٥) سمى ذهبا لسرعة ذهابه بالإنفاق، وفضة لأنها تتفرق بالإنفاق . والفض التفريق .

(٦) سميت به لاختيالها فى مشيها .

(٧) المعلمة من السَومة وهى العلامة أو المرعية من أسام الدابة وسومها .

(٨) هى الأزواج الثمانية .

(٩) الزرع .

(١٠) المذكور .

(١١) يتمتع بها فى الدنيا .

(١٢) المرجع . ثم زهدهم فى الدنيا فقال (قل أؤنبئكم) .

(١٣) من الذى تقدم .

(١٤) كلام مستأنف فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم . بجنات مبتدأ و (للذين اتقوا) خبره . ويجوز أن يتعلق اللام بخير . واختص المتقين لأنهم هم المنتفعون به . ويرتفع جنات على هو جنات . وتنصره قراءة من قرأ جنات بالجر على البدل من خير .

(١٥) صفة لجنات .

مِّنَ ٱللَّهِ(١) وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ(٢) ۝ ٱلَّذِينَ(٣) يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا(٤) فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا(٥) وَقِنَا(٦) عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝ ٱلصَّٰبِرِينَ(٧) وَٱلصَّٰدِقِينَ(٨) وَٱلْقَٰنِتِينَ(٩) وَٱلْمُنفِقِينَ(١٠) وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ(١١) ۝ شَهِدَ ٱللَّهُ(١٢) أَنَّهُۥ(١٣) لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ(١٤) وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ(١٥)

(١) أى رضا الله .

(٢) عالم بأعمالهم فيجازيهم عليها . أو بصير بالذين اتقوا و بأحوالهم فلذا أعد لهم الجنات .

(٣) نصب على المدح أو رفع أو جر صفة للمتقين أو للعباد .

(٤) إجابة لدعوتك .

(٥) إنجازا لوعدك .

(٦) بفضلك .

(٧) (الصابرين) على الطاعات والمصائب . وهو نصب على المدح .

(٨) قولا بإخبار الحق ، وفعلا بإحكام العمل ، ونية بإمضاء العزم .

(٩) الداعين أو المطيعين .

(١٠) المتصدقين .

(١١) المصلين أو طالبين المغفرة . وخص الأسحار لأنه وقت إجابة الدعاء، ولأنه وقت الخلوة . قال لقمان لابنه يابنى لا يكن الديك أكيس منك ينادى بالأسحار وأنت نائم . والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم فى كل واحدة منها . وللإشعار بأن كل صفة مستقلة بالمـــدح .

(١٢) أى حكم أو قال .

(١٣) أى بأنه .

(١٤) بما عاينوا من عظيم قدرته .

(١٥) أى الأنبياء والعلماء .

قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ(١) لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ(٢) ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ(٣) ۝ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ(٤) وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ(٥) إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ(٦) بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ(٧) وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ(٨) فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ(٩) ۝

---

(١) مقيما للعدل فيما يقسم من الأرزاق والآجال ويثيب ويعاقب وما يأمر به عباده من إنصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم. وانتصابه على أنه حال مؤكدة من اسم الله تعالى أو من هو . وإنما جاز إفراده بنصب الحال دون المعطوفين عليه ولو قلت جاء زيد وعمرو راكبا لم يجز، لعدم الإلباس فإنك لو قلت جاءنى زيد وهند راكبا جاز لتميزه بالذكورة. أو على المدح

(٢) كرر للتأكيد .

(٣) رفع على الاستئناف أى هو العزيز، وليس بوصف لهو لأن الضمير لا يوصف . يعنى أنه العزيز الذى لا يغالب، الحكيم الذى لا يعدل عن الحق .

قال عليه السلام من قرأ الآية عند منامه خلق الله تعالى منها سبعين ألف خلق يستغفرون له إلى يوم القيامة . ومن قال بعدها وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهى لى عند الله وديعة، يقول الله تعالى يوم القيامة إن لعبدى عندى عهدا وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدى الجنة .

(٤) جملة مستأنفة . وقرئ (أن الدين) على البدل من قوله (أنه لا إله إلا هو) أى شهد الله أن الدين عند الله الإسلام .

(٥) أى أهل الكتاب من اليهود والنصارى. واختلافهم أنهم تركوا الإسلام وهو التوحيد فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله . وقيل هو اختلافهم فى نبوة محمد عليه الصلاة والسلام حيث آمن به بعض وكفر به بعض . وقيل هم النصارى . واختلافهم فى أمر عيسى بعد ما جاءهم العلم أنه عبد الله ورسوله .

(٦) أنه الحق الذى لا محيد عنه .

(٧) أى ما كان ذلك الاختلاف إلا حسدا بينهم وطلبا منهم للرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناسا، لا شبهة فى الإسلام .

(٨) بحججه ودلائله .

(٩) سريع المجازاة .

فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ

(١) فان جادلوك فى أن دين الله الإسلام . والمراد بهم وفد بنى نجران عند الجمهور .

(٢) أى أخلصت نفسى وجملتى لله وحده لم أجعل فيها لغيره شريكا بأن أعبده وأدعو إلها معه . يعنى أن دينى دين التوحيد وهو الدين القويم الذى ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندى وما جئت بشىء بديع حتى تجادلونى فيه ونحوه (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيأ) فهو دفع للمحاجة بأن ما هو عليه ومن معه من المؤمنين هو اليقين الذى لا شك فيه فما معنى المحاجة فيه . وجهىَ مدنى وشامى وحفص والأعشى والبرجمى .

(٣) عطف على التاء فى أسلمت أى أسلمت أنا ومن اتبعنى . وحسن للفاصل . ويجوز أن يكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه . ومن اتبعنى فى الحالين سهل ويعقوب . وافق أبو عمرو فى الوصل .

(٤) من اليهود والنصارى .

(٥) والذين لا كتاب لهم من مشركى العرب .

(٦) بهمزتين كوفى . يعنى أنه قد أتاكم من البينات ما يقتضى حصول الإسلام فهل أسلمتم أم أنتم بعدُ على كفركم ؟ وقيل لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الأمر أى أسلموا كقوله (فهل أنتم منتهون) أى انتهوا .

(٧) فقد أصابوا الرشد حيث خرجوا من الضلال إلى الهدى .

(٨) أى لم يضروك فإنك رسول منبه ما عليك إلا أن تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى.

(٩) فيجازيهم على إسلامهم وكفرهم .

(١٠) هم أهل الكتاب راضون بقتل آبائهم الأنبياء .

(١١) حال مؤكدة لأن قتل النبى لا يكون حقا .

(١٢) ويقاتلون حمزة .

بِٱلْقِسْطِ⁽¹⁾ مِنَ ٱلنَّاسِ⁽²⁾ فَبَشِّرْهُم⁽³⁾ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ⁽⁴⁾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ⁽⁵⁾ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ⁽⁶⁾ ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ⁽⁷⁾ يُدْعَوْنَ⁽⁸⁾ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ⁽⁹⁾ لِيَحْكُمَ⁽¹⁰⁾ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ⁽¹¹⁾ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ⁽¹²⁾ ۝ ذَٰلِكَ⁽¹³⁾ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ

---

(١) بالعـــدل .

(٢) أى سوى الأنبياء . قال عليه السلام قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار فى ساعة واحدة. فقام مائة واثنا عشر رجلا من عبّاد بنى إسرائيل فأمروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا فى آخر النهار من ذلك اليوم .

(٣) دخلت الفاء فى خبر إن لتضمن اسمها معنى الجزاء كانه قيل الذين يكفرون فبشرهم بعذاب أليم بمعنى من يكفر فبشرهم . وهذا لأن إنّ لا تغير معنى الابتداء فهى للتحقيق فكأن دخولها كلا دخول . ولو كان مكانها ليت أو لعل لامتنع دخول الفاء .

(٤) أى ضاعت .

(٥) فلهم اللعنة والخزى فى الدنيا والعذاب فى الآخرة .

(٦) جمع لوفق رءوس الآى و إلا فالواحد النكرة فى النفى يعم .

(٧) يريد أحبار اليهود وأنهم حصلوا نصيبا وافرا من التوراة . ومن للتبعيض أو للبيان .

(٨) حال من الذين .

(٩) أى التوراة أو القرآن .

(١٠) جعل حاكما حيث كان سببا للحكم. أو ليحكم النبي. روى أنه عليه السلام دخل مدارسهم فدعاهم . فقال له نعيم بن عمرو والحرث بن زيد على أى دين أنت؟ قال النبي عليه السلام على ملة إبراهيم . قالا إن إبراهيم كان يهوديا . قال لهما إن بيننا و بينكم التوراة فهلموا إليها . فأبيا .

(١١) استبعاد لتوليهم بعد علمهم بأن الرجوع الى كتاب الله واجب .

(١٢) وهم قوم لا يزال الإعراض ديدنهم .

(١٣) أى ذلك التولى والإعراض بسبب تسهيلهم على أنفسهم أمر العقاب وطمعهم فى الخروج من النار بعد أيام قلائل وهى أربعون يوما او سبعة أيام. وذلك مبتدأ و بأنهم خبره.

وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ[1] فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ[2] لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ[3] وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ[4] وَهُمْ[5] لَا يُظْلَمُونَ[6] قُلِ ٱللَّهُمَّ[7] مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ[8] تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ[9] وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ[10] وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ[11] وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ[12]

---

(١) أى غرهم افتراؤهم على الله وهو قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه فلا يعذبنا بذنوبنا إلا مدّة يسيرة .

(٢) فكيف يكون حالهم فى ذلك الوقت .

(٣) لا شك فيه .

(٤) جزاء ما كسبت .

(٥) يرجع إلى كل نفس على المعنى لأنه فى معنى كل الناس .

(٦) بزيادة فى سيئاتهم ونقصان فى حسناتهم .

(٧) الميم عوض من يا ولذا لا يجتمعان. وهذا بعض خصائص هذا الاسم، كما اختص بالتاء فى القسم، وبدخول حرف النداء عليه وفيه لام التعريف، وبقطع همزته فى يا ألله، وبالتفخيم .

(٨) تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرف المـلاك فيما يملكون . وهو نداء ثان أى يا مالك الملك .

(٩) تعطى من تشاء النصيب الذى قسمت له من الملك .

(١٠) أى تنزعه. فالملك الأوّل عام والملكان الآخران خاصان بعضان من الكل. روى أنه عليه السلام حين فتح مكة وعد أمته ملك فارس والروم فقالت اليهود والمنافقون هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم هم أعز وأمنع من ذلك . فنزلت .

(١١) بالملك .

(١٢) بنزعه منه .

بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ (١) إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢) ۝ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ (٣) وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ (٤) وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ (٥) وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٦) ۝ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ (٧) مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٨)

(١) أى الخير والشر فاكتفى بذكر أحد الضدّين عن الآخر . أو لأن الكلام وقع فى الخير الذى يسوقه إلى المؤمنين وهو الذى أنكرته الكفرة فقال (بيدك الخير) تؤتيه أولياءك على رغم من أعدائك .

(٢) ولا يقدر على شىء أحد غيرك إلا بإقدارك .

وقيل المراد بالملك ملك العافية أو ملك القناعة قال عليه السلام ملوك الجنة من أمتى القانعون بالقوت يوما فيوما . أو ملك قيام الليل . وعن الشبلى الاستغناء بالمكوّن عن الكونين (تعز) بالمعرفة أو بالاستغناء بالمكوّن أو بالقناعة (وتذل) بأضدادها .

ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار فى المعاقبة بينهما، وحال الحى والميت فى إخراج أحدهما من الآخر، وعطف عليه رزقه بغير حساب بقوله (تولج الليل) الآية ، ليدل على أن من قدر على تلك الأفعال العظيمة المحيرة للأفهام ، ثم قدر أن يرزق بغير حساب من يشاء من عباده ، فهو قادر على أن ينزع الملك من العجم ويذلهم و يؤتيه العرب و يعزهم . وفى بعض الكتب أنا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدى . فإن العباد أطاعونى جعلتهم عليهم رحمة و إن العباد عصونى جعلتهم عليهم عقوبة . فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا إلىّ أعطفهم عليكم . وهو معنى قوله عليه السلام كما تكونوا يولى عليكم .

(٣) فالإيلاج إدخال الشىء فى الشىء وهو مجاز هنا أى تنقص من ساعات الليل وتزيد فى النهار وتنقص من ساعات النهار وتزيد فى الليل .

(٤) الحيوان من النطفة أو الفرخ من البيضة أو المؤمن من الكافر .

(٥) النطفة من الإنسان أو البيض من الدجاج أو الكافر من المؤمن . الحى من الميت والميت من الحى بالتشديد حيث كان مدنى وكوفى غير أبى بكر .

(٦) لا يعرف الخلق عدده ومقداره و إن كان معلوما عنده .

(٧) نهوا أن يوالوا الكافرين لقرابة بينهم أو لصداقة قبل الإسلام أو غير ذلك . وقد كرر ذلك فى القرآن . والمحبة فى الله والبغض فى الله باب عظيم فى الإيمان .

(٨) يعنى أن لكم فى موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم .

وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ (١) إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً (٢) وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ (٣) وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ (٤) ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ (٥) يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ (٦) وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ (٧) وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٨) ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ (٩) أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ (١٠) وَٱللَّهُ

---

(١) أى ومن يوال الكفرة فليس من ولاية الله فى شىء لأن موالاة الولى وموالاة عدوه متنافيان .

(٢) إلا أن تخافوا من جهتهم أمرا يجب اتقاؤه . أى إلا أن يكون للكافر عليك سلطان فتخافه على نفسك ومالك فحينئذ يجوز لك إظهار الموالاة وإبطان المعاداة .

(٣) أى ذاته فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة أعدائه . وهذا وعيد شديد .

(٤) أى مصيركم إليه والعذاب معد لديه وهو وعيد آخر .

(٥) من ولاية الكفار أو غيرها مما لا يرضى الله .

(٦) ولم يخف عليه وهو أبلغ وعيد .

(٧) استئناف وليس بمعطوف على جواب الشرط أى هو الذى يعلم مافى السموات وما فى الأرض فلا يخفى عليه سركم وعلنكم .

(٨) فيكون قادرا على عقوبتكم .

(٩) يوم منصوب بتود. والضمير فى بينه لليوم. أى يوم القيامة حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين تتمنى لو أن بينها وبين ذلك اليوم وهوله أمدا بعيدا أى مسافة بعيدة . أو باذكر. ويقع تجد على (ما عملت) وحده . ويرتفع (وماعملت) على الابتداء و(تود) خبره . أى والذى عملته من سوء تود هى لو تباعد ما بينها وبينه. ولا يصح أن تكون ما شرطية لارتفاع تود . نعم الرفع جائز إذا كان الشرط ماضيا لكن الجزم هو الكثير وعن المبرد أن الرفع شاذ .

(١٠) كرر ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه .

رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ[١] ۝ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ[٢] وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ[٣] فَإِن تَوَلَّوْا[٤] فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ[٥] ۝ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ[٦] آدَمَ[٧] وَنُوحًا[٨] وَآلَ إِبْرَاهِيمَ[٩] وَآلَ عِمْرَانَ[١٠]

---

(١) ومن رأفته بهم أن حذرهم نفسه حتى لا يتعرضوا لسخطه . ويجوز أن يريد أنه ، مع كونه محذورا لكمال قدرته ، مرجو لسعة رحمته كقوله تعالى (إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم) . ونزل حين قال اليهود نحن أبناء الله وأحباؤه : (قل إن كنتم تحبون الله) .

(٢) محبة العبد لله إيثار طاعته على غير ذلك ومحبة الله العبد أن يرضى عنه ويحمد فعله . وعن الحسن زعم أقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم يحبون الله فأراد أن يجعل لقولهم تصديقا من عمل . فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه وقيل محبة الله معرفته ودوام خشيته ودوام اشتغال القلب به وبذكره ودوام الانس به . وقيل هى اتباع النبي عليه السلام فى أقواله وأفعاله وأحواله إلا ماخص به. وقيل علامة المحبة أن يكون دائم التفكير كثير الخلوة دائم الصمت لا يبصر إذا نظر ولا يسمع إذا نودى ولا يحزن إذا أصيب ولا يفرح إذا أصاب ولا يخشى أحدا ولا يرجوه .

(٣) قيل هى علامة المحبة .

(٤) أعرضوا عن قبول الطاعة ويحتمل أن يكون مضارعا أى فان تتولوا .

(٥) أى لا يحبهم .

(٦) اختار .

(٧) أبا البشر .

(٨) شيخ المرسلين .

(٩) إسماعيل وإسحق وأولادهما .

(١٠) موسى وهرون هما ابنا عمران بن يصهر . وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان . وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة .

عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ(١) ۝ ذُرِّيَّةً(٢) بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ وَٱللَّهُ(٣) سَمِيعٌ عَلِيمٌ(٤) ۝ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ(٥) رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ(٦) لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا(٧) فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ(٨) إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا(٩) قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ(١٠) وَٱللَّهُ أَعْلَمُ(١١)

---

(١) على عالمى زمانهم .

(٢) بدل من آل ابراهيم وآل عمران .

(٣) مبتدأ وخبره فى موضع النصب صفة لذرية . يعنى أن الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضهـا متشعب من بعض موسى وهرون من عمران وعمران من يصهر ويصهر من قاهث وقاهث من لاوى ولاوى من يعقوب ويعقوب من اسحق وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران ابن ماثان وهو يتصل بيهودا بن يعقوب بن اسحق. وقد دخل فى آل ابراهيم رسـول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل بعضها من بعض فى الدين .

(٤) يعلم من يصلح للاصطفاء . أو سميع عليم لقول امرأة عمران ونيتها . و (إذ) منصوب به أو باضمار اذكر .

(٥) هى امرأة عمران بن ماثان أم مريم جدة عيسى وهى حنة بنت فاقوذا .

(٦) أوجبتُ .

(٧) هو حال من ما وهى بمعنى الذى أى معتقا لخـدمة بيت المقـدس لايد لى عليـه ولا أستخدمه . وكان هذا النوع من النذر مشروعا عندهم . أو مخلصا للعبادة يقال طين حرّ أى خالص .

(٨) (منّى) مدنى وأبو عمرو. والتقبل أخذ الشىء على الرضا به .

(٩) الضمير لمـا فى بطنى . وإنمـا أنث على تأويل الحبلة أو النفس أو النسمة .

(١٠) أنثى حال من الضـمير فى وضعتها أى وضعت الحبلة أو النفس أو النسـمة أنثى . وإنما قالت هذا القول لأن التحرير لم يكن إلا للغلمان فاعتذرت عما نذرت وتحزنت إلى ربها.

(١١) ولتكلمها بذلك على وجه التحزن والتحسر قال الله (والله أعلم بمـا وضعت) . تعظيما لموضوعها. أى والله أعلم بالشى الذى وضعت وما علق به من عزائم الأمور .

بِمَا وَضَعَتْ(١) وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ(٢) كَٱلْأُنثَىٰ(٣) وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ(٤) وَإِنِّيٓ(٥) أُعِيذُهَا بِكَ(٦) وَذُرِّيَّتَهَا(٧) مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ(٨) ۝ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا(٩) بِقَبُولٍ حَسَنٍ(١٠)

(١) وضعْتُ شامى وأبو بكر بمعنى ولعل الله فيه سرا وحكمة. وعلى هذا يكون داخلا فى القول وعلى الأول يوقف عند قوله (أنثى) وقوله (والله أعلم بما وضعت) ابتداء إخبار من الله تعالى.

(٢) الذى طلبتْ .

(٣) التى وهبت لهـا واللام فيهما للعهد .

(٤) معطوف على (إنّى وضعتها أنثى) وما بينهما جملتان معترضتان . وإنما ذكرت حنة تسميتها مريم لربها لأن مريم فى لغتهم العابدة فأرادت بذلك التقرب والطلب إليه أن يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها وان يصدق فيها ظنها بها ألا ترى كيف اتبعته طلب الإعاذة لها ولولدها من الشيطان بقوله (وإنى أعيذها بك) .

(٥) (وإنّىَ) مدنى .

(٦) أجيرها .

(٧) اولادها .

(٨) الملعون . فى الحديث ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها .

(٩) قبل الله مريم ورضى بها فى النذر مكان الذكَر .

(١٠) قيل القبول اسم ما يقبل به الشىء كالسعوط لمـا يسعط به . وهو اختصاصه لها بإقامتها مقام الذكر فى النذر ولم تقبل قبلها أنثى فى ذلك، أو بأن تسلمها من أمها عقيب الولادة قبل أن تنشأ وتصلح للسدانة . وقيل هو مصـدر على تقدير حذف المضاف أى فتقبلها بذى قبـول حسن أى بأمر ذى قبول حسن وهو الاختصاص . روى أن حنة لمـا ولدت مريم لفتها فى خرقة وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار أبنـاء هرون وهم فى بيت المقـدس كالحجبة فى الكعبة . فقالت لهم دونكم هـذه النذيرة . فتنافسوا فيها لأنها كانت بنت إمامهـم وصاحب قربانهـم وكانت بنو ماثان رءوس بنى إسرائيـل وأحبارهم . فقال لهم زكريا أنا احق بها . عندى أختها . فقالوا لا حتى نقترع عليهـا . فانطلقوا ، وكانوا سبعة وعشرين ، إلى نهر فألقوا فيه أقلامهم فارتفع قلم زكريا فوق المـاء ورسبت أقلامهم . فتكفلها .

وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا(١) وَكَفَّلَهَا(٢) زَكَرِيَّا(٣) كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ(٤) وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا(٥) قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا(٦) قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ(٧) إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ(٨) بِغَيْرِ حِسَابٍ(٩) ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ(١٠) دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ

(١) مجاز عن التربية الحسنة . قال ابن عطاء ما كانت ثمرته مثل عيسى فذاك أحسن النبات . ونباتا مصدر على خلاف الصدر أو التقدير فنبتت نباتا .

(٢) (وكفّلها) قبلها أو ضمن القيام بأمرها . (وكفلها) كوفى أى كفّلها الله زكريا يعنى جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها .

(٣) بالقصر كوفى غير أبى بكر فى كل القرآن . وقرأ أبو بكر بالمد والنصب هنا . غيرهم بالمد والرفع كالثانية والثالثة . ومعناه فى العبرى دائم الذكر والتسبيح .

(٤) قيل بنى لها زكريا محرابا فى المسجد أى غرفة تصعد إليها بسلم. وقيل المحراب أشرف المجالس ومقدّمها كأنها وضعت فى أشرف موضع من بيت المقدس . وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب. وكان لا يدخل عليها إلا هو وحده .

(٥) كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط فكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء .

(٦) من أين لك هذا الرزق الذى لا يشبه أرزاق الدنيا وهو آت فى غير حينه .

(٧) فلا تستبعد . قيل تكلمت وهى صغيرة كما تكلم عيسى وهو فى المهد .

(٨) من جملة كلام مريم او من كلام رب العالمين .

(٩) بغير تقدير لكثرته أو تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل .

(١٠) فى ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم فى المحراب. أو فى ذلك الوقت. فقد يستعار هنا وحيث وثَم للزمان . لما رأى حال مريم فى كرامتها على الله ومنزلتها رغب أن يكون له من إيشاع ولد مثل ولد أمها حنة فى الكرامة على الله وإن كانت عاقرا عجوزا فقد كانت أمها كذلك . وقيل لما رأى الفاكهة فى غير وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر .

هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً [١] طَيِّبَةً [٢] إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ [٣] ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ [٤] وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ [٥] أَنَّ [٦] ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ [٧] بِيَحْيَىٰ [٨] مُصَدِّقًۢا [٩] بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ [١٠] وَسَيِّدًا [١١] وَحَصُورًا [١٢] وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ [١٣] ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ [١٤]

(١) ولدا . والذرّية يقع على الواحد والجمع .

(٢) مباركة . والتأنيث للفظ الذرية .

(٣) مجيبه .

(٤) قيل ناداه جبريل عليه السلام . وإنما قيل الملائكة لأن المعنى أتاه النداء من هذا الجنس كقولهم فلان يركب الخيل . فناديه بالياء والإمالة حمزة وعلىّ .

(٥) وفيه دليل على ان المرادات تطلب بالصلوات وفيها إجابة الدعوات وقضاء الحاجات وقال ابن عطاء ما فتح الله تعالى على عبد حالة سنية إلا باتّباع الأوامر وإخلاص الطاعات ولزوم المحاريب .

(٦) بكسر الألف شامى وحمزة على إضمار القول أو لأن النداء قول . الباقون بالفتح أى بأن الله .

(٧) يَبْشُرُكَ وما بعده حمزة وعلىّ من بَشَرَه . والتخفيف والتشديد لغتان .

(٨) هو غير منصرف. إن كان عجميا وهو الظاهر فللتعريف والعجمة كموسى وعيسى . وإن كان عربيا فللتعريف ووزن الفعل كيعمر .

(٩) حال منه .

(١٠) أى مصدقا بعيسى مؤمنا به فهو أوّل من آمن به . وسمى عيسى كلمة الله لأن تكونه بكن بلا أب . أو مصدقا بكلمة من الله مؤمنا بكتاب منه .

(١١) هو الذى يسود قومه أى يفوقهم فى الشرف. وكان يحيى فائقا على قومه لأنه لم يركب سيئة قط ويالها من سيادة . وقال الجنيد هو الذى جاد بالكونين عوضا عن المكوّن .

(١٢) هو الذى لا يقرب النساء مع القدرة حصرا لنفسه أى منعا لها من الشهوات .

(١٣) ناشئا من الصالحين لأنه كان من أصلاب الأنبياء أو كائنا من جملة الصالحين .

(١٤) استبعاد من حيث العادة واستعظام للقدرة لا تشكك .

وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ(١) وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ(٢) قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ(٣) ۝ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ(٤) آيَةً(٥) قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ(٦) ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا(٧) وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ(٨) ۝ وَإِذْ(٩) قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ(١٠)

(١) كقولهم أدركته السن العالية أى أثر فىّ الكبر وأضعفنى وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون .

(٢) لم تلد .

(٣) من الافعال العجيبة .

(٤) (لىَ) مدنى وأبو عمرو .

(٥) علامة أعرف بها الحبل لأتلقى النعمة بالشكر إذا جاءت .

(٦) أى لا تقدر على تكليم الناس .

(٧) إلا إشارة بيد أو رأس أو عين أو حاجب . وأصله التحرك يقال ارتمز إذا تحرك . واستثنى الرمز وهو ليس من جنس الكلام لأنه لما أدّى مؤدّى الكلام وفهم منه ما يفهم منه سمى كلاما . أو هو استثناء منقطع . وإنما خص تكليم الناس ليعلم أنه يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة مع إبقاء قدرته على التكلم بذكر الله ولذا قال (واذكر ربّك كثيرا).

(٨) أى فى أيام عجزك عن تكليم الناس وهى من الآيات الباهرة والأدلة الظاهرة. وإنما حبس لسانه عن كلام الناس ليخلص المدّة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره. كانه لما طلب الآية من أجل الشكر قيل له آيتك أن تحبس لسانك إلا عن الشكر وأحسن الجواب ما كان منتزعا من السؤال. والعشى من حين الزوال إلى الغروب. والإبكار من طلوع الفجر إلى وقت الضحى.

(٩) عطف على إذ قالت امرأة عمران أو التقدير واذكر إذ قالت .

(١٠) روى أنهم كلموها شفاها .

يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ(١) وَطَهَّرَكِ(٢) وَٱصْطَفَىٰكِ(٣) عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ(٤) ۝ يَـٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى(٥) وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝ ذَٰلِكَ(٦) مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ(٧) وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَـٰمَهُمْ(٨) أَيُّهُمْ(٩) يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ(١٠) ۝ إِذْ(١١) قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ(١٢)

(١) أولا حين تقبلك من أمك ورباك واختصك بالكرامة السنية .

(٢) مما يستقذر من الأفعال .

(٣) آخرا .

(٤) بأن وهب لك عيسى من غير أب ولم يكن ذلك لأحد من النساء .

(٥) أديمى الطاعة أو أطيلى قيام الصلاة (واسجدى) . وقيل : "أمرت بالصلاة بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيئات الصلاة ثم قيل لها (واركعى مع الراكعين) أى ولتكن صلاتك مع المصلين أى فى الجماعة . أو وانظمى نفسك فى جملة المصلين وكونى فى عدادهم ولا تكونى فى عداد غيرهم" .

(٦) إشارة إلى ما سبق من قصة حنة وزكريا ويحيى ومريم .

(٧) يعنى أن ذلك من الغيوب التى لم تعرفها إلا بالوحى .

(٨) أزلامهم وهى قداحهم التى طرحوها فى النهر مقترعين . أو هى الأقلام التى كانوا يكتبون التوراة بها اختاروها للقرعة تبركا بها .

(٩) متعلق بمحذوف دل عليه يلقون كأنه قيل يلقونها ينظرون أيهم يكفل مريم أو ليعلموا أو يقولون .

(١٠) فى شأنها تنافسا فى التكفل بها .

(١١) أى اذكر .

(١٢) أى بعيسى .

مِّنْهُ (١) ٱسْمُهُ (٢) ٱلْمَسِيحُ (٣) عِيسَى (٤) ٱبْنُ مَرْيَمَ (٥) وَجِيهًا (٦) فِى ٱلدُّنْيَا (٧) وَٱلْآخِرَةِ (٨) وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ (٩) ۝ وَيُكَلِّمُ (١٠) ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ (١١) وَكَهْلًا (١٢) وَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ (١٣) ۝ قَالَتْ

(١) فى موضع جر صفة لكلمة .

(٢) مبتدأ . وذكر ضمير الكلمة لأن المسمى بها مذكر .

(٣) خبره والجملة فى موضع جر صفة لكلمة. والمسيح لقب من الألقاب المشرفة كالصدّيق والفاروق . وأصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك كقوله(وجعلنى مباركا أينما كنت) وقيل سمى مسيحا لأنه كان لا يمسح ذا عاهة إلا برا . أو لأنه كان يمسح الأرض بالسياحة لا يستوطن مكانا .

(٤) بدل من المسيح .

(٥) خبر مبتدإ محذوف أى هو ابن مريم. ولا يجوز أن يكون صفة لعيسى لأن اسمه عيسى فحسب وليس اسمه عيسى بن مريم . وإنما قال (ابن مريم) إعلاما لها أنه يولد من غير أب فلا ينسب إلا إلى امه .

(٦) ذا جاه وقدر .

(٧) بالنبوة والطاعة .

(٨) بعلو الدرجة والشفاعة .

(٩) برفعه إلى السماء .

وقوله (وجيها) حال من كلمة لكونها موصوفة وكذا (من المقربين) أى وثابتا من المقربين وكذا (ويكلّم) .

(١٠) أى ومكلما الناس .

(١١) حال من الضمير فى يكلم أى ثابتا فى المهد وهو ما يمهد للصبى من مضجعه سمى بالمصدر .

(١٢) عطف عليه أى ويكلم الناس طفلا وكهلا أى يكلم الناس فى هاتين الحالتين كلام الأنبياء من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التى يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الأنبياء .

(١٣) حال ايضا والتقدير يبشرك به موصوفا بهذه الصفات .

رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ (١) ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ (٢) ٱلْكِتَٰبَ (٣) وَٱلْحِكْمَةَ (٤) وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا (٥) إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى (٦) قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ (٧) أَنِّىٓ (٨) أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ (٩) فَأَنفُخُ فِيهِ (١٠) فَيَكُونُ طَيْرًۢا (١١) بِإِذْنِ ٱللَّهِ (١٢) وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ (١٣) وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ (١٤)

---

(١) أى إذا قدّر تكوّن شىء كوّنه من غير تأخير. لكنه عبر بقوله (كن) إخبارا عن سرعة تكوّن الأشياء بتكوينه .

(٢) مدنى وعاصم وموضعه حال معطوفة على وجيها . الباقون بالنون على أنه كلام مبتدأ .

(٣) أى الكتابة وكان أحسن الناس خطا فى زمانه . وقيل كتب الله .

(٤) بيان الحلال والحرام . أو الكتاب الخط باليد والحكمة البيان باللسان .

(٥) أى ونجعله رسولا . أو يكون فى موضع الحال أى وجيها فى الدنيا والآخرة ورسولا .

(٦) بأنى .

(٧) بدلالة تدل على صدقى فيما أدّعيه من النبوة .

(٨) نصب بدل من (أنى قد جئتكم) . أو جر بدل من آية . أو رفع على هى (أنى أخلق لكم) . (إنّى) نافع على الاستئناف .

(٩) أى أقدّر لكم شيئا مثل صورة الطير .

(١٠) الضمير للكاف أى فى ذلك الشىء المماثل لهيئة الطير .

(١١) فيصير طيرا كسائر الطيور . طائرا مدنى .

(١٢) بأمره . قيل لم يخلق شيئا غير الخفّاش .

(١٣) الذى ولد أعمى .

(١٤) كرر بإذن الله دفعا لوهم من يتوهم فيه اللاهوتية . روى أنه أحيا سام بن نوح عليه السلام وهم ينظرون إليه . فقالوا هذا سحر مبين فأرنا آية . فقال يافلان أكلت كذا ويافلان خبيء لك كذا وهو قوله (وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم) .

وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ[1] إِنَّ فِي ذَٰلِكَ[2] لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ[3] مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ[4] وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ[5] فَاتَّقُوا اللَّهَ[6] وَأَطِيعُونِ[7] ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ[8] فَاعْبُدُوهُ[9] هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ[10] ﴿٥١﴾ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ[11] قَالَ مَنْ أَنصَارِي[12] إِلَى اللَّهِ[13] قَالَ الْحَوَارِيُّونَ[14] نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ[15]

(١) ما فيهما بمعنى الذى أو مصدرية .

(٢) أى فيما سبق .

(٣) أى قد جئتكم بآية وجئتكم مصدقا .

(٤) ردّ على قوله (بآية من ربكم) أى جئتكم بآية من ربكم ولأحل لكم . وما حرم الله عليهم فى شريعة موسى عليه السلام الشحوم ولحوم الإبل والسمك وكل ذى ظفر . فأحل لهم عيسى بعض ذلك .

(٥) كرر للتأكيد .

(٦) فى تكذيبى وخلافى .

(٧) فى أمرى .

(٨) إقرار بالعبودية ونفى للربوبية عن نفسه بخلاف ما يزعم النصارى .

(٩) دونى .

(١٠) يؤدى صاحبه إلى النعيم المقيم .

(١١) علم من اليهود كفرا علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس .

(١٢) (أنصارىَ) مدنى . وهو جمع ناصر كأصحاب أو جمع نصير كأشراف .

(١٣) يتعلق بمحذوف حال من الياء أى من أنصارى ذاهبا إلى الله ملتجئا إليه .

(١٤) حوارىّ الرجل صفوته وخاصته .

(١٥) أعوان دينه .

ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (١) (٢) رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ (٣) فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ (٤) وَمَكَرُوا۟ (٥) وَمَكَرَ ٱللَّهُ (٦) وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ (٧) إِذْ (٨) قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ (٩) وَرَافِعُكَ إِلَىَّ (١٠) وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ (١١)

---

(١) يا عيسى .

(٢) إنما طلبوا شهادته بإسلامهم تأكيدا لإيمانهم لأن الرسل يشهدون يوم القيامة لقومهم وعليهم . وفيه دليل على أن الإيمان والإسلام واحد .

(٣) أى رسولك عيسى .

(٤) مع الأنبياء الذين يشهدون لأممهم أو مع الذين يشهدون لك بالوحدانيــة أو مع أمة محمد عليه السلام لأنهم شهداء على الناس .

(٥) أى كفار بنى إسرائيل الذين أحس عيسى منهم الكفر حين أرادوا قتله وصلبه .

(٦) أى جازاهم على مكرهم بأن رفع عيسى إلى السماء وألقى شبهه على من أراد اغتياله حتى قتل . ولا يجوز إضافة المكر إلى الله تعالى إلا على معنى الجزاء لأنه مذموم عند الخلق . وعلى هذا الخداع والاستهزاء كذا فى شرح التأويلات .

(٧) أقوى المجازين وأقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقَب .

(٨) ظرف لمكر الله .

(٩) أى مستوفى أجلك . ومعناه أنى عاصمك من أن يقتلك الكفار ومميتك حتف أنفك لا قتلا بأيديهم .

(١٠) إلى سمائى ومقر ملائكتى .

(١١) من سوء جوارهم وخبث صحبتهم .

وقيل متوفيك قابضك من الأرض من توفيت ما لى على فلان إذا اســتوفيته . أو مميتك فى وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن إذ الواو لا توجب الترتيب . قال النبى عليه السلام ينزل عيسى خليفة على أمتى يدق الصليب و يقتل الخنازير و يلبث أر بعين سنة و يتزوج و يولد له ثم يتوفى وكيف تهلك أمة أنا فى أولها وعيسى فى آخرها والمهدى من أهل بيتى فى وسطهــا . أو متوفى نفســك بالنوم ورافعك وأنت نائم حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ وأنت فى السماء آمن مقرب .

وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ(١) فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ(٢) إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ(٣) ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ(٤) فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ(٥) أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ(٦) نَتْلُوهُ(٧) عَلَيْكَ مِنَ ٱلْآيَٰتِ(٨) وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ(٩) ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ(١٠) عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ(١١) مِن تُرَابٍ

(١) أى المسلمين — لأنهم متبعوه فى أصل الإسلام و إن اختلفت الشرائع — دون الذين كذّبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى .

(٢) بك .

(٣) يعلونهم بالحجة وفى أكثر الأحوال بها و بالسيف .

(٤) فى الآخرة .

(٥) وتفسير الحكم هاتان الآيتان . فيوفيهم حفص .

(٦) إشارة الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره . وهو مبتدأ .

(٧) خبره .

(٨) خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف .

(٩) القرآن . يعنى المحكم أو كأنه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه .

(١٠) نزل لما قال وفد بنى نجران هل رأيت ولدا بلا أب . أى أن شأن عيسى وحاله الغريبة كشأن آدم عليه السلام .

(١١) قدره جسدا من طين . وهى جملة مفسرة لحالة شبه عيسى بآدم ولا موضع لها. أى خلق آدم من تراب ولم يكن ثمة أب ولا أم . فكذلك حال عيسى مع أن الوجود من غير أب وأم أغرب وأخرق للعادة من الوجود من غير أب . فشبه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادة شبهته إذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه . وعن بعض العلماء أنه أسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى؟ قالوا لأنه لا أب له . قال فآدم أولى لأنه لا أبوين له . قالوا كان يحيى الموتى . قال فحزقيل أولى لأن عيسى أحيا أربعة نفر وحزقيل ثمانية آلاف . فقالوا كان يبرئ الأكمه والأبرص . قال فجرجيس أولى لأنه طبخ وأحرق ثم قام سالما .

ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن(١) فَيَكُونُ(٢) ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ(٣) مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن(٤) مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ(٥) ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ(٦) فِيهِ(٧) مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ(٨) فَقُلْ تَعَالَوْا۟(٩) نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ(١٠) ثُمَّ نَبْتَهِلْ(١١) فَنَجْعَل

(١) أى أنشأه بشرا .

(٢) أى فكان. وهو حكاية حال ماضية. وثم لترتيب الخبر على الخبر لا لترتيب المخبر عنه.

(٣) خبر مبتدأ محذوف أى هو الحق .

(٤) أيها السامع .

(٥) الشاكين ويحتمل أن يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم . ويكون من باب التهييج لزيادة الثبات لأنه عليه السلام معصوم من الامتراء .

(٦) من النصارى .

(٧) فى عيسى .

(٨) من البينات الموجبة للعلم . وما بمعنى الذى .

(٩) هلموا . والمراد المجىء بالعزم والرأى كما تقول تعال نفكر فى هذه المسألة .

(١٠) أى يدع كل منا ومنكم أبناءه ونساءه ونفسه إلى المباهلة .

(١١) ثم نتباهل بأن نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم . والبهلة بالفتح والضم اللعنة وبهله الله لعنه وأبعده من رحمته . وأصل الابتهال هذا ثم يستعمل فى كل دعاء يجتهد فيه وإن لم يكن التعانا . روى أنه عليه السلام لما دعاهم إلى المباهلة قالوا حتى ننظر . فقال العاقب وكان ذا رأيهم والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمدا نبي مرسل وما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن. فإن أبيتم إلا إلف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم. فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا للحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى خلفها وهو يقول إذا أنا دعوت فأمنوا. فقال أسقف نجران يا معشر النصارى إنى لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله بها . فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصرانى. فقالوا يا أبا القاسم رأينا ألا نباهلك . فصالحهم النبي على ألفى حلة كل سنة . فقال عليه السلام والذى نفسى بيده إن الهلاك قد تدلى على أهل نجران

لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ (١) إِنَّ هَـٰذَا (٢) لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ (٣) وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ (٤) وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ (٥) ٱلْحَكِيمُ (٦) فَإِن تَوَلَّوْا۟ (٧) فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ (٨) قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ (٩) تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ (١٠)

ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير. وإنما ضمّ الأبناء والنساء وإن كانت المباهلة مختصة به وبمن يكاذبه ، لأن ذلك آكد فى الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض أعزته وأفلاذ كبده لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له ، وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته وأعزته إن تمت المباهلة. وخص الأبناء والنساء لانهم أعز الأهل وألصقهم بالقلوب . وقدّمهم فى الذكر على الأنفس لينبّه على قرب مكانهم ومنزلتهم . وفيه دليل واضح على صحة نبوة النبى صلى الله عليه وسلم لأنه لم يرو أحد من موافق أو مخالف أنهم أجابوا إلى ذلك .

(١) منا ومنكم فى شأن عيسى . ونبتهل ونجعل معطوفان على ندع .

(٢) الذى قص عليك من نبأ عيسى .

(٣) (هو) فصل بين اسم إن وخبرها أو مبتدأ . و (القصص الحق) خبره . والجملة خبر إن . وجاز دخول اللام على الفصل لأنه إذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل أجوز لأنه أقرب إلى المبتدأ منه وأصلها أن تدخل على المبتدأ .

(٤) من بمنزله البناء على الفتح فى لا إله إلا الله فى إفادة معنى الاستغراق . والمراد الرّد على النصارى فى تثليثهم .

(٥) فى الانتقام .

(٦) فى تدبير الأحكام .

(٧) أعرضوا ولم يقبلوا .

(٨) وعيد لهم بالعذاب المذكور فى قوله (زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون) .

(٩) هم أهل الكتابين أو وفد نجران أو يهود المدينة .

(١٠) أى مستوية (بيننا وبينكم) لا يختلف فيها القرآن والتوراة والإنجيل. وتفسير الكلمة قوله (ألا نعبد إلا الله) .

أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ (١) فَإِن تَوَلَّوْا۟ (٢) فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٣) ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ (٤) أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٥) ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ (٦) هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ (٧) فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ (٨) فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ (٩)

(١) يعنى تعالوا إليها حتى لا تقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله لأن كل واحد منهما بعضنا بشر مثلنا ، ولا نطيع أحبارنا فيما أحدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع إلى ما شرع الله . وعن عدى بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله . قال أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم ؟ قال نعم . قال هو ذاك .

(٢) عن التوحيد .

(٣) أى لزمتكم الحجة فوجب عليكم أن تعترفوا وتسلموا بأنا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب فى جدال أو صراع اعترف بأنى أنا الغالب وسلّم إلىّ الغلبة .

(٤) زعم كل فريق من اليهود والنصارى أن إبراهيم كان منهم وجادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فيه. فقيل لهم إن اليهودية إنما حدثت بعد نزول التوراة والنصرانية بعد نزول الإنجيل وبين إبراهيم وموسى ألف سنة وبينه وبين عيسى ألفان فكيف يكون إبراهيم على دين لم يحدث إلا بعد عهده بأزمنة متطاولة .

(٥) حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال .

(٦) ها للتنبيه وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره .

(٧) جملة مستأنفة مبينة للجملة الأولى. يعنى أنتم هؤلاء الأشخاص الحمق. وبيان حماقتكم وقلة عقولكم أنكم جادلتم (فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) .

(٨) مما نطق به التوراة والإنجيل .

(٩) ولا ذكر له فى كتابيكم من دين إبراهيم .

وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته . ها انتم بالمد وغير الهمز حيث كان مدنى وأبو عمرو .

وَٱللَّهُ يَعْلَمُ[١] وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ[٢] ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ[٣] ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ[٤] بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ[٥] وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ[٦] وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟[٧] وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ[٨] ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ[٩] وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ[١٠] وَمَا يَشْعُرُونَ[١١] ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ[١٢] وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ[١٣] ﴿٧٠﴾

---

(١) علم ما حاججتم فيه .

(٢) وأنتم جاهلون به . ثم أعلمهم بأنه برىء من دينهم فقال (ما كان إبراهيم يهوديًّا) .

(٣) كأنه أراد بالمشركين اليهود والنصارى لإشراكهم به عزيرا والمسيح . أو وما كان من المشركين كما لم يكن منهم .

(٤) إن أخصهم به وأقربهم منه من الولْى وهو القرب .

(٥) فى زمانه وبعده .

(٦) خصوصا . خص بالذكر لخصوصيته بالفضل والمراد محمد عليه السلام .

(٧) من أمته .

(٨) ناصرهم .

(٩) هم اليهود . دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا إلى اليهودية .

(١٠) وما يعود وبال الإضلال إلا عليهم لأن العذاب يضاعف لهم بضلالهم وإضلالهم .

(١١) بذلك .

(١٢) بالتوراة والإنجيل . وكفرهم بها أنهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرها .

(١٣) تعترفون بأنها آيات الله .

أو تكفرون بالقرآن ودلائل نبوة الرسول وأنتم تشهدون نعته فى الكتابين . أو تكفرون بآيات الله جميعا وأنتم تعلمون أنها حق .

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ[1] وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ[2] وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ[3] ۝ وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ[4] ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ[5] وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ[6] وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ[7] لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ[8] ۝ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ[9] أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ[10] عِندَ رَبِّكُمۡ

(١) تخلطون الإيمان بموسى وعيسى بالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم .

(٢) نعت محمد عليه السلام .

(٣) أنه حق .

(٤) فيما بينهم .

(٥) أى القران .

(٦) ظرف أى أوله . يعنى أظهروا الإيمان بما أنزل على المسلمين فى أول النهار .

(٧) واكفروا به اخره .

(٨) لعل المسلمين يقولون ما رجعوا وهم أهل كتاب وعلم إلا لأمر قد تبين لهم فيرجعون برجوعكم .

(٩) (ولا تؤمنوا) متعلق بقوله (أن يؤتى أحد) وما بينهما اعتراض . أى ولا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لأهل دينكم دون غيرهم. أرادوا أسروا تصديقكم بأن المسلمين قد أوتوا من كتب الله مثل ما أوتيتم ولا تفشوه إلا إلى أشياعكم وحدهم، دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا، ودون المشركين لئلا يدعوهم الى الإسلام .

(١٠) عطف على أن يؤتى. والضمير فى يحاجوكم لأحد لانه فى معنى الجمع. بمعنى ولا تؤمنوا لغير أتباعكم أن المسلمين يحاجونكم يوم القيامة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة .

ومعنى الاعتراض أن الهدى هدى الله من شاء هُداه حتى أسلم أو ثبت على الإسلام، كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم وزيّكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين . وكذلك قوله (قل إن الفضل بيد الله) .

قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ[(١)] وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ[(٢)] عَلِيمٌ[(٣)] ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ[(٤)] مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ[(٥)] وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ[(٦)] إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا[(٧)] ذَٰلِكَ[(٨)] بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ[(٩)]

---

(١) يريد الهداية والتوفيق .

أو يتم الكلام عند قوله (إلا لمن تبع دينكم) أى (ولا تؤمنوا) هذا الإيمان الظاهر، وهو إيمانهم وجه النهار (إلا لمن تبع دينكم) إلا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن أسلموا منكم لأن رجوعهم كان أرجى عندهم من رجوع من سواهم. ومعنى قوله (أن يؤتى)، لأن يؤتى (أحد مثل ما أوتيتم) قلتم ذلك ودبرتموه لا لشىء آخر. يعنى أن ما بكم من الحسد والبغى (أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم) من العلم والكتاب، دعا كم إلى أن قلتم ما قلتم. ويدل عليه قراءة ابن كثيرآن بالمد والاستفهام يعني ألأن يؤتى أحد مثل ماأوتيتم من الكتاب تحسدونهم؟ وقوله (أو يحاجوكم) على هذا معناه دبرتم ما دبرتم لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو لما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربكم .

(٢) أى واسع الرحمة .

(٣) بالمصلحة .

(٤) بالنبوة أو بالإسلام .

(٥) هو عبد الله بن سلام . استودعه رجل من قريش ألفا ومائتى أوقية ذهبا فأداه إليه.

(٦) هو فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا بجحده وخانه .

وقيل المأمونون على الكثير النصارى لغلبة الأمانة عليهم ، والخائنون فى القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم .

(٧) إلا مدة دوامك عليه ياصاحب الحق قائما على رأسه ملازما له . يؤده ولا يؤده بكسر الهاء مشبعة مكى وشامى ونافع وعلىّ وحفص. واختلس أبو عمرو فى رواية. غيرهم بسكون الهاء.

(٨) إشارة الى ترك الأداء الذى دل عليه لا يؤده .

(٩) أى تركهم أداء الحقوق بسبب قولهم (ليس علينا فى الأميين سبيل) أى لايتطرق علينا إثم وذم فى شأن الأميين — يعنون الذين ليسوا من أهل الكتاب، وما فعلنا بهم من حبس أموالهم

وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ(١) وَهُمْ يَعْلَمُونَ(٢) ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ(٣) مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ(٤) وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ(٥) ﴿٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ(٦) بِعَهْدِ ٱللَّهِ(٧) وَأَيْمَٰنِهِمْ(٨) ثَمَنًا قَلِيلًا(٩) أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ(١٠) لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ(١١) وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ

والإضرار بهم لأنهم ليسوا على ديننا . وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم وكانوا يقولون لم يجعل لهم فى كتابنا حرمة . وقيل بايع اليهود رجالا من قريش فلما أسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا أنهم وجدوا ذلك فى كتابهم .

(١) بادعائهم أن ذلك فى كتابهم .

(٢) أنهم كاذبون .

(٣) إثبات لما نفوه من السبيل عليهم فى الأميين أى بلى عليهم سبيل فيهم .

(٤) جملة مستأنفة مقررة للجملة التى سدت بلى مسدها . والضمير فى (بعهده) يرجع الى الله تعالى أى كل من أوفى بعهد الله واتقاه (فإن الله يحب المتقين) . ويدخل فى ذلك الإيمان وغيره من الصالحات وما وجب اتقاؤه من الكفر وأعمال السوء . قيل نزلت فى عبد الله بن سلام ونحوه من مسلمى أهل الكتاب . ويجوز أن يرجع الضمير الى من أوفى أى كل من أوفى بما عاهد الله عليه واتقى الله فى ترك الخيانة والغدر فإن الله يحبه .

(٥) أى يحبهم فوضع الظاهر موضع الضمير وعموم المتقين قام مقام الضمير الراجع من الجزاء إلى مَنْ .

(٦) يستبدلون . نزل فيمن حرف التوراة وبدل نعته عليه السلام من اليهود وأخذ الرشوة على ذلك .

(٧) بما عاهدوه عليه من الإيمان بالرسول المصدق لما معهم .

(٨) وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه .

(٩) متاع الدنيا من الترؤس والارتشاء ونحو ذلك وقوله (بعهد الله) يُقَوِّى رجوع الضمير فى بعهده إلى الله .

(١٠) أى لا نصيب .

(١١) بما يسرهم .

يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ(١) وَلَا يُزَكِّيهِمْ(٢) وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(٣) ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ(٤) لَفَرِيقًا(٥) يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ(٦) لِتَحْسَبُوهُ(٧) مِنَ ٱلْكِتَٰبِ(٨) وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ(٩) وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ(١٠) وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ(١١) ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ(١٢) وَٱلْحُكْمَ(١٣) وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ(١٤)

---

(١) نظر رحمة .

(٢) ولا يثنى عليهم .

(٣) مؤلم .

(٤) من أهل الكتاب .

(٥) هم كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وحُيَيّ بن أخطب وغيرهم .

(٦) يفتلونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف . واللى الفتل وهو الصرف . والمراد تحريفهم كآية الرجم ونعت محمد صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك .

(٧) يرجع الضمير إلى ما دل عليه (يلوون ألسنتهم بالكتاب) وهو المحرف . ويجوز أن يراد يعطفون ألسنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب .

(٨) أى التوراة .

(٩) وليس هو من التوراة .

(١٠) تأكيد لقوله (وما هو من الكتاب) وزيادة تشنيع عليهم .

(١١) أنهم كاذبون .

(١٢) تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى عليه السلام. وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك؟ قال لا ينبغى أن يسجد لأحد من دون الله ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله .

(١٣) والحكمة وهى السنة أو فصل القضاء .

(١٤) عطف على يؤتيه .

لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّٰنِيِّـۧنَ[1] بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ[2] ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ[3] ۝ وَلَا يَأْمُرَكُمْ[4] أَن تَتَّخِذُوا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم[5] بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ[6] ۝ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ[7]

---

(١) (ولكن) يقول (كونوا ربانيين). والربانى منسوب الى الرب بزيادة الألف والنون وهو شديد التمسك بدين الله وطاعته. وحين مات ابن عباس قال ابن الحنفية مات ربانيّ هذه الأمة. وعن الحسن (ربانيين) علماء فقهاء. وقيل علماء معلّمين. وقالوا الربانيّ العالم العامل.

(٢) كوفى وشامى أى غيركم. غيرهم بالتخفيف.

(٣) أى تقرءون. والمعنى بسبب كونكم عالمين وبسبب كونكم دارسين للعلم. أوجب أن تكون الربانية التى هى قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة. وكفى به دليلا على خيبة سعى من جهد نفسه وكد روحه فى جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة إلى العمل فكان كمن غرس شجرة حسناء تؤنقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها. وقيل معنى (تدرسون) تدرسونه على الناس كقوله (لتقرأه على الناس) فيكون معناه معنى تُدَرِّسون من التدريس كقراءة ابن جبير.

(٤) بالنصب عطفا على (ثم يقول). ووجهه أن تجعل لا مزيدة لتأكيد معنى النفى فى قوله (ما كان لبشر) والمعنى ما كان لبشر أن يستنبئه الله وينصبه للدعاء إلى اختصاص الله بالعبادة وترك الأنداد ثم يأمر الناس بأن يكونوا عبادا له ويأمركم (أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا) كما تقول ما كان لزيد أن أكرمه ثم يهيننى ولا يستخف بى. وبالرفع حجازى وأبو عمرو وعليّ على ابتداء الكلام.

(٥) الهمزة للإنكار والضمير فى (لا يأمركم) و (أيأمركم) للبشر أو لله.

(٦) يدل على أن المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوه أن يسجدوا له.

(٧) هو على ظاهره من أخذ الميثاق على النبيين بذلك. أو المراد ميثاق أولاد النبيين وهم بنو إسرائيل على حذف المضاف.

لَمَآ(١) ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ(٢) رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ(٣) لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ(٤) وَلَتَنصُرُنَّهُۥ(٥) قَالَ(٦) ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى(٧) قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟(٨) وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ(٩) فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ(١٠) فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ(١١) أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ(١٢) وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن

(١) اللام هنا لام التوطئة لأن أخذ الميثاق فى معنى الاستحلاف، وفى (لتؤمنن) لام جواب القسم و (ما) يجوز أن تكون متضمنة لمعنى الشرط و (لتؤمنن) ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا، وأن تكون موصولة بمعنى للذى آتيتكموه لتؤمنن به .

(٢) معطوف على الصلة والعائد منه الى ما محذوف والتقدير ثم جاءكم به .

(٣) للكتاب الذى معكم .

(٤) بالرسول .

(٥) أى الرسول وهو محمد صلى الله عليه وسلم .

(لمـا آتيتكم) حمزة وما بمعنى الذى أو مصدرية . أى لأجل إيتائى إيا كم بعض الكتاب والحكمة، ثم لمجىء رسـول مصدق لمـا معـكم . واللام للتعليل . أى أخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لأجل أنى آتيتكم الحكمة وأن الرسول الذى آمركم بالإيمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف . آتيناكم مدنى .

(٦) أى الله .

(٧) أى قبلتم عهدى . وسمى إصرا لأنه مما يؤصر أى يشد ويعقد .

(٨) فليشهد بعضكم على بعض بالإقرار .

(٩) (وأنا معكم) على ذلك من إقراركم وتشاهدكم (من الشاهدين) .وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع إذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض . وقيل قال الله للملائكة اشهدوا .

(١٠) (تولى بعد ذلك) الميثاق والتوكيد ونقض العهد بعد قبوله وأعرض عن الإيمـان بالنبى الجائى .

(١١) المتمردون من الكفار .

(١٢) دخلت همزة الإنكار على الفاء العاطفة جملة على جملة. والمعنى فأولئك هم الفاسقون

فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ(١)(٢) طَوْعًا(٣) وَكَرْهًا(٤) وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ(٥) ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا(٦) بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ(٧) وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ(٨) مِن رَّبِّهِمْ(٩) لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ(١٠)

فغير دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة بينهما. ويجوز أن يعطف على محذوف تقديره أيتولون فغير دين الله يبغون . وقدم المفعول وهو (غير دين الله) على فعله لأنه أهم من حيث إن الإنكار الذى هو معنى الهمزة متوجه الى المعبود بالباطل .

(١) الملائكة .

(٢) الإنس والجن .

(٣) بالنظر فى الأدلة والإنصاف من نفسه .

(٤) بالسيف أو بمعاينة العذاب كنتق الجبل على بنى إسرائيل و إدراك الغرق فرعون والإشفاء على الموت (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده) وانتصب طوعا وكرها على الحال أى طائعين ومكرهين .

(٥) فيجازيكم على الأعمال . يبغون و يرجعون بالياء فيهما حفص . و بالتاء فى الثانى وفتح الجيم أبو عمرو لأن الباغين هم المتولون والراجعون جميع الناس. و بالتاء فيهما وفتح الجيم غيرهما.

(٦) أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يخبر عن نفسه وعمن معه بالإيمان . فلذا وحد الضمير فى (قل) و جمع فى (آمنا). أو أمر بأن يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك إجلالا من الله لقدر نبيه . وعدى (أنزل) هنا بحرف الاستعلاء وفى البقرة بحرف الانتهاء لوجود المعنيين إذ الوحى ينزل من فوق و ينتهى الى الرسول فجاء تارة بأحد المعنيين وأخرى بالآخر . وقال صاحب اللباب الخطاب فى البقرة للأمة لقوله (قولوا) فلم يصح إلا الى لأن الكتب منتهية الى الأنبياء والى أمتهم جميعا وهنا قال (قل) وهو خطاب للنبى عليه السلام دون أمته فكان اللائق به على لأن الكتب منزلة عليه لا شركة للأمة فيه . وفيه نظر لقوله تعالى (آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا) .

(٧) أولاد يعقوب وكان فيهم أنبياء .

(٨) كرر فى البقرة (وما أوتى) ولم يكرر هنا لتقدم ذكر الإيتاء حيث قال (لما آتيتكم) .

(٩) من عند ربهم .

(١٠) فى الإيمان كما فعلت اليهود والنصارى .

وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ(١) ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ(٢) دِينًا(٣) فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ(٤) ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ(٥) وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ(٦) وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ(٧) وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ(٨) ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ(٩) جَزَآؤُهُمْ(١٠) أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ(١١) فِيهَا(١٢) لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ(١٣)

(١) موحدون مخلصون أنفسنا له لا نجعل له شريكا فى عبادتنا .

(٢) يعنى التوحيد وإسلام الوجه لله . أو غير دين محمد عليه السلام .

(٣) تمييز .

(٤) من الذين وقعوا فى الخسران .

(٥) نزل فى رهط أسلموا ثم رجعوا عن الإسلام ولحقوا بمكة .

(٦) الواو للحال وقد مضمرة أى كفروا وقد شهدوا ان الرسول أى محمدا حق. أو للعطف على ما فى (إيمانهم) من معنى الفعل لأن معناه بعد أن آمنوا .

(٧) أى الشواهد كالقرآن وسائر المعجزات .

(٨) أى ما داموا مختارين الكفر أو لا يهديهم طريق الجنة إذا ماتوا كفارا .

(٩) مبتـدأ .

(١٠) مبتـدأ ثان خبره (أنّ عليهم لعنة الله) وهما خبر أولئك . أو جزاؤهم بدل الاشتمال من أولئك .

(١١) حال من الهاء والميم فى (عليهم) .

(١٢) فى اللعنة .

(١٣) الكفر العظيم والارتداد .

وَأَصْلَحُوا۟[1] فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ[2] رَّحِيمٌ[3] ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟[4] بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ[5] ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا[6] لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ[7] وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن[8] يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا[9] وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ[10] أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ[11] وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ[12] ﴿٩١﴾ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ[13] حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟

---

(١) (أصلحوا) ما أفسدوا أو دخلوا فى الصلاح .

(٢) لكفرهم .

(٣) بهـم .

(٤) بعيسى والإنجيل بعد إيمـانهم . نزل فى اليهود .

(٥) بموسى والتوراة .

(٦) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن .

أو (كفروا) برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما كانوا به مؤمنين قبل مبعثه (ثم ازدادوا كفرا) بإصرارهم على ذلك وطعنهم فيه فى كل وقت . أو نزل فى الذين ارتدوا ولحقوا بمكة . وازديادهم الكفر أن قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون .

(٧) أى إيمـانهم عند البأس لأنهم لا يتوبون إلا عنـد الموت قال الله تعالى (فلم يك ينفعهم إيمانهم لمـا رأوا بأسنا) .

(٨) الفاء فى (فلن يقبل) يؤذن بأن الكلام بنى على الشرط والجزاء وأن سبب امتناع قبول الفـدية هو الموت على الكفر . وترك الفاء فيا تقـدّم يشعر بأن الكلام مبتدأ وخبر ولا دليل فيه على التسبيب .

(٩) تميـيز .

(١٠) أى (فلن يقبل من احدهم) فدية ولو افتدى بملء الأرض ذهبا . قال عليه السلام يقال للكافر يوم القيامة لو كان لك ملء الأرض ذهبا أكنت مفتديا به ؟ فيقول نعم فيقال له لقد سئلت أيسر من ذلك . قيل الواو لتأكيد النفى .

(١١) مـؤلم .

(١٢) معينين دافعين للعذاب .

(١٣) لن تبلغوا حقيقة البر أو ان تكونوا أبرارا أو لن تنالوا بر الله وهو ثوابه .

مِمَّا تُحِبُّونَ(١) وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ(٢) ۝ كُلُّ ٱلطَّعَامِ(٣) كَانَ حِلًّا(٤) لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ(٥) عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ(٦) قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ(٧) ۝ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ

---

(١) حتى تكون نفقتكم من أموالكم التى تحبونها وتؤثرونها. وعن الحسن كل من تصدق ابتغاء وجه الله بما يحبه ولو تمرة فهو داخل فى هذه الآية قال الواسطى الوصول إلى البر بإنفاق بعض المحاب، وإلى الرب بالتخلى عن الكونين. وقال أبو بكر الوراق لن تنالوا برى بكم إلا ببركم بإخوانكم. والحاصل أنه لا وصول إلى المطلوب إلا بإخراج المحبوب . وعن عمر ابن عبد العزيز أنه كان يشترى أعدال السكر ويتصدق بها فقيل له لم لا تتصدق بثمنها ؟ قال لأن السكر أحب إلىّ فأردت أن أنفق مما أحب .

(٢) أى هو عليم بكل شىء تنفقونه فيجازيكم بحسبه. ومن الأولى للتبعيض لقراءة عبد الله (حتى تنفقوا بعض ما تحبون) والثانية للتبيين . أى من أى شىء كان الإنفاق طيب تحبونه أو خبيث تكرهونه .

ولما قالت اليهود للنبى عليه السلام إنك تدعى أنك على ملة إبراهيم وأنت تأكل لحوم الإبل وألبانها ، فقال عليه السلام كان ذلك حلالا لإبراهيم فنحن نحله ، فقالت اليهود إنها لم تزل محرمة فى ملة إبراهيم ونوح عليهما السلام، نزل تكذيبا لهم (كل الطعام كان حلًّا لبنى إسرائيل).

(٣) أى المطعومات التى فيها النزاع فإن منها ما هو حرام قبل ذلك كالميتة والدم .

(٤) أى حلالا وهو مصدر يقال حل الشىء حلا ولذا استوى فى صفة المذكر والمؤنث والواحد والجمع قال الله تعالى (لاهن حل لهم) .

(٥) أى يعقوب .

(٦) وبالتخفيف مكى وبصرى . وهو لحوم الإبل وألبانها وكانا أحب الطعام إليه . والمعنى أن المطاعم كلها لم تزل حلا لبنى إسرائيل من قبل إنزال التوراة سوى ما حرم إسرائيل على نفسه . فلما نزلت التوراة على موسى حرم عليهم فيها لحوم الإبل وألبانها لتحريم إسرائيل ذلك على نفسه .

(٧) أمر بأن يحاجهم بكتابهم ويبكتهم بما هو ناطق به من أن تحريم ما حُرِّمَ عليهم تحريمٌ حادثٌ بسبب ظلمهم وبغيهم لا تحريمٌ قديم كما يدّعونه. فلم يجرءوا على إخراج التوراة وبهتوا. وفيه دليل بين على صدق النبى عليه السلام، وعلى جواز النسخ الذى ينكرونه .

عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ(١) مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ(٢) فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ(٣) ۝ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ(٤) فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ(٥) إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا(٦) وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ(٧) وُضِعَ(٨) لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ(٩) مُبَارَكًا(١٠) وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ(١١) ۝ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ(١٢)

(١) بزعمه أن ذلك كان محرما فى ملة إبراهيم ونوح عليهما السلام .

(٢) من بعد ما لزمهم من الحجة القاطعة .

(٣) المكابرون الذين لا ينصفون من أنفسهم ولا يلتفتون إلى البينات .

(٤) فى إخباره أنه لم يحرم. وفيه تعريض بكذبهم أى ثبت أن الله تعالى صادق فيما أنزل وأنتم الكاذبون .

(٥) وهى ملة الإسلام التى عليها محمد عليه السلام ومن آمن معه حتى تخلصوا من اليهودية التى ورطتكم فى فساد دينكم ودنيا كم حيث اضطرتكم إلى تحريف كتاب الله لتسوية أغراضكم وألزمتكم تحريم الطيبات التى أحلها الله لإبراهيم ولمن تبعه .

(٦) حال من إبراهيم أى مائلا عن الأديان الباطلة .

(٧) لما قالت اليهود للسلمين قبلتنا قبل قبلتكم نزل (إنَّ أَوَّل بيت وُضِع للناس)

(٨) الواضع هو الله عز وجل. ومعنى وضع الله بيتا للناس أنه جعله متعبدا لهم فكأنه قال إن أول متعبد للناس الكعبة. وفى الحديث إن المسجد الحرام وضع قبل بيت المقدس بأربعين سنة . قيل أول من بناه إبراهيم وقيل هو أول بيت حج بعد الطوفان وقيل هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والأرض وقيل هو أول بيت بناه آدم عليه السلام فى الأرض . وقوله (وضع للناس) فى موضع جر صفة لبيت والخبر (لَلذى)

(٩) أى لَلبيت الذى ببكة وهى علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان فيه وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد . وقيل اشتقاقها من بكه إذا زحمه لازدحام الناس فيها أو لأنها تبك أعناق الجبابرة أى تدقها لم يقصدها جبار إلا قصمه الله .

(١٠) كثير الخير لما يحصل للحجاج والمعتمرين من الثواب وتكفير السيئات .

(١١) لأنه قبلتهم ومتعبدهم. و (مباركا) و (هدى) حالان من الضمير فى (وضع) .

(١٢) علامات واضحات لا تلتبس على أحد .

مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ[١] وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا[٢] وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ[٣]

(١) عطف بيان لقوله (آيات بينات) وصح بيان الجماعة بالواحد لأنه وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالته على قدرة الله تعالى ونبوة إبراهيم عليه السلام من تأثير قدمه فى حجر صلد. أو لاشتماله على آيات لأن أثر القدم فى الصخرة الصماء آية، وغوصه فيها إلى الكعبين آية، وإلانة بعض الصخرة دون بعض آية، وإبقاؤه دون سائر آيات الأنبياء عليهم السلام آية لإبراهيم خاصة. على أن (ومن دخله كان آمنا) عطف بيان لآيات — وإن كان جملة ابتدائية أو شرطية — من حيث المعنى لأنه يدل على أمن داخله فكأنه قيل (فيه آيات بينات مقام إبراهيم) وأمن داخله. والاثنان فى معنى الجمع. ويجوز أن يذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات كأنه قيل (فيه آيات بينات مقام إبراهيم) وأمن داخله وكثير سواهما نحو انمحاق الأحجار مع كثرة الرماة وامتناع الطير من العلو عليه وغير ذلك. ونحوه فى طى الذكر قوله عليه السلام حبب إلىّ من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عينى فى الصلاة. فقرة عينى ليس من الثلاث بل هو ابتداء كلام لأنها ليست من الدنيا والثالث مطوى. وكأنه عليه السلام ترك ذكر الثالث تنبيها على أنه لم يكن من شأنه أن يذكر شيئا من الدنيا فذكر شيئا هو من الدين. وقيل فى سبب هذا الأثر أنه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف إبراهيم عليه السلام عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه وقيل إنه جاء زائرًا من الشام إلى مكة فقالت له امرأة اسمعيل عليه السلام انزل حتى تغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الأيمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه ثم حولته الى شقه الأيسر حتى غسلت الشق الآخر فبقى أثر قدميه عليه .

(٢) وأمان من دخله بدعوة إبراهيم عليه السلام (رب اجعل هذا البلد آمنا) وكان الرجل لو جنى كل جناية ثم التجأ إلى الحرم لم يطلب. وعن عمر رضى الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه. ومن لزمه القتل فى الحل بقود أو ردة أو زنا فالتجأ إلى الحرم لم يتعرض له إلا أنه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر إلى الخروج. وقيل آمنا من النار لقوله عليه السلام من مات فى أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا من النار. وعنه عليه السلام الحجون والبقيع يؤخذ بأطرافهما وينثران فى الجنة. وهما مقبرتا مكة والمدينة. وعنه عليه السلام من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتى عام .

(٣) أى استقر له عليهم فرض الحج. حِجّ البيت كوفى غير أبى بكر وهو اسم وبالفتح مصدر وقيل هما لغتان فى مصدر حج .

مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا[(١)] [(٢)] وَمَن كَفَرَ[(٣)] فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ[(٤)] ﴿٩٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ[(٥)] ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ[(٦)] عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ[(٧)] مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا[(٨)]

(١) فى موضع جر على أنه بدل البعض من الكل .

(٢) فسرها النبى عليه السلام بالزاد والراحلة. والضمير فى إليه للبيت أو للحج وكل مأتى إلى الشىء فهو سبيل إليه .

(٣) لما نزل قوله تعالى (ولله على الناس حج البيت) جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الأديان كلهم فخطبهم فقال إن الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلى إليه ولا نحجه فنزل (ومن كفر) أى جحد فرضية الحج وهو قول ابن عباس والحسن وعطاء . ويجوز أن يكون من الكفران أى ومن لم يشكر ما أنعمت عليه من صحة الجسم وسعة الرزق ولم يحج .

(٤) مستغن عنهم وعن طاعتهم . وفى هذه الآية أنواع من التأكيد والتشديد منها اللام، وعلى ، أى أنه حق واجب لله فى رقاب الناس . ومنها الإبدال ففيه تثنية للمراد وتكرير له ولأن الإيضاح بعد الإبهام، والتفصيل بعد الإجمال إيراد له فى صورتين مختلفتين. ومنها قوله (ومن كفر) مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج . ومنها ذكر الاستغناء وذلك دليل على المقت والسخط ومنها قوله (عن العالمين) وأن لم يقل عنه وما فيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان لأنه إذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة، ولأنه يدل على الاستغناء الكامل فكان أدلّ على عظم السخط الذى وقع عبارة عنه .

(٥) الواو للحال . والمعنى (لم تكفرون بآيات الله) الدالة على صدق محمد عليه السلام والحال أن الله شهيد على أعمالكم فيجازيكم عليها .

(٦) الصد المنع .

(٧) عن دين حق عُلم أنه سبيل الله التى أمر بسلوكها وهو الإسلام وكانوا يمنعون من أراد الدخول فيه بجهدهم

(٨) تطلبون لها . نصب على الحال .

عِوَجًا (١) وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ (٢) وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٣) ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ (٤) ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ (٥) وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ (٦) وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ (٧) وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ (٨) فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٩) ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

(١) اعوجاجا وميلا عن القصــد والاستقامة بتغييركم صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك

(٢) أنها سبيل الله التى لا يَصُدُّ عنها إلا ضال مضل .

(٣) من الصد عن سبيله وهو وعيد شديد .

(٤) نَهْى المؤمنين عن اتباع هؤلاء الصادّين عن سبيله . قيــل مَرَّ شاس بن قيس اليهودى على نفر من الأنصــار من الأوس والخزرج فى مجلس لهم يتحدّثون فغاظه تحدّثهم وتآلفهم فأمر شابا من اليهود أن يذكّرهم يوم بعاث لعلهم يغضبون . وكان يوما اقتتلت فيه الأوس والخزرج وكان الظفر فيه للأوس. ففعل فتنازع القوم عند ذلك وقالوا السلاح السلاح فبلغ النبى عليه الســلام فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين والأنصار فقال أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام وألف بينكم فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان فألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضا باكين فنزلت الآية .

(٥) معنى الاستفهام فيه الإنكار والتعجب أى من أين يتطرق إليكم الكفر .

(٦) والحال أن آيات الله وهى القرآن المعجز تتلى عليكم على لسان الرسول غضة طرية .

(٧) وبين أظهركم رسول الله عليه السلام ينبّهكم ويعظكم ويزيح عنكم شبهكم .

(٨) ومن يتمسك بدينه أو بكتابه أو هو حث لهم على الالتجاء إليه فى دفع شرور الكفار ومكايدهم .

(٩) أرشد إلى الدين الحق أو ومن يجعل ربه ملجأ ومفزعا عند الشبه يحفظه عن الشبه .

ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ(١) وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ(٢) ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ(٣) جَمِيعًا(٤) وَلَا تَفَرَّقُوا۟(٥) وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا(٦) وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ(٧) فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا(٨) كَذَٰلِكَ(٩) يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ(١٠) لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ(١١) ﴿١٠٣﴾

---

(١) واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم. وعن عبد الله هو أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى. أو هو ألا تأخذه فى الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه أو بنيه أو أبيه. وقيل لا يتق الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه. والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد .

(٢) ولا تكونن على حال سوى حال الإسلام إذا أدرككم الموت .

(٣) تمسكوا بالقرآن لقوله عليه السلام : "القرآن حبل الله المتين لا تنقضى عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد. من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدى إلى صراط مستقيم" وقيل تمسكوا بإجماع الأمة دليله (ولا تفرقوا) .

(٤) حال من ضمير المخاطبين .

(٥) أى ولا تتفرقوا يعنى ولا تفعلوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع . او ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى أوكما كنتم متفرقين فى الجاهلية يحارب بعضكم بعضا .

(٦) كانوا فى الجاهلية بينهم العداوة والحروب فألف بين قلوبهم بالإسلام وقذف فى قلوبهم المحبة فتحابوا وصاروا إخوانا .

(٧) وكنتم مشفين على أن تقعوا فى نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر .

(٨) الإسلام . وهو رد على المعتزلة فعندهم هم الذين ينقذون أنفسهم لا الله تعالى . والضمير للحفرة، أو للنار ، أو للشفا . وأنث لإضافته إلى الحفرة. وشفا الحفرة حرفها. ولامها واو فلهذا يثنى شفوان .

(٩) مثل ذلك البيان البليغ .

(١٠) أى القرآن الذى فيه أمر ونهى ووعد ووعيد .

(١١) لتكونوا على رجاء الهداية أو لتهتدوا به إلى الصواب وما ينال به الثواب .

وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ (١) وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ (٢) وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٣) ۝ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ (٤) وَٱخْتَلَفُوا۟ (٥) مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ (٦) وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ (٧) تَبْيَضُّ وُجُوهٌ (٨) وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ (٩) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم (١٠)

(١) بما استحسنه الشرع والعقل .

(٢) عما استقبحه الشرع والعقل . أو المعروف ما وافق الكتاب والسنة والمنكر ما خالفهما. أو المعروف الطاعة والمنكر المعاصى. والدعاء إلى الخير عام فى التكاليف من الأفعال والتروك وما عطف عليه خاص . ومن للتبعيض لأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من فروض الكفاية ، ولأنه لا يصلح له إلا من علم بالمعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الأمر فى إقامته فإنه يبدأ بالسهل فإن لم ينفع ترقى إلى الصعب قال الله تعالى (فأصلحوا بينهما) ثم قال (فقاتلوا) . أو للتبيين أى وكونوا أمة تأمرون كقوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف) .

(٣) أى هم الأخصاء بالفلاح الكامل . قال عليه السلام من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله فى أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه . وعن علىّ رضى الله عنه أفضل الجهاد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

(٤) بالعداوة .

(٥) فى الديانة . وهم اليهود والنصارى فإنهم اختلفوا وكفّر بعضهم بعضا .

(٦) الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهى كلمة الحق .

(٧) نصب بالظرف وهو (لهم) أو بعظيم أو باذكروا .

(٨) أى وجوه المؤمنين .

(٩) أى وجوه الكافرين. والبياض من النور والسواد من الظلمة .

(١٠) فيقال لهم (أكفرتم) فحذف الفاء والقول جميعا للعلم به . والهمزة للتوبيخ والتعجب من حالهم .

بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ(١) فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ(٢) هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ(٣) ۝ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا(٤) عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ(٥) وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَـٰلَمِينَ(٦) ۝ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ(٧) ۝ كُنتُمْ(٨) خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ(٩) لِلنَّاسِ(١٠) تَأْمُرُونَ(١١)

---

(١) يوم الميثاق فيكون المراد به جميع الكفار وهو قول أبىّ وهو الظاهر. أو هم المرتدون. أو المنافقون أى أكفرتم باطنا بعد إيمانكم ظاهرا . أو أهل الكتاب وكفرهم بعد الإيمان تكذيبهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اعترافهم به قبل مجيئه .

(٢) ففى نعمته وهى الثواب المخلد .

(٣) لا يظعنون عنها ولا يموتون .

(٤) الواردة فى الوعد والوعيد وغير ذلك .

(٥) ملتبسة بالحق والعدل من جزاء المحسن والمسىء .

(٦) أى لا يشاء أن يظلم هو عباده فيأخذ أحدا بغير جرْم أو يزيد فى عقاب مجرم أو ينقص من ثواب محسن .

(٧) فيجازى المحسن بإحسانه والمسىء بإساءته . ترَجع شامى وحمزة وعلىّ .

(٨) كان عبارة عن وجود الشىء فى زمان ماض على سبيل الإبهام ولا دليل فيه على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ ومنه قوله (كنتم خير أمة) كأنه قيل وجدتم خير أمة أو كنتم فى علم الله أو فى اللوح خير أمة أو كنتم فى الأمم قبلكم مذكورين بأنكم خير أمة موصوفين به .

(٩) أظهرت .

(١٠) اللام يتعلق بأخرجت .

(١١) كلام مستأنف بين به كونهم خير أمة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم. بيّنت بالإطعام والإلباس وجه الكرم فيه .

بِٱلْمَعْرُوفِ(١) وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ(٢) وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ(٣) وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ(٤) لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم(٥) مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ(٦) وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ(٧) ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى(٨) وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ(٩) ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ(١٠) ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ(١١) عَلَيْهِمُ(١٢) ٱلذِّلَّةُ

(١) بالإيمان وطاعة الرسول .

(٢) عن الكفر وكل محظور .

(٣) وتدومون على الإيمان به . أو لأن الواو لا تقتضى الترتيب .

(٤) بمحمد عليه السلام .

(٥) لكان الإيمان خيرا لهم مما هم فيه. لأنهم إنما آثروا دينهم على دين الإسلام حبا للرياسة واستتباع العوام . ولو آمنوا لكان لهم من الرياسة والأتباع وحظوظ الدنيا ما هو خير مما آثروا دين الباطل لأجله ، مع الفوز بما وعدوا على الإيمان به من إيتاء الأجر مرتين .

(٦) كعبد الله بن سلام وأصحابه .

(٧) المتمردون فى الكفر .

(٨) إلّا ضررا مقتصرا على أذى بقول من طعن فى الدين أو تهديد أو نحو ذلك .

(٩) منهزمين ولا يضروكم بقتل أو أسر .

(١٠) ثم لا يكون لهم نصر من أحد ولا يمنعون منكم . وفيه تثبيت لمن أسلم منهم لأنهم كانوا يؤذونهم بتوبيخهم وتهديدهم . وهو ابتداء إخبار معطوف على جملة الشرط والجزاء وليس بمعطوف على يولوكم إذ لو كان معطوفا عليه لقيل ثم لا ينصروا . وإنما استؤنف ليؤذن أن الله لا ينصرهم قاتلوا أم لم يقاتلوا . وتقدير الكلام أخبركم أنهم إن يقاتلوكم ينهزموا ثم أخبركم أنهم لا ينصرون . وثم للتراخى فى المرتبة لأن الإخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الإخبار بتوليتهم الأدبار .

(١١) ألزمت .

(١٢) أى على اليهود .

أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ (١) إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ (٢) وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ (٣) وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ (٤) وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ (٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ (٦) ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ (٧) ﴿١١٢﴾ لَيْسُوا۟ سَوَآءً (٨) مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ (٩) قَآئِمَةٌ (١٠) يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ (١١) ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ (١٢)

---

(١) وجدوا .

(٢) فى محل النصب على الحال والباء متعلق بمحذوف تقديره إلا معتصمين أو متمسكين بحبل من الله .

(٣) والحبل العهد والذمة .

والمعنى ضربت عليهم الذلة فى كل حال إلا فى حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس يعنى ذمة الله وذمة المسلمين أى لا عز لهم قط إلا هذه الواحدة وهى التجاؤهم إلى الذمة لما قبلوه من الجزية .

(٤) استوجبوه .

(٥) الفقر عقوبة لهم على قولهم (إن الله فقير ونحن أغنياء) أو خوف الفقر مع قيام اليسار .

(٦) (ذلك) إشارة إلى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بغضب الله أى ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق .

(٧) أى ذلك الكفر وذلك القتل كائن بسبب عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده .

(٨) ليس أهل الكتاب مستوين .

(٩) كلام مستأنف لبيان قوله (ليسوا سواء) كما وقع قوله (تأمرون بالمعروف) بيانا لقوله (كنتم خير أمة) .

(١٠) جماعة مستقيمة عادلة من قولك أقمت العود فقام أى استقام وهم الذين أسلموا منهم .

(١١) القرآن .

(١٢) ساعاته واحدها إنى كمعى أو إنو كقنو أو إنى كنحى .

وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١) ۝ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ (٢) وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ (٣) وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ (٤) وَأُولَٰئِكَ (٥) مِنَ الصَّالِحِينَ (٦) ۝ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ (٧) وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (٨) ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ (٩) شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝

(١) يصلون. قيل يريد صلاة العشاء لأن أهل الكتاب لا يصلونها. وقيل عبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن فى ساعات الليل مع السجود.

(٢) بالإيمان وسائر أبواب البر.

(٣) عن الكفر ومنهيّات الشرع.

(٤) يبادرون إليها خشية الفوت. وقوله يتلون ويؤمنون فى محل الرفع صفتان لأمّة أى أمّة قائمة تالون مؤمنون. وصفهم بخصائص ما كانت فى اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين، ومن الإيمان بالله لأن إيمانهم به كلا إيمان لإشراكهم به عزيرا وكفرهم ببعض الكتب والرسل، ومن الإيمان باليوم الآخر لأنهم يصفونه بخلاف صفته، ومن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لأنهم كانوا مداهنين، ومن المسارعة فى الخيرات لأنهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها. والمسارعة فى الخير فرط الرغبة فيه لأن من رغب فى الأمر سارع بالقيام به.

(٥) الموصوفون بما وصفوا به.

(٦) من المسلمين أو من جملة الصالحين الذين صلحت أحوالهم عند الله ورضيهم.

(٧) بالياء فيهما كوفى غير أبى بكر. وأبو عمرو مخير. غيرهم بالتاء. وعدّى يكفروه إلى مفعولين — وإن كان شكر وكفر لا يتعديان إلا إلى واحد تقول شكر النعمة وكفرها — لتضمنه معنى الحرمان كأنه قيل فلن تحرموه أى فلن تحرموا جزاءه.

(٨) بشارة للتقين بجزيل الثواب.

(٩) أى من عذاب الله.

مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا(١) كَمَثَلِ رِيحٍ(٢) فِيهَا صِرٌّ(٣) أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ(٤) فَأَهْلَكَتْهُ(٥) وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ(٦) وَلَـٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ(٧) ﴿١١٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً(٨) مِّن دُونِكُمْ(٩) لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا(١٠) وَدُّوا۟

(١) فى المفاخر والمكارم وكسب الثناء وحسن الذكر بين النـاس . أو ما يتقربون به إلى الله مع كفرهم .

(٢) كمثل مُهلك ريح وهو الحرث أو مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح .

(٣) برد شديد، عن ابن عباس رضى الله عنهما . وهو مبتدا وخبر فى موضع جر صفة لريح مثل (أصابت حرث قوم) .

(٤) بالكفر .

(٥) عقوبة على كفرهم .

(٦) بإهلاك حرثهم .

(٧) بارتكاب ما استحقوا به العقوبة . أو يكون الضمير للمنفقين أى وما ظلمهم الله بأن لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث لم يأتوا بهـا لائقة للقبول .

(٨) نزل نهيا للمؤمنين عن مصافاة المنافقين . بطانة الرجل ووليجته خصيصه وصفيّه . شبه ببطانة الثوب كما يقال فلان شعارى . وفى الحديث الأنصار شعار والناس دثار .

(٩) من دون أبناء جنسكم وهم المسلمون وهو صفة لبطانة . أى بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم .

(١٠) فى موضع النصب صفة لبطانة. يعنى لا يقصرون فى فساد دينكم. يقال ألا فى الأمر يألو إذا قصر فيه . والخبـال الفساد . وانتصب خبـالا على التمييز أو على حذف فى أى فى خبالكم .

مَا عَنِتُّمْ[١] قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ[٢] وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ[٣] أَكْبَرُ[٤] قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ[٥] إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ[٦] ۞ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ[٧] تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ[٨] وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ[٩] وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا[١٠] وَإِذَا خَلَوْاْ[١١] عَضُّواْ عَلَيْكُمُ

(١) أى عنتكم . فما مصـدرية . والعنت شـدّة الضرر والمشقة أى تمنوا أن يضروكم فى دينـكم ودنياكم أشـد الضرر وأبلغه . وهو مستأنف على وجه التعليل للنهى عن اتخاذهم بطانة كقوله (قد بدت البغضاء) .

(٢) لأنهم لا يتمـالكون مع ضبطهم أنفسهم أن ينفلت من ألسنتهم ما يعلم به بغضهم للسلمين .

(٣) من البغض لكم .

(٤) مما بدا .

(٥) الدالة على وجوب الإخلاص فى الدين وموالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه .

(٦) ما بُيِّنَ لكم .

(٧) ها للتنبيه وأنتم مبتدأ وأولاء خبره أى أنتم أولاء الخـاطئون فى موالاة منافقى أهل الكتاب .

(٨) بيان لخطئهم فى موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لأهل البغضاء . أو أولاء موصول صلته (تحبونهم) .

(٩) الواو للحال وانتصابها من لا يحبونكم أى لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشىء من كتابكم . وفيه توبيخ شديد لأنهم فى باطلهم أصلب منكم فى حقكم . وقيل الكتاب للجنس .

(١٠) أظهروا كلمة التوحيد .

(١١) فارقوكم أو خلا بعضهم ببعض .

ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡ(١) إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ(٢) بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ(٣) ﴿١١٩﴾ إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ(٤) تَسُؤۡهُمۡ(٥) وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ(٦) يَفۡرَحُواْ بِهَا(٧) وَإِن تَصۡبِرُواْ(٨) وَتَتَّقُواْ(٩) لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ(١٠) شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ(١١)

(١) يوصف المغتاظ والنادم بعض الأنامل والبنان والإبهام .

(٢) دعاء عليهم بأن يزداد غيظهم حتى يهلكوا به . والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما يغيظهم من قوة الإسلام وعز أهله وما لهم فى ذلك من الذل والخزى .

(٣) فهو يعلم ما فى صدور المنافقين من الحنق والبغضاء وما يكون منهم فى حال خلوّ بعضهم ببعض . وهو داخل فى جملة المقول أى أخبرهم بما يسرونه من عضهم الأنامل غيظا إذا خلوا وقل لهم إن الله عليم بما هو أخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات الصدور فلا تظنوا أن شيئا من أسراركم يخفى عليه . أو خارج عن المقول أى قل لهم ذلك يامحمد ولا تتعجب من إطلاعى إياك على ما يسرون فانى أعلم بما هو أخفى من ذلك وهو ما أضمروه فى صدورهم .

(٤) رخاء وخصب وغنيمة ونصرة .

(٥) تحزنهم إصابتها .

(٦) أضداد ما ذكرنا . والمس مستعار من الإصابة فكأنّ المعنى واحد ألا ترى الى قوله تعالى (إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة) .

(٧) بإصابتها .

(٨) على عداوتهم .

(٩) ما نهيتم عنه من موالاتهم . أو (وإن تصبروا) على تكاليف الدين ومشاقه (وتتقوا) الله فى اجتنابكم محارمه .

(١٠) مكرهم وكنتم فى حفظ الله . وهذا تعليم من الله وإرشاد إلى أن يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى . وقال الحكماء إذا أردت أن تكبت من يحسدك فازدد فضلا فى نفسك . لا يَضِرْكُمْ مكى و بصرى ونافع من ضاره يضيره بمعنى ضَرّه وهو واضح . والمشكل قراءة غيرهم لأنه جواب الشرط وجواب الشرط مجزوم فكان ينبغى أن يكون بفتح الراء كقراءة المفضل عن عاصم إلا أن ضمة الراء لإتباع ضمة الضاد نحو مد يا هذا .

(١١) بالتاء سهل أى من الصبر والتقوى وغيرهما .

مُحِيطٌ[1] ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ[2] تُبَوِّئُ[3] ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ[4] لِلْقِتَالِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ[5] ﴿١٢١﴾ إِذْ[6] هَمَّت طَّآئِفَتَانِ[7] مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا[8] وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا[9] وَعَلَى ٱللَّهِ

(١) ففاعل بكم ما أنتم أهله. وبالياء غيره أى أنه عالم بما يعملون فى عداوتكم فمعاقبهم عليه.

(٢) واذكر يامحمد إذ خرجت غدوة من أهلك بالمدينة. والمراد غدوه من حجرة عائشة رضى الله عنها إلى أحد.

(٣) تنزلهم وهو حال.

(٤) مواطن ومواقف من الميمنة والميسرة والقلب والجناحين والساقة. وللقتال يتعلق بتبوئ.

(٥) (سميع) لأقوالكم (عليم) بنياتكم وضمائركم. روى أن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ودعا عبد الله بن أبى فاستشاره فقال أقم بالمدينة فما خرجنا على عدو قط إلا أصاب منا وما دخلوا علينا إلا أصبنا منهم. فقال عليه السلام إنى رأيت فى منامى بقرا مذبحة حولى فأولتها خيرا ورأيت فى ذباب سيفى ثلمة فأولتها هزيمة ورأيت كأنى ادخلت يدى فى درع حصينة فأولتها المدينة. فلم يزل به قوم ينشطون فى الشهادة حتى لبس لامته ثم ندموا فقالوا الأمر إليك يارسول الله فقال عليه السلام لا ينبغى لنبى أن يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل. فخرج بعد صلاة الجمعة وأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال.

(٦) بدل من إذ غدوت. أو عمل فيه معنى (عليم).

(٧) حيان من الأنصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس. وكان عليه السلام خرج إلى أحد فى ألف والمشركون فى ثلاثة آلاف ووعدهم الفتح إن صبروا فانخذل عبد الله بن أبى بثلث الناس وقال علام نقتل أنفسنا وأولادنا فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله.

(٨) أى بأن تفشلا أى بأن تجبنا وتضعفا. والفشل الجبن والخور.

(٩) محبهما أو ناصرهما أو متولى أمرهما فما لهما تفشلان ولا تتوكلان على الله.

فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ(١) ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ(٢) وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ(٣) فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ(٤) لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(٥) ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ(٦) أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ(٧) ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ(٨) إِن تَصْبِرُوا۟(٩) وَتَتَّقُوا۟(١٠) وَيَأْتُوكُم(١١)

(١) أمرهم بألا يتوكلوا إلا عليه ولا يفوضوا أمورهم إلا إليه قال جابر والله ما يسرّنا أنا لم نهمّ بالذى هممنا به وقد أخبرنا الله بأنه ولينا .

(٢) ذكّرهم ما يوجب عليهم التوكل مما يَسَّرَ لهم من الفتح يوم بدر وهم فى حال قلة وذلة فقال (ولقد نصركم الله ببدر) . وهو اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمى به . أو ذكر بدرا بعد أحد للجمع بين الصبر والشكر .

(٣) لقلة العدد فإنهم كانوا ثلثمائة و بضعة عشر وكان عدوهم زهاء ألف مقاتل، والعُدَد فإنهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم إلا فرس واحد ومع عدوهم مائة فرس، والشِّكة والشوكة. وجاء بجمع القلة وهو أذلة ليدل على أنهم على ذلتهم كانوا قليلا .

(٤) فى الثبات مع رسوله .

(٥) بتقوا كم ما أنعم الله به عليكم من النصر .

(٦) ظرف لنصركم على أن يقول لهم ذلك يوم بدر أى نصركم الله وقت مقالتكم هذه . أو بدل ثان من إذ غدوت على أن يقول لهم ذلك يوم أحد .

(٧) منزّلين شامى . منْزِلين أبو حيوة أى للنصرة . ومعنى ألن يكفيكم إنكار ألا يكفيهم الإمداد بثلاثة آلاف من الملائكة . وجىء بلن الذى هو لتأكيد النفى للإشعار بأنهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالآيسين من النصر .

(٨) إيجاب لما بعد لن أى يكفيكم الإمداد بهم. فأوجب الكفاية ثم قال (إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا، يمددكم ربكم بخمسة آلاف) .

(٩) على القتال .

(١٠) خلاف الرسول عليه السلام .

(١١) يعنى المشركين .

مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا (١) يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ (٢) ۝ وَمَا جَعَلَهُ (٣) ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ (٤) لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ (٥) قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ (٦) ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ (٧) ٱلْحَكِيمِ (٨) ۝ لِيَقْطَعَ طَرَفًا (٩) مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟

(١) هو من فارت القدر إذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت بها الحالة التى لا ريث بها ولا تعريج على شيء من صاحبها فقيل خرج من فوره كما تقول من ساعته لم يلبث . ومنه قول الكرخى الأمر المطلق على الفور لا على التراخى. والمعنى إن يأتوكم من ساعتهم هذه (يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة) فى حال إتيانهم لا يتأخر نزولهم عن إتيانهم يعنى أن الله تعالى يعجل نصرتكم و ييسر فتحكم إن صبرتم واتقيتم .

(٢) بكسر الواو مكى وأبو عمرو وعاصم وسهل أى معلمين أنفسهم أو خيلهم بعلامة يعرفون بها فى الحرب . والسومة العلامة . عن الضحاك معلمين بالصوف الأبيض فى نواصى الدواب وأذنابها . غيرهم بفتح الواو أى معلمين . قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على أكتافهم . وكانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك . قال قتادة نزلت ألفا فصاروا ثلاثة آلاف ثم خمسة آلاف .

(٣) الضمير يرجع إلى الإمداد الذى دل عليه (أن يمدكم) .

(٤) اى وما جعل الله إمدادكم بالملائكة إلا بشارة لكم بأنكم تنصرون .

(٥) كما كانت السكينة لبنى إسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة لقلوبهم .

(٦) لا من عند المقاتلة ولا من عند الملائكة ولكن ذلك مما يقوّى به الله رجاء النصرة والطمع فى الرحمة .

(٧) الذى لا يغالب فى أحكامه .

(٨) الذى يعطى النصر لأوليائه و يبتليهم بجهاد أعدائه .

(٩) ليهلك طائفة منهم بالقتل والأسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من رؤساء قريش. اللام متعلقة بقوله (ولقد نصركم الله) أو بقوله (وما النصر إلا من عند الله) أو (يمددكم ربكم) .

أَوْ يَكْبِتَهُمْ[1] فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ[2] ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ[3] أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ[4] أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ[5] ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ[6] يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ[7] وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ[8] وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً[9] وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ[10] لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ

---

(١) أو يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة. وحقيقة الكبت شدة وهن تقع فى القلب فيصرع فى الوجه لأجله .

(٢) فيرجعوا غير ظافرين بمبتغاهم .

(٣) اسم ليس (شىء) والخبر (لك) (ومن الأمر) حال من شىء لأنها صفة مقدمة .

(٤) عطف على (ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم) . و (ليس لك من الامر شىء) اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه . والمعنى أن الله تعالى مالك أمرهم فإما أن يهلكهم أو يهزمهم أو يتوب عليهم إن أسلموا (او يعذبهم) إن أصروا على الكفر . وليس لك من أمرهم شىء إنما أنت عبد مبعوث لإنذارهم ومجاهدتهم . وعن الفراء (أو) بمعنى حتى . وعن ابن عيسى بمعنى إلا أن كقولك لألزمنك أو تعطينى حقى . أى ليس لك من أمرهم شىء إلا أن يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم أو يعذبهم فتتشفى منهم . وقيل أراد أن يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه أن فيهم من يؤمن .

(٥) مستحقون للتعذيب .

(٦) أى الأمر له لا لك لأن ما فى السموات وما فى الأرض ملكه .

(٧) للمؤمنين .

(٨) الكافرين .

(٩) مضعفة مكى وشامى . هذا نهى عن الربا مع التوبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه . كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله يقول إما أن تقضى حقى أو تربى وتزيد فى الأجل .

(١٠) فى أكله .

ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ (١) ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ وَسَارِعُوٓا۟ (٢) إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا (٣) ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ (٤) لِلْمُتَّقِينَ (٥) ﴿١٣٣﴾

(١) كان أبو حنيفة رضى الله عنه يقول هى أخوف آية فى القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدّة للكافرين إن لم يتّقوه فى اجتناب محارمه . وقد أمدّ ذلك بما أتبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفّرهم على طاعته وطاعة رسول الله بقوله (وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون). وفيه ردّ على المرجئة فى قولهم لا يضر مع الإيمان ذنب ولا يعذب بالنار أصلا. وعندنا غير الكافرين من العصاة قد يدخلها ولكن عاقبة أمره الجنة . وفى ذكره تعالى لعل وعسى فى نحو هذه المواضع — وإن قال أهل التفسير إن لعل وعسى من الله للتحقيق — ما لا يخفى على العارف من دقة مسلك التقوى وصعوبة إصابة رضا الله تعالى وعزة التوصل الى رحمته وثوابه . .

(٢) سارعوا مدنى وشامى . فمن أثبت الواو عطفها على ما قبلها ومن حذفها استأنفها . ومعنى المسارعة الى المغفرة والجنة الإقبال على ما يوصل اليهما . ثم قيل هى الصلوات الخمس أو التكبيرة الأولى أو الطاعة أو الإخلاص أو التوبة أو الجمعة والجماعات .

(٣) أى عرضها عرض السموات والأرض كقوله (عرضها كعرض السماء والأرض) والمراد وصفها بالسعة والبسط فشبهت بأوسع ماعلمه الناس من خلقه وأبسطه. وخص العرض لأنه فى العادة أدنى من الطول للبالغة . وعن ابن عباس رضى الله عنهما كسبع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض. وما روى أن الجنة فى السماء السابعة أو فى السماء الرابعة فمعناه أنها فى جهتها لا أنها فيها أو فى بعضها كما يقال فى الدار بستان وإن كان يزيد عليها لأن المراد أن بابه اليها .

(٤) فى موضع جر صفة لجنة أيضا أى جنة واسعة معدّة للمتّقين .

(٥) المتقى من يتقى الشرك كما قال (وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدّت للذين آمنوا بالله ورسله) . أو من يتقى المعاصى . فان كان المراد الثانى فهى لهم بغير عقوبة وإن كان الأوّل فهى لهم أيضا فى العاقبة . ويوقف عليه إن جعل (الذين ينفقون) مبتدأ وعطف عليه (والذين اذا فعلوا فاحشة) . وجعل الخبر (أولئك) . وإن جعل وصفا للمتقين وعطف

ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ (١) وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ (٢) وَٱلْعَـٰافِينَ عَنِ ٱلنَّـاسِ (٣) وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ (٤) ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً (٥) أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ (٦) ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ (٧) فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ (٨) وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ

عليه (والذين اذا فعلوا فاحشة) أى أعدّت للتقين والتائبين فلا وقف. ويجوز أن يكون (والذين) مبتدا خبره (أولئك) . فإن قلت الآية تدل على أن الجنة معدّة للتقين والتائبين دون المصرين . قلت جاز أن تكون معدّة لهما ثم يدخلها بفضل الله وعفوه غيرهما كما يقال أعدّت هذه المائدة للأمير ثم قد يأكلها أتباعه . ألا ترى أنه قال (واتقوا النار التى أعدّت للكافرين) ثم قد يدخلها غير الكافرين بالاتفاق . ودلت الآيتان على أن الجنة والنار مخلوقتان .

(١) فى حال اليسر والعسر. وقيل المراد الإنفاق فى جميع الأحوال لأنها لا تخلو من حال مسرة ومضرة . وافتتح بذكر الإنفاق لأنه أشق شىء على النفس وأدله على الإخلاص ولأنه كان فى ذلك الوقت أعظم الأعمال للحاجة اليه فى مجاهدة العدوّ ومواساة فقراء المسلمين .

(٢) والممسكين الغيظ عن الإمضاء. يقال كظم القربة اذا ملأها وشدّ فاها ومنه كظم الغيظ وهو أن يمسك على ما فى نفسه منه بالصبر ولا يظهر له أثرا . والغيظ توقّد حرارة القلب من الغضب. وعن النبى عليه السلام من كظم غيظا وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا .

(٣) أى اذا جنى عليهم أحد لم يؤاخذوه. وروى ينادى مناد يوم القيامة أين الذين كانت أجورهم على الله ؟ فلا يقوم إلا من عفا . وعن ابن عيينة أنه رواه للرشيد وقد غضب على رجل فخلاه .

(٤) اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورون . أو للعهد فيكون إشارة الى هؤلاء. عن الثورى الإحسان أن تحسن الى المسىء فان الإحسان الى المحسن متاجرة.

(٥) فعلة متزايدة القبح .

(٦) قيل الفاحشة الكبيرة، وظلم النفس الصغيرة . أو الفاحشة الزنا، وظلم النفس القبلة واللمسة ونحوهما .

(٧) بلسانهم أو بقلوبهم ليبعثهم على التوبة .

(٨) فتابوا عنها لقبحها نادمين . قيل بكى إبليس حين نزلت هذه الآية .

إِلَّا ٱللَّهُ(١) وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ(٢) وَهُمْ يَعْلَمُونَ(٣) ﴿١٣٥﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ(٤) جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ(٥) وَجَنَّـٰتٌ(٦) تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ(٧) ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ(٨) مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ(٩) فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ(١٠) ﴿١٣٧﴾ هَـٰذَا(١١) بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى(١٢)

---

(١) (من) مبتدا و (يغفر) خبره وفيه ضمير يعود الى من. و (إلا الله) بدل من الضمير فى (يغفر). والتقدير ولا أحد يغفر الذنوب إلا الله. وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه. وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة و بعث عليها وردع عن اليأس والقنوط و بيان لسعة رحمته وقرب مغفرته من التائب و إشعار بأن الذنوب و إن جلت فان عفوه أجل وكرمه أعظم.

(٢) ولم يقيموا على قبيح فعلهم. والإصرار الإقامة. قال عليه السلام ما أصرّ من استغفر و إن عاد فى اليوم سبعين مرة . وروى لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار .

(٣) حال من الضمير فى ولم يصروا أى (وهم يعلمون) أنهم أساءوا أو (وهم يعلمون) أنه لا يغفر ذنوبهم إلا الله .

(٤) الموصوفون .

(٥) بتوبته .

(٦) برحمته .

(٧) المخصوص بالمدح محذوف أى ونعم أجر العاملين ذلك. يعنى المغفرة والجنات . نزلت فى تمّار قال لامرأة تريد التمر : فى بيتى تمر أجود . فأدخلها بيتـه وضمها إلى نفســه وقبلها فندم . أو فى أنصارىّ استخلفه ثقفى — وقد آخى بينهما النبى عليه السلام — فى غيبة غزوة. فأتى أهله لكفاية حاجة فرآها فقبلها فندم فساح فى الأرض صارخا . فاستعتبه الله تعالى .

(٨) مضت .

(٩) يريد ما سنّه الله تعالى فى الأمم المكذبين من وقائعه .

(١٠) فتعتبروا بها .

(١١) أى القرآن أو ما تقدّم ذكره .

(١٢) أى إرشاد .

وَمَوْعِظَةٌ(١) لِّلْمُتَّقِينَ(٢) ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا(٣) وَلَا تَحْزَنُوا(٤) وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ(٥) إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ(٦) ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ(٧) فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ(٨) وَتِلْكَ(٩) الْأَيَّامُ(١٠) نُدَاوِلُهَا(١١)

(١) ترغيب وترهيب .

(٢) من الشرك .

(٣) ولا تضعفوا عن الجهاد لما أصابكم من الهزيمة .

(٤) على ما فاتكم من الغنيمة . أو على من قتل منكم أو جرح . وهو تسلية من الله لرسوله وللمؤمنين عما أصابهم يوم أحد وتقوية لقلوبهم .

(٥) وحالكم أنكم أعلى منهم وأغلب لأنكم أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم يوم أحد . أو (وأنتم الأعلون) بالنصر والظفر فى العاقبة . وهى بشارة لهم بالعلو والغلبة (وإن جندنا لهم الغالبون) . أو (وأنتم الأعلون) شأنا لأن قتالكم لله ولإعلاء كلمته، وقتالهم للشيطان ولإعلاء كلمة الكفر . أو لأن قتلاكم فى الجنة وقتلاهم فى النار .

(٦) متعلق بالنهى أى (ولا تهنوا) إن صح إيمانكم يعنى أن صحة الإيمان توجب قوة القلب والثقة بوعد الله وقلة المبالاة بأعدائه . أو بالأعلون أى إن كنتم مصدقين بما يعدكم الله به ويبشركم به من الغلبة .

(٧) بضم القاف حيث كان كوفى غير حفص . وبفتح القاف غيرهم . وهما لغتان كالضعف والضعف . وقيل بالفتح الجراحة وبالضم ألمها .

(٨) أى إن نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يمنعهم عن معاودتكم إلى القتال فأنتم أولى ألا تضعفوا .

(٩) مبتدأ .

(١٠) صفته والخبر (نداولها) .

(١١) نصرّفها .

بَيْنَ ٱلنَّاسِ(١) وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟(٢) وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ(٣) وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ(٤) ۝ وَلِيُمَحِّصَ(٥) ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ(٦) ۝ أَمْ(٧) حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ(٨) وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ(٩) ۝ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ(١٠) فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ

(١) أى نصرّف ما فيها من النعم والنقم نعطى لهؤلاء تارة وطورا لهؤلاء كبيت الكتاب.

فيوما علينا ويوما لنـا * ويوما نساء ويوما نسر

(٢) أى نداولها لضروب من التدبير وليعلم الله المؤمنين مميّزين بالصبر والإيمان من غيرهم كما علمهم قبل الوجود .

(٣) وليكرم ناسا منكم بالشهادة يريد المستشهدين يوم أحد. أو ليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الأمم يوم القيامة من قوله (لتكونوا شهداء على الناس) .

(٤) اعتراض بين بعض التعليل و بعض. ومعناه والله لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الإيمـان المجاهدين فى سبيله وهم المنافقون والكافرون .

(٥) التمحيص التطهير والتصفية .

(٦) ويهلكهم . يعنى إن كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص . وإن كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم .

(٧) أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار أى لا تحسبوا .

(٨) أى ولمّـا تجاهدوا لأن العلم متعلق بالمعلوم . فنزل نفى العـلم منزلة نفى متعلقه لأنه منتف بانتفائه تقول ما علم الله فى فلان خيرا أى ما فيه خير حتى يعلمه . ولمّـا بمعنى لم إلا أن فيه ضربا من التوقّع . فدل على نفى الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل .

(٩) نصب بإضمار أن. والواو بمعنى الجمع نحو لا تأكل السمك وتشرب اللبن . أو جزم للعطف على يعلم الله . وإنما حركت الميم لالتقاء الساكنين . واختيرت الفتحة لفتحة ما قبلها .

(١٠) خوطب به الذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنّون أن يحضروا مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لينالوا كرامة الشهادة وهم الذين ألحّـوا على رسول الله صلى عليـه وسلم

وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (١) ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ (٢) مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ (٣) أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ (٤) وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا (٥)

فى الخروج إلى المشركين. وكان رأيه فى الإقامة بالمدينة. يعنى وكنتم تمنون الموت قبل أن تشاهدوه وتعرفوا شدته .

(١) أى رأيتموه معاينين مشاهدين له حين قتل إخوانكم بين أيديكم وشارفتم أن تقتلوا . وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت ، وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم بإلحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه . وإنما تمنوا الشهادة لينالوا كرامة الشهداء من غير قصد إلى ما يتضمنه من غلبة الكفار كمن شرب الدواء من طبيب نصرانى فان قصده حصول الشفاء ولا يخطر بباله أن فيه جرّ منفعة إلى عدوّ الله وتنفيقا لصناعته .

(٢) مضت . لما رمى ابن قميئة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رَبَاعيته أقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية حتى قتله ابن قميئة وهو يرى أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال قتلت محمدا وخرج صارخا — قيل هو الشيطان — : "ألا إن محمدا قد قتل" ففشا فى الناس خبر قتله فانكفئوا . وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو : "إلىّ عبادَ الله" حتى انحازت اليه طائفة من أصحابه فلامهم على هربهم فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا أتانا خبر قتلك فولّينا مدبرين . فنزل

(٣) فسيخلو كما خلوا . وكما أن أتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوّهم فعليكم أن تتمسكوا بدينه بعد خلوّه لأن المقصود من بعثة الرسل تبليغ الرسالة وإلزام الحجة لا وجوده بين أظهر قومه .

(٤) الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة التى قبلها على معنى . التسبيب والهمزة لإنكار ان يجعلوا خلوّ الرسل قبله سببا لانقلابهم على أعقابهم بعد هلاكه بموت أو قتل مع علمهم أن خلو الرسل قبله و بقاء دينهم متمسكا به يجب أن يجعل سببا للتمسك بدين محمد عليه السلام لا للانقلاب عنه . والانقلاب على العقبين مجاز عن الارتداد أو عن الانهزام .

(٥) وإنما ضرّ نفسه .

وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ[١] ۝ وَمَا كَانَ[٢] لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ[٣] كِتَـٰبًا[٤] مُّؤَجَّلًا[٥] وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ[٦] ٱلدُّنْيَا[٧] نُؤْتِهِۦ مِنْهَا[٨] وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ[٩] نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ[١٠] ۝ وَكَأَيِّن[١١] مِّن نَّبِىٍّ قَـٰتَلَ[١٢] مَعَهُۥ[١٣] رِبِّيُّونَ[١٤] كَثِيرٌ

(١) الذين لم ينقلبوا . وسمّاهم شاكرين لأنهم شكروا نعمة الإسلام فيما فعلوا .

(٢) وما جاز .

(٣) أى بعلمه أو بأن يأذن ملَكَ الموت فى قبض روحه. والمعنى أن موت الأنفس محال أن يكون إلا بمشيئة الله . وفيه تحريض على الجهاد وتشجيع على لقاء العدو وإعلام أن الحذر لا ينفع وإن أحدا لا يموت قبل بلوغ أجله وإن خاض المهالك واقتحم المعارك .

(٤) مصدر مؤكد لأن المعنى كتب الموت كتابا .

(٥) مؤقتا له أجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر .

(٦) بقتاله .

(٧) أى الغنيمة . وهو تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم أحد .

(٨) من ثوابها .

(٩) أى إعلاء كلمة الله والدرجة فى الآخرة .

(١٠) وسنجزى الجزاء المبهم الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شىء عن الجهاد .

(١١) أصـله أىّ دخل عليه كاف التشبيه وصارا فى معنى كم التى للتكثير. وكائن بوزن كاع حيث كان مكى .

(١٢) (قتل) مكى وبصرى ونافع .

(١٣) حال من الضمير فى قتل أى قتل كائنا (معه ربّيون كثير) .

(١٤) الربّيون الربانيون . عن الحسن بضم الراء وعن البعض بفتحها . فالفتح على القياس لأنه منسوب الى الرب والضم والكسر من تغييرات النسب .

فَمَا وَهَنُوا۟ (١) لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ (٢) وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ (٣) وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ (٤) ۝ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا (٥) وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا (٦) وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا (٧) وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ (٨) ۝ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا (٩) وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ (١٠) وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ (١١) ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ (١٢)

---

(١) فما فتروا عند قتل نبيهم .

(٢) عن الجهاد بعده .

(٣) وما خضعوا لعدوّهم . وهذا تعريض بما أصابهم من الوهن عند الإرجاف بقتل رسول الله عليه السلام واستكانتهم لهم حيث أرادوا أن يعتضدوا بابن أبيّ فى طلب الأمان من أبى سفيان .

(٤) على جهاد الكافرين .

(٥) أى وما كان قولهم إلا هذا القول وهو إضافة الذنوب الى أنفسهم مع كونهم ربّانيين هضما لها .

(٦) تجاوزنا حد العبودية .

(٧) فى القتال .

(٨) بالغلبة . وقدّم الدعاء بالاستغفار من الذنوب على طلب تثبيت الأقدام فى مواطن الحرب والنصرة على الأعداء لأنه أقرب الى الإجابة لما فيه من الخضوع والاستكانة .

(٩) أى النصرة والظفر والغنيمة .

(١٠) المغفرة والجنة . وخُصّ بالحسن دلالة على فضله وتقدمه وأنه هو المعتد به عنده .

(١١) أى هم محسنون والله يحبهم .

(١٢) يرجعوكم الى الشرك .

فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ (١) ۝ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ (٢) وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ۝ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ (٣) بِمَآ أَشْرَكُوا۟ (٤) بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا (٥) وَمَأْوَىٰهُمُ (٦) ٱلنَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ (٧) ۝ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ (٨) إِذْ تَحُسُّونَهُم (٩) بِإِذْنِهِۦ (١٠)

---

(١) قيل هو عام فى جميع الكفار. وعلى المؤمنين أن يجانبوهم ولا يطيعوهم فى شىء حتى لا يستجرّوهم الى موافقتهم . وعن السدى إن تستكينوا لأبى سفيان وأصحابه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم . وقال علىّ رضى الله عنه نزلت فى قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى إخوانكم وادخلوا فى دينهم .

(٢) ناصركم فاستغنوا عن نصرة غيره .

(٣) الرُعُب شامى وعلىّ وهما لغتان . قيل قذف الله فى قلوب المشركين الخوف يوم أحد فانهزموا الى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة .

(٤) بسبب إشراكهم أى كان السبب فى إلقاء الرعب فى قلوبهم إشراكهم به .

(٥) آلهة لم ينزّل الله بإشراكها حجة . ولم يرد أن هناك حجة إلا أنها لم تنزل عليهم لأن الشرك لا يستقيم أن تقوم عليه حجة . وإنما المراد نفى الحجة ونزولها جميعا كقوله * ولا ترى الضب بها ينجحر * أى ليس بها ضب فينجحر ولم يعن أن بها ضبّا ولا ينجحر .

(٦) مرجعهم .

(٧) النار . فالمخصوص بالذم محذوف .

(٨) أى حقق . لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه الى المدينة قال ناس من أصحابه من اين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر . فنزل

(٩) تقتلونهم قتلا ذريعا . وعن ابن عيسى حسّه أبطل حسّه بالقتل .

(١٠) بأمره وعلمه .

حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ (١) وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ (٢) وَعَصَيْتُم (٣) مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ (٤) مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا (٥) وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ (٦) وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ (٧) وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ (٨) ﴿١٥٢﴾ إِذْ تُصْعِدُونَ (٩) وَلَا تَلْوُۥنَ

(١) جبنتم .

(٢) أى اختلفتم .

(٣) أمر نبيكم بترككم المركز واشتغالكم بالغنيمة .

(٤) من الظفر وقهر الكفار . ومتعلق اذا محذوف تقديره (حتى إذا فشلتم) منعكم نصره . وجاز أن يكون المعنى صدقكم الله وعده الى وقت فشلكم .

(٥) أى الغنيمة وهم الذين تركوا المركز لطلب الغنيمة .

روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل أُحُدا خلف ظهره واستقبل المدينة وأقام الرماة عند الجبل وأمرهم أن يثبتوا فى مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين أو عليهم . فلما أقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم حتى اذا فشلوا وتنازعوا . فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا ههنا فادخلوا عسكر المسلمين وخذوا الغنيمة مع إخوانكم . وقال بعضهم لا تخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فممن ثبت مكانه عبد الله بن جبير أمير الرماة فى نفر دون العشرة وهم المعنيّون بقوله (ومنكم من يريد الآخرة) . فكر المشركون على الرماة وقتلوا عبدالله ابن جبير وأقبلوا على المسلمين حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله (ثمّ صرفكم عنهم) أى كف معونته عنكم فغلبوكم .

(٦) ليمتحن صبركم على المصائب وثباتكم عندها . وحقيقته ليعاملكم معاملة المختبر لأنه يجازى على ما يعمله العبد لا على ما يعلمه منه .

(٧) حيث ندمتم على ما فرط منكم من عصيان رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٨) بالعفو عنهم وقبول توبتهم . أو هو متفضل عليهم فى جميع الأحوال سواء أديل لهم أو أديل عليهم لأن الابتلاء رحمة كما أن النصرة رحمة .

(٩) تبالغون فى الذهاب فى صعيد الأرض . والإصعاد الذهاب فى صعيد الأرض والإبعاد فيه . وانتصب بصرفكم أو بقوله (ليبتليكم) أو بإضمار اذكروا .

عَلَىٰٓ أَحَدٍ[١] وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ[٢] فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ[٣] فَأَثَٰبَكُمْ[٤] غَمًّۢا[٥] بِغَمٍّ[٦] لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ[٧] وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ[٨] وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ[٩] ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً[١٠] نُّعَاسًا يَغْشَىٰ[١١] طَآئِفَةً مِّنكُمْ[١٢] وَطَآئِفَةٌ[١٣]

---

(١) ولا تلتفتون . وهو عبارة عن غاية انهزامهم وخوف عدوهم .

(٢) يقول: "إلىّ عباد الله! أنا رسول الله! من يكرّ فله الجنة". والجملة فى موضع الحال.

(٣) فى ساقتكم وجماعتكم الأخرى وهى المتأخرة . يقال جئت فى آخر الناس وأخراهم كما تقول فى أولهم وأولاهم بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الأولى .

(٤) عطف على صرفكم أى فجازاكم الله .

(٥) حين صرفكم عنهم وابتلاكم .

(٦) بسبب غمّ أذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم أمره . أو غمّا مضاعفا، غما بعد غم وغما متصلا بغم ، من الاغتمام بما أُرجف به من قتل رسول الله عليه السلام ، والجرح ، والقتل ، وظفر المشركين ، وفوت الغنيمة والنصر .

(٧) لتتمرنوا على تجرع الغموم فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع .

(٨) ولا على مصيب من المضار .

(٩) عالم بعملكم لا يخفى عليه شىء من أعمالكم وهذا ترغيب فى الطاعة وترهيب عن المعصية .

(١٠) ثم أنزل الله الأمن على المؤمنين وأزال عنهم الخوف الذى كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم. عن أبى طلحة غشينا النعاس ونحن فى مصافّنا فكان السيف يسقط من يد أحدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه. والأمنة الأمن. و(نعاسا) بدل من أمنة. أو هو مفعول و(أمنة) حال منه مقدمة عليه نحو رأيت راكبا رجلا . والأصل أنزل عليكم نعاسا ذا أمنة إذ النعاس ليس هو الأمن . ويجوز أن يكون أمنة مفعولا له أو حالا من المخاطبين بمعنى ذوى أمنة أو على أنه جمع آمن كبارّ وبررة .

(١١) يعنى النعاس. تغشى بالتاء والإمالة حمزة وعلىّ أى الأمنة .

(١٢) هم أهل الصدق واليقين .

(١٣) هم المنافقون .

قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ(١) يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ(٢) ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ(٣) يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ(٤) قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ(٥) كُلَّهُۥ لِلَّهِ(٦) يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ(٧) يَقُولُونَ(٨) لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا(٩)

(١) ما يهمّهم إلا همّ أنفسهم وخلاصها لا همّ الدين ولا همّ رسول الله صلى عليه وسلم والمسلمين رضوان الله عليهم .

(٢) فى حكم المصدر أى يظنون بالله غير الظن الحق الذى يجب أن يظن به . وهو أن لا ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم .

(٣) بدل منه . والمراد الظن المختص بالملة الجاهلية . أو ظن أهل الجاهلية أى لا يظن مثل ذلك الظن إلا أهل الشرك الجاهلون بالله .

(٤) هل لنا معاشر المسلمين من أمر الله نصيب قط يعنون النصر والغلبة على العدو .

(٥) أى النصر والغلبة .

(٦) ولأوليائه المؤمنين (وان جندنا لهم الغالبون). (كلّه) تأكيد للأمر و (لله) خبر إن . (كلُّه) بصرى . وهو مبتدا و (لله) خبره والجملة خبر إن .

(٧) خوفا من السيف .

(٨) (يقولون) فى أنفسهم أو بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم (إن الأمر كله لله) .

(٩) أى لو كان الأمر كما قال محمد (إن الأمر كله لله) ولأوليائه وأنهم الغالبون لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين من قتل فى هذه المعركة .

(قد أهمّتهم) صفة لطائفة . و (يظنون) خبر لطائفة أو صفة أخرى أو حال أى قد أهمتهم أنفسهم ظانين . و (يقولون) بدل من (يظنون) . و (يخفون) حال من (يقولون) . و (قل إن الأمر كله لله) اعتراض بين الحال وذى الحال . و (يقولون) بدل من (يخفون) أو استئناف .

قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ (١) وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ (٢) مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (٣) ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ (٤) مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ (٥) إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ (٦) بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ (٧) وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ (٨) إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ (٩) حَلِيمٌ (١٠) ﴿١٥٥﴾

---

(١) أى من علم الله منه أنه يقتل فى هذه المعركة وكتب ذلك فى اللوح لم يكن بد من وجوده . فلو قعدتم فى بيوتكم (لبرز) من بينكم (الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم) مصارعهم بأحد ليكون ما علم الله أنه يكون . والمعنى أن الله كتب فى اللوح قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك أنهم الغالبون لعلمه أن العاقبة فى الغلبة لهم وأن دين الإسلام يظهر على الدين كله وأن ما ينكبون به فى بعض الأوقات تمحيص لهم .

(٢) وليمتحن ما فى صدور المؤمنين من الإخلاص، ويمحص ما فى قلوبهم من وساوس الشيطان ، فعل ذلك . أو فعل ذلك لمصالح جمة وللابتلاء والتمحيص .

(٣) بخفياتها .

(٤) انهزموا .

(٥) جمع محمد عليه السلام وجمع أبى سفيان للقتال بأحد .

(٦) دعاهم الى الزلة وحملهم عليها .

(٧) بتركهم المركز الذى أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثبات فيه . فالإضافة الى الشيطان لطف وتقريب، والتعليل بكسبهم وعظ وتأديب . وكان أصحاب محمد عليه السلام تولوا عنه يوم أحد إلا ثلاثة عشر رجلا منهم أبو بكر وعلىّ وطلحة وابن عوف وسعد بن أبى وقاص والباقون من الأنصار .

(٨) تجاوز عنهم .

(٩) للذنوب .

(١٠) لا يعاجل بالعقوبة .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ (١) وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ (٢) إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ (٣) أَوْ كَانُواْ غُزًّى (٤) لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ (٥) وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ (٦) وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٧) ﴿﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ (٨) لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٩) ﴿﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ (١٠) ﴿﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ

---

(١) كابن أبي وأصحابه .

(٢) أي في حق إخوانهم في النسب أو في النفاق .

(٣) سافروا فيها للتجارة أو غيرها .

(٤) جمع غاز كعاف وعُفّى ، وأصابهم موت أو قتل .

(٥) اللام يتعلق بلا تكونوا أي لا تكونوا كهولاء في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم . أو بقالوا أي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون ذلك حسرة في قلوبهم . والحسرة الندامة على فوت المحبوب .

(٦) رد لقولهم إن القتال يقطع الأجال أي الأمر بيده قد يحيي المسافر والمقاتل ويميت المقيم والقاعد .

(٧) فيجازيكم على أعمالكم . يعملون مكي وحمزة وعليّ أي الذين كفروا .

(٨) متم وبابه بالكسر نافع وكوفي غير عاصم . تابعهم حفص إلا في هـذه السورة كانه أراد الوفاق بينه وبين قتلتم . غيرهم بضم الميم في جميع القرآن. فالضم من مات يموت. والكسر من مات يمات كخاف يخاف فكما تقول خفت تقول متّ .

(٩) ما بمعنى الذي والعائد محذوف . وبالياء حفص .

(١٠) لإلى الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم الثواب تحشرون . ولوقوع اسم الله في هذا الموضع مع تقديمه وإدخال اللام على الحرف المتصل به ، شأن غني عن البرهان .

لمغفرة جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط وكذلك (لإلى الله تحشرون) .

كذّب الكافرين أولا في زعمهم أن من سافر من إخوانهم أو غزا لو كان بالمدينة لما

مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ[1] وَلَوْ كُنتَ فَظًّا[2] غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ[3] لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ[4] فَٱعْفُ عَنْهُمْ[5] وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ[6] وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ[7] فَإِذَا عَزَمْتَ[8] فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ[9]

مات ، ونهى المسلمين عن ذلك لأنه سبب التقاعد عن الجهاد . ثم قال لهم ولئن تم عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت أو القتل فى سبيل الله ، فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت فى سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا فان الدنيا زاد المعاد فاذا وصل العبد إلى المراد لم يحتج إلى الزاد .

(١) ما مزيدة للتوكيد والدلالة على أن لينه لهم ما كان إلا برحمة من الله . ومعنى الرحمة ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم .

(٢) جافيا .

(٣) قاسيه .

(٤) لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك أحد منهم .

(٥) ما كان منهم يوم احد مما يختص بك .

(٦) فيا يختص بحق الله إتماما للشفقة عليهم .

(٧) أى فى امر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحى تطييبا لنفوسهم ، وترويحا لقلوبهم ، ورفعا لأقدارهم ، ولتقتدى بك أمتك فيها . فى الحديث ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمرهم . وعن أبى هريرة رضى الله عنه ما رأيت أحدا أ كثر مشاورة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومعنى شاورت فلانا أظهرت ما عندى وما عنده من الرأى . وشرت الدابة استخرجت جريها . وشرت العسل أخذته من مآخذه . وفيه دلالة جواز الاجتهاد وبيان أن القياس حجة .

(٨) فاذا قطعت الرأى على شىء بعد الشورى .

(٩) فى إمضاء أمرك على الأرشدلا على المشورة .

إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ (١) ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ (٢) فَلَا غَالِبَ لَكُمْ (٣) وَإِن يَخْذُلْكُمْ (٤) فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ (٥) وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ (٦) ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ (٧) وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ (٨) ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ (٩)

(١) عليه والتوكل الاعتماد على الله والتفويض فى الأمور اليه. وقال ذو النون خلع الأرباب وقطع الأسباب .

(٢) كما نصركم يوم بدر .

(٣) فلا أحد يغلبكم. وإنما يدرك نصر الله من تبرأ من حوله وقوته واعتصم بربه وقدرته

(٤) كما خذلكم يوم أحد .

(٥) من بعد خذلانه وهو ترك المعونة ؛ أو هو من قولك ليس لك من يحسن إليك من بعد فلان تريد إذا جاوزته . وهذا تنبيه على أن الأمر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه .

(٦) وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل والتفويض إليه لعلمهم أنه لا ناصر سواه ، ولأن إيمانهم يقتضى ذلك .

(٧) مكى وأبوعمرو وحفص وعاصم. أى يخون . وبضم الياء وفتح الغين غيرهم. يقال غلّ شيئا من المغنم غلولا وأغل إغلالا إذا أخذه فى خفية ويقال أغله اذا وجده غالّا . والمعنى ما صح له ذلك يعنى أن النبوة تنافى الغلول . وكذا من قرأ على البناء للفعول فهو راجع الى هـذا لأن معناه وما صح له أن يوجد غالا ولا يوجد غالا إلا اذا كان غالا . روى أن قطيفة حمراء فقدت يوم بدر مما أصيب من المشركين فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها . فنزلت الاية .

(٨) اى يأت بالشيء الذى غله بعينه حاملا له على ظهره كما جاء فى الحديث؛ أو يأت بما احتمل من وباله وإثمه .

(٩) تعطى جزاءها وافيا. ولم يقل ثم يوفى ما كسب — ليتصل بقوله ومن يغلل — بل جىء بعام ليدخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى . وهو أبلغ لأنه اذا علم الغالّ أن كل كاسب خيرا أو شرا مجزىّ فموفى جزاءه ، علم أنه غير متخلص من بينهم مع عظم ما اكتسب .

وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١) ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ (٢) كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ (٣) وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ (٤) ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ (٥) عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ (٦) ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ (٧) إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ (٨) يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ (٩) وَيُزَكِّيهِمْ (١٠) وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ (١١) وَإِن كَانُوا۟

(١) أى جزاء كلٍّ على قدر كسبه .

(٢) أى رضا الله . قيل هم المهاجرون والأنصار .

(٣) وهم المنافقون والكفار .

(٤) المرجع .

(٥) هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات . أو ذوو درجات . والمعنى تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين أو التفاوت بين الثواب والعقاب .

(٦) عالم بأعمالهم ودرجاتهم فيجازيهم على حسابها .

(٧) على من آمن مع رسول الله عليه السلام من قومه . وخص المؤمنين منهم لأنهم هم المنتفعون بمبعثه .

(٨) من جنسهم عربيا مثلهم . أو من ولد إسماعيل كما أنهم من ولده . والمنة فى ذلك من حيث إنه اذا كان منهم كان اللسان واحدا فيسهل أخذ ما يجب عليهم أخذه عنه . وكانوا واقفين على أحواله فى الصدق والأمانة فكان ذلك أقرب لهم الى تصديقه وكان لهم شرف بكونه منهم . وفى قراءة رسول الله من أنفَسهم أى من أشرفهم .

(٩) أى القرآن بعد ما كانوا أهل جاهلية لم يطرق أسماعهم شىء من الوحى .

(١٠) ويطهرهم بالإيمان من دنس الكفر والطغيان أو يأخذ منهم الزكاة .

(١١) القرآن والسنة .

مِن قَبْلُ (١) لَفِى ضَلَـٰلٍ (٢) مُّبِينٍ (٣) ۝ أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ (٤) قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا (٥) قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا (٦) قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ (٧) إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٨) ۝ وَمَآ أَصَـٰبَكُمْ (٩) يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ (١٠) فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ (١١) وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ (١٢) وَقِيلَ لَهُمْ (١٣) تَعَالَوْا۟ قَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ (١٤) أَوِ ٱدْفَعُوا۟ (١٥)

(١) من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٢) عمى وجهالة .

(٣) ظاهر لا شبهة فيه . إن مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية . والتقدير وإن الشأن والحديث كانوا من قبل فى ضلال مبين .

(٤) يريد ما أصابهم يوم أحد من قتل سبعين منهم .

(٥) يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين . وهو فى موضع رفع صفة لمصيبة .

(٦) من أين هذا .

(٧) لاختياركم الخروج من المدينة أو لترككم المركز . (لمّا) نصب بقلتم و (أصابتكم) فى محل الجر باضافة لمّا إليه وتقديره أقلتم حين أصابتكم و (أنى هذا) نصب لأنه مقول . والهمزة للتقرير والتقريع . وعطفت الواو هذه الجملة على ما مضى من قصة أحد من قوله (ولقد صدقكم الله وعده) أو على محذوف كأنه قيل أفعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا .

(٨) يقدر على النصر وعلى منعه .

(٩) ما بمعنى الذى وهو مبتدأ والخبر (فبإذن الله) .

(١٠) جمعكم وجمع المشركين بأحد .

(١١) فكائن بإذن الله أى بعلمه وقضائه .

(١٢) وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون وليظهر إيمان هؤلاء ونفاق هؤلاء .

(١٣) للمنافقين وهو كلام مبتدأ .

(١٤) اى جاهدوا للآخرة كما يقاتل المؤمنون .

(١٥) أى قاتلوا دفعا عن أنفسكم وأهليكم وأموالكم إن لم تقاتلوا للآخرة . وقيل (أو ادفعوا) العدو بتكثيركم سواد المجاهدين إن لم تقاتلوا لأن كثرة السواد مما تروّع العدو .

قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَـٰكُمْ (١) هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَـٰنِ (٢) يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ (٣) وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (٤) ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ (٥) قَالُوا لِإِخْوَٰنِهِمْ (٦) وَقَعَدُوا (٧) لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا (٨) قُلْ فَٱدْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ (٩) ﴿١٦٨﴾ .

(١) أى لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالا لاتبعنا كم . يعنون أن ما أنتم فيه لخطأ رأيكم ليس بشىء ولا يقال لمثله قتال إنما هو إلقاء النفس فى التهلكة .

(٢) يعنى أنهم كانوا يتظاهرون بالإيمان قبل ذلك وما ظهرت منهم أمارة تؤذن بكفرهم . فلما انخذلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الإيمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر . أو هم لأهل الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان لأن تقليلهم سواد المؤمنين بالانخذال تقوية للمشركين .

(٣) أى يظهرون خلاف ما يضمرون من الإيمان وغيره . والتقييد بالأفواه للتأكيد ونفى المجاز .

(٤) من النفاق .

(٥) أى ابن أبىّ وأصحابه. وهو فى موضع رفع على هم الذين قالوا. أو على الإبدال من واو يكتمون. أو نصب بإضمار أعنى. أو على البدل من الذين نافقوا. أو جر على البدل من الضمير فى أفواههم أو قلوبهم .

(٦) لأجل إخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم أحد .

(٧) أى قالوا وقد قعدوا عن القتال .

(٨) لو أطاعنا إخواننا فيما أمرناهم به من الانصراف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود ووافقونا فيه لما قتلوا كما لم نقتل .

(٩) بأن الحذر ينفع من القدر فخذوا حذركم من الموت . أو معناه قل إن كنتم صادقين فى أنكم وجدتم الى دفع القتل سبيلا وهو القعود عن القتال فجدوا الى دفع الموت سبيلا. وروى أنه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا .

وَلَا تَحْسَبَنَّ[1] ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟[2] فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ[3] عِندَ رَبِّهِمْ[4] يُرْزَقُونَ[5] ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ[6] بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ[7] وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ[8] لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم[9] مِّنْ خَلْفِهِمْ[10] أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ[11] وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾

(١) شامى وحمزة وعلىّ وعاصم ، وبكسر السين غيرهم . والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد . نزل فى قتلى أحد .

(٢) قُتّلوا شامى .

(٣) بل هم أحياء .

(٤) مقرّبون عنده ذوو زلفى .

(٥) مثل ما يرزق سائر الأحياء يأكلون ويشربون . وهو تأكيد لكونهم أحياء ووصف لحالهم التى هم عليها من التنعم برزق الله .

(٦) حال من الضمير فى يرزقون .

(٧) وهو التوفيق فى الشهادة وما ساق اليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم أحياء مقرّبين معجلا لهم رزق الجنة ونعيمها . وقال النبى عليه السلام لمّا أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر تدور فى أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش . وقيل هذا الرزق فى الجنة يوم القيامة . وهو ضعيف لأنه لا يبقى للتخصيص فائدة .

(٨) باخوانهم المجاهدين الذين (لم يلحقوا بهم) .

(٩) لم يقتلوا فيلحقوا بهم . أو (لم يلحقوا بهم) لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم .

(١٠) يريد الذين من خلفهم قد بقوا من بعدهم وهم قد تقدموهم .

(١١) بدل من الذين . والمعنى ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو أنهم يبعثون آمنين يوم القيامة . بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به . وفى ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث الباقين بعدهم على الجد فى الجهاد والرغبة فى نيل منازل الشهداء .

يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ[1] وَأَنَّ ٱللَّهَ[2] لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ[3] ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ[4] مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ[5] لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ[6] وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ[7] ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ[8] إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ[9]

(١) يسرون بما أنعم الله عليهم وما تفضل عليهم من زيادة الكرامة .

(٢) عطف على النعمة والفضل. و (إن الله) على" بالكسر على الاستئناف وعلى أن الجملة اعتراض .

(٣) بل يوفر عليهم .

(٤) مبتدا خبره (للذين أحسنوا) أو صفة للمؤمنين أو نصب على المدح .

(٥) الجرح. روى أن أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا وهمّوا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يرهبهم ويريهم من نفسه وأصحابه قوة فندب النبي أصحابه للخروج فى طلب أبى سفيان فخرج يوم الأحد من المدينة مع سبعين رجلا حتى بلغوا حمراء الأسد وهى من المدينة على ثمانية أميال وكان بأصحابه القرح فألقى الله الرعب فى قلوب المشركين فذهبوا . فنزلت

(٦) من للتبيين مثلها فى قوله (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة) لأن الذين استجابوا لله والرسول قد أحسنوا كلهم واتقوا ، لا بعضهم .

(٧) فى الآخرة .

(٨) بدل من الذين استجابوا .

(٩) روى أن أبا سفيان نادى عند انصرافه من أحد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل. فقال عليه السلام: إن شاء الله. فلما كان القابل خرج أبو سفيان فى أهل مكة فألقى الله الرعب فى قلبه فبدا له أن يرجع. فلقى نعيم بن مسعود الأشجعى وقد قدم معتمرا. فقال يا نعيم إنى واعدت محمدا أن نلتقى بموسم بدر. وقد بدا لى أن أرجع فالحق بالمدينة. فثبطهم ولك عندى عشرة من الإبل. فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم أتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم فوالله لا يفلت منكم أحد. فقال عليه السلام والله لأخرجن ولو لم يخرج معى أحد. فخرج فى سبعين راكبا وهم

فَاخْشَوْهُمْ(١) فَزَادَهُمْ(٢) إِيمَٰنًا(٣) وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ(٤) وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ(٥) ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ(٦) مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ(٧) لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ(٨) وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ(٩) وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ(١٠) ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ(١١) يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ(١٢) فَلَا تَخَافُوهُمْ(١٣) وَخَافُونِ(١٤)

يقولون (حسبنا الله ونعم الوكيل) حتى وافوا بدرا وأقاموا بها ثمانى ليال . وكانت معهم تجارة فباعوها وأصابوا خيرا ثم انصرفوا الى المدينة سالمين غانمين . ولم يكن قتال ورجع أبو سفيان الى مكة . فسمى أهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا إنما خرجتم لتأكلوا السويق . فالناس الأول نعيم . وهو جمع أريد به الواحد . أو كان له أتباع يثبطون مثل تثبيطه . والثانى أبو سفيان وأصحابه .

(١) فخافوهم .

(٢) أى المقول الذى هو (إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم) . أو القول أو نعيم .

(٣) بصيرة وإيقانا .

(٤) كافينا الله أى الذى يكفينا الله. يقال أحسبه الشيء اذا كفاه — وهو بمعنى المحسب بدليل أنك تقول هذا رجل حسبك فتصف به النكرة لأن إضافته غير حقيقية لكونه فى معنى اسم الفاعل .

(٥) ونعم الموكول اليه هو .

(٦) وهى السلامة وحذرُ العدوّ منهم .

(٧) وهو الربح فى التجارة فأصابوا بالدرهم درهمين .

(٨) لم يلقوا ما يسوءهم من كيد عدو. وهو حال من الضمير فى (انقلبوا) وكذا (بنعمة) والتقدير فرجعوا من بدر منعمين بريئين من سوء .

(٩) بجراءتهم وخروجهم الى وجه العدو على أثر تثبيطه . وهو معطوف على انقلبوا .

(١٠) قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا .

(١١) هو خبر (ذلكم) أى (إنّما ذلكم) المثبط هو (الشيطان) وهو نعيم .

(١٢) أى المنافقين . وهو جملة مستأنفة بيان لشيطنته . أو (الشيطان) صفة لاسم الإشارة و (يخوف) الخبر .

(١٣) أى أولياءه .

(١٤) وخافونى فى الوصل والوقف سهل ويعقوب . وافقهما أبو عمرو فى الوصل .

إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ(١) ﴿﴾ وَلَا يَحْزُنكَ(٢) ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ(٣) لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا(٤) يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا(٥) فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ(٦) عَذَابٌ عَظِيمٌ(٧) ﴿﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ(٨) لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا(٩) وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ(١٠) ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟(١١) أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ(١٢)

---

(١) لأن الإيمـان يقتضى أن يؤثر العبد خوف الله على خوف غيره.

(٢) يُحزنك فى كل القرآن نافع إلا فى سورة الأنبياء (لا يَحْزُنهم الفزع الأكبر).

(٣) يعنى لا يحزنوك لخوف أن يضروك ألا ترى الى قوله (إنهم لن يضرّوا الله شيئا).

(٤) أى أولياء الله يعنى أنهم لا يضرون بمسارعتهم فى الكفر غير أنفسهم وما وبال ذلك عائدا على غيرهم. ثم بيّن كيف يعود وباله عليهم بقوله (يريد الله الّا يجعل لهم حظّا فى الآخرة).

(٥) أى نصيبا من الثواب.

(٦) بدل الثواب.

(٧) وذلك أبلغ ما ضرّ به الإنسان نفسه. والآية تدل على إرادة الكفر والمعـاصى لأن إرادته ألا يكون لهم ثواب فى الآخرة لا تكون بدون إرادة كفرهم ومعاصيهم.

(٨) أى استبدلوه به.

(٩) هو نصب على المصـدر أى شيأ من الضرر. الآية الأولى فيمن نافق من المتخلفين او ارتد عن الإسلام، والثانية فى جميع الكفار. أو على العكس.

(١٠) وثلاثة بعدها مع ضم الباء فى (يحسبنهم) بالياء مكى وأبو عمرو. وكلها بالتاء حمزة. وكلها بالياء مدنى وشامى إلا (فلا تحسبنهم) فانها بالتاء. الباقون الأوليان بالياء والأخريان بالتاء.

(١١) فيمن قرأ بالياء رفع أى ولا يحسبن الكافرون.

(١٢) أنّ مع اسمه وخبره فى موضع المفعولين ليحسبن والتقدير (ولا يحسبن الذين كفروا) إملاءنا خيرا لأنفسهم. وما مصدرية وكان حقها فى قياس علم الخط أن تكتب مفصولة ولكنها وقعت فى الأمام متصلة فلا يخالف.

إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا[1] وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ[2] ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ[3] حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ[4] وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ[5] وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ[6] فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ[7]

وفيمن قرأ بالتاء نصب أى ولا تحسبن الكافرين . و(أنما نملى لهم خير لأنفسهم) بدل من الكافرين أى ولا تحسبن أن ما نملى للكافرين خير لهم . وأن مع ما فى حيزه ينوب عن المفعولين . والإملاء لهم إمهالهم و إطالة عمرهم .

(١) ما هذه حقها أن تكتب متصلة لأنها كافة دون الأولى . وهذه جملة مستأنفة تعليل للجملة قبلها كأنه قيل ما بالهم لا يحسبون الإملاء خيرا لهم؟ فقيل (إنما نملى لهم ليزدادوا إثما) . والآية حجة لنا على المعتزلة فى مسألتى الأصلح و إرادة المعاصى .

(٢) اللام لتأكيد النفى .

(٣) من اختلاط المؤمنين الخلص والمنافقين .

(٤) حتى يعزل المنافق عن المخلص. يُميّز حمزة وعلى . والخطاب فى (أنتم) للمصدّقين من أهل الإخلاص والنفاق . كأنه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التى أنتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض حتى يميزهم منكم بالوحى الى نبيه و إخباره بأحوالكم .

(٥) وما كان الله ليؤتى أحدا منكم علم الغيوب فلا تتوهموا عند إخبار الرسول بنفاق الرجل و إخلاص الآخر أنه يطّلع على ما فى القلوب اطّلاع الله فيخبر عن كفرها و إيمانها .

(٦) أى ولكن الله يرسل الرسول فيوحى إليه ويخبره بأن فى الغيب كذا وأن فلانا فى قلبه النفاق وفلانا فى قلبه الإخلاص فيعلم ذلك من جهة إخبار الله لا من جهة نفسه . والآية حجة على الباطنية فانهم يدعون ذلك العلم لإمامهم فان لم يثبتوا النبوة له صاروا مخالفين للنص حيث أثبتوا علم الغيب لغير الرسول . و إن أثبتوا النبوة له صاروا مخالفين لنص اخر وهو قوله (وخاتم النبيين) .

(٧) بصفة الإخلاص .

وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا(١) فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ(٢) ۝ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم(٣) بَلْ هُوَ شَرٌّ(٤) لَّهُمْ(٥) سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ(٦) وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ(٧) وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ(٨) ۝ لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ(٩) وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ

---

(١) النفاق .

(٢) فى الآخرة .

(٣) نزل فى مانعى الزكاة . من قرأ بالتاء قدر مضافا محذوفا أى ولا تحسبن بخل الباخلين . و (هو) فصل . و (خيرا لهم) مفعول ثان . وكذا من قرأ بالياء وجعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله أو ضمير أحد . ومن جعل فاعله الذين يبخلون كان التقدير (ولا يحسبن الذين يبخلون) بخلهم (هو خيرا لهم) وهو فصل وخيرا لهم مفعول ثان .

(٤) أى البخل .

(٥) لأن أموالهم ستزول عنهم ويبقى عليهم وبال البخل .

(٦) تفسيرلقوله (بل هو شر لهم) أى سيجعل مالهم الذى منعوه عن الحق طوقا فى أعناقهم كما جاء فى الحديث من منع زكاة ماله يصير حية ذكرا أقرع له نابان فيطوّق فى عنقه فينهشه ويدفعه إلى النار .

(٧) وله ما فيهما مما يتوارثه أهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه فى سبيل الله . والأصل فى ميراث موارث فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها .

(٨) وبالياء مكى وأبو عمرو فالتاء على طريقة الالتفات وهو أبلغ فى الوعيد . والياء على الظاهر .

(٩) قال ذلك اليهود حين سمعوا قوله تعالى (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) وقالوا إن إله محمد يستقرض منا فنحن إذا أغنياء وهو فقير. ومعنى سماع الله له أنه لم يخف عليه وأنه أعدّ له كفاء من العقاب .

سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ

(١) سنأمر الحفظة بكتابة ما قالوا فى الصحائف . أو سنحفظه إذ الكتاب من الخلق ليحفظ ما فيه فسمى به مجازا . وما مصدرية أو بمعنى الذى .

(٢) معطوف على ما . جعل قتلهم الأنبياء قرينة له إيذانا بأنهما فى العِظَم أخوان، وأن من قتل الأنبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول .

(٣) لهم يوم القيامة .

(٤) أى عذاب النار كما أذقتم المسلمين الغصص . قال الضحاك يقول لهم ذلك خزنة جهنم . وإنما أضيف إلى الله تعالى لأنه بأمره كما فى قوله (سنكتب) . سيُكتَب وقتلهم ويقول حمزة

(٥) إشارة إلى ما تقدّم من عقابهم .

(٦) أى ذلك العذاب بما قدّمتم من الكفر والمعاصى . والإضافة إلى اليد لأن أكثر الأعمال يكون بالأيدى فجعل كل عمل كالواقع بالأيدى على سبيل التغليب . ولأنه يقال للآمر بالشيء فاعله فذكر الأيدى للتحقيق يعنى أنه فعل نفسه لا غيره بأمره .

(٧) وبأن الله لا يظلم عباده فلا يعاقبهم بغير جرم .

(٨) فى موضع جر على البدل من (الذين قالوا). أو نصب بإضمار أعنى. أو رفع بإضمار هم.

(٩) أمرنا فى التوراة وأوصانا .

(١٠) بألا نؤمن .

(١١) أى يقرّب قربانا فتنزل نار من السماء فتأكله . فان جئتنا به صدقناك . وهذه دعوى باطلة وافتراء على الله لأن أكل النار القربان سبب الإيمان للرسول الآتى به لكونه معجزة فهو إذا وسائر المعجزات سواء .

قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِٱلْبَيِّنَٰتِ (١) وَبِٱلَّذِي قُلْتُمْ (٢) فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ (٣) إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٤) ۝ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ (٥) جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ (٦) وَٱلزُّبُرِ (٧) وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ۝ كُلُّ نَفْسٍ (٨) ذَآئِقَةُ (٩) ٱلْمَوْتِ (١٠) وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ (١١) فَمَن زُحْزِحَ (١٢) عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ (١٣)

---

(١) بالمعجزات سوى القربان .

(٢) أى بالقربان. يعنى قد جاء أسلافكم الذين أنتم على ملتهم وراضون بفعلهم .

(٣) أى إن كان امتناعكم عن الإيمان لأجل هذا فلمَ لم تؤمنوا بالذين أتوا به ؟ ولم قتلتموهم؟ .

(٤) فى قولكم إنما نؤخر الإيمان لهذا .

(٥) فإن كذبك اليهود فلا يهولنك فقد فعلت الأمم بأنبيائها كذلك .

(٦) بالمعجزات الظاهرات .

(٧) الكتب جمع زبور من الزبر وهو الكتابة . (وبالزبر) شامى .

(٨) جلسه .

(٩) المضىء . قيل هما واحد فى الأصل . وإنما ذكرا لاختلاف الوصفين . فالزبور كتاب فيه حكم زاجرة . والكتاب المنير هو الكتاب الهادى .

(١٠) مبتدأ والخبر(ذائقة) . وجاز الابتداء بالنكرة لما فيه من العموم . والمعنى لا يحزنك تكذيبهم إياك فمرجع الخلق إلىّ فأجازيهم على التكذيب وأجازيك على الصبر وذلك قوله : (وإنما توفّون أجوركم يوم القيامة) .

(١١) أى تعطون ثواب أعمالكم على الكمال يوم القيامة فان الدنيا ليست بدار الجزاء .

(١٢) بعد والزحزحة الإبعاد .

(١٣) ظفر بالخير . وقيل فقد حصل له الفوز المطلق وقيل الفوز نيل المحبوب والبعد عن المكروه .

وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ[1] ۝ لَتُبْلَوُنَّ[2] فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ[3] وَأَنفُسِكُمْ[4] وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ[5] وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا[6] وَإِن تَصْبِرُوا۟[7] وَتَتَّقُوا۟[8] فَإِنَّ ذَٰلِكَ[9] مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ[10] ۝ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ[11] لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ[12]

(١) شبه الدنيا بالمتاع الذى يدلّس به على المستام ويغتر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته . والشيطان هو المدلس الغرور . وعن سعيد بن جبير إنما هذا لمن آثرها على الآخرة . فأما من طلب الآخرة بها فانها متاع بلاغ . وعن الحسن كخضرة النبات ولعب البنات لا حاصل لها .

(٢) والله لتبلون أى لتختبرن .

(٣) بالإنفاق فى سبيل الله وبما يقع فيها من الآفات .

(٤) بالقتل والأسر والجراح وما يرد عليها من أنواع المخاوف والمصائب . وهذه الآية دليل على أن النفس هى الجسم المعاين دون ما فيه من المعنى الباطن كما قال بعض أهل الكلام والفلاسفة كذا فى شرح التأويلات .

(٥) يعنى اليهود والنصارى .

(٦) كالطعن فى الدين وصدّ من أراد الإيمان وتخطئة من آمن ونحو ذلك .

(٧) على أذاهم .

(٨) مخالفة أمر الله .

(٩) فان الصبر والتقوى .

(١٠) من معزومات الأمور أى مما يجب العزم عليه من الأمور خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا أنفسهم على احتمال ما سيلقون من الشدائد والصبر عليها حتى اذا لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه .

(١١) واذكر وقت أخذ الله ميثاق أهل الكتاب .

(١٢) عن الناس . بالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله : (وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن) . وبالياء مكى وأبو عمرو وأبو بكر لأنه غيب . والضمير للكتاب . أكد عليهم إيجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه (فنبذوه وراء ظهورهم) .

فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ[1] وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا[2] فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ۝ لَا تَحْسَبَنَّ[3] ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ[4] بِمَآ أَتَواْ[5] وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ[6] وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ[7] ۝ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ[8] وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ[9] ۝ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

(١) فنبذوا الميثاق وتأكيده عليهم أى لم يراعوه ولم يلتفتوا اليه . والنبذ وراء الظهر مثل فى الطرح وترك الاعتداد . وهو دليل على أنه يجب على العلماء أن يبينو الحق للناس وما علموه وألا يكتموا منه شيئا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم أو لجر منفعـة أو دفع أذية أو لبخل بالعلم . وفى الحديث من كتم علما عن أهله ألجمه الله بلجام من نار .

(٢) عرضا يسيرا .

(٣) الخطاب لرسول الله .

(٤) أحد المفعولين . والثانى (بمفازة) وقوله (فلا تحسبنهم) تأكيد . تقديره لا تحسبنهم فائزين .

(٥) بما فعلوا وهى قراءة أبىّ . وجاء وأتى يستعملان بمعنى فعل (إنه كان وعده مأتيًّا . لقد جئت شيئا فريًّا) . وقرأ النخعى بما آتوا أى أعطوا .

(٦) بمنجاة منه .

(٧) مؤلم . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شىء مما فى التوراة فكتموا الحق وأخبروه بخلافه وأروه أنهم قد صـدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا من تدليسهم . فأطلع الله رسوله على ذلك وسلّاه بما أنزل من وعيدهم . أى لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون أن تحمدهم بما لم يفعلوا من إخبارك بالصدق عما سألتهم عنه، ناجين من العذاب. وقيل هم المنافقون يفرحون بما أتوا من إظهار الإيمان للسلمين وتوصّلهم بذلك الى أغراضهم ويستحمدون إليهم بالإيمان الذى لم يفعلوه على الحقيقة . وفيه وعيد لمن يأتى بحسنة فيفرح بها فرح إعجاب ويحب أن يحمده الناس بما ليس فيه .

(٨) فهو يملك أمرهما . وفيه تكذيب لمن قال (إن الله فقير) .

(٩) فهو يقدر على عقابهم .

وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ(١) لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ(٢) ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ(٣) يَذْكُرُونَ(٤) ٱللَّهَ قِيَٰمًا(٥) وَقُعُودًا(٦) وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ(٧) وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ(٨)

(١) لأدلة واضحة على صانع قديم عليم حكيم قادر .

(٢) لمن خلص عقله عن الهوى خلوص اللب عن القشر . فيرى أن العرض المحدث فى الجواهر يدل على حدوث الجواهر لأن جوهرا ما لاينفك عن عرض حادث وما لا يخلو عن الحادث فهو حادث . ثم حدوثها يدل على محدثها وذا قديم وإلا لاحتاج إلى محدث آخر إلى ما لا يتناهى. وحسن صنعه يدل على علمه. وإتقانه يدل على حكمته . وبقاؤه يدل على قدرته. قال عليه السلام ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها . وحكى أنه كان فى بنى إسرائيل من إذا عبد الله ثلاثين سنة أظلته سحابة فعبدها فتى فلم تظله فقالت له أمه لعل فرطة فرطت منك فى مدتك قال ما أذكر قالت لعلك نظرت مرة إلى السماء ولم تعتبر قال لعل قالت فما أوتيت إلا من ذلك .

(٣) فى موضع جر نعت لأولى أو نصب باضمار أعنى أو رفع باضمار هُم .

(٤) يصلّون .

(٥) قائمين عند القدرة .

(٦) قاعدين .

(٧) أى مضطجعين عند العجز . وقياما وقعودا حالان من ضمير الفاعل فى (يذكرون) . و (على جنوبهم) حال أيضا . أو المراد الذكر على كل حال لأن الإنسان لا يخلو عن هذه الأحوال وفى الحديث من احب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله .

(٨) وما يدل عليه اختراع هذه الأجرام العظام وإبداع صنعتها وما دبّر فيها مما تكل الأفهام عن إدراك بعض عجائبه ، من عظم شأن الصانع وكبرياء سلطانه . وعن النبى عليه السلام بينا رجل مستلق على فراشه إذ رفع رأسه فنظر إلى النجوم وإلى السماء فقال أشهد أن لك ربا وخالقا اللهم اغفر لى فنظر الله إليه فغفر له . وقال عليه السلام لا عبادة كالتفكر. وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية وما جليت القلوب بمثل الأحزان ولا استنارت بمثل الفكر .

رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا(١) سُبْحَٰنَكَ(٢) فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ(٣) ۝ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ(٤) وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ(٥) مِنْ أَنصَارٍ(٦) ۝ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا(٧) يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ(٨) أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ(٩) فَـَٔامَنَّا(١٠) رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا(١١)

(١) أى يقولون ذلك. وهو فى محل الحال أى يتفكرون قائلين. والمعنى ماخلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لحكمة عظيمة وهو أن تجعلها مساكن للمكلفين وأدلة لهم على معرفتك. وهذا إشارة إلى الخلق على أن المراد به المخلوق أو إلى السموات والأرض لأنها فى معنى المخلوق كأنه قيل ما خلقت هذا المخلوق العجيب باطلا .

(٢) تنزيها لك عن الوصف بخلق الباطل . وهو اعتراض .

(٣) الفاء دخلت لمعنى الجزاء تقديره إذا نزهناك (فقنا عذاب النار) .

(٤) أهنته أو أهلكته أو فضحته. واحتج أهل الوعيد بالآية مع قوله (يوم لايخزى الله النبى والذين امنوا معه) فى أن من يدخل النار لا يكون مؤمنا ويخلد . قلنا قال جابر إخزاء المؤمن تأديبه وإن فوق ذلك لخزيا .

(٥) اللام إشارة إلى من يدخل النار والمراد الكفار .

(٦) من أعوان وشفعاء يشفعون لهم كالمؤمنين .

(٧) تقول سمعت رجلا يقول كذا فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع لأنك وصفته بما يسمع فأغناك عن ذكره ولولا الوصف لم يكن منه بد، وأن يقال سمعت كلام فلان . والمنادى هو الرسول عليه السلام أو القرآن .

(٨) لأجل الإيمان بالله وفيه تفخيم لشأن المنادى إذ لا منادى أعظم من مناد ينادى للإيمان .

(٩) بأن آمنوا أو أى آمنوا .

(١٠) قال الشيخ أبو منصور رحمه الله فيه دليل بطلان الاستثناء فى الإيمان .

(١١) كبائرنا .

وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا(١) وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ(٢) ۝ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ(٣) وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ(٤) ۝ فَٱسۡتَجَابَ(٥) لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي(٦) لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٖ مِّنكُم(٧) مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ(٨) بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ(٩)

(١) صغائرنا .

(٢) مخصوصين بصحبتهم معدودين فى جملتهم . والأبرار المتمسكون بالسنة جمع بر أو بار كرب وأرباب وصاحب وأصحاب .

(٣) أى على تصديق رسلك أو ما وعدتنا منزلا على رسلك أو على ألسنة رسلك . و(على) متعلق بوعدتنا . والموعود هو الثواب أو النصرة على الأعداء . وإنما طلبوا إنجاز ما وعد الله والله لا يخلف الميعاد لأن معناه طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم أسباب إنجاز الميعاد . أو المراد اجعلنا ممن لهم الوعد إذ الوعد غير مبيَّن لمن هو . أو المراد ثبتنا على ما يوصلنا إلى عدتك . يؤيده قوله (ولا تخزنا يوم القيامة) . أو هو إظهار للخضوع والضراعة .

(٤) هو مصدر بمعنى الوعد .

(٥) أى أجاب يقال استجاب له واستجابه .

(٦) بأنى .

(٧) منكم صفة لعامل .

(٨) بيان لعامل .

(٩) الذكر من الأنثى والأنثى من الذكر كلكم بنو آدم . أو بعضكم من بعض فى النصرة والدين . وهذه جملة معترضة بُينت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله به عباده العاملين. عن جعفر الصادق رضى الله عنه من حزبه أمر فقال خمس مرات (ربنا) أنجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراد . وقرأ الآيات .

فَالَّذِينَ هَاجَرُوا۟[١] وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ[٢] وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى[٣] وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟[٤] لَأُكَفِّرَنَّ[٥] عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا[٦] مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ[٧] ۝ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ[٨] ۝ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ[٩] ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ

(١) مبتدأ وهو تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له كأنه قال فالذين عملوا هذه الأعمال السنية الفائقة وهى المهاجرة عن أوطانهم فارين إلى الله بدينهم إلى حيث يأمنون عليه . فالهجرة كائنة فى آخر الزمان كما كانت فى أول الإسلام .

(٢) التى ولدوا فيها ونشئوا.

(٣) بالشتم والضرب ونهب المال . يريد سبيل الدين .

(٤) وغزوا المشركين واستشهدوا. وقُتّلوا مكى وشامى.(وقتلوا وقاتلوا) على التقديم والتأخير حمزة وعلىّ . وفيه دليل على أن الواو لا توجب الترتيب .

(٥) الخبر . وهو جواب قسم محذوف .

(٦) فى موضع المصدر المؤكد يعنى إثابة أو تثويبا . لأن قوله : (لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم) فى معنى لأثيبنهم .

(٧) أى يختص به ولا يقدر عليه غيره .

(٨) روى أن طائفة من المؤمنين قالوا إن أعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع فنزل . والخطاب لكل أحد . أو للنبى عليه السلام والمراد به غيره. أو لأن مدره القوم ومقدّمهم يخاطب بشىء فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعا فكأنه قيل لايغرنكم. أو لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غير مغرور بحالهم فأكد عليه ما كان عليه وثبّت على التزامه كقوله : (فلا تكونن ظهيرا للكافرين . ولا تكونن من المشركين). وهذا فى النهى نظير قوله فى الأمر: (اهدنا الصراط المستقيم . يا أيها الذين آمنوا آمِنوا) .

(٩) خبر مبتدأ محذوف أى تقلبهم فى البلاد متاع قليل. وأراد قلته فى جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة أو فى جنب ما أعد الله للمؤمنين من الثواب أو أراد أنه قليل فى نفسه لانقضائه وكل زائل قليل .

وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ(١) ۝ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ(٢) لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا(٣) مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ(٤) وَمَا عِندَ ٱللَّهِ(٥) خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ(٦) ۝ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ(٧) وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ(٨) وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ(٩) خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ(١٠) بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا(١١) أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ

(١) وساء ما مهدوا لأنفسهم .

(٢) عن الشرك . لكن بالتشديد يزيد . وهو للاستدراك أى لا بقاء لتمتعهم لكن ذلك للذين اتقوا .

(٣) النُّزْل والنُّزُل ما يقام للنازل . وهو حال من جنات لتخصصها بالصفة والعامل اللام فى لهم ؛ أو هو مصدر مؤكد كأنه قيل رزقا أو عطاء .

(٤) صفة له .

(٥) من الكثير الدائم .

(٦) مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل .

(٧) نزلت فى ابن سلام وغيره من مسلمى اهل الكتاب أو فى أربعين من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم وكانوا على دين عيسى عليه السلام فأسلموا . دخلت لام الابتداء على اسم إن لفصل الظرف بينهما .

(٨) من القرآن .

(٩) من الكتابين .

(١٠) حال من فاعل يؤمن لأن من يؤمن فى معنى الجمع .

(١١) كما يفعل من لم يسلم من أحبارهم وكبارهم وهو حال بعد حال أى غير مشترين .

أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ (١) إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ (٢) ۝ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ (٣)
وَصَابِرُوا۟ (٤) وَرَابِطُوا۟ (٥) وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٦) ۝

(١) أى ما يختص بهم من الأجر. وهو ما وعده فى قوله (أولئك يؤتون أجرهم مرتين) .

(٢) لنفوذ علمه فى كل شىء .

(٣) على الدين وتكاليفه . قال الجنيد رضى الله عنه الصبر حبس النفس على المكروه بنفى الجزع .

(٤) أعداء الله فى الجهاد أى غالبوهم فى الصبر على شـدائد الحرب لا تكونوا أقل صبرا منهم وثباتا .

(٥) وأقيموا فى الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو .

(٦) الفلاح البقاء مع المحبوب بعد الخلاص عن المكروه . ولعل لتغييب المآل لئلا يتكلوا على الآمال عن تقديم الأعمال . وقيل اصبروا فى محبتى وصابروا فى نعمتى ورابطوا انفسكم فى خدمتى لعلكم تفلحون تظفرون بقربتى. قال النبى صلى الله عليه وسلم اقرءوا الزهراوين البقرة وآل عمران فانهما ياتيان يوم القيامة كانهما غمامتان أو غيابتان أو فرقان من طير صـواف تحاجان عن اصحابهما . والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمـآب .

سورة النساء مدنية

وهى مائة وست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ(١) ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ(٢) وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا(٣) وَبَثَّ مِنْهُمَا(٤) رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً(٥) وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى

(١) يا بنى ادم .

(٢) فرّعكم من أصل واحد وهو نفس آدم أبيكم .

(٣) معطوف على محذوف كانه قيل من نفس واحدة أنشأها وخلق منها زوجها . والمعنى شعّبكم من نفس واحدة هـذه صفتها وهى أنه أنشأها من تراب وخلق منها زوجها حواء من ضلع من أضلاعه (وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) . فوصفها بصفة هى بيان وتفصيل لكيفية خلقهم منها. أو على خلقكم والخطاب فى (ياأيها الناس) للذين بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . والمعنى خلقكم من نفس آدم وخلق منها أمكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الأمم الفائتة للحصر .

(٤) ونشر من ادم وحواء .

(٥) كثيرة أى وبث منهما نوعى جنس الإنس وهما الذكور والإناث .

فان قلت الذى تقتضيه جزالة النظم أن يجاء عقيب الامر بالتقوى بما يدعو إليها فكيف كان خلقه إياهم من نفس واحدة على التفصيل الذى ذكره داعيا إليها؟ قلت لأن ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه كان قادرا على كل شىء ومن المقدورات عقاب الكفار والفجار فالنظر فيه يؤدى إلى أنْ يَتقِيَ القادر عليه ويخشى عقابه؛ ولأنه يدل على النعمة السابغة عليهم فحقهم أن يتقوه فى كفرانها . قال عليه السلام عند نزول الآية خلقت المرأة من الرجل فهمها فى الرجل وخلق الرجل من التراب فهمه فى التراب .

تَسَآءَلُونَ بِهِۦ[(١)] وَٱلْأَرْحَامَ[(٢)] إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا[(٣)] ۞ وَءَاتُواْ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَ ٰلَهُمْ[(٤)] وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ[(٥)] وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَ ٰلَهُمْ إِلَىٰٓ[(٦)] أَمْوَ ٰلِكُمْ إِنَّهُۥ[(٧)]

(١) والأصل تتساءلون فأدغمت التاء فى السين بعـد إبدالها سينا لقرب التاء من السين للهمس . تساءلون به بالتخفيف كوفى على حذف التاء الثانية استثقالا لاجتماع التاءين . أى يسأل بعضكم بعضا بالله و بالرحم فيقول بالله و بالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف .

(٢) بالنصب على أنه معطوف على اسم الله تعالى أى واتقوا الأرحام أن تقطعوها أوعلى موضع الجـار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا . أو بالجر حمزة، على عطف الظـاهر على الضمير وهو ضعيف لأن الضمير المتصل كاسمه متصـل والجار والمجرور كشىء واحد فأشـبه العطف على بعض الكلمة .

(٣) حافظا أو عالمـا .

(٤) يعنى الذين مات آباؤهم فانفردوا عنهم. واليتم الانفراد ومنه الدرة اليتيمة. وقيل اليتم فى الأناسى من قبل الآباء وفى البهائم من قبل الأمهات. وحق هذا الاسم أن يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء إلا أنه قد غلب أن يسمّوا به قبل أن يبلغوا مبلغ الرجال فإذا استغنوا بأنفسهم عن كافل وقائم عليهم زال هذا الاسم عنهم . وقوله عليه السلام لايتم بعد الحلم، تعليم شريعة لالغة . يعنى أنه إذا احتلم لم تجر عليه أحكام الصغار . والمعنى وآتو اليتامى أموالهم بعد البلوغ . وسماهم يتامى لقرب عهدهم — إذا بلغوا — بالصغر . وفيه إشارة إلى ألا يؤخر دفع أموالهم إليهم عن حد البلوغ إن أونس منهم الرشد وأن يؤتوها قبل أن يزول عنهم اسم اليتامى والصغار .

(٥) ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم . أو لا تستبدلوا الأمر الخبيث وهو اختزال أموال اليتامى بالأمر الطيب وهو حفظها والتورع عنها . والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز ومنه التعجل بمعنى الاستعجال .

(٦) إلى متعلقة بمحذوف وهو فى موضع الحال أى مضافة إلى أموالكم . والمعنى ولا تضموها إليها فى الإنفاق حتى لا تفرقوا بين أموالكم وأموالهم قلة مبالاة بمـالا يحل لكم وتسوية بينـه و بين الحلال .

(٧) إن أكلها .

كَانَ حُوبًا كَبِيرًا[1] ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا[2] فِي الْيَتَامَىٰ[3] فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم[4] مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ[5] فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا[6] فَوَاحِدَةً[7]

---

(١) ذنبا عظيما .

(٢) أى لا تعدلوا . أقسط أى عدل .

(٣) يقال للإناث اليتامى كما يقال للذكور وهو جمع يتيمة ويتيم وأما أيتام بجمع يتيم لا غير .

(٤) ما حل لكم (من النساء) . لأن منهن ما حرم الله كاللاتى فى آية التحريم. وقيل (ما) ذهابا إلى الصفة لأن ما يجيء فى صفات من يعقل فكأنه قيل الطيبات من النساء. ولأن الإناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء . ومنه قوله تعالى (أو ما ملكت أيمانكم) . قيل كانوا لا يتحرجون من الزنا ويتحرجون من ولاية اليتامى فقيل إن خفتم الجور فى حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات. أو كانوا يتحرجون من الولاية فى أموال اليتامى ولا يتحرجون من الاستكثار من النساء مع أن الجور يقع بينهن إذا كثرن فكأنه قيل إذا تحرجتم من هذا فتحرجوا من ذلك. وقيل (وإن خفتم ألا تقسطوا فى) نكاح (اليتامى فانكحوا) من البالغات . يقال طابت الثمرة أى أدركت .

(٥) نكرات. وإنما منعت الصرف للعدل والوصف وعليه دل كلام سيبويه. ومحلهن النصب على الحال من النساء أو مما طاب تقديره فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا . فإن قلت الذى أطلق للناكح فى الجمع أن يجمع بين اثنتين أو ثلاث أو أربع فما معنى التكرير فى مثنى وثلاث ورباع؟ قلت الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما أراد من العدد الذى أطلق له. كما تقول للجماعة اقتسموا هذا المال وهو ألف درهم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة . ولو أفردت لم يكن له معنى . وجيء بالواو لتدل على تجويز الجمع بين الفِرَق ولو جيء بأو مكانها لذهب معنى التجويز .

(٦) بين هذه الأعداد .

(٧) فالزموا أو فاختاروا واحدة .

أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ[(١)] ذَٰلِكَ[(٢)] أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ[(٣)] ﴿٣﴾ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ[(٤)] نِحْلَةً[(٥)] فَإِن طِبْنَ لَكُمْ[(٦)] عَن شَىْءٍ مِّنْهُ[(٧)] نَفْسًا[(٨)] فَكُلُوهُ[(٩)]

(١) سوى فى اليسر بين الحرة الواحدة و بين الإماء من غير حصر .

(٢) إشارة إلى اختيار الواحدة والتسرى .

(٣) أقرب من ألا تميلوا ولا تجوروا يقال عال الميزان عولا إذا مال وعال الحاكم فى حكمه إذا جار . ويحكى عن الشافعى رحمه الله أنه فسر (ألا تعولوا) ألا تكثر عيالكم . واعترضوا عليه بأنه يقال أعال يعيل إذا كثر عياله . وأجيب بأن يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم كقولك مانهم يمونهم إذا أنفق عليهم . لأن من كثر عياله لزمه أن يعولهم وفى ذلك ما يصعّب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال. وكلام مثله من أعلام العلم حقيق بالحمل على السداد وألا يظن به تحريف تعيلوا إلى تعولوا كأنه سلك فى تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات .

(٤) مهورهن .

(٥) من نحله كذا إذا أعطاه إياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا. وإنتصابها على المصدر لأن النحلة والإيتاء بمعنى الإعطاء فكأنه قال وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة أى أعطوهن مهورهن عن طيبة أنفسكم. أو على الحال من المخاطبين أى آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبى النفوس بالإعطاء . أو من الصدقات أى منحولة معطاة عن طيبة الأنفس . وقيل نحلة من الله تعالى عطية من عنده وتفضلا منه عليهن . وقيل النحلة الملة وفلان ينتحل كذا أى يدين به يعنى وآتوهن مهورهن ديانة على أنها مفعول لها . والخطاب للأزواج وقيل للأولياء لأنهم كانوا يأخذون مهور بناتهم .

(٦) للأزواج .

(٧) أى من الصداق إذ هو فى معنى الصدقات .

(٨) تمييز. وتوحيدها لأن الغرض بيان الجنس والواحد يدل عليه . والمعنى فإن وهبن لكم شيئا من الصدقات وتجافت عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن إلى الهبة من شكاسة أخلاقكم وسوء معاشرتكم. وفى الآية دليل على ضيق المسلك فى ذلك ووجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب النفس فقيل : (فإن طبن لكم عن شىء منه نفسا) ولم يقل فإن وهبن لكم إعلاما بأن المراعى هو تجافى نفسها عن الموهوب طيبة .

(٩) الهاء يعود على شىء .

هَنِيٓـٔٗا(١) مَّرِيٓـٔٗا(٢) ۝ وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ(٣) أَمۡوَٰلَكُمُ(٤) ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا(٥) وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا(٦) وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا(٧) ۝ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ(٨)

(١) لا إثم فيه .

(٢) لا داء فيه . فسرهما النبي عليه السلام . أو هنيئا فى الدنيا بلا مطالبة مريئا فى العقبى بلا تبعة . وهما صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ إذا كان سائغا لا تنغيص فيه . وهما وصف مصدر أى أكلا هنيئا مريئا أو حال من الضمير أى كلوه وهو هنىء مرئ . وهذه عبارة عن المبالغة فى الإباحة و إزالة التبعة . هنيا مريا بغير همز يزيد . وكذا حمزة فى الوقف . وهمزهما الباقون . وعن علىّ رضى الله عنه إذا اشتكى أحدكم شيئا فليسأل امرأته ثلاثة دراهم من صداقها ثم ليشتر بها عسلا فليشربه بماء السماء فيجمع الله له هنيئا ومريئا وشفاء ومباركا .

(٣) المبذرين أموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغى ولا قدرة لهم على إصلاحها وتثميرها والتصرف فيها . والخطاب للأولياء .

(٤) أضاف إلى الأولياء أموال السفهاء لأنهم يلونها ويمسكونها .

(٥) أى قواما لأبدانكم ومعاشا لأهلكم وأولادكم . قِيَمًا بمعنى قياما نافع وشامى كما جاء عوذا بمعنى عياذا . وأصل قيام قوام فجعلت الواو ياء لانكسار ما قبلها . وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن . ولأن أترك مالًا يحاسبنى الله عليه خير من أن أحتاج إلى الناس. وعن سفيان — وكان له بضاعة يقلبها — لولاها لتمندل بى بنو العباس .

(٦) واجعلوها مكانا لرزقهم بأن تتجروا فيها وتربحوا حتى تكون نفقتهم من الأرباح لا من صلب المال فيأكلها الإنفاق .

(٧) قال ابن جريج : عدة جميلة : إن صَلَحتم ورَشَدتم سلمنا إليكم أموالكم . وكل ما سكنت إليه النفس لحسنه عقلا أو شرعا من قول أو عمل فهو معروف. وما أنكرته لقبحه فهو منكر .

(٨) واختبروا عقولهم وذوقوا أحوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ . فالابتلاء عندنا أن يدفع إليه ما يتصرف فيه حتى تتبين حاله فيما يجىء منه . وفيه دليل على جواز إذن الصبى العاقل فى التجارة .

حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ(١) فَإِنْ ءَانَسْتُم(٢) مِّنْهُمْ رُشْدًا(٣) فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ(٤) وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ(٥) وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ(٦) فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ(٧)

---

(١) أى الحُـلم لأنه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود به وهو التوالد .

(٢) تبينتم .

(٣) هداية فى التصرفات وصلاحا فى المعاملات .

(٤) من غير تأخير عن حدّ البلوغ . ونظم هذا الكلام أن ما بعد حتى إلى (فادفعوا إليهم أموالهم) جعل غاية للابتلاء . وهى حتى التى تقع بعدها الجمل كالتى فى قوله " حتى ماء دجلة أشكل" والجملة الواقعة بعدها جملة شرطية لأن إذا متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح وقوله (فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم) جملة من شرط وجزاء واقعة جوابا للشرط الأول الذى هو إذا بلغوا النكاح فكأنه قيل وابتلوا اليتامى إلى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع أموالهم إليهم بشرط إيناس الرشد منهم . وتنكير الرشد يفيد أن المراد رشد مخصوص وهو الرشد فى التصرف والتجارة أو يفيد التقليل أى طرفا من الرشد حتى لا ينتظر به تمام الرشد . وهو دليل لأبى حنيفة رحمه الله فى دفع المـال عند بلوغ خمس وعشرين سنة .

(٥) ولا تأكلوها مسرفين ومبادرين كبرهم . فإسرافا وبدارا مصدران فى موضع الحـال و (أن يكبروا) فى موضع المصدر منصوب الموضع ببدارا . ويجوز أن يكونا مفعولا لهما . أى لإسرافكم ومبادرتكم كبرهم تُفرِّطون فى إنفاقها وتقولون ننفق فيما نشتهى قبـل أن يكبر اليتامى فينتزعوها من أيدينـا .

(٦) قسم الأمر بين أن يكون الوصى غنيا وبين أن يكون فقيرا فالغنى يستعفّ من أكلها أى يحترز من أكل مال اليتيم . واستعف أبلغ من عف كأنه طالب زيادة العفـة . والفقير يأكل قوتا مقدّرا محتاطا فى أكله . عن إبراهيم ما سدّ الجوعة ووارى العورة .

(٧) بأنهم تسلموها وقبضوها دفعا للتجاحد وتفاديا عن توجه اليمين عليكم عنـد التخاصم والتناكـر .

وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا(١) ۝ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ(٢) مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ(٣) نَصِيبًا(٤) مَّفْرُوضًا(٥) ۝ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ(٦) أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ(٧) وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ(٨) فَٱرْزُقُوهُم(٩) مِّنْهُ(١٠) وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا(١١) ۝ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ

(١) محاسبا. فعليكم بالتصادق وإياكم والتكاذب. أو هو راجع إلى قوله (فليأكل بالمعروف) أى ولا يسرف فإن الله يحاسبه عليه ويجازيه به. وفاعل كفى لفظة الله والباء زائدة. وكفى يتعدّى إلى مفعولين دليله (فسيكفيكهم الله).

(٢) هم المتوارثون من ذوى القرابات دون غيرهم.

(٣) بدل (مما ترك) بتكرير العامل. والضمير فى (منه) يعود إلى ما ترك.

(٤) نصب على الاختصاص بمعنى أعنى نصيبا.

(٥) مقطوعا لا بدّ لهم من أن يحوزوه. روى أن أوس بن ثابت ترك امرأته أم كحّة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه ميراثه عنهن. وكان أهل الجاهلية لا يورثون النساء والأطفال ويقولون لا يرث إلا من طاعن بالرماح وحاز الغنيمة. فجاءت أم كحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت. فقال ارجعى حتى أنظر ما يحدث الله فنزلت الآية. فبعث إليهما لا تفرقا من مال أوس شيئا فإن الله تعالى قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت (يوصيكم الله) فأعطى أم كحة الثمن والبنات الثلثين والباقى ابنى العم.

(٦) أى قسمة التركة.

(٧) ممن لا يرث.

(٨) من الأجانب.

(٩) فأعطوهم.

(١٠) مما ترك الوالدان والأقربون. وهو أمر ندب وهو باق لم ينسخ. وقيل كان واجبا فى الابتداء ثم نسخ بآية الميراث.

(١١) عذرا جميلا وعدة حسنة. وقيل القول المعروف أن يقولوا لهم خذوا بارك الله عليكم ويستقلوا ما أعطوهم ولا يمنّوا عليهم.

خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا(١) ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا(٢) إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ(٣) نَارًا(٤) وَسَيَصْلَوْنَ(٥) سَعِيرًا(٦) ۝ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ(٧) فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ(٨) لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ(٩)

(١) المراد بهم الأوصياء . أمروا بأن يخشوا الله فيخافوا على من فى حجورهم من اليتامى فيشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا ، وأن يقدروا ذلك فى أنفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة . ولو مع ما فى حيزه صلة للذين أى وليخش الذين صفتهم وحالهم أنهم لو شارفوا أن يتركوا خلفهم ذرية ضعافا — وذلك عند احتضارهم — خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم . وجواب (لو) خافوا . والقول السديد من الأوصياء أن يكلموهم كما يكلمون أولادهم بالأدب الحسن والترحيب ويدعوهم بيابنى ويا ولدى .

(٢) ظالمين فهو مصدر فى موضع الحال .

(٣) ملء بطونهم .

(٤) أى يأكلون ما يجر إلى النار . فكأنه نار . روى أنه يبعث آكل مال اليتامى يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وأنفه وأذنيه فيعرف الناس أنه كان يأكل مال اليتيم فى الدنيا .

(٥) (وسُيُصْلَون) شامى وأبو بكر . أى سيدخلون .

(٦) نارا من النيران مبهمة الوصف .

(٧) يعهد إليكم ويأمركم .

(٨) فى شأن ميراثهم وهذا إجمال تفصيله (للذكر مثل حظّ الأنثيين) .

(٩) أى للذكر منهم أى من أولادكم . فحذف الراجع إليه لأنه مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم . وبدا بحظ الذكر ولم يقل للأنثيين مثل حظ الذكر أو للأنثى نصف حظ الذكر ، لفضله كما ضوعف حظه لذلك ، ولأنهم كانوا يورثون الذكور دون الإناث وهو السبب لورود الآية . فقيل كفى الذكور أن ضوعف لهم نصيب الإناث فلا يتمادى فى حظهن حتى يحرمن مع إدلائهن من القرابة بمثل ما يدلون به . والمراد حال الاجتماع أى إذا اجتمع الذكر والأنثيان كان له سهمان كما أن لهما سهمين . وأما فى حال الانفراد فالابن يأخذ المال كله والبنتان تأخذان الثلثين . والدليل عليه أنه أتبعه حكم الانفراد بقوله : (فإن كنّ نساء) .

فَإِن كُنَّ نِسَآءً(١) فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ(٢) فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ(٣) وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ(٤) وَلِأَبَوَيْهِ(٥) لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا(٦) ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ(٧)

---

(١) أى فإن كانت الأولاد نساء خلصا يعنى بنات ليس معهن ابن .

(٢) خبر ثان لكان أو صفة لنساء أى نساء زائدات على اثنتين .

(٣) أى الميت لأن الآية لما كانت فى الميراث علم أن التارك هو الميت .

(٤) أى وإن كانت المولودة منفردة. واحدة مدنى على كان التامة. والنصب أوفق لقوله : (فإن كن نساء). فإن قلت قد ذكر حكم البنتين فى حال اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبنت فى حال الانفراد ولم يذكر حكم البنتين فى حال الانفراد فما حكمهما؟ قلت حكمهما مختلف فيه. فابن عباس رضى الله عنهما نزلها منزلة الواحدة لا منزلة الجماعة. وغيره من الصحابة رضى الله عنهم أعطوهما حكم الجماعة بمقتضى قوله : (للذكر مثل حظ الأنثيين) وذلك لأن من مات وخلف بنتا وابنا فالثلث للبنت والثلثان للابن فإذا كان الثلث لبنت واحدة كان الثلثان للبنتين. ولأنه قال فى آخر السورة : (إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك) والبنتان أمس رحما بالميت من الأختين فأوجبوا لهما ما أوجب الله للأختين ولم ينقصوا حظهما عن حظ من هو أبعد منهما. ولأن البنت لما وجب لها مع أخيها الثلث كان أحرى أن يجب لها الثلث إذا كانت مع أخت مثلها ويكون لأختها معها مثل ما كان يجب لها أيضا مع أخيها لو انفردت معه فوجب لها الثلثان . وفى الآية دلالة على أن المال كله للذكر إذا لم يكن معه أنثى لأنه جعل للذكر مثل حظ الأنثيين وقد جعل للأنثى النصف إذا كانت منفردة فعلم أن للذكر فى حال الانفراد ضعف النصف وهو الكل .

(٥) الضمير للميت والمراد الأب والأم إلا أنه غلب الذكر .

(٦) بدل من لأبويه بتكرير العامل. وفائدة هذا البدل أنه لو قيل ولأبويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه. ولو قيل ولأبويه السدسان لأوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى خلافها . ولو قيل ولكل واحد من أبويه السدس لذهبت فائدة التأكيد وهو التفصيل بعد الإجمال . والسدس مبتدأ خبره لأبويه والبدل متوسط بينهما للبيان . وقرأ الحسن السدس والربع والثمن والثلث بالتخفيف .

(٧) هو يقع على الذكر والأنثى .

فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ(١) فَإِن كَانَ لَهُۥٓ(٢) إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ(٣) مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ(٤) يُوصِى(٥) بِهَآ أَوْ دَيْنٍ(٦) ءَابَآؤُكُمْ(٧) وَأَبْنَآؤُكُمْ(٨)

(١) أى مما ترك . والمعنى (وورثه أبواه) فحسب. لأنه إذا ورثه أبواه مع أحد الزوجين كان للأم ثلث ما يبقى بعد إخراج نصيب الزوج لا ثلث ما ترك. لأن الأب أقوى من الأم فى الإرث بدليل أن له ضعف حظها إذا خلصا . فلو ضرب لها الثلث كملا لأدى الى حط نصيبه عن نصيبها . فإن امرأة لو تركت زوجا وأبوين فصار للزوج النصف وللأم الثلث والباقى للأب، حازت الأم سهمين والأب سهما واحدا فينقلب الحكم الى أن يكون للأنثى مثل حظ الذكرين . فلأمه بكسر الهمزة حمزة وعلىّ لمجاورة كسر اللام .

(٢) أى للميت .

(٣) إذا كان للميت اثنان من الإخوة والأخوات فصاعدا فلأمه السدس. والأخ الواحد لا يحجب . والأعيان والعَلات والأخياف فى حجب الأم سواء .

(٤) متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها لا بما يليه وحده . كأنه قيل قسمة هذه الأنصباء (من بعد وصية) .

(٥) هو وما بعده بفتح الصاد مكى وشامى وحماد . ويحيى وافق الأعشى فى الأولى . وحفص فى الثانية لمجاورة يورث. وكسرَ الأولى لمجاورة يوصيكم الله . الباقون بكسر الصادين . أى يوصى بها الميت .

(٦) والإشكال أن الدين مقدم على الوصية فى الشرع وقدمت الوصية على الدين فى التلاوة. والجواب أن أو لا تدل على الترتيب ألا ترى أنك إذا قلت جاءنى زيد أو عمرو كان المعنى جاءنى أحد الرجلين فكان التقدير فى قوله (من بعد وصية يوصى بها أو دين) من بعد أحد هذين الشيئين الوصية أو الدين. ولو قيل بهذا اللفظ لم يدر فيه الترتيب بل يجوز تقديم المؤخر وتأخير المقدم كذا هنا . وإنما قدّمنا الدين على الوصية بقوله عليه السلام: ألا إن الدين قبل الوصية. ولأنها تشبه الميراث من حيث إنها صلة بلا عوض، كان إخراجها مما يشق على الورثة وكان أداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين . فقدمت على الدين ليسارعوا إلى إخراجها مع الدين .

(٧) مبتدأ .

(٨) عطف عليه .

لَا تَدْرُونَ(١) أَيُّهُمْ(٢) أَقْرَبُ(٣) لَكُمْ نَفْعًا(٤) فَرِيضَةً(٥) مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا(٦) حَكِيمًا(٧) ﴿١١﴾ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ(٨) إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ(٩) فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ(١٠) فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ(١١) مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ(١٢) يُورَثُ(١٣)

(١) خبر .

(٢) مبتدأ .

(٣) خبر . والجملة فى موضع نصب بتدرون .

(٤) تمييز . والمعنى فرض الله الفرائض على ما هو عنده حكمة . ولو وكل ذلك إليكم لم تعلموا أيهم أنفع لكم فوضعتم أنتم الأموال على غير حكمة . والتفاوت فى السهام بتفاوت المنافع وأنتم لا تدرون تفاوتها فتولى الله ذلك فضلا منه ولم يكلها إلى اجتهادكم لعجزكم عن معرفة المقادير. وهذه الجملة اعتراضية مؤكدة لا موضع لها من الإعراب .

(٥) نصبت نصب المصدر المؤكد أى فرض ذلك فرضا .

(٦) بالأشياء قبل خلقها .

(٧) فى كل ما فرض وقسم من المواريث وغيرها .

(٨) أى زوجاتكم .

(٩) أى ابن أو بنت .

(١٠) منكم أو من غيركم .

(١١) والواحدة والجماعة سواء فى الربع والثمن جعل ميراث الزوج ضعف ميراث الزوجة لدلالة قوله : (للذكر مثل حظ الأنثيين) .

(١٢) يعنى الميت وهو اسم كان .

(١٣) من وَرِث أى يورث منه وهو صفة لرجل .

كَلَٰلَةً[(١)] أَوِ ٱمْرَأَةٌ[(٢)] وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ[(٣)] فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ[(٤)] فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ[(٥)] مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ[(٦)] غَيْرَ مُضَآرٍّ[(٧)] وَصِيَّةً[(٨)] مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ[(٩)] حَلِيمٌ[(١٠)] ﴿١٢﴾

(١) خبر كان . أى وإن كان رجل موروث منه كلالة . أو يورث خبر كان وكلالة حال من الضمير فى يورث . والكلالة تطلق على من لم يُخلِّف ولدا ولا والدا ، وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلّفين . وهو فى الأصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوّة من الإعياء .

(٢) عطف على رجل .

(٣) أى لأم . فإن قلت قد تقدم ذكر الرجل والمرأة فلم أفرد الضمير وذكّره ؟ قلت أما إفراده فلأن أولأحد الشيئين . وأما تذكيره فلأنه يرجع إلى رجل لأنه مذكر مبدوء به أو يرجع إلى أحدهما وهو مذكر .

(٤) من واحد .

(٥) لأنهم يستحقون بقرابة الأم وهى لا ترث أكثر من الثلث . ولهذا لا يفضل الذكر منهم على الأنثى .

(٦) إنما كررت الوصية لاختلاف الموصين فالأول الوالدان والأولاد والثانى الزوجة والثالث الزوج والرابع الكلالة .

(٧) حال أى يوصِى بها وهو غير مضار لورثته . وذلك بأن يوصى بزيادة على الثلث أو لوارث . فإن قلت فأين ذو الحال فيمن قرأ يوصَى بها؟ قلت يضمر يوصِى فينتصب عن فاعله لأنه لما قيل يوصَى بها علم أن ثمّ موصيا . كما كان (رجال) فاعل ما يدل عليه يسبّح لأنه لما قيل (يسبَّح له) علم أن ثم مسبِّحا فاضمر يسبِّح .

(٨) مصدر مؤكد أى يوصيكم بذلك وصية .

(٩) بمن جار أو عدل فى وصيته .

(١٠) على الجائر لا يعاجله بالعقوبة وهذا وعيد .

تِلْكَ حُدُودُ[1] ٱللَّهِ[2] وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ

واعلم أن الورثة أصناف : أصحاب الفرائض وهم الذين لهم سهام مقدرة كالبنت ولها النصف وللا كثر الثلثان . وبنت الابن وإن سفلت وهى عند عدم الولد كالبنت ولها مع البنت الصلبية السدس وتسقط بالابن وبنتى الصلب إلا أن يكون معها أو أسفل منها غلام فيعصبها . والأخوات لأب وأم وهن عند عدم الولد وولد الابن كالبنات . والأخوات لاب وهن كالأخوات لأب وأم عند عدمهن . ويصير الفريقان عصبة مع البنت او بنت الابن. ويسقطن بالابن وابنه وإن سفل والأب وبالجد عند أبى حنيفة رحمه الله . وولد الأم فلواحد السدس وللا كثر الثلث وذكرهم كانثاهم . ويسقطون بالولد وولد الابن وإن سفل والأب والجد .والأب وله السدس مع الابن او ابن الابن وإن سفل ومع البنت أو بنت الابن وإن سفلت السدس والباقى . والجد وهو أبو الأب وهو كالأب عند عدمه إلا فى رد الأم إلى ثلث ما يبقى . والأم ولها السدس مع الولد أو ولد الابن وإن سفل أو الاثنين من الإخوة والأخوات فصاعدا من أى جهة كانا . وثلث الكل عند عدمهم . وثلث ما يبقى بعد فرض أحد الزوجين فى زوج وأبوين او زوجة وأبوين . والجدة ولها السدس وإن كثرت لأم كانت أو لأب . والبعدى تحجب بالقربى . والكل بالأم . والابويات بالأب . والزوج وله الربع مع الولد أو ولد الابن وإن سفل . وعند عدمه النصف . والزوجة ولها الثمن مع الولد أو ولدالابن وإن سفل. وعند عدمه الربع * والعصبات وهم الذين يرثون ما بقى من الفرض. وأولاهم الابن ثم ابنه وإن سفل ثم الأب ثم أبوه وإن علا ثم الأخ لأب وأم ثم الاخ لأب ثم ابن الأخ لأب وأم ثم ابن الأخ لأب ثم الأعمام ثم أعمام الأب ثم اعمام الجد ثم المعتق ثم عصبته على الترتيب . واللاتى فرضهن النصف والثلثان يصرن عصبة بإخوتهن لاغيرهن * وذوو الأرحام وهم الأقارب الذين ليسوا من العصبات ولا من أصحاب الفرائض وترتيبهم كترتيب العصبات .

(١) إشارة إلى الأحكام التى ذكرت فى باب اليتامى والوصايا والمواريث .

(٢) سماها حدودا لأن الشرائع كالحدود المضروبة للمكلفين لا يجوز لهم أن يتجاوزوها .

وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا (١) وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٢) ﴿١٤﴾ وَٱلَّٰتِي (٣) يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ (٤) مِن (٥) نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ (٦) عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ (٧) فَإِن شَهِدُوا۟ (٨) فَأَمْسِكُوهُنَّ (٩) فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ (١٠) أَوْ (١١) يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا (١٢) ﴿١٥﴾

(١) انتصب خالدين وخالدا على الحال . وجمع مرة وأفرد أخرى نظرا إلى معنى مَن ولفظها . ندخله فيهما مدنى وشامى .

(٢) لهوانه عند الله . ولا تعلق للمعتزلة بالآية فإنها فى حق الكفار إذ الكافر هو الذى تعدى الحدود كلها وأما المؤمن العاصى فهو مطيع بالإيمان غير متعد حد التوحيد . ولهذا فسر الضحاك المعصية هنا بالشرك. وقال الكلبى (ومن يعص الله ورسوله) بكفره بقسمة المواريث (ويتعد حدوده) استحلالا .

(٣) هى جمع التى وموضعها رفع بالابتداء والخبر (فاستشهدوا) .

(٤) أى الزنا لزيادتها فى القبح على كثير من القبائح . يقال أتى الفاحشة وجاءها ورهقها وغشيها بمعنى .

(٥) من للتبعيض .

(٦) فاطلبوا الشهادة . خاطب الحكام .

(٧) من المؤمنين .

(٨) بالزنا .

(٩) فاحبسوهن .

(١٠) أى ملائكة الموت كقوله : (الذين تتوفاهم الملائكة) أو حتى يأخذهن الموت ويستوفى أرواحهن .

(١١) قيل أو بمعنى إلّا أن .

(١٢) غير هذه. عن ابن عباس رضى الله عنهما السبيل للبكر جلد مائة وتغريب عام وللثيب الرجم لقوله عليه السلام خذوا عنى خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا . البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة .

وَٱلَّذَانِ [1] يَأْتِيَـٰنِهَا [2] مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا [3] فَإِن تَابَا [4] وَأَصْلَحَا [5] فَأَعْرِضُواْ [6] عَنْهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا [7] ﴿١٦﴾ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ [8] عَلَى ٱللَّهِ [9] لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ [10] بِجَهَـٰلَةٍ [11]

(١) يريد الزانى والزانية . وبتشديد النون مكى .

(٢) أى الفاحشة .

(٣) بالتوبيخ والتعيير وقولوا لهما أمَا استحييتما ؟ أما خفتما الله ؟

(٤) عن الفاحشة .

(٥) وغيّرا الحال .

(٦) فاقطعوا التوبيخ والمذمة .

(٧) يقبل توبة التائب ويرحمه . قال الحسن أول ما نزل من حد الزنا الأذى ثم الحبس ثم الجلد أو الرجم فكان ترتيب النزول على خلاف ترتيب التلاوة . والحاصل أنهما إذا كانا محصنين فحدّهما الرجم لا غير . وإذا كانا غير محصنين فحدهما الجلد لا غير . وإن كان أحدهما محصنا والآخر غير محصن فعلى المحصن منهما الرجم وعلى الآخر الجلد. وقال ابن بحر الآية الأولى فى السحّاقات ، والثانية فى اللّواطين ، والتى فى سورة النور فى الزانى والزانية . وهو دليل ظاهر لأبى حنيفة رحمه الله فى أنه يعزّر فى اللّواطة ولا يحدّ . وقال مجاهد آية الأذى فى اللّواطة .

(٨) هى من تاب الله عليه إذا قبل توبته . أى إنما قبولها .

(٩) ليس المراد به الوجوب إذ لا يجب على الله شىء ولكنه تأكيد للوعد يعنى أنه يكون لا محالة كالواجب الذى لا يترك .

(١٠) الذنب لسوء عقابه .

(١١) فى موضع الحال أى يعملون السوء جاهلين سفهاء لأن ارتكاب القبيح مما يدعو إليه السفه . وعن مجاهد من عَصَى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته . وقيل جهالته اختياره اللذة الفانية على الباقية . وقيل لم يجهل أنه ذنب ولكنه جهل كنه عقوبته .

ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ[1] فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ[2] وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا[3] حَكِيمًا[4] ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ[5] وَلَا ٱلَّذِينَ[6] يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا[7] لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا[8]

---

(١) من زمان قريب وهو ما قبل حضرة الموت ألا ترى إلى قوله (حتى إذا حضر أحدهم الموت) فبين أن وقت الاحتضار هو الوقت الذى لا تقبل فيه التوبة . وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قبل أن ينظر إلى ملك الموت . وعنه صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر . ومن للتبعيض أى يتوبون بعض زمان قريب كأنه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زمانا قريبا .

(٢) عدة بأنه يفى بذلك وإعلام بأن الغفران كائن لا محالة .

(٣) بعزمهم على التوبة .

(٤) حكم بكون الندم توبة .

(٥) أى ولا توبة للذين يذنبون ويسوّفون توبتهم إلى أن يزول حال التكليف بحضور أسباب الموت ومعاينة ملك الموت فإن توبة هؤلاء غير مقبولة لأنها حالة اضطرار لا حالة اختيار وقبول التوبة ثواب ولا وعد به إلا لمختار .

(٦) فى موضع جر بالعطف على (للذين يعملون السيئات) أى ليست التوبة للذين يعملون السيئات ولا للذين يموتون . وفى بعض المصاحف بلامين وهو مبتدأ خبره أولئك .

قال سعيد بن جبير الآية الأولى فى المؤمنين ، والوسطى فى المنافقين ، والأخرى فى الكافرين .

(٧) أى هيأنا من العتيد وهو الحاضر أو الأصل أعددنا فقلبت الدال تاء .

(٨) كان الرجل يرث امرأة مورثه بأن يلقى عليها ثوبه فيتزوجها بلا مهر فنزلت . أى أن تأخذوهن على سبيل الإرث كما تحاز المواريث وهنّ كارهات لذلك أو مكرهات . كرها بالفتح من الكراهة . وبالضم حمزة وعلىّ من الإكراه . مصدر فى موضع الحال من المفعول. والتقييد بالكره لا يدل على الجواز عند عدمه لأن تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي ماعداه كما فى قوله (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق) .

وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ (١) لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ (٢) إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ (٣) مُّبَيِّنَةٍ (٤) وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ (٥) فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ (٦) فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ (٧) خَيْرًا كَثِيرًا (٨) ﴿١٩﴾ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ (٩)

(١) كان الرجل إذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة لتفتدى منه بمالها وتختلع . فقيل : (ولا تعضلوهن) . وهو منصوب عطفا على أن ترثوا . ولا لتأكيد النفى أى لا يحل لكم أن ترثوا النساء ولا أن تعضلوهن . أو مجزوم بالنهى على الاستئناف فيجوز الوقف حينئذ على (كرها) . والعضل الحبس والتضييق .

(٢) من المهر . واللام متعلقة بتعضلوا .

(٣) هى النشوز وإيذاء الزوج وأهله بالبذاء . أى إلا أن يكون سوء العشرة من جهتهن فقد عذرتم فى طلب الخلع . وعن الحسن الفاحشة الزنا فإن فعلت حل لزوجها أن يسألها الخلع .

(٤) وبفتح الياء مكى وابو بكر .

والاستثناء من أعم عام الظرف أو المفعول له كأنه قيل (ولا تعضلوهن) فى جميع الأوقات إلا وقت (أن يأتين بفاحشة) أو (ولا تعضلوهن) لعلة من العلل (إلا أن يأتين بفاحشة) .

(٥) كانوا يسيئون معاشرة النساء فقيل لهم : (وعاشروهن بالمعروف) . وهو النصفة فى المبيت والنفقة والإجمال فى القول .

(٦) لقبحهن أو سوء خلقهن .

(٧) فى ذلك الشىء أو فى الكره .

(٨) ثوابا جزيلا أو ولدا صالحا . والمعنى فإن كرهتموهن فلا تفارقوهن لكراهة الأنفس وحدها . فربما كرهت النفس ماهو أصلح فى الدين وأدنى إلى الخير وأحبت ماهو بضد ذلك . ولكن للنظر فى أسباب الصلاح . وإنما صح قوله (فعسى أن تكرهوا) جزاء للشرط لأن المعنى (فإن كرهتموهن) فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه .

(٩) كان الرجل إذا رأى امرأة فأعجبته بهت التى تحته ورماها بفاحشة حتى يلجئها إلى الافتداء منه بما أعطاها . فقيل : (وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج) . أى تطليق امرأة وتزوج أخرى .

وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ[١] قِنطَارًا[٢] فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ[٣] شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا[٤] ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ[٥] وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا[٦] ﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟[٧] مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ[٨]

(١) وأعطيتم إحدى الزوجات فالمراد بالزوج الجمع لأن الخطاب لجماعة الرجال .

(٢) مالا عظيما كما مر فى آل عمران. وقال عمر رضى الله عنه على المنبر لا تغالوا بصدُقات النساء . فقالت امرأة أنتبع قولك أم قول الله (وآتيتم إحداهن قنطارا) ؟ فقال عمر كل أحد أعلم من عمر. تزوجوا على ما شئتم .

(٣) من القنطار .

(٤) أى بيّنا . والبهتان أن تستقبل الرجل بأمر قبيح تقذفه به وهو برىء منه لأنه يُبهَت عند ذلك أى يتحير. وانتصب بهتانا على الحال أى باهتين وآثمين .

(٥) أنكر أخذ المهر بعد الإفضاء . أى خلا بلا حائل ومنه الفضاء. والآية حجة لنا فى الخلوة الصحيحة أنها تؤكد المهر حيث أنكر الأخذ وعلل بذلك .

(٦) عهدا وثيقا وهو قول الله تعالى (فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان) . والله تعالى أخذ هذا الميثاق على عباده لأجلهن فهو كأخذهن . أو قول النبى عليه السلام استوصوا بالنساء خيرا فإنهن عوانٍ فى أيديكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله .

(٧) لما نزل (لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها) قالوا تركنا هذا . لا نرثهن كرها ولكن نخطبهن فننكحهن برضاهن فقيل لهم : (ولا تنكحوا) . وقيل المراد بالنكاح الوطء أى لا تطئوا ما وطئ آباؤكم . وفيه تحريم وطء موطوءة الأب بنكاح أو بملك يمين أو بزنا كما هو مذهبنا وعليه كثير من المفسرين .

(٨) لما قالوا كنا نفعل ذلك فكيف حال ما كان منا ؟ قال : (إلا ما قد سلف) . أى لكن ما قد سلف فانكم لا تؤاخذون به . والاستثناء منقطع ، عن سيبويه .

ثم بين صفة هذا العقد فى الحال فقال : (إنه كان فاحشة) .

إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً[1] وَمَقْتًا[2] وَسَآءَ سَبِيلًا[3] ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ[4] وَبَنَاتُكُمْ[5] وَأَخَوَٰتُكُمْ[6] وَعَمَّٰتُكُمْ[7] وَخَٰلَٰتُكُمْ[8] وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ[9] وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ[10] وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ[11] وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ[12]

---

(١) بالغة فى القبح .

(٢) وبغضا عند الله وعند المؤمنين وناس منهم يمقتونه من ذوى مروءاتهم ويسمونه نكاح المقت وكان المولود عليه يقال له المقتى .

(٣) وبئس الطريق طريقا ذلك .

(٤) لما ذكر فى أول السورة نكاح (ما طاب) أى حَلَّ (من النساء) وذكر بعض ما حرم قبل هذا وهو نساء الآباء ، ذكر المحرّمات الباقيات وهن سبع من النسب وسبع من السبب وبدأ بالنسب فقال : (حرّمت عليكم أمهاتكم) . والمراد تحريم نكاحهن عند البعض . وقد ذكرنا المختار فى شرح المنار . والجدة من قبل الأم أو الأب ملحقة بهن .

(٥) وبنات الإبن وبنات البنت ملحقات بهن. والأصل أن الجمع إذا قوبل بالجمع ينقسم الآحاد على الآحاد فتحرم على كل واحد أمه وبنته .

(٦) لأب وأم أو لأب أو لأم .

(٧) من الأوجه الثلاثة .

(٨) كذلك .

(٩) كذلك .

(١٠) كذلك .

(١١) شرع فى السبب فقال : (وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم) . الله تعالى نزّل الرضاعة منزلة النسب فسمى المرضعة أمًّا للرضيع ، والمراضعة أختا . وكذلك زوج المرضعة أبوه وأبواه جداه وأخته عمته وكل وَلَد وُلِدَ له من غير مُرْضِعه قبل الرضاع وبعده فهم إخوته وأخواته لأبيه وأم المرضعة جدته وأختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم إخوته وأخواته لأبيه وأمه . ومن ولد لها من غيره فهم إخوته وأخواته لأم وأصله قوله عليه السلام : يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب .

(١٢) وهنّ محرمات بمجرد العقد .

وَرَبَٰٓئِبُكُمُ(١) ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم(٢) مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ(٣) فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ(٤) وَحَلَٰٓئِلُ(٥) أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ(٦) وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ(٧) إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ(٨) إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ

(١) سمى ولد المرأة من غير زوجها ربيبا وربيبة لأنه يربهما كما يرب ولده فى غالب الأمر ثم اتسع فيه فسميا بذلك وإن لم يربهما .

(٢) قال داود إذا لم تكن فى حجره لا تحرم. قلنا ذكر الحجر على غلبة الحال دون الشرط . وفائدته التعليل للتحريم وأنهن لاحتضانكم لهن أو لكونهن بصدد احتضانكم كأنكم فى العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم .

(٣) متعلق بربائبكم . أى الربيبة من المرأة المدخول بها حرام على الرجل، حلال له إذا لم يدخل بها . والدخول بهن كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب أى أدخلتموهن الستر والباء للتعدية . واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول . وقد جعل بعض العلماء اللاتى دخلتم بهن وصفا للنساء المتقدمة والمتأخرة . وليس كذلك لأن الوصف الواحد لا يقع على موصوفين مختلفى العامل وهذا لأن النساء الأولى مجرورة بالإضافة والثانية بمن . ولا يجوز أن تقول مررت بنسائك وهربت من نساء زيد الظريفات على أن تكون الظريفات نعتا لهؤلاء النساء وهؤلاء النساء . كذا قال الزجاج وغيره وهذا أولى مما قاله صاحب الكشاف فيه.

(٤) فلا حرج عليكم فى أن تتزوجوا بناتهن إذا فارقتموهن أو متن .

(٥) جمع حليلة وهى الزوجة لأن كل واحد منهما يحل للآخر أو يحل فراش الآخر من الحل أو الحلول .

(٦) دون من تبنيتم فقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب حين فارقها زيد وقال الله تعالى : (لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم) . وليس هـذا لنفى الحرمة عن حليلة الابن من الرضاع .

(٧) أى فى النكاح وهو فى موضع الرفع عطف على المحرمات أى وحرم عليكم الجمع بين الأختين .

(٨) ولكن ما مضى مغفور بدليل قوله : (إنّ الله كان غفورا رحيما) .

غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ (١) إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ (٢) كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ (٣) وَأُحِلَّ لَكُم (٤) مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ (٥) أَن تَبْتَغُواْ (٦) بِأَمْوَٰلِكُم (٧) مُّحْصِنِينَ (٨) غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ (٩) فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ (١٠) فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ (١١)

وعن محمد بن الحسن رحمه الله أن أهل الجاهلية كانوا يعرفون هـذه المحرمات إلا نكاح امرأة الأب ونكاح الأختين فلذا قال فيهما إلا ما قد سلف .

(١) أى ذوات الأزواج لأنهن أحصنّ فروجهن بالتزوج . قرأ الكسائى بفتح الصاد هنا وفى سائر القرآن بكسرها. وغيره بفتحها فى جميع القرآن .

(٢) بالسبي وزوجها فى دار الحرب . والمعنى وحرم عليكم نكاح المنكوحات أى اللاتى لهن أزواج إلا ما ملكتموهن بسبيهن وإخراجهن بدون أزواجهن لوقوع الفرقة بتباين الدارين لا بالسبي . فتحل الغنائم بملك اليمين بعد الاستبراء .

(٣) مصدر مؤكد أى كتب الله ذلك عليكم كتابا وفرضه فريضة وهو تحريم ما حرم .

(٤) عطف على الفعل المضمر الذى نصب كتاب الله أى كتب الله عليكم تحريم ذلك (وأَحَل لكم) . (وأُحِل) كوفى غير أبى بكر عطف على (حرمت) .

(٥) ما سوى المحرمات المذكورة .

(٦) مفعول له . أى بيّن لكم ما يحل مما يحرم لأن تبتغوا . أو بدل من (ما وراء ذلكم) . ومفعول تبتغوا مقدر وهو النساء . والأجود ألا يقدر .

(٧) يعنى المهور . وفيه دليل على أن النكاح لا يكون إلا بمهر ، وأنه يجب وإن لم يسم ، وأن غير المـال لا يصلح مهرا ، وأن القليل لا يصلح مهرا إذ الحبة لا تعد مالا عادة .

(٨) فى حال كونكم محصنين . والإحصان العفة وتحصين النفس من الوقوع فى الحرام .

(٩) لئلا تضيعوا أموالكم وتفقروا أنفسكم فيما لا يحل لكم فتخسروا دينكم ودنياكم ولا فساد أعظم من الجمع بين الخسرانين . والمسافح الزانى من السفح وهو صب المنى .

(١٠) فما نكحتموه منهن .

(١١) مهورهن لأن المهر ثواب على البُضْع . فمـا فى معنى النسـاء . و(من) للتبعيض أو للبيان . ويرجع الضمير إليه على اللفظ فى (به) وعلى المعنى فى (فآتوهن) .

فَرِيضَةً[1] وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ[2] إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا[3] حَكِيمًا[4] ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا[5] أَن يَنكِحَ[6] ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ[7] فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ[8] وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم[9] بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ[10] فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ[11] وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ

(١) حال من الأجور أى مفروضة ، أو وضعت موضع إيتاء لأن الإيتاء مفروض . أو مصدر مؤكد أى فرض ذلك فريضة .

(٢) فيما تحطّ عنه من المهر أو تهب له من كله أو يزيد لها على مقداره . أو فيما تراضيا به من مقام أو فراق .

(٣) بالأشياء قبل خلقها .

(٤) فيما فرض لهم من عقد النكاح الذى به حفظت الأنساب .

وقيل إن قوله (فما استمتعتم) نزلت فى المتعة التى كانت ثلاثة أيام حين فتح الله مكة على رسوله ثم نسخت .

(٥) فضلا . يقال لفلان علىّ طوْل أى فضل وزيادة . وهو مفعول يستطع .

(٦) مفعول الطول فإنه مصدر فيعمل عمل فعله أو بدلا من (طولا) .

(٧) الحرائر المسلمات .

(٨) أى فلينكح مملوكة من الإماء المسلمات. وقوله (من فتياتكم) أى من فتيات المسلمين. والمعنى ومن لم يستطع زيادة فى المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح أمة . ونكاح الأمة الكتابية يجوز عندنا. والتقييد فى النص للاستحباب بدليل أن الإيمان ليس بشرط فى الحرائر اتفاقا مع التقييد به . وقال ابن عباس ومما وسع الله على هذه الأمة نكاح الأمة واليهودية والنصرانية و إن كان موسرا. وفيه دليل لنا فى مسألة الطوْل .

(٩) فيه تنبيه على قبول ظاهر إيمانهن ودليل على أن الإيمان هو التصديق دون عمل اللسان لأن العلم بالإيمان المسموع لا يختلف .

(١٠) أى لا تستنكفوا من نكاح الإماء فكلكم بنو آدم وهو تحذير عن التعيير بالأنساب والتفاخر بالأحساب .

(١١) سادتهن . وهو حجة لنا فى أن لهن أن يباشرن العقد بأنفسهن لأنه اعتبر إذن الموالى لا عقدهم ، وأنه ليس للعبد أو للأمة أن يتزوج إلا بإذن المولى .

بِٱلْمَعْرُوفِ[1] مُحْصَنَٰتٍ[2] غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ[3] وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ[4] فَإِذَآ أُحْصِنَّ[5] فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ[6] فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ[7] مِنَ ٱلْعَذَابِ[8] ذَٰلِكَ[9] لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ[10] وَأَن تَصْبِرُواْ[11] خَيْرٌ لَّكُمْ[12] وَٱللَّهُ غَفُورٌ[13] رَّحِيمٌ[14] ﴿٢٥﴾

(١) وأدوا إليهن مهورهن بغير مطل وإضرار . وملاك مهورهن مواليهن فكان أداؤها إليهن أداء إلى الموالى لأنهن وما فى أيديهن مال الموالى . أو التقدير وآتوا مواليهن فحذف المضاف .

(٢) عفائف . حال من المفعول فى (وآتوهن) .

(٣) زوانٍ علانية .

(٤) زوانٍ سرا . والأخدان الأخلاء فى السر .

(٥) بالتزويج . احصن كوفى غير حفص .

(٦) زنا .

(٧) أى الحرائر .

(٨) من الحد يعنى خمسين جلدة . وقوله (نصف ما على المحصنات) يدل على أنه الجلد لا الرجم لأن الرجم لا يتنصف ، وأن المحصنات هنا الحرائر اللاتى لم يزوجن .

(٩) أى نكاح الإماء .

(١٠) لمن خاف الإثم الذى تؤدى إليه غلبة الشهوة. وأصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر ولا ضرر أعظم من مواقعة المآثم. وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو الزنا لأنه سبب الهلاك .

(١١) فى محل الرفع على الابتداء أى وصبركم عن نكاح الإماء متعففين .

(١٢) لأن فيه إرقاق الولد ولأنها خراجة ولّاجة ممتهنة مبتذلة وذلك كله نقصان يرجع إلى الناكح ومهانة . والعزة من صفات المؤمنين . وفى الحديث الحرائر صلاح البيت والإماء هلاك البيت .

(١٣) يستر المحظور .

(١٤) يكشف المحذور .

يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ (١) وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ (٢) وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ (٣) وَٱللَّهُ عَلِيمٌ (٤) حَكِيمٌ (٥) ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ (٦) وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ (٧) يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا (٨) ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ (٩) وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا (١٠) ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ (١١)

---

(١) أصله يريد الله أن يبين لكم فزيدت اللام مؤكدة لإرادة التبيين كما زيدت فى لا أبالك لتأكيد إضافة الأب . والمعنى يريد الله أن يبين لكم ما هو خفىّ عليكم من مصالحكم وأفاضل أعمالكم .

(٢) وأن يهديكم مناهج من كان قبلكم من الأنبياء والصالحين والطرق التى سلكوها فى دينهم لتقتدوا بهم .

(٣) ويوفقكم للتوبة عما كنتم عليه من الخلاف .

(٤) بمصالح عباده .

(٥) فيما شرع لهم .

(٦) التكرير للتأكيد وللتقرير والتقابل .

(٧) الفجرة (الذين يتّبعون الشهوات) .

(٨) وهو الميل عن القصد والحق — ولا ميل أعظم منه بمساعدتهم وموافقتهم على اتباع الشهوات .

وقيل هم اليهود لاستحلالهم الأخوات لأب وبنات الأخ وبنات الأخت . فلما حرمهن الله قالوا فإنكم تحلون بنت الخالة والعمة . والخالة والعمة عليكم حرام . فانكحوا بنات الأخت والأخ . فنزلت . يقول يريدون أن تكونوا زناة مثلهم .

(٩) بإحلال نكاح الأمة وغيره من الرخص .

(١٠) لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات .

(١١) بما لم تبحه الشريعة من نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار وعقود الربا .

إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً (١) عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ (٢) وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ (٣) إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٤) ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ (٥) عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا (٦) فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا (٧) وَكَانَ ذَٰلِكَ (٨) عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا (٩) ﴿٣٠﴾ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ (١٠)

---

(١) إلا أن تقع تجارةٌ . بجارة كوفى أى (إلا أن تكون) التجارة (تجارة عن تراض منكم) .

(٢) صفة لتجارة أى تجارة صادرة عن تراض بالعقد أو بالتعاطى. والاستثناء منقطع معناه ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض. أو ولكن كون تجارة عن تراض غير منهى عنه. وخص التجارة بالذكر لأن أسباب الرزق أكثرها متعلق بها. والآية تدل على جواز البيع بالتعاطى، وعلى جواز البيع الموقوف إذا وجدت الإجازة لوجود الرضا ، وعلى نفى خيار المجلس لأن فيها إباحة الأكل بالتجارة عن تراض من غير تقييد بالتفرق عن مكان العقد.والتقييد به زيادة على النص.

(٣) من كان من جنسكم من المؤمنين لأن المؤمنين كنفس واحدة ، أو ولا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة ، أو معنى القتل أكل الأموال بالباطل فظالم غيره كمهلك نفسه ، أولا تتبعوا أهواءها فتقتلوها ، أو تركبوا ما يوجب القتل .

(٤) ولرحمته بكم نهيكم على ما فيه صيانة أموالكم وبقاء أبدانكم . وقيل معناه أنه أمر بنى إسرائيل بقتلهم أنفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم و(كان بكم) يا أمة محمد (رحيما) حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة .

(٥) أى القتل أى ومن يقدم على قتل الأنفس .

(٦) لا خطأ ولا قصاصا وهما مصدران فى موضع الحال أو مفعول لهما .

(٧) ندخله نارا مخصوصة شديدة العذاب .

(٨) أى إصلاؤه النار .

(٩) سهلا . وهذا الوعيد فى حق المستحل للتخليد ، وفى حق غيره لبيان استحقاقه دخول النار مع وعد الله بمغفرته .

(١٠) عن ابن مسعود رضى الله عنهما الكبائر كل ما نهى الله عنه من أول سورة النساء إلى قوله (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) وعنه أيضا الكبائر ثلاث الإشراك بالله ، واليأس من رَوح الله ، والأمن من مكر الله . وقيل المراد بها أنواع الكفر بدليل قراءة عبد الله (كبير ما تنهون عنه) وهو الكفر .

وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا(١) كَرِيمًا(٢) ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ(٣) لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ(٤) وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ(٥) إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا(٦) ﴿٣٢﴾

---

(١) مَدخلا مدنى . وكلاهما بمعنى المكان والمصدر .

(٢) حسنا . وعن ابن عباس رضى الله عنهما ثمـان آيات فى سورة النساء هى خير لهذه الأمة ممـا طلعت عليه الشمس وغربت . (يريد الله ليبين لكم ، والله يريد ان يتوب عليكم ، يريد الله ان يخفف عنكم ، إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم ، إن الله لا يغفر أن يشرك به ، إن الله لا يظلم مثقال ذرة ، ومن يعمل سـوءا أو يظلم نفسه ، ما يفعل الله بعذابكم). وتشبث المعتزلة بالاية على أن الصغائر واجبة المغفرة باجتناب الكبائر وعلى أن الكبائر غير مغفورة ، باطل . لأن الكبائر والصغائر فى مشيئته تعالى سواء إن شاء عذب عليهما و إن شاء عفا عنهما لقوله تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء). فقد وعد المغفرة لمـا دون الشرك وقرنها بمشيئته تعـالى. وقوله (إن الحسنات يذهبن السيئات) . فهذه الآية تدل على أن الصغائر والكبائر يجوز ان يذهبا بالحسنات لأن لفظ السيئات ينطلق عليهما .

(٣) لمـا كان أخذ مال الغير بالباطل وقتل النفس بغير حق ، بتمنى مال الغير وجاهه ، نهاهم عن تمنى ما فضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمـال . لأن ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم بأحوال العباد و بما ينبغى لكلٍّ من بسط فى الرزق أو قبض . فعلى كل واحد أن يرضى بمـا قسم له ولا يحسد أخاه على حظه . فالحسد أن يتمنى أن يكون ذلك الشيء له و يزول عن صاحبه . والغبطة أن يتمنى مثل ما لغيره . وهو مرخص فيه . والأول منهى عنه .

(٤) لمـا قال الرجال نرجو أن يكون أجرنا على الضعف من أجر النساء كالميراث ، وقالت النساء يكون وزرنا على نصف وزر الرجال كالميراث ، نزل . أى ليس ذلك على حسب الميراث.

(٥) فإن خزائنه لا تنفد ولا تمنوا ما للناس من الفضل . قال ابن عيينة لم يأمر بالمسألة إلا ليعطى . وفى الحديث من لم يسأل الله من فضله غضب عليه . وفيه : إن الله تعالى يمسك الخير الكثير عن عبده و يقول لا أعطى عبدى حتى يسألنى . وسلوا مكى وعلىّ .

(٦) فالتفضيل منه عن علم بمواضع الاستحقاق .

وَلِكُلٍّ(١) جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ(٢) مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ(٣) وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ(٤) فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا(٥) ﴿٣٣﴾ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ(٦) بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ(٧) وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ(٨)

(١) المضاف إليه محذوف تقديره ولكل أحد أو ولكل مال .

(٢) ورّاثا يلونه ويحرزونه .

(٣) هو صفة مال المحذوف أى لكلّ مالٍ (ممّا ترك الوالدان). أو هو متعلق بفعل محذوف دل عليه الموالى تقديره يرثون مما ترك .

(٤) عاقدتهم أيديكم.وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط فوقع خبره وهو (فآتوهم)، مع الفاء . عقَدَت كوفى . أى عقدت عهودَهم أيمانكم.والمراد به عقد الموالاة. وهى مشروعة. والوراثة بها ثابتة عند عامة الصحابة رضى الله عنهم . وهو قولنا . وتفسيره إذا أسلم رجل أو امرأة لا وارث له وليس بعربى ولا معتق فيقول لآخر واليتك على أن تعقلنى إذا جنيت وترث منى إذا مت ويقول الآخر قبلت ، انعقد ذلك ويرث الأعلى من الأسفل .

(٥) أى هو عالم الغيب والشهادة وهو أبلغ وعد ووعيد .

(٦) يقومون عليهن آمرين ناهين كما يقوم الولاة على الرعايا وسموا قوّاما لذلك .

(٧) الضمير فى (بعضهم) للرجال والنساء يعنى إنما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء بالعقل والعزم والحزم والرأى والقوّة والغزو وكمال الصوم والصلاة والنبوّة والخلافة والإمامة والأذان والخطبة والجماعة والجمعة وتكبير التشريق عند أبى حنيفة رحمه الله والشهادة فى الحدود والقصاص وتضعيف الميراث والتعصيب فيه وملك النكاح والطلاق وإليهم الانتساب وهم أصحاب اللحى والعمائم .

(٨) وبأن نفقتهن عليهم وفيه دليل وجوب نفقتهن عليهم .

فَالصَّـٰلِحَـٰتُ قَـٰنِتَـٰتٌ(١) حَـٰفِظَـٰتٌ لِّلْغَيْبِ(٢) بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ(٣) وَٱلَّـٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ(٤) فَعِظُوهُنَّ(٥) وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ(٦) وَٱضْرِبُوهُنَّ(٧) فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ(٨) فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا(٩) إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا(١٠) ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا(١١)

---

(١) مطيعات قائمات بما عليهن للأزواج .

(٢) لمواجب الغيب. وهو خلاف الشهادة. أى إذا كان الأزواج غير شاهدين لهن حفظن ما يجب عليهن حفظه فى حال الغيبة من الفروج والبيوت والأموال. وقيل (للغيب) لأسرارهم .

(٣) بما حفظهن الله حين أوصى بهن الأزواج بقوله : (وعاشروهن بالمعروف) . أو بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب . أو بحفظ الله إياهن حيث صيّرهن كذلك .

(٤) عصيانهن وترفّعهن عن طاعة الأزواج . والنَّشْز المكان المرتفع والنَّبْوة . عن ابن عباس رضى الله عنهما هو أن تستخف بحقوق زوجها ولا تطيع أمره .

(٥) خوّفوهن عقوبة الله تعالى والضربَ . والعظة كلام يلين القلوب القاسية ويرغب الطبائع النافرة .

(٦) فى المراقد أى لا تداخلوهن تحت اللُّحُف . وهو كناية عن الجماع . أو هو أن يوليها ظهره فى المضجع لأنه لم يقل عن المضاجع .

(٧) ضربا غير مبرح. أمر بوعظهن أوّلا ثم بهجرانهن فى المضاجع ثم بالضرب إن لم ينجع فيهن الوعظ والهِجْران .

(٨) بترك النشوز .

(٩) فأزيلوا عنهن التعرض بالأذى. و(سبيلا) مفعول تبغوا. وهو من بغيت الأمر أى طلبته.

(١٠) أى إن علت أيديكم عليهن فاعلموا أن قدرته عليكم أعظم من قدرتكم عليهن فاجتنبوا ظلمهن. أو (إن الله كان عليا كبيرا) وإنكم تعصونه على علو شأنه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم . فأنتم أحق بالعفو عمن يجنى عليكم إذا رجع .

(١١) الخطاب للولاة . أصله شقاقا بينهما فأضيف الشقاق إلى الظرف على سبيل الاتساع كقوله (بل مكر الليل والنهار) وأصله بل مكر فى الليل والنهار . والشقاق العداوة والخلاف لأن كلا منهما يفعل ما يشُقّ على صاحبه أو يميل إلى شِقّ أى ناحيـة غير شِقّ صاحبه . والضمير للزوجين ولم يجر ذكرهما لجرى ذكر ما يدل عليهما وهو الرجال والنساء .

فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ(١) وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ(٢) إِن يُرِيدَآ إِصْلَـٰحًا(٣) يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ(٤) إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا(٥) خَبِيرًا(٦) ﴿٣٥﴾ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ(٧) وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا(٨) وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا(٩) وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ(١٠) وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ(١١)

(١) رجلا يصلح للحكومة والإصلاح بينهما .

(٢) وإنما كان بعث الحكمين من أهلهما لأن الأقارب أعرف ببواطن الأحوال، وأطلب للصلاح، ونفوس الزوجين أسكن إليهم فيبرزان ما فى ضمائرهما من الحب والبغض وإرادة الصحبة والفرقة .

(٣) الضمير للحكمين . وليس لهما ولاية التفريق عندنا خلافا لمالك رحمه الله .

(٤) الضمير للزوجين أى إن قصدا إصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة بورك فى وساطتهما وأوقع الله بحسن سعيهما بين الزوجين الألفة والوفاق وألقى فى نفوسهما المودّة والاتفاق . أو الضميران للحكمين أى إن قصدا إصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما فيتفقان على الكلمة الواحدة ويتساندان فى طلب الوفاق حتى يتم المراد . أو الضميران للزوجين أى إن يريدا إصلاح ما بينهما وطلبا الخير وأن يزول عنهما الشقاق، يلق الله بينهما الألفة وأبدلهما بالشقاق الوفاق وبالبغضاء المودّة .

(٥) بإرادة الحكمين .

(٦) بالظالم من الزوجين .

(٧) قيل العبودية أربعة الوفاء بالعهود والرضا بالموجود والحفظ للحدود والصبر على المفقود .

(٨) صنما وغيره . ويحتمل المصدر أى إشراكا ما .

(٩) وأحسنوا بهما إحسانا بالقول والفعل والإنفاق عليهما عند الاحتياج .

(١٠) وبكل من بينكم وبينه قربى من أخ أو عم او غيرهما .

(١١) الذى قرب جواره .

وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ (١) وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ (٢) وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ (٣) وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ (٤) إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا (٥) فَخُورًا (٦) ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ (٧) يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ (٨) وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ (٩) وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (١٠) ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ (١١) رِئَآءَ ٱلنَّاسِ (١٢) وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ

(١) أى الذى جواره بعيد . أو الجار القريب النسيب ، والجار الجنب الأجنبى .

(٢) أى الزوجة ، عن علىّ رضى الله عنه . أو الذى صحبك بأن حصل بجنبك إما رفيقا فى سفر أو شريكا فى تعلم علم أو غيره أو قاعدا إلى جنبك فى مجلس أو مسجد .

(٣) الغريب أو الضيف .

(٤) العبيد والإماء .

(٥) متكبرا يأنف عن قرابته وجيرانه فلا يلتفت إليهم .

(٦) يعدد مناقبه كبرا . فإن عدّها اعترافا كان شكورا .

(٧) نصب على البدل من (مَن كان مختالا فخورا) . وجمع على معنى مَن . أو على الذم . أو رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره هم (الذين يبخلون) .

(٨) بالبَخَل حمزة وعلىّ وهما لغتان كالرُّشْد والرَّشَد . أى يبخلون بذات أيديهم وبما فى أيدى غيرهم فيأمرونهم بأن يبخلوا به مقتا للسَّخاء . قيل البخل أن يأكل بنفسه ولا يُؤْكل غيره . والشح ألا يأكل ولا يؤكل . والسخاء أن يأكل ويؤكل . والجود أن يؤكل ولا يأكل .

(٩) ويخفون ما أنعم الله عليهم به من المـال وسعة الحال . وفى الحديث إذا أنعم الله على عبده نعمة أحب أن يرى نعمته على عبده . وبنى عامل للرشيد قصرا حذاء قصره فنُمّ به فقال الرجل : يا أمير المؤمنين إن الكريم يسرّه أن يرى أثر نعمته فأحببت أن أُسُرَّك بالنظر إلى آثار نعمتك . فأعجبه كلامه . وقيل نزلت فى شأن اليهود الذين كتموا صفة محمد عليه السلام .

(١٠) أى يهانون به فى الآخرة .

(١١) معطوف على الذينَ يبخلون أو على الكافرين .

(١٢) مفعول له أى للفخار وليقـال ما أجودهم لا لابتغاء وجه الله . وهم المنافقون أو مشركو مكة .

ٱلْـَٔاخِرِ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا[1] ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ[2] وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا[3] ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ[4] وَإِن تَكُ حَسَنَةً[5] يُضَٰعِفْهَا[6] وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا[7] ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا[8] مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ[9] وَجِئْنَا بِكَ[10] عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ[11]

---

(١) حيث حملهم على البخل والرياء وكل شر . ويجوز أن يكون وعيدا لهم بأن الشيطان يقرن بهم فى النار .

(٢) وأى تبعة ووبال عليهم فى الإيمان والإنفاق فى سبيل الله. والمراد الذم والتوبيخ. وإلا فكل منفعة ومصلحة فى ذلك. وهذا كما يقال للعاق ما ضرك لو كنت بارا وقد علم أنه لا مضرة فى البر ولكنه ذم وتوبيخ .

(٣) وعيد .

(٤) هى النملة الصغيرة . وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه أدخل يده فى التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة . وقيل كل جزء من أجزاء الهباء فى الكوة ذرة .

(٥) وإن يك مثقال الذرة حسنة . وإنما أنث ضمير المثقال لكونه مضافا إلى مؤنث . حسنةٌ حجازى على كان التامة . وحذفت النون من تكن تخفيفا لكثرة الاستعمال .

(٦) يضاعف ثوابها . يضعّفها مكى وشامى .

(٧) ويعط صاحبها من عنده ثوابا عظيما . وما وصفه الله بالعظم فمن يعرف مقداره ، مع أنه سمى متاع الدنيا قليلا ؟ . وفيه إبطال قول المعتزلة فى تخليد مرتكب الكبيرة مع أن له حسنات كثيرة .

(٨) يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم .

(٩) يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم .

(١٠) يا محمد .

(١١) أى أمتك .

شَهِيدًا (١) ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ (٢) يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ (٣) وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ (٤) وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا (٥) ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ (٦) حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ (٧) وَلَا جُنُبًا (٨) إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ (٩)

(١) حال أى شاهدا على من آمن بالإيمان وعلى من كفر بالكفر وعلى من نافق بالنفاق . وعن ابن مسعود رضى الله عنــه أنه قرأ سورة النساء على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ قوله (وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال حسبنا .

(٢) ظرف لقوله (يودّ) .

(٣) بالله .

(٤) لو يدفنون فتسوى بهم الأرض كما تسوى بالموتى. أو يودون أنهم لم يبعثوا وأنهم كانوا والأرض سواء. أو تصير البهائم ترابا فيودون حالهـا. تسوى بفتح التاء وتخفيف السين والإمالة وحذف إحدى التاءين من تتسوى ، حمزة وعلىّ. تسوى بادغام التاء فى السين مدنى وشامى .

(٥) مستأنف أى ولا يقدرون على كتمانه لأن جوارحهم تشهد عليهم .

(٦) لمـا صنع عبد الرحمن بن عوف طعاما وشرابا ودعا نفرا من الصحابة رضى الله عنهم حين كانت الخمر مباحة فأكلوا وشربوا فقدموا أحدهم ليصلى بهــم المغرب فقرأ قل يا أيهـا الكافرون أعبد ما تعبدون وأنتم عابدون ما أعبد، نزل. أى لا تقربوها فى هذه الحالة. وفيه دليل على أن رِدّة السكران ليست بِردة لأن قراءة سورة الكافرين بطرح اللامات كفر ولم يحكم بكفره حتى خاطبهم باسم الإيمان. وما أمر النبى عليه السلام بالتفريق بينه وبين امرأته ولا بتجديد الإيمان. ولأن الأمة اجتمعت على أن من أجرى كلمة الكفر على لسانه مخطئا لايحكم بكفره.

(٧) أى تقرءون .

(٨) عطف على (وأنتم سكارى) لأن محل الجملة مع الواو النصب على الحال كأنه قيل لا تقربوا الصــلاة سكارى ولا جنبا أى ولا تصلوا جنبا . والجنب يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لأنه اسم جرى مجرى المصدر الذى هو الإجناب . والمراد بالجنب الذين لم يغتسلوا كأنه قيل لا تقربوا الصلاة غير مغتسلين .

(٩) صفة لقوله جنبا أى لا تقربوا الصلاة جنبا غير عابرى سبيل أى جنبا مقيمين غير مسافرين . أى إلا أن تكونوا مسافرين عادمين المـاء متيممين . عبر عن المتيمم بالمسافر لأن غالب حاله عدم المـاء .

حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ[1] أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ[2] فَلَمْ تَجِدُوا۟[3] مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟[4] صَعِيدًا[5] طَيِّبًا[6] فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ[7] وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا[8] غَفُورًا[9] ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ[10] إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا

وهذا مذهب أبى حنيفة رحمه الله وهو مروى عن علىّ رضى الله عنه . وقال الشافعى رحمه الله (لاتقربوا الصلاة) أى مواضع الصلاة وهى المساجد (ولا جنبا) أى ولاتقربوا المسجد جنبا (إلا عابرى سبيل) إلا مجتازين فيه . فيجوز للجنب العبور فى المسجد عند الحاجة .

(١) أى المطمئن من الأرض وكانوا يأتونه لقضاء الحاجة فكنى به عن الحدث .

(٢) جامعتموهن . كذا عن علىّ رضى الله عنه وابن عباس . لمستم حمزة وعلىّ .

(٣) فلم تقدروا على استعماله لعدمه أو بعده أو فقد آلة الوصول إليه أو لمانع من حية أو سبع أو عدو .

(٤) أدخل فى حكم الشرط أربعة وهم المرضى والمسافرون والمحدثون وأهل الجنابة. والجزاء الذى هو الأمر بالتيمم متعلق بهم جميعا . فالمرضى إذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول إليه ، والمسافرون إذا عدموه لبعده ، والمحدثون وأهل الجنابة إذا لم يجدوه لبعض الأسباب ، فلهم أن يتيمموا .

(٥) قال الزجاج هو وجه الأرض ترابا كان أو غيره وإن كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده ومسح لكان ذلك طهوره . و(من) فى سورة المائدة لابتداء الغاية لا للتبعيض .

(٦) طاهرا .

(٧) قيل الباء زائدة .

(٨) بالترخيص والتيسير .

(٩) عن الخطأ والتقصير .

(١٠) من رؤية القلب. وعدى بإلى على معنى ألم ينته علمك إليهم. أو بمعنى ألم تنظر إليهم.

مِّنَ ٱلۡكِتَـٰبِ يَشۡتَرُونَ[1] ٱلضَّلَـٰلَةَ[2] وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ[3] ٱلسَّبِيلَ[4] ۝ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡ[5][6] وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا[7] وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا[8] ۝ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ[9] يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ[10]

---

(١) حظا من علم التوراة وهم احبار اليهود .

(٢) يستبدلونها بالهـدى وهو البقاء على اليهودية بعد وضـوح الآيات لهم على صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه هو النبي العربي المبشر به فى التوراة والإنجيل .

(٣) أنتم أيها المؤمنون .

(٤) أى سبيل الحق كما ضلوه .

(٥) منكم .

(٦) وقد أخبركم بعداوة هؤلاء فاحذروهم ولا تستنصحوهم فى أموركم .

(٧) فى النفع .

(٨) فى الدفع . فثقوا بولايته ونُصْرته دونهم. أو لا تبالوا بهم فإن الله ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم .وليا ونصيرا منصوبان على التمييز أو على الحال .

(٩) بيان للذين أوتوا نصيبا من الكتاب ، او بيان لأعدائكم . وما بينهما اعتراض . أو يتعلق بقوله نصـيرا . أى ينصركم (من الذين هادوا) كقوله (ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا) . أو يتعلق بمحذوف تقديره (من الذين هادوا) قوم (يحرفون الكلم) . فقوم مبتدأ ويحرفون صفة له والخبر من الذين هادوا مقدّم عليه وحذف الموصوف وهو قوم وأقيم صفته وهو يحرفون مقامه .

(١٠) يميلونه عنها ويزيلونه لأنهم إذا بدلوه ووضعوا مكانه كلمًا غيره فقد أمالوه عن مواضعه فى التوراة التى وضعه الله تعالى فيهـا وأزالوه عنها . وذلك نحو تحريفهم أسمر ربعة عن موضعه فى التوراة بوضعهم آدم طَوال مكانه . ثم ذكر هنا (عن مواضعه) وفى المـائدة (من بعد مواضعه) .فمعنى عن مواضعه على ما بينا من إزالته عن مواضعه التى أوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من إبدال غيره مكانه .ومعنى (من بعد مواضعه) أنه كانت له مواضع هو جدير بأن يكون فيها لحين حرفوه تركوه كالغريب الذى لا موضع له بعـد مواضعه ومقارّه . والمعنيان متقاربان .

وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا(١) وَعَصَيْنَا(٢) وَاسْمَعْ(٣) غَيْرَ مُسْمَعٍ(٤) وَرَاعِنَا(٥) لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ(٦) وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا(٧) سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا(٨) وَاسْمَعْ(٩) وَانظُرْنَا(١٠) لَكَانَ(١١)

(١) قولك .

(٢) أمرك . قيل أسرّوا به .

(٣) قولنا .

(٤) حال من المخاطب أى اسمع وأنت غير مسمع . وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم . أى اسمع منّا مدعوّا عليك بلا سمعت . لانه لو أجيبت دعوتهم عليه لم يسمع شيئا فكان أصم غير مسمع . قالوا ذلك اتكالا على أن قولهم لا سمعت دعوة مستجابة . أو اسمع غير مجاب إلى ما تدعو إليه . ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكأنك لم تسمع شيئا . أو اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك عنه ناب. ويحتمل المدح أى اسمع غير مسمع مكروها من قولك أسمع فلان فلانا إذا سبّه .

(٥) يحتمل راعنا نكلمك. أى ارقبنا وانتظرنا. ويحتمل شبه كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يتسابون بها وهى "راعينا" فكانوا سخرية بالدين وهزؤا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والإهانة ويظهرون به التوقير والإكرام .

(٦) فتلًا بها وتحريفا أى يفتلون بألسنتهم الحق إلى الباطل حيث يضعون (راعنا) موضع انظرنا و(غير مسمع) موضع لا أسمعت مكروها . أو يفتلون بألسنتهم ما يضمرونه من الشتم إلى ما يظهرونه من التوقير نفاقا .

(٧) هو قولهم لو كان نبيا حقا لأخبر بما نعتقد فيه .

(٨) ولم يقولوا (وعصينا) .

(٩) ولم يلحقوا به (غير مسمع) .

(١٠) مكان (راعنا) .

(١١) قولهم ذاك .

خَيْرًا لَّهُمْ⁽¹⁾ وَأَقْوَمَ⁽²⁾ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ⁽³⁾ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا⁽⁴⁾ ﴿٤٦﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا⁽⁵⁾ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم⁽⁶⁾ مِّن قَبْلِ
أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا⁽⁷⁾ فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ⁽⁸⁾ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ⁽⁹⁾

---

(1) عند الله .

(2) وأعدل وأسدّ .

(3) طردهم وأبعدهم عن رحمته بسبب اختيارهم الكفر .

(4) منهم قد آمنوا كعبد الله بن سلام وأصحابه. أو إلا إيمانا قليلا ضعيفا لا يعبأ به وهو إيمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره .

(5) يعنى القرآن .

(6) يعنى التوراة .

(7) أى نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وأنف وفم .

(8) فنجعلها على هيئة أدبارها وهى الأقفاء مطموسة مثلها . والفاء للتسبيب. وإن جعلتها للتعقيب على أنهم تُوُعِّدوا بعقابين أحدهما عقيب الآخر ـــ ردُّها على أدبارها بعد طمسها، فالمعنى أن نطمس وجوها فننكّس الوجوه إلى خلف والأقفاء إلى قدام. وقيل المراد بالطمس القلب والتغيير كما طمس أموال القبط فقلبها حجارة، وبالوجوه رءوسهم و وجهاؤهم . أى من قبـل أن نغير أحوال وجهائهم فلسلبهم إقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم و إدبارهم .

(9) أى نخزيهم بالمسخ كما مسخنا أصحاب السبت . والضمير يرجع إلى الوجوه إن أريد الوجهاء، أو إلى الذين أوتوا الكتاب على طريقة الالتفات .

والوعيد كان معلقا بألا يؤمن كلهم وقد آمن بعضهم. فإن ابن سلام قد سمع الآية قافلا من الشام فأتى النبى صلى الله عليه وسلم مسلما قبل أن يأتى أهله وقال ما كنت أرى أن أصل إلى أهلى قبـل أن يطمس الله وجهى . أو أن الله تعالى أوعدهم بأحد الأمرين بطمس الوجوه أو بلعنهم . فإن كان الطمس تبدل أحوال رؤسائهم فقد كان أحد الأمرين . وإن كان غيره فقد حصل اللعن فإنهم ملعونون بكل لسان . وقيل هو منتظر فى اليهود .

وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا(١) ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ(٢) أَن يُشْرَكَ بِهِۦ(٣) وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ(٤) لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا(٥) ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم(٦) بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ(٧) وَلَا يُظْلَمُونَ(٨) فَتِيلًا(٩) ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ

(١) أى المأمور به وهو العذاب الذى أوعدوا به .

(٢) كائنا لا محالة فلا بد أن يقع أحد الأمرين إن لم يؤمنوا .

(٣) إن مات عليه .

(٤) أى ما دون الشرك وإن كان كبيرة مع عدم التوبة . والحاصل أن الشرك مغفور عنه بالتوبة ، وأنّ وعْد غفرانِ مادونه ، لمن لم يتب . أى لا يغفر لمن يشرك وهو مشرك ويغفر لمن يذنب وهو مذنب . قال النبي عليه السلام : من لقى الله تعالى لايشرك به شيئا دخل الجنة ولم تضره خطيئته . وتقييده بقوله لمن يشاء لا يخرجه عن عمومه كقوله (الله لطيف بعباده يرزق من يشاء) . قال علىّ رضى الله عنه ما فى القرآن آية أحب إلىّ من هذه الآية . وحمْل المعتزلة على التائب ، باطل . لأن الكفر مغفور عنه بالتوبة لقوله تعالى (قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف) فما دونه أولى أن يغفر بالتوبة . والآية سيقت لبيان التفرقة بينهما . وذا فيما ذكرنا .

(٥) كذب كذبا عظيما استحق به عذابا أليما .

(٦) نزل فيمن زكّى نفسه من اليهود والنصارى حيث قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى . ويدخل فيها كل من زكّى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة والتقوى .

(٧) إعلام بأن تزكية الله هى التى يعتد بها لا تزكية غيره لأنه هو العالم بمن هو أهل للتزكية. ونحوه (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) .

(٨) أى الذين يزكون أنفسهم يعاقبون على تزكية أنفسهم حق جزائهم . أو من يشاء يثابون على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم .

(٩) قدر فتيل وهو ما يحدث بفتل الأصابع من الوسخ .

يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ[(1)] وَكَفَىٰ بِهِۦٓ[(2)] إِثْمًا مُّبِينًا[(3)] ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ[(4)] يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ[(5)] وَٱلطَّٰغُوتِ[(6)] وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا[(7)] ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ[(8)] وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا[(9)] ۝ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ[(10)] فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا[(11)] ۝

(١) فى زعمهم أنهم عند الله أزكياء .

(٢) بزعمهم هذا .

(٣) من بين سائر آثامهم .

(٤) يعنى اليهود .

(٥) أى الأصنام وكل ما عبدوه من دون الله .

(٦) الشيطان .

(٧) وذلك أن حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف اليهوديين خرجا إلى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أنتم أهل الكتاب وأنتم إلى محمد أقرب منا وهو أقرب منكم إلينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن إليكم ففعلوا . فهذا إيمانهم بالجبت والطاغوت لأنهم سجدوا للأصنام وأطاعوا إبليس عليه اللعنة فيما فعلوا . فقال أبو سفيان أنحن أهدى سبيلا أم محمد ؟ فقال كعب أنتم أهدى سبيلا .

(٨) أبعدهم من رحمته .

(٩) يعتدّ بنصره .

(١٠) وصف اليهود بالبخل والحسد وهما من شر الخصال. يمنعون ما لهم ويتمنون ما لغيرهم. فأم منقطعة . ومعنى الهمزة الإنكار أن يكون لهم نصيب من الملك .

(١١) أى لو كان لهم نصيب من الملك — أى ملك أهل الدنيا أو ملك الله — فإذا لا يؤتون أحدا مقدار نقير لفرط بخلهم . والنقير النقرة فى ظهر النواة . وهو مثل فى القلة كالفتيل .

أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ (١) فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ (٢) وَٱلْحِكْمَةَ (٣) وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا (٤) ۝ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ (٥) وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ (٦) وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا (٧) ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ (٨) نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ (٩) جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا (١٠) لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ (١١)

---

(١) بل أيحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، على إنكار الحسد واستقباحه. وكانوا يحسدونهم على ما آتاهم الله من النصرة والغلبة وازدياد العز والتقدم كل يوم .

(٢) أى التوراة .

(٣) الموعظة والفقه .

(٤) يعنى ملك يوسف وداود وسليمان عليهم السلام. وهذا إلزام لهم بما عرفوه من إيتاء الله الكتاب والحكمة آل إبراهيم الذين هم أسلاف محمد عليه السلام، وأنه ليس ببدع أن يؤتيه الله مثل ما أوتى أسلافه .

(٥) فمن اليهود من آمن بما ذكر من حديث آل إبراهيم .

(٦) وأنكره مع علمه بصحته. أو من اليهود من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من أنكر نبوته وأعرض عنه .

(٧) للصادين .

(٨) ندخلهم .

(٩) أحرقت .

(١٠) أعدنا تلك الجلود غير محترقة فالتبديل والتغيير لتغاير الهيئتين لا لتغاير الأصلين عند أهل الحق خلافا للكرامية. وعن فضيل يجعل النضيج غير نضيج .

(١١) ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز : أعزك الله، أى أدامك على عزك .

إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا(١) حَكِيمًا(٢) ۝ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ(٣) وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا(٤) ۝ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا(٥) وَإِذَا حَكَمْتُم(٦) بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ(٧) إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا(٨) يَعِظُكُم بِهِۦٓ

(١) غالبا بالانتقام لا يمتنع عليه شىء مما يريده بالمجرمين .

(٢) فيما يفعل بالكافرين .

(٣) من الأنجاس والحيض والنفاس .

(٤) هو صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيد معناه كما يقال ليل أليل وهو ما كان طويلا فَيْنانا لاجُوَب فيه، ودائما لاتنسخه الشمس، وسَجْسَجا لا حر فيه ولا برد. وليس ذلك إلا ظل الجنة .

(٥) خاطب الولاة بأداء الأمانات والحكم بالعــدل . وقيل قد دخل فى هذا الأمر أداء الفرائض التى هى أمانة الله تعالى التى حملها الإنسان، وحفظ الحواس التى هى ودائع الله تعالى.

(٦) فضيتم .

(٧) بالسوية والإنصاف. وقيل إن عثمان بن طلحة بن عبد الدار كان سادن الكعبة وقد أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منه مفتاح الكعبة. فلما نزلت الآية أمر عليا رضى الله عنه بأن يرده إليه وقال رســول الله صلى الله عليه وســلم : لقد أنزل الله فى شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية . فأسلم عثمان . فهبط جبريل عليه السلام وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن السِّدانة فى أولاد عثمان أبدا .

(٨) ما نكرة منصوبة موصوفة بيعظكم به كأنه قيل نعم شيئا يعظكم به. أو موصولة مرفوعة المحل صلتها ما بعدها أى نعم الشىء الذى يعظكم به. والمخصوص بالمدح محذوف أى نعما يعظكم به ذلك . وهو المأمور به من أداء الأمانات والعدل فى الحكم . وبكسر النون وسكون العين مدنى وأبو عمرو . وبفتح النون وكسر العين شامى وحمزة وعلىّ ..

إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًا(١) بَصِيرًا(٢) ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ(٣) فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ(٤) فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ(٥) إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ(٦) ذَٰلِكَ(٧) خَيۡرٞ(٨) وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا(٩) ﴿٥٩﴾

(١) لأقوالكم .

(٢) بأعمالكم

لما أمر الولاة بأداء الأمانات والحكم بالعدل أمر الناس بأن يطيعوهم بقوله : (يأيها الذين آمنوا) .

(٣) أى الولاة أو العلماء لأن أمرهم ينفذ على الأمراء .

(٤) فإن اختلفتم أنتم وأولو الأمر فى شىء من أمور الدين .

(٥) أى ارجعوا فيه إلى الكتاب والسنة .

(٦) أى أن الإيمان يوجب الطاعة دون العصيان. ودلت الآية على أن طاعة الأمراء واجبة إذا وافقوا الحق فإذا خالفوه فلا طاعة لهم لقوله عليه السلام : لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق. وحكى أن مسلمة بن عبد الملك بن مروان قال لأبى حازم: ألستم أُمرتم بطاعتنا بقوله (وأولى الأمر منكم)؟ فقال أبو حازم: أليس قد نزعت الطاعة عنكم إذا خالفتم الحق بقوله (فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول)؟ أى القرآن والرسول فى حياته وإلى أحاديثه بعد وفاته.

(٧) إشارة إلى الرد . أى الرد إلى الكتاب والسنة خير.

(٨) عاجلا .

(٩) عاقبة

كان بين بشر المنافق ويهودى خصومة فدعاه اليهودى إلى النبى صلى الله عليه وسلم لعلمه أنه لا يرتشى ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف ليرشوه . فاحتكما إلى النبى عليه السلام فقضى لليهودى. فلم يرض المنافق وقال تعال نتحاكم إلى عمر. فقال اليهودى لعمر رضى الله عنه قضى لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه فقال عمر للمنافق : أكذلك ؟ قال : نعم . فقال عمر: مكانكما حتى أخرج إليكما. فدخل عمر فأخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق. فقال هكذا أقضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله . فنزل (ألم تر إلى الذين يزعمون) .

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ(١) أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ(٢) وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَـٰلًۢا(٣) بَعِيدًا(٤) ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ(٥) تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ(٦) رَأَيْتَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا(٧) ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ(٨) إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ(٩) بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ(١٠) ثُمَّ جَآءُوكَ(١١) يَحْلِفُونَ(١٢) بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ(١٣)

وقال جبريل عليه السلام إن عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت الفاروق .

(١) حال من الضمير فى (يزعمون) .

(٢) أى كعب بن الأشرف . سماه الله طاغوتا لإفراطه فى الطغيان وعداوة رسول الله عليه السلام . أو على التشبيه بالشيطان . أو جعل اختيار التحاكم إلى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحاكم إليه تحاكما إلى الشيطان بدليل قوله (وقد أمروا أن يكفروا به) .

(٣) عن الحق .

(٤) مستمرا إلى الموت .

(٥) للمنافقين .

(٦) للتحاكم .

(٧) يعرضون عنك إلى غيرك ليغروه بالرشوة فيقضى لهم .

(٨) تكون حالهم وكيف يصنعون .

(٩) من قتل عمر بشراً .

(١٠) من التحاكم إلى غيرك واتّهامهم لك فى الحكم .

(١١) أى أصحاب القتيل من المنافقين .

(١٢) حال .

(١٣) ما أردنا بتحاكمنا إلى غيرك .

إِلَّآ إِحْسَـٰنًا(١) وَتَوْفِيقًا(٢) ﴿٦٢﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ(٣) فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا(٤) ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ(٥) إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ(٦) وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ(٧) جَآءُوكَ(٨) فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ(٩)

(١) لا إساءة .

(٢) بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك . وهذا وعيد لهم على فعلهم وأنهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغنى عنهم الاعتذار . وقيل جاء أولياء المنافق يطلبون بدمه وقد أهدره الله فقالوا ما أردنا بالتحاكم إلى عمر إلا أن يحسن إلى صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا أنه يحكم له بما حكم به .

(٣) من النفاق .

(٤) فأعرض عن قبول الأعذار، وعظ بالزجر والإنكار ، وبالغ فى وعظهم بالتخويف والإنذار . أو أعرض عن عقابهم ، وعظهم فى عتابهم ، وبلغ كنه ما فى ضميرك من الوعظ بارتكابهم . والبلاغة أن يبلغ بلسانه كنه ما فى جنانه . و(فى أنفسهم) يتعلق بقل لهم أى (قل لهم فى) معنى (أنفسهم) الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق (قولا بليغا) يبلغ منهم ويؤثر فيهم .

(٥) أى رسولا قط .

(٦) بتوفيقه فى طاعته وتيسيره . أو بسبب إذن الله فى طاعته ، وبأنه أمر المبعوث إليهم بأن يطيعوه لأنه مؤد عن الله فطاعته طاعة الله (ومن يطع الرسول فقد أطاع الله) .

(٧) بالتحاكم إلى الطاغوت .

(٨) تائبين من النفاق معتذرين عما ارتكبوا من الشقاق .

(٩) من النفاق والشقاق .

وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ(١) تَوَّابًا(٢) رَّحِيمًا(٣) ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ(٤) لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ(٥) ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا(٦) مِّمَّا قَضَيْتَ(٧) وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا(٨) ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ(٩) أَنِ(١٠) ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ(١١) أَوِ ٱخْرُجُواْ

(١) بالشفاعة لهم . والعامل فى (إذ ظلموا) خبر أنّ وهو (جاءوك) . والمعنى ولو وقع مجيئهم فى وقت ظلمهم مع استغفارهم واستغفار الرسول . ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه إلى طريقة الالتفات تفخيما لشأنه صلى الله عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على أن شفاعة مَن اسمه الرسول من الله بمكان .

(٢) لعلموه توابا أى لتاب عليهم .

(٣) بهم . قيل جاء أعرابى بعد دفنه عليه السلام فرمى بنفسه على قبره وحثا من ترابه على رأسه وقال يا رسول الله قلت فسمعنا وكان فيما أُنزل عليك (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم) الآية وقد ظلمت نفسى وجئتك استغفر الله من ذنبى فاستغفر لى من ربى . فنودى من قبره قد غفر لك .

(٤) أى فوربّك كقوله (فوربك لنسألنهم) . ولا مزيدة لتأكيد معنى القسم . وجواب القسم (لا يؤمنون) . أو التقدير (فلا) أى ليس الأمر كما يقولون ثم قال (وربك لا يؤمنون) .

(٥) فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل أغصانه .

(٦) ضيقا . أو شكّا لأن الشاك فى ضيق من أمره حتى يلوح له اليقين .

(٧) أى لا تضيق صدورهم من حكمك .

(٨) وينقادوا لقضائك انقيادا وحقيقته سلم نفسه له وأسلمها أى جعلها سالمة له أى خالصة . و(تسليما) مصدر مؤكد للفعل بمنزلة تكريره كأنه قيل وينقادوا لحكمك انقيادا لاشبهة فيه بظاهرهم وباطنهم . والمعنى لا يكونون مؤمنين حتى يرضوا بحكمك وقضائك .

(٩) على المنافقين أى ولو وقع كَتْبنا عليهم .

(١٠) أنِ هى المفسرة .

(١١) أى تعرضوا للقتل بالجهاد . أو ولو أوجبنا عليهم مثل ما أوجبنا على بنى إسرائيل من قتلهم أنفسهم .

مِن دِيَٰرِكُم(١) مَّا فَعَلُوهُ(٢) إِلَّا قَلِيلٌ(٣) مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ(٤) لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ(٥) وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا(٦) ﴿٦٦﴾ وَإِذًا(٧) لَّآتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا(٨) ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا(٩) مُّسْتَقِيمًا(١٠) ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ(١١) وَٱلشُّهَدَآءِ(١٢) وَٱلصَّٰلِحِينَ(١٣) وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا(١٤) ﴿٦٩﴾

---

(١) بالهجرة .

(٢) لنفاقهم والهاء ضمير أحد مصدرى الفعلين وهو القتل أو الخروج أو ضمير المكتوب لدلالة كتبنا عليه .

(٣) قليلا شامى على الاستثناء والرفع على البدل من واو فعلوه .

(٤) من اتباع رسول الله عليه السلام والانقياد لحكمه .

(٥) فى الدارين .

(٦) لإيمانهم وأبعد عن الاضطراب فيه .

(٧) جواب لسؤال مقدر كأنه قيل وما ذا يكون لهم بعد التثبيت ؟ فقيل (وإذا) لو ثبتوا. (لآتيناهم من لدنّا أجرا عظيما) .

(٨) أى ثوابا كثيرا لا ينقطع .

(٩) مفعول ثان .

(١٠) أى لثبتناهم على الدين الحق .

(١١) كأفاضل صحابة الأنبياء.والصديق المبالغ فى صدق ظاهره بالمعاملة وباطنه بالمراقبة. أو الذى يصدق قوله بفعله .

(١٢) والذين استشهدوا فى سبيل الله.

(١٣) ومن صلحت أحوالهم وحسنت أعمالهم .

(١٤) أى وما أحسن أولئك رفيقا وهو كالصديق والخليط فى استواء الواحد والجمع فيه .

ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ(١) مِنَ ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا(٢) ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ(٣) فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ(٤) أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا(٥) ۝ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن(٦) لَّيُبَطِّئَنَّ(٧) فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ(٨) قَالَ(٩) قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا(١٠) ۝

(١) مبتدأ خبره (الفضل) أو الفضل صفته و (من الله) خبره . والمعنى أن ما أعطى المطيعون من الأجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم، من الله لأنه تفضل به عليهم. أو أراد أن فضل المنعم عليهم ومن يتهم من الله .

(٢) بعباده وبمن هو أهل الفضل. ودلت الآية على أن ما يفعل الله بعباده فهو فضل منه بخلاف ما يقوله المعتزلة .

(٣) الحذر والحذَر بمعنى وهو التّحرّز وهما كالإثر والأثر. يقال أخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كأنه جعل الحذر آلته التى يقى بها نفسه ويعصم بها روحه. والمعنى احذروا واحترزوا من العدو .

(٤) فاخرجوا إلى العدو جماعات متفرقة سَرِيّة بعد سَرِيّة. فالثُّبات الجماعات واحدها ثُبَة.

(٥) أى مجتمعين أو مع النبي عليه السلام لأن الجمع بدون السمع لا يتم والعقد بدون الواسطة لا ينتظم . أو (انفروا ثُبات) إذا لم يعمّ النفير (أو انفروا جميعا) إذا عمّ النفير. وثباتٍ حال وكذا جميعا .

(٦) اللام للابتداء بمنزلتها فى إن الله لغفور ومَن موصولة .

(٧) اللام جواب قسم محذوف تقديره وإن منكم لمن أقسم بالله ليبطئن . والقسم وجوابه صلة مَن . والضمير الراجع منها إليه ما استكن فى (ليبطئن) أى ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد . وبطؤ بمعنى أبطأ أى تأخر ويقال ما بطؤ بك فيتعدّى بالباء . والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقوله (منكم) أى فى الظاهر دون الباطن يعنى المنافقين يقولون لم تقتلون أنفسكم تأنوا حتى يظهر الأمر .

(٨) قتل أو هزيمة .

(٩) المبطّئ .

(١٠) حاضرا فيصيبنى مثل ما أصابهم .

وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ (١) لَيَقُولَنَّ (٢) كَأَن (٣) لَّمْ تَكُن (٤) بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ (٥) فَوْزًا عَظِيمًا (٦) ﴿٧٣﴾ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ (٧) ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (٨) ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمْ (٩) لَا تُقَٰتِلُونَ (١٠) فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ

---

(١) فتح أو غنيمة .

(٢) هذا المبطئ متلهفا على ما فاته من الغنيمة لا طلبا للمثوبة .

(٣) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أى كأنه .

(٤) وبالتاء مكى وحفص . وهى اعتراض بين الفعل وهو (ليقولن) وبين مفعوله وهو (ياليتنى) والمعنى كأن لم يتقدم له معكم موادة لأن المنافقين كانوا يوادون المؤمنين فى الظاهر وإن كانوا يبغون لهم الغوائل فى الباطن .

(٥) بالنصب لأنه جواب التمنى .

(٦) فآخذ من الغنيمة حظا وافرا .

(٧) يبيعون . والمراد المؤمنون الذين يستحبون الحياة الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها . أى إن صد الذين مرضت قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون . أو يشترون . والمراد المنافقون الذين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة . وعظوا بأن يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا الإيمان بالله ورسوله ويجاهدوا فى سبيل الله حق جهاده .

(٨) وعد الله المقاتل فى سبيل الله ظافرا أو مظفورا به إيتاء الأجر العظيم على اجتهاده فى إعزاز دين الله .

(٩) مبتدأ وخبر . وهذا الاستفهام فى النفى للتنبيه على الاستبطاء وفى الإثبات للإنكار .

(١٠) حال والعامل فيها الاستقرار كما تقول مالك قائما . والمعنى وأى شىء لكم تاركين القتال وقد ظهرت دواعيه .

وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ(١) مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ(٢) ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ(٣) ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا(٤) وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا(٥) وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا(٦) ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ(٧) وَٱلَّذِينَ

(١) مجرور بالعطف على (سبيل الله). أى فى سبيل الله وفى خلاص المستضعفين. أو منصوب على الاختصاص منه أى واختص من سبيل الله خلاص المستضعَفين من المستضعِفين لأن سبيل الله عام فى كل خير وخلاص المسلمين من أيدى الكفار من أعظم الخير وأخصه. والمستضعَفون هم الذين أسلموا بمكة وصدّهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين أظهرهم مستذلّين مستضعَفين يلْقَوْن منهم الأذى الشديد .

(٢) ذكر الولدان تسجيلا بإفراط ظلمهم حيث بلغ أذاهم الولدان غير المكلفين إرغاما لآبائهم وأمهاتهم، ولأن المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم فى دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس عليه السلام. عن ابن عباس رضى الله عنهما كنت أنا وأمى من المستضعفين من النساء والولدان .

(٣) يعنى مكة .

(٤) (الظالم) وصف للقرية إلا أنه مسند إلى أهلها فأعطى إعراب القرية لأنه صفتها وذكّر لإسناده إلى الأهل كما تقول من هذه القرية التى ظلم أهلها .

(٥) يتولى أمرنا ويستنقذنا من أعدائنا .

(٦) ينصرنا عليهم. كانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسّر الله لبعضهم الخروج إلى المدينة وبقى بعضهم إلى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولىّ وناصر وهو محمد عليه السلام فتولاهم أحسن التولى ونصرهم أقوى النصر. ولما خرج محمد صلى الله عليه وسلم استعمل عتاب ابن أسيد فرأوا منه الولاية والنصرة كما أرادوا . قال ابن عباس رضى الله عنهما كان ينصر الضعيف من القوى حتى كانوا أعزّ بها من الظلمة .

(٧) رغب الله المؤمنين بأنهم يقاتلون فى سبيل الله فهو وليهم وناصرهم . وأعداؤهم يقاتلون فى سبيل الشيطان .

كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ (١) فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ (٢) إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ (٣) كَانَ ضَعِيفًا (٤) ﴿٧٦﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ (٥) وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ (٦) إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ (٧) أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ (٨) وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ (٩) قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ

---

(١) أى الشيطان .

(٢) أى الكفار .

(٣) أى وساوسه وقيل الكيد السعى فى فساد الحال على جهة الاحتيال .

(٤) لأنه غرور لا يؤول إلى محصول أو كيده فى مقابلة نصر الله ضعيف .

(٥) أى عن القتال . كان المسلمون مكفوفين عن القتال مع الكفار ما داموا بمكة وكانوا يتمنون أن يؤذن لهم فيه فنزل .

(٦) أى فرض بالمدينة .

(٧) يخافون أن يقاتلهم الكفار كما يخافون أن ينزل الله عليهم بأسه،لا شكّا فى الدين ولا رغبة عنه ولكن نفورا عن الأخطار بالأرواح وخوفا من الموت . قال الشيخ أبو مصور رحمه الله هـذه خشية طبع لا أن ذلك منهم كراهة لحكم الله وأمره اعتقادا فالمرء مجبول على كراهة مافيه خوف هلاكه غالبا. وخشية الله من إضافة المصدر إلى المفعول.ومحله النصب على الحال من الضمير فى (يخشون) أى يخشون الناس مثل أهل خشية الله أى مشبهين لأهل خشية الله.

(٨) هو معطوف على الحال أى أو أشدّ خشية من أهل خشية الله . وأو للتخيير أى إن قلت خشيتهم الناس كخشية الله فأنت مصيب وإن قلت إنها أشدّ فأنت مصيب لأنه حصل لهم مثلها وزيادة .

(٩) هلا أمهلتنا إلى الموت فنموت على الفرش . وهو سؤال عن وجه الحكمة فى فرض القتال عليهم لا اعتراض لحكمه بدليل أنهم لم يوبخوا على هـذا السؤال بل أجيبوا بقوله (قل متاع الدنيا قليل) .

خَيْرٌ(١) لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا(٢) ۝ أَيْنَمَا(٣) تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ(٤) مُّشَيَّدَةٍ(٥) وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ(٦) يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ(٧) وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ(٨) يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ(٩) قُلْ كُلٌّ(١٠) مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا(١١) ۝ مَّآ أَصَابَكَ(١٢) مِنْ حَسَنَةٍ(١٣) فَمِنَ ٱللَّهِ(١٤)

---

(١) متاع الدنيا قليل زائل ومتاع الآخرة كثير دائم والكثير إذا كان على شرف الزوال فهو قليل فكيف القليل الزائل .

(٢) ولا تنقصون أدنى شىء من أجوركم على مشاق القتل فلا ترغبوا عنه . وبالياء مكىّ وحمزة وعلىّ .

(٣) ما زائدة لتوكيد معنى الشرط فى أين . أخبر أن الحذر لا ينجى من القدر .

(٤) حصون أو قصور .

(٥) مرفّعة .

(٦) نعمة من خصب ورخاء .

(٧) نسبوها إلى الله .

(٨) بليّة من قحط وشدة .

(٩) أضافوها إليك وقالوا هـذه من عندك وما كانت إلا بشؤمك . وذلك أن المنافقين واليهود كانوا إذا أصابهم خير حمدوا الله تعالى وإذا أصابهم مكروه نسبوه إلى محمد صلى الله عليه وسلم . فكذبهم الله تعالى بقوله (قل كلّ من عند الله) .

(١٠) والمضاف إليه محذوف أى كل ذلك فهو يبسط الأرزاق ويقبضها .

(١١) (لا يكادون) يفهمون (حديثا) فيعلمون أن الله هو الباسط القابض وكل ذلك صادر عن حكمه .

(١٢) يا إنسان خطابا عاما وقال الزجاج المخاطب به النبى عليه السـلام والمراد غيره . وقيل هذا متصل بالأول أى (لا يكادون يفقهون حديثا) يقولون (ما أصابك) .

(١٣) من نعمة وإحسان .

(١٤) تفضلا منه وامتنانا .

وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ(١) فَمِن نَّفْسِكَ(٢) وَأَرْسَلْنَـٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا(٣) وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا(٤) ﴿٧٩﴾ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ(٥) وَمَن تَوَلَّىٰ(٦) فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا(٧) ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ(٨) طَاعَةٌ(٩) فَإِذَا بَرَزُوا۟(١٠) مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ(١١) طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ

---

(١) من بلية ومصيبة . وحمْل المعتزلة الحسنة والسيئة فى هــذه الآية على الطاعة والمعصية ، تعسّف بيّن . وقد نادى عليه (ما أصابك) إذ يقال فى الأفعال ما أصبت . ولأنهم لا يقولون الحسنات من الله خلقا وإيجاداً فأنّى يكون لهم حجة فى ذلك .

(٢) فمن عندك أى فبما كسبت يداك (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) .

(٣) لا مقــدّرا حتى نسبوا إليك الشدة . أو أرسلناك للناس رسولا فإليك تبليغ الرسالة وليس إليك الحسنة والسيئة .

(٤) بأنك رسوله . و (شهيدا) تمييز .

(٥) لأنه لا يأمر ولا ينهى إلا بما أمر الله به ونهى عنه فكانت طاعته فى أوامره ونواهيه طاعة لله .

(٦) عن الطاعة فأعرض عنه .

(٧) تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم .

(٨) ويقول المنافقون إذا أمرتهم بشىء .

(٩) خبر مبتدأ محذوف أى أمرنا وشأننا طاعة .

(١٠) خرجوا .

(١١) زوّر وسوّى . فهو من البيتوتة لأنه قضاء الأمر وتدبيره بالليل . أو من أبيات الشعر لأن الشاعر يدبرها ويسوّيها . وبالإدغام حمزة وأبو عمرو .

غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ(١) وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ(٢) فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ(٣) وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ(٤) وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا(٥) ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ(٦) وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ(٧) لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا(٨) ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ(٩)

---

(١) خلاف ما قلت وما أمرت به . أو خلاف ما قالت وما ضمنت من الطاعة لأنهم أبطنوا الرد لا القبول ، والعصيان لا الطاعة وإنما ينافقون بما يقولون ويظهرون .

(٢) يثبته فى صحائف أعمالهم ويجازيهم عليه .

(٣) ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم .

(٤) فى شأنهم فإن الله يكفيك مضرتهم وينتقم لك منهم اذا قوى أمر الإسلام .

(٥) كافيا لمن توكل عليه .

(٦) أفلا يتأملون معانيه ومبانيه . والتدبر التأمل والنظر فى أدبار الأمر وما يئول إليه فى عاقبته ثم استعمل فى كل تأمل . والتفكر تصرف القلب بالنظر فى الدلائل . وهذا يرد قول من زعم من الروافض أن القرآن لا يفهم معناه إلا بتفسير الرسول صلى الله عليه وسلم والإمام المعصوم . ويدل على صحة القياس وعلى بطلان التقليد .

(٧) كما زعم الكفار .

(٨) أى تناقضا من حيث التوحيد والتشريك والتحليل والتحريم . أو تفاوتا من حيث البلاغة فكان بعضه بالغا حد الإعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته . أومن حيث المعانى فكان بعضه إخبارا بغيب قد وافق المخبر عنه وبعضه إخبارا مخالفا للخبر عنه وبعضه دالا على معنى فاسد غير ملتئم . وأما تعلق الملحدة بآيات يدعون فيها اختلافا كثيرا من نحو قوله (فإذا هى ثعبان مبين ، كأنها جان . فوربك لنسألنهم أجمعين ، فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان) فقد تفصى عنها أهل الحق وستجدها مشروحة فى كتابنا هذا فى مظانها إن شاء الله تعالى .

(٩) هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم يكن فيهم خبرة بالأحوال . أو المنافقون . كانوا إذا بلغهم خبر من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمن وسلامة أو خوف وخلل (أذاعوا به) أفشوه وكانت إذاعتهم مفسدة . يقال أذاع السر وأذاع به . والضمير يعود إلى الأمر أو إلى الأمن أو الخوف لأن أو تقتضى أحدهما .

وَلَوْ رَدُّوهُ(١) إِلَى ٱلرَّسُولِ(٢) وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ(٣) لَعَلِمَهُ(٤) ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ(٥) وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ(٦) وَرَحْمَتُهُۥ(٧) لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ(٨) إِلَّا قَلِيلًا(٩) ﴿٨٣﴾ فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ(١٠) لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ(١١) وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ(١٢) عَسَى ٱللَّهُ أَن

---

(١) أى ذلك الخبر .

(٢) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) يعنى كبراء الصحابة البصراء بالأمور أو الذين كانوا يؤمَّرون منهم .

(٤) لعلم تدبير ما أخبروا به .

(٥) يستخرجون تدبيره بفطنهم وتجاربهم ومعرفتهم بأمور الحروب ومكايدها .

وقيل كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولى الأمر على أمن ووثوق بالظهور على بعض الأعداء أو على خوف واستشعار فيذيعونه فينتشر فيبلغ الأعداء فتعود إذاعتهم مفسدة ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر وفوضوه إليهم وكانوا كأن لم يسمعوا ، لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما يأتون ويذرون فيه . والنَّبَط الماء الذى يخرج من البئر أول ما تحفر . واستنباطه استخراجه فاستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعانى والتدابير فيما يعضل .

(٦) بإرسال الرسول .

(٧) بإنزال الكتاب .

(٨) لبقيتم على الكفر .

(٩) لم يتبعوه ولكن آمنوا بالعقل كزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة وغيرهما .

(١٠) لما ذكر فى الآى قبلها تثبطهم عن القتال وإظهارهم الطاعة وإضمارهم خلافها قال (فقاتل فى سبيل) إن أفردوك وتركوك وحدك .

(١١) غير نفسك وحدها أن تقدمها إلى الجهاد . فإن الله تعالى ناصرك لا الجنود .

وقيل دعا الناس فى بدر الصغرى إلى الخروج وكان أبو سفيان واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اللقاء فيها فكره بعض الناس أن يخرجوا فنزلت . فخرج وما معه إلا سبعون ولو لم يتبعه أحد لخرج وحده .

(١٢) وما عليك فى شأنهم إلا التحريض على القتال فحسب لا التعنيف بهم .

يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ[1] وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا[2] وَأَشَدُّ تَنكِيلًا[3] ۝ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً[4] يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا[5] وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً[6] يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ[7] مِّنْهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا[8] ۝ وَإِذَا حُيِّيتُم[9] بِتَحِيَّةٍ[10] فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ[11]

(١) أى بطشهم وشدتهم . وهم قريش . وقد كف بأسهم بالرعب فلم يخرجوا . و (عسى) كلمة مطمعة غير أن إطماع الكريم أعود من إنجاز اللئيم .

(٢) من قريش .

(٣) تعذيبا وهو تمييز كبأسا .

(٤) هى الشفاعة فى دفع شر أو جلب نفع مع جوازها شرعا .

(٥) من ثواب الشفاعة .

(٦) هى خلاف الشفاعة الحسنة .

قال ابن عباس رضى الله عنهما ما لها مفسّر غيرى : معناه مَن أمر بالتوحيد وقاتل أهل الكفر . وضده السيئة . وقال الحسن هو المشى بالصلح وضده النميمة .

(٧) نصيب .

(٨) مقتدرا . من أقات على الشىء اقتدر عليـه . أو حفيظا . من القوت لأنه يمسك النفس ويحفظها .

(٩) أى سُلّم عليكم فإن التحية فى ديننا بالسلام فى الدارين (فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله . تحيتهم يوم يلقونه سلام) وكانت العرب تقول عند اللقاء حياك الله أى أطال حياتك فأبدل ذلك بعد الإسلام بالسلام .

(١٠) هى تفعلة من حيّا يحيى تحية .

(١١) أى قولوا وعليكم السلام ورحمة الله إذا قال السلام عليكم وزيدوا وبركاته إذا قال ورحمة الله . ويقال لكل شىء منتهى ومنتهى السلام وبركاته .

أَوْ رُدُّوهَآ(١) إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا(٢) ﴿٨٦﴾ ٱللَّهُ(٣) لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ(٤) لَيَجْمَعَنَّكُمْ(٥) إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ(٦) لَا رَيْبَ فِيهِ(٧) وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا(٨) ﴿٨٧﴾

(١) أى أجيبوها بمثلها. ورد السلام جوابه بمثله لأن المجيب يرد قول المسلم . وفيه حذف مضاف أى ردوا مثلها . والتسليم سنة ، والرد فريضة ، والأحسن فضل . وما من رجل يمر على قوم مُسْلِمين فيسلّم عليهم ولا يردّون عليه إلا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة. ولا يُرَدُّ السلامُ فى الخطبة وقراءة القرآن جهرا ورواية الحديث وعند مذاكرة العلم والأذان والإقامة . وعند أبى يوسف رحمه الله لا يسلم على لاعب الشطرنج والنرد والمغنى والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعارى من غير عذر فى حمام أو غيره . ويسلم الرجل إذا دخل على امرأته والماشى على القاعد والراكب على الماشى وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والأقل على الأكثر وإذا التقيا ابتدرا . وقيل (بأحسن منها) لأهل الملة (أو ردوها) لأهل الذمة . وعن النبى صلى عليه وسلم اذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم أى وعليكم ما قلتم لأنهم كانوا يقولون السام عليكم . وقوله عليه السلام لا غرار فى تسليم أى لا يقال عليك بل عليكم لأن كاتبيه معه .

(٢) أى يحاسبكم على كل شىء من التحية وغيرها .

(٣) مبتدأ .

(٤) خبره أو اعتراض والخبر (ليجمعنكم) .

(٥) ومعناه اللهُ والله ليجمعنكم .

(٦) أى ليحشرنكم إليه والقيامة القيام كالطلابة والطلاب وهى قيامهم من القبور أو قيامهم للحساب (يوم يقوم الناس لرب العالمين) .

(٧) هو حال من يوم القيامة والهاء يعود إلى اليوم . أو صفة لمصدر محذوف أى جمعا لا ريب فيه والهاء يعود إلى الجمع .

(٨) تمييز . وهو استفهام بمعنى النفى أى لا أحد أصدق منه فى إخباره ووعده ووعيده لاستحالة الكذب عليه لقبحه لكونه إخبارا عن الشىء بخلاف ما هو عليه .

فَمَا لَكُمْ (١) فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ (٢) وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم (٣) بِمَا كَسَبُوٓاْ (٤) أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ (٥) مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ (٦) وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا (٧) ﴿٨٨﴾ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ (٨) فَتَكُونُونَ (٩) سَوَآءً (١٠) فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ (١١)

---

(١) مبتدأ وخبر .

(٢) أى ما لكم اختلفتم فى شأن قوم قد نافقوا نفاقا ظاهرا وتفرقتم فيهم فرقتين وما لكم لم تقطعوا القول بكفرهم. وذلك أن قوما من المنافقين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج إلى البدو معتلّين باجتواء المدينة . فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين . فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون . و (فئتين) حال كقولك مالك قائما قال سيبويه اذا قلت مالك قائما فمعناه لم قمت ونصبه على تأويل أى شيء يستقر لك فى هذه الحال .

(٣) ردّهم إلى حكم الكفار .

(٤) من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين . فردّوهم أيضا ولا تختلفوا فى كفرهم .

(٥) أن تجعلوا من جملة المهتدين .

(٦) من جعله الله ضالا . أو أتريدون أن تسموهم مهتدين وقد أظهر الله ضلالهم فيكون تعييرا لمن سماهم مهتدين . والآية تدل على مذهبنا فى إثبات الكسب للعبد والخلق للرب جلت قدرته .

(٧) طريقا إلى الهداية .

(٨) الكاف نعت لمصدر محذوف وما مصدرية أى ودوا لو تكفرون كفرا مثل كفرهم .

(٩) عطف على تكفرون .

(١٠) أى مستوين أنتم وهم فى الكفر .

(١١) فلا توالوهم حتى يؤمنوا لأن الهجرة فى سبيل الله بالإسلام .

فَإِن تَوَلَّوْا[1] فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ[2] وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا[3] ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ[4] بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ[5] أَوْ جَاءُوكُمْ[6] حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ[7] أَن يُقَاتِلُوكُمْ[8] أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ[9] وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ[10] فَلَقَاتَلُوكُمْ[11] فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ[12] فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ[13]

---

(١) عن الإيمان .

(٢) كما كان حكم سائر المشركين .

(٣) و إن بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم .

(٤) أى ينتهون إليهم ويتصلون بهم . والاستثناء من قوله (فخذوهم واقتلوهم) دون الموالاة .

(٥) القوم هم الأسلميون . كان بينهم و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وذلك أنه وادع قبل خروجه إلى مكة هلال بن عويمر الأسلمى على ألا يعينه ولا يعين عليه وعلى أن من وصل إلى هلال والتجأ إليه فله من الجوار مثل الذى لهلال . أى فاقتلوهم إلا من اتصل بقوم بينكم و بينهم ميثاق .

(٦) عطف على صفة قوم أى إلا الذين يصلون إلى قوم معاهدين أو قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم . أوعلى صلة الذين أى إلا الذين يتصلون بالمعاهدين أو الذين لا يقاتلونكم .

(٧) حال بإضمار قد . والحصر الضيق والانقباض .

(٨) عن أن يقاتلوكم أى عن قتالكم .

(٩) معكم .

(١٠) بتقوية قلوبهم و إزالة الحصر عنها .

(١١) عطف على لسلطهم ودخول اللام للتأكيد .

(١٢) فإن لم يتعرضوا لكم .

(١٣) أى الانقياد والاستسلام .

فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا (١) ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ (٢) وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ (٣) كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ (٤) أُرْكِسُواْ فِيهَا (٥) فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ (٦) وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ (٧) وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ (٨) فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ (٩) وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا (١٠) ﴿٩١﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ (١١) أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا (١٢)

---

(١) طريقا إلى القتال .

(٢) بالنفاق .

(٣) بالوفاق. هم قوم من أسد وغَطَفان كانوا إذا أتوا المدينـة أسلموا وعاهدوا ليأمَنوا المسلمين فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم .

(٤) كلما دعاهم قومهم إلى قتال المسلمين .

(٥) قلبوا فيها أقبح قلب وأشنعه وكانوا شرًا فيها من كل عدو .

(٦) فإن لم يعتزلوا قتالكم .

(٧) عطف على لم يعتزلوكم أى ولم ينقادوا لكم بطلب الصلح .

(٨) عطف عليه أيضا أى ولم يمسكوا عن قتالكم .

(٩) حيث تمكنتم منهم وظفرتم بهم .

(١٠) حجة واضحة لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم فى الكفر والغدر وإضرارهم بالمسلمين أو تسلطا ظاهرا حيث أذنّا لكم فى قتلهم .

(١١) وما صح له ولا استقام ولا لاق بحاله .

(١٢) ابتداء من غير قصاص . أى ليس المؤمن كالكافر الذى تقدم إباحة دمه .

إِلَّا خَطَـًٔا[(١)] وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا[(٢)] فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ[(٣)] مُّؤْمِنَةٍ[(٤)] وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ[(٥)] إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟[(٦)] فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ[(٧)] وَهُوَ مُؤْمِنٌ[(٨)]

(١) إلا على وجه الخطأ وهو استثناء منقطع بمعنى لكن أى لكن إن وقع خطأ. ويحتمل أن يكون صفة لمصدر أى إلا قتلا خطأ. والمعنى من شأن المؤمن أن ينتفى عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البتة إلا إذا وجد منه خطأ من غير قصد بأن يرمى كافرا فيصيب مسلما أو يرمى شخصا على أنه كافر فإذا هو مسلم.

(٢) صفة مصدر محذوف أى قتلا خطأ.

(٣) مبتدأ والخبر محذوف أى فعليه تحرير رقبة. والتحرير الإعتاق. والحر والعتيق الكريم لأن الكرم فى الأحرار كما أن اللؤم فى العبيد ومنه عتاق الطير وعتاق الخيل لكرامها. والرقبة النسمة ويعبر عنها بالرأس فى قولهم فلان يملك كذا رأسا من الرقيق.

(٤) قيل لما أخرج نفسا مؤمنة من جملة الأحياء لزمه أن يدخل نفسا مثلها فى جملة الأحرار لأن إطلاقها من قيد الرق كإحيائها من قبل أن الرقيق ملحق بالأموات إذ الرق أثر من آثار الكفر والكفر موت حكما (أو من كان ميتا فأحييناه) ولهذا منع من تصرف الأحرار. وهذا مشكل إذ لو كان كذلك لوجب فى العمد أيضا. لكن يحتمل أن يقال إنما وجب عليه ذلك لأن الله تعالى أبقى للقاتل نفسا مؤمنة حيث لم يوجب القصاص فأوجب عليه مثلها رقبة مؤمنة.

(٥) مؤداة إلى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين سائر التركة فى كل شيء فيقضى منها الدين وتنفذ الوصية وإذا لم يبق وارث فهى لبيت المال. وقد ورّث رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة أشيم الضبابى من عقل زوجها أشيم. لكن الدية على العاقلة والكفارة على القاتل.

(٦) إلا أن يتصدقوا عليه بالدية أى يعفوا عنه والتقدير فعليه دية فى كل حال إلا فى حال التصدق عليه بها.

(٧) فان كان المقتول خطأ من قوم أعداء لكم أى كفرة فالعدو يطلق على الجميع.

(٨) أى المقتول مؤمن.

فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ (١) مِن قَوْمٍ (٢) بَيْنَكُمْ (٣) وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ (٤) فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ (٥) فَمَن لَّمْ يَجِدْ (٦) فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ (٧) مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً (٨) مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا (٩) حَكِيمًا (١٠) ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا (١١) فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا (١٢) فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ (١٣) وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا (١٤) ﴿٩٣﴾

(١) يعنى اذا أسلم الحربى فى دار الحرب ولم يهاجر الينا فقتله مسلم خطأ تجب الكفارة بقتله للعصمة المؤثمة وهى الإسلام ولا تجب الدية لأن العصمة المقومة بالدار ولم توجد .

(٢) أى المقتول .

(٣) بين المسلمين .

(٤) عهد .

(٥) أى وإن كان المقتول ذميا فحكمه حكم المسلم . وفيه دليل على أن دية الذمى كدية المسلم وهو قولنا .

(٦) رقبة أى لم يملكها ولا ما يتوصل به إليها .

(٧) فعليه صيام شهرين .

(٨) قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله عليه اذا قبل توبته يعنى شرع ذلك توبة فهى نصب على المصدر . .

(٩) بما أمر .

(١٠) فيما قدر .

(١١) حال من ضمير القاتل أى قاصدا قتله لإيمانه وهو كفر أو قتله مستحلا لقتله وهو كفر أيضا .

(١٢) أى إن جازاه . قال عليه السلام هى جزاؤه إن جازاه . والخلود قد يراد به طول المقام . وقول المعتزلة بالخروج من الإيمان يخالف قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى) .

(١٣) أى انتقم منه وطرده من رحمته .

(١٤) لارتكابه أمرا عظيما وخطبا جسيما . فى الحديث لزوال الدنيا أهون على الله من قتل امرئ مسلم .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ[(١)] فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟[(٢)] وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ[(٣)] لَسْتَ مُؤْمِنًا[(٤)] تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا[(٥)] فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ[(٦)] كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ[(٧)] فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ[(٨)] فَتَبَيَّنُوٓا۟[(٩)] إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ

(١) سرتم فى طريق الغزو .

(٢) فتثبتوا حمزة وعلىّ . وهما من التفعل بمعنى الاستفعال أى اطلبوا بيان الأمر وثباته ولا تتهوكوا فيه .

(٣) السَّلَمَ مدنى وشامى وحمزة. وهما الاستسلام وقيل الإسلام وقيل التسليم الذى هو تحية أهل الإسلام .

(٤) فى موضع النصب بالقول. روى أن مرداس بن نهيك أسلم ولم يُسْلم من قومه غيره فغزتهم سريّة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهربوا وبقى مرداس لثقته بإسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه إلى منعرج من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبّروا كبر ونزل وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم . فقتله أسامة بن زيد واستاق غنمه فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجَد وجدا شديدا وقال قتلتموه إرادة ما معه ثم قرأ الآية على أسامة .

(٥) تطلبون الغنيمة التى هى حطام سريع النفاد فهو الذى يدعوكم إلى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه . والعَرَض المـال سمى به لسرعة فنائه . و(تبتغون) حال من ضمير الفاعل فى (تقولوا) .

(٦) يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الإسلام ويتعوذ به من التعرض له لتأخذوا ماله .

(٧) أول ما دخلتم فى الإسلام سمعت من أفواهكم كلمة الشهادة فحصلت دماءكم وأموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطأة قلوبكم لألسنتكم . والكاف فى (كذلك) خبر كان وقد تقدم عليها وعلى اسمها .

(٨) بالاستقامة والاشتهار بالإيمان فافعلوا بالداخلين فى الإسلام كما فعل بكم .

(٩) كرر الأمر بالتبين ليؤكد عليهم .

بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا[1] لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ[2] مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ[3] وَٱلْمُجَٰهِدُونَ[4] فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ[5] دَرَجَةً[6] وَكُلًّا[7] وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ[8] وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ[9] أَجْرًا عَظِيمًا[10] دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً

---

(١) فلا تتهافتوا فى القتل وكونوا محترزين محتاطين فى ذلك .

(٢) عن الجهاد .

(٣) بالنصب مدنى وشامى وعلىّ لأنه استثناء من القاعدين أو حال منهم. بالجر عن حمزة صفة للمؤمنين . وبالرفع غيرهم صفة للقاعدين . والضرر المرض أو العاهة من عمى أو عرج أو زمانة أو نحوها .

(٤) عطف على (القاعدون) . ونفى التساوى بين المجاهد والقاعد بغير عذر وإن كان معلوما توبيخا للقاعد عن الجهاد وتحريكا له عليــه ونحوه (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) فهو تحريك لطلب العلم وتوبيخ على الرضا بالجهل .

(٥) ذكر هذه الجملة بيانا للجملة الأولى موضحة لمـا نفى من استواء القاعدين والمجاهدين كأنه قيل ما لهم لا يستوون فأجيب بذلك .

(٦) نصب على المصدر لوقوعها موقع المرة من التفضيل كأنه قيل فضلهم تفضلة كقولك ضربه سوطا .

(٧) أى وكلّ فريق من القاعدين والمجاهدين ونصب لأنه مفعول أول لقوله (وعد الله) والثانى (الحسنى) .

(٨) أى المثوبة الحسنى وهى الجنة وإن كان المجاهدون مفضّلين على القاعدين درجة .

(٩) بغير عذر .

(١٠) قيل انتصب أجرا بفضّل لأنه فى معنى أجرهم أجرا . ودرجات ومغفرة ورحمة بدل من أجرا . أو انتصب درجات نصب درجة كأنه قيــل فضلهم تفضيلات كقولك ضربه أسواطا أى ضربات، و(أجرا عظيما) على أنه حال من النكرة التى هى درجات مقدّمة عليها ،

وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا(١) رَّحِيمًا(٢) ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ(٣) ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ(٤) أَنفُسِهِمْ(٥) قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ(٦) قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ(٧) فِى ٱلْأَرْضِ(٨) قَالُوٓاْ(٩) أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا(١٠) فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا(١١) ۝ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ

ومغفرة ورحمة باضمار فعلهما أى وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة. وحاصله أن الله تعالى فضّل المجاهدين على القاعدين بعذر درجة ؛ وعلى القاعدين بغير عذر بأمر النبي عليه السلام اكتفاء بغيرهم، درجات لأن الجهاد فرض كفاية .

(١) بتكفير العذر .

(٢) بتوفير الأجر .

(٣) يجوز أن يكون ماضيا لقراءة من قرأ (توفتهم) ومضارعا بمعنى تتوفاهم وحذفت التاء الثانية لاجتماع التاءين. والتوفى قبض الروح. والملائكة ملك الموت وأعوانه . نزل فيمن أسلم ولم يهاجر حين كانت الهجرة فريضة وخرج مع المشركين إلى بدر مرتدا فقتل كافرا .

(٤) حال من ضمير المفعول فى توفاهم أى فى حال ظلمهم أنفسهم بالكفر وترك الهجرة .

(٥) أى الملائكة للتوفّين .

(٦) أى فى أى شىء كنتم فى أمر دينكم . ومعناه التوبيخ بأنهم لم يكونوا فى شىء من الدين .

(٧) عاجزين عن الهجرة .

(٨) أرض مكة فأخرجونا كارهين .

(٩) أى الملائكة موبخين لهم .

(١٠) أرادوا أنكم كنتم قادرين على الخروج من مكة إلى بعض البلاد التى لا تمنعون فيها من إظهار دينكم ومن الهجرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ونصب (فتهاجروا) على جواب الاستفهام .

(١١) خبر إن (فأولئك). ودخول الفاء لما فى الذين من الإبهام المشابه بالشرط. أو (قالوا فيم كنتم) والعائد محذوف أى قالوا لهم. والاية تدل على أن من لم يتمكن من إقامة دينه فى بلد كما

مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (١) ﴿٩٨﴾ فَأُولَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ (٢) وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا (٣) ﴿٩٩﴾ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا (٤) كَثِيرًا وَسَعَةً (٥) وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا (٦) إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ (٧) ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ (٨) فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ (٩)

يجب وعلم أنه يتمكن من إقامته فى غيره حقت عليه المهاجرة . وفى الحـديث من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا من الأرض استوجبت له الجنة وكان رفيق أبيه إبراهيم ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

(١) استثنى من أهل الوعيد المستضعفين الذين (لا يستطيعون حيلة) فى الخروج منها لفقرهم وعجزهم (ولا يهتدون سبيلا) ولا معرفة لهم بالمسالك . و(لا يستطيعون) صفة للمستضعفين أو للرجال والنساء والولدان . وإنما جاز ذلك والجمل نكرات لأن الموصوف وإن كان فيه حرف التعريف فليس بشىء بعينه كقوله * ولقد أمر على اللئيم يسبنى * .

(٢) وعسى وإن كان للإطماع فهو من الله واجب لأن الكريم إذا أطمع أنجز .

(٣) لعباده قبل أن يخلقهم .

(٤) مهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه قومه أى يفارقهم على رغم أنوفهم . والرغم الذل والهوان . وأصله لصوق الأنف بالرغام وهو التراب. يقال راغمت الرجل إذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك .

(٥) فى الرزق أو فى إظهار الدين أو فى الصدر لتبدل الخوف بالأمن .

(٦) حال من الضمير فى (يخرج) .

(٧) إلى حيث أمر الله ورسوله .

(٨) قبل بلوغه مهاجره . وهو عطف على (يخرج) .

(٩) أى حصل له الأجر بوعد الله . وهو تأكيد للوعد فلا شىء يجب على الله لأحد من خلقه .

وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ[1] فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ[2] أَن تَقْصُرُوا۟[3] مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ[4] إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟[5] إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ

قالوا كل هجرة لطلب علم أو حج أو جهاد أو فرار إلى بلد يزداد فيه طاعة أو قناعة أو زهدا أو ابتغاء رزق طيب فهى هجرة إلى الله و رسوله و إن أدركه الموت فى طريقه فقد وقع أجره على الله .

(١) سافرتم فيها فالضرب فى الأرض هو السفر .

(٢) حرج .

(٣) فى أن تقصروا .

(٤) من أعداد ركعات الصلاة فتصلوا الرباعية ركعتين .

وظاهر الآية يقتضى أن القصر رخصة فى السفر والإكمال عزيمة كما قال الشافعى رحمه الله لأن "لا جناح" يستعمل فى موضع التخفيف والرخصة لا فى موضع العزيمة . وقلنا القصر عزيمة غير رخصة ولا يجوز الإكمال لقول عمر رضى الله عنه صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم . وأما الآية فكأنهم ألفوا الإتمام فكانوا مظنة لأن يخطر ببالهم أن عليهم نقصانا فى القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب أنفسهم بالقصر و يطمئنوا إليه .

(٥) إن خشيتم أن يقصدكم الكفار بقتل أو جرح أو أخذ . والخوف شرط جواز القصر عند الخوارج بظاهر النص . وعند الجمهور ليس بشرط لما روى عن يعلى بن أمية أنه قال لعمر ما بالنا نقصر وقد أمنّا ؟ فقال عجبت مما تعجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته . وفيه دليل على أنه لا يجوز الإكمال فى السفر لأن التصدق بما لا يحتمل التمليك إسقاط محض لا يحتمل الرد ، وإن كان المتصدق ممن لا تلزم طاعته كولى القصاص إذا عفا ، فمن تلزم طاعته أولى. ولأن حالهم حين نزول الآية كذلك فنزلت على وفق الحال. وهو كقوله (إن أردن تحصنا) دليله قراءة عبدالله (من الصلاة أن يفتنكم) أى لئلا يفتنكم . على أن المراد بالآية قصر الأحوال وهو أن يومى على الدابة عند الخوف أو يخفف القراءة والركوع والسجود والتسبيح كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما .

كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا(١) ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنتَ(٢) فِيهِمْ(٣) فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ(٤) فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ(٥) وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ(٦) فَإِذَا سَجَدُواْ(٧) فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ(٨) وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ(٩) فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ(١٠) وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ(١١) وَأَسْلِحَتَهُمْ(١٢) وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ(١٣) فَيَمِيلُونَ

---

(١) فتحرزوا عنهم .

(٢) يا محمد .

(٣) فى أصحابك .

(٤) فأردت أن تقيم الصلاة بهم . وبظاهره تعلّق أبو يوسف رحمه الله فلا يرى صلاة الخوف بعده عليه السلام . وقالا الأئمة نوّاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل عصر فكان الخطاب له متناولا لكل إمام كقوله تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم) . دليله فعل الصحابة رضى الله عنهم بعده عليه السلام .

(٥) فاجعلهم طائفتين فلتقم إحداهما معك فصل بهم وتقوم طائفة تُجاه العدو .

(٦) أى الذين تجاه العدو، عن ابن عباس رضى الله عنهما . وإن كان المراد به المصلين فقالوا يأخذون من السلاح مالا يشغلهم عن الصلاة كالسيف والخنجر ونحوهما .

(٧) أى قيّدوا ركعتهم بسجدتين. فالسجود على ظاهره عندنا. وعند مالك بمعنى الصلاة.

(٨) أى إذا صلّت هذه الطائفة التى معك ركعة فليرجعوا ليقفوا بإزاء العدو .

(٩) فى موضع رفع صفة لطائفة .

(١٠) أى ولتحضر الطائفة الواقفة بإزاء العدوّ فليصلّوا معك الركعة الثانية .

(١١) ما يتحرزون به من العدو كالدرع ونحوه .

(١٢) جمع سلاح وهو ما يقاتل به . وأخذ السلاح شرط عند الشافعى رحمه الله . وعندنا مستحب . وكيفية صلاة الخوف معروفة .

(١٣) أى تمنّوا أن ينالوا منكم غرّة فى صلاتكم .

عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ[١] إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ[٢] أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ[٣] إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا[٤] ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ[٥] ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ[٦] فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ[٧] فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ[٨] إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا[٩] ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُواْ[١٠] فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ[١١] إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ

---

(١) فيشدّون عليكم شدة واحدة .

(٢) فى أن تضعوا .

(٣) رخّص لهم فى وضع الأسلحة إن ثقل عليهم حملها بسبب ما يبلّهم من مطر أو يضعفهم من مرض وأمرهم مع ذلك بأخذ الحذر لئلا يغفلوا فيهجم عليهم العدو .

(٤) أخبر أنه يهين عدوهم لتقوى قلوبهم وليعلموا أن الأمر بالحذر ليس لتوقع غلبتهم عليهم وإنما هو تعبّد من الله تعالى .

(٥) فرغتم منها .

(٦) أى دوموا على ذكر الله فى جميع الأحوال .

أو فاذا أردتم أداء الصلاة فصلوا قياما إن قدرتم عليه وقعوداً إن عجزتم عن القيام ومضطجعين إن عجزتم عن القعود .

(٧) سكنتم بزوال الخوف .

(٨) فأتمّوها بطائفة واحدة .

أو إذا أقمتم فأتموا ولا تقصُروا . أو إذا اطمأننتم بالصحة فأتموا القيام والركوع والسجود

(٩) مكتوبا محدودا بأوقات معلومة .

(١٠) ولا تضعفوا ولا تتوانوا .

(١١) فى طلب الكفار بالقتال والتعرض به لهم. ثم ألزمهم الحجة بقوله (إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون) .

وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ (١) وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا (٢) حَكِيمًا (٣) ﴿١٠٤﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ (٤) لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ (٥) وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ (٦) خَصِيمًا (٧) ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ (٨) إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَـٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ

(١) أى ليس ما تجدون من الألم بالجرح والقتل مختصا بكم بل هو مشترك بينكم و بينهم يصيبهم كما يصيبكم ثم إنهم يصبرون عليه فما لكم لا تصبرون مثل صبرهم مع أنكم أجدر منهم بالصبر لأنكم ترجون من الله مالا يرجون من إظهار دينكم على سائر الأديان ومن الثواب العظيم فى الآخرة .

(٢) بما يجد المؤمنون من الألم .

(٣) فى تدبير أمورهم .

(٤) أى مُحِقًّا . روى أن طُعمة بن أبيرق أحد بنى ظَفَر سرق درعا من جار له اسمه قتادة بن النعمان فى جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين رجل من اليهود فالتُمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى إلى منزل اليهودى فأخذوها فقال دفعها إلىّ طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه أن يجادل عن صاحبهم وقالوا إن لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح و برئ اليهودى فهمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل فنزل .

(٥) بما عرّفك وأوحى به إليك . وقال الشيخ أبو منصور رحمه الله بما ألهمك بالنظر فى أصوله المنزلة . وفيه دلالة جواز الاجتهاد فى حقه .

(٦) لأجل الخائنين .

(٧) مخاصما أى ولا تخاصم اليهود لأجل بنى ظفر .

(٨) مما هممت به .

أَنفُسَهُمْ[١] إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا[٢] أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ[٣] مِنَ ٱلنَّاسِ[٤] وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ[٥] وَهُوَ مَعَهُمْ[٦] إِذْ يُبَيِّتُونَ[٧] مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ[٨] وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا[٩] ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ[١٠] هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ[١١] عَنْهُمْ[١٢] فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا

---

(١) يخونونها بالمعصية . جعلت معصية العصاة خيانة منهم لأنفسهم لأن الضرر راجع إليهم . والمراد به طعمة ومن عاونه من قومه وهم يعلمون أنه سارق. أو ذكر بلفظ الجمع ليتناول طعمة وكلّ من خان خيانته .

(٢) وإنما قيل بلفظ المبالغة لأنه تعالى عالم من طعمة أنه مفْرط فى الخيانة وركوب المآثم. وروى أن طعمة هرب إلى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله. وقيل إذا عثرتَ من رجل على سيئة فاعلم أن لها أخوات. وعن عمر رضى الله عنه أنه أمر بقطع يد سارق فجاءت أمه تبكى وتقول هـذه أوّل سرقة سرقها فاعف عنه فقـال كذبت إن الله لا يؤاخذ عبده فى أول مرة .

(٣) يستترون .

(٤) حياء منهم وخوفا من ضررهم .

(٥) ولا يستحيون منه .

(٦) وهو عالم بهم مطلع عليهم لا يخفى عليه خاف من سرهم . وكفى بهذه الآية ناعية على الناس ماهم فيه من قلة الحياء والخشية من ربهم مع علمهم أنّهم فىحضرته لا سُترة ولا غيبة.

(٧) يدبّرون . وأصله أن يكون ليلا .

(٨) وهو تدبير طعمة أن يرمى بالدرع فى دار زيد ليسرّق دونه ويحلف أنه لم يسرقها . وهو دليل على أن الكلام هو المعنى القائم بالنفس حيث سمى التدبير قولا .

(٩) عالما علم إحاطة .

(١٠) ها للتنبيه فى أنتم وأولاء وهما مبتدأ وخبر . و(جادلتم) جملة مبينة لوقوع أولاء خبرا كقولك لبعض الأسخياء أنت حاتم تجود بمـالك . أو أولاء اسم موصول بمعنى الذين وجادلتم صلته . والمعنى هبوا أنكم خاصمتم .

(١١) خاصمتم .

(١٢) عن طعمة وقومه .

فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ (١) أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا (٢) ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا (٣) أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ (٤) ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ (٥) يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا (٦) ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ (٧) وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا (٨) ﴿١١١﴾ وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً (٩) أَوۡ إِثۡمٗا (١٠) ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا (١١) فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا (١٢) وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا (١٣) ﴿١١٢﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ (١٤) لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ (١٥) أَن يُضِلُّوكَ (١٦) وَمَا يُضِلُّونَ

---

(١) فمن يخاصم عنهم فى الآخرة إذا أخذهم الله بعذابه . وقرئ عنه أى عن طعمة .

(٢) حافظا ومحاميا من بأس الله وعذابه .

(٣) ذنبا دون الشرك .

(٤) بالشرك . أو (سوءا) قبيحا يتعدى ضرره إلى الغير كما فعل طعمة بقتادة واليهودى ، (أو يظلم نفسه) بما يختص به كالحلف الكاذب .

(٥) يسأل مغفرته .

(٦) له . وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة .

(٧) لأن وباله عليها .

(٨) فلا يعاقب بالذنب غير فاعله .

(٩) صغيرة .

(١٠) أو كبيرة . أو الأول ذنب بينه وبين ربه والثانى ذنب فى مظالم العباد .

(١١) كما رمى طعمة زيدا .

(١٢) كذبا عظيما . والبهتان كذب يبهت من قيل عليه مالا علم له به .

(١٣) ذنبا ظاهرا وهـذا لأنه بكسب الإثم آثم وبرمى البرىء باهت فهو جامع بين الأمرين .

(١٤) أى عصمته ولطفه من الإطلاع على سرهم .

(١٥) من بنى ظفر . أو المراد بالطائفة بنو ظفر والضمير فى (منهم) يعود إلى الناس .

(١٦) عن القضاء بالحق وتوخى طريق العدل مع علمهم بأن الجانى صاحبهم .

إِلَّآ أَنفُسَهُمْ[1] وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ[2] وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ[3] وَٱلْحِكْمَةَ[4] وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ[5] وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا[6] ﴿١١٣﴾ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ[7] إِلَّا مَنْ أَمَرَ[8] بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ[9] أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ[10] وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ[11] ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ[12] فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ[13] أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾

(١) لأن وباله عليهم .

(٢) لأنك إنما عملت بظاهر الحال وما كان يخطر ببالك أن الحقيقة على خلاف ذلك

(٣) القرآن .

(٤) والسنة .

(٥) من أمور الدين والشرائع أو من خفيّات الأمور وضمائر القلوب .

(٦) فيما علّمك وأنعم عليك .

(٧) من تناجى الناس .

(٨) إلا نجوى من أمر . وهو مجرور بدل من كثير أو من نجواهم أو منصوب على الانقطاع بمعنى ولكن من أمر بصدقة ففى نجواه الخير .

(٩) أى قرض أو إغاثة ملهوف أو كل جميل. أو المراد بالصدقة الزكاة وبالمعروف التطوع.

(١٠) أى إصلاح ذات البين .

(١١) المذكور .

(١٢) طلب رضا الله . وخرج عنه من فعل ذلك رياء أو ترؤسا . وهو مفعول له . والإشكال أنه قال (إلا من أمر) ثم قال (ومن يفعل ذلك) والجواب أنه ذكر الأمر بالخير ليدل به على فاعله لأنه إذا دخل الآمر به فى زمرة الخيّرين كان الفاعل فيهم أدخل ثم قال (ومن يفعل ذلك) فذكر الفاعل وقرن به الوعد بالأجر العظيم . أو المراد من يأمر بذلك فعبر عن الأمر بالفعل .

(١٣) يؤتيه أبو عمرو وحمزة .

وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ (١) وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٢) نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ (٣) وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ (٤) وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ (٥) وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا (٦) ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ (٧) إِلَّآ إِنَٰثًا (٨) وَإِن يَدْعُونَ (٩) إِلَّا شَيْطَٰنًا (١٠) مَّرِيدًا (١١) ﴿١١٧﴾

(١) ومن يخالف الرسول من بعد وضوح الدليل وظهور الرشد . قيل هى فى طعمة وارتداده .

(٢) أى السبيل الذى هم عليه من الدين الحنيفى. وهو دليل على أن الإجماع حجة لا تجوز مخالفتها كما لا تجوز مخالفة الكتاب والسنة لأن الله تعالى جمع بين اتّباع غير سبيل المؤمنين وبين مشاقّة الرسول فى الشرط وجعل جزاءه الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبا كموالاة الرسول .

(٣) نجعله واليا لما تولى من الضلال وندعه وما اختاره فى الدنيا .

(٤) فى العقبى .

(٥) مر تفسيره فى هذه السورة .

(٦) عن الصواب .

(٧) ما يعبدون من دون الله .

(٨) جمع أنثى وهى اللات والعزى ومناة ولم يكن حىّ من العرب إلا ولهم صنم يعبدونه يسمونه أنثى بنى فلان . وقيل كانوا يقولون فى أصنامهم هنّ بنات الله .

(٩) يعبدون .

(١٠) لأنه هو الذى أغراهم على عبادة الأصنام فأطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة .

(١١) خارجا عن الطاعة عاريا عن الخير ومنه الأمرد .

لَعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ(١) مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا(٢) ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ(٣) وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ(٤) وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ(٥) وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ(٦) وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ(٧) فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا(٨) ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ(٩) وَيُمَنِّيهِمْ(١٠) وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا(١١) ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا(١٢) ﴿١٢١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ(١٣) سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن

---

(١) صفتان يعنى شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع .

(٢) مقطوعا واجبا لى . من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون وواحد لله .

(٣) بالدعاء إلى الضلالة والتزيين والوسوسة ولو كان إنفاذ الضلالة إليه لأضلّ الكل .

(٤) ولألقينّ فى قلوبهم الأمانى الباطلة من طول الأعمار و بلوغ الآمال .

(٥) البتك القطع والتبتيك للتكثير والتكرير أى لأحملنهم على أن يقطعوا آذان الأنعام . كانوا يشقون آذان الناقة إذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على أنفسهم الانتفاع بها .

(٦) بفقء عين الحامى و إعفائه عن الركوب. أو بالخصاء . وهو مباح فى البهائم محظور فى بنى آدم . أو بالوشم أو بنفى الأنساب واستلحاقها أو بتغيير الشيب بالسواد أو بالتحريم والتحليل أو بالتخنث أو بتبديل فطرة الله التى هى دين الإسلام لقوله (لا تبديل لخلق الله) .

(٧) وأجاب إلى ما دعاه إليه .

(٨) فى الدارين .

(٩) يوسوس إليهم أن لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب .

(١٠) ما لا ينالون .

(١١) هو أن يرى شيئا يظهر خلافه .

(١٢) معدلا ومفرّا .

(١٣) ولم يتبعوا الشيطان فى الأمر بالكفر .

تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا[١] وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا[٢] وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا[٣] ﴿١٢٢﴾ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ[٤] وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ[٥] مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ[٦] وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ[٧] فَأُولَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ[٨] وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا[٩] ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا

(١) وقرأ النخعي سيدخلهم .

(٢) مصدران الأول مؤكد لنفسه والثانى مؤكد لغيره .

(٣) قولا . وهو استفهام بمعنى النفى أى لا أحد أصدق منه . وهو تأكيد ثالث . وفائدة هذه التوكيدات مقابلة مواعيد الشيطان الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لأوليائه .

(٤) ليس الأمر على شهواتكم وأمانيكم أيها المشركون أن تنفعكم الأصنام .

(٥) ولا على شهوات اليهود والنصارى حيث قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه ، لن تمسنا النار إلا أياما معدودة .

(٦) أى من المشركين وأهل الكتاب بدليل قوله (ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا). وهذا وعيد للكفار لأنه قال بعده (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن) .

(٧) فقوله (وهو مؤمن) حال. ومن الأولى للتبعيض ، والثانية لبيان الإبهام فيمن يعمل. وفيه إشارة إلى أن الأعمال ليست من الإيمـان .

(٨) يُدخَلون مكى وأبو عمرو وأبو بكر .

(٩) قدر النقير وهو النقرة فى ظهر النواة . والراجع فى (ولا يظلمون) لعمال السوء وعمال الصالحات جميعا. وجاز أن يكون ذكره عند أحد الفريقين دليلا على ذكره عند الآخر .

وقوله (من يعمل سوءا يجز به) وقوله (ومن يعمل من الصالحات) بعد ذكر تمنى أهل الكتاب كقوله (بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته) وقوله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) عقيب قوله (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة) .

مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ[1] وَهُوَ مُحْسِنٌ[2] وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا[3] وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا[4] ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ[5] وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا[6] ﴿١٢٦﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ[7] قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ[8] ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ[9] وَتَرْغَبُونَ

---

(١) أخلص نفسه لله وجعلها سالمة له لا يعرف لها ربا ولا معبودا سواه .

(٢) عامل للحسنات .

(٣) مائلا عن الأديان الباطلة وهو حال من المتّبِع أو من إبراهيم .

(٤) هو فى الأصل المخالّ وهو الذى يخالك أى يوافقك فى خلالك أو يداخلك خلال منزلك أو يسد خللك كما يسد خلله. فالخلة صفاء مودة توجب الاختصاص بتخلل الأسرار. والمحبة أصفى لأنها من حبة القلب . وهى جملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب كقوله "والحوادث جمة" . وفائدتها تأكيد وجوب اتباع ملته وطريقته لأن من بلغ من الزلفى عند الله أن اتخذه خليلا كان جديرا بأن تتبع ملته وطريقته . ولو جعلتها معطوفة على الجمل قبلها لم يكن لها معنى . وفى الحديث اتخذ الله إبراهيم خليلا لإطعامه الطعام ، وإفشائه السلام ، وصلاته بالليل والناس نيام . وقيل أوحى إليه إنما اتخذتك خليلا لأنك تحب أن تعطى ولا تعطَى وفى رواية لأنك تعطى الناس ولا تسألهم .

(٥) دليل على أن اتخاذه خليلا لاحتياج الخليل إليه لا لاحتياجه تعالى إليه لأنه منزه عن ذلك .

(٦) عالما .

(٧) ويسألونك الإفتاء فى النساء . والإفتاء تبيين المبهم .

(٨) أى الله يفتيكم والمتلوّ فى الكتاب أى القرآن فى معنى اليتامى يعنى قوله (وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى) وهو من قولك أعجبنى زيد وكرمه . وما يتلى فى محل الرفع بالعطف على الضمير فى يفتيكم أو على لفظ الله و (فى يتامى النساء) صلة يتلى أى يتلى عليكم فى معناهن . ويجوز أن يكون فى يتامى النساء بدلا من (فيهن) . والإضافة بمعنى من .

(٩) ما فرض لهن من الميراث. وكان الرجل منهم يضم اليتيمة إلى نفسه ومالها فإن كانت جميلة تزوجها وأكل المال وإن كانت دميمة عضلها عن التزوج حتى تموت فيرثها .

أَن تَنكِحُوهُنَّ [١] وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ [٢] مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ [٣] لِلْيَتَـٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ [٤] وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ [٥] فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا [٦] ۝ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا [٧] أَوْ إِعْرَاضًا [٨] فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا [٩] بَيْنَهُمَا صُلْحًا [١٠] وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ [١١]

---

(١) أى فى أن تنكحوهن لجمالهن أو عن أن تنكحوهن لدمامتهن .

(٢) أى اليتامى وهو مجرور معطوف على يتامى النساء . وكانوا فى الجاهلية إنما يورّثون الرجال القوّام بالأمور دون الأطفال والنساء .

(٣) مجرور كالمستضعفين بمعنى يفتيكم فى يتامى النساء وفى المستضعفين وفى أن تقوموا . أو منصوب بمعنى ويأمركم أن تقوموا . وهو خطاب للأئمة فى أن ينظروا لهم ويستوفوا لهم حقوقهم .

(٤) بالعدل فى ميراثهم ومالهم .

(٥) شرط وجوابه (فإنّ الله) .

(٦) أى فيجازيكم عليه .

(٧) توقعت منه ذلك لما لاح لها من مخايله وأماراته . والنشوز أن يتجافى عنها بأن يمنعها نفسه ونفقته وأن يؤذيها بسب أو ضرب .

(٨) عنها بأن يقلّ محادثتها ومؤانستها بسبب كبر سن أو دمامة أو سوء فى خُلُق أو خَلْق أو ملال أو طموح عين إلى أخرى أو غير ذلك .

(٩) كوفى . يَصَّالحا غيرهم . أى يتصالحا وهو أصله فأبدلت التاء صادا وأدغمت .

(١٠) فى معنى مصدر كل واحد من الفعلين . ومعنى الصلح أن يتصالحا على أن تطيب له نفسا عن القسمة أو عن بعضها أو تهب له بعض المهر أو كله أو النفقة .

(١١) من الفرقة أو النشوز . أو من الخصومة فى كل شىء . أو (والصلح خير) من الخيور كما أن الخصومة شر من الشرور . وهذه الجملة اعتراض كقوله (وأحضرت الأنفس الشحّ) .

وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ(١) وَإِن تُحْسِنُوا۟(٢) وَتَتَّقُوا۟(٣) فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ(٤) خَبِيرًا(٥) ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ(٦) وَلَوْ حَرَصْتُمْ(٧) فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ(٨)

(١) أى جعل الشح حاضرا لها لايغيب عنها أبدا ولا تنفك عنه يعنى أنها مطبوعة عليه . والمراد أن المرأة لا تكاد تسمح بقسمها والرجل لا يكاد يسمح بأن يقسم لها إذا رغب عنها فكل واحد منهما يطلب ما فيه راحته . وأحضرت يتعدى الى مفعولين والأول الأنفس . ثم حث على مخالفة الطبع ومتابعة الشرع بقوله (وإن تحسنوا) .

(٢) بالإقامة على نسائكم وإن كرهتموهن وأحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة .

(٣) النشوز والإعراض وما يؤدى الى الأذى والخصومة .

(٤) من الإحسان والتقوى .

(٥) فيثيبكم عليه .

وكان عمران الخارجى من أدم بنى آدم وامرأته من أجملهم فنظرت إليه وقالت الحمد لله على أنى وإياك من أهل الجنة . قال كيف ؟ فقالت لأنك رزقت مثلى فشكرت ورزقت مثلك فصبرت والجنة موعودة للشاكرين والصابرين .

(٦) ولن تستطيعوا العدل بين النساء والتسوية حتى لا يقع ميل البتة . فتمام العدل أن يسوّى بينهن بالقسمة والنفقة والتعهد والنظر والإقبال والمحالمة والمفاكهة وغيرها . وقيل معناه أن تعدلوا فى المحبة. وكان عليه السلام يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتى فيما أملك فلا تؤاخذنى فيما تملك ولا أملك . يعنى المحبة لأن عائشة رضى الله عنها كانت أحبّ إليه .

(٧) بالغتم فى تحرى ذلك .

(٨) فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمها من غير رضا منها . يعنى أن اجتناب كل الميل فى حد اليسر فلا تفرطوا فيه إن وقع منكم التفريط فى العدل كله . وفيه ضرب من التوبيخ . وكل نصب على المصدر لأن له حكم ما يضاف إليه .

فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ(١) وَإِن تُصْلِحُواْ(٢) وَتَتَّقُواْ(٣) فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا(٤) ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا(٥) يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا(٦) مِّن سَعَتِهِۦ(٧) وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا(٨) حَكِيمًا(٩) ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ(١٠) وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ(١١) مِن قَبْلِكُمْ(١٢) وَإِيَّاكُمْ(١٣) أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ(١٤) وَإِن تَكْفُرُواْ(١٥) فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

(١) وهى التى ليست بذات بعل ولا مطلّقة .

(٢) بينهن .

(٣) الجور .

(٤) يغفر لكم ميل قلوبكم ويرحمكم فلا يعاقبكم .

(٥) أى إن لم يصطلح الزوجان على شىء وتفرقا بالخلع أو بتطليقه إياها وإيفائه مهرها ونفقة عدتها .

(٦) كل واحد منهما .

(٧) من غناه أى يرزقه زوجا خيرا من زوجه وعيشا أهنأ من عيشه .

(٨) بتحليل النكاح .

(٩) بالإذن فى السراح . فالسعة الغِنَى والقُدرة . والواسع الغَنِيُّ المُقْتَـدِر . ثم بَيَّنَ غِناه وقُدرته بقوله (ولله ما فى السموات وما فى الأرض) .

(١٠) خلقا والمتملكون عبيده رقّا .

(١١) هو اسم للجنس فيتناول الكتب السماوية .

(١٢) من الأمم السالفة وهو متعلق بوصينا أو بأوتوا .

(١٣) عطف على الذين أوتوا .

(١٤) بأن اتقوا أو تكون أن المفسرة لأن التوصية فى معنى القول . والمعنى أن هذه وصية قديمة ما زال يوصى الله بها عباده — ولستم بها مخصوصين — لأنهم بالتقوى يسعدون عنده .

(١٥) عطف على اتقوا لأن المعنى أمرناهم وأمرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم إن تكفروا .

وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا(١) حَمِيدًا(٢) ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا(٣) ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ(٤) أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ(٥) وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا(٦) ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا(٧) فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ(٨) وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا(٩) بَصِيرًا(١٠) ﴿١٣٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ(١١)

---

(١) عن خلقه وعن عبادتهم .

(٢) مستحقا لأن يحمد لكثرة نعمه وإن لم يحمده أحد .

وتكرير قوله (لله ما فى السموات وما فى الأرض) تقرير لما هو موجب تقواه لأن الخلق لما كان كله له وهو خالقهم ومالكهم فحقه أن يكون مطاعا فى خلقه غير معصى . وفيه دليل على أن التقوى أصل الخير كله . وقوله (وإن تكفروا) عقيب التقوى دليل على أن المراد الاتقاء عن الشرك .

(٣) فاتخذوه وكيلا ولا تتكلوا على غيره . ثم خوفهم وبين قدرته بقوله (إن يشأ يذهبكم).

(٤) يعدمكم .

(٥) ويوجد إنسا آخرين مكانكم أو خلقا آخرين غير الإنس .

(٦) بليغ القدرة .

(٧) كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة .

(٨) فما له يطلب أحدهما دون الآخر والذى يطلبه أخسهما .

(٩) للأقوال .

(١٠) بالأفعال وهو وعد ووعيد .

(١١) مجتهدين فى إقامة العدل حتى لا تجوروا .

شُهَدَآءَ[1] لِلَّهِ[2] وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ[3] أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ[4] إِن يَكُنْ[5] غَنِيًّا[6]
أَوْ فَقِيرًا[7] فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا[8] فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟[9] وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟[10]

(١) خبر بعد خبر .

(٢) أى تقيمون شهاداتكم لوجه الله .

(٣) ولو كانت الشهادة على أنفسكم . والشهادة على نفسه هى الإقرار على نفسه لأنه فى معنى الشهادة عليها بإلزام الحق وهـذا لأن الدعوى والشهادة والإقرار يشترك جميعها فى الإخبار عن حق لأحد على أحد . غير أن الدعوى إخبار عن حق لنفسه على الغير والإقرار للغير على نفسه والشهادة للغير على الغير .

(٤) أى ولو كانت الشهادة على آبائكم وأمهاتكم وأقاربكم .

(٥) المشهود عليه .

(٦) فلا يمنع الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه .

(٧) فلا يمنعها ترحّما عليه .

(٨) بالغنى والفقير اى بالنظر لهما والرحمة . وإنمـا ثنى الضمير فى بهما — وكان حقه أن يوحد لأن المعنى إن يكن أحد هذين، لأنه يرجع إلى ما دل عليه قوله غنيا أو فقيرا وهو جنس الغنى والفقير كأنه قيل فالله أولى بجنسى الغنى والفقير أى بالأغنياء والفقراء .

(٩) إرادة أن تعدلوا عن الحق من العدول . أو كراهة أن تعـدلوا بين النـاس من العــدل .

(١٠) بواو واحدة وضم اللام شامى وحمزة من الولاية . أى وإن وليتم إقامة الشهادة أو أعرضتم عن إقامتها . غيرهما تلووا بواوين وسـكون اللام من اللىّ أى وإن تلووا ألسنتكم عن شهادة الحق أو حكومة العدل أو تعرضوا عن الشهادة بمـا عندكم وتمنعوها .

فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا[1] ﴿١٣٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟[2] بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ[3] ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ[4] وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ[5] وَمَن يَكْفُرْ[6] بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا[7] ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟[8] ثُمَّ كَفَرُوا۟[9] ثُمَّ ءَامَنُوا۟[10] ثُمَّ كَفَرُوا۟[11]

---

(١) فيجازيكم عليه .

(٢) خطاب للسلمين أى اثبتوا على الإيمان ودوموا عليه . أو لأهل الكتاب لأنهم آمنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض . أو للمنافقين أى يا أيها الذين آمنوا نفاقا امنوا إخلاصا .

(٣) أى محمد صلى الله عليه وسلم .

(٤) أى الفرقان .

(٥) أى جنس ما أنزل على الأنبياء قبله من الكتب ويدل عليه قوله (وكتبه) . نزّل وأنزل بالبناء للفعول مكى وشامى وأبو عمرو . وعلى البناء للفاعل فيهما غيرهم . وإنما قيل نزّل على رسوله وأنزل من قبل لأن الفرقان نزل مفرقا منجما فى عشرين سنة بخلاف الكتب قبله .

(٦) أى ومن يكفر بشىء من ذلك .

(٧) لأن الكفر ببعضه كفر بكله .

(٨) بموسى عليه السلام .

(٩) حين عبدوا العجل .

(١٠) بموسى بعد عوده .

(١١) بعيسى عليه السلام .

ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا(١) لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا(٢) ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ(٣) ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا(٤) ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ(٥) يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ(٦) فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا(٧) ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ(٨) عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ(٩) أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ(١٠) إِنَّكُمْ

---

(١) بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم .

(٢) إلى النجاة أو إلى الجنة .

أو هم المنافقون آمنوا فى الظاهر وكفروا فى السر مرة بعد أخرى وازدياد الكفر منهم ثباتهم عليه إلى الموت . يؤيده قوله (بشّر المنافقين) .

(٣) أى أخبرهم . ووضع (بشّر) مكانه تهكما بهم .

(٤) مؤلما .

(٥) نصب على الذم أو رفع ، بمعنى أريد الذين أو هم الذين .

(٦) كان المنافقون يوالون الكفرة يطلبون منهم المَنَعَة والنُّصرة ويقولون لا يتمّ أمر محمد عليه السلام .

(٧) ولمن أعزّه كالنبى عليه السلام والمؤمنين كما قال (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) .

(٨) بفتح النون عاصم . وبضمها غيره .

(٩) القرآن .

(١٠) حتى يشرعوا فى كلام غير الكفر والاستهزاء بالقرآن. والخوض الشروع. وأن مخففة من الثقيلة أى أنه إذا سمعتم . أى نزل عليكم أن الشأن كذا . والشأن ما أفادته الجملة بشرطها وجزائها . وأن مع ما فى حيزها فى موضع الرفع بُنزل أو فى موضع النصب بنَزل. والمنزل عليهم فى الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله (و إذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره) وذلك أن المشركين كانوا يخوضون فى ذكر القرآن فى مجالسهم فيستهزئون به فنهى المسلمين عن القعود معهم ما داموا خائضين فيه . وكان المنافقون بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين بمكة فنهوا أن يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة .

إِذًا مِّثْلُهُمْ[١] إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا[٢] ﴿١٤٠﴾ ٱلَّذِينَ[٣] يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ[٤] فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ[٥] قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ[٦] وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ[٧] قَالُوٓا۟[٨] أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ[٩] وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ[١٠] فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ[١١] يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ[١٢] لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا[١٣] ﴿١٤١﴾

---

(١) أى فى الوزر إذا مكثتم معهم . ولم يرد به التمثيل من كل وجه فإن خوض المنافقين فيه كفر ومكث هؤلاء معهم معصية .

(٢) لاجتماعهم فى الكفر والاستهزاء .

(٣) بدل من الذين يتخذون أوصفة للمنافقين أو نصب على الذم منهم .

(٤) ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظفر أو إخفاق .

(٥) نصرة وغنيمة .

(٦) مظاهرين فأشركونا فى الغنيمة .

(٧) سمى ظفر المسلمين فتحا تعظيما لشأنهم لأنه أمر عظيم تفتح له أبواب السماء ، وظفر الكافرين نصيبا تخسيسا لحظهم لأنه لُمْظة من الدنيا يصيبونها .

(٨) للكافرين .

(٩) ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فأبقينا عليكم . والاستحواذ الاستيلاء والغلبة .

(١٠) بأن ثبّطناهم عنكم وخيّلنا لهم ما ضعفت قلوبهم به ومرضوا عن قتالكم وتوانينا فى مظاهرتهم عليكم . فهاتوا نصيبا لنا مما أصبتم .

(١١) أيها المؤمنون والمنافقون .

(١٢) فيدخل المنافقين النار والمؤمنين الجنة .

(١٣) أى فى القيامة بدليل أوّل الآية ، كذا عن علىّ رضى الله عنه . أو حجة ، كذا عن ابن عباس رضى الله عنهما .

إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ (١) وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ (٢) وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ (٣) يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ (٤) وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (٥) ۝ مُّذَبْذَبِينَ (٦) بَيْنَ ذَٰلِكَ (٧) لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ (٨) وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ (٩) وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا (١٠) ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا (١١) ۝ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ

(١) أى يفعلون ما يفعل المخادع من إظهار الإيمان وإبطان الكفر. والمنافق من أظهر الإيمان وأبطن الكفر. أو أولياءَ الله وهم المؤمنون. فأضاف خداعهم إلى نفسه تشريفا لهم.

(٢) وهو فاعل بهم ما يفعل المغالب فى الخداع حيث تركهم معصومى الدماء والأموال فى الدنيا وأعد لهم الدرْك الأسفل من النار فى العقبى. والخادع اسم فاعل من خادعته فخدعته إذا غلبته وكنت أخدع منه. وقيل يجزيهم جزاء خداعهم .

(٣) متثاقلين كراهة. أما الغفلة فقد يبتلى بها المؤمن. وهو جمع كسلان كسكارى فى سكران.

(٤) حال أى يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة. والمراءاة مفاعلة من الرؤية لأن المرائى يريهم عمله وهم يُرُونه استحسانا .

(٥) ولا يصلون إلا قليلا لأنهم لا يصلّون قط غائبين عن عيون الناس . أو لا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل إلا ذكرا قليلا نادرا. قال الحسن لو كان ذلك القليل لله تعالى لكان كثيرا .

(٦) نصب على الذم أى مردَّدين يعنى ذبذبهم الشيطان والهوى بين الإيمان والكفر فهم متردّدون بينهما متحيرون. وحقيقة المذبذب الذى يُذَبُّ عن كلا الجانبين أى يُدْفع فلا يَقرّ فى جانب واحد إلا أن الذبذبة فيها تكرير ليس فى الذب .

(٧) بين الكفر والإيمان .

(٨) لا منسوبين إلى هؤلاء فيكونوا مؤمنين .

(٩) ولا منسوبين إلى هؤلاء فيسموا مشركين .

(١٠) طريقا إلى الهدى .

(١١) حجة بينة فى تعذيبكم .

ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ(١) وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا(٢) ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ(٣) وَأَصْلَحُواْ(٤) وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ(٥) وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ(٦) فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ(٧) وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا(٨) ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ(٩) وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا(١٠)

(١) أى فى الطبق الذى فى قعر جهنم والنار سبع دركات . سميت بذلك لأنها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض . وإنما كان المنافق أشدّ عذابا من الكافر لأنه أمن السيف فى الدنيا فاستحق الدرك الأسفل فى العقبى تعديلا ، ولأنه مثله فى الكفر وضم إلى كفره الاستهزاء بالإسلام وأهله . والدرك بسكون الراء كوفى غير الأعشى . و بفتح الراء غيرهم وهما لغتان وذكر الزجاج أن الاختيار فتح الراء .

(٢) يمنعهم من العذاب .

(٣) من النفاق وهو استثناء من الضمير المجرور فى (ولن تجد لهم نصيرا) .

(٤) ما أفسدوا من أسرارهم وأحوالهم فى حال النفاق .

(٥) ووثقوا به كما يثق المؤمنون الخلّص .

(٦) لا يبتغون بطاعتهم إلا وجهه .

(٧) فهم أصحاب المؤمنين ورفاقهم فى الدارين .

(٨) فيشاركونهم فيه . وحذفت الياء فى الخط هنا إتباعا للفظ .

(٩) استفهم مقررا أنه لا يعذب المؤمن الشاكر فقال : (ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم) لله (وآمنتم) به . فما منصوبة بيفعل أى أىّ شىء يفعل بعذابكم . فالإيمان معرفة المنعم . والشكر الاعتراف بالنعمة . والكفر بالمنعم والنعمة عناد فلذا استحق الكافر العذاب . وقدّم الشكر على الإيمان لأن العاقل ينظر إلى ما عليه من النعمة العظيمة فى خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا مبهما فإذا انتهى به النظر إلى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكرا مفصلا فكان الشكر متقدّما على الإيمان

(١٠) يجزيكم على شكركم أو يقبل اليسير من العمل و يعطى الجزيل من الثواب .

عَلِيمًا(١) ﴿١٤٧﴾ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ(٢) إِلَّا مَن ظُلِمَ(٣) وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا(٤) عَلِيمًا(٥) ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ(٦) فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا(٧) ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ(٨) وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا(٩) ﴿١٥٠﴾

---

(١) عالما بما تصنعون .

(٢) ولا غير الجهر ولكن الجهر أفحش .

(٣) إلا جهر من ظلم. استثنى من الجهر الذى لا يحبه الله جهر المظلوم وهو أن يدعو على الظالم ويذكره بما فيه من السوء . وقيل (الجهر بالسوء من القول) هو الشتم (إلا من ظلم) فإنه إن ردّ عليه مثله فلا حرج عليه (ولمن انتصر بعد ظلمه) .

(٤) لشكوى المظلوم .

(٥) بظلم الظالم .

(٦) حث على العفو وألا يجهر أحد لأحد بسوء وإن كان على وجه الانتصار بعد ما أطلق الجهر به ، حثا على الأفضل . وذكر إبداء الخير وإخفاءه تشبيبا للعفو فقال (إن تبدوا خيرا) مكان جهر السوء (أو تخفوه) فتعملوه سرا . ثم عطف العفو عليهما فقال (أو تعفوا عن سوء) أى تمحوه عن قلوبكم . والدليل على أن العفو هو المقصود بذكر إبداء الخير وإخفائه قوله (فإن الله كان عفوّا) .

(٧) أى أنه لم يزل عفوا عن الآثام مع قدرته على الانتقام فعليكم أن تقتدوا بسنته .

(٨) كاليهود كفروا بعيسى ومحمد عليهما السلام والإنجيل والقرآن. وكالنصارى كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن .

(٩) أى دينا وسطا بين الإيمان والكفر ولا واسطة بينهما .

أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ(١) حَقًّا(٢) وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا(٣) ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ(٤) مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ(٥) أُجُورَهُمْ(٦) وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا(٧) رَّحِيمًا(٨) ﴿١٥٢﴾ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ(٩) كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ(١٠) فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ(١١) فَقَالُوٓا۟

(١) هم الكاملون فى الكفر لأن الكفر بواحد كفر بالكل .

(٢) تأكيد لمضمون الجملة كقولك هذا عبد الله حقًا أى حقّ ذلك حقًا وهو كونهم كاملين فى الكفر . أو هو صفة لمصدر الكافرين أى هم الذين كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لا شك فيه .

(٣) فى الآخرة .

(٤) وإنما جاز دخول بين على أحد لأنه عام فى الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما .

(٥) وبالياء حفص .

(٦) أى الثواب الموعود لهم .

(٧) يستر السيئات .

(٨) يقبل الحسنات . والآية تدل على بطلان قول المعتزلة فى تخليد المرتكب الكبيرة لأنه أخبر أن من آمن بالله ورسله ولم يفرق بين أحد منهم يؤتيه أجره . ومرتكب الكبيرة ممن آمن بالله ورسله ولم يفرق بين أحد . فيدخل تحت الوعد . وعلى بطلان قول من لا يقول بقدم صفات الفعل من المغفرة والرحمة لأنه قال (وكان الله غفورا رحيما) وهم يقولون ما كان الله غفورا رحيما فى الأزل ثم صار غفورا رحيما .

(٩) وبالتخفيف مكى وأبو عمرو . لما قال فنحاص وأصحابه للنبى صلى الله عليه وسلم إن كنت نبيا صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى عليه السلام ، نزل .

(١٠) أى جملة كما نزلت التوراة جملة . وإنما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت . وقال الحسن ولو سألوه مسترشدين لأعطاهم لأن إنزال القرآن جملة ممكن .

(١١) هذا جواب شرط مقدّر معناه إن استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى أكبر من ذلك . وإنما أسند السؤال إليهم وقد وجد من آبائهم فى أيام موسى عليه السلام وهم النقباء السبعون ، لأنهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم .

أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً(١) فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ(٢) بِظُلْمِهِمْ(٣) ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ(٤) مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ(٥) فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ(٦) وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا(٧) ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ(٨) وَقُلْنَا لَهُمُ(٩) ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا(١٠) وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟(١١) فِى ٱلسَّبْتِ(١٢) وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا(١٣) ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم(١٤)

(١) عيانا . أى أرنا نره جهرة .

(٢) العذاب الهائل أو النار المحرقة .

(٣) على أنفسهم بسؤال شىء فى غير موضعه أو بالتحكم على نبيهم فى الآيات وتعنتهم فى سؤال الرؤية لا بسؤال الرؤية لأنها ممكنة كإنزال القرآن جملة ولو كان ذلك بسبب سؤال الرؤية لكان موسى بذلك أحق فانه قال (ربّ أرنى أنظر إليك) وما أخذته الصاعقة بل أطمعه وقيّده بالممكن ولا يعلق بالممكن إلا ما هو ممكن الثبوت .

(٤) ثمّ أحياهم (ثمّ اتخذوا العجل) إلها .

(٥) التوراة والمعجزات التسع .

(٦) تفضلا ولم نستأصلهم .

(٧) حجة ظاهرة على من خالفه .

(٨) بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه .

(٩) والطور مطلّ عليهم .

(١٠) أى ادخلوا باب إيلياء مطأطئين عند الدخول رءوسكم .

(١١) لا تجاوزوا الحد . تعدّوا ورش . تعدوا باسكان العين وتشديد الدال مدنى غير ورش . وهما مدغما تعتدوا . وهى قراءة أبىّ إلا أنه أدغم التاء فى الدال وأبقى العين ساكنة فى رواية وفى رواية نقل فتح التاء إلى العين .

(١٢) بأخذ السمك .

(١٣) عهدا مؤكدا .

(١٤) أى فبنقضهم . وما مزيدة للتوكيد. والباء يتعلق بقوله (حرّمنا عليهم طيّبات) تقديره حرّمنا عليهم طيّبات بنقضهم ميثاقهم . وقوله (فبظلم من الذين هادوا) بدل من قوله (فبما نقضهم).

مِيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ(١) وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ(٢) بِغَيْرِ حَقٍّ(٣) وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ(٤) بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ(٥) فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا(٦) ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ(٧) وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا(٨) ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ(٩) عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ(١٠) وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ(١١)

ومعنى التوكيد تحقيق أن تحريم الطيبات لم يكن إلا بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل الأنبياء وغير ذلك .

(١) أى معجزات موسى عليه السلام .

(٢) كزكريا ويحيى وغيرهما .

(٣) بغير سبب يستحقون به القتل .

(٤) جمع أغلف أى محجوبة لا يتوصل إليها شيء من الذكر والوعظ .

(٥) هو رد وإنكار لقولهم (قلوبنا غلف) .

(٦) كعبد الله بن سلام وأصحابه .

(٧) معطوف على (فبما نقضهم) أو على ما يليه من قوله (بكفرهم) . ولما تكرر منهم الكفر لأنهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم عطف بعض كفرهم على بعض .

(٨) هو النسبة إلى الزنا .

(٩) سمي مسيحا لأن جبريل عليه السلام مسحه بالبركة فهو ممسوح أو لأنه كان يمسح المريض والأكمه والأبرص فيبرأ فسمى مسيحا بمعنى الماسح .

(١٠) هم لم يعتقدوه رسول الله لكنهم قالوا استهزاء كقول الكفار لرسولنا (يا أيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون) . ويحتمل أن الله وصفه بالرسول وإن لم يقولوا ذلك .

(١١) روى أن رهطا من اليهود سبّوه وسبّوا أمه فدعا عليهم اللهم أنت ربى وبكلمتك خلقتنى اللهم العن من سبنى وسب والدتى . فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير . فاجتمعت اليهود على قتله فأخبره الله بأنه يرفعه إلى السماء ويطهره من صحبة اليهود فقال لأصحابه أيكم يرضى أن يُلْقَى عليه شبهى فيُقْتَل ويُصْلَب ويدخل الجنة؟ فقال رجل منهم أنا ! فأُلْقِيَ الله عليه شبهه فقُتِل

وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ (١) لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ (٢) وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا (٣) ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ (٤) وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا (٥) حَكِيمًا (٦) ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ (٧) قَبْلَ مَوْتِهِۦ

وصلب . وقيل كان رجل ينافق عيسى فلما أرادوا قتله قال أنا أدلكم عليه فدخل بيت عيسى ورُفع عيسى وألقى الله شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون أنه عيسى وجاز هذا على قوم متعنتين حكم الله بأنهم لا يؤمنون . و(شبّه) مسند إلى الجار والمجرور وهو (لهم) كقولك خيّل إليه كأنه قيل ولكن وقع لهم التشبيه . أو مسند إلى ضمير المقتول لدلالة (إنا قتلنا) عليه كأنه قيل (ولكن شبه لهم) من قتلوه .

(١) فى عيسى يعنى اليهود قالوا إن الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا أو اختلف النصارى قالوا إله وابن إله وثالث ثلاثة .

(٢) استثناء منقطع لأن اتباع الظن ليس من جنس العلم يعنى ولكنهم يتبعون الظن . وإنما وصفوا بالشك وهو ألا يترجح أحد الجانبين ثم وصفوا بالظن وهو أن يترجح أحدهما لأن المراد أنهم شاكّون مالهم به من علم ولكن إن لاحت لهم أمارة فظنوا فذاك .

وقيل (وإن الذين اختلفوا فيه) أى فى قتله (لفى شك منه) أى من قتله . لأنهم كانوا يقولون إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا ؟ وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى ؟

(٣) أى قتلا يقينا أو ما قتلوه متيقنين أو ما قتلوه حقا فيجعل يقينا تأكيدا لقوله (وما قتلوه) أى حق انتفاء قتله حقا .

(٤) إلى حيث لا حكم فيه لغير الله أو إلى السماء .

(٥) فى انتقامه من اليهود .

(٦) فيما دبّر من رفعه إليه .

(٧) (ليؤمنن به) جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره(وإن من أهل الكتاب) أحد(إلا ليؤمنن به) . ونحوه (وما منا إلا له مقام معلوم) . والمعنى وما من اليهود والنصارى أحد إلا ليؤمنن قبل موته بعيسى عليه السلام وبأنه عبد الله ورسوله يعنى إذا عاين قبل أن تزهق روحه حين لا ينفعه إيمانه لانقطاع وقت التكليف . أو الضميران لعيسى يعنى وإنْ منهم أحد

وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (١) ۝ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَـٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ (٢) وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ (٣) كَثِيرًا (٤) ۝ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ (٥) وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ (٦) وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ مِنْهُمْ (٧) عَذَابًا أَلِيمًا (٨) ۝ لَّـٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ (٩) مِنْهُمْ (١٠) وَٱلْمُؤْمِنُونَ (١١) يُؤْمِنُونَ (١٢) بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ (١٣)

إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهم أهل الكتاب الذين يكونون فى زمان نزوله . روى أنه ينزل من السماء فى آخر الزمان فلا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهى ملة الإسلام . أو الضمير فى (به) يرجع إلى الله أو إلى محمد صلى الله عليه وسلم والثانى إلى الكتابى .

(١) يشهد على اليهود بأنهم كذّبوه وعلى النصارى بأنهم دعوه ابن الله .

(٢) وهى ما ذكر فى سورة الأنعام (وعلى الذين هادوا حرّمنا كل ذى ظفر) الآية. والمعنى ما حرمنا عليهم الطيبات إلا لظلم عظيم ارتكبوه وهو ما عدّد قبل هذا .

(٣) وبمنعهم عن الإيمان .

(٤) أى خلقا كثيرا أو صدّا كثيرا .

(٥) كان الربا محرما عليهم كما حرم علينا وكانوا يتعاطونه .

(٦) بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة .

(٧) دون من آمن .

(٨) فى الآخرة .

(٩) أى الثابتون فيه المتقون كابن سلام وأضرابه . وارتفع الراسخون على الابتداء .

(١٠) من أهل الكتاب .

(١١) أى المؤمنون منهم والمؤمنون من المهاجرين والانصار .

(١٢) خبر (الراسخون) .

(١٣) أى القرآن .

وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ[(١)] وَٱلْمُقِيمِينَ[(٢)] ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ[(٣)] ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ[(٤)] أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ[(٥)] أَجْرًا عَظِيمًا ۝ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ[(٦)] كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ[(٧)] وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ[(٨)] وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا[(٩)] ۝ وَرُسُلًا[(١٠)] قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ[(١١)]

(١) أى سائر الكتب .

(٢) منصوب على المدح لبيان فضل الصلاة . وفى مصحف عبد الله (والمقيمون) وهى قراءة مالك بن دينار وغيره .

(٣) مبتدأ .

(٤) عطف عليه والخبر (أولئك) .

(٥) وبالياء حمزة .

(٦) جواب لأهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزّل عليهم كتابا من السماء، واحتجاج عليهم بأن شأنه فى الوحى إليه كشأن سائر الأنبياء الذين سلفوا .

(٧) كهود وصالح وشعيب وغيرهم .

(٨) أى أولاد يعقوب .

(٩) زُبورا حمزة . مصدر بمعنى مفعول سمى به الكتاب المنزل على داود عليه السلام .

(١٠) نصب بمضمر فى معنى (أوحينا إليك) وهو أرسلنا ونبأنا .

(١١) من قبل هذه السورة .

وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ[1] وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا[2] ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا[3] مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ[4] وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا[5] حَكِيمًا[6] ﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ[7] أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ[8] وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ[9]

---

(١) سأل أبو ذرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأنبياء قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا . قال كم الرسل منهم؟ قال ثلثمائة وثلاثة عشر أوّل الرسل آدم وآخرهم نبيكم محمد عليه السلام وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ومحمد عليه السلام . والآية تدل على أن معرفة الرسل بأعيانهم ليست بشرط لصحة الإيمان بل من شرطه أن يؤمن بهم جميعا إذ لو كان معرفة كل واحد منهم شرطا لقصّ علينا كل ذلك .

(٢) أى بلا واسطة .

(٣) الأوجه أن ينتصب على المدح أى أعنى رسلا . ويجوز أن يكون بدلا من الأوّل وأن يكون مفعولا أى وأرسلنا رسلا .

(٤) اللام يتعلق بمبشرين ومنذرين. والمعنى أن إرسالهم إزاحة للعلة وتتميم لإلزام الحجة لئلا يقولوا لولا أرسلت إلينا رسولا فيوقظنا من سِنَة الغفلة وينبهنا بما وجب الانتباه له ويعلمنا ما سبيل معرفته السمع كالعبادات والشرائع أعنى فى حق مقاديرها وأوقاتها وكيفياتها دون أصولها فإنها مما يعرف بالعقل .

(٥) فى العقاب على الإنكار .

(٦) فى بعث الرسل للإنذار .

(٧) لما نزل إنا أوحينا إليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل. ومعنى شهادة الله بما أنزل إليه إثباته لصحته بإظهار المعجزات كما تثبت الدعاوى بالبينات إذ الحكيم لا يؤيد الكاذب بالمعجزة.

(٨) أى أنزله وهو عالم بأنك أهل لإنزاله إليك وأنك مبلغه أو أنزله بما علم من مصالح العباد . وفيه نفى قول المعتزلة فى إنكار الصفات فإنه أثبت لنفسه العلم .

(٩) لك بالنبوّة .

وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا(١) ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ(٢) وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ(٣) قَدْ ضَلُّواْ ضَلَـٰلًا بَعِيدًا(٤) ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ(٥) وَظَلَمُواْ(٦) لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ(٧) وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا(٨) ﴿١٦٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ(٩) مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُواْ خَيْرًا(١٠) لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ(١١) مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ(١٢) وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا(١٣) ﴿١٧٠﴾

(١) شاهدا وإن لم يشهد غيره .

(٢) بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وهم اليهود .

(٣) ومنعوا الناس عن سبيل الحق بقولهم للعرب إنا لا نجده فى كتابنا .

(٤) عن الرشد .

(٥) بالله .

(٦) محمدا عليه السلام بتغيير نعته وإنكار نبوّته .

(٧) ما داموا على الكفر .

(٨) وكان تخليدهم فى جهنم سهلا عليه . والتقدير يعاقبهم (خالدين) فهو حال مقدّرة . والآيتان فى قوم علم الله أنهم لا يؤمنون ويموتون على الكفر .

(٩) أى بالإسلام . أو هو حال أى محقا .

(١٠) انتصابه بمضمر وكذلك (انتهوا خيرا لكم) . وذلك أنه لما بعثهم على الإيمان وعلى الانتهاء عن التثليث عُلم أنه يحملهم على أمر فقال (خيرا لكم) أى اقصدوا وأتوا أمرا خيرا لكم مما أنتم فيه من الكفر والتثليث وهو الإيمان به والتوحيد .

(١١) فلا يضره كفركم .

(١٢) بمن يؤمن وبمن يكفر .

(١٣) لا يسوى بينهما فى الجزاء .

يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ(١) وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ(٢) إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ(٣) رَسُولُ ٱللَّهِ(٤) وَكَلِمَتُهُۥٓ(٥) أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ(٦) وَرُوحٌ(٧) مِّنْهُ(٨) فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَـٰثَةٌ(٩) ٱنتَهُواْ(١٠) خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ(١١) إِلَـٰهٌ(١٢) وَٰحِدٌ(١٣)

(١) لا تجاوزوا الحد فغلت اليهود فى حط المسيح عن منزلته حتى قالوا إنه ابن الزنا وغلت النصارى فى رفعه عن مقداره حيث جعلوه ابن الله .

(٢) وهو تنزيهه عن الشريك والولد .

(٣) لا ابن الله .

(٤) خبر المبتدأ وهو المسيح وعيسى عطف بيان أو بدل .

(٥) عطف على رسول الله . وقيل له كلمة لأنه يهتدى به كما يهتدى بالكلام .

(٦) حال وقد معه مرادة أى أوصلها إليها وحصلها فيها .

(٧) معطوف على الخبر أيضا وقيل له روح لأنه كان يحيى الموتى كما سمى القرآن روحا بقوله (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا) لما يحيى القلوب .

(٨) أى بتخليقه وتكوينه كقوله تعالى (وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه) . وبه أجاب علىّ بن الحسين بن واقد غلاما نصرانيا كان للرشيد فى مجلسه حيث زعم أن فى كتابكم حجة على أن عيسى من الله .

(٩) خبر مبتدأ محذوف أى ولا تقولوا الآلهة ثلاثة .

(١٠) عن التثليث . والذى يدل عليه القرآن التصريح منهم بأن الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة وأن المسيح ولد الله من مريم ألا ترى إلى قوله (أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله. وقالت النصارى المسيح ابن الله) .

(١١) مبتـدأ .

(١٢) خـبره .

(١٣) توكيد .

سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ(١) مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ(٢) وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا(٣) ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ(٤) ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ(٥) وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ(٦) ٱلْمُقَرَّبُونَ(٧)

(١) أسبحه تسبيحا من أن يكون له ولد .

(٢) بيان لتنزهه ممـا نسب إليه بمعنى أن كل ما فيهما خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه إذ البنوة والملك لايجتمعان على أن الجزء إنما يصح فى الأجسام وهو يتعالى عن أن يكون جسما .

(٣) حافظا ومدبرا لهما ولمـا فيهما ومن عجز عن كفاية امر يحتاج إلى ولد يعينه .

ولمـا قال وفد نجران لرسول الله صلى الله عليه وسـلم لم تعيب صاحبنا عيسى ؟ قال وأى شىء أقول؟ قالوا تقول إنه عبد الله ورسوله . قال إنه ليس بعار أن يكون عبدا لله قالوا بلى . فنزل قوله تعالى (لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله) .

(٤) أى لن يأنف .

(٥) هو رد على النصارى .

(٦) رد على من يعبدهم من العرب وهو عطف على المسيح .

(٧) أى الكروبيون الذين حول العرش كجبريل وميكائيل وإسرافيل ومن فى طبقتهم . والمعنى (ولا الملائكة المُـقَرَّبون) أن يكونوا عبادا لله فحذف ذلك لدلالة (عبدا لله) عليه إيجازا. وتشبثت المعتزلة والقائلون بتفضيل الملك على البشر بهذه الآية . وقالوا الارتقاء إنمـا يكون إلى الأعلى. يقال فلان لا يستنكف عن خدمتى ولا أبوه ولو قال ولا عبده لم يحسن. وكان معنى قوله (ولا الملائكة المقربون) ولا من هو أعلى منه قدرا وأعظم منه خطرا . ويدل عليـه تخصيص المقربين. والجواب أنا نسلم تفضيل الثانى على الأول. ولكن هذا لا يمس ما تنازعنا فيه . لأن الآية تدل على أن الملائكة المقربين بأجمعهم أفضل من عيسى. ونحن نسلم بأن جميع الملائكة المقربين أفضل من رسول واحد من البشر. إلى هذا ذهب بعض أهل السنة. ولأن المراد أن الملائكة مع ما لهم من القدرة الفائقة قدر البشر والعلوم اللوحية وتجرّدهم عن التولد الازدواجى رأسا لا يستنكفون عن عبادته . فكيف بمن يتولد من آخر ولا يقدر على ما يقدرون ولا يعلم ما يعلمون. وهذا لأن شدة البطش وسعة العلوم وغرابة التكوّن هى التى تورث الحمقى أمثال النصارى وهم الترفع عن العبودية حيث رأوا المسيح ولد من غير أب وهو

وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ(١) فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا(٢) ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا(٣) ﴿١٧٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ(٤) مِّن رَّبِّكُمْ

يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى وينبئ بما يأكلون ويدخرون في بيوتهم فبرءوه من العبودية . فقيل لهم هـذه الأوصاف في الملائكة أتم منها في المسيح ومع هذا لم يستنكفوا عن العبودية فكيف المسيح . والحاصل أن خواص البشر وهم الأنبياء عليهم السلام أفضل من خواص الملائكة وهم الرسل منهم كجبريل وميكائيل وعزرائيل ونحوهم. وخواص الملائكة أفضل من عوام المؤمنين من البشر . وعوام المؤمنين من البشر أفضل من عوام الملائكة. ودليلنا على تفضيل البشر على الملك ابتداء أنهم قهروا نوازع الهوى في ذات الله تعالى مع أنهم جبلوا عليها فضاهت الانبياء عليهم السلام الملائكة عليهم السلام في العصمة وتفضلوا عليهم في قهر البواعث النفسانيـة والدواعي الجسدانيـة فكانت طاعتهم أشق لكونها مع الصوارف بخلاف طاعة الملائكة لأنهم جبلوا عليها فكانت أزيد ثوابا بالحديث .

(١) يترفع ويطلب الكبرياء .

(٢) فيجازيهم على استنكافهم واستكبارهم . ثم فصل فقال (فأمّا الذين آمنوا) .

(٣) فان قلت التفصيل غير مطابق للفصّل لأن التفصيل اشتمل على الفريقين والمفصّل على فريق واحد . قلت هو مثل قولك جمع الإمام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به. وصحة ذلك لوجهين أحدهما أنّه حذف ذكر أحد الفريقين لدلالة التفصيل عليه . لأن ذكر أحدهما يدل على ذكر الثاني كما حذف أحدهما في التفصيل في قوله تعالى بعد هذا (فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به). والثاني أن الإحسان إلى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل بهم فكأنه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذب بالحسرة إذا رأى أجور العاملين، وبما يصيبه من عذاب الله .

(٤) أي رسول يبهر المنكر بالإعجاز .

وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا[1] ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ[2] فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ[3] وَفَضْلٍ[4] وَيَهْدِيهِمْ[5] إِلَيْهِ[6] صِرَاطًا[7] مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ[8] إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ[9] لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ[10] وَلَهُ أُخْتٌ[11] فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ[12]

---

(١) قرآنا يستضاء به فى ظلمات الحيرة .

(٢) بالله او بالقرآن .

(٣) أى جنة .

(٤) زيادة النعمة .

(٥) ويرشدهم .

(٦) إلى الله أو إلى الفضل أو إلى صراطه .

(٧) فصراطا حال من المضاف المحذوف .

(٨) كان جابر بن عبد الله مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنى كلالة فكيف أصنع فى مالى؟ فنزلت .

(٩) ارتفع امرؤ بمضمر يفسره الظاهر .

(١٠) ومحله الرفع على الصفة أى إن هلك امرؤ غير ذى ولد . وهو مشترك يقع على الذكر والأنثى . والمراد بالولد الابن لأن الابن يسقط الأخت ولا تسقطها البنت .

(١١) أى لأب وأم أو لأب .

(١٢) أى الميت .

وَهُوَ يَرِثُهَآ(١) إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ(٢) فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ(٣) فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً(٤) رِّجَالًا وَنِسَآءً(٥) فَلِلذَّكَرِ(٦) مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ(٧) أَن تَضِلُّوا۟(٨) وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ(٩) ﴿١٧٦﴾

(١) أى الأخ يرث الأخت جميع ما لها إن قدّر الامر على العكس من موتها وبقائه بعدها .

(٢) أى ابن لأن الابن يسقط الأخ دون البنت . فإن قلت الابن لا يسقط الأخ وحده فالأب نظيره فى الإسقاط فلم اقتصر على نفى الولد؟ قلت بيّن حكم انتفاء الولد ووكل حكم انتفاء الوالد إلى بيان السنة وهو قوله عليه السلام ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقى فلأولى عَصَبَة ذَكَر والأب أولى من الأخ .

(٣) أى فإن كانت الأختان اثنتين . دل على ذلك وله أخت .

(٤) أى و إن كان مَن يرث بالأُخُوَّة. والمراد بالإخوة الإخوة والأخوات تغليبا لحكم الذكورة .

(٥) ذكورا و إناثا .

(٦) منهم .

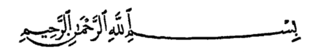
(٧) الحق فهو مفعول (يبين) .

(٨) كراهة أن تضلوا .

(٩) يعلم الأشياء بكنهها قبل كونها و بعده .

سورة المـائدة مدنية

وهى مائة وعشرون آية



يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ[1] أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَـٰمِ[2] إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ[3] غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ[4] وَأَنتُمۡ حُرُمٌ[5] إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ[6] ۝١ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

(١) يقال وفى بالعهد وأوفى به. والعقد العهد الموثق. شبه بعقد الحبل ونحوه. وهى عقود الله التى عقــدها على عباده وألزمها إياهم من مواجب التكليف . أو ما عقــد الله عليكم . أو ما تعاقدتم بينكم . والظاهر أنها عقود الله عليهم فى دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه ، وأنه كلام قدّم مجملا ثم عقّب بالتفصيل وهو قوله (أحلّت لكم) .

(٢) البهيمة كل ذات أربع قوائم فى البر والبحر . وإضافتها إلى الأنعام للبيان. وهى بمعنى من نكاتم فضة ومعناه البهيمة من الأنعام وهى الأزواج الثمـانية . وقيل بهيمة الأنعام الظباء وبقر الوحش ونحوهما .

(٣) آية تحريمه وهو قوله (حرمت عليكم الميتة) الآية .

(٤) حال من الضمير فى لكم أى أحلت لكم هذه الأشياء لا محلّين الصيد .

(٥) حال من محلى الصيد كانه قيل أحللنا لكم بعض الأنعام فى حال امتناعكم من الصيد وأنتم مُحرِمون لئلا يضيق عليكم . والحُرُم جمع حرام وهو المُحرِم .

(٦) من الأحكام أو من التحليل والتحريم .

ءَامَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ (١) وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ (٢) وَلَا ٱلْهَدْىَ (٣) وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ (٤)
وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ (٥) يَبْتَغُونَ (٦) فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ (٧) وَرِضْوَٰنًا (٨) وَإِذَا حَلَلْتُمْ (٩)
فَٱصْطَادُوا (١٠) وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ (١١) شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا

(١) جمع شعيرة وهى اسم ما أشعر أى جعل شعارا وعلما للنسك به من مواقف الحج ومرامى الجمار والمطاف والمسعى ، والأفعال التى هى علامات الحاج يعرف بها من الإحرام والطواف والسعى والحلق والنحر .

(٢) أى أشهر الحج .

(٣) وهو ما أُهدى إلى البيت وتُقُرِّب به إلى الله تعالى من النسائك وهو جمع هدية .

(٤) جمع قلادة وهى ما قلّد به الهدى من نعل أو عروة مزادة أو لحاء شجر أو غيره .

(٥) ولا تحلوا قوما قاصدين المسجد الحرام وهم الحجاج والعمار .

وإحلال هذه الأشياء أن يُتهاون بحرمة الشعائر وأن يحال بينها وبين المتنسكين بها ، وأن يحدثوا فى أشهر الحج ما يصدون به الناس عن الحج ، وأن يتعرضوا للهدى بالغصب أو بالمنع من بلوغ محله . وأما القلائد فجاز أن يراد بها ذوات القلائد وهى البُدْن وتعطف على الهدى للاختصاص لأنها أشرف الهدى كقوله (وجبريل وميكال) كأنه قيل والقلائد منها خصوصا . وجاز أن ينهى عن التعرض لقلائد الهدى مبالغة فى النهى عن التعرض للهدى أى ولا تحلوا قلائدها فضلا أن تحلوها كما قال (ولا يبدين زينتهن) فنهى عن إبداء الزينة مبالغة فى النهى عن إبداء مواقعها .

(٦) حال من الضمير فى (آمّين) .

(٧) أى ثوابا .

(٨) وأن يرضى عنهم . لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيما لهم .

(٩) خرجتم من الإحرام .

(١٠) إباحة للاصطياد بعد حظره عليهم بقوله (غير محلى الصيد وأنتم حرم) .

(١١) جرم مثل كسب فى تعديته إلى مفعول واثنين تقول جرم ذنبا نحو كسبه ، وجرمته ذنبا نحو كسبته إياه . وأول المفعولين ضمير المخاطبين والثانى أن تعتدوا . و (أن صدوكم) متعلق بالشنئان بمعنى العلة وهو شدة البغض . وبسكون النون شامى وأبو بكر . والمعنى ولا يكسبنكم بغض قوم لأن صدوكم لاعتداء ولا يحملنكم عليه . إن صدوكم على الشرط مكى وأبو عمرو ويدل

وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ (١) وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ (٢) وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ (٣) ۝ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ (٤) وَٱلدَّمُ (٥) وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ (٦) وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ (٧) وَٱلْمُنْخَنِقَةُ (٨) وَٱلْمَوْقُوذَةُ (٩) وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ (١٠) وَٱلنَّطِيحَةُ (١١) وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ (١٢) إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ (١٣) وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ (١٤)

على الجزاء ما قبله وهو لا يجرمنكم . ومعنى صدّهم إياهم عن المسجد منع أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة . ومعنى الاعتداء الانتقام منهم بإلحاق مكروه بهم .

(١) على العفو والإغضاء .

(٢) على الانتقام والتشفّي . أو البر فعل المأمور والتقوى ترك المحظور . ويجوز أن يراد العموم لكل بر وتقوى ولكل إثم وعدوان فيتناول بعمومه العفو والانتصار .

(٣) لمن عصاه وما اتقاه .

(٤) أي البهيمة التي تموت حتف أنفها .

(٥) أي المسفوح وهو السائل .

(٦) وكله نجس . وإنما خص اللحم لأنه معظم المقصود .

(٧) أي رفع الصوت به لغير الله وهو قولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه .

(٨) التي خنقوها حتى ماتت أو انخنقت بالشبكة أو غيرها .

(٩) التي أثخنوها ضربا بعصا أو حجر حتى ماتت .

(١٠) التي تردت من جبل أو في بئر فماتت .

(١١) المنطوحة وهي التي نطحتها أخرى فماتت بالنطح .

(١٢) بعضه ومات بجرحه .

(١٣) إلا ما أدركتم ذكاته وهو يضطرب اضطراب المذبوح. والاستثناء يرجع إلى المنخنقة وما بعدها فإنه إذا أدركها وبها حياة فذبحها وسمى عليها حلّت .

(١٤) كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها يعظمونها بذلك ويتقربون إليها تسمى الأنصاب. واحدها نُصُب أو هو جمع والواحد نصاب .

وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ(١) ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ(٢) ٱلْيَوْمَ(٣) يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ(٤) فَلَا تَخْشَوْهُمْ(٥) وَٱخْشَوْنِ(٦) ٱلْيَوْمَ(٧) أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ(٨)

(١) فى موضع الرفع بالعطف على الميتة أى حرمت عليكم الميتة وكذا وكذا والاستقسام بالأزلام وهى القداح المعلمة واحدها زَلَم وزُلَم . كان أحدهم إذا أراد سفراً أو غزواً أو تجارة أو نكاحا أو غير ذلك يعمد إلى أقداح ثلاثة على واحد منها مكتوب أمرنى ربى وعلى الآخر نهانى والثالث غُفْل فإن خرج الآمر مضى لحاجته وإن خرج النـاهى أمسك وإن خرج الغفل أعاده . فمعنى الاستقسام بالأزلام طلب معرفة ما قسم له مما لم يقسم له بالأزلام. قال الزجاج لا فرق بين هـذا وبين قول المنجمين لا تخرج من أجل نجم كذا واخرج لطلوع نجم كذا . وفى شرح التأويلات ردّ هذا وقال لا يقول المنجم إن نجم كذا يأمر بكذا ونجم كذا ينهى عن كذا كما كان فعل أولئك. ولكن المنجم جعل النجوم دلالات وعلامات على أحكام الله تعالى. ويجوز أن يجعـل الله فى النجوم معانى وأعلاما يدرك بها الأحكام ويسـتخرج بها الأشيـاء ولا لائمة فى ذلك إنما اللائمة عليه فيما يحكم على الله ويشهد عليه. وقيل هو الميسر وقسمتهم الجزور على الأنصباء المعلومة .

(٢) الاستقسام بالأزلام خروج عن الطاعة . ويحتمل أن يعود إلى كل محرم فى الآية .

(٣) ظرف ليئس . ولم يرد به يوم بعينه وإنمـا معناه الآن وهذا كما تقول أنا اليوم قد كبرت تريد الآن . وقيل أريد يوم نزولها وقد نزلت يوم الجمعـة وكان يوم عرفة بعد العصر فى حجة الوداع .

(٤) يئسوا منه أن يبطلوه أو يئسوا من دينكم أن يغلبوه لأن الله تعـالى وفى بوعده من إظهاره على الدين كله .

(٥) بعد إظهار الدين وزوال الخوف من الكفار وانقلابهم مغلوبين بعد ما كانوا غالبين .

(٦) بغير ياء فى الوصل والوقف أى أخلصوا لى الخشية .

(٧) ظرف لقوله (أكملت) .

(٨) بأن كفيتكم خوف عدوكم وأظهرتكم عليهم كما يقول الملوك اليوم كمل لنـا الملك أى كفينا مَن كنا نخافه . أو أكملت لكم ما تحتاجون اليه فى تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على شرائع الإسلام وقوانين القياس .

وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي (١) وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا (٢) فَمَنِ اضْطُرَّ (٣) فِي مَخْمَصَةٍ (٤) غَيْرَ مُتَجَانِفٍ (٥) لِإِثْمٍ (٦) فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ (٧) رَحِيمٌ (٨) ۝ يَسْأَلُونَكَ (٩) مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ (١٠) قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ (١١) وَمَا عَلَّمْتُمْ (١٢) مِنَ الْجَوَارِحِ (١٣)

(١) بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكهم .

(٢) حال اخترته لكم من بين الأديان وآذنتكم بأنه هو الدين المرضى وحده (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه) .

(٣) متصل بذكر المحرمات . وقوله (ذلكم فسق) اعتراض أ كد به معنى التحريم . وكذا ما بعده لأن تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والإسلام المنعوت بالرضا دون غيره من الملل . ومعناه فمن اضطر إلى الميتة و إلى غيرها .

(٤) مجاعة .

(٥) حال .

(٦) مائل الى إثم أى غير متجاوز سد الرمق .

(٧) لا يؤاخذه بذلك .

(٨) بإباحة المحظور للمعذور .

(٩) فى السؤال معنى القول فلذا وقع بعده ماذا .

(١٠) كأنه قيل يقولون لك (ماذا أحل لهم). وإنما لم يقل ماذا أحل لنا حكاية لما قالوا لأن يسألونك بلفظ الغيبة كقولك أقسم زيد ليفعلن ولوقيل لأفعلن وأحل لنا لكان صوابا . و(ماذا) مبتدأ و(أحل لهم) خبره كقولك أى شيء أحل لهم. ومعناه ما ذا أحل لهم من المطاعم. كأنه حين تلا عليهم ما حرم عليهم من خبيثات المآكل سألوا عما أحل لهم منها فقال قل (أحل لكم).

(١١) أى ما ليس بخبيث منها أو هو كل مالم يأت تحريمه فى كتاب الله أو سنة أو إجماع أو قياس .

(١٢) عطف على الطيبات أى أحل لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف. أو تجعل ما شرطية وجوابها (فكلوا) .

(١٣) أى الكواسب للصيد من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والعقاب والصقر والبازى والشاهين . وقيل هى من الجراحة فيشترط للحل الجرح .

مُكَلِّبِينَ(١) تُعَلِّمُونَهُنَّ(٢) مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ(٣) فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ(٤) وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ(٥) وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ(٦) إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ(٧) ۝ ٱلْيَوْمَ(٨) أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ(٩) وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ(١٠) وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ(١١)

(١) حال من علمتم. وفائدة هذه الحال مع أنه استغنى عنها بعلّمتم أن يكون من يعلّم الجوارح موصوفا بالتكليب. وفيه دليل على أنَّ على كل آخذ علما ألا يأخذه إلا من أقتل أهله علما وأنحرهم دراية فكم من آخذ عن غير متقن قد ضيّع أيامه وعض عند لقاء النحارير أنامله. والمكلّب مؤدِّب الجوارح ومعلّمها مشتق من الكلْب لأن التأديب فى الكلاب أكثر فاشتق من لفظه لكثرته فى جنسه أو لأن السبع يسمى كلبا ومنه الحديث اللهم سلط عليه كلبا من كلابك. فأكله الأسد.

(٢) حال أو استئناف ولا موضع له.

(٣) من التكليب.

(٤) الإمساك على صاحبه ألا يأكل منه فان أكل منه لم يؤكل اذا كان صيد كلب ونحوه. فأما صيد البازى ونحوه فأكله لا يحرمه وقد عرف فى موضعه.

(٥) الضمير يرجع إلى (ما أمسكن) على معنى وسموا عليه إذا أدركتم ذكاته. أو إلى (ما علّمتم من الجوارح). أى سموا عليه عند إرساله.

(٦) واحذروا مخالفة أمره فى هذا كله.

(٧) إنه محاسبكم على أفعالكم ولا يلحقه فيه لَبْث.

(٨) الآن.

(٩) كرره تأكيدا للمنة.

(١٠) أى ذبائحهم لأن سائر الأطعمة لا يختص حلها بالملة.

(١١) فلا جناح عليكم أن تطعموهم لأنه لو كان حراما عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم إطعامهم.

وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ (١) وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ (٢) إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ (٣) مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ (٤) وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ (٥) وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ (٦) فَقَدْ حَبِطَ (٧) عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ (٨) فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ

(١) هى الحرائر أو العفائف . وليس هذا بشرط لصحة النكاح بل هو للاستحباب لأنه يصح نكاح الإماء من المسلمات ونكاح غير العفائف . وتخصيصهن بعث على تخير المؤمنين لنطفهم . وهو معطوف على الطيبات . أو مبتدأ والخبر محذوف أى والمحصنات من المؤمنات حلّ لكم .

(٢) هنّ الحرائر الكتابيات أو العفائف الكتابيات .

(٣) أعطيتموهن مهورهن .

(٤) متزوجين غير زانين .

(٥) صدائق . والخِدن يقع على الذكر والأنثى .

(٦) بشرائع الإسلام وما أحل الله وحرم .

(٧) بطل .

(٨) أى إذا أردتم القيام إلى الصلاة كقوله (فاذا قرأت القرآن) أى إذا أردت أن تقرأ القرآن فعبر عن إرادة الفعل بالفعل لأن الفعل مسبب عن الإرادة فأقيم المسبب مقام السبب لملابسة بينهما طلبا للإيجاز . ونحوه كما تدين تدان عبر عن الفعل الابتدائى الذى هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذى هو مسبب عنه . وتقديره وأنتم محدثون عن ابن عباس رضى الله عنهما أو من النوم لأنه دليل الحدث . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة يتوضئون لكل صلاة . وقيل كان الوضوء لكل صلاة واجبا أول ما فرض ثم نسخ .

وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ(١) وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ(٢) وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ(٣)

(١) إلى تفيد معنى الغاية مطلقا . فأما دخولها فى الحكم وخروجها فأمر يدور مع الدليل. فما فيه دليل على الخروج (فنظرة إلى ميسرة) لأن الإعسار علة الإنظار و بوجود الميسرة تزول العلة ولو دخلت الميسرة فيه لكان منظرا فى الحالتين معسرا وموسرا . وكذلك (أتموا الصيام إلى الليل) لو دخل الليل لوجب الوصال . ومما فيه دليل على الدخول قولك حفظت القرآن من أوله إلى آخره لأن الكلام مسوق لحفظ القرآن كله . ومنه قوله تعالى (من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) لوقوع العلم بأنه عليه السلام لا يسرى به إلى بيت المقدّس من غير أن يدخله . وقوله (إلى المرافق) لا دليل فيه على أحد الأمرين . فأخذ الجمهور بالاحتياط فحكموا بدخولها فى الغسل . وأخذ زفر وداود بالمتيقن فلم يدخلاها . وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يدير الماء على مرفقيه .

(٢) المراد إلصاق المسح بالرأس . وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح برأسه . فأخذ مالك بالاحتياط فأوجب الاستيعاب . والشافعى باليقين فأوجب أقل ما يقع عليه اسم المسح . وأخذنا ببيان النبى عليه السلام وهو ما روى أنه مسح على ناصيته . وقدرت الناصية بربع الرأس .

(٣) بالنصب شامى ونافع وعلىّ وحفص . والمعنى فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأرجلكم إلى الكعبين وامسحوا برءوسكم على التقديم والتأخير . غيرهم بالجر بالعطف على الرءوس . لأن الأرجل، من بين الأعضاء الثلاثة المغسولة ، تغسل بصب الماء عليها . فكانت مظنة للإسراف المنهى عنه. فعطفت على الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد فى صب الماء عليها . وقيل إلى الكعبين فجىء بالغاية إماطة لظن ظان يحسبها ممسوحة لأن المسح لم تضرب له غاية فى الشريعة . وقال فى جامع العلوم إنها مجرورة للجوار . وقد صح أن النبى عليه السلام رأى قوما يمسحون على أرجلهم فقال ويل للأعقاب من النار . وعن عطاء والله ما علمت أن أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على القدمين . وإنما أمر بغسل هذه الأعضاء ليطهرها من الأوساخ التى تتصل بها لأنها تبدو كثيرا . والصلاة خدمة الله تعالى . والقيام بين يديه متطهرا من الأوساخ أقرب إلى التعظيم . فكان أكمل فى الخدمة كما فى الشاهد إذا أراد أن يقوم بين يدى الملك. ولهذا قيل إن الأولى أن يصلى الرجل فى أحسن ثيابه ، وإن الصلاة متعمما أفضل من الصلاة مكشوف الرأس لما أن ذلك أبلغ فى التعظيم .

وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا۟ (١) وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم (٢) مِّنَ ٱلْغَآئِطِ (٣) أَوْ لَٰمَسْتُمُ (٤) ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ (٥) وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ (٦) وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ (٧) لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٨) ۝ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ (٩) وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا (١٠) وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ (١١) إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (١٢) ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ (١٣)

(١) فاغسلوا أبدانكم .

(٢) قال الرازى معناه وجاء حتى لا يلزم المريض والمسافر التيمم بلا حدث .

(٣) المكان المطمئن وهو كناية عن قضاء الحاجة .

(٤) جامعتم .

(٥) فى باب الطهارة حتى لا يرخص لكم فى التيمم .

(٦) بالتراب إذا أعوزكم التطهر بالماء .

(٧) وليتم برخصه إنعامه عليكم بعزائمه .

(٨) نعمته فيثيبكم .

(٩) بالإسلام .

(١٠) أى عاقدكم به عقداً وثيقا وهو الميثاق الذى أخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى حال اليسر والعسر والمنشط والمكره فقبلوا وقالوا سمعنا وأطعنا وقيل هو الميثاق ليلة العقبة وفى بيعة الرضوان .

(١١) فى نقض الميثاق .

(١٢) بسرائر الصدور من الخير والشر وهو وعد ووعيد .

(١٣) بالعدل .

وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ (١) ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ (٢) وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ (٣) ۝ وَعَدَ ٱللَّهُ (٤) ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ (٥) لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ (٦) ۝ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ (٧) هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ (٨)

---

(١) عدى يجرمنكم بحرف الاستعلاء مضمنا معنى فعل يتعدى به كأنه قيل ولا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم .

(٢) أى العدل أقرب إلى التقوى . نهاهم أولا أن تحملهم البغضاء على ترك العدل . ثم استأنف فصرح لهم بالأمر بالعدل تأكيدا وتشديدا ثم استأنف فذكر لهم وجه الأمر بالعدل وهو قوله تعالى (هو أقرب للتقوى) وإذا كان وجوب العدل مع الكفار بهذه الصفة من القوة فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه .

(٣) فيما أمر ونهى .

(٤) وعد ووعيد ولذا ذكر بعدها آية الوعد وهو قوله تعالى (وعد الله) ، والوعيد وهو قوله (والذين كفروا) .

(٥) وعد يتعدى إلى مفعولين فالأول (الذين آمنوا) والثانى محذوف استغنى عنه بالجملة التى هى قوله (لهم مغفرة) .

(٦) أى لا يفارقونها .

(٧) روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بنى قريظة ومعه الشيخان أبو بكر وعمر والختنان يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمرى خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فأجلسوه فى صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو ابن جحاش إلى رحى عظيمة يطرحها عليه فأمسك الله يده ونزل جبريل فأخبره بذلك فخرج النبى صلى الله عليه وسلم ونزلت الآية . إذ ظرف للنعمة .

(٨) بأن يبسطوا .

إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ(١) فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ(٢) وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ(٣) ﴿﴾ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا(٤) وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ(٥) لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ(٦) وَآمَنتُم بِرُسُلِي(٧) وَعَزَّرْتُمُوهُمْ(٨) وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا(٩) لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ(١٠)

(١) بالقتل يقال بسط لسانه إليه إذا شتمه وبسط إليه يده إذا بطش به (ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء) ومعنى بسط اليد مدها إلى المبطوش به .

(٢) فمنعها أن تمد إليكم .

(٣) فإنه الكافى والدافع والمانع .

(٤) هو الذى ينقب عن أحوال القوم ويفتش عنها . لما استقر بنو إسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون أمرهم الله بالمسير إلى أريحاء أرض الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبابرة وقال لهم إنى كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا إليها وجاهدوا من فيها وإنى ناصركم . وأمر الله موسى عليه السلام أن يأخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما أمروا به توثقة عليهم. فاختار النقباء وأخذ الميثاق على بنى إسرائيل وتكفل لهم به النقباء وسار بهم . فلما دنا من أرض كنعان بعث النقباء يتجسسون فرأوا أجراما عظيمة وقوة وشوكة . فهابوا ورجعوا فحدثوا قومهم وقد نهاهم أن يحدثوهم. فنكثوا الميثاق إلا كالب بن يوقنا ويوشع بن نون وكانا من النقباء .

(٥) أى ناصركم ومعينكم . وتقف هنا لابتدائك بالشرط الداخل عليه اللام الموطئة للقسم وهو (لئن أقمتم) .

(٦) وكانتا فريضتين عليهم .

(٧) من غير تفريق بين أحد منهم .

(٨) وعظمتموهم أو نصرتموهم بأن تردّوا عنهم أعداءهم. والعزر فى اللغة الرد. ويقال عزّرت فلانا أى أدّبته يعنى فعلت به ما يردعه عن القبيح كذا قاله الزجاج .

(٩) بلا منّ وقيل هو كل خير

(١٠) اللام جواب للقسم وهذا الجواب سادّ مسدّ جواب القسم والشرط جميعا .

وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ (١) فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ (٢) ﴿١٢﴾ فَبِمَا (٣) نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ (٤) وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً (٥) يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ (٦) وَنَسُوا۟ حَظًّا (٧) مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ (٨) وَلَا تَزَالُ (٩) تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ (١٠) إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ (١١) فَٱعْفُ عَنْهُمْ (١٢) وَٱصْفَحْ

(١) أى بعد ذلك الشرط المؤكد المتعلق بالوعد العظيم .

(٢) أخطأ طريق الحق . نعم من كفر قبل ذلك فقد ضل سواء السبيل أيضا ولكن الضلال بعده أظهر وأعظم .

(٣) ما مزيد لإفادة تفخيم الأمر .

(٤) طردناهم وأخرجناهم من رحمتنا أو مسخناهم أو ضربنا عليهم الجزية .

(٥) يابسة لا رحمة فيها ولا لين . قسّية حمزة وعلىّ أى رديئة من قولهم درهم قسىّ أى ردىء .

(٦) يفسرونه على غير ما أنزل . وهو بيان لقسوة قلوبهم لأنه لا قسوة أشد من الافتراء على الله وتغيير وحيه .

(٧) وتركوا نصيبا جزيلا وقسطا وافيا .

(٨) من التوراة . يعنى أن تركهم وإعراضهم عن التوراة إغفال حظ عظيم . أوقست قلوبهم وفسدت فحرفوا التوراة وزلت أشياء منها عن حفظهم . عن ابن مسعود رضى الله عنه : قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية . وقيل تركوا نصيب أنفسهم مما أمروا به من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته .

(٩) يا محمد .

(١٠) أى هذه عادتهم وكان عليها أسلافهم كانوا يخونون الرسل وهؤلاء يخونونك ويهمون بالفتك بك . وقوله (على خائنة) أى على خيانة أو على فعلة ذات خيانة أو على نفس أو فرقة خائنة . ويقال رجل خائنة كقولهم رجل راوية للشعر للمبالغة .

(١١) وهم الذين آمنوا منهم .

(١٢) بعث على مخالفتهم أو فاعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم .

إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ (١) فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا (٢) بَيْنَهُمُ (٣) ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ (٤) وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ (٥) ﴿١٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ (٦) قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا (٧) يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ (٨) وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ (٩) قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ (١٠) وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ (١١) ٱللَّهُ

(١) وهو الإيمان بالله والرسل وأفعال الخير . و(مِن) يتعلق بأخذنا أى وأخذنا من الذين قالوا إنا نصارى ميثاقهم . فقدم على الفعل الجار والمجرور وفصل بين الفعل والواو بالجار والمجرور . وإنما لم يقل من النصارى لأنهم إنما سموا أنفسهم بذلك ادعاء لنصر الله. وهم الذين قالوا لعيسى (نحن أنصار الله) ثم اختلفوا بعد نسطورية ويعقوبية وملكانية أنصارا للشيطان.

(٢) فألصقنا وألزمنا من غرى بالشيء إذا لزمه ولصق به ومنه الغراء الذى يلصق به .

(٣) بين فرق النصارى المختلفين .

(٤) بالأهواء المختلفة .

(٥) أى فى القيامة بالجزاء والعقاب .

(٦) خطاب لليهود والنصارى والكتاب للجنس .

(٧) محمد عليه السلام .

(٨) من نحو صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن نحو الرجم .

(٩) مما تخفونه لا يبينه . أو يعفو عن كثير منكم لا يؤاخذه .

(١٠) يريد القرآن لكشفه ظلمات الشرك والشك ولإبانته ما كان خافيا على الناس من الحق أو لأنه ظاهر الإعجاز . أو النور محمد عليه السلام لأنه يهتدى به كما سمى سراجا .

(١١) أى بالقرآن .

مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ (١) سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ (٢) وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ (٣) بِإِذْنِهِۦ (٤) وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ (٥) قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا (٦) إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا (٧) وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ (٨) وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ

(١) من آمن منهم .

(٢) طرق السلامة والنجاة من عذاب الله أو سبل الله . فالسلام السلامة . أو الله .

(٣) من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام .

(٤) بإرادته وتوفيقه .

(٥) معناه بَتُّ القول على أن الله هو المسيح لاغير . قيل كان فى النصارى قوم يقولونه ذلك . أو لأن مذهبهم يؤدى إليه حيث إنهم اعتقدوا أنه يخلق ويحيي ويميت .

(٦) فمن يمنع من قدرته ومشيئته شيئا .

(٧) أى إن أراد أن يهلك من دعوه إلها من المسيح وأمه . يعنى أن المسيح عبد مخلوق كسائر العباد. وعطف من فى الأرض جميعا على المسيح وأمه إبانة أنهما من جنسهم لا تفاوت بينهما و بينهم . والمعنى أن من اشتمل عليه رحم الأمومية متى يفارقه نقص البشرية ؟ ومن لاحت عليه شواهد الحدثية أنى يليق به نعت الربوبية؟ولو قطع البقاء عن جميع ما أوجد لم يعد نقص الى الصمدية .

(٨) أى يخلق من ذكر وأنثى ، ويخلق من أنثى بلا ذكر كما خلق عيسى ، ويخلق من ذكر من غير أنثى كما خلق حواء من آدم، ويخلق من غير ذكر وأنثى كما خلق آدم . أو يخلق كما يشاء نكخلق الطير على يد عيسى معجزة له فلا اعتراض عليه لأنه الفعال لما يريد .

أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ (١) قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم (٢) بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ (٣) يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ (٤) وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ (٥) وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ (٦) ﴿١٨﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا (٧) يُبَيِّنُ لَكُمْ (٨) عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ (٩) أَن تَقُولُواْ (١٠) مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم (١١)

---

(١) أى أعزة عليه كالابن على الأب . أو أشياع ابنى الله عزير والمسيح كما قيل لأشياع أبى خبيب وهو عبد الله ابن الزبير الخبيبيون ، وكما كان يقول رهط مسيلمة نحن أبناء الله ، ويقول أقرباء الملك وحشمه نحن أبناء الملوك. أو نحن أبناء رسل الله .

(٢) أى فإن صح أنكم أبناء الله وأحباؤه فلم تعذبون بذنوبكم بالمسخ والنار أياما معدودة على زعمكم ؟ وهل يمسخ الأب ولده ؟ وهل يعذب الوالد ولده بالنار ؟ ثم قال ردا عليهم (بل أنتم بشر) .

(٣) أى أنتم خلق من خلقه لا بنوه .

(٤) لمن تاب عن الكفر ، فضلا

(٥) من مات عليه ، عدلا .

(٦) فيه تنبيه على عبودية المسيح لأن الملك والبنوة متنافيان .

(٧) محمد عليه السلام .

(٨) أى الشرائع. وحذف لظهوره. أو ما كنتم تخفون. وحذف لتقدم ذكره . أو لا يقدر المبين ويكون المعنى يبذل لكم البيان . وهو حال أى مبينا لكم .

(٩) متعلق بجاءكم أى جاءكم على حين فتور من إرسال الرسل وانقطاع من الوحى . وكان بين عيسى ومحمد عليهما السلام ستمائة سنة أو خمسمائة سنة وستون سنة .

(١٠) كراهة (أن تقولوا) .

(١١) الفاء متعلق بمحذوف أى لا تعتذروا (فقد جاءكم) .

بَشِيرٌ(١) وَنَذِيرٌ(٢) وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(٣) ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ(٤) وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا(٥) وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ(٦) ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ(٧) ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ(٨) وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ(٩) فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ(١٠) ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ(١١)

(١) للمؤمنين .

(٢) للكافرين . والمعنى الامتنان عليهم بأن الرسول بعث إليهم حين انطمست آثار الوحى وكانوا أحوج ما يكونون إليه ليهشوا إليه ويعدوه أعظم نعمة من الله وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بأنه لم يرسل إليهم من ينبههم من غفلتهم .

(٣) فكان قادرا على إرسال محمد عليه السلام ضرورة .

(٤) لأنه لم يبعث فى أمة ما بعث فى بنى إسرائيل من الأنبياء .

(٥) لأنه ملّكهم بعد فرعون ملكه وبعد الجبابرة ملكهم . ولأن الملوك تكاثروا فيهم تكاثر الأنبياء . وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار . وكانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية . وقيل من له بيت وخدم . أو لأنهم كانوا مملوكين فى أيدى القبط فأنقذهم الله فسمى إنقاذهم ملكا .

(٦) من فلق البحر وإغراق العدو وإنزال المن والسلوى وتظليل الغمام ونحو ذلك من الأمور العظام . أو أراد عالمى زمانهم .

(٧) أى المطهرة أو المباركة وهى أرض بيت المقدس أو الشام .

(٨) قسمها لكم أو سماها أو كتب فى اللوح المحفوظ أنّها مسا كن لكم .

(٩) ولا ترجعوا على أعقابكم مدبرين منهزمين من خوف الجبابرة جبنا . أولا ترتدوا على أدباركم فى دينكم .

(١٠) فترجعوا خاسرين ثواب الدنيا والآخرة .

(١١) الجبار فعّال من جبره على الأمر بمعنى أجبره عليه . وهو العاتى الذى يجبر الناس على ما يريد .

وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا(١) حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا(٢) فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا(٣) فَإِنَّا دَٰخِلُونَ(٤) ﴿٢٢﴾
قَالَ رَجُلَانِ(٥) مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ(٦) أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا(٧) ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ(٨)
فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ(٩) وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ(١٠) ﴿٢٣﴾
قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ(١١) أَبَدًا(١٢) مَّا دَامُوا۟ فِيهَا(١٣) فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ(١٤)

(١) بالقتال .

(٢) بغير قتال .

(٣) بلا قتال .

(٤) بلادهم حينئذ .

(٥) كالب و يوشع .

(٦) (يخافون) الله و يخشونه . كأنه قيل رجلان من المتقين. وهو فى محل الرفع صفة لرجلان. وكذا انعم .

(٧) بالخوف منه .

(٨) أى باب المدينة .

(٩) أى انهزموا وكانت الغلبة لكم . وإنما علما ذلك بإخبار موسى عليه السلام .

(١٠) إذ الإيمان به يقتضى التوكل عليه وهو قطع العلائق وترك التملق للخلائق .

(١١) هذا نفى لدخولهم فى المستقبل على وجه التوكيد .

(١٢) تعليق للنفى المؤكد بالدهر المتطاول .

(١٣) بيان للأبد .

(١٤) من العلماء من حمله على الظاهر وقال إنه كفر منهم. وليس كذلك إذ لو قالوا ذلك اعتقادا و كفروا به لحاربهم موسى ولم تكن مقاتلة الجبارين أولى من مقاتلة هؤلاء . ولكن الوجه فيه أن يقال (فاذهب أنت وربّك) يعينك على قتالك . أو (وربك) أى وسيدك وهو أخوك الأكبر هرون . أو لم يرد به حقيقة الذهاب ولكن كما نقول كلمته فذهب يجيبنى تريد معنى الإرادة كأنهم قالوا أريدا قتالهم .

فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ (١) ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ (٢) إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِي (٣) فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَـٰسِقِينَ (٤) ۝ قَالَ فَإِنَّهَا (٥) مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡ أَرۡبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ (٦) فَلَا تَأۡسَ (٧) عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَـٰسِقِينَ ۝

(١) ماكثون لا نقاتلهم لنصرة دينكم . فلما عصوه وخالفوه (قال ربّ إنّى لا أملك إلّا نفسى وأخى) .

(٢) لنصرة دينك .

(٣) وهو منصوب بالعطف على نفسى أو على اسم إنّ . أى إنى لا أملك إلا نفسى وإن أخى لا يملك إلا نفسه . أو مرفوع بالعطف على محل إن واسمها أو على الضمير فى (لا أملك) وجاز للفصل. أى ولا يملك أخى إلا نفسه. أو هو مبتدأ والخبر محذوف أى وأخى كذلك. وهذا من البث والشكوى إلى الله ورقة القلب التى بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة . وكأنه لم يثق بالرجلين المذكورين كل الوثوق فلم يذكر إلا النبي المعصوم. أو أراد ومن يؤاخينى على دينى.

(٤) فافصل بيننا و بينهم بأن تحكم لنا بما وعدتنا وتحكم عليهم بما هم أهله . وهو فى معنى الدعاء عليهم . أو فباعد بيننا و بينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله (ونجّنى من القوم الظالمين) .

(٥) أى الأرض المقدسة .

(٦) لايدخلونها وهو تحريم منع لا تحريم تعبّد كقوله (وحرّمنا عليه المراضع). والمراد بقوله (كتب الله لكم) أى بشرط أن تجاهدوا أهلها فلما أبوا الجهاد قيل (فإنها محرمة عليهم). أوالمراد فإنهـا محرمة عليهم أربعين سنة . فإذا مضى الأربعون كان ما كتب . فقد سار موسى عليه السلام بمن بقى من بنى إسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتحها وأقام فيها ما شاء الله ثم قبض. و(أربعين) ظرف التحريم . والوقف على (سنة). أو ظرف (يتيهون). أى يسيرون فيها متحيرين لايهتدون طريقا أربعين سنة. والوقف على (عليهم) . وإنما عوقبوا بالحبس لاختيارهم المكث فكانوا مع شدة سيرهم يصبحون حيث أمسوا و يمسون حيث أصبحوا فى ستة فراسخ .

(٧) لمـا ندم على الدعاء عليهم قيل له (فلا تأس): فلا تحزن عليهم لأنهم فاسقون . قيل لم يكن موسى وهارون معهم فى التيه لأنه كان عقابا وقد سأل موسى ربه أنه يفرّق بينهما و بينهم . وقيل كانا معهم إلا أنه كان ذلك رَوْحا لهما وسلاما لا عقوبة . ومات هارون فى التيه ، وموسى فيه بعده بسنة . ومات النقباء فى التيه إلا كالب و يوشع .

وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ (١) نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ (٢) بِٱلْحَقِّ (٣) إِذْ قَرَّبَا (٤) قُرْبَانًا (٥) فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا (٦) وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ (٧) قَالَ (٨) لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا (٩) يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾

(١) أمر الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقص على حاسديه ما جرى بسبب الحسد ليتركوه ويؤمنوا ، بقوله (واتل عليهم) . على أهل الكتاب .

(٢) من صلبه هابيل وقابيل أو هما رجلان من بنى إسرائيل .

(٣) نبأ ملتبسا بالصدق موافقا لما فى كتب الأولين. أو تلاوة ملتبسة بالصدق والصحة. أو (واتل عليهم) وأنت محق صادق .

(٤) نصب بالنبأ أى قصتهما وحديثهما فى ذلك الوقت أو بدل من النبأ أى اتل عليهم النبأ نبأ ذلك الوقت على تقدير حذف المضاف .

(٥) ما يتقرب به الى الله من نسيكة أو صدقة يقال قرب صدقة وتقرب بها لأن تقرب مطاوع قرب. والمعنى إذ قرب كل واحد منهما قربانه دليله (فتقبل من أحدهما) .

(٦) قربانه وهو هابيل .

(٧) قربانه وهو قابيل . روى أنه أوحى الله تعالى إلى آدم أن يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر. وكانت توأمة قابيل أجمل واسمها إقليما فحسده عليها أخوه وسخط . فقال لهما آدم قربا قربانا فمن أيكما قبل يتزوجها . فقبل قربان هابيل بأن نزلت نار فأكلته فازداد قابيل حسدا وسخطا وتوعده بالقتل .

(٨) أى قال لهابيل .

(٩) وتقديره قال لم تقتلنى؟ قال لأن الله قبل قربانك ولم يقبل قربانى. فقال (إنما يتقبل الله من المتقين) وأنت غير متق فإنما أوتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى لا من قبلى. وعن عامر بن عبد الله أنه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له ما يبكيك وقد كنت وكنت؟ قال إنى أسمع الله يقول (إنما يتقبل الله من المتقين) .

لَئِنۢ بَسَطتَ(١) إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ(٢) يَدِىَ(٣) إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ(٤) ۝ إِنِّىٓ(٥) أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ(٦) بِإِثْمِى(٧) وَإِثْمِكَ(٨) فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ فَطَوَّعَتْ(٩) لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ(١٠) مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ(١١)

(١) مددت .

(٢) بماد .

(٣) مدنى وأبو عمرو وحفص .

(٤) قيل كان أقوى من القاتل وأبطش منه ولكن تحرج عن قتل أخيه واستسلم له خوفا من الله تعالى لأن الدفع لم يكن مباحا فى ذلك الوقت . وقيل بل كان ذلك واجبا فإن فيه إهلاك نفسه ومشاركة للقاتل فى إثمه. وإنما معناه ما أنا بباسط يدى إليك مبتدئا كقصدك ذلك منى. وكان هابيل عازما على مدافعته إذا قصد قتله وإنما قتله فتكا على غفلة منه. (إنِّىَ أخاف) حجازى وأبو عمرو .

(٥) (أنِّى) مدنى .

(٦) أن تحتمل أو ترجع .

(٧) بإثم قتلى إذا قتلتنى .

(٨) الذى لأجله لم يتقبل قربانك وهو عقوق الأب والحسد والحقد . وإنما أراد ذلك لكفره بردّه قضية الله تعالى. أوكان ظالما وجزاء الظالم جائز أن يراد .

(٩) فوسّعته ويسّرته من طاع له المرتع إذا اتسع .

(١٠) عند عقبة حراء أو بالبصرة والمقتول ابن عشرين سنة.

(١١) أى الله أو الغراب .

كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ[١] قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ[٢] سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ[٣] ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ[٤] كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ[٥] أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا[٦] بِغَيْرِ نَفْسٍ[٧] أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ[٨]

---

[١] عورة أخيه وما لا يجوز أن ينكشف من جسده. روى أنه أول قتيل قتل على وجه الأرض من بنى آدم. ولما قتله تركه بالعراء لا يدرى ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله فى جراب على ظهره سنة حتى أروح وعكفت عليه السباع . فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم ألقاه فى الحفرة فحينئذ (قال ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب) .

[٢] عطف على أكون .

[٣] على قتله لما تعب فيه من حمله وتحيره فى أمره ولم يندم ندم التائبين. أو كان الندم توبة لنا خاصة. أو على حمله لا على قتله . وروى أنه لما قتله اسودّ جسده وكان أبيض. فسأله آدم عن أخيه . فقال ما كنت عليه وكيلا . فقال بل قتلته ولذا اسودّ جسدك . فالسودان من ولده. وما روى أن آدم رثاه بشعر فلا يصح لأن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الشعر.

[٤] بسبب ذلك وبعلّته. وذلك إشارة إلى القتل المذكور . قيل هو متصل بالآية الأولى فيوقف على ذلك . أى (فأصبح من النادمين) لأجل حمله ولأجل قتله . وقيل هو مستأنف والوقف على (النادمين) و (من) يتعلق بكتبنا لا بالنادمين .

[٥] خصهم بالذكر وإن اشترك الكل فى ذلك لأن التوراة أول كتاب فيه الأحكام .

[٦] الضمير للشأن ومن شرطية .

[٧] بغير قتل نفس .

[٨] عطف على نفس اى بغير فساد فى الأرض. وهو الشرك أو قطع الطريق أوكل فساد يوجب القتل .

فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا[1] وَمَنْ أَحْيَاهَا[2] فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا[3] وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ[4] رُسُلُنَا[5] بِٱلْبَيِّنَٰتِ[6] ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ[7] فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ[8] ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ[9] وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا[10] أَن يُقَتَّلُوٓا۟[11] أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ[12]

(١) أى فى الذنب، عن الحسن. لأن قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله عليه والعذاب العظيم ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك .

(٢) ومن استنقذها من أسباب الهلكة من قتل أو غرق أو حرق أو هدم أو غير ذلك .

(٣) جعل قتل الواحد كقتل الجميع وكذلك الإحياء ترغيبا وترهيبا . لأن المتعرض لقتل النفس إذا تصور أن قتلها كقتل الناس جميعا عظم ذلك عليه فثبطه . وكذا الذى أراد إحياءها إذا تصور أن حكمه حكم إحياء جميع الناس رغب فى إحيائها .

(٤) أى بنى اسرائيل .

(٥) رسْلنا أبو عمرو .

(٦) بالآيات الواضحات .

(٧) بعد ما كتبنا عليهم أو بعد مجىء الرسل بالآيات .

(٨) فى القتل لا يبالون بعظمته .

(٩) أى أولياء الله. فى الحديث يقول الله تعالى من أهان لى وليًّا فقد بارزنى بالمحاربة .

(١٠) مفسدين ويجوز أن يكون مفعولا له أى للفساد .

(١١) (أن يقتلوا) وما عطف عليه خبر (جزاء). وأفاد التشديد الواحد بعد الواحد. ومعناه (أن يقتّلوا) من غير صلب إن أفردوا القتل (أو يصلّبوا) مع القتل إن جمعوا بين القتل وأخذ المال (أو تقطّع أيديهم وأرجلهم) إن أخذوا المال .

(١٢) حال من الأيدى والأرجل أى مختلفة .

أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَٰلِكَ(١) لَهُمْ خِزْيٌ(٢) فِى ٱلدُّنْيَا(٣) وَلَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ(٤) فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ(٥) ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ(٦) وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ(٧) وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا(٨) وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ(٩) مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(١٠) ۝ يُرِيدُونَ(١١) أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ(١٢) ۝

---

(١) بالحبس إذا لم يزيدوا على الإخافة .

(٢) المذكور .

(٣) ذل وفضيحة .

(٤) فتسقط عنهم هذه الحدود لا ما هو حق العباد .

(٥) يغفر لهم بالتوبة ويرحمهم فلا يعذبهم .

(٦) فلا تؤذوا عباد الله .

(٧) هى كل ما يتوسّل به أى يتقرّب من قرابة أو صنيعة أو غير ذلك. فاستعيرت لما يتوسّل به إلى الله تعالى من فعل الطاعات وترك السيئات .

(٨) من صنوف الأموال .

(٩) وأنفقوه ليجعلوه فدية لأنفسهم. ولو مع ما فى حيزه خبر إن. ووحّد الراجع فى (ليفتدوا به) وقد ذكر شيئان لأنه أجرى الضمير مجرى اسم الإشارة كانه قيل ليفتدوا بذلك .

(١٠) فلا سبيل لهم إلى النجاة بوجه .

(١١) يطلبون أو يتمنّون .

(١٢) دائم .

وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ (١) فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ (٢) بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا (٣) مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ (٤) حَكِيمٌ (٥) ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ (٦) ظُلْمِهِۦ (٧) وَأَصْلَحَ (٨) فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ (٩) إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٠) ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ (١١) أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ (١٢) وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ (١٣) وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ (١٤) قَدِيرٌ (١٥) ﴿٤٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ

---

(١) ارتفعا بالابتداء والخبرمحذوف تقديره (و) فيما يتلى عليكم (السارق والسارقة) . أوالخبر (فاقطعوا أيديهما) أى يديهما . والمراد ايميناني بدليل قراءة عبد الله بن مسعود . ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط. لأن المعنى والذى سرق والتى سرقت (فاقطعوا أيديهما) والاسم الموصول يضمن معنى الشرط . وبدأ بالرجل لأن السرقة من الجراءة وهى فى الرجال أكثر . وأخر الزانى لأن الزنا ينبعث من الشهوة وهى فى النساء أوفر . وقطعت اليد لأنها آلة السرقة . ولم تقطع آلة الزنا تفاديا عن قطع النسل .

(٢) مفعول له .

(٣) أى عقوبة منه . وهو بدل من جزاء .

(٤) غالب لا يعارض فى حكمه .

(٥) فيما حكم من قطع يد السارق والسارقة .

(٦) من السرقة .

(٧) سرقته .

(٨) بردّ المسروق .

(٩) يقبل توبته .

(١٠) يغفر ذنبه ويرحمه .

(١١) يامحمد أو يامخاطب .

(١٢) من مات على الكفر .

(١٣) لمن تاب عن الكفر .

(١٤) من التعذيب والمغفرة وغيرهما .

(١٥) قادر . وقدم التعذيب على المغفرة هنا لتقدم السرقة على التوبة .

لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ[1] مِنَ[2] ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا[3] بِأَفْوَٰهِهِمْ[4] وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ[5] وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟[6] سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ[7] سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ[8] يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ[9] يَقُولُونَ[10] إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ[11]

(١) أى لا تهتم ولا تبـال بمسارعة المنافقين فى الكفر أى فى إظهاره بمـا يلوح منهم من آثار الكيد للإسلام ومن موالاة المشركين فإنى ناصرك عليهم وكافيك شرهم . يقال أسرع فيه الشيب أى وقع فيـه سريعا فكذلك مسارعتهم فى الكفر وقوعهم فيه أسرع شىء إذا وجدوا فرصة لم يخطئوها .

(٢) تبيين لقوله (الذين يسارعون فى الكفر) .

(٣) مفعول (قالوا) .

(٤) متعلق بقالوا أى قالوا بأفواههم آمنّا .

(٥) فى محل النصب على الحال .

(٦) معطوف على (من الذين قالوا) أى من المنافقين واليهود . ويرتفع (سمّـاعون) على أنه خبر مبتدأ مضمر أى هم سماعون . والضمير للفريقين . أو (سماعون) مبتدأ وخبره (من الذين هادوا) . وعلى هذا يوقف على (قلوبهم) ، وعلى الأول على (هادوا) .

(٧) يسمعون منك ليكذبوا عليك بأن يمسخوا ما سمعوا منك بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير .

(٨) أى سمـاعون منك لأجل قوم آخرين من اليهود وجّهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منك .

(٩) أى يزيلونه ويميلونه عن مواضعه التى وضعه الله فيها فيهملونه بغير مواضع بعد أن كان ذا موضع . (يحرفون) صفة لقوم كقوله (لم يأتوك) . أو خبر لمبتدأ محذوف أى هم يحرفون . والضمير مردود على لفظ الكلم .

(١٠) المحرف المزال عن مواضعه . و (يقولون) مثل (يحرفون) . وجاز أن يكون حالا من الضمير فى (يحرفون) .

(١١) فاعلموا أنه الحق واعملوا به .

وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ[1] فَٱحْذَرُواْ[2] وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ[3] فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا[4] أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ[5] لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ[6] وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ[7] ﴿٤١﴾ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ[8] أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ[9] فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ[10] وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا[11] وَإِنْ

(١) وأفتاكم محمد بخلافه .

(٢) فإياكم وإياه . فهو الباطل .

روى أن شريفا زنى بشريفة بخيبر وهما محصنان وحدّهما الرجم فى التوراة. فكرهوا رجمهما لشرفهما . فبعثوا رهطا منهم ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك . وقالوا إن أمركم بالجلد والتحميم فاقبلوا . وإن أمركم بالرجم فلا تقبلوا . فأمرهم بالرجم فأبوا أن يأخذوا به .

(٣) ضلالته . وهو حجة على من يقول يريد الله الإيمان ولا يريد الكفر .

(٤) قطع رجاء محمد صلى الله عليه وسلم عن إيمان هؤلاء .

(٥) عن الكفر لعلمه منهم اختيار الكفر . وهو حجة لنا عليهم أيضا .

(٦) للمنافقين فضيحة ، ولليهود جزية .

(٧) أى التخليد فى النار .

(٨) كرر للتأكيد . أى هم سمّاعون . ومثله أكّالون للسحت .

(٩) وهو كلّ مالا يحلّ كسبه . وهو من سحته إذا استأصله لأنه مسحوت البركة . وفى الحديث هو الرشوة فى الحكم. وكانوا يأخذون الرشا على الأحكام وتحليل الحرام. وبالتثقيل مكى وبصرى وعلىّ .

(١٠) قيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيّرا إذا تحاكم إليه أهل الكتاب بين أن يحكم بينهم وبين ألا يحكم بينهم . وقيل نسخ التخيير بقوله (وأن احكم بينهم بما أنزل الله) .

(١١) فلن يقدروا على الإضرار بك لأن الله تعالى يعصمك من الناس .

حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ (١) إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ (٢) ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ (٣) ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ (٤) وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ (٥) ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى (٦) وَنُورٌ (٧) يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ (٨) لِلَّذِينَ هَادُوا۟ (٩) وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ (١٠) بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ (١١) مِن (١٢) كِتَـٰبِ ٱللَّهِ

---

(١) بالعدل .

(٢) العادلين .

(٣) تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه مع أن الحكم منصوص فى كتابهم الذى يدّعون الإيمان به . (فيها حكم الله) حال من (التوراة) . وهى مبتدأ وخبره (عندهم) .

(٤) عطف على (يحكمونك) . أى ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما فى كتابهم لا يرضون به .

(٥) بك أو بكتابهم كما يدّعون .

(٦) يهدى للحق .

(٧) يبين ما استبهم من الأحكام .

(٨) انقادوا لحكم الله فى التوراة . وهو صفة أجريت للنبيين على سبيل المدح . وأريد بإجرائها التعريض باليهود لأنهم بُعَداء من ملة الإسلام التى هى دين الأنبياء كلهم .

(٩) تابوا من الكفر . واللام يتعلق بيحكم .

(١٠) معطوفان على النبيون أى الزهاد والعلماء .

(١١) استودعوا . قيل ويجوز أن يكون بدلا من بها فى (يحكم بها) . والضمير فى(استحفظوا) للأنبياء والربانيين والأحبار جميعا ويكون الاستحفاظ من الله أى كلفهم الله حفظه . أو للربانيون والأحبار ويكون الاستحفاظ من الأنبياء .

(١٢) من للتبيين .

وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ (١) فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ (٢) وَٱخْشَوْنِ (٣) وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى (٤) ثَمَنًا قَلِيلًا (٥) وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ (٦) فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ (٧) ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ (٨) أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ (٩) وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ (١٠) وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ (١١) وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ (١٢)

---

(١) رقباء لئلا يبدّل .

(٢) نهى للحكام عن خشيتهم غير الله فى حكوماتهم و إمضائها على خلاف ما أمروا به من العدل خشية سلطان ظالم أو خيفة أذية أحد .

(٣) فى مخالفة أمرى و بالياء فيهما (*) سهل . وافقه أبو عمرو فى الوصل .

(٤) ولا تستبدلوا بآيات الله وأحكامه .

(٥) وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضا الناس .

(٦) مستهينا به .

(٧) قال ابن عباس رضى الله عنهما من لم يحكم جاحدا فهو كافر . و إن لم يكن جاحدا فهو فاسق ظالم . وقال ابن مسعود رضى الله عنه هو عام فى اليهود وغيرهم .

(٨) وفرضنا على اليهود فى التوراة .

(٩) مأخوذة (بالنفس) مقتولة بها إذا قتلتها بغير حق .

(١٠) مفقوءة (بالعين) .

(١١) مجدوع (بالأنف) .

(١٢) مقطوعة (بالأذن) .

(*) قوله فيهما أى فى حالى الوقف والوصل اهـ .

وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ (١) وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ (٢) فَمَن تَصَدَّقَ (٣) بِهِۦ (٤) فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ (٥) وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٦) ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا (٧) عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم (٨) بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا (٩) لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا (١٠) لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى (١١) وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (١٢) ﴿٤٦﴾

---

(١) مقلوعة (بالسنّ) .

(٢) أى ذات قصاص وهو المقاصّة . ومعناه ما يمكن فيه القصاص . و إلا فحكومة عدل . وعن ابن عباس رضى الله عنهما كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة . فنزلت . وقوله (أن النفس بالنفس) يدل على أن المسلم يقتل بالذمىّ والرجل بالمرأة والحرّ بالعبد . نصب نافع وعاصم وحمزة المعطوفات كلّها للعطف على ما عملت فيه أنّ . ورفعها علىّ للعطف على محلّ أنّ النفس لأن المعنى (وكتبنا عليهم) النفسُ بالنفس إجراء لكتبنا مجرى قلنا . ونصب الباقون الكل ورفعوا الجروح . والأذن بسكون الذال حيث كان نافع . والباقون بضمها . وهما لغتان كالسُّحْت والسُّحُت .

(٣) من أصحاب الحق .

(٤) بالقصاص وعفا عنه .

(٥) فالتّصَدُّق به كفارة للمتصدِّق بإحسانه . قال عليه السلام من تَصَدَّق بدم فما دونه كان كفارة له من يوم ولدته أمه .

(٦) بالامتناع عن ذلك .

(٧) معنى قفّيت الشيء بالشيء جعلته فى أثره كأنه جعل فى قفاه يقال قفاه يقفوه إذا تبعه .

(٨) على آثار النبيين الذين أسلموا .

(٩) هو حال من عيسى .

(١٠) أى (وآتيناه الإنجيل) ثابتا (فيه هدى ونور ومصدقا) . فنصب مصدقا بالعطف على ثابتا الذى تعلق به (فيه) وقام مقامه فيه . وارتفع (هدى ونور) بثابتا الذى قام مقامه (فيه) .

(١١) انتصبا على الحال أى هاديا وواعظا .

(١٢) لأنهم ينتفعون به .

وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ[1] وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ[2] ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ[3] بِٱلْحَقِّ[4] مُصَدِّقًا[5] لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ[6] مِنَ ٱلْكِتَٰبِ[7] وَمُهَيْمِنًا[8] عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ[9] وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ[10] لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ[11] شِرْعَةً[12]

---

(١) وقلنا لهم احكموا بموجبه. فاللام لام الأمر. وأصله الكسر. وإنما سكن استثقالا لفتحة وكسرة وفتحة. وليحكم بكسر اللام وفتح الميم حمزة على أنها لام كى. أى وقفينا ليؤمنوا وليحكم.

(٢) الخارجون عن الطاعة.

قال الشيخ أبو منصور رحمه الله يجوز أن يحمل على الجحود فى الثلاث فيكون كافرا ظالما فاسقا لأن الفاسق المطلق والظالم المطلق هو الكافر. وقيل (ومن لم يحكم بما أنزل الله) فهو كافر بنعمة الله، ظالم فى حكمه، فاسق فى فعله.

(٣) أى القرآن. فحرف التعريف فيه للعهد.

(٤) بسبب الحق وإثباته وتبيين الصواب من الخطأ.

(٥) حال من الكتاب.

(٦) لما تقدمه نزولا. وإنما قيل لما قبل الشيء هو بين يديه. لأن ما تأخر عنه يكون وراءه وخلفه فما تقدم عليه يكون قدامه وبين يديه.

(٧) المراد به جنس الكتب المنزلة. لأن القرآن مصدق لجميع كتب الله. فكان حرف التعريف فيه للجنس. ومعنى تصديقه الكتب موافقتها فى التوحيد والعبادة (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا يوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون).

(٨) وشاهدا لأنه يشهد له بالصحة والثبات.

(٩) أى بما فى القرآن.

(١٠) نهى أن يحكم بما حرفوه وبدلوه اعتمادا على قولهم. ضمن (ولا تتبع) معنى ولا تنحرف. فلذا عدى بعن. فكأنه قيل ولا تنحرف (عما جاءك من الحق) متبعا أهواءهم. أو التقدير عادلا (عما جاءك).

(١١) أيها الناس.

(١٢) شريعة.

وَمِنْهَاجًا[١] وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً[٢] وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ[٣] فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ[٤] فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ[٥] إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ[٦] جَمِيعًا[٧] فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ[٨] ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم[٩] بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ[١٠] عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا۟[١١]

---

(١) وطريقا واضحا . واستدل به من قال إن شريعة مَن قبلنا لا تلزمنا .

ذكر الله إنزال التوراة على موسى عليه السلام ، ثم إنزال الإنجيل على عيسى عليه السلام ، ثم إنزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم . وبيّن أنّه ليس للسماع فحسب بل للحكم به . فقال فى الأول (يحكم بها النبيون) ، وفى الثانى (وليحكم أهل الإنجيل) ، وفى الثالث (فاحكم بينهم بما أنزل الله) .

(٢) جماعة متفقة على شريعة واحدة .

(٣) ولكن أراد ليعاملكم معاملة المختبر .

(٤) من الشرائع المختلفة . فتَعَبَّد كل أمة بما اقتضته الحكمة .

(٥) فابتدروها وسابقوا نحوها قبل الفوات بالوفاة . والمراد بالخيرات كل ما أمر الله تعالى به

(٦) استئناف فى معنى التعليل لاستباق الخيرات .

(٧) حال من الضمير المجرور . والعامل المصدر المضاف لأنه فى تقدير إليه ترجعون .

(٨) فيخبركم بما لا تشكّون معه من الجزاء الفاصل بين محقّكم ومبطلكم ، وعاملكم ومفرّطكم فى العمل .

(٩) معطوف على (بالحق) أى (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق) ، وبأن احكم .

(١٠) أى يصرفوك . وهو مفعول له . أى مخافة أن يفتنوك . وإنما حذّره — وهو رسول مأمون — لقطع أطماع القوم .

(١١) (تولّوا) عن الحكم بما أنزل الله اليك وأرادوا غيره .

فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ(١) وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ(٢) ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ(٣) وَمَنْ أَحْسَنُ(٤) مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا(٥) لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ(٦) ﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ(٧) بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ(٨) إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ(٩) ﴿٥١﴾

(١) أى بذنب التولّى عن حكم الله وإرادة خلافه . فوضع ببعض ذنوبهم موضع ذلك . وهذا الإبهام لتعظيم التولّى . وفيه تعظيم الذنوب . فإن الذنوب بعضها مهلك فكيف بكلّها .

(٢) لخارجون عن أمر الله .

(٣) يطلبون. وبالتاء شامى . يخاطب بنى النضير فى تفاضلهم على بنى قريظة وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القتلى سواء. فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك. فنزلت. وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض. فقرأ هذه الآية. وناصب (أفحكم الجاهلية)، (يبغون) .

(٤) مبتدأ وخبره . وهو استفهام فى معنى النفى أى لا أحد أحسن .

(٥) هو تمييز

(٦) اللام للبيان كاللام فى (هيت لك). أى هذا الخطاب وهذا الاستفهام (لقوم يوقنون) فإنهم هم الذين يتبينون أن لا أعدل من الله ولا أحسن حكما منه. وقال أبو على معنى (لقوم) عند قوم . لأن اللام وعند يتقاربان فى المعنى .

(٧) نزل نهيا عن موالاة أعداء الدين . أى لا تتخذوهم أولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتؤاخونهم وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين . ثم علل النهى بقوله (بعضهم أولياء بعض) . وكلّهم أعداء المؤمنين . وفيه دليل على أن الكفر كله ملّة واحدة .

(٨) من جملتهم وحكمه حكمهم . وهذا تغليظ من الله وتشديد فى وجوب مجانبة المخالف فى الدين .

(٩) لا يرشد الذين ظلموا أنفسهم بموالاة الكفرة .

فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ[1] يُسَٰرِعُونَ[2] فِيهِمْ[3] يَقُولُونَ[4] نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ[5] فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ[6] أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ[7] فَيُصْبِحُوا۟[8] عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ[9] نَٰدِمِينَ[10] ۝ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟[11] أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ[12] إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ[13] فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ[14] ۝

(١) نفاق .

(٢) حال أو مفعول ثان . لاحتمال أن يكون فترى من رؤية العين أو القلب .

(٣) فى معاونتهم على المسلمين وموالاتهم .

(٤) أى فى أنفسهم لقوله(على ما أَسَرُّوا) .

(٥) أى حادثة تدور بالحال التى يكونون عليها .

(٦) لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه و إظهار المسلمين .

(٧) أى يؤمر النبى عليه السلام بإظهار أسرار المنافقين وقتلهم .

(٨) أى المنافقون .

(٩) من النفاق .

(١٠) خبر (فيصبحوا) .

(١١) أى يقول بعضهم لبعض عند ذلك . و (يقولَ) بصرى عطفا على (أن يأتى) . (يقول) بغير واو شامى وحجازى ، على أنه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ ؟ فقيل (يقول الذين آمنوا) .

(١٢) أى أقسموا لكم بإغلاظ الأيمان أنهم أولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار . و (جهد أيمانهم) مصدر فى تقدير الحال أى مجتهدين فى توكيد أيمانهم .

(١٣) ضاعت أعمالهم التى عملوها رياء وسمعة لا إيمانا وعقيدة . وهذا من قول الله عز وجل شهادةً لهم بحبوط الأعمال ، وتعجيبا من سوء حالهم .

(١٤) فى الدنيا والعقبى لفوات المعونة ودوام العقوبة .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ(١) فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ(٢) أَذِلَّةٍ(٣) عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ(٤) أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ(٥) يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ(٦) وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ(٧) ذَٰلِكَ(٨) فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ(٩)

(١) من يرجع منكم عن دين الإسلام إلى ما كان عليه من الكفر. يرتدد مدنى وشامى.

(٢) يرضى أعمالهم ويثنى عليهم بها، ويطيعونه ويؤثرون رضاه. وفيه دليل نبوته عليه السلام حيث أخبرهم بما لم يكن فكان، وإثبات خلافة الصديق لأنه جاهد المرتدين، وفى صحة خلافته وخلافة عمر رضى الله عنهما. وسئل النبى صلى الله عليه وسلم عنهم. فضرب على عاتق سلمان وقال هذا وذووه. لو كان الإيمان معلقا بالثريا لناله رجال من أبناء فارس. والراجع من الجزاء إلى الاسم المتضمن لمعنى الشرط محذوف. معناه (فسوف يأتى الله بقوم) مكانهم.

(٣) جمع ذليل. وأما ذلول فجمعه ذُلُل. ومن زعم أنه من الذِّل الذى هو ضد الصعوبة فقد سها. لأن ذَلولا لا يجمع على أذِلّة. قال الجوهرى الذُّل ضد العز ورجل ذليل بيّن الذُّل. وقوم أذلاء وأذِلة. والذِّل بالكسر اللين. وهو ضد الصعوبة يقال دابة ذلول ودواب ذُلُل.

(٤) ولم يقل للمؤمنين لتضمن الذل معنى الحنو والعطف كأنه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع.

(٥) أشداء عليهم. والعَزَاز الأرض الصلبة. فهم مع المؤمنين كالولد لوالده، والعبد لسيده. ومع الكافرين كالسبع على فريسته.

(٦) يقاتلون الكفار. وهو صفة لقوم كيحبهم وأعزة وأذلة.

(٧) الواو يحتمل أن تكون للحال. أى يجاهدون وحالهم فى المجاهدة خلاف حال المنافقين. فإنهم كانوا موالين لليهود. فإذا خرجوا فى جيش المؤمنين خافوا أولياءهم اليهود فلا يعملون شيئا مما يعلمون أنه يلحقهم فيه لوم من جهتهم. وأما المؤمنون فمجاهدتهم لله لا يخافون لومة لائم. وأن تكون للعطف. أى من صفتهم المجاهدة فى سبيل الله وهم صِلاب فى دينهم إذا شرعوا فى أمر من أمور الدين لا تزعهم لومة لائم. واللومة المرة من اللوم. وفيها وفى التنكير مبالغتان كأنه قيل لا يخافون شيئا قط من لوم واحد من اللوام.

(٨) إشارة إلى ما وصف به القوم من المحبة والذلة والعزة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة.

(٩) كثير الفواضل.

عَلِيمٌ (١) ۝ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ (٢) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ (٣) يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ (٤) ۝ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ (٥) فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ (٦) ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا (٧) مِّنَ (٨) ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ

(١) بمن هو من أهلها .

(٢) عقب النهى عن موالاة من تجب معاداتهم ، ذكر من تجب موالاتهم . (وإنما) يفيد اختصاصهم بالموالاة . ولم يجمع الولىّ وإن كان المذكور جماعة تنبيها على أن الولاية لله أصل ولغيره تبع . ولو قيل إنما أولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا لم يكن فى الكلام أصل وتبع .

(٣) محلّه الرفع على البدل من الذين آمنوا أو على هم الذين . أو النصب على المدح .

(٤) الواو للحال أى يؤتونها فى حال ركوعهم فى الصلاة . قيل إنها نزلت فى علىّ رضى الله عنه حين سأله سائل وهو راكع فى صلاته فطرح له خاتمه كأنه كان مرِجا فى خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل يفسد صلاته . وورد بلفظ الجمع وإن كان السبب فيه واحدا ترغيبا للناس فى مثل فعله لينالوا مثل ثوابه . والآية تدل على جواز الصدقة فى الصلاة ، وعلى أن الفعل القليل لا يفسد الصلاة .

(٥) يتخذه وليّا أو يكن وليّا .

(٦) من إقامة الظاهر مقام الضمير أى فإنهم هم الغالبون . أو المراد بحزب الله الرسول والمؤمنون . أى ومن يتولهم فقد تولى حزب الله واعتضد بمن لا يغالب . وأصل الحزب القوم يجتمعون لأمرٍ حزبهم أى أصابهم .

(٧) روى أن رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث قد أظهرا الإسلام ثم نافقا . وكان رجال من المسلمين يوادّونهما فنزل . يعنى اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا لا يصح أن يقابل باتخاذكم إياهم أولياء بل يقابل ذلك بالبغضاء والمنابذة

(٨) من للبيان .

وَٱلۡكُفَّارَ[1] أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن[2] كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ[3] ۝ وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا[4] هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ[5] ۝ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ هَلۡ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلُ[6] وَأَنَّ أَكۡثَرَكُمۡ فَٰسِقُونَ[7] ۝ قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً[8] عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ

(١) أى المشركين . وهو عطف على الذين المنصوبة . والكفارِ بصرى وعليّ عطف على الذين المجرورة أى من الذين أوتو الكتاب من قبلكم ومن الكفار .

(٢) فى موالاة الكفار .

(٣) حقا لأن الإيمان حقا يأبى موالاة أعداء الدين .

(٤) أى الصلاة أو المناداة .

(٥) لأن لعبهم وهزؤهم من أعمال السفهاء والجهلة فكأنهم لا عقل لهم وفيه دليل على ثبوت الأذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده .

(٦) يعنى هل تعيبون منا وتنكرون إلا الإيمان بالله و بالكتب المنزلة كلّها .

(٧) وهو عطف على المجرور أى ما تنقمون منا إلا الإيمان بالله وما أنزل و بأن أكثركم فاسقون. والمعنى أعاديتمونا لأنا اعتقدنا توحيد الله وصدق أنبيائه وفسقكم لمخالفتكم لنا فى ذلك. ويجوز أن يكون الواو بمعنى مع أى وما تنقمون منا إلا الإيمان بالله مع أنكم فاسقون .

(٨) أى ثوابا. وهو نصب على التميز. والمثوبة وإن كانت مختصة بالإحسان ولكنها وضعت موضع العقوبة كقوله (فبشرهم بعذاب أليم) وكان اليهود يزعمون أن المسلمين مستوجبون للعقوبة فقيل لهم (مَن لَعَنَه الله) شر عقوبة فى الحقيقة من أهل الإسلام فى زعمكم. و (ذلك) إشارة إلى المتقدّم أى الإيمان . أى بشّر مما تقمتم من إيماننا ثوابا أى جزاء . و لابدّ من حذف مضاف قبله أو قبل (مَن) تقديره بشر من أهل ذلك أو دينُ مَن لعنه الله .

ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ (١) وَٱلْخَنَازِيرَ (٢) وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ (٣) أُوْلَـٰٓئِكَ (٤) شَرٌّ مَّكَانًا (٥) وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ (٦) ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ (٧) وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ (٨) ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ (٩) يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ (١٠) وَٱلْعُدْوَٰنِ (١١) وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ (١٢)

(١) يعنى أصحاب السبت .

(٢) أى كفار أهل مائدة عيسى عليه السلام . أو كلا المسخين من أصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير .

(٣) أى العجل أو الشيطان لأن عبادتهم العجل بتزيين الشيطان. وهو عطف على صلة مَن كأنه قيل ومَن عبد الطاغوت . (وعبِدَ الطاغوتِ) حمزة جعله اسما موضوعا للمبالغة كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ فى الحذر والفطنة . وهو معطوف على القردة والخنازير أى جعَل الله منهم عبِد الطاغوت .

(٤) الممسوخون الملعونون .

(٥) جعلت الشَّرارة للمكان وهى لأهله للمبالغة .

(٦) عن قصد الطريق الموصل إلى الجنة .

(٧) نزل فى ناس من اليهود كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم و يظهرون له الإيمان نفاقا . الباء للحال أى دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وتقديره ملتبسين بالكفر . وكذلك قد دخلوا وهم قد خرجوا ولذا دخلت قد تقريبا للماضى من الحال . وهو متعلق بقالوا آمنا أى قالوا ذلك وهذه حالهم .

(٨) من النفاق .

(٩) من اليهود .

(١٠) الكذب .

(١١) الظلم . أو الإثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدّاهم إلى غيرهم. والمسارعة فى الشىء الشروع فيه بسرعة .

(١٢) الحرام .

لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ(١) ﴿٦٣﴾ لَوْلَا(٢) يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ(٣) ﴿٦٤﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ(٤) يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ(٥) وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم(٦) مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا(٧)

(١) لبئس شيئا عملوه .

(٢) هلّا وهو تحضيض .

(٣) هذا ذم للعلماء والأول للعامة . وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى أشد آية فى القرآن حيث أنزل تارك النهى عن المنكر منزلة مرتكب المنكر فى الوعيد .

(٤) روى أن اليهود لعنهم الله لما كذبوا محمدا عليه السلام كف الله ما بسط عليهم من السعة وكانوا من أكثر الناس مالا . فعند ذلك قال فنحاص يد الله مغلولة ورضى بقوله الآخرون فأشركوا فيه. وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ومنه قوله تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط) ولا يقصد المتكلم به إثبات يد ولا غل ولا بسط حتى إنه يستعمل فى ملك يعطى ويمنع بالإشارة من غير استعمال اليد ولو أعطى الأقطع إلى المنكب عطاء جزلا لقالوا ما أبسط يده بالنوال . وقد استعمل حيث لا تصح اليد يقال بسط البأس كفيه فى صدرى بجعل للبأس الذى هو من المعانى كفان . ومن لم ينظر فى علم البيان يتحير فى تأويل أمثال هذه الآية . وقوله (غلت أيديهم) دعاء عليهم بالبخل ومن ثم كانوا أبخل خلق الله . أو تغل فى جهنم فهى كأنها غلت . وإنما ثنيت اليد فى (بل يداه مبسوطتان) وهى مفردة فى يد الله مغلولة ليكون رد قولهم وإنكاره أبلغ وأدل على إثبات غاية السخاء له ونفى البخل عنه فغاية ما يبذله السخى أن يعطيه بيديه .

(٥) تأكيد للوصف بالسخاء ودلالة على أنه لا ينفق إلا على مقتضى الحكمة .

(٦) من اليهود .

(٧) أى يزدادون عند نزول القرآن لحسدهم تماديا فى الجحود وكفرا بآيات الله . وهذا من إضافة الفعل إلى السبب كما قال (فزادتهم رجسا إلى رجسهم) .

وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ (١) كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ (٢) وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا (٣) وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُواْ (٤) وَٱتَّقَوْاْ (٥) لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ (٦) وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ (٧) ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ (٨) وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ (٩) لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ (١٠) وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم (١١)

(١) فكلمهم أبدا مختلف وقلوبهم شتى لا يقع بينهم اتفاق ولا تعاضد .

(٢) كلما أرادوا محاربة أحد غلبوا وقهروا لم يقم لهم نصر من الله على أحد قط. وقد أتاهم الإسـلام وهم فى ملك المجوس. وقيل كلما حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نصر عليهم . عن قتادة لا تلق يهوديا فى بلد إلا وقد وجدته من أذل الناس .

(٣) ويجتهدون فى دفع الإسلام ومحو ذكر النبي عليه السلام من كتبهم .

(٤) برسول الله عليه السلام و بما جاء به مع ما عددنا من سيّئاتهم .

(٥) أى وقرنوا إيمانهم بالتقوى .

(٦) ولم نؤاخذهم بها .

(٧) مع المسلمين .

(٨) أى أقاموا أحكامهما وحدودهما وما فيهما من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٩) من سائر كتب الله لأنهم مكلفون الإيمان بجميعها فكأنها أنزلت إليهم. وقيل هو القرآن.

(١٠) يعنى الثمار من فوق رءوسهم .

(١١) يعنى الزروع. وهذه عبارة عن التوسعة كقولهم فلان فى النعمة من فرقه الى قدمه . ودلّت الآية على أن العمل بطاعة الله تعالى سبب لسعة الرزق وهو كقوله تعالى (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض. ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب. فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا) الآيات (وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا) .

مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ (١) وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ (٢) ۝ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ (٣) وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ (٤) فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ (٥) وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ (٦) إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ (٧) ۝ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ (٨) حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ

(١) طائفة حالها أَمَمٌ فى عداوة رسول الله عليه السلام. قيل هى الطائفة المؤمنة وهم عبد الله بن سلام وأصحابه وثمانية وأربعون من النصارى.

(٢) فيه معنى التعجب كأنه قيل وكثير منهم ما أسوأ عملهم. قيل كعب بن الأشرف وأصحابه وغيرهم.

(٣) جميع ما أنزل إليك وأى شىء أنزل إليك غير مراقب فى تبليغه أحدا ولا خائف أن ينالك مكروه.

(٤) وإن لم تبلغ جميعه كما أمرتك.

(٥) رسالاته مدنى وشامى وأبو بكر. أى فلم تبلغ إذًا ما كُلِّفت من أداء الرسالة ولم تؤد منها شيئا قط وذلك أن بعضها ليس بأولى بالأداء من بعض فإذا لم تؤد بعضها فكأنك أغفلت أداءها جميعا كما أن من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لكونها فى حكم شىء واحد لدخولها تحت خطاب واحد. والشىء الواحد لا يكون مبلَّغا غير مبلَّغ مؤمَنا به غير مؤمَن. قالت الملحدة لعنهم الله تعالى هذا كلام لا يفيد وهو كقولك لغلامك كل هذا الطعام فإن لم تأكله فإنك ما أكلته. قلنا هذا أمر بتبليغ الرسالة فى المستقبل أى بلغ ما أنزل إليك من ربك فى المستقبل فإن لم تفعل أى إن لم تبلغ الرسالة فى المستقبل فكأنك لم تبلغ الرسالة أصلا. أو بلغ ما أنزل إليك من ربك الآن ولا تنتظر به كثرة الشوكة والعُدَّة فإن لم تبلغ كنتَ كمن لم يبلِّغ أصلا. أو بلِّغ ذلك غير خائف أحدا فإن لم تبلغ على هذا الوصف فكأنك لم تبلغ الرسالة أصلا. ثم قال مشجعا له فى التبليغ (والله يعصمك من الناس).

(٦) يحفظك منهم قتلا فلم يقدر عليه وإن شج فى وجهه يوم أحد وكسرت رَباعيته. أو نزلت بعد ما أصابه ما أصابه. والناس الكفار بدليل قوله (إنّ الله لا يهدى القوم الكافرين).

(٧) لا يمكنهم مما يريدون إنزاله بك من الهلاك.

(٨) على دين يعتد به حتى يسمى شيئا لبطلانه.

إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا (١) (٢) فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ (٣) ﴿﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ (٤) وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّـٰبِـُٔونَ (٥) وَٱلنَّصَـٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا (٦) فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ

(١) يعنى القرآن .

(٢) إضافة زيادة الكفر والطغيان إلى القرآن بطريق التسبيب .

(٣) فلا تتأسف عليهم فإن ضرر ذلك يعود إليهم لا إليك .

(٤) بألسنتهم وهم المنافقون ودل عليه قوله (لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم) .

(٥) قال سيبويه وجميع البصريين ارتفع الصابئون بالابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما فى حيز إن من اسمها وخبرها كأنه قيل إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) والصابئون كذلك أى من آمن بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم فقدم وحذف الخبر كقوله :

فمن يك أمسى بالمدينة رحله * فإنى وقيار بهـا لغـريب

أى فانى لغريب وقيار كذلك . ودل اللام على أنه خبر إن . ولا يرتفع بالعطف على محل إن واسمها لأن ذا لا يصح قبل الفراغ من الخبر لا تقول إن زيدا وعمرو منطلقان وإنما يجوز إن زيدا منطلق وعمرو . والصابئون مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله إن الذين آمنوا إلى آخره . ولا محل لها كما لا محل للتى عطفت عليها . وفائدة التقديم التنبيه على أن الصابئين وهم أبين هؤلاء المعدودين ضلالا وأشدهم غيّا يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان فما الظن بغيرهم . ومحل (من آمن) الرفع على الابتداء وخبره (فلا خوف عليهم) . والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط . ثم الجملة كما هى خبر إن والراجع إلى اسم إن محذوف تقديره من آمن منهم .

(٦) بالتوحيد .

وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا(١) كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ(٢) بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ(٣) فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ۝ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ(٤) فِتْنَةٌ(٥) فَعَمُوا وَصَمُّوا(٦) ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ(٧) ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ(٨) وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ(٩) ۝

(١) ليقفوهم على ما يأتون وما يذرون فى دينهم .

(٢) جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع محذوف أى رسول منهم .

(٣) بما يخالف هواهم و يضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع . وجواب الشرط محذوف دل عليه (فريقا كذّبوا وفريقا يقتلون) كأنه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه . وقوله فريقا كذبوا جواب مستأنف لقائل كأنه يقول كيف فعلوا برسلهم ؟ وقال يقتلون بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استفظاعا للقتل وتنبيها على أن القتل من شأنهم . وانتصب فريقا وفريقا على أنه مفعول كذبوا ويقتلون . وقيل التكذيب مشترك بين اليهود والنصارى والقتل مختص باليهود فهم قتلوا زكريا ويحيى .

(٤) (ألّا تكونُ) حمزة وعلىّ وأبو عمرو على أنّ (أن) مخففة من الثقيلة أصله أنه لا تكون نخففت أن وحذف ضمير الشأن . ونزل حسبانهم لقوته فى صدورهم منزلة العلم فلذا دخل فعل الحسبان على أن التى هى للتحقيق .

(٥) بلاء وعذاب أى وحسب بنو إسرائيل أنهم لا يصيبهم من الله عذاب بقتل الأنبياء وتكذيب الرسل . وسد(*) ما يشتمل عليه صلة أن وأن من المسند والمسند إليه مسدّ مفعولى حسب .

(٦) فلم يعملوا بما رأوا ولا بما سمعوا . أو فعموا عن الرشد وصموا عن الوعظ .

(٧) رزقهم التوبة .

(٨) هو بدل من الضمير أى الواو وهو بدل البعض من الكل أو هو خبر مبتدأ محذوف أى أولئك كثير منهم .

(٩) فيجازيهم بحسب أعمالهم .

(*) قوله ما يشتمل عليه صلة أن وأن أى وأن وما تشتمل عليه صلتها ا هـ .

لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ (١) إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ (٢) بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ (٣) وَمَأْوَىٰهُ (٤) ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ (٥) مِنْ أَنصَارٍ ۝ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ (٦) وَمَا مِنْ (٧) إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ (٨) عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩) ۝ أَفَلَا يَتُوبُونَ (١٠) إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ

(١) لم يفرق عيسى عليه السلام بينه و بينهم فى أنه عبد مربوب ليكون حجة على النصارى.

(٢) فى عبادته غير الله .

(٣) التى هى دار الموحدين أى حرمه دخولها ومنعه منه .

(٤) أى مرجعه .

(٥) أى الكافرين . وهو من كلام الله أو من كلام عيسى عليه السلام .

(٦) أى ثالث ثلاثة آلهة . والإشكال أنه تعالى قال فى الآية الأولى (لقد كفر الذين قالوا إنّ الله هو المسيح ابن مريم) وقال فى الثانية (لقد كفر الذين قالوا إنّ الله ثالث ثلاثة) والجواب أن بعض النصارى كانوا يقولون كان المسيح بعينه هو الله لأن الله ربما يتجلى فى بعض الأزمان فى شخص فتجلى فى ذلك الوقت فى شخص عيسى ولهذا كان يظهر من شخص عيسى أفعال لا يقدر عليها إلا الله . و بعضهم ذهبوا إلى آلهة ثلاثة : الله ومريم والمسيح وأنه ولد الله من مريم .

(٧) (مِن) للاستغراق أى وما إله قط فى الوجود إلا إله موصوف بالوحدانية لا ثانى له وهو الله وحده لا شريك له .

(٨) (مِن) للبيان كالتى فى (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) ولم يقل ليمسنهم لأن فى إقامة الظاهر مقام المضمر تكريرا للشهادة عليهم بالكفر. أو للتبعيض أى ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم لأنّ كثيرا منهم تابوا عن النصرانية .

(٩) نوع شديد الألم من العذاب .

(١٠) ألا يتوبون — بعد هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر وهذا الوعيد الشديد — مما هم عليه . وفيه تعجيب من إصرارهم .

وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ[١] مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ[٢] قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ[٣] وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ[٤] كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ[٥] ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ[٦] قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا[٧]

---

(١) يغفر لهؤلاء إن تابوا ولغيرهم .

(٢) فيه نفى الألوهية عنه .

(٣) صفة لرسول أى ما هو إلا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله . وإبراؤه الأكمه والأبرص وإحياؤه الموتى لم يكن منه لأنه ليس إلها بل الله أبرأ الأكمه والأبرص وأحيا الموتى على يده كما أحيا العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى . وخلقه من غير ذكر كخلق آدم من غير ذكر وأنثى .

(٤) أى وما أمه أيضا إلا كبعض النساء المصدِّقات للأنبياء المؤمنات بهم . ووقع اسم الصديقة عليها لقوله تعالى (وصدقت بكلمات ربها وكتبه) .

ثم أبعدهما عما نسب إليهما بقوله (كانا يأكلان الطعام) لأن من احتاج إلى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنقض لم يكن إلا جسما مركبا من لحم وعظم وعروق وأعصاب وغير ذلك مما يدل على أنه مصنوع مؤلف كغيره من الأجسام .

(٥) أى الأعلام من الأدلة الظاهرة على بطلان قولهم .

(٦) كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله بعد هذا البيان . وهذا تعجيب من الله تعالى فى ذهابهم عن الفرق بين الرب والمربوب .

(٧) هو عيسى عليه السلام . أى شيئا لايستطيع أن يضرّكم بمثل ما يضركم به الله من البلاء والمصائب فى الأنفس والأموال ولا أن ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من صحة الأبدان والسعة والخصب لأن كل ما يستطيعه البشر من المضار والمنافع فبتخليقه تعالى فكأنه لا يملك منه شيئا . وهذا دليل قاطع على أن أمره مناف للربوبية حيث جعله لايستطيع ضرا ولا نفعا وصفة الرب أن يكون قادرا على كل شىء لا يخرج مقدور عن قدرته .

وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ(١) ۝ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟(٢) فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ(٣) وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ(٤) وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا(٥) وَضَلُّوا۟(٦) عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۝ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟(٧) مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ(٨) ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ(٩) ۝ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ

(١) متعلق بأتعبدون أى أتشركون بالله ولا تخشونه وهو الذى يسمع ما تقولونه ويعلم ما تعتقدونه .

(٢) الغلو مجاوزة الحد فغلو النصارى رفعه فوق قدره باستحقاق الألوهية . وغلو اليهود وضعه عن استحقاق النبوة .

(٣) صفة لمصدر محذوف أى غلوا غير الحق يعنى غلوا باطلا .

(٤) أى أسلافكم وأئمتكم الذين كانوا على الضلال قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم .

(٥) ممن تابعهم .

(٦) لمـا بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٧) حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه .

(٨) قيل إن أهل إيلة لمـا اعتدوا فى السبت قال داود اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة . ولمـا كفر أصحاب عيسى بعد المـائدة قال عيسى اللهم عذب من كفر بعد ما أكل من المـائدة عذابا لم تعذبه أحدا من العالمين والعنهم كما لعنت أصحاب السبت فأصبحوا خنازير . وكانوا خمسة آلاف رجل .

(٩) ذلك اللعن بعصيانهم واعتدائهم . ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله (كانوا لا يتناهون) لا ينهى بعضهم بعضا (عن منكر) عن قبيح (فعلوه) ومعنى وصف المنكر بفعلوه — ولا يكون النهى بعد الفعل — أنهم لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه أو عن مثل منكر فعلوه أو عن منكر أرادوا فعله . أو المراد لا ينتهون عن منكر فعلوه بل يصرون عليه . يقال تناهى عن الأمر وانتهى عنه إذا امتنع منه وتركه . ثم عجب من سوء فعلهم مؤكدا لذلك بالقسم بقوله (لبئس ما كانوا يفعلون) .

لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟(١) لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ(٢) وَفِى ٱلْعَذَابِ(٣) هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ(٤) وَٱلنَّبِىِّ(٥) وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ(٦) مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ(٧) وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ(٨) ﴿٨١﴾ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً(٩) لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ وَلَتَجِدَنَّ(١٠) أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ(١١) ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ

وفيه دليل على أن ترك النهى على المنكر من العظائم . فيا حسرة على المسلمين فى إعراضهم عنه .

(١) هم منافقو أهل الكتاب كانوا يوالون المشركين و يصافونهم .

(٢) لبئس شيئا قدّموه لأنفسهم سخط الله عليهم أى موجب سخط الله .

(٣) أى فى جهنم .

(٤) إيمانا خالصا بلا نفاق .

(٥) أى محمد صلى الله عليه وسلم .

(٦) يعنى القرآن .

(٧) ما اتخذوا المشركين أولياء يعنى أن موالاة المشركين تدل على نفاقهم .

(٨) مستمرون فى كفرهم ونفاقهم . أو معناه ولو كان هؤلاء اليهود يؤمنون بالله وبموسى وما أنزل إليه يعنى التوراة ما اتخذوا المشركين أولياء كما لم يوالهم المسلمون ولكن كثيرا منهم فاسقون خارجون عن دينهم فلا دين لهم أصلا .

(٩) هو مفعول ثان لتجدن . وعداوة تمييز .

(١٠) عطف عليهم .

(١١) اللام تتعلق بعداوة ومودة . وصف اليهود بشدة الشكيمة والنصارى بلين العريكة . وجعل اليهود قرناء المشركين فى شدة العداوة للمؤمنين . ونبّه على تقدّم قدمهم فيها بتقديمهم على المشركين .

ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا[(1)] وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ[(2)] ۝ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ[(3)] يَقُولُونَ[(4)] رَبَّنَا آمَنَّا[(5)] فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ[(6)] ۝ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ[(7)]

(١) أى علماء وعبّادا .

(٢) علّل سهولة مأخذ النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين بأن منهم قسيسين ورهبانا وأن فيهم تواضعا واستكانة واليهود على خلاف ذلك . وفيه دليل على أن العلم أنفع شىء وأهداه إلى الخير وإن كان علم القسيسين . وكذا علم (*) الآخرة وإن كان فى راهب . والبراءة من الكبر وإن كانت فى نصرانى .

(٣) وصفهم برقة القلوب وأنهم يبكون عند استماع القرآن كما روى عن النجاشى أنه قال لجعفر بن أبى طالب – حين اجتمع فى مجلسه المهاجرون إلى الحبشة والمشركون وهم يقرءونه عليهم – هل فى كتابكم ذكر مريم ؟ قال جعفر فيه سورة تنسب إلى مريم فقرأها إلى قوله (ذلك عيسى ابن مريم) وقرأ سورة طه إلى قوله (هل أتاك حديث موسى) فبكى النجاشى . وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم سبعون رجلا حين قرأ عليهم سورة يس فبكوا . (تفيض من الدمع) تمتلئ من الدمع حتى تفيض لأن الفيض أن يمتلئ الإناء أو غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه . فوضع الفيض الذى هو من الامتلاء موضع الامتلاء أو قصدت المبالغة فى وصفهم بالبكاء بجعلت أعينهم كأنها تفيض بأنفسها أى تسيل من أجل البكاء . ومن فى (مما عرفوا) لابتداء الغاية على أن فيض الدمع ابتدأ ونشأ من معرفة الحق وكان من أجله . ومن فى (من الحق) لتبيين الموصول الذى هو ما عرفوا . أو للتبعيض على أنهم عرفوا بعض الحق فأبكاهم فكيف إذا عرفوا كله وقرءوا القرآن وأحاطوا بالسنة .

(٤) حال من ضمير الفاعل فى (عرفوا) .

(٥) بمحمد صلى الله عليه وسلم والمراد إنشاء الإيمان والدخول فيه .

(٦) مع أمة محمد عليه السلام الذين هم شهداء على سائر الأمم يوم القيامة (لتكونوا شهداء على الناس) وقالوا ذلك لأنهم وجدوا ذكرهم فى الإنجيل كذلك .

(٧) إنكار واستبعاد لانتفاء الإيمان مع قيام موجبه وهو الطمع فى إنعام الله عليهم بصحبة الصالحين . وقيل لما رجعوا الى قومهم لاموهم فأجابوهم بذلك . و (مالنا) مبتدأ وخبر . و (لا نؤمن) حال أى غير مؤمنين كقولك مالك قائما .

(*) الذى فى الكشاف وكذلك غم الآخرة والتحدث بالعاقبة وإن كان فى راهب .

وَمَا جَآءَنَا[1] مِنَ ٱلْحَقِّ[2] وَنَطْمَعُ[3] أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ[4] ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟[5] جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ[6] ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ[7] ﴿٨٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ[8] مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ

---

(١) وبما جاءنا .

(٢) يعنى محمدا عليه السلام والقرآن .

(٣) حال من ضمير الفاعل فى (نؤمن) والتقدير ونحن نطمع (أن يدخلنا ربّنا) الجنّة .

(٤) الأنبياء والمؤمنين .

(٥) أى بقولهم (ربنا آمنا) وتصديقهم لذلك .

(٦) فيه دليل على أن الإقرار داخل فى الإيمان كما هو مذهب الفقهاء. وتعلقت الكرامية فى أن الإيمان مجرد القول بقوله (بما قالوا) لكن الثناء بفيض الدمع فى السباق ، وبالإحسان فى السياق، يدفع ذلك. وأنى يكون مجرد القول إيمانا وقد قال الله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) ؟ نفى الإيمان عنهم مع قولهم آمنا بالله لعدم التصديق بالقلب. وقال أهل المعرفة الموجود منهم ثلاثة أشياء البكاء على الجفاء ، والدعاء على العطاء ، والرضا بالقضاء . فمن ادعى المعرفة ولم يكن فيه هذه الثلاثة فليس بصادق فى دعواه .

(٧) هذا أثر الرد فى حق الأعداء ، والأول أثر القبول للأولياء .

(٨) ما طاب ولذّ من الحلال. ومعنى لاتحرموا لاتمنعوها أنفسكم كمنع التحريم. أولا تقولوا حرمناها على أنفسنا مبالغة منكم فى العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا. نزل فى جماعة من الصحابة رضى الله عنهم حلفوا أن يترهبوا ويلبسوا المسوح ويقوموا الليل ويصوموا النهار ويسيحوا فى الأرض ويجبّوا مذاكيرهم ولايأكلوا اللحم والودك ولايقربوا النساء والطيب. روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل الدجاج والفالوذ وكان يعجبه الحلواء والعسل وقال إن المؤمن حلو يحب الحلاوة وعن الحسن أنه دعى إلى طعام ومعه فرقد السنجى وأصحابه فقعدوا على المائدة

وَلَا تَعْتَدُوٓاْ(١) إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ(٢) ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا(٣) وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ(٤) أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ(٥) وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ(٦) فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ(٧)

وعليها الألوان من الدجاج المسمن والفالوذ وغير ذلك. فاعتزل فرقد ناحية فسأل الحسن أهو صائم؟ قالوا لا ولكنه يكره هذه الألوان . فأقبل الحسن عليه وقال يافريقد أترى لعاب النحل بلباب البر بخالص السمن يعيبه مسلم؟ وعنه أنه قيل له فلان لا يأكل الفالوذ ويقول لا أؤدى شكره . فقال أفيشرب الماء البارد ؟ قالوا نعم قال إنه جاهل أن نعمة الله عليه فى الماء البارد أكبر من نعمته عليه فى الفالوذ .

(١) ولا تجاوزوا الحد الذى حد عليكم فى تحليل أو تحريم . أو (ولا تتعدوا) حدود ما أحل لكم إلى ما حرم عليكم. أو ولا تسرفوا فى تناول الطيبات .

(٢) حدوده .

(٣) حلالا حال مما رزقكم الله .

(٤) توكيد للتوصية بما أمر به وزاده توكيدا بقوله (الذى أنتم به مؤمنون) لأن الإيمان به يوجب التقوى فيما أمر به ونهى .

(٥) اللغو فى اليمين الساقط الذى لا يتعلق به حكم وهو أن يحلف على شىء يرى أنه كذلك وليس كما ظن. وكانوا حلفوا على تحريم الطيبات على ظن أنه قربة. فلما نزلت تلك الآية قالوا فكيف أيماننا ؟ فنزلت . وعند الشافعى رحمه الله ما يجرى على اللسان بلا قصد .

(٦) أى بتعقيدكم الأيمان وهو توثيقها. وبالتخفيف كوفى غير حفص. والعقد العزم على الوطء. وذا لا يتصور فى الماضى فلا كفارة فى الغموس. وعند الشافعى رحمه الله القصد بالقلب ويمين الغموس مقصودة فكانت معقودة فكانت الكفارة فيها مشروعة. والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم إذا حنثتم فحذف وقت المؤاخذة لأنه كان معلوما عندهم . أو بنكث ما عقدتم فحذف المضاف .

(٧) أى فكفارة نكثه أو فكفارة معقود الأيمان والكفارة الفعلة التى من شأنها أن تكفر الخطيئة أى تسترها .

إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ(١) مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ(٢) أَوْ كِسْوَتُهُمْ(٣) أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ(٤) فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ(٥) ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ(٦) ذَٰلِكَ(٧) كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ(٨) وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ(٩) كَذَٰلِكَ(١٠) يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ(١١) لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(١٢) ﴿٨٩﴾

---

(١) هو أن يغديهم و يعشيهم. ويجوز أن يعطيهم بطريق التمليك. وهو لكل أحد نصف صاع من بر أو صاع من شعير او صاع من تمر. وعند الشافعي رحمه الله مدّ لكلّ مسكين .

(٢) أي غداء وعشاء من برّ . إذ الأوسع ثلاث مرات مع الإدام. والأدنى مرة من تمر أو شعير.

(٣) عطف على (إطعام) أو على محل (من أوسط) ووجهه أن (من أوسط) بدل من (إطعام) والبدل هو المقصود فى الكلام. وهو ثوب يغطى العورة. وعن ابن عمر رضى الله عنه إزار وقميص ورداء .

(٤) مؤمنة أو كافرة لإطلاق النص . وشرط الشافعى رحمه الله الإيمان حملا للطلق على المقيد فى كفارة القتل . ومعنى (أو) التخيير وإيجاب إحدى الكفارات الثلاث .

(٥) إحداها .

(٦) متتابعة لقراءة أبيّ وابن مسعود كذلك .

(٧) المذكور .

(٨) وحنثتم . فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بأن الكفارة لا تجب بنفس الحلف . ولذا لم يجز التكفير قبل الحنث .

(٩) فبرّوا فيها ولا تحنثوا إذا لم يكن الحنث خيرا . أو ولا تحلفوا أصلا .

(١٠) مثل ذلك البيان .

(١١) أعلام شريعته وأحكامه .

(١٢) نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ[1] وَٱلْأَنصَابُ[2] وَٱلْأَزْلَـٰمُ[3] رِجْسٌ[4] مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ[5] فَٱجْتَنِبُوهُ[6] لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ[7] ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ[8] فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ[9] ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ

---

(١) أى القمار .

(٢) الأصنام لأنها تنصب فتعبد .

(٣) وهى القداح التى مرت .

(٤) نجس أو خبيث مستقذر .

(٥) لأنه يحمل عليه فكأنه عمله .

(٦) الضمير يرجع إلى الرجس أو إلى عمل الشيطان أو إلى المذكور أو إلى المضاف المحذوف كأنه قيل إنما تعاطى الخمر والميسر ولذا قال (رجس) .

(٧) أكد تحريم الخمر والميسر من وجوه حيث صدر الجملة بإنما، وقرنهما بعبادة الأصنام ومنه الحديث شارب الخمر كعابد الوثن، وجعلهما رجسا من عمل الشيطان ولا يأتى منه إلا الشر البحت، وأمر بالاجتناب، وجعل الاجتناب من الفلاح وإذا كان الاجتناب فلاحا كان الارتكاب خسارا .

(٨) ذكر ما يتولد منهما من الوبال وهو وقوع التعادى والتباغض بين أصحاب الخمر والقمر، وما يؤديان إليه من الصد عن ذكر الله، وعن مراعاة أوقات الصلاة. وخص الصلاة من بين الذكر لزيادة درجتها كأنه قال وعن الصلاة خصوصا . وإنما جمع الخمر والميسر مع الأنصاب والأزلام أولا ثم أفردهما آخراً لأن الخطاب مع المؤمنين. وإنما نهاهم عما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر. وذكر الأنصاب والأزلام لتأكيد تحريم الخمر والميسر، وإظهار أن ذلك جميعا من أعمال أهل الشرك . فكأنه لا مباينة بين عابد الصنم وشارب الخمر والمقامر . ثم أفردهما بالذكر ليعلم أنهما المقصود بالذكر .

(٩) من أبلغ ما ينهى به كأنه قيل قد تلى عليكم ما فيهما من أنواع الصوارف والزواجر . فهل أنتم مع هذه الصوارف منتهون أم أنتم على ما كنتم عليه كأن لم توعظوا ولم تزجروا ؟ .

وَٱحْذَرُواْ[1] فَإِن تَوَلَّيْتُمْ[2] فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ[3] ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ[4] إِذَا مَا ٱتَّقَواْ[5] وَّءَامَنُواْ[6] وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ[7] وَّءَامَنُواْ[8] ثُمَّ ٱتَّقَواْ[9] وَّأَحْسَنُواْ[10] وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ[11] ﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ[12]

---

(١) وكونوا حذرين خاشين لأنهم إذا حذروا دعاهم الحذر إلى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة .

(٢) عن ذلك .

(٣) أى فاعلموا أنكم لم تضروا بتوليكم الرسول لأنه ما كلّف إلا البلاغ المبين بالآيات. وإنما ضررتم أنفسكم حين أعرضتم عما كلفتموه .

(٤) نزل فيمن تعاطى شيئا من الخمر والميسر قبل التحريم . أى شربوا من الخمر وأكلوا من مال القمار قبل تحريمهما .

(٥) الشرك .

(٦) بالله .

(٧) بعد الإيمان .

(٨) الخمر والميسر بعد التحريم .

(٩) بتحريمهما .

(١٠) سائر المحرمات .

أو الأول عن الشرك والثانى عن المحرمات والثالث عن الشبهات .

(١١) إلى الناس .

(١٢) لما ابتلاهم الله بالصيد عام الحديبية وهم محرمون وكثر عندهم حتى كان يغشاهم فى رحالهم فيستمكنون من صيده أخذا بأيديهم وطعنا برماحهم ، نزل . ومعنى يبلو يختبر وهو من الله لإظهار ما علم من العبد على ما علم لا لعلم ما لم يعلم. و (من) للتبعيض إذ لا يحرم كل صيد أو لبيان الجنس. قلل فى قوله (بشىء من الصيد) ليعلم أنه ليس من الفتن العظام. و(تناله) صفة لشىء .

لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ(١) فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ(٢) بَعْدَ ذَٰلِكَ(٣) فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ(٤) وَأَنتُمْ حُرُمٌ(٥) وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا(٦) فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ(٧) مِنَ ٱلنَّعَمِ(٨) يَحْكُمُ بِهِۦ(٩)

(١) ليعلم الله خوف الخائف منـه بالامتناع عن الاصطياد موجودا كما كان يعلم قبـل وجوده أنه يوجد ليثيبه على عمله لا على علمه فيه .

(٢) فصاد .

(٣) الابتلاء .

(٤) أى المصيد إذ القتل إنما يكون فيه .

(٥) أى محرمون جمع حرام كردح فى جمع رداح. فى محل النصب على الحال من ضمير الفاعل فى (تقتلوا) .

(٦) حال من ضمير الفاعل أى ذاكرا لإحرامه أو عالما أن ما يقتله مما يحرم قتله عليه . فإن قتله ناسيا لإحرامه أو رمى صيدا وهو يظن انه ليس بصيد فهو مخطئ. وإنما شرط التعمد فى الآية مع أن محظورات الإحرام يستوى فيها العمد والخطأ لأن مورد الآية فيمن تعمّد . فقد روى أنه عنّ لهم فى عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه أبو اليسر فقتله فقيل له إنك قتلت الصيد وأنت محرم. فنزلت. ولأن الأصل فعل المتعمد والخطأ ملحق به للتغليظ. وعن الزهرى نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ .

(٧) كوفى. أى فعليه جزاء يماثل ما قتل من الصيد . وهو قيمة الصيد . يقوّم حيث صيد. فإن بلغت قيمته ثمن هدى خيّر بين أن يهدى من النعم ما قيمته قيمة الصيد . وبين أن يشترى بقيمته طعاما فيعطى كل مسكين نصف صاع من بر أو صاعا من غيره وإن شاء صام عن طعام كل مسكين يوما . وعند محمد والشافعى رحمهما الله تعالى مثله نظيره من النعم . فان لم يوجد له نظير من النعم فكما مر. فجزاء مثل على الإضافة غيرهم. وأصله فجزاءٌ مثلَ ما قتل أى فعليه أن يجزى مثل ما قتل ثم أضيف كما تقول عجبت من ضربٍ زيدا ثم من ضربِ زيدٍ .

(٨) حال من الضمير فى قتل إذ المقتول يكون من النعم . أو صفة لجزاء .

(٩) بمثل ما قتل .

ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ(١) هَدْيًا(٢) بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ(٣) أَوْ كَفَّٰرَةٌ(٤) طَعَامُ(٥) مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ(٦) ذَٰلِكَ(٧)

(١) حكمان عادلان من المسلمين . وفيه دليل على أن المثل القيمة لأن التقويم مما يحتاج إلى النظر والاجتهاد دون الأشياء المشاهدة. ولأن المثل المطلق فى الكتاب والسنة والإجماع مقيد بالصورة والمعنى أو بالمعنى لا بالصورة أو بالصورة بلا معنى. والقيمة أريدت فيما لا مثل له صورة إجماعا . فلم يبق غيرها مرادا إذ لا عموم للمشترك . فان قلت قوله (من النعم) ينافى تفسير المثل بالقيمة . قلت من أوجب القيمة خيّر بين أن يشترى بها هديا أو طعاما أو يصوم كما خيّر الله تعالى فى الآية فكان من النعم بيانا للهدى المشترى بالقيمة فى أحد وجوه التخيير. لأن من قوم الصيد واشترى بالقيمة هديا فأهداه فقد جزى بمثل ما قتل من النعم . على أن التخيير الذى فى الآية بين أن يجزى بالهدى أو يكفر بالطعام أو الصوم إنما يستقيم إذا قوم ونظر بعد التقويم أى الثلاثة يختار. فأما إذا عمد إلى النظير وجعله الواجب وحده من غير تخيير فاذا كان شيئا لا نظير له قوم حينئذ ثم يخير بين الطعام والصيام، ففيه نبو عما فى الآية. ألا ترى إلى قوله (أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما) كيف خيّر بين الأشياء الثلاثة ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتقويم .

(٢) حال من الهاء فى به أى يحكم به فى حال الهدى .

(٣) صفة لهديا لأن إضافته غير حقيقية. ومعنى بلوغه الكعبة أن يذبح بالحرم. فأما التصدق به فحيث شئت . وعند الشافعى رحمه الله فى الحرم .

(٤) معطوف على جزاء .

(٥) بدل من كفارة أو خبر مبتدا محذوف أى هى طعام. (أو كفارةُ طعامٍ) على الإضافة مدنى وشامى. وهذه الإضافة لتبيين المضاف كانه قيل أو كفارة من طعام مساكين. كما تقول خاتم فضة أى خاتم من فضة .

(٦) وقرئ بكسر العين قال الفراء العَدل ماعادلَ الشيء من غير جنسه كالصوم والإطعام. والعدل مثله من جنسه ومنه عدلا الحمل. يقال عندى غلام عدل غلامك بالكسر إذا كان من جنسه . فان أريد ان قيمته كقيمته ولم يكن من جنسه قيل هو عدل غلامك بالفتح .

(٧) إشارة إلى الطعام .

صِيَامًا(١) لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ عَفَا ٱللَّهُ(٢) عَمَّا سَلَفَ(٣) وَمَنْ عَادَ(٤) فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ(٥) وَٱللَّهُ عَزِيزٌ(٦) ذُو ٱنتِقَامٍ(٧) ۞ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ(٨) وَطَعَامُهُۥ(٩) مَتَٰعًا(١٠) لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ(١١) وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ(١٢) مَا دُمْتُمْ حُرُمًا(١٣) وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ(١٤) ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ(١٥) ۞

(١) تمييز نحو لى مثله رجلا. والخيار فى ذلك إلى القاتل. وعند محمد رحمه الله إلى الحكمين.

(٢) متعلق بقوله (بجزاء) أى فعليه أن يجازى أو يكفر ليذوق سوء عاقبة هتكه لحرمة الإحرام. والوبال المكروه والضرر الذى ينال فى العاقبة من عمل سوء لثقله عليه من قوله تعالى (فأخذناه أخذا وبيلا) أى ثقيلا شديدا . والطعام الوبيل الذى يثقل على المعدة فلا يستمرأ .

(٣) لكم من الصيد قبل التحريم .

(٤) إلى قتل الصيد بعد التحريم أو فى ذلك الإحرام .

(٥) بالجزاء . وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه .

(٦) بإلزام الأحكام .

(٧) لمن جاوز حدود الإسلام .

(٨) مصيدات البحر مما يؤكل ومما لا يؤكل .

(٩) وما يُطعَم من صيده . والمعنى أحل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد فى البحر وأحل لكم أكل المأكول منه وهو السمك وحده .

(١٠) مفعول له أى أحل لكم تمتيعا لكم .

(١١) وللمسافرين . والمعنى أحل لكم طعامه تمتيعا لتُنَّائكم(*) يأكلونه طريّا ولسيارتكم يتزودونه قديدا كما تزود موسى عليه السلام الحوت فى مسيره إلى الخضر .

(١٢) ما صيد فيه . وهو ما يُفرخ فيه وإن كان يعيش فى الماء فى بعض الأوقات كالبط فانه برّىّ لأنه يتولد فى البر. والبحر له مرعى كما للناس متجر .

(١٣) محرمين .

(١٤) فى الاصطياد فى الحرم أو فى الإحرام .

(١٥) تبعثون فيجزيكم على أعمالكم .

(*) قوله لتنائكم : التناء كرمان المقيمون جمع تانئ من تنأ بالمكان أقام هكذا يؤخذ من القاموس .

جَعَلَ (١) ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ (٢) ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا (٣) لِّلنَّاسِ (٤) وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ (٥) وَٱلْهَدْىَ (٦) وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ (٧) ذَٰلِكَ (٨) لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (٩) ۝ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ (١٠) وَأَنَّ (١١) ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٢) ۝ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ (١٣) وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (١٤) ۝

(١) أى صيّر .

(٢) بدل أو عطف بيان .

(٣) مفعول ثان . أو جعل بمعنى خلق وقياما حال .

(٤) أى انتعاشا لهم فى أمر دينهم ونهوضا إلى أغراضهم فى معاشهم ومعادهم لما يتم لهم من أمر حجهم وعمرتهم وأنواع منافعهم . قيل لو تركوه عاما لم ينظروا ولم يؤخروا .

(٥) والشهر الذى يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لأن فى اختصاصه من بين الأشهر بإقامة موسم الحج فيه شأنا قد علمه الله . أو أريد به جنس الأشهر الحرم وهى رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم .

(٦) ما يهدى إلى مكة .

(٧) والمقلد منه خصوصا وهو البُدْن فالثواب فيه أكثر ، وبهاء الحج معه أظهر .

(٨) إشارة إلى جعل الكعبة قياما أو إلى ما ذكر من حفظ حرمة الإحرام بترك الصيد وغيره .

(٩) أى لتعلموا أن الله يعلم مصالح ما فى السموات وما فى الأرض وكيف لا يعلم وهو بكل شىء عليم .

(١٠) لمن استخف بالحرم والإحرام .

(١١) لآثام من عظّم المشاعر العظام .

(١٢) بالجانى الملتجىء إلى البلد الحرام .

(١٣) تشديد فى إيجاب القيام بما أمر به وأن الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم فى التفريط .

(١٤) فلا يخفى عليه نفاقكم ووفاقكم .

قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ (١) وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ (٢) يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ (٣) لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ (٤) إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ (٥) وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا (٦) وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (٧) ۝ قَدْ سَأَلَهَا (٨) قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ (٩) ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا (١٠)

(١) لما أخبر أنه يعلم ما يبدون وما يكتمون ذكر أنه لا يستوى خبيثهم وطيبهم ، بل يميز بينهما فيعاقب الخبيث أى الكافر ويثيب الطيب أى المسلم .

(٢) وآثروا الطيب وإن قل على الخبيث وإن كثر . وقيل هو عام فى حلال المال وحرامه وصالح العمل وطالحه وجيد الناس ورديئهم .

(٣) أى العقول الخالصة .

(٤) كانوا يسألون النبى صلى الله عليه وسلم عن أشياء امتحانا فنزل . قال الخليل وسيبويه وجمهور البصريين أصله شيئاء بهمزتين بينهما ألف وهى فعلاء من لفظ شىء وهمزتها الثانية للتأنيث . ولذا لم تنصرف كحمراء . وهى مفردة لفظا جمع معنى . ولما استثقلت الهمزتان المجتمعتان قدمت الأولى التى هى لام الكلمة فجعلت قبل الشين فصار وزنها لفعاء .

(٥) الشرطية والمعطوفة عليها صفة لأشياء أى وإن تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة فى زمان الوحى وهو ما دام الرسول بين أظهركم تبد لكم تلك التكاليف التى تسوءكم أى تغمكم وتشق عليكم وتؤمرون بتحملها فتعرضون أنفسكم لغضب الله بالتفريط فيها .

(٦) عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا إلى مثلها .

(٧) لا يعاقبكم إلا بعد الإنذار .

(٨) الضمير لا يرجع إلى أشياء حتى يعدى بعن بل يرجع إلى المسألة التى دلت عليها لا تسألوا أى قد سأل هذه المسألة .

(٩) من الأولين .

(١٠) صاروا بسببها .

كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ (١) وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ (٢) وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ (٣) عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ (٤) وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ (٥) ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ (٦) قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ (٧) أَوَلَوۡ كَانَ (٨) ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ (٩) ﴿١٠٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

---

(١) كما عرف فى بنى اسرائيل .

(٢) كان أهل الجاهلية إذا نُتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها — أى شقّوها — وامتنعوا من ركوبها وذبحها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى واسمها البحيرة . وكان يقول الرجل إذا قدمت من سفرى أو برأت من مرضى فناقتى سائبة وجعلها كالبحيرة فى تحريم الانتفاع بها . وقيل كان الرجل إذا أعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث . وكانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن فإن كان السابع ذكرا أكله الرجال ، وإن كان أنثى أرسلت فى الغنم . وكذا إن كان ذكرا وأنثى وقالوا وصلت أخاها . فالوصيلة بمعنى الواصلة . وإذا نُتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى . ومعنى (ما جعل) ما شرع ذلك ولا أمر به .

(٣) بتحريمهم ما حرّموا .

(٤) فى نسبتهم هذا التحريم إليه .

(٥) أن الله لم يحرّم ذلك . وهم عوامّهم .

(٦) أى هلمّوا إلى حكم الله ورسوله بأن هذه الأشياء غير محرّمة .

(٧) أى كافينا ذلك . (حسبنا) مبتدأ . والخبر (ما وجدنا) . وما بمعنى الذى .

(٨) الواو للحال قد دخلت عليها همزة الإنكار . وتقديره (أ) حسبهم ذلك (ولو كان آباؤهم) .

(٩) أى الاقتداء إنما يصح بالعالم المهتدى . إنما يعرف اهتداؤه بالحجة .

ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ(١) لَا يَضُرُّكُم(٢) مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ(٣) إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ(٤) جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ(٥) ﴿١٠٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ(٦) ذَوَا عَدْلٍ(٧) مِّنكُمْ(٨) أَوْ ءَاخَرَانِ(٩)

---

(١) انتصب (أنفسكم) بعليكم . وهو من أسماء الأفعال . أى الزموا إصلاح أنفسكم . والكاف والميم فى (عليكم) فى موضع جر لأن اسم الفعل هو الجار والمجرور لا على وحدها .

(٢) رفع على استئناف . أو جزم على جواب الأمر و إنما ضمت الراء إتباعا لضمة الضاد.

(٣) كان المؤمنون تذهب أنفسهم حسرة على أهــل العناد من الكفرة يتمنَّــون دخولهم فى الإسلام فقيل لهم (عليكم أنفسكم) وما كلفتم من إصلاحها (لا يضركم) الضُّلَّال عن دينكم إذا كنتم مهتدين . وليس المراد ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فإن تركهما مع القدرة عليهما لا يجوز .

(٤) رجوعكم .

(٥) ثم يجزيكم على أعمالكم .

(٦) روى أنه خرج بديل مولى عمرو بن العاص ـــ وكان من المهاجرين ـــ مع عدى وتميم ـــ وكانا نصرانيين ـــ إلى الشام . فمرض بديل وكتب كتابا فيه ما معه وطرحه فى متاعه ولم يخبر به صاحبيه . وأوصى إليهما بأن يدفعا متاعه إلى أهله ومات. ففتشا متاعه فأخذا إناء من فضة . فأصاب أهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالإناء فجحدا . فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل . ارتفع (اثنان) لأنه خبر المبتدأ وهو (شهادة) بتقدير شهادة بينكم شهادة اثنين . أو لأنه فاعل شهادة بينكم . أى فيما فرض عليكم أن يشهد اثنان. واتُّسع فى بين فأضيف إليه المصدر . (وإذا حضر) ظرف للشهادة. و (حين الوصية) بدل منه. وفى إبداله منه دليل على وجوب الوصـية لأن حضور الموت من الأمور الكائنة . و (حين الوصية) بدل منـه . فيدل على وجود الوصية . ولو وجدت بدون الاختيار لسقط الابتلاء . فنقل إلى الوجوب . وحضور الموت مشارفته وظهور أمارات بلوغ الأجل .

(٧) صفة لاثنين .

(٨) من أقاربكم لأنهم أعلم بحالات الميت .

(٩) عطف على (اثنان) .

مِنْ غَيْرِكُمْ[1] إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ[2] فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا[3] مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ[4] فَيُقْسِمَانِ[5] بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ[6] لَا نَشْتَرِى بِهِۦ[7] ثَمَنًا[8] وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ[9] وَلَا نَكْتُمُ[10] شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ[11] إِنَّآ إِذًا[12] لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾

---

(١) من الأجانب .

(٢) سافرتم فيها . و (أنتم) فاعل فعل يفسره الظاهر .

أو (منكم) من المسلمين ، و (من غيركم) من أهل الذمة . وقيل منسوخ إذ لا يجوز شهادة الذمى على المسلم . وإنما جازت فى أول الإسلام لقلة المسلمين .

(٣) تقفونهما للحلف . هو استئناف كلام . أو صفة لقوله (أو آخران من غيركم) أى (أو آخران من غيركم) محبوسـان . و (إن أنتم ضربتم فى الأرض فأصابتكم مصيبة الموت) اعتراض بين الصفة والموصوف .

(٤) من بعد صلاة العصر لأنه وقت اجتماع الناس . وعن الحسن رحمـه الله بعد العصر أو الظهر لأن أهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما . وفى حديث بديل أنها لما نزلت صلّى رسول الله صلّى الله عليه وسلم صلاة العصر ودعا بعدى وتميم فاستحلفهما عند المنبر فحلفا. ثم وجد الإناء بمكة . فقالوا إنا اشتريناه من تميم وعدى .

(٥) فيحلفان به .

(٦) إن شككتم فى أمانتهما . وهو اعتراض بين يقسمان وجوابه وهو (لا نشترى) . وجواب الشرط محذوف أغنى عنه معنى الكلام . والتقدير (إن ارتبتم) فى شأنهما فحلفوهما .

(٧) بالله أو بالقسم .

(٨) عوضا من الدنيا .

(٩) أى المقسم له .

(١٠) أى لا نحلف بالله كاذبين لأجل المـال ولو كان من نقسم له قريبا منا .

(١١) أى الشهادة التى أمر الله بحفظها وتعظيمها .

(١٢) إن كتمنا .

وقيل إن أريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين. وإن أريد الوصيان فلم ينسخ تحليفهما .

فَإِنْ عُثِرَ(١) عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا(٢) فَـَٔاخَرَانِ(٣) يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ(٤) ٱلْأَوْلَيَـٰنِ(٥) فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ(٦) مِن شَهَـٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ(٧) إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ(٨) ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ(٩) أَدْنَىٰٓ(١٠) أَن يَأْتُوا۟(١١) بِٱلشَّهَـٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ(١٢)

---

(١) فان اطُّلع .

(٢) فعلا ما أوجب إثما واستوجبا أن يقال إنهما لمن الآثمين .

(٣) فشاهدان آخران .

(٤) أى (من الذين استُحق عليهم) الإثم . ومعناه من الذين جُنى عليهم وهم أهل الميت وعشيرته . وفى قصة بديل أنه لما ظهرت خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته أنه إناء صاحبهما وأن شهادتهما أحق من شهادتهما .

(٥) الأحقّان بالشهادة لقرابتهما أو معرفتهما . وارتفاعه على هما (الأوليان) كأنه قيل ومن هما ؟ فقيل (الأوليان) . أو هو بدل من الضمير فى (يقومان) أو من (آخران) . (استَحق عليهم الأوليان) حفص . أى (من) الورثة (الذين استحق عليهم الأوليان) من بينهم بالشهادة أن يجرّدوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين . (الأوّلين) حمزة وأبو بكر على أنه وصف للذين استحق عليهم مجرور أو منصوب على المدح . وسموا أوّلين لأنهم كانوا أوّلين فى الذكر فى قوله (شهادة بينكم) .

(٦) أى يميننا أحق بالقبول من يمين هذين الوصيّين الخائنين .

(٧) وما تجاوزنا الحق فى يميننا .

(٨) أى إن حلفنا كاذبين .

(٩) الذى مر ذكره من بيان الحكم .

(١٠) أقرب .

(١١) أى الشهداء على نحو تلك الحادثة .

(١٢) كما حملوها بلا خيانة فيها .

أَوْ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ (١) وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ (٢) وَٱسْمَعُواْ (٣) وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ (٤) ۝ يَوْمَ (٥) يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ (٦) قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ (٧) إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝ إِذْ (٨) قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ (٩) إِذْ أَيَّدتُّكَ (١٠) بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ (١١)

(١) أى تكرر أيمان شهود آخرين بعد أيمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم . فإن قلت ما معنى (أو) هنا ؟ قلت معناه ذلك أقرب من أن يؤدّوا الشهادة بالحق والصدق إما لله أو لخوف العار والافتضاح بردّ الأيمان . وقد احتج به من يرى ردّ اليمين على المدّعى . والجواب أن الورثة قد ادّعوا على النصرانيّين أنهما قد اختانا فحلفا . فلما ظهر كذبهما ادّعيا الشراء فيما كتما . فأنكرت الورثة . فكانت اليمين على الورثة لإنكارهما الشراء .

(٢) فى الخيانة واليمين الكاذبة .

(٣) سمع قبول وإجابة .

(٤) الخارجين عن الطاعة .

(٥) منصوب باذكروا أو احذروا .

(٦) ما الذى أجابتكم به أممكم حين دعوتموهم إلى الإيمان . وهذا السؤال توبيخ لمن أنكرهم . و (ماذا) منصوب بأجبتم نصب المصدر على معنى أىّ إجابة أجبتم .

(٧) بإخلاص قومنا . دليله (إنك أنت علام الغيوب) . أو بما أحدثوا بعدنا . دليله (كنت أنت الرقيب عليهم) . أو قالوا ذلك تأدّبا أى علمنا ساقط مع علمك ومغمور به فكأنه لا علم لنا .

(٨) بدل من يوم يجمع .

(٩) حيث طهرتها واصطفيتها على نساء العالمين .

(١٠) أى قويتك . عامل (إذ) (نعمتى) .

(١١) بجبريل عليه السلام . أيّد به لتثبت الحجة عليهم . أو بالكلام الذى يحيا به الدين . وأضافه إلى القدس لأنه سبب الطهر من أوضار الآثام . دليله (تكلّم الناس فى المهد) .

تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ (١) وَكَهْلًا (٢) وَإِذْ عَلَّمْتُكَ (٣) ٱلْكِتَٰبَ (٤) وَٱلْحِكْمَةَ (٥) وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ (٦) مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ (٧) ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى (٨) فَتَنفُخُ فِيهَا (٩) فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ (١٠) ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ (١١) بِإِذْنِى وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ (١٢) إِذْ جِئْتَهُم (١٣) بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ (١٤) مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ (١٥)

---

(١) حال أى تكلمهم طفلا إعجازا .

(٢) تبليغا .

(٣) معطوف على (إذ أيّدتك) . ونحوه (وإذ تخلق . وإذ تخرج . وإذ كففت . وإذ أوحيت) . .

(٤) الخط .

(٥) الكلام المحكم الصواب .

(٦) تقدّر .

(٧) هيئة مثل هيئة الطير .

(٨) بتسهيلى .

(٩) الضمير للكاف لأنها صفة الهيئة التى كان يخلقها عيسى وينفخ فيها ولا يرجع إلى الهيئة المضاف إليها لأنها ليست من خلقه . وكذا الضمير فى (فتكون) .

(١٠) عطف على (تخلق) .

(١١) من القبور أحياء . قيل أخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية .

(١٢) أى اليهود حين همّوا بقتله .

(١٣) ظرف لكففت .

(١٤) ساحر حمزة وعلىّ .

(١٥) ألهمت .

إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ[1] أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى[2] قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ[3] ﴿١١١﴾ إِذْ[4] قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ[5] هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ[6] أَن يُنَزِّلَ[7] عَلَيْنَا مَآئِدَةً[8] مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ[9] إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ[10] ﴿١١٢﴾ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا[11] وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا[12] وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا[13] وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ[14] ﴿١١٣﴾

---

(١) الخواصّ أو الأصفياء .

(٢) أى آمنوا .

(٣) أى اشهد بأننا مخلصون ، من أسلم وجهه .

(٤) أى اذكروا (إذ قال الحواريّون) .

(٥) (عيسى) نصب على اتباع حركته حركة الابن نحو يازيدّ بن عمرو .

(٦) هل يفعل أو هل يطيعك ربك إن سألته ، فاستطاع وأطاع بمعنى كاستجاب وأجاب . (هل تستطيع ربّك) علىّ . أى هل تستطيع سؤال ربك لحذف المضاف . والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله .

(٧) (ينْزل) مكى وبصرى .

(٨) هى الخوان إذا كان عليه الطعام من ماده إذا أعطاه كأنها تميد من تقدم إليها .

(٩) فى اقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات .

(١٠) إذ الإيمان يوجب التقوى .

(١١) تبركا .

(١٢) ونزداد يقينا كقول إبراهيم عليه السلام : (ولكن ليطمئن قلبى) .

(١٣) أى نعلم صدقك عيانا كما علمناه استدلالا .

(١٤) بما علينا لمن بعدنا . ولما كان السؤال لزيادة العلم لا للتعنت ، (قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة) .

قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ(١) رَبَّنَآ(٢) أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا(٣) لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا(٤) وَءَايَةً مِّنكَ(٥) وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ(٦) ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا(٧) عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ(٨) مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا(٩) لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ(١٠) أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ(١١) ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ(١٢) قَالَ سُبْحَٰنَكَ(١٣) مَا يَكُونُ لِىٓ(١٤) أَنْ أَقُولَ

(١) أصله يا ألله فحذف يا وعوض منه الميم .

(٢) نداء ثان .

(٣) أى يكون يوم نزولها عيدا . قيل هو يوم الأحد . ومن ثم اتخذه النصارى عيدا أو العيد السرور العائد . ولذا يقال يومُ عيدٍ فكان معناه تكون لنا سرورا وفرحا .

(٤) بدل من (لنا) بتكرير العامل أى لمن فى زماننا من أهل ديننا ولمن يأتى بعدنا. أو يأكل منها آخر الناس كما يأكل أولهم . أو للتقدمين منا والأتباع .

(٥) على صحة نبوتى . ثم أكد ذلك بقوله (وارزقنا وأنت خير الرازقين) .

(٦) وأعطنا ما سألناك وأنت خير المعطين .

(٧) بالتشديد مدنى وشامى وعاصم . وعد الإنزال وشرط عليهم شرطا بقوله (فمن يكفر بعد منكم) .

(٨) بعد إنزالها .

(٩) أى تعذيبا كالسلام بمعنى التسليم .

(١٠) الضمير للمصدر . ولو أريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بدّ من الباء .

(١١) عن الحسن أن المائدة لم تنزل . ولو نزلت لكانت عيدا إلى يوم القيامة لقوله (وآخرنا). والصحيح أنها نزلت. فعن وهب نزلت مائدة منكوسة تطير بها الملائكة عليها كل طعام إلا اللحم . وقيل كانوا يجدون عليها ما شاءوا . وقيل كانت تنزل حيث كانوا بكرة وعشيا .

(١٢) الجمهور على أن هذا السؤال يكون فى يوم القيامة . دليله سياق الآية وسباقها . وقيل خاطبه به حين رفعه إلى السماء . دليله لفظ (إذ) .

(١٣) من أن يكون لك شريك .

(١٤) ما ينبغى لى .

مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ(١) إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ(٢) تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي(٣) وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ(٤) إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ(٥) ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ(٦) أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا(٧) مَّا دُمْتُ فِيهِمْ(٨) فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ(٩) عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ(١٠) ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ(١١) ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا

(١) أن أقول قولا لا يحق لى أن أقوله .

(٢) إن صح أنى قلته فيما مضى فقد علمته . والمعنى أنى لا أحتاج إلى الاعتذار لأنك تعلم أنى لم أقله ولو قلته لعلمته لأنك (تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك) .

(٣) ذاتى .

(٤) ذاتك . فنفس الشيء ذاته وهويته . والمعنى تعلم معلومى ولا أعلم معلومك .

(٥) تقرير للجملتين معا . لأن ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب . ولأن ما يعلم علام الغيوب لا ينتهى إليه علم أحد .

(٦) أى ما أمرتهم إلا بما أمرتنى به . ثم فسّر ما أمر به فقال (أن اعبدوا الله) . فأن مفسرة بمعنى أى .

(٧) رقيبا .

(٨) مدّة كونى فيهم .

(٩) الحفيظ .

(١٠) من قولى وفعلى وقولهم وفعلهم .

(١١) قال الزجاج علم عيسى عليه السلام أن منهم من آمن ومنهم من أقام على الكفر. فقال فى جملتهم (إن تعذّبهم) أى إن تعذّب من كفر منهم (فإنهم عبادك) الذين علمتهم جاحدين لآياتك مكذبين لأنبيائك. وأنت العادل فى ذلك. فإنهم قد كفروا بعد وجوب الحجة عليهم (و إن تغفر لهم) أى لمن أقلع منهم وآمن ، فذلك فضل منك. وأنت عزيز لا يمتنع عليك ما تريد حكيم فى ذلك . أو (عزيز) قوىّ قادر على الثواب ، (حكيم) لا يعاقب إلا عن حكمة وصواب .

يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ[(١)] لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ[(٢)] وَرَضُوا۟ عَنْهُ[(٣)] ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ[(٤)] ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ[(٥)] وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ[(٦)] ﴿١٢٠﴾

---

(١) برفع اليوم والإضافة على أنه خبر هذا . أى يقول الله تعالى هذا يومٌ ينفع الصادقين فيه صدقهم المستمر فى دنياهم وآخرتهم. والجملة من المبتدأ والخبر فى محل النصب على المفعولية كما تقول قال زيد عمرو منطلق . وبالنصب نافع على الظرف ، أى قال الله هذا لعيسى عليه السلام يومَ ينفع الصادقين صدقهم . وهو يوم القيامة .

(٢) بالسعى المشكور .

(٣) بالجزاء الموفور .

(٤) لأنه باق بخلاف الفوز فى الدنيا فهو غير باق .

(٥) عظّم نفسه عما قالت النصارى إن معه إلها آخر .

(٦) من المنع والإعطاء والإيجاد والإفناء. نسأله أن يوفقنا لمرضاته، ويجعلنا من الفائزين بجناته . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

سورة الأنعام مكيّة

وهى مائة وخمس وستّون آية كوفىّ ، أربع وستّون بصرىّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى (١) خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ (٢) وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ (٣) ثُمَّ (٤) ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (٥) ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن (٦) طِينٍ

(١) تعليم اللفظ والمعنى مع تعريض الاستغناء . أى الحمد له وإن لم تحمدوه .

(٢) جمع السموات لأنها طباق بعضها فوق بعض. والأرض وإن كانت سبعة عند الجمهور فليس بعضها مواليا لبعض .

(٣) جعل يتعدّى الى مفعول واحد إذا كان بمعنى أحدث وأنشأ كما هنا. وإلى مفعولين إن كان بمعنى صيّر كقوله (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا) . وفيه ردّ قول الثنويّة بقدم النور والظلمة . وأفرد النور لإرادة الجنس ولأنّ ظلمة كلّ شىء تختلف باختلاف ذلك الشىء . نظيره ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الموضع المظلم يخالف كلّ واحد منها صاحبه . والنور ضرب واحد لا يختلف كما تختلف الظلمات . وقدّم الظلمات لقوله عليه السلام خلق الله خلقه فى ظلمة ثم رشّ عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضلّ .

(٤) بعد هذا البيان .

(٥) يساوون به الأوثان . تقول عدلت هذا بذا أى ساويته به . والباء فى (بربّهم) صلة للعدل لا للكفر. أو(ثمّ الذين كفروا بربّهم يعدلون) عنه أى يعرضون عنه فتكون الباء صلة للكفر وصلة (يعدلون) أى عنه محذوفة. وعطف (ثمّ الذين كفروا) على (الحمد لله) على معنى أنّ الله حقيق بالحمد على ما خلق لأنّه ما خلقه إلّا نعمة ثمّ الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته. او على (خلق السموات) على معنى أنّه خلق ما خلق ممّا لا يقدر عليه أحد سواه ثمّ هم يعدلون به ما لا يقدر على شىء منه . ومعنى (ثمّ) استبعاد أن يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته .

(٦) من لابتداء الغاية أى ابتدأ خلق أصلكم يعنى آدم منه .

ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا[١] وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ[٢] ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ[٣] ﴿﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ[٤] فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ[٥] يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ[٦] وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ[٧] ﴿﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ[٨] ءَايَةٍ مِّنْ[٩] ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ[١٠] ﴿﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟[١١] بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ[١٢] فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ[١٣] ﴿﴾

(١) أى حكم أجل الموت .

(٢) أجل القيامة . أو الأول مابين أن يخلق إلى أن يموت والثانى ما بين الموت والبعث وهو البرزخ. أو الأول النوم والثانى الموت. أو الثانى هو الأول وتقديره (و) هو (أجل مسمّى) أى معلوم . و (أجل مسمى) مبتدأ والخبر (عنده) . وقدّم المبتدأ وإن كان نكرة والخبر ظرفا وحقّه التأخير لأنّه تخصّص بالصفة فقارب المعرفة .

(٣) تشكّون من المرية ، أو تجادلون من المراء . ومعنى ثمّ استبعاد أن يمتروا فيه بعد ما ثبت أنّه محييهم ومميتهم وباعثهم .

(٤) مبتدأ وخبر .

(٥) متعلق بمعنى اسم الله كأنه قيل وهو المعبود فيهما كقوله (وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله) ؛ أو هو المعروف بالإلهية فيهما ؛ أو هو الذى يقال له الله فيهما . والأوّل تفريع على أنّه مشتقّ وغيره على أنّه غير مشتقّ .

(٦) خبر بعد خبر . أو كلام مبتدأ أى هو (يعلم سرّكم وجهركم) .

(٧) من الخير والشرّ ويثيب عليه ويعاقب .

(٨) (من) للاستغراق .

(٩) (من) للتبعيض. أى وما يظهر لهم دليل قطّ من الأدلّة التى يجب فيها النظر والاعتبار .

(١٠) تاركين للنظر لا يلتفتون إليه لقلّة خوفهم وتدبّرهم فى العواقب .

(١١) مردود على كلام محذوف كأنّه قيل إن كانوا معرضين عن الآيات (فقد كذّبوا) .

(١٢) أى بما هو أعظم آية وأكبرها وهو القرآن الذى تحدّوا به فعجزوا عنه .

(١٣) أى أنباء الشيء الذى كانوا به يستهزئون وهو القرآن أى أخباره وأحواله ، يعنى سيعلمون بأىّ شيء استهزءوا ، وذلك عند إرسال العذاب عليهم فى الدنيا ، أو يوم القيامة ، أو عند ظهور الإسلام وعلو كلمته .

أَلَمْ يَرَوْا[(١)] كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ[(٢)] مَّكَّنَّاهُمْ[(٣)] فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ[(٤)] وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ[(٥)] عَلَيْهِم مِّدْرَارًا[(٦)] وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ[(٧)] فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ[(٨)] وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ[(٩)] ۝ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا[(١٠)] فِي قِرْطَاسٍ[(١١)] فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ[(١٢)] لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ[(١٣)] ۝

---

(١) يعنى المكذّبين .

(٢) هو مدّة انقضاء أهل كلّ عصر وهو ثمانون سنة أو سبعون .

(٣) فى موضع جرّ صفة لقرن . وجمع على المعنى .

(٤) التمكين فى البلاد إعطاء المكنة . والمعنى لم نعط أهل مكة نحو ما أعطينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة فى الأجسام والسعة فى الأموال والاستظهار بأسباب الدنيا .

(٥) المطر .

(٦) كثيرا وهو حال من السماء .

(٧) من تحت أشجارهم . والمعنى عاشوا فى الخصب بين الأنهار والثمار ، وسُقْيا الغيث المدرار .

(٨) ولم يغن ذلك عنهم شيئا .

(٩) بدلا منهم .

(١٠) مكتوبا .

(١١) فى ورق .

(١٢) هو للتأكيد لئلا يقولوا سكّرت أبصارنا . ومن المحتجّ عليهم العمى .

(١٣) تعنّتا وعنادا للحقّ بعد ظهوره .

وَقَالُواْ لَوْلَآ(١) أُنزِلَ عَلَيْهِ(٢) مَلَكٌ(٣) وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ(٤) ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ(٥) ۝ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا(٦) لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا(٧) وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ(٨) ۝ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ(٩) فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ(١٠) ۝ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ(١١) كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝

---

(١) هلاّ .

(٢) على النبيّ صلّى الله عليه وسلم .

(٣) يكلّمنا أنّه نبيّ .

(٤) فقال الله (ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر) لقضى أمر هلاكهم .

(٥) لا يمهلون بعد نزوله طرفة عين لأنهم إذا شاهدوا ملكا فى صورته زهقت أرواحهم من هول ما يشاهدون . ومعنى (ثم) بعد ما بين الأمرين قضاء الأمر وعدم الإنظار . جعل عدم الإنظار أشدّ من قضاء الأمر لأنّ مفاجأة الشدّة أشدّ من نفس الشدّة .

(٦) ولو جعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا لأنهم كانوا يقولون تارة لولا أنزل على محمد ملك وتارة يقولون ما هذا إلا بشر مثلكم ولو شاء ربنا لأنزل ملائكة .

(٧) لأرسلناه فى صورة رجل ، كما كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أعم الأحوال فى صورة دحية ، لأنهم لا يبقون مع رؤية الملائكة فى صورهم .

(٨) ولخلطنا وأشكلنا عليهم من أمره إذا كان سبيله كسبيلك يا محمد فانهم يقولون إذا رأوا الملك فى صورة الإنسان هذا إنسان وليس بملك . يقال لبست الأمر على القوم وألبسته إذا أشبهته وأشكلته عليهم .

(٩) سلّى نبيّه على ما أصابه من استهزاء قومه . والدال مكسورة عند أبى عمرو وعاصم لالتقاء الساكنين . وضمّها غيرهما إتباعا لضمّ التاء .

(١٠) فأحاط بهم الشيء الذى كانوا يستهزئون به وهو الحق حيث أهلكوا من أجل استهزائهم به . و (منهم) متعلق بسخروا كقوله (فيسخرون منهم) . والضمير للرسل .

(١١) الفرق بين فانظروا و بين ثم انظروا أن النظر جعل مسببا عن السير فى فانظروا فكأنه قيل سيروا لأجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين . ومعنى سيروا فى الأرض ثم انظروا إباحة

قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ (1) قُل لِّلَّهِ (2) كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ (3) لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ (4) لَا رَيْبَ فِيهِ (5) ٱلَّذِينَ (6) خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَهُۥ (7) مَا سَكَنَ (8) فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (9) ﴿١٣﴾

السير فى الأرض للتجارة وغيرها وإيجاب النظر فى آثار الهالكين . ونبّه على ذلك بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح .

(1) (من) استفهام و(ما) بمعنى الذى فى موضع الرفع على الابتداء و(لمن) خبره .

(2) تقرير لهم أى هو لله لا خلاف بينى وبينكم ولا تقدروا أن تضيفوا منه شيئا إلى غيره .

(3) أصل كتب أوجب ولكن لا يجوز الإجراء على ظاهره إذ لا يجب على الله شىء للعبد فالمراد به أنه وعد ذلك وعدا مؤكدا وهو منجزه لا محالة . وذكر النفس للاختصاص ورفع الوسائط .

(4) ليجازيكم على إشراككم . أوعدهم على إغفالهم النظر وإشراكهم به من لا يقدر على خلق شىء .

(5) فى اليوم أو فى الجمع .

(6) نصب على الذم أى أريد الذين خسروا أنفسهم باختيارهم الكفر . وقال الأخفش (الذين) بدل من (كم) فى (ليجمعنكم) أى ليجمعن هؤلاء المشركين الذين خسروا أنفسهم . والوجه هو الأول لأن سيبويه قال لا يجوز مررت بى المسكين ولا بك المسكين فتجعل المسكين بدلا من الياء أو الكاف لأنهما فى غاية الوضوح فلا يحتاجان إلى البدل والتفسير .

(7) عطف على لله .

(8) (سكن) من السكنى حتى يتناول الساكن والمتحرك ، أو من السكون ومعناه ما سكن وتحرك فيهما فاكتفى بأحد الضدّين عن الآخر كقوله تقيكم الحر أى الحر والبرد . وذكر السكون لأنه أكثر من الحركة . وهو احتجاج على المشركين لأنّهم لم ينكروا أنّه خالق الكلّ ومدبّره .

(9) يسمع كلّ مسموع ويعلم كلّ معلوم فلا يخفى عليه شىء مما يشتمل عليه الملوان .

قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا (١) فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ (٢) وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ (٣) قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ (٤) وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (٥) ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٦) ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ (٧) يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ (٨) وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ (٩) ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ (١٠) فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ (١١) وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ (١٢) فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٣) ﴿١٧﴾

(١) ناصرا ومعبودا. وهو مفعول ثان لأتّخذ. والأوّل (غير). وإنما أدخل همزة الاستفهام على مفعول (أتّخذ) لا عليه لأنّ الإنكار فى اتّخاذ غير الله وليّاً لا فى اتّخاذ الولىّ فكان أحقّ بالتقديم.

(٢) بالجر صفة لله أى مخترعهما . وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما عرفت معنى الفاطر حتى اختصم إلىّ أعرابيان فى بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أى ابتدأتها .

(٣) وهو يَرزق ولا يُرزق . أى المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع .

(٤) لأنّ النبىّ سابق أمّته فى الإسلام كقوله (وبذلك أمرت وأنا أوّل المسلمين) .

(٥) وقيل لى (لا تكوننّ من المشركين).ولو عطف على ما قبله لفظا لقيل وأن لا أكون. والمعنى أمرت بالإسلام ونهيت عن الشرك .

(٦) أى إنى أخاف عذاب يوم عظيم وهو القيامة إن عصيت ربى . فالشرط معترض بين الفاعل والمفعول به ، محذوف الجواب .

(٧) (من يُصرَف عنه) العذاب . (من يَصرِف) حمزة وعلىّ وأبو بكر أى من يصرف الله عنه العذاب .

(٨) (فقد رحمه) الله الرحمة العظمى وهى النجاة .

(٩) النجاة الظاهرة .

(١٠) من مرض أو فقر أو غير ذلك من بلاياه .

(١١) فلا قادر على كشفه إلّا هو .

(١٢) من غنى أو صحّة .

(١٣) فهو قادر على إدامته وإزالته .

وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ(١) فَوْقَ عِبَادِهِۦ(٢) وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ(٣) ٱلْخَبِيرُ(٤) ﴿١٨﴾ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً(٥) قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدُۢ(٦) بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ(٧) أَئِنَّكُمْ(٨) لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ(٩) قُلْ(١٠) إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ(١١)

(١) مبتدأ وخبر. أى الغالب المقتدر .

(٢) خبر بعد خبر . أى عال عليهم بالقدرة . والقهر بلوغ المراد بمنع غيره من بلوغه .

(٣) فى تنفيذ مراده .

(٤) بأهل القهر من عباده .

(٥) (أىّ شىء) مبتدأ و(أكبر) خبره و(شهادة) تمييز. وأىّ كلمة يراد بها بعض ما تضاف إليه. فإذا كانت استفهاما كان جوابها مسمى باسم ما أضيفت إليه. وقوله (قل الله) جواب أى الله أكبر شهادة. فالله مبتدأ والخبر محذوف . فيكون دليلا على أنه يجوز إطلاق اسم الشىء على الله تعالى . وهذا لأن الشىء اسم للموجود ولا يطلق على المعدوم . والله تعالى موجود فيكون شيئا . ولذا نقول الله تعالى شىء لا كالأشياء .

(٦) أى هو (شهيد بينى وبينكم) .

ويجوز أن يكون الجواب (الله شهيد بينى وبينكم) . لأنّه إذا كان الله شهيدا بينه وبينهم فأكبر شىء شهادة شهيد له .

(٧) أى ومن بلغه القرآن إلى قيام الساعة . فى الحديث من بلغه القرآن فكأنما رأى محمدا صلى الله عليه وسلم. و(من) فى محل النصب بالعطف على(كُمْ). والمراد به أهل مكة. والعائد إليه محذوف أى ومن بلغه . وفاعل بلغ ضمير القرآن .

(٨) استفهام إنكار وتبكيت .

(٩) بما تشهدون .

(١٠) كرر توكيدا .

(١١) ما كافة لإنّ عن العمل . و (هو) مبتدأ . و(إله) خبره . و (واحد) صفة. أو بمعنى الذى فى محل النصب بإن و (هو) مبتدأ. و(إله) خبره. والجملة صلة الذى. و(واحد) خبر إن. وهذا الوجه أوقع .

وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ[1] ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ[2] يَعْرِفُونَهُۥ[3] كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ[4] ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ[5] فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ[6] ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ[7] مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ[8] عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا[9] أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ[10] إِنَّهُۥ[11] لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ[12] ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ[13] جَمِيعًا[14] ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟[15] أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ[16] ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ[17] ﴿٢٢﴾

---

(١) به .

(٢) يعنى اليهود والنصارى . والكتاب التوراة والإنجيل .

(٣) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليته ونعته الثابت فى الكتابين .

(٤) بحلاهم ونعوتهم . وهذا استشهاد لأهل مكة بمعرفة أهل الكتاب به وبصحة نبوته .

(٥) من المشركين ومن أهل الكتاب الجاحدين .

(٦) به .

(٧) استفهام يتضمن معنى النفى أى لا أحد أظلم لنفسه . والظلم وضع الشىء فى غير موضعه . وأشنعه اتخاذ المخلوق معبودا .

(٨) اختلق .

(٩) فيصفه بما لا يليق به .

(١٠) بالقرآن والمعجزات .

(١١) إن الأمر والشأن .

(١٢) جمعوا بين أمرين باطلين فكذبوا على الله ما لا حجة عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة حيث قالوا الملائكة بنات الله وسموا القرآن والمعجزات سحرا .

(١٣) هو مفعول به والتقدير (و) اذكر (يوم نحشرهم) .

(١٤) حال من ضمير المفعول .

(١٥) (ثم نقول للذين أشركوا) مع الله غيره ، توبيخا . وبالياء فيهما يعقوب .

(١٦) آلهتكم التى جعلتموها شركاء الله .

(١٧) أى تزعمونهم شركاء . فحذف المفعولان .

ثُمَّ لَمْ تَكُن (١) فِتْنَتُهُمْ (٢) إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا (٣) مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ۝ ٱنظُرْ (٤) كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ (٥) وَضَلَّ عَنْهُم (٦) مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ (٧) ۝ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ (٨)

(١) و بالياء حمزة وعليّ .

(٢) (فتنتهم) كفرهم . يعني ثمّ لم تكن عاقبة كفرهم الذى لزموه أعمارهم وقاتلوا عليه إلا جحوده والتبرّؤ منه والحلف على الانتفاء من التديّن به . أو ثمّ لم يكن جوابهم إلّا أن قالوا فسمّى فتنة لأنّه كذب. و برفع الفتنة مكيّ وشاميّ وحفص . فمن قرأ (تكن) بالتاء ورفع الفتنة فقد جعل الفتنة اسم تكن و (أن قالوا) الخبر . أى لم تكن فتنتهم إلا قولهم . ومن قرأ بالياء ونصب الفتنة جعل (أن قالوا) اسم يكن أى لم يكن فتنتهم إلا قولهم.ومن قرأ بالتاء ونصب الفتنة حمل على المقالة .

(٣) (ربّنا) حمزة وعليّ على النداء أى يا ربنا . وغيرهما بالجر على النعت من اسم الله .

(٤) يا محمد .

(٥) بقولهم ما كنّا مشركين . قال مجاهد إذا جمع الله الخلائق ورأى المشركون سعة رحمة الله وشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين قال بعضهم لبعض تعالوا نكتم الشرك لعلّنا نجو مع أهل التوحيد. فإذا قال لهم الله (أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون) قالوا (والله ربّنا ما كنّا مشركين) . فيختم الله على أفواههم فتشهد عليهم جوارحهم .

(٦) وغاب عنهم .

(٧) إلهيّته وشفاعته .

(٨) حين تتلو القرآن . روى أنه اجتمع أبو سفيان والوليد والنضر وأضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . فقالوا للنضر ما يقول محمد ؟ فقال والله ما أدرى ما يقول محمد إلّا أنّه يحرّك لسانه و يقول أساطير الأوّلين مثل ما حدّثتكم عن القرون الماضية . فقال أبو سفيان إنّى لأراه حقّا . فقال أبو جهل كلّا . فنزلت .

وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً[1] أَن يَفْقَهُوهُ[2] وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا[3] وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟[4] إِنْ هَٰذَآ[5] إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ[6] ﴿٢٥﴾ وَهُمْ[7] يَنْهَوْنَ عَنْهُ[8] وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ[9] وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ[10] ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ[11] إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ[12]

(١) أغطية جمع كنان وهو الغطاء مثل عنان وأعنّة .

(٢) كراهة (أن يفقهوه) .

(٣) ثقـلا يمنع من السمع . ووحّد الوقر لأنّه مصدر . وهو عطف على أكنّة . وهو حجة لنا فى الأصلح على المعتزلة .

(٤) (حتّى) هى التى تقع بعدها الجمل. والجملة قوله (إذا جاءوك...يقول الذين كفروا) . و(يجادلونك) فى موضع الحال . ويجوز أن تكون جارة ويكون (إذا جاءوك) فى موضع الجر بمعنى حتى وقت مجيئهم . و(يجادلونك) حال و(يقول الذين كفروا) تفسير له . والمعنى أنه بلغ تكذيبهم الآيات إلى أنهم يجادلونك ويناكرونك . وفسّر مجادلتهم بأنّهـم يقولون (إن هـذا إلّا أساطير الأوّلين) .

(٥) ما القرآن .

(٦) فيجعلون كلام الله أكاذيب . وواحد الأساطير أسطورة .

(٧) أى المشركون .

(٨) ينهون الناس عن القرآن أو عن الرسول واتّباعه والإيمان به .

(٩) ويبعدون عنه بأنفسهم . فيُضلّون ويَضلّون .

(١٠) (وإن يهلكون) بذلك (إلا أنفسهم وما يشعرون) أى لا يتعدّاهم الضرر إلى غيرهم وإن كانوا يظنّون أنّهم يضرّون رسول الله .

وقيل عنى به أبو طالب لأنّه كان ينهى قريشا عن التعرّض لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم وينأى عنه فلا يؤمن به . والأوّل أشبه .

(١١) حذف جوابه أى ولو ترى لشاهدت أمرا عظيما .

(١٢) أروها حتى يعاينوها أوحبسوا على الصراط فوق النار .

فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ(١) وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ(٢) بَدَا(٣) لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ(٤) مِن قَبْلُ(٥) وَلَوْ رُدُّواْ(٦) لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ(٧) وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ(٨) ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا(٩) وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ(١٠) عَلَىٰ رَبِّهِمْ(١١) قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا(١٢)

(١) إلى الدنيا . تمنّوا الردّ إلى الدنيا ليؤمنوا وتمّ تمنّيهم . ثمّ ابتدءوا (ولا نكذبُ بآيات ربّنا ونكونُ من المؤمنين) واعدين الإيمان كأنهم قالوا ونحن لا نكذب ونؤمن . (ولا نكذبَ، ونكونَ) حمزة وحفص على جواب التمنى بالواو و بإضمار أن. ومعناه إن رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين . وافقهما فى (ونكونَ) شامىّ .

(٢) للإضراب عن الوفاء بما تمنّوا .

(٣) ظهر لهم .

(٤) من الناس .

(٥) فى الدنيا من قبائحهم وفضائحهم فى صحفهم .

وقيل هو فى المنافقين وأنّه يظهر نفاقهم الذى كانوا يسرّونه ، أوفى أهل الكتاب وأنّه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحّة نبوّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

(٦) إلى الدنيا بعد وقوفهم على النار .

(٧) من الكفر .

(٨) فيما وعدوا من أنفسهم لا يوفون به .

(٩) عطف على (لعادوا) أى ولو ردوا لكفروا ولقالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا كما كانوا يقولون قبل معاينة القيامة،أو على قوله(وإنهم لكاذبون) أى وإنهم لقوم كاذبون فى كل شىء وهم الذين قالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا . و (هى) كناية عن الحياة أو هو ضمير القصّة .

(١٠) مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجانى بين يدى سيده ليعاقبه ، أو وقفوا على جزاء ربهم .

(١١) جواب لسؤال مقدر كأنه قيل ماذا قال لهم ربهم إذ وقفوا عليه فقيل قال .

(١٢) أى البعث .

بِٱلْحَقِّ(١) قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا(٢) قَالَ(٣) فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ(٤) ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ(٥) حَتَّىٰٓ(٦) إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ(٧) بَغْتَةً(٨) قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا(٩) عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا(١٠) فِيهَا(١١) وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ(١٢) عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ(١٣) أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ(١٤) ﴿٣١﴾

(١) بالكائن الموجود . وهذا تعيير لهم على التكذيب للبعث وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث ما هو بحق .

(٢) أقرّوا وأكّدوا الإقرار باليمين .

(٣) الله تعالى .

(٤) بكفركم .

(٥) ببلوغ الآخرة وما يتصل بها ، أو هو مجرى على ظاهره لأن منكر البعث منكر للرؤية .

(٦) غاية لكذبوا لا لخسر لأن خسرانهم لا غاية له .

(٧) أى القيامة لأنّ مدّة تأخّرها مع تأبّد ما بعدها كساعة واحدة .

(٨) فجأة . وانتصابها على الحال يعنى باغتة ، أو على المصدر كأنه قيل بغتتهم الساعة بغتة . وهى ورود الشىء على صاحبه من غير علمه بوقته .

(٩) نداء تفجع معناه ياحسرة احضرى فهذا أوانك .

(١٠) قصّرنا .

(١١) فى الحياة الدنيا ، أو فى الساعة أى قصّرنا فى شأنها وفى الإيمان بها .

(١٢) آثامهم .

(١٣) خصّ الظهر لأنّ المعهود حمل الأثقال على الظهور كما عهد الكسب بالأيدى . وهو مجاز عن اللزوم على وجه لا يفارقهم . وقيل إنّ الكافر إذا خرج من قبره استقبله أقبح شىء صورة وأخبثه ريحا فيقول أنا عملك السيئ فطالما ركبتنى فى الدنيا وأنا أركبك اليوم .

(١٤) بئس شيئا يحملونه . وأفاد (ألا) تعظيم ما يذكر بعده .

وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ(١) وَلَهْوٌ(٢) وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ(٣) خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ(٤) ۝ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ(٥) لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ(٦) وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ(٧) ۝ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ(٨) مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟(٩)

(١) جواب لقولهم إن هى إلا حياتنا الدنيا . واللعب ترك ما ينفع بما لا ينفع . واللهو الميل عن الجد إلى الهزل. قيل ما أهل الحياة الدنيا إلا أهل لعب ولهو .وقيل ما أعمال الحياة الدنيا إلا لعب ولهو لأنها لا تعقب منفعة كما تعقب أعمال الآخرة المنافع العظيمة .

(٢) مبتدأ .

(٣) صفتها.(ولدار الآخرة) بالإضافة شامى أى ولدار الساعة الآخرة لأن الشيء لا يضاف إلى صفته .وخبر المبتدأ على القراءتين (خير للذين يتقون) .وفيه دليل على أن ما سوى أعمال المتقين لعب ولهو .

(٤) بالتاء مدنى وحفص .

(٥) نزلت لما قال أبو جهل وما نكذبك يا محمد و إنك عندنا لمصدّق وإنما نكذب ما جئتنا به . والهاء ضمير الشان .

(٦) لا ينسبونك إلى الكذب . وبالتخفيف نافع وعلىّ من أكذبه إذا وجده كاذبا .

(٧) من إقامة الظاهر مقام المضمر . وفيه دلالة على أنهم ظلموا فى جحودهم . والباء يتعلق بيجحدون أو بالظالمين كقوله (فظلموا بها). والمعنى أن تكذيبك أمر راجع إلى الله لأنك رسوله المصدّق بالمعجزات فهم لا يكذّبونك فى الحقيقة وإنما يكذّبون الله لأنّ تكذيب الرسول تكذيب المرسل .

(٨) تسلية لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم . وهو دليل على أنّ قوله (فإنّهم لا يكذّبونك) ليس بنفى لتكذيبه . وإنما هو من قولك لغلامك إذا أهانه بعض الناس : إنهم لم يهينوك وإنما أهانونى .

(٩) الصبر حبس النفس على المكروه .

عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا[١] وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ[٢] وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِي ٱلْمُرْسَلِينَ[٣] ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ[٤] عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ[٥] فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا[٦] فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ[٧] فَتَأْتِيَهُم[٨] بِـَٔايَةٍ[٩] وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ[١٠] فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ[١١] ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ[١٢]

---

(١) على تكذيبهم وإيذائهم .

(٢) لمواعيده من قوله (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنّهم لهم المنصورون، إنا لننصر رسلنا) .

(٣) بعض أنبـائهم وقصصهم وما كابدوا من مصابرة المشركين . وأجاز الأخفش أن تكون من زائدة والفاعل نبأ المرسلين . وسيبويه لا يجيز زيادتها فى الواجب .

(٤) عظم وشقّ . كان يكبر على النبيّ صلّى الله عليه وسلم كفر قومه وإعراضهم ويحب مجيء الآيات ليسلموا فنزل .

(٥) عن الإسلام .

(٦) منفذا تنفذ فيه إلى ما تحت الأرض حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها .

(٧) صفة لنفقا .

(٨) منها .

(٩) فافعل وهو جواب (فإن استطعت). وإن استطعت وجوابها جواب (وإن كان كبر). والمعنى إنك لا تستطيع ذلك. والمراد بيان حرصه على إسلام قومه وأنه لو استطاع أن يأتيهم بآية من تحت الأرض أو من فوق السماء لأتى بها رجاء إيمانهم .

(١٠) لجعلهم بحيث يختارون الهدى ولكن لمـا علم أنّهم يختارون الكفر لم يشأ أن يجمعهم على ذلك كذا قاله الشيخ أبو منصور رحمه الله .

(١١) من الذين يجهلون ذلك .

(١٢) أى إنمـا يجيب دعاءك الذين يسمعون دعاءك بقلوبهم .

وَٱلْمَوْتَىٰ(١) يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ(٢) ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ(٣) عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ(٤) قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً(٥) وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(٦) ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ(٧) فِى ٱلْأَرْضِ(٨) وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ(٩) إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم(١٠) مَّا فَرَّطْنَا(١١) فِى ٱلْكِتَٰبِ(١٢) مِن شَىْءٍ(١٣) ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ(١٤) ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ(١٥)

(١) مبتدأ . أى الكفار .

(٢) فحينئذ يسمعون . وأما قبل ذلك فلا .

(٣) هلّا أنزل عليه .

(٤) كما نقترح من جعل الصفا ذهبا وتوسيع أرض مكّة وتفجير الأنهار خلالها .

(٥) كما اقترحوا .

(٦) أن الله قادر على أن ينزل تلك الآية، أو لا يعلمون ما عليهم فى الآية من البلاء لو أنزلت .

(٧) هى اسم لما يدبّ وتقع على المذكّر والمؤنّث .

(٨) فى موضع جرّ صفة لدابّة .

(٩) قيد الطيران بالجناحين لنفى المجاز لأنّ غير الطائر يقال فيه طار إذا أسرع .

(١٠) فى الخلق والموت والبعث والاحتياج إلى مدبّر يدبّر أمرها . وإنّما قال إلّا أمم مع إفراد الدابّة والطائر لمعنى الاستغراق فيهما .

(١١) ما تركنا .

(١٢) فى اللوح المحفوظ .

(١٣) من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ما وجب أن يثبت . أو الكتاب القرآن . وقوله (من شىء) أى من شىء يحتاجون إليه فهو مشتمل على ماتعبّدنا به عبارة و إشارة ودلالة واقتضاء.

(١٤) يعنى الأمم كلها من الدوابّ والطيور فينصف بعضها من بعض كما روى أنّه يأخذ للجمّاء من القرناء ثم يقول كونى ترابا .

ولما ذكر من خلائقه وآثار قدرته ما يشهد لربوبيته وينادى على عظمته قال : (والذين كذبوا بآياتنا صمّ) .

(١٥) لا يسمعون كلام المنبّه .

وَبُكْمٌ[1] فِي ٱلظُّلُمَٰتِ[2] مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ[3] وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ[4] ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ[5] إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ[6] إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ[7] ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ[8] فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ[9] إِن شَآءَ[10] وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ[11] ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ[12]

---

(١) لا ينطقون بالحقّ .

(٢) خابطون (فى الظلمات) أى ظلمة الجهل والحيرة والكفر ، غافلون عن تأمل ذلك والتفكير فيه . (صمّ وبكم) خبر الذين ودخول الواو لا يمنع من ذلك . وفى الظلمات خبر آخر .

(٣) قاله إيذانا بأنّه فعّال لما يريد . أى من يشأ الله ضلاله يضلله .

(٤) فيه دلالة خلق الأفعال وإرادة المعاصى ونفى الأصلح .

(٥) وبتليين الهمزة مدنىّ . وبتركه علىّ . ومعناه هل علمتم أن الأمر كما يقال لكم فأخبرونى بما عندكم . والضمير الثانى لا محل له من الإعراب . والتاء ضمير الفاعل . ومتعلق الاستخبار محذوف تقديره (أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة) من تدعون .

(٦) بكّتهم . أى أتخصّون آلهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم إذا أصابكم ضر أم تدعون الله دونها .

(٧) (إن كنتم صادقين) فى أنّ الأصنام آلهة فادعوها لتخلّصكم .

(٨) بل تخصّونه بالدعاء دون الآلهة .

(٩) أى ما تدعونه إلى كشفه .

(١٠) إن أراد أن يتفضّل عليكم .

(١١) وتتركون آلهتكم ، أو لا تذكرون آلهتكم فى ذلك الوقت لأن أذهانكم مغمورة بذكر ربّكم وحده إذ هو القادر على كشف الضرّ دون غيره .

ويجوز أن يتعلق الاستخبار بقوله (أغير الله تدعون) كأنه قيل أرأيتكم أغير الله تدعون إن أتاكم عذاب الله .

(١٢) (ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك) رسلا . فالمفعول محذوف .

فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (١) (٢) ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ (٣) وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ (٤) وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٥) ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ (٦) فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ (٧) حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ (٨) أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٩) ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ (١٠) وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١١) ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ (١٢)

---

(١) فكذبوهم (فأخذناهم بالبأساء والضراء) بالبؤس والضر . أو الأول القحط والجوع والثانى المرض ونقصان الأنفس والأموال .

(٢) يتذللون ويتخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم فالنفوس تتخشع عند نزول الشدائد.

(٣) أى هلا تضرعوا بالتوبة . ومعناه نفى التضرع كأنه قيل فلم يتضرعوا إذ جاءهم بأسنا . ولكنه جاء بلولا ليفيد أنه لم يكن لهم عذر فى ترك التضرع إلا عنادهم .

(٤) فلم يتزجروا بما ابتلوا به .

(٥) وصاروا معجبين بأعمالهم التى زينها الشيطان لهم .

(٦) من البأساء والضراء . أى تركوا الاتعاظ به ولم يزجرهم .

(٧) من الصحة والسعة وصنوف النعمة . (فتّحنا) شامى .

(٨) من الخير والنعمة .

(٩) آيسون متحسرون . وأصله الإطراق حزنا لما أصابه أو ندما على ما فاته . وإذا للفاجأة .

(١٠) أى أهلكوا عن آخرهم ولم يترك منهم أحد .

(١١) إيذان بوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة وأنه من أجل النعم وأجزل القسم أو احمدوا الله على إهلاك من لم يحمد الله .

ثم دل على قدرته وتوحيده بقوله (قل أرأيتم) .

(١٢) بأن أصمكم وأعماكم .

وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ[(١)] غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ[(٢)] ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ[(٣)] ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ[(٤)] ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً[(٥)] أَوْ جَهْرَةً[(٦)] هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ[(٧)] ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ[(٨)] فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ[(٩)] فَلَا خَوْفٌ[(١٠)] عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ[(١١)] بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ[(١٢)] ﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ

---

(١) فسلب العقول والتمييز .

(٢) بما أخذ وختم عليه . (من) رفع بالابتداء و (إله) خبره و (غير) صفة لإله وكذا (يأتيكم) والجملة فى موضع مفعولى (أرأيتم) . وجواب الشرط محذوف .

(٣) (نصرّف) لهم (الآيات) نكرّرها .

(٤) يعرضون عن الآيات بعد ظهورها . والصدوف الإعراض عن الشيء .

(٥) بأن لم تظهر أماراته .

(٦) بأن ظهرت أماراته . وعن الحسن ليلا أو نهارا .

(٧) ما يهلك هلاك تعذيب وسخط إلا الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بربّهم .

(٨) بالجنان والنيران للمؤمنين والكفار ولن نرسلهم ليقترح عليهم الآيات بعد وضوح أمرهم بالبراهين القاطعة والأدلة الساطعة .

(٩) أى داوم على إيمانه .

(١٠) (فلا خوفَ) يعقوب .

(١١) جعل العذاب ماسّا كأنّه حيّ يفعل بهم ما يريد من الآلام .

(١٢) بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة الله تعالى بالكفر .

عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ (١) وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ (٢) وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّى مَلَكٌ (٣) إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ (٤) قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِى ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ (٥) أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ (٦) ۝ وَأَنذِرۡ بِهِ (٧) ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ (٨) لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ (٩) لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ (١٠) ۝ وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِىِّ (١١) يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ

(١) أى قسمه بين الخلق وأرزاقه .

(٢) محله النصب عطفا على محل عندى خزائن الله لأنه من جملة المقول كأنه قال لا أقول لكم هذا القول ولا هذا القول .

(٣) أى لا أدّعى ما يستبعد فى العقول أن يكون لبشر من ملك خزائن الله وعلم الغيب ودعوى الملكية وإنما أدّعى ما كان لكثير من البشر وهو النبوّة .

(٤) أى ما أخبركم إلا بما أنزل الله علىّ .

(٥) مثل للضالّ والمهتدى أو لمن اتّبع ما يوحى إليه ومن لم يتّبع أو لمن يدّعى المستقيم وهو النبوّة والمحال وهو الإلهيّة .

(٦) فلا تكونوا ضالّين أشباه العميان أو فتعلموا أنّى ما ادّعيت ما لا يليق بالبشر أو فتعلموا أنّ اتّباع ما يوحى إلىّ ممّا لا بدّ لى منه .

(٧) بما يوحى .

(٨) هم المسلمون المقرّون بالبعث إلّا أنّهم مفرّطون فى العمل فينذرهم بما أوحى إليه ، أو أهل الكتاب لأنّهم مقرّون بالبعث .

(٩) فى موضع الحال من (يحشروا) أى (يخافون أن يحشروا) غير منصورين ولا مشفوعا لهم.

(١٠) يدخلون فى زمرة أهل التقوى .

(١١) لمّا أمر النبىّ عليه السلام بإنذار غير المتّقين ليتّقوا ، أمر بعد ذلك بتقريب المتّقين ونهى عن طردهم وأثنى عليهم بأنهم يواصلون دعاء ربهم أى عبادته و يواظبون عليها . والمراد بذكر الغداة والعشى الدوام ؛ أو معناه يصلون صلاة الصبح والعصر أو الصلوات الخمس . (بالغُدوة) شامى . ووسمهم بالإخلاص فى عبادتهم بقوله (يريدون وجهه) . فالوجه يعبر به عن ذات الشىء وحقيقته . نزلت فى الفقراء بلال وصهيب وعمار وأضرابهم حين قال

مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ (١) وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ (٢) فَتَطْرُدَهُمْ (٣) فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٤) ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ (٥) لِّيَقُولُوا (٦) أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا (٧) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ (٨) ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ (٩) كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ (١٠)

رؤساء المشركين لو طردت هؤلاء السقّاط لجالسناك . فقال عليه السلام ما أنا بطارد المؤمنين. فقالوا اجعل لنا يوما ولهم يوما وطلبوا بذلك كتابا . فدعا عليًا رضى الله عنه ليكتب . فقام الفقراء وجلسوا ناحية فنزلت . فرمى عليه الصلاة والسلام بالصحيفة وأتى الفقراء فعانقهم .

(١) كقوله (إن حسابهم إلا على ربّى) .

(٢) وذلك أنّهم طعنوا فى دينهم وإخلاصهم فقال حسابهم عليهم لازم لهم لا يتعدّاهم إليك كما أن حسابك عليك لا يتعداك إليهم .

(٣) جواب النفى وهو (ما عليك من حسابهم) .

(٤) جواب النهى وهو (ولا تطرد) . ويجوز أن يكون عطفا على (فتطردهم) على وجه التسبيب لأن كونه ظالما مسبب عن طردهم .

(٥) ومثل ذلك الفتن العظيم ابتلينا الأغنياء بالفقراء .

(٦) أى الأغنياء .

(٧) أى أنعم الله عليهم بالإيمان ونحن المقدّمون والرؤساء وهم الفقراء إنكارا لأن يكون أمثالهم على الحق وممنونا عليهم من بينهم بالخير . ونحوه (لو كان خيرا ما سبقونا إليه) .

(٨) بمن يشكر نعمته .

(٩) إما أن يكون أمرا بتبليغ سلام الله إليهم و إما أن يكون أمرا بأن يبدأهم بالسلام إكراما لهم وتطييبا لقلوبهم .

(١٠) من جملة ما يقول لهم ليبشّرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة منهم . ومعناه وعدكم بالرحمة وعدا مؤكدا .

أَنَّهُۥ(١) مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا(٢) بِجَهَٰلَةٍ(٣) ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ(٤) وَأَصْلَحَ(٥) فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ(٦) ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ(٧) سَبِيلُ(٨) ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ(٩) أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ(١٠) قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا(١١)

---

(١) الضمير للشأن .

(٢) ذنبا .

(٣) فى موضع الحال أى عمله وهو جاهل بما يتعلّق به من المضرّة ، أو جعل جاهلا لإيثاره المعصية على الطاعة .

(٤) من بعد السوء أو العمل .

(٥) وأخلص توبته .

(٦) (أنّه . فأنّه) شامىّ وعاصم . الأول بدل الرحمة والثانى خبر مبتدأ محذوف أى فشأنه أنّه غفور رحيم . (أنّه . فإنّه) مدنىّ الأول بدل الرحمة والثانى مبتدأ . (إنّه . فإنّه) غيرهم على الاستئناف . كأنّ الرحمة استفسرت فقيل (إنّه من عمل منكم) .

(٧) وبالياء حمزة وعلىّ وأبو بكر .

(٨) بالنصب مدنىّ . غيره بالرفع . فرفع السبيل مع التاء والياء لأنها تذكّر وتؤنّث . ونصب السبيل مع التاء على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم . يقال استبان الأمر وتبيّن واستبنته وتبيّنته . والمعنى ومثل ذلك التفصيل البيّن نفصّل آيات القرآن ونلخّصها فى صفة أحوال المجرمين من هو مطبوع على قلبه ومن يرجى إسلامه . ولتستوضح سبيلهم فتعامل كلّا منهم بما يجب أن يعامل به ، فصّلنا ذلك التفصيل .

(٩) أى صرفت وزجرت بأدلة العقل والسمع عن عبادة ما تعبدون من دون الله .

(١٠) أى لا أجرى فى طريقتكم التى سلكتموها فى دينكم من اتّباع الهوى دون اتّباع الدليل . وهو بيان للسبب الذى منه وقعوا فى الضلال .

(١١) أى إن اتبعت أهواءكم فأنا ضالّ .

وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ (١) ﴿٥٦﴾ قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ (٢) مِّن رَّبِّي وَكَذَّبۡتُم بِهِۦ (٣) مَا عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦٓ (٤) إِنِ ٱلۡحُكۡمُ (٥) إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ (٦) وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ (٧) ﴿٥٧﴾ قُل لَّوۡ أَنَّ عِندِي (٨) مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦ (٩) لَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ (١٠) وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ (١١) ﴿٥٨﴾ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ (١٢) لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ

(١) (وما أنا من المهتدين) فى شىء . يعنى أنكم كذلك .

(٢) لمّا نفى أن يكون الهوى متبعا نبّه على ما يجب اتّباعه أى إنّى من معرفة ربّى وأنّه لا معبود سواه على حجة واضحة .

(٣) حيث أشركتم به غيره . وقيل (على بيّنة من ربّى) على حجّة من جهة ربّى وهو القرآن (وكذّبتم به) بالبيّنة . وذكّر الضمير على تأويل البرهان أو البيان أو القرآن . ثم عقّبه بما دل على أنهم أحقّاء بأن يعاقبوا بالعذاب فقال (ما عندى) الخ .

(٤) يعنى العذاب الذى استعجلوه فى قولهم فأمطر علينا حجارة من السماء .

(٥) فى تأخير عذابكم .

(٦) (يقصّ) حجازى وعاصم أى يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدّره من قصّ أثره . الباقون (يقض الحق) أى القضاء الحق فى كل ما يقضى من التأخير والتعجيل . فالحق صفة لمصدر يقضى . وسقوط الياء من الخط لاتباع اللفظ لالتقاء الساكنين .

(٧) أى القاضين بالقضاء الحق إذ الفصل هو القضاء .

(٨) أى فى قدرتى وإمكانى .

(٩) من العذاب .

(١٠) لأهلكتكم عاجلا غضبا لربّى .

(١١) فهو ينزل عليكم العذاب فى وقت يعلم أنّه أردع .

(١٢) المفاتح جمع مفتح وهو المفتاح ، أو هى خزائن العذاب والرزق ، أو ما غاب عن العباد من الثواب والعقاب والآجال والأحوال. جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة لأن المفاتح يتوصّل بها إلى ما فى الخزائن المستوثق منها بالأغلاق والأقفال . ومن علم مفاتحها

وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ(١) وَٱلْبَحْرِ(٢) وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا(٣) وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ(٤) إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ(٥) ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ(٦) وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم(٧) بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ(٨) لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى(٩) ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ(١٠) ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ(١١) ﴿٦٠﴾

وكيفيّة فتحها توصّل إليها . فأراد أنّه هو المتوصّل إلى المغيّبات وحده لا يتوصّل إليهـا غيره كمن عنده مفاتح أقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل إلى مافى المخازن. قيل: عنده مفاتح الغيب ، وعندك مفاتح العيب . فمن آمن بغيبه ، أسبل الله الستر على عيبه .

(١) من النبات والدوابّ .

(٢) من الحيوان والجواهر وغيرهما .

(٣) ما للنفى ومن للاستغراق أى يعلم عددها وأحوالهـا قبل السقوط وبعده .

(٤) عطف على ورقة وداخل فى حكمها .

(٥) كالتكرير لقوله (إلّا يعلمها) لأن معنى (إلّا يعلمها) ومعنى (إلّا فى كتاب مبين) واحد وهو علم الله أو اللوح .

(٦) أى يقبض أنفسكم عن التصرّف بالتمـام فى المنام. خاطب الكفرة .

(٧) كسبتم فيه من الآثام .

(٨) ثم يوقظكم فى النهار . أو التقدير ثم يبعثكم فى النهار ويعلم ما جرحتم فيه فقدم الكسب لأنه أهمّ . وليس فيه أنّه لا يعلم ما جرحنا بالليل ولا أنّه لا يتوفّانا بالنهار. فدلّ أنّ تخصيص الشيء بالذكر لا يدلّ على نفى ما عداه .

(٩) لتوفّى الآجال على الاستكمال .

(١٠) رجوعكم بالبعث بعد الموت .

(١١) فى ليلكم ونهاركم . قال بعض أهل الكلام إنّ لكلّ حاسّة من هذه الحواسّ روحا تقبض عند النوم . فأمّا الروح التى تحيا بها النفس فإنّها لا تقبض إلّا عنـد انقضاء الأجل . والمراد بالأرواح المعانى والقوى التى تقوم بالحواس ويكون بها السمع والبصر والأخذ والمشى

وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً(١) حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ(٢) تَوَفَّتْهُ(٣) رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ(٤) ۝ ثُمَّ رُدُّوٓاْ(٥) إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ(٦) ٱلْحَقِّ(٧) أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ(٨) وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ(٩) ۝ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم(١٠) مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ(١١)

والشمّ . ومعنى ثمّ يبعثكم فيه أى يوقظكم ويردّ إليكم أرواح الحواسّ . فيستدلّ به على منكرى البعث لأنّه بالنوم يذهب أرواح هذه الحواس ثمّ يردّها إليها فكذا يحيي الأنفس بعد موتها .

(١) ملائكة حافظين لأعمالكم وهم الكرام الكاتبون ليكون ذلك أزجر للعباد عن ارتكاب الفساد إذا تفكّروا أنّ صحائفهم تقرأ على رءوس الأشهاد .

(٢) حتّى لغاية حفظ الأعمال . أى وذلك دأب الملائكة مع المكلّف مدّة الحياة إلى أن يأتيه الممات .

(٣) أى استوفت روحه وهم ملك الموت وأعوانه . توفيه واستوفيه بالإمالة حمزة . (رسلْنا) أبو عمرو .

(٤) لا يتوانون ولا يؤخّرون .

(٥) إلى حكمه وجزائه أى ردّ المتوفّون بردّ الملائكة .

(٦) مالكهم الذى يلى عليهم أمورهم .

(٧) العدل الذى لا يحكم إلّا بالحقّ . وهما صفتان لله .

(٨) (ألا له الحكم) يومئذ لا حكم فيه لغيره .

(٩) لا يشغله حساب عن حساب يحاسب جميع الخلق فى مقدار حلب شاة . وقيل الردّ إلى من رباك خير من البقاء مع من آذاك .

(١٠) (ينْجيكم) ابن عباس .

(١١) مجاز عن مخاوفهما وأهوالها أو ظلمات البرّ الصواعق والبحر الأمواج وكلا فى الغيم والليل .

تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا(١) وَخُفْيَةً(٢) لَّئِنْ(٣) أَنجَىٰنَا(٤) مِنْ هَٰذِهِۦ(٥) لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ(٦) ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم(٧) مِّنْهَا(٨) وَمِن كُلِّ كَرْبٍ(٩) ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ(١٠) ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ(١١) عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ(١٢) أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ(١٣) أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا(١٤) وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ(١٥) ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ(١٦)

(١) حال من ضمير المفعول فى (ينجيكم) .

(٢) معلنين الضراعة وهو مصدر فى موضع الحال .

(٣) كذلك . أى مسرّين فى أنفسكم . (خِفية) حيث كان أبو بكر وهما لغتان .

(٤) عاصم : و بالإمالة حمزة وعلى . الباقون (أنجيتنا) . والمعنى يقولون لئن خلصنا .

(٥) (من هذه) الظلمات .

(٦) لله تعالى .

(٧) بالتشديد كوفىّ .

(٨) من الظلمات .

(٩) وغمّ وحزن .

(١٠) ولا تشكرون .

(١١) هو الذى عرفتموه قادرا ، أو هو الكامل القدرة . فاللام يحتمل العهد والجنس .

(١٢) كما أمطر على قوم لوط وعلى أصحاب الفيل الحجارة .

(١٣) كما غرّق فرعون وخسف بقارون . أو من قبل سلاطينكم وسفلتكم. أو هو حبس المطر والنبات .

(١٤) أو يخلطكم فرقا مختلفين على أهواء شتّى كلّ فرقة منكم مشايعة لإمام. ومعنى خلطهم أن ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا فى ملاحم القتال .

(١٥) يقتل بعضكم بعضا. والبأس السيف. وعنه عليه الصلاة والسلام: سألت الله تعالى أن لا يبعث على أمتى عذابا من فوقهم أو من تحت أرجلهم فأعطانى ذلك وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنى وأخبرنى جبريل أن فناء أمتى بالسيف .

(١٦) بالوعد والوعيد .

لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ۝ وَكَذَّبَ بِهِۦ(١) قَوْمُكَ(٢) وَهُوَ ٱلْحَقُّ(٣) قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ(٤) ۝ لِّكُلِّ نَبَإٍ(٥) مُّسْتَقَرٌّ(٦) وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ(٧) ۝ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا(٨) فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ(٩) حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ(١٠) وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ(١١) فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ(١٢) مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم(١٣) مِّن شَىْءٍ(١٤) وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ(١٥) لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ(١٦) ۝ وَذَرِ ٱلَّذِينَ

(١) بالقرآن أو بالعذاب .

(٢) قريش .

(٣) أى الصدق أو لابدّ أن ينزل بهم .

(٤) بحفيظ وكل إلىّ أمركم إنّما أنا منذر .

(٥) لكلّ شيء ينبأ به . يعنى إنباءهم بأنّهم يعذّبون وإيعادهم به .

(٦) وقت استقرار وحصول لا بدّ منه .

(٧) تهديد .

(٨) أى القرآن . يعنى يخوضون فى الاستهزاء بها والطعن فيها . وكانت قريش فى أنديتهم يفعلون ذلك .

(٩) ولا تجالسهم وقم عنهم .

(١٠) غير القرآن ممّا يحلّ فحينئذ يجوز أن تجالسهم .

(١١) ما نهيت عنه . (يُنَسّينك) شامى . نسّى وأنسى واحد .

(١٢) بعد أن تذكر .

(١٣) من حساب هؤلاء الذين يخوضون فى القرآن تكذيبا واستهزاء .

(١٤) أى وما يلزم المتّقين الذين يجالسونهم شيء ممّا يحاسبون عليه من ذنوبهم .

(١٥) عليهم أن يذكروهم إذا سمعوهم يخوضون بالقيام عنهم وإظهار الكراهة لهم وموعظتهم. ومحل ذكرى نصب أى ولكن يذكّرونهم ذكرى أى تذكيرا . أو رفع والتقدير ولكن عليهم ذكرى . فذكرى مبتدأ والخبر محذوف .

(١٦) لعلّهم يجتنبون الخوض حياء أو كراهة لمساءتهم .

ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ(١) لَعِبًا وَلَهْوًا(٢) وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِۦٓ(٣) أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ(٤) لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ(٥) وَلَا شَفِيعٌ(٦) وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ(٧) لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ(٨) أُوْلَٰٓئِكَ(٩) ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ(١٠) بِمَا كَسَبُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ(١١) وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ(١٢) ﴿٧٠﴾ قُلْ(١٣) أَنَدْعُواْ(١٤) مِن دُونِ ٱللَّهِ(١٥)

(١) الذى كلّفوه ودعوا إليه وهو دين الإسلام .

(٢) سخروا به واستهزءوا . ومعنى ذرهم أعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم . واللهو ما يشغل الإنسان من هوى أو طرب .

(٣) وعظ بالقرآن .

(٤) مخافة أن تسلم إلى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء كسبها . وأصل الإبسال المنع .

(٥) ينصرها بالقوة .

(٦) يدفع عنها بالمسألة . ولا وقف على (كسبت) فى الصحيح لأنّ قوله (ليس لها) صفة لنفس . والمعنى وذكّر بالقرآن كراهة أن تبسل نفس عادمة وليا وشفيعا بكسبها .

(٧) نصب على المصدر . وإن تفد كلّ فداء . والعدل الفدية لأنّ الفادى يعدل المفدى بمثله .

(٨) فاعله (منها) لا ضمير العدل لأن العدل هنا مصدر فلا يسند إليه الأخذ . وأما فى قوله (ولا يؤخذ منها عدل) فبمعنى المفدّى به فصحّ إسناده إليه .

(٩) إشارة إلى المتّخذين من دينهم لعبا ولهوا . وهو مبتدأ .

(١٠) الخبر .

(١١) أى ماء سخين حارّ . خبر ثان لأولئك والتقدير أولئك المبسلون ثابت لهم شراب من حميم . أو مستأنف .

(١٢) بكفرهم .

(١٣) (قل) لأبى بكر يقل لابنه عبد الرحمن وكان يدعو أباه إلى عبادة الأوثان .

(١٤) أنعبد .

(١٥) الضارّ النافع .

مَا لَا يَنفَعُنَا(١) وَلَا يَضُرُّنَا(٢) وَنُرَدُّ(٣) عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا(٤) بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ(٥) كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ(٦) فِى ٱلْأَرْضِ(٧) حَيْرَانَ(٨) لَهُۥٓ(٩) أَصْحَـٰبٌ(١٠) يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى(١١) ٱئْتِنَا(١٢) قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ(١٣)(١٤) وَأُمِرْنَا(١٥) لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝ وَأَنْ(١٦) أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ

(١) ما لا يقدر على نفعنا لو دعوناه .

(٢) إن تركناه .

(٣) وأنرد .

(٤) راجعين إلى الشرك .

(٥) للإسلام وأنقذنا من عبادة الأصنام .

(٦) كالذى ذهبت به الغيلان ومردة الجنّ . والكاف فى محل النصب على الحال من الضمير فى (نردّ) على أعقابنا . أى أننكص مشبهين من استهوته الشياطين . وهو استفعال من هوى فى الأرض إذا ذهب فيها كأنّ معناه طلبت هويّه .

(٧) فى المهمه .

(٨) حال من مفعول استهوته أى تائها ضالّا عن الجادّة لا يدرى كيف يصنع .

(٩) لهذا المستهوى .

(١٠) رفقة .

(١١) إلى أن يهدوه الطريق . سمّى الطريق المستقيم الهدى .

(١٢) يقولون له (ائتنا) وقد اعتسف المهمه تابعا للجنّ لا يجيبهم ولا يأتيهم . وهذا مبنى على ما يقال إنّ الجنّ تستهوى الانسان والغيلان تستولى عليه . فشبّه به الضالّ عن طريق الإسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه إليه فلا يلتفت إليهم .

(١٣) وهو الإسلام .

(١٤) وحده وما وراءه ضلال .

(١٥) محلّه النصب بالعطف على محلّ (إنّ هدى الله هو الهدى) على أنّهما مقولان كأنّه قيل قل هذا القول وقل (أمرنا) .

(١٦) والتقدير وأمرنا لأن نسلم ولأن أقيموا أى للإسلام ولإقامة الصلاة .

وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِيَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (١) ﴿٧٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ (٢) وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ (٣) قَوْلُهُ الْحَقُّ (٤) وَلَهُ الْمُلْكُ (٥) يَوْمَ يُنفَخُ (٦) فِي الصُّورِ (٧) عَٰلِمُ الْغَيْبِ (٨) وَالشَّهَٰدَةِ (٩) وَهُوَ الْحَكِيمُ (١٠) الْخَبِيرُ (١١) ﴿٧٣﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ (١٢) أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً (١٣) إِنِّيَ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ (١٤)

---

(١) يوم القيامة .

(٢) بالحكمة أو محقا .

(٣) على الخبر دون الجواب .

(٤) مبتدأ و (يوم يقول) خبره مقدّما عليه كما تقول يوم الجمعة قولك الصدق أى قولك الصدق كائن يوم الجمعة . واليوم بمعنى الحين . والمعنى أنّه خلق السموات والأرض بالحقّ والحكمة وحين يقول لشيء من الأشياء كن فيكون ذلك الشيء قوله الحقّ والحكمة . أى لا يكوّن شيئا من السموات والأرض وسائر المكوّنات إلّا عن حكمة وصواب .

(٥) مبتدأ وخبر .

(٦) ظرف لقوله (وله الملك) .

(٧) هو القرن بلغة اليمن ، أو جمع صورة .

(٨) هو (عالم الغيب) .

(٩) أى السرّ والعلانية .

(١٠) فى الإفناء والإحياء .

(١١) بالحساب والجزاء .

(١٢) هو اسم أبيه أو لقبه لأنّه خلاف بين النسّابين أنّ اسم أبيه تارح. وهو عطف بيان لأبيه وزنه فاعل .

(١٣) استفهام توبيخ أى أتتّخذها آلهة وهى لا تستحقّ الإلهية .

(١٤) أى وكما أريناه قبح الشرك .

نُرِىٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ[1] وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ[2] ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ[3] رَءَا كَوۡكَبٗا[4] قَالَ هَٰذَا رَبِّي[5] فَلَمَّآ أَفَلَ[6] قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ[7] ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا[8] قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ

(١) أى نرى ببصيرته لطائف خلق السموات والأرض . و(نرى) حكاية حال ماضية. والملكوت أبلغ من الملك لأن الواو والتـاء تزادان للمبالغة . قال مجاهد فرجت له السموات السبع فنظر إلى ما فيهنّ حتى انتهى نظره إلى العرش وفرجت له الأرضـون السبع حتى نظر إلى ما فيهنّ .

(٢) (وليكون من الموقنين) فعلنا ذلك . أو ليسـتدلّ (وليكون من الموقنين) عيانا كما أيقن بيانا .

(٣) أى أظلم وهو عطف على (قال إبراهيم لأبيه) . وقوله (وكذلك نرى إبراهيم) جملة اعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه .

(٤) أى الزُهَرة أو المشـترى . وكان أبوه وقومه يعبدون الأصـنام والشمس والقمر والكواكب فأراد أن ينبّههم على الخطأ فى دينهم وأن يرشدهم إلى طريق النظر والاسـتدلال ويعرفهم أن النظر الصحيح مؤدّ إلى أنّ شيئا منها ليس بإله لقيام دليل الحدوث فيها ولأنّ لها محدثا أحدثها ومدبّرا دبّر طلوعها وأفولها وانتقالها ومسيرها وسائر أحوالها .

(٥) فلما رأى الكوكب الذى كانوا يعبدونه قال لهم (هذا ربّى) فى زعمكم، أو المرادأهذا استهزاء بهم وإنكارا عليهم . والعرب تكتفى عن حرف الاستفهام بنغمة الصوت . والصحيح أنّ هذا قول من ينصف خصمه مع علمه أنّه مبطل فيحكى قوله كما هو غير متعصّب لمذهبه لأنّه أدعى إلى الحقّ وأنجى من الشغب ثم يكرّ عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة .

(٦) غاب .

(٧) أى لا أحبّ عبـادة الأرباب المتغيّرين عن حال إلى حال لأنّ ذلك من صفات الأجسام .

(٨) مبتدئا فى الطلوع .

قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (١) ۝ فَلَمَّا رَءَا الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي (٢) هَٰذَا أَكْبَرُ (٣) فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٤) ۝ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ (٥) حَنِيفًا (٦) وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧) ۝ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ (٨) قَالَ أَتُحَٰجُّوٓنِّي فِي اللَّهِ (٩) وَقَدْ هَدَىٰنِ (١٠) وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا (١١)

(١) نبّه قومه على أنّ من اتّخذ القمر إلها فهو ضالّ . وإنّما احتجّ عليهم بالأفول دون البزوغ ، وكلاهما انتقال من حال إلى حال ؛ لأنّ الاحتجاج به أظهر لأنّه انتقال مع خفاء واحتجاب .

(٢) وإنّما ذكّره لأنّه أراد الطالع أو لأنّه جعل المبتدأ مثل الخبر لأنّهما شيء واحد معنى وفيه صيانة الربّ عن شبهة التأنيث . ولهذا قالوا في صفات الله تعالى علّام ولم يقولوا علّامة وإن كان الثاني أبلغ تفاديا من علامة التأنيث .

(٣) من باب استعمال النصفة أيضا مع خصومه .

(٤) من الأجرام التي تجعلونها شركاء لخالقها . وقيل هذا كان نظره واستدلاله في نفسه فحكاه الله تعالى . والأول أظهر لقوله (يا قوم إنّي بريء مما تشركون) .

(٥) أي للذي دلّت هذه المحدثات على أنّه منشئها .

(٦) حال أي مائلا عن الأديان كلّها إلى الإسلام .

(٧) (وما أنا من المشركين) بالله شيئا من خلقه .

(٨) في توحيد الله تعالى ونفي الشركاء عنه .

(٩) في توحيده . (أتحاجوني) مدنيّ وابن ذكوان .

(١٠) إلى التوحيد . وبالياء في الوصل أبو عمرو .

(١١) لمّا خوّفوه أنّ معبوداتهم تصيبه بسوء قال ذلك . أي لا أخاف معبوداتكم في وقت قطّ لأنّها لا تقدر على منفعة ولا مضرّة إلّا إذا شاء ربّي أن يصيبني منها بضرّ فهو قادر على أن يجعل فيما شاء نفعا وفيما شاء ضرّا لا الأصنام .

وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا[١] أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ[٢] ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ[٣] وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ[٤] عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا[٥] فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ[٦] أَحَقُّ بِالْأَمْنِ[٧] إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ[٨] ﴿٨١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوٓا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ[٩] أُولَٰٓئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ[١٠] ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ[١١] ءَاتَيْنَاهَآ[١٢] إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ[١٣] إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ[١٤] عَلِيمٌ[١٥] ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ[١٦] إِسْحَٰقَ

(١) فلا يصيب عبدا شيء من ضرّ أو نفع إلا بعلمه .

(٢) فتميّزوا بين القادر والعاجز .

(٣) معبوداتكم وهى مأمونة الخوف .

(٤) بإشراكه .

(٥) حجة إذ الإشراك لا يصح أن يكون عليه حجة . والمعنى وما لكم تنكرون علىّ الأمن فى موضع الأمن ولا تنكرون على أنفسكم الأمن فى موضع الخوف .

(٦) أىّ فريق الموحّدين والمشركين .

(٧) من العذاب .

(٨) ولم يقل فأيّنا احترازا من تزكية نفسه . ثم استأنف الجواب عن السؤال بقوله (الذين آمنوا) .

(٩) بشرك، عن الصدّيق رضى الله عنه .

(١٠) تمّ كلام إبراهيم عليه السلام .

(١١) إشارة إلى جميع ما احتج به إبراهيم عليه السلام على قومه من قوله (فلما جنّ عليه الليل) إلى (وهم مهتدون) .

(١٢) هو خبر بعد خبر .

(١٣) (نرفع درجاتٍ من نشاء) فى العلم والحكمة . وبالتنوين كوفىّ . وفيه نقض قول المعتزلة فى الأصلح .

(١٤) بالرفع .

(١٥) بالأهل .

(١٦) لإبراهيم .

وَيَعْقُوبَ كُلًّا[(١)] هَدَيْنَا وَنُوحًا[(٢)] هَدَيْنَا مِن قَبْلُ[(٣)] وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ[(٤)] دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ[(٥)] وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ[(٦)] ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ[(٧)] مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ[(٨)] ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ[(٩)] وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ[(١٠)] ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ[(١١)] وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَـٰهُمْ وَهَدَيْنَـٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ[(١٢)] ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ[(١٣)] يَهْدِى بِهِۦ

---

(١) أى كلّهم وانتصب كلّا بهدينا .

(٢) أى وهدينا نوحا .

(٣) من قبل إبراهيم .

(٤) الضمير لنوح أو لإبراهيم. والأوّل أظهر لأنّ يونس ولوطا لم يكونا من ذرّية إبراهيم.

(٥) والتقدير وهدينا من ذرّيته هؤلاء .

(٦) ونجزى المحسنين جزاء مثل ذلك . فالكاف فى موضع نصب نعت لمصدر محذوف .

(٧) أى كلّهم .

(٨) وذكر عيسى معهم دليل على أن النسب يثبت من قبل الأمّ أيضا لأنّه جعله من ذرّية نوح عليه السلام وهو لا يتّصل به إلا بالأم . وبذا أجيبَ الحجاج حين أنكر أن يكون بنو فاطمة أولاد النبىّ عليه السلام .

(٩) (واللّيسع) حيث كان بلامين حمزة وعلىّ .

(١٠) بالنبوّة والرسالة .

(١١) فى موضع النصب عطفا على (كلّا) أى وفضّلنا بعض آبائهم .

(١٢) أى ما دان به هؤلاء المذكورون .

(١٣) دين الله .

مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ (١) وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ (٢) لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٣) ۝ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ (٤) وَٱلْحُكْمَ (٥) وَٱلنُّبُوَّةَ (٦) فَإِن يَكْفُرْ بِهَا (٧) هَـٰٓؤُلَآءِ (٨) فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا (٩) لَّيْسُوا۟ بِهَا (١٠) بِكَـٰفِرِينَ (١١) ۝ أُو۟لَـٰٓئِكَ (١٢) ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ (١٣)

(١) فيه نقض قول المعتزلة لأنّهم يقولون إنّ الله شاء هداية الخلق كلّهم لكنّهم لم يهتدوا .

(٢) مع فضلهم وتقدّمهم وما رفع لهم من الدرجات العلا .

(٣) لبطلت أعمالهم كما قال (لئن أشركت ليحبطن عملك) .

(٤) يريد الجنس .

(٥) والحكمة أو فهم الكتاب .

(٦) وهى أعلى مراتب البشر .

(٧) بالكتاب والحكم والنبوة أو بآيات القرآن .

(٨) أى أهل مكّة .

(٩) هم الأنبياء المذكورون ومن تابعهم بدليل قوله (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)، أو أصحاب النبيّ عليه السلام ، أو كلّ من آمن به ، أو العجم . ومعنى توكيلهم بها أنّهم وفقّوا للإيمان بها والقيام بحقوقها كما يوكّل الرجل بالشيء ليقوم به ويتعهّده ويحافظ عليه .

(١٠) الباء صلة كافرين .

(١١) الباء لتأكيد النفى .

(١٢) أى الأنبياء الذين مرّ ذكرهم .

(١٣) فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتـد إلا بهم . وهذا معنى تقديم المفعول . والمراد بهداهم طريقتهم فى الإيمان بالله وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع فهى مختلفة . والهـاء فى (اقتده) للوقف تسقط فى الوصل . واستحسن إيثار الوقف لثبات الهاء فى المصحف . ويحذفها حمزة وعلىّ فى الوصل . ويختلسها شامىّ .

قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ(١) أَجْرًا(٢) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَـٰلَمِينَ(٣) ﴿٩٠﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ(٤) قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا(٥) وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا(٦) وَعُلِّمْتُم(٧) مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ(٨) قُلِ ٱللَّهُ(٩) ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ(١٠) يَلْعَبُونَ(١١) ﴿٩١﴾ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ(١٢) مُبَارَكٌ(١٣) مُّصَدِّقُ

---

(١) على الوحى أو على تبليغ الرسالة والدعاء إلى التوحيد .

(٢) جعلا . وفيه دليل على أن أخذ الأجر على تعليم القرآن ورواية الحديث لا يجوز .

(٣) ما القرآن إلّا عظة للجنّ والإنس .

(٤) أى ما عرفوه حقّ معرفته فى الرحمة على عباده حين أنكروا بعثة الرسل والوحى إليهم . وذلك من أعظم رحمته (وما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين). روى أنّ جماعة من اليهود منهم مالك ابن الصيف كانوا يجادلون النبىّ عليه السلام فقال النبىّ عليه السلام له أليس فى التوراة أنّ الله يبغض الحبر السمين ؟ قال نعم. قال فأنت الحبر السمين . فغضب وقال ما أنزل الله على بشر من شىء . و (حقّ قدره) منصوب نصب المصدر .

(٥) حال من الضمير فى (به) أو من (الكتاب) .

(٦) ممّا فيه نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم . أى بعّضوه وجعلوه قراطيس مقطّعة وورقات مفرّقة ليتمكّنوا ممّا راموا من الإبداء والإخفاء . وبالياء فى الثلاثة مكىّ وأبو عمرو .

(٧) يأهل الكتاب بالكتاب .

(٨) من أمور دينكم ودنياكم .

(٩) جواب . أى أنزله الله فإنهم لا يقدرون أن يناكروك .

(١٠) فى باطلهم الذى يخوضون فيه .

(١١) حال من (ذرهم) أو من (خوضهم) .

(١٢) على نبينا عليه السلام .

(١٣) كثير المنافع والفوائد .

ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ[1] وَلِتُنذِرَ[2] أُمَّ ٱلْقُرَىٰ[3] وَمَنْ حَوْلَهَا[4] وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ[5] يُؤْمِنُونَ بِهِۦ[6] وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ[7] ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا[8] أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ[9] وَمَن[10] قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ[11]

---

(١) من الكتب .

(٢) و بالياء أبو بكر أى الكتاب . وهو معطوف على ما دلّ عليه صفة الكتاب . كأنّه قيل أنزلناه للبركات وتصديق ما تقدّمه من الكتب ولإنذار أمّ القرى .

(٣) مكّة . وسميت أمّ القرى لأنّها سرّة الأرض وقبلة أهل القرى وأعظمها شأنا ولأنّ النـاس يؤمّونها .

(٤) أهل الشرق والغرب .

(٥) يصدّقون بالعاقبة ويخافونها .

(٦) بهذا الكتاب . فأصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن .

(٧) خصّت الصلاة بالذكر لأنّها علم الإيمان وعماد الدين فمن حافظ عليها يحافظ على أخواتها ظاهرا .

(٨) هو مالك بن الصيف .

(٩) هو مسيلمة الكذّاب .

(١٠) فى موضع جرّ عطف على (من افترى) أى وممّن قال .

(١١) أى سأقول وأملى. هو عبد الله بن سعد بن أبى سرح كاتب الوحى. وقد أملى النبيّ عليه السلام عليه (ولقد خلقنا الإنسان) إلى (خلقا آخر) . فجرى على لسانه (فتبارك الله أحسن الخالقين) فقال اكتبها فكذلك نزلت . فشكّ وقال إن كان محمد صادقا فقد أوحى إلىّ كما أوحى إليه وإن كان كاذبا فقـد قلت كما قال . فارتدّ ولحق بمكّة . أو النضر بن الحرث . كان يقول والطاحنات طحنا فالعاجنات عجنا فالخابزات خبزا كأنّه يعارض .

وَلَوْ تَرَىٰٓ(١) إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ(٢) فِى غَمَرَٰتِ(٣) ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ(٤) ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ(٥) بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ(٦) وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ(٧) ۝ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا(٨) فُرَٰدَىٰ(٩) كَمَا(١٠) خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ(١١) وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ(١٢) وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ(١٣) وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ

(١) جوابه محذوف أى لرأيت أمرا عظيما .

(٢) يريد الذين ذكرهم من اليهود والمتنبئة فتكون اللام للعهد . ويجوز أن تكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء لاشتماله .

(٣) شدائده وسكراته .

(٤) أى يبسطون إليهم أيديهم يقولون هاتوا أرواحكم أخرجوها إلينا من أجسادكم . وهذه عبارة عن التشديد فى الإزهاق من غير تنفيس و إمهال .

(٥) أرادوا وقت الإماتة وما يعذّبون به من شدّة النزع . والهون الهوان الشديد . و إضافة العذاب إليه كقولك رجل سوء . يريد العراقة فى الهوان والتمكّن فيه .

(٦) من أنّ له شريكا وصاحبة وولدا . و(غير الحقّ) مفعول (تقولون) أو وصف لمصدر محذوف أى قولا غير الحقّ .

(٧) فلا تؤمنون بها .

(٨) للحساب والجزاء .

(٩) منفردين بلا مال ولا معين . وهو جمع فريد كأسير وأسارى .

(١٠) فى محلّ النصب صفة لمصدر جئتمونا أى مجيئا مثل ما خلقناكم .

(١١) على الهيئات التى ولدتم عليها فى الانفراد .

(١٢) ملّكناكم .

(١٣) ولم تحتملوا منه نقيرا .

شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ (١) لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ (٢) وَضَلَّ (٣) عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٤) ﴿٩٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ (٥) يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ (٦) وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ (٧) ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ (٨) فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٩) ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ (١٠)

(١) فى استعبادكم .

(٢) (بينُكم) وصلكم عن الزجاج . والبين الوصل والهجر قال :

فوالله لولا البين لم يكن الهوى * ولولا الهوى ما حنّ للبين آلف

(بينَكم) مدنىّ وعلىّ وحفص أى وقع التقطّع بينكم .

(٣) وضاع وبطل .

(٤) أنّها شفعاؤكم عند الله .

(٥) بالنبات والشجر . أى فلق الحبّ عن السنبلة والنواة عن النخلة . والفلق الشقّ. وعن مجاهد أراد الشقّين اللذين فى النواة والحنطة .

(٦) النبات الغضّ النامى من الحبّ اليابس .

(٧) الحب اليابس من النبات النامى . أو الإنسان من النطفة والنطفة من الإنسان . أو المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن . فاحتجّ الله عليهم بما يشاهدونه من خلقه لأنّهم أنكروا البعث . وأعلمهم أنه الذى خلق هذه الأشياء فهو يقدر على بعثهم . وإنما قال (ومخرج الميت) بلفظ اسم الفاعل لأنه معطوف على فالق الحب لا على الفعل. و(يخرج الحيّ من الميّت) موقعه موقع الجملة المبيّنة لقوله (فالق الحبّ والنوى) لأنّ فلق الحب والنوى بالنبات والشجر الناميين من جنس إخراج الحيّ من الميّت لأنّ النامى فى حكم الحيوان . دليله قوله (ويحيي الأرض بعد موتها) .

(٨) ذلكم المحيي والمميت هو الله الذى تحقّ له الربوبيّة لا الأصنام .

(٩) فكيف تصرفون عنه وعن تولّيه إلى غيره بعد وضوح الأمر بما ذكرنا .

(١٠) هو مصدر سمّى به الصبح . أى شاقّ عمود الصبح عن سواد الليل . أو خالق نور النهار .

وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا[1] وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ[2] حُسْبَانًا[3] ذَٰلِكَ[4] تَقْدِيرُ[5] ٱلْعَزِيزِ[6] ٱلْعَلِيمِ[7] ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ[8] لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ[9] قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ[10] ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ[11] فَمُسْتَقَرٌّ[12] وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ[13] ﴿٩٨﴾

(١) (وجَعَلَ الليلَ) كوفىّ لأنّ اسم الفاعل الذى قبله بمعنى المضىّ فلمّا كان فالق بمعنى فلق عطف عليه جعل لتوافقهما معنى .

(٢) مسكونا فيه من قوله (لتسكنوا فيه) . أى ليسكن فيه الخلق عن كدّ المعيشة إلى نوم الغفلة ، أو عن وحشة الخلق إلى الأنس بالحقّ .

(٣) انتصبا بإضمار فعل يدل عليه جاعل الليل أى وجعل الشمس والقمر .

(٤) أى جعلهما على حسبان لأن حساب الأوقات يعلم بدورهما وسيرهما . والحسبان بالضم مصدر حَسَب كما أن الحِسبان بالكسر مصدر حسِب .

(٥) إشارة إلى جعلهما حسبانا أى ذلك التسيير بالحساب المعلوم .

(٦) الذى قهرهما وسخّرهما .

(٧) بتدبيرهما وتدويرهما .

(٨) خلقها .

(٩) أى فى ظلمات الليل بالبرّ وبالبحر . وأضافها إليهما لملابستها لهما . أو شبّه مشتبهات الطرق بالظلمات .

(١٠) قد بيّنا الآيات الدالّة على التوحيد لقوم يعلمون .

(١١) هى آدم عليه السلام .

(١٢) (فمستقِرّ) بالكسر مكىّ وبصرىّ . فمن فتح القاف كان المستودع اسم مكان مثله . ومن كسرها كان اسم فاعل والمستودع اسم مفعول . يعنى فلكم مستقَرّ فى الرحم ومستودع فى الصلب ، أو مستقَرّ فوق الأرض ومستودع تحتها . أو فمنكم مستقِرّ ومنكم مستودَع .

(١٣) وإنما قيل يعلمون ثمّ ويفقهون هنا لأنّ الدلالة ثمّ أظهر وهنا أدقّ لأنّ إنشاء الإنس من نفس واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة أدقّ فكان ذكر الفقه الدالّ على تدقيق النظر أوفق .

وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً (١) فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ (٢) نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ (٣) فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ (٤) خَضِرًا (٥) نُّخْرِجُ مِنْهُ (٦) حَبًّا مُّتَرَاكِبًا (٧) وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ (٨) دَانِيَةٌ (٩) وَجَنَّٰتٍ (١٠) مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ (١١)

---

(١) من السحاب مطراً .

(٢) بالمـاء .

(٣) نبت كلّ صنف من أصناف النـامى . أى السبب وهو المـاء واحد والمسببات صنوف مختلفة .

(٤) من النبات .

(٥) أى شيئا غضّا أخضر يقال أخضر وخضر. وهو ما تشعّب من أصل النبات الخارج من الحبة .

(٦) من الخضر .

(٧) وهو السنابل الذى تراكب حبّه .

(٨) هو رفع بالابتداء و(من النخل) خبره . و(من طلعها) بدل منه. كأنه قيل: وحاصلة من طلع النخل قنوان . وهو جمع قِنو وهو العِذق نظيره صِنو وصنوان .

(٩) من المجتنى لانحنائها بثقل حملها أو لقصر ساقها . وفيه اكتفاء أى وغير دانية لطولها كقوله (سرابيل تقيكم الحرّ) .

(١٠) بالنصب عطفا على نبـات كلّ شىء أى وأخرجنا به جنّات . وكذا (والزيتـونَ والرمّانَ) . (وجنّات) بالرفع الأعشى . أى وثَمّ جنّات من أعناب أىْ مع النخل .

(١١) يقال اشـتبه الشيئان وتشابها نحو استويا وتساويا . والافتعال والتفاعل يشتركان كثيرا . وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك . يعنى بعضه متشابه وبعضه غير متشابه فى القدر واللون والطعم .

ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ(١) وَيَنۡعِهِۦٓۚ(٢) إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ(٣) وَخَلَقَهُمۡۖ(٤) وَخَرَقُواْ(٥) لَهُۥ بَنِينَ(٦) وَبَنَٰتِۢ(٧) بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ(٨) سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ(٩) ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ(١٠) ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ

(١) إذا أخرج ثمره كيف يخرجه ضعيفا لا ينتفع به . (ثُمُره) وكذا ما بعده حمزة وعلى جمع ثمار فهو جمع الجمع يقال ثمرة وثمر وثمار وثمر .

(٢) ونضجه . أى انظروا إلى حال نضجه كيف يعود شيئا جامعا لمنافع ، نظر اعتبار واستدلال على قدرة مقدّره ومدبّره وناقله من حال إلى حال .

(٣) إن جعلت (لله شركاء) مفعولى جعلوا كان (الجنّ) بدلا من شركاء . وإلّا كان (شركاء الجنّ) مفعولين قدّم ثانيهما على الأوّل . وفائدة التقديم استعظام أن يتّخذ لله شريك من كان ملكا أو جنّيا أو غير ذلك . والمعنى أنّهم أطاعوا الجنّ فيما سوّلت لهم من شركهم فجعلوهم شركاء لله .

(٤) أى وقد خلق الجنّ فكيف يكون المخلوق شريكا لخالقه . والجملة حال . أو وخلق الجاعلين لله شركاء فكيف يعبدون غيره .

(٥) أى اختلقوا يقال خلق الإفك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى ؛ أو هو من خرق الثوب إذا شقّه أى اشتقّوا له . (وخرّقوا) بالتشديد للتكثير مدنىّ لقوله (بنين وبنات) .

(٦) كقول أهل الكتابين فى المسيح وعزير .

(٧) كقول بعض العرب فى الملائكة .

(٨) من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوا من خطأ أو صواب ولكن رميا بقول عن جهالة . وهو حال من فاعل خرقوا أى جاهلين بما قالوا .

(٩) من الشريك والولد .

(١٠) يقال بَدُع الشىء فهو بديع . وهو من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها يعنى بديع سمواته وأرضه . أو هو بمعنى المبدع أى مبدعها . وهو خبر مبتدأ محذوف . أو مبتدأ وخبره (أنّى يكون له ولد) . أو هو فاعل (تعالى) . أى أنّ الولادة من صفات الأجسام ومخترع الأجسام لا يكون جسما حتى يكون له ولد .

وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ (١) وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (٢) ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ (٣) ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ (٤) وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ (٥) ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ (٦)

---

(١) أى من أين يكون له ولد والولد لا يكون إلا من صاحبة ولا صاحبة له .

(٢) أى ما من شىء إلّا وهو خالقه وعالمه ومن كان كذلك كان غنيّا عن كلّ شىء والولد إنّما يطلبه المحتاج .

(٣) إشارة إلى الموصوف بما تقدم من الصفات . وهو مبتدأ وما بعده أخبار مترادفة وهى (الله ربكم لا إله هو خالق كل شىء) .

(٤) مسبب عن مضمون الجملة . أى من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه .

(٥) أى هو مع تلك الصفات مالك لكل شىء من الأرزاق والآجال رقيب على الأعمال .

(٦) لا تحيط به أو أبصار من سبق ذكرهم . وتشبّث المعتزلة بهذه الآية لا يستتبّ . لأن المنفى هو الإدراك لا الرؤية . والإدراك هو الوقوف على جوانب المرئى وحدوده . وما يستحيل عليه الحدود والجهات يستحيل إدراكه لا رؤيته . فنزل الإدراك من الرؤية منزلة الإحاطة من العلم . ونفى الإحاطة التى تقتضى الوقوف على الجوانب والحدود لا يقتضى نفى العلم به . فهكذا هذا . على أن مورد الآية وهو التمدح يوجب ثبوت الرؤية إذ نفى إدراك ما تستحيل رؤيته لا تمدح فيه . لأن كل ما لا يرى لا يدرك . وإنما التمدح بنفى الإدراك مع تحقق الرؤية . إذ انتفاؤه مع تحقق الرؤية دليل ارتفاع نقيصة التناهى والحدود عن الذات . فكانت الآية حجة لنا عليهم . ولو أنعموا النظر فيها لاغتنموا التفصّى عن عهدتها . ومن ينفى الرؤية يلزمه نفى أنّه معلوم موجود . وإلّا فكما يعلم موجودا بلا كيفيّة وجهة بخلاف كلّ موجود لم لم يجز أن يرى بلا كيفيّة وجهة بخلاف كلّ مرئىّ ؟ . وهذا لأنّ الرؤية تحقق الشىء بالبصر كما هو . فإن كان المرئى فى الجهة يرى فيها وإن كان لا فى الجهة يرى لا فيها .

وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ[1] وَهُوَ ٱللَّطِيفُ[2] ٱلْخَبِيرُ[3] ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ[4] فَمَنْ أَبْصَرَ[5] فَلِنَفْسِهِۦ[6] وَمَنْ عَمِىَ[7] فَعَلَيْهَا[8] وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ[9] ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ[10] نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُواْ[11] دَرَسْتَ[12] وَلِنُبَيِّنَهُۥ[13] لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ[14] ﴿١٠٥﴾

---

(١) (وهو) للطف إدراكه (يدرك الأبصار) .

(٢) أى العالم بدقائق الأمور ومشكلاتها .

(٣) العليم بظواهر الأشياء وخفياتها . وهو من قبيل اللف والنشر .

(٤) البصيرة نور القلب الذى به يستبصر القلب كما أن البصر نور العين الذى به تبصر . أى جاءكم من الوحى والتنبيه ما هو للقلوب كالبصائر .

(٥) الحق وآمن .

(٦) (فلنفسه) أبصر وإياها نفع .

(٧) عنه وضل .

(٨) فعلى نفسه عمى وإياها ضر بالعمى .

(٩) أحفظ أعمالكم وأجازيكم عليها . إنما أنا منذر والله هو الحفيظ عليكم .

(١٠) الكاف فى موضع نصب صفة المصدر المحذوف أى نصرف الآيات تصريفا مثل ما تلونا عليك .

(١١) جوابه محذوف أى وليقولوا درست نصرفها .

(١٢) معنى (درست) قرأت كتب أهل الكتاب. (دارست) مكىّ وأبو عمرو أى دارست أهل الكتاب . (دَرَسَتْ شامىّ) أى قدمت هذه الآية ومضت كما قالوا أساطير الأولين .

(١٣) أى القرآن وإن لم يجر له ذكر لكونه معلوما ، أو الآيات لأنها فى معنى القرآن . قيل اللام الثانية حقيقة والأولى لام العاقبة والصيرورة أى لتصير عاقبة أمرهم إلى أن يقولوا درست وهو كقوله (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوّا وحزنا) وهم لم يلتقطوه للعداوة وإنما التقطوه ليصير لهم قرة عين ولكن صارت عاقبة أمرهم إلى العداوة فكذلك الآيات صرّفت للتبيين ولم تصرّف ليقولوا درست ولكن حصل هذا القول بتصريف الآيات كما حصل التبيين فشبّه به وقيل (ليقولوا) كما قيل (لنبينه) . وعندنا ليس كذلك لما عرف .

(١٤) الحقّ من الباطل .

ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ (١) لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ (٢) وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ (٣) ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ (٤) مَآ أَشْرَكُوا۟ (٥) وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا (٦) وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ (٧) ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ (٨) فَيَسُبُّوا۟ (٩) ٱللَّهَ عَدْوًۢا (١٠) بِغَيْرِ عِلْمٍ (١١) كَذَٰلِكَ (١٢) زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ (١٣) عَمَلَهُمْ (١٤) ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُم (١٥)

(١) ولا تتّبع أهواءهم .

(٢) اعتراض أكّد به إيجاب اتّباع الوحى لا محلّ له من الإعراب ، أو حال من ربّك مؤكدة .

(٣) فى الحال إلى أن يرد الأمر بالقتال .

(٤) أى إيمانهم فالمفعول محذوف .

(٥) بيّن أنّهم لا يشركون على خلاف مشيئة الله ولو علم منهم اختيار الإيمان لهداهم إليه ولكن علم منهم اختيار الشرك فشاء شركهم فأشركوا بمشيئته .

(٦) مراعيا لأعمالهم مأخوذا بإجرامهم .

(٧) بمسلّط .

(٨) كان المسلمون يسبّون آلهتهم فنهوا عنه لئلا يكون سبّهم سببا لسبّ الله .

(٩) منصوب على جواب النهى .

(١٠) ظلما وعدوانا .

(١١) على جهالة بالله وبما يجب أن يذكر به .

(١٢) مثل ذلك التزيين .

(١٣) من أمم الكفّار .

(١٤) وهو كقوله (أفمن زيّن له سوء عمله فرآه حسنا فإنّ الله يضلّ من يشاء ويهدى من يشاء) . وهو حجة لنا فى الأصلح .

(١٥) مصيرهم .

فَيُنَبِّئُهُم (٣) بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (١) وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ (٢) أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ (٤) وَمَا يُشْعِرُكُمْ (٥) أَنَّهَآ (٦) إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (٧) وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ (٨) وَأَبْصَـٰرَهُمْ (٩) كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ (١٠) وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١) وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ (١٢) وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ (١٣)

(١) فيخبرهم بما عملوا ويجزيهم عليه .

(٢) جهد مصدر وقع موقع الحال أى جاهدين فى الإتيان بأوكد الأيمان .

(٣) من مقترحاتهم .

(٤) وهو قادر عليها لا عندى فكيف آتيكم بها .

(٥) وما يدريكم .

(٦) أنّ الآية المقترحة .

(٧) بها . يعنى أنا أعلم أنّها إذا جاءت لا يؤمنون بها وأنتم لا تعلمون ذلك . وكان المؤمنون يطمعون فى إيمانهم إذا جاءت تلك الآية ويتمنّون مجيئها . فقال الله تعالى وما يدريكم أنّهم لا يؤمنون، على معنى إنّكم لا تدرون ماسبق علمى به من أنّهم لا يؤمنون . (إنّها) بالكسر مكىّ وبصرىّ وأبو بكر على أنّ الكلام تمّ قبله أى وما يشعركم مايكون منهم . ثمّ أخبرهم بعلمه فيهم فقال إنّها إذا جاءت لا يؤمنون ألبتّة . ومنهم من جعل لا مزيدة فى قراءة الفتح كقوله (وحرام على قرية أهلكناها أنّهم لا يرجعون) . (لا تؤمنون) شامىّ وحمزة .

(٨) عن قبول الحقّ .

(٩) عن رؤية الحقّ عند نزول الآية التى اقترحوها فلا يؤمنون بها . قيل هو عطف على لا يؤمنون داخل فى حكم وما يشعركم . أى وما يشعركم أنّهم لا يؤمنون وما يشعركم أنّا نقلّب أفئدتهم وأبصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحقّ .

(١٠) كما كانوا عند نزول آياتنا أوّلا لا يؤمنون بها .

(١١) قيل وما يشعركم أنّا نذرهم فى طغيانهم يعمهون يتحيّرون .

(١٢) كما قالوا لولا أنزل علينا الملائكة .

(١٣) كما قالوا فأتوا بآبائنا .

وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ (١) كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا (٢) مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ (٣) وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (٤) ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا (٥) شَيَاطِينَ (٦) الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ (٧) زُخْرُفَ الْقَوْلِ (٨) غُرُورًا (٩) وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ (١٠) فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١١) ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ (١٢)

---

(١) جمعا .

(٢) كفلاء بصحّة ما بشّرنا به وأنذرنا . جمع قبيل وهو الكفيل . (قِبلًا) مدنىّ وشامىّ أى عيانا . وكلاهما نصب على الحال .

(٣) إيمانهم فيؤمنوا . وهذا جواب لقول المؤمنين لعلّهم يؤمنون بنزول الآية .

(٤) (يجهلون) أنّ هؤلاء لا يؤمنون إذا جاءتهم الآية المقترحة .

(٥) وكما جعلنا لك أعداء من المشركين جعلنا لمن تقدّمك من الأنبياء أعداء لما فيه من الابتلاء الذى هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والأجر .

(٦) انتصب على البدل من عدوّ ، أو على أنّه المفعول الأوّل وعدوّا مفعول ثان .

(٧) يوسوس شياطين الجنّ إلى شياطين الإنس وكذلك بعض الجنّ إلى بعض وبعض الإنس الى بعض . وعن مالك بن دينار إنّ شيطان الإنس أشدّ علىّ من شيطان الجنّ لأنّى إذا تعوّذت بالله ذهب شيطان الجنّ عنّى وشيطان الإنس يجيئنى فيجرّنى إلى المعاصى عيانا . وقال عليه السلام قرناء السوء شرّ من شياطين الجنّ .

(٨) ما زيّنوه من القول والوسوسة والإغراء على المعاصى .

(٩) خدعا وأخذا على غرّة وهو المفعول له .

(١٠) أى الإيحاء يعنى ولو شاء الله لمنع الشياطين من الوسوسة ولكنّه امتحن بما يعلم أنّه أجزل فى الثواب .

(١١) عليك وعلى الله فإنّ الله يخزيهم وينصرك ويجزيهم .

(١٢) ولتميل إلى زخرف القول قلوب الكفّار . وهى معطوفة على (غرورا) أى ليغترّوا (ولتصغى إليه) .

وَلِيَرْضَوْهُ(١) وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ(٢) أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا(٣) وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ(٤) مُفَصَّلًا(٥) وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ(٦) يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ(٧) مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ(٨) وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ(٩) صِدْقًا(١٠) وَعَدْلًا(١١) لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ(١٢) وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ(١٣) ٱلْعَلِيمُ(١٤) وَإِن تُطِعْ

(١) لأنفسهم .

(٢) من الآثام .

(٣) أى قل يا محمد أفغير الله أطلب حاكما يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل .

(٤) المعجز .

(٥) حال من الكتاب أى مبيّنا فيه الفصل بين الحقّ والباطل والشهادة لى بالصدق وعليكم بالافتراء .

(٦) أى عبد الله بن سلام وأصحابه . عَضَد الدلالة على أنّ القرآن حقّ بعلم أهل الكتاب أنّه حقّ لتصديقه ما عندهم وموافقته له .

(٧) شاميّ وحفص .

(٨) الشاكّين فيه أيها السامع ؛ أو فلا تكوننّ من الممترين فى أنّ أهل الكتاب يعلمون أنّه منزل بالحقّ ، ولا يريبك جحود أكثرهم وكفرهم به .

(٩) أى ما تكلّم به . (كلمات ربّك) حجازيّ وشاميّ وأبو عمرو . أى تمّ كلّ ما أخبر به وأمر ونهى ووعد وأوعد .

(١٠) فى وعده ووعيده .

(١١) فى أمره ونهيه . وانتصبا على التمييز أو على الحال .

(١٢) لا أحد يبدّل شيئا من ذلك .

(١٣) لإقرار من أقرّ .

(١٤) بإصرار من أصرّ . أو السميع لما يقولون العليم بما يضمرون .

أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ(١) يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ(٢) إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ(٣)
وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ(٤) ﴿﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِٱلْمُهْتَدِينَ(٥) ﴿﴾ فَكُلُواْ(٦) مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿﴾
وَمَا لَكُمْ(٧) أَلَّا تَأْكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم(٨) مَّا حَرَّمَ
عَلَيْكُمْ(٩) إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ(١٠) وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ(١١) بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ(١٢)

---

(١) أى الكفّار لأنّهم الأكثرون .

(٢) دينه .

(٣) وهو ظنّهم أنّ آباءهم كانوا على الحقّ فهم يقلّدونهم .

(٤) يكذبون فى أنّ الله حرّم عليهم كذا وأحلّ لهم كذا .

(٥) أى هو يعلم الكفّار والمؤمنين . (من) رفع بالابتداء ولفظها لفظ الاستفهام . والخبر (يضلّ) وموضع الجملة نصب بيعلم المقدّر لا بأعلم لأنّ أفعل لا يعمل فى الاسم الظاهر النصب ويعمل الجرّ . وقيل تقديره أعلم بمن يضلّ بدليل ظهور الباء بعده فى (بالمهتدين) .

(٦) هو مسبّب عن إنكار اتّباع المضلّين الذين يحلّون الحرام ويحرّمون الحلال . وذلك أنّهم كانوا يقولون للمسلمين إنّكم تزعمون أنّكم تعبدون الله فما قتل الله أحقّ أن تأكلوا ممّا قتلتم أنتم . فقيل للمسلمين إن كنتم متحقّقين بالإيمان فكلوا ممّا ذكر اسم الله عليه خاصّة ، أى على ذبحه ، دون ما ذكر عليه اسم غيره من آلهتهم أو مات حتف أنفه .

(٧) (ما) استفهام فى موضع رفع بالابتداء و(لكم) الخبر أى وأىّ غرض لكم فى أن لا تأكلوا .

(٨) بيّن لكم .

(٩) ممّا لم يحرّم بقوله حرّمت عليكم الميتة — فَصَّل وحُرِّم كوفىّ غير حفص . وبفتحهما مدنىّ وحفص . وبضمّهما غيرهم .

(١٠) ممّا حرّم عليكم فإنّه حلال لكم فى حال الضرورة أى شدّة الحاجة إلى أكله .

(١١) (لَيُضِلّون) كوفىّ .

(١٢) أى يَضلّون فيحرّمون ويحلّلون بأهوائهم وشهواتهم من غير تعلّق بشريعة .

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (١) ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ (٣) بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ (٤) ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ (٥) وَإِنَّهُ (٦) لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ (٧) إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ (٨) لِيُجَادِلُوكُمْ (٩) وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ (١٠) إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١١) ﴿١٢١﴾ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ (١٢)

(١) بالمتجاوزين من الحقّ إلى الباطل .

(٢) علانيته وسرّه، أو الزنا فى الحوانيت والصديقة فى السرّ، أو الشرك الجلىّ والخفىّ .

(٣) يوم القيامة .

(٤) يكتسبون فى الدنيا .

(٥) عند الذبح .

(٦) وإنّ أكله .

(٧) ليوسوسون .

(٨) من المشركين .

(٩) بقولهم لا تأكلون مما قتله الله وتأكلون مما تذبحون بأيديكم .

والآية تحرّم متروك التسمية . وخصّت حالة النسيان بالحديث، أو بجعل الناسى ذاكرا تقديرا . ومن أوّل الآية بالميتة وبما ذكر غير اسم الله عليه لقوله (أو فسقا أهلّ لغير الله به) وقال إنّ الواو فى (وإنّه لفسق) للحال لأنّ عطف الجملة الاسميّة على الفعليّة لا يحسن فيكون التقدير ولا تأكلوا منه حال كونه فسقا، والفسق مجمل فبيّن بقوله (أو فسقا أهل لغير الله به)، فصار التقدير ولا تأكلوا منه حال كونه مُهَلّا لغير الله به، فيكون ما سواه حلالا بالعمومات المحلّة منها قوله (قل لا أجد) الآية — فقد عدل عن ظاهر اللفظ .

(١٠) فى استحلال ما حرّمه الله .

(١١) لأنّ من اتّبع غير الله فى دينه فقد أشرك به ومن حقّ المتديّن أن لا يأكل مما لم يذكر اسم الله عليه لما فى الآية من التشديد العظيم .

(١٢) أى كافرا فهديناه لأن الإيمان حياة القلوب . (ميّتا) مدنىّ .

وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ(١) كَمَن مَّثَلُهُۥ(٢) فِى ٱلظُّلُمَٰتِ(٣) لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا(٤) كَذَٰلِكَ(٥) زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ(٦) مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ(٧) ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ(٨) جَعَلْنَا(٩) فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا(١٠) وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ(١١) وَمَا يَشْعُرُونَ(١٢) ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ(١٣) ءَايَةٌ(١٤) قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ

(١) مستضيئا به . والمراد به اليقين .

(٢) أى صفته .

(٣) أى خابط فيها .

(٤) لا يفارقها ولا يتخلّص منها . وهو حال . والأصحّ أنّ الآية عامّة لكلّ من هداه الله ولكلّ من أضلّه الله . فبيّن أنّ مثل المهتدى مثل الميت الذى أحيي وجعل مستضيئا يمشى فى الناس بنور الحكمة والإيمـان ، ومثل الكافر مثل من هو فى الظلمات التى لا يتخلّص منها .

(٥) أى كما زيّن للمؤمن إيمـانه .

(٦) بتزيين الله تعالى بقوله (زيّنّا لهم أعمالهم) .

(٧) أى أعمالهم .

(٨) أى وكما جعلنا فى مكّة صناديدها ليمكروا فيها .

(٩) صيّرنا .

(١٠) ليتجبّروا على الناس فيها ويعملوا بالمعاصى . واللام على ظاهرها عنـد أهل السنّة وليست بلام العاقبة . وخص الأكابر وهم الرؤساء لأنّ ما فيهم من الرياسة والسعة أدعى لهم إلى المكر والكفر من غيرهم . دليله (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض) .

(١١) لأنّ مكرهم يحيق بهم . سلّى رسوله عليه السلام ووعد له النصرة .

(١٢) أنّه يحيق بهم .

(أكابر) مفعول أول والثانى (فى كل قرية) و (مجرميها) بدل من (أكابر) . أو الأول (مجرميها) والثانى (أكابر) والتقدير مجرميها أكابر .

(١٣) أى الأكابر . نزل لمّـا قال أبو جهل زاحمنا بنو عبد مناف فى الشرف حتّى إذا صرنا كفرسى رهان قالوا منّا نبىّ يوحى إليه . والله لا نرضى به إلّا أن يأتينا وحى كما يأتيه .

(١٤) معجزة أو آية من القرآن تأمرهم بالإيمان .

رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ[1] حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ[2] سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟[3] صَغَارٌ[4] عِندَ ٱللَّهِ[5] وَعَذَابٌ شَدِيدٌ[6] بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ[7] ۝ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ[8] وَمَن يُرِدْ[9] أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا[10] حَرَجًا[11] كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ[12] كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ[13] عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ[14] ۝

(١) أى نعطى من الآيات مثل ما أعطى الأنبياء .

(٢) مكّى وحفص . (رسالاته) غيرهما . (حيث) مفعول به والعامل محذوف والتقدير يعلم موضع رسالته . أعلم الله تعالى أنّه أعلم بمن يصلح للنبوّة .

(٣) من أكابرها .

(٤) ذلّ وهوان .

(٥) فى القيامة .

(٦) فى الدارين من القتل والأسر وعذاب النار .

(٧) فى الدنيا .

(٨) يوسعه وينوّر قلبه . قال عليه السلام إذا دخل النور فى القلب انشرح وانفتح . قيل وما علامة ذلك؟ قال الإنابة إلى دار الخلود، والتجافى عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزول الموت .

(٩) أى الله .

(١٠) (ضَيْقا) مكّى .

(١١) (حَرِجا) صفة لضيّقا . مدنىّ وأبو بكر. بالغا فى الضيق . (حَرَجا) غيرهما وصفا بالمصدر.

(١٢) كأنّه كلّف أن يصعد إلى السماء إذا دعى إلى الإسلام من ضيق صدره عنه إذا ضاقت عليه الأرض فطلب مصعدا فى السماء . أو كعازب الرأى طائر القلب فى الهواء . (يصْعَد) مكّى . (يصّاعد) أبو بكر وأصله يتصاعد . الباقون (يصّعد) وأصله يتصعّد .

(١٣) العذاب فى الآخرة واللعنة فى الدنيا .

(١٤) والآية حجة لنا على المعتزلة فى إرادة المعاصى .

وَهَـٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا(١) قَدْ فَصَّلْنَا(٢) ٱلْآيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ(٣) ﴿١٢٦﴾ لَهُمْ(٤) دَارُ ٱلسَّلَـٰمِ(٥) عِندَ رَبِّهِمْ(٦) وَهُوَ وَلِيُّهُم(٧) بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ(٨) ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ(٩) جَمِيعًا يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ(١٠) وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم(١١) مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ(١٢) وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا(١٣) قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ(١٤)

---

(١) أى طريقه الذى اقتضته الحكمة وسُنّته فى شرح صدر من أراد هدايته وجعله ضيّقا لمن أراد ضلاله .

(٢) عادلا مطردا . وهو حال مؤكدة .

(٣) يتّعظون .

(٤) أى لقوم يذّكّرون .

(٥) دار الله يعنى الجنّة . أضافهـا إلى نفســه تعظيما لها . أو دار السلامة من كلّ آفة وكدر . أو السلام التحيّة. سُمّيت دار السلام لقوله (تحيّتهم فيها سلام). (إلّا قيلا سلاما سلاما).

(٦) فى ضمانه .

(٧) محبّهم أو ناصرهم على أعدائهم .

(٨) بأعمالهم . أو متولّيهم بجزاء ما كانوا يعملون . أو هو وليّنا فى الدنيا بتوفيق الأعمال ، وفى العقبى بتحقيق الآمال .

(٩) وبالياء حفص. أى واذكر (يوم نحشرهم). أو (ويوم نحشرهم) قلنا (يامعشر الجنّ).

(١٠) أضللتم منهم كثيرا وجعلتموهم أتباعكم كما تقول استكثر الأمير من الجنود .

(١١) الذين أطاعوهم واستمعوا إلى وسوستهم .

(١٢) أى انتفع الإنس بالشياطين حيث دلّوهم على الشهوات وعلى أسباب التوصّل إليها ، وانتفع الجنّ بالإنس حيث أطاعوهم وساعدوهم على مرادهم فى إغوائهم .

(١٣) يعنون يوم البعث . وهذا الكلام اعتراف بما كان منهم من طاعة الشياطين واتّباع الهوى والتكذيب بالبعث ، وتحسّر على حالهم .

(١٤) منزلكم .

خَـٰلِدِينَ فِيهَآ[1] إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ[2] إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ[3] عَلِيمٌ[4] ۝ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضًۢا[5] بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ[6] ۝ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ[7] يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى[8] وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا[9] قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا[10] وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ[11] ۝

---

(١) حال . والعامل معنى الإضافة كقوله تعالى (أنّ دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) . فمصبحين حال من هؤلاء والعامل فى الحال معنى الإضافة إذ معناه الممازجة والمضامّة . والمثوى ليس بعامل لأنّ المكان لا يعمل فى شىء .

(٢) أى يخلّدون فى عذاب النار الأبد كلّه (إلّا ما شاء الله) إلّا الأوقات التى ينقلون فيها من عذاب السعير إلى عذاب الزمهرير .

(٣) فيما يفعل بأوليائه وأعدائه .

(٤) بأعمالهم فيجزى كلّا على وفق عمله .

(٥) نتبع بعضهم بعضا فى النار ، أو نسلّط بعضهم على بعض ، أو نجعل بعضهم أولياء بعض .

(٦) بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصى .

(٧) يقال لهم يوم القيامة على جهة التوبيخ . عن الضحاك بعث إلى الجنّ رسلا منهم كما بعث إلى الإنس رسلا منهم لأنهم بهم آنس . وعليه ظاهر النصّ . وقال آخرون : الرسل من الإنس خاصّة . وإنّما قيل (رسل منكم) لأنّه لمّا جمع الثقلين فى الخطاب صحّ ذلك وإن كان من أحدهما . كقوله (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) . أو رسلهم رسل نبينا . كقوله (ولّوا إلى قومهم منذرين) .

(٨) يقرءون كتبى .

(٩) يعنى يوم القيامة .

(١٠) بوجوب الحجة علينا وتبليغ الرسل إلينا .

(١١) بالرسل .

ذَٰلِكَ (١) أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ (٢) وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ۝ وَلِكُلٍّ (٣) دَرَجَٰتٌ (٤) مِّمَّا عَمِلُوا۟ (٥) وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (٦) ۝ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ (٧) ذُو ٱلرَّحْمَةِ (٨) إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ (٩) وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ (١٠) كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ (١١) ۝ إِنَّ مَا (١٢) تُوعَدُونَ (١٣) لَءَاتٍ (١٤) وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ (١٥) ۝ قُلْ يَٰقَوْمِ

(١) إشارة إلى ما تقدّم من بعثة الرسل إليهم . وهو خبر مبتدأ محذوف أى الأمر ذلك .

(٢) تعليل . أى الأمر ما قصصنا عليك لانتفاء كون ربّك مهلك القرى بظلم . على أنّ أن مصدرية . ويجوز أن تكون مخفّفة من الثقيلة . والمعنى لأنّ الشأن والحديث لم يكن ربّك مهلك القرى بظلم بسبب ظلم أقدموا عليه ، أو ظالما على أنّه لو أهلكهم وهم غافلون لم ينبّهوا برسول وكتاب لكان ظالما وهو متعال عنه .

(٣) من المكلّفين .

(٤) منازل .

(٥) من جزاء أعمالهم . وبه استدلّ أبو يوسف ومحمد رحمهما الله على أنّ للجنّ الثواب بالطاعة لأنّه ذكر عقيب ذكر الثقلين .

(٦) بساه عنه . وبالتاء شامىّ .

(٧) عن عباده وعن عبادتهم .

(٨) عليهم بالتكليف ليعرّضهم للمنافع الدائمة .

(٩) أيّها الظلمة .

(١٠) من الخلق المطيع .

(١١) من أولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم. وهم أهل سفينة نوح عليه السلام.

(١٢) ما بمعنى الذى .

(١٣) من البعث والحساب والثواب والعقاب .

(١٤) خبر إنّ أى لكائن .

(١٥) بفائتين . ردّ لقولهم من مات فقد فات .

ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ(١) إِنِّي عَامِلٞ(٢) فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ(٣) إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ(٤) ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا(٥) فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ(٦) وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ(٧) وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡ(٨) سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ(٩) ﴿١٣٦﴾

(١) المكانة تكون مصدرا يقال مكُن مكانة إذا تمكّن أبلغ التمكّن، وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة . يحتمل اعملوا على تمكّنكم من أمركم وأقصى استطاعتكم وإمكانكم، واعملوا على جهتكم وحالكم التى أنتم عليها . يقال للرجل إذا أمر أن يثبت على حاله : على مكانتك يا فلان . أى اثبت على ما أنت عليه . (مكاناتكم) حيث كان أبو بكر .

(٢) على مكانتى التى أنا عليها . أى اثبتوا على كفركم وعداوتكم لى فإنّى ثابت على الإسلام وعلى مصابرتكم . وهو أمر تهديد ووعيد دليله قوله (فسوف تعلمون) .

(٣) أى فسوف تعلمون أيّنا تكون له العاقبة المحمودة . وهذا طريق لطيف فى الإنذار. (يكون) حمزة وعلىّ . وموضع (من) رفع إذا كان بمعنى أىّ وعلق عنه فعل العلم ، أو نصب إذا كان بمعنى الذى .

(٤) أى الكافرون .

(٥) أى وللأصنام نصيبا فاكتفى بدلالة قوله تعالى (فقالوا) .

(٦) (بزُعمهم) علىّ. وكذا ما بعده . أى زعموا أنّه لله والله لم يأمرهم بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة .

(٧) أى لا يصل إلى الوجوه التى كانوا يصرفونه إليها من قرى الضيفان والتصدّق على المساكين .

(٨) من إنفاقهم عليها والإجراء على سدنتها . وروى أنّهم كانوا يعيّنون أشياء من حرث ونتاج لله وأشياء منهما لآلهتهم . فإذا رأوا ماجعلوا لله زاكيا ناميا رجعوا فجعلوه للأصنام وإذا زكا ما جعلوه للأصنام تركوه لها وقالوا إنّ الله غنىّ . وإنّما ذاك لحبّهم آلهتهم وإيثارهم لها. وفى قوله (مما ذرأ) إشارة إلى أنّ الله كان أولى بأن يجعل له الزاكى لأنّه هو الذى ذرأه. ثمّ ذمّ صنيعهم بقوله (ساء ما يحكمون) :

(٩) فى إيثار آلهتهم على الله وعملهم على ما لم يشرع لهم . وموضع (ما) رفع أى ساء الحكم حكمهم . أو نصب أى ساء حكما حكمهم .

وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ(١) أَوْلَٰدِهِمْ(٢) شُرَكَآؤُهُمْ(٣) لِيُرْدُوهُمْ(٤) وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ(٥) وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ(٦) فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ(٧) ﴿١٣٧﴾ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ(٨) وَحَرْثٌ حِجْرٌ(٩) لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ(١٠) وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا(١١) وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا(١٢) ٱفْتِرَآءً(١٣) عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم

(١) أي كما زُيّن لهم تجزئة المال زيّن وأد البنات .

(٢) مفعول زيّن .

(٣) هو فاعل زيّن . (زيّن) بالضم ، (قتل) بالرفع ،(أولادهم) بالنصب ، (شركائهم) بالجر، شاميّ على إضافة القتل إلى الشركاء أى الشياطين والفصل بينهما بغير الظرف وهو المفعول . وتقديره زُيِّن لكثير من المشركين قتلُ شركائهم أولادَهم .

(٤) ليهلكوهم بالإغواء .

(٥) وليخلطوا عليهم ويشوبوه . ودينهم ما كانوا عليه من دين إسماعيل حتى زلّوا عنه إلى الشرك .

(٦) فيه دليل على أنّ الكائنات كلّها بمشيئة الله تعالى .

(٧) وما يفترونه من الإفك ، أو وافتراءهم لأن ضرر ذلك الافتراء عليهم لا عليك ولا علينا .

(٨) للأوثان .

(٩) حرام. فِعل بمعنى المفعول كالذِبح والطِحن . ويستوى فى الوصف به المذكّر والمؤنث والواحد والجمع لأن حكمه حكم الأسماء غير الصفات . وكانوا إذا عيّنوا أشياء من حرثهم وأنعامهم لآلهتهم قالوا (لا يطعمها إلّا من نشاء) . يعنون خدم الأوثان والرجال دون النساء .

(١٠) الزعم قول بالظنّ يشوبه الكذب .

(١١) هى البحائر والسوائب والحوامى .

(١٢) حالة الذبح وإنّما يذكرون عليها أسماء الأصنام .

(١٣) هو مفعول له أو حال . أى قسموا أنعامهم قسم حجر وقسم لا يركب وقسم لا يذكر اسم الله عليها ونسبوا ذلك إلى الله افتراء عليه .

بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ (١) ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا (٢) وَإِن يَكُن مَّيْتَةً (٣) فَهُمْ فِيهِ (٤) شُرَكَآءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ (٥) إِنَّهُۥ حَكِيمٌ (٦) عَلِيمٌ (٧) ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ (٨) سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ (٩) وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ (١٠) ٱفْتِرَآءً (١١) عَلَى ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ (١٢) ﴿١٤٠﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ (١٣)

---

(١) وعيد .

(٢) كانوا يقولون فى أجنّة البحائر والسوائب ما ولد منها حيّاً فهو خالص للذكور لا يأكل منه الإناث وما ولد ميتاً اشترك فيه الذكور والإناث. وأنّث (خالصة) وهو خبر(ما)، للحمل على المعنى. لأنّ (ما) فى معنى الأجنّة . وذكّر (ومحرّم) حملا على اللفظ . أو التاء للمبالغة كنسّابة.

(٣) أى (وإن يكن) ما فى بطونها (ميتة) . (وإن تكن ميتةٌ) أبو بكر أى وإن تكن الأجنّة ميتة (وإن تكن ميتةٌ) شامىّ على كان التامة . (يكن ميتةٌ) مكّىّ لتقدّم الفعل .

(٤) تذكير الضمير لأنّ الميتة اسم لكلّ ميت ذكر أو أنثى . فكأنّه قيل وإن يكن ميت (فهم فيه شركاء) .

(٥) جزاء وصفهم الكذب على الله فى التحليل والتحريم .

(٦) فى جزائهم .

(٧) باعتقادهم .

(٨) كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر . (قتّلوا) مكّىّ وشامىّ .

(٩) لخفّة أحلامهم وجهلهم بأنّ الله هو رازق أولادهم لا هم .

(١٠) من البحائر والسوائب وغيرها .

(١١) مفعول له .

(١٢) إلى الصواب .

(١٣) خلق .

جَنَّـٰتٍ[(١)] مَّعْرُوشَـٰتٍ[(٢)] وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ[(٣)] وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا[(٤)] أُكُلُهُۥ[(٥)] وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهًا[(٦)] وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ[(٧)] كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ[(٨)] إِذَآ أَثْمَرَ[(٩)] وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ[(١٠)] يَوْمَ حَصَادِهِۦ[(١١)] وَلَا تُسْرِفُوٓا۟[(١٢)] إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا[(١٣)]

---

(١) من الكروم .

(٢) مسموكات مرفوعات .

(٣) متروكات على وجه الأرض لم تعرش . يقال عَرَشْت الكرم إذا جعلت له دعائم وسَمْكا تعطف عليه القضبان .

(٤) فى اللون والطعم والحجم والرائحة. وهو حال مقدّرة لأنّ النخل وقت خروجه لا أُكُل فيه حتّى يكون مختلفا وهو كقوله (فادخلوها خالدين) .

(٥) (أُكُله) حجازىّ . وهو ثمره الذى يؤكل . والضمير للنخل . والزرع داخل فى حكمه لأنّه معطوف عليه . أو لكلّ واحد .

(٦) فى اللون .

(٧) فى الطعم .

(٨) من ثمر كلّ واحد .

(٩) فائدته أن يعلم أنّ أوّل وقت الإباحة وقت إطلاع الشجر الثمر ولا يتوهّم أنّه لا يباح إلّا إذا أدرك .

(١٠) عشره . وهو حجة أبى حنيفة رحمه الله فى تعميم العشر .

(١١) (حَصاده) بصرىّ وشامىّ وعاصم . وبكسر الحاء غيرهم وهما لغتان .

(١٢) بإعطاء الكلّ وتضييع العيال . وقوله (كلوا) إلى (إنّه لا يحبّ المسرفين) اعتراض .

(١٣) عطف على جنّات . أى وأنشأ من الأنعام ما يحمل الأثقال وما يفرش للذبح . أو الحمولة الكبار التى تصلح للحمل، والفرش الصغار كالفُصلان والعجاجيل والغنم لأنها دانية من الأرض مثل الفرش المفروش عليها .

كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ(١) وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ(٢) إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ(٣) ۝ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ(٤) مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ(٥) قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ(٦) نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ(٧) إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ(٨) ۝ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ(٩) قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ

(١) أى ما أحلّ الله لكم منها ولا تحرّموها كما فى الجاهليّة .

(٢) طرقه فى التحريم والتحليل كفعل أهل الجاهلية .

(٣) فاتّهموه على دينكم .

(٤) بدل من (حمولة وفرشا) .

(٥) زوجين اثنين . يريد الذكر والأنثى . والواحد إذا كان وحده فهو فرد . وإذا كان معه غيره من جنسه سمّى كلّ واحد منهما زوجا وهما زوجان بدليل قوله (خلق الزوجين الذكر والأنثى) ويدلّ عليه قوله (ثمانية أزواج) . ثمّ فسّرها بقوله (من الضأن اثنين ومن المعز اثنين. ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين) . والضأن والمعز جمع ضائن وماعز كتاجر وتجر . وفتح عين المعز مكّىّ وشامىّ وأبو عمرو . وهما لغتان .

(٦) الهمزة للإنكار . والمراد بالذكرين الذكر من الضأن والذكر من المعز ، وبالأنثيين الأنثى من الضأن والأنثى من المعز . والمعنى إنكار أن يحرّم الله من جنسى الغنم ضأنها ومعزها شيئا من نوعى ذكورها وإناثها ولا ممّا تحمل الإناث . وذلك أنّهم كانوا يحرّمون ذكورة الأنعام تارة وإناثها طورا وأولادها كيفما كانت ذكورا أو إناثا أو مختلطة تارة وكانوا يقولون قد حرّمها الله . فأنكر ذلك عليهم . وانتصب (آلذكرين) بحرّم وكذا (أم الأنثيين) أى أم حرّم الأنثيين وكذا ما فى (أم ما اشتملت) .

(٧) أخبرونى بأمر معلوم من جهة الله يدلّ على تحريم ما حرّمتم .

(٨) فى أنّ الله حرّمه .

(٩) منهما .

حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ(١) أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ(٢) أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ(٣) إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا(٤) فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا(٥) لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ(٦) ﴿١٤٤﴾ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ(٧) مُحَرَّمًا(٨) عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ(٩) إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً(١٠) أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا(١١) أَوۡ لَحۡمَ

---

(١) منهما .

(٢) أم ما تحمل إناثها .

(٣) أم منقطعة أى بل أ كنتم شهداء .

(٤) يعنى أم شاهدتم ربكم حين أمركم بهذا التحريم . ولما كانوا لا يؤمنون برسول الله وهم يقولون الله حرّم هذا الذى نحرّمه ، تهكّم بهم فى قوله (أم كنتم شهداء) على معنى أعرفتم التوصية به مشاهدين لأنكم لا تؤمنون بالرسل .

(٥) فنسب إليه تحريم ما لم يحرّم .

(٦) أى الذين فى علمه أنّهم يختمون على الكفر .

ووقع الفاصل بين بعض المعدود وبعضه اعتراضا غير أجنبى من المعدود . وذلك أن الله تعالى منّ على عباده بإنشاء الأنعام لمنافعهم وبإباحتها لهم . فالاعتراض بالاحتجاج على من حرّمها يكون تأكيدا للتحليل . والاعتراضات فى الكلام لا تساق إلا للتوكيد .

(٧) أى فى ذلك الوقت ، أو فى وحى القرآن لأنّ وحى السنّة قد حرّم غيره ، أو من الأنعام لأنّ الآية فى ردّ البحيرة وأخواتها . وأمّا الموقوذة والمتردّية والنطيحة فمن الميتة . وفيه تنبيه على أنّ التحريم إنّما يثبت بوحى الله وشرعه لا بهوى الأنفس .

(٨) حيوانا حرّم أكله .

(٩) على آكل يأكله .

(١٠) إلّا أن يكون الشىء المحرّم ميتة . (أن تكون) مكىّ وشامىّ وحمزة (ميتةٌ) شامىّ .

(١١) مصبوبا سائلا . فلا يحرم الدم الذى فى اللحم والكبد والطحال .

خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ(١) أَوْ فِسْقًا(٢) أُهِلَّ(٣) لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ(٤) غَيْرَ بَاغٍ(٥) وَلَا عَادٍ(٦)
فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ(٧) ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ(٨) وَمِنَ ٱلْبَقَرِ
وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ(٩) إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ(١٠) أَوِ ٱلْحَوَايَآ(١١) أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ
بِعَظْمٍ(١٢) ذَٰلِكَ(١٣) جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ(١٤) وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ(١٥) ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ(١٦) فَقُل رَّبُّكُمْ

---

(١) نجس .

(٢) عطف على المنصوب قبله . وقوله (فإنه رجس) اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه . وسمّى بالفسق لتوغّله فى باب الفسق .

(٣) منصوب المحلّ صفة لفسقا . أى رفع الصوت على ذبحه باسم غير الله .

(٤) فمن دعته الضرورة إلى أكل شىء من هذه المحرمات .

(٥) على مضطرّ مثله تارك لمواساته .

(٦) متجاوز قدر حاجته من تناوله .

(٧) لا يؤاخذه .

(٨) أى ماله أصبع من دابّة أو طائر . ويدخل فيه الإبل والنعام .

(٩) أى حرّمنا عليهم لحم كلّ ذى ظفر وشحمه وكلّ شىء منه ولم يحرّم من البقر والغنم إلّا الشحوم وهى الثروب وشحوم الكلى .

(١٠) إلّا ما اشتمل على الظهور والجنوب من السَّحْفة .

(١١) أو ما اشتمل على الأمعاء واحدها حاوِياء أو حَوِيّة .

(١٢) وهو الأَلْيَة أو المخ .

(١٣) مفعول ثان لقوله (جزيناهم) والتقدير جزيناهم ذلك .

(١٤) بسبب ظلمهم . وكيف نشكر من سبّب معصيتهم لتحريم الحلال ، ومعصيةَ سالفنا لتحليل الحرام حيث قال (وعفا عنكم فالآن باشروهن) .

(١٥) فيما أخبرنا به .

(١٦) فيما أوحيت إليك من هذا .

ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ(١) وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ(٢) عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟(٣) لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا(٤) وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ(٥) كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ(٦) حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا(٧) قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ(٨) فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ(٩) إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ(١٠) ۝ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ(١١)

(١) بها يمهل المكذّبين ولا يعاجلهم بالعقوبة .

(٢) عذابه مع سعة رحمته إذا جاء . فلا تغترّ بسعة رحمته عن خوف نقمته .

(٣) إخبار بما سوف يقولونه .

(٤) أن لا نشرك .

(٥) ولكن شاء فهذا عذرنا . يعنون أنّ شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم ما أحلّ الله لهم بمشيئته . ولولا مشيئته لم يكن شيء من ذلك .

(٦) أى كتكذيبهم إيّاك كان تكذيب المتقـدمين رسلهم وتشبثوا بمثل هذا . فلم ينفعهم ذلك إذ لم يقولوه عن اعتقاد بل قالوا ذلك استهزاء ، ولأنّهم جعلوا مشيئته حجّة لهم على أنّهم معذورون به . وهذا مردود لا الإقرار بالمشيئة . أو معنى المشيئة هنا الرضا كما قال الحسن أى رضى الله منّا ومن آبائنا الشرك . والشرك مراد لكنّه غير مرضيّ . ألا ترى أنّه قال(فلو شاء لهداكم أجمعين). أخبر أنّه لو شـاء منهم الهدى لآمن كلّهم . ولكن لم يشأ من الكلّ الإيمان بل شـاء من البعض الإيمان ومن البعض الكفر . فيجب حمل المشيئة هنـا على ما ذكرناه دفعا للتناقض .

(٧) حتّى أنزلنا عليهم العذاب .

(٨) من أمر معلوم يصحّ الاحتجاج به فيما قلتم .

(٩) فتظهروه .

(١٠) تكذبون .

(١١) عليكم بأوامره ونواهيه ولا حجة لكم على الله بمشيئته .

فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ[1] أَجْمَعِينَ ۝ قُلْ هَلُمَّ[2] شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا[3] فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ[4] وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا[5] وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم[6] بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ[7] ۝ قُلْ[8] تَعَالَوْاْ[9] أَتْلُ مَا حَرَّمَ[10] رَبُّكُمْ[11] عَلَيْكُمْ أَلَّا[12] تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا[13]

(١) أى فلو شاء هدايتكم . وبه تبطل صولة المعتزلة .

(٢) هاتوا شهداءكم وقربوهم . ويستوى فى هذه الكلمة الواحد والجمع والمذكّر والمؤنّث عند الحجازيين . وبنو تميم تؤنّث وتجمع .

(٣) أى ما زعموه محرّما .

(٤) فلا تسلّم لهم ما شهدوا به ولا تصدّقهم لأنّه إذا سلّم لهم فكأنّه شهد معهم مثل شهادتهم فكان واحدا منهم .

(٥) من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أنّ من كذّب بآيات الله فهو متبع للهوى إذ لو تبع الدليل لم يكن إلّا مصدّقا بالآيات موحّدا لله .

(٦) هم المشركون .

(٧) يسوّون الأصنام .

(٨) للذين حرّموا الحرث والأنعام .

(٩) هو من الخاصّ الذى صار عامّا . وأصله أن يقوله من كان فى مكان عال لمن هو أسفل منه ثم كثر حتّى عمّ .

(١٠) الذى حرّمه ربّكم .

(١١) من صلة (حرّم) .

(١٢) أن مفسّرة لفعل التلاوة . ولا للنهى .

(١٣) وأحسنوا بالوالدين إحسانا . ولمّا كان إيجاب الإحسان تحريما لترك الإحسان ذكر فى المحرّمات . وكذا ما بعده من الأوامر .

وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ[١] نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ[٢] وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا[٣] وَمَا بَطَنَ[٤] وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ[٥] ذَٰلِكُمْ وَصَّـٰكُم بِهِۦ[٦] لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ[٧] ۝ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ[٨] حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ[٩] وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ[١٠] لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا[١١] وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ[١٢] وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ[١٣]

(١) من أجل فقر ومن خشيته كقوله (خشية إملاق) .

(٢) لأنّ رزق العبيد على مولاهم .

(٣) ما بينك وبين الخلق . بدل من الفواحش .

(٤) ما بينك وبين الله .

(٥) كالقصاص والقتل على الردّة والرجم .

(٦) أى المذكور مفصّلا أمركم ربّكم بحفظه .

(٧) لتعقلوا عظمها عند الله .

(٨) إلّا بالخصلة التى هى أحسن وهى حفظه وتثميره .

(٩) (حتّى يبلغ أشدّه) مبلغ حلمه، فادفعوه إليه . وواحده شدّ كفلس وأفلس .

(١٠) بالسويّة والعدل .

(١١) إلّا ما يسعها ولا تعجز عنه . وإنما أتبع الأمر بإيفاء الكيل والميزان ذلك ، لأن مراعاة الحدّ من القسط الذى لا زيادة فيه ولا نقصان مما فيه حرج . فأمر ببلوغ الوسع وأن ماوراءه معفوّ عنه .

(١٢) فاصدقوا .

(١٣) ولو كان المقول له أو عليه فى شهادة أو غيرها من أهل قرابة القـائل كقوله (ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين) .

وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ(١) أَوْفُواْ ذَٰلِكُمْ(٢) وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ(٣) ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ(٤) هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا(٥) فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ(٦) فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ(٧) ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(٨) ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ(٩) ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ(١٠)

(١) يوم الميثاق أو في الأمر والنهي والوعد والوعيد والنذر واليمين .

(٢) أى ما مرّ .

(٣) بالتخفيف حيث كان حمزة وعليّ وحفص على حذف إحدى التاءين . غيرهم بالتشديد أصله تتذكّرون فأدغم التاء الثانية فى الذال . أى أمركم به لتتّعظوا .

(٤) ولأنّ هذا صراطى . فهو علة للاتّباع بتقدير اللام . (وأَنْ) بالتخفيف شاميّ وأصله وأنّه على أن الهاء ضمير الشأن والحديث . (وإنّ) على الابتداء حمزة وعليّ .

(٥) حال .

(٦) الطرق المختلفة فى الدين من اليهوديّة والنصرانيّة والمجوسيّة وسائر البدع والضلالات .

(٧) فتفرقكم أيادى سبا عن صراط الله المستقيم وهو دين الإسلام . روى أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم خطّ خطّا مستويا ثمّ قال هذا سبيل الرشد وصراط الله فاتّبعوه ثمّ خطّ على كلّ جانب ستّة خطوط ممالة ثمّ قال هذه سبل على كلّ سبيل منها شيطان يدعو إليه فاجتنبوها وتلا هذه الآية ثم يصير كل واحد من الاثنى عشر طريقا ستّة طرق فتكون اثنين وسبعين . وعن ابن عباس رضى الله عنهما هذه الآيات محكمات لم ينسخهنّ شيء من جميع الكتب . وعن كعب : إنّ هذه الآيات لأوّل شيء فى التوراة .

(٨) لتكونوا على رجاء إصابة التقوى . ذكر أوّلا تعقلون ثمّ تذكّرون ثمّ تتّقون لأنّهم إذا عقلوا تفكّروا ثمّ تذكّروا أى اتّعظوا فاتّقوا المحارم .

(٩) أى ثمّ أُخبركم أنّا آتينا . أو هو عطف على قل أى ثمّ قل آتينا . أو ثمّ مع الجملة تأتى بمعنى الواو كقوله (ثمّ الله شهيد) .

(١٠) على من كان محسنا صالحا يريد جنس المحسنين دليله قراءة عبد الله (على الذين أحسنوا) أو أراد به موسى عليه السلام . أى تمّة للكرامة على العبد الذى أحسن الطاعة فى التبليغ فى كلّ ما أمر به .

وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ(١) وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم(٢) بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ(٣) ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا(٤) كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ(٥) فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا(٦) لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ(٧) ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوا(٨) إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ(٩) مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ(١٠) لَغَافِلِينَ(١١) ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا(١٢) لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ(١٣) فَقَدْ جَاءَكُم

(١) وبيانا مفصّلا لكلّ ما يحتاجون إليه فى دينهم .

(٢) أى بنى إسرائيل .

(٣) يصدّقون . أى بالبعث والحساب وبالرؤية .

(٤) أى القرآن .

(٥) كثير الخير .

(٦) مخالفته .

(٧) لترحموا .

(٨) كراهة أن تقولوا أو لئلا تقولوا .

(٩) أى أهل التوراة وأهل الإنجيل . وهذا دليل على ان المجوس ليسوا بأهل كتاب .

(١٠) عن تلاوة كتبهم .

(١١) لا علم لنا بشىء من ذلك . (إن) مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها و بين النافية . والأصل وإنّه كنّا عن دراستهم غافلين على أنّ الهـاء ضمير الشان . والخطاب لأهل مكّة . والمراد إثبات الحجّة عليهم بإنزال القرآن على محمّد صلى الله عليه وسلّم كى لا يقولوا يوم القيامة إنّ التوراة والإنجيل أنزلا على طائفتين من قبلنا وكنّا غافلين عمّا فيهما .

(١٢) كراهة أن تقولوا .

(١٣) لحدّة أذهاننا وثقابة أفهامنا وغزارة حفظنا لأيّام العرب .

بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ(١) وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ(٢) وَصَدَفَ(٣) عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ(٤) بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ(٥) ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ(٦) أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ(٧) أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ(٨) يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا(٩) لَمْ تَكُنْ(١٠) ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا(١١) قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟(١٢) إِنَّا مُنتَظِرُونَ(١٣) ﴿١٥٨﴾

---

(١) أى إن صدقتم فيما كنتم تعدون من أنفسكم فقد جاءكم ما فيه البيان الساطع والبرهان القاطع . فحذف الشرط وهو من أحاسن الحذوف .

(٢) بعد ما عرف صحّتها وصدقها .

(٣) أى اعرض .

(٤) وهو النهاية فى النكاية .

(٥) بإعراضهم .

(٦) أى أقمنا حجج الوحدانية وثبوت الرسالة وأبطلنا ما يعتقدون من الضلالة فما ينتظرون فى ترك الضلالة بعدها (إلّا أن تأتيهم الملائكة) أى ملائكة الموت لقبض أرواحهم. (يأتيهم) حمزة وعلىّ .

(٧) أى أمر ربّك وهو العذاب أو القيامة . وهذا لأنّ الإتيان متشابه وإتيان أمره منصوص عليه محكم فيردّ إليه .

(٨) أى أشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك .

(٩) لأنّه ليس بإيمان اختيارىّ بل هو إيمان دفع العذاب والبأس عن أنفسهم .

(١٠) صفة نفسا .

(١١) أى إخلاصا . كما لا يقبل إيمان الكافر بعد طلوع الشمس من مغربها لا يقبل إخلاص المنافق أيضا أو توبته . وتقديره لا ينفع إيمان من لم يؤمن ولا توبة من لم يتب قبل .

(١٢) إحدى الآيات الثلاث .

(١٣) (إنّا منتظرون) بكم إحداها .

إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ (١) وَكَانُوا۟ شِيَعًا (٢) لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ (٣) إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ (٤) ۝ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا (٥) وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦) ۝ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ (٧) إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا (٨) قِيَمًا (٩) مِّلَّةَ (١٠) إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا (١١) وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (١٢) ۝

(١) اختلفوا فيـه وصاروا فرقا كما اختلفت اليهود والنصارى . وفى الحـديث افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلّها فى الهاوية إلّا واحدة وهى الناجية. وافترقت النصارى على إحدى وسبعين فرقة كلّها فى الهاوية إلّا واحدة . وتفترق أمّتى على ثلاث وسبعين فرقة كلّها فى الهاوية إلا واحدة وهى السواد الأعظم . وفى رواية وهى ما أنا عليه وأصحابى. وقيل فرّقوا دينهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض . (فارقوا دينهم) حمزة وعلىّ أى تركوا .

(٢) فرقا كلّ فرقة تشيّع إماما لها .

(٣) أى من السؤال عنهم وعن تفرّقهم أو من عقابهم .

(٤) فيجازيهم على ذلك .

(٥) تقديره عشر حسنات أمثالها . إلّا أنّه أقيم صفة الجنس المميزة مقام الموصوف .

(٦) بنقص الثواب وزيادة العقاب .

(٧) (ربّىَ) أبو عمرو ومدنىّ .

(٨) نصب على البـدل من محلّ (إلى صراط مستقيم) لأنّ معناه هدانى صراطا بدليل قوله (ويهديكم صراطا مستقيما) .

(٩) (قيّما) فيعل من قام كسيّد من ساد وهو أبلغ من القائم . (قيَما) كوفىّ وشامىّ وهو مصدر بمعنى القيام وصف به .

(١٠) عطف بيان .

(١١) حال من إبراهيم .

(١٢) (وما كان من المشركين) بالله يا معشر قريش .

قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي(١) وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي(٢) لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(٣) ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ(٤) وَبِذَٰلِكَ(٥) أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ(٦) ۝ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا(٧) وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ(٨) وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا(٩) وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ(١٠) ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ(١١) ۝ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ(١٢) وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ

(١) أى عبادتى . والناسك العابد . أو ذبحى ، أو حجى .

(٢) وما أتيته فى حياتى وأموت عليه من الايمان والعمل الصالح . (محياى ومماتى) بسكون الياء الأول وفتح الثانى مدنى . وبعكسه غيره .

(٣) خالصة لوجهه .

(٤) فى شىء من ذلك .

(٥) الإخلاص .

(٦) لأنّ إسلام كلّ نبىّ متقدّم على إسلام أمّته .

(٧) جواب عن دعائهم له إلى عبادة آلهتهم . والهمزة للإنكار . اى منكر أن أطلب ربّا غيره . وتقديم المفعول للإشعار بأنه أهمّ .

(٨) وكلّ من دونه مربوب ليس فى الوجود من له الربوبية غيره .

(٩) جواب عن قولهم (اتّبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم) .

(١٠) أى لا تؤخذ نفس آثمة بذنب نفس أخرى .

(١١) من الأديان التى فرّقتموها .

(١٢) لأنّ محمّدا صلّى الله عليه وسلّم خاتم النبيّين فأمّته قد خلفت سائر الأمم ، أو لأن بعضهم يخلف بعضا ، أو هم خلفاء الله فى أرضه يملكونها ويتصرّفون فيها .

فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ[(١)] لِّيَبْلُوَكُمْ[(٢)] فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ[(٣)] إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ[(٤)] وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ[(٥)] ﴿١٦٥﴾

---

(١) فى الشرف والرزق وغير ذلك .

(٢) مفعول ثان ، أو التقدير إلى درجات ، أو هى واقعة موقع المصدر كأنه قيل رفعة بعد رفعة .

(٣) فيما أعطاكم من نعمة الجاه والمال كيف تشكرون تلك النعمة وكيف يصنع الشريف بالوضيع والغنى بالفقير والمالك بالمملوك .

(٤) لمن كفر .

(٥) لمن قام بشكرها . ووصف العقاب بالسرعة لأنّ ما هو آت قريب (وما أمر الساعة إلّا كلمح البصر أو هو أقرب) . عن النبيّ صلّى الله عليه وسلم "من قرأ ثلاث آيات من أوّل الأنعام حين يصبح وكّل الله تعالى به سبعين ألف ملك يحفظونه وكتب له مثل أعمالهم إلى يوم القيامة" .

سورة الأعراف مكّيّة

وهي مائتان وخمس آيات بصريّ . وستّ كوفيّ ومدنيّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓصٓ (١) ۝ كِتَٰبٌ (٢) أُنزِلَ (٣) إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ (٤) مِّنْهُ لِتُنذِرَ (٥) بِهِۦ وَذِكْرَىٰ (٦) لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ (٧) وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ (٨)

(١) قال الزجاج المختار فى تفسيره ما قال ابن عباس رضى الله عنهما أنا الله أعلم وأفصّل .

(٢) خبر مبتدأ محذوف أى هو كتاب . والمراد بالكتاب السورة .

(٣) صفته .

(٤) شكّ فيه . وسمّى الشكّ حرجا لأنّ الشاكّ ضيّق الصدر حرجه كما أنّ المتيقّن منشرح الصدر منفسحه . أى لاشكّ فى أنّه منزل من الله. أو (حرج منه) بتبليغه لأنه كان يخاف قومه وتكذيبهم له وإعراضهم عنه وأذاهم فكان يضيق صدره من الأذى ولا ينشط له فأمّنه الله ونهاه عن المبالاة بهم . والنهى متوجّه إلى الحرج . وفيه من المبالغة ما فيه . والفاء للعطف . أى هذا الكتاب أنزلته إليك فلا يكن بعد إنزاله حرج فى صدرك .

(٥) اللام متعلق بأنزل . أى أنزل إليك لإنذارك به . أو بالنهى لأنه إذا لم يخفهم أنذرهم . وكذا إذا أيقن أنّه من عند الله شجّعه اليقين على الإنذار به لأنّ صاحب اليقين جسور متوكّل على ربّه .

(٦) فى محل النصب بإضمار فعلها . أى لتنذر به وتذكّر تذكيرا . فالذكرى اسم بمعنى التذكير . أو الرفع بالعطف على كتاب . أى هو كتاب وذكرى للمؤمنين . أو بأنه خبر مبتدأ محذوف . أو الجرّ بالعطف على محلّ لتنذر . أى للإنذار وللذكرى .

(٧) أى القرآن والسنّة .

(٨) من دون الله .

أَوْلِيَآءَ(١) قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ(٢) ۝ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ(٣) أَهْلَكْنَٰهَا(٤) فَجَآءَهَا(٥) بَأْسُنَا(٦) بَيَٰتًا(٧) أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ(٨) ۝ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ(٩) إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ(١٠) إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ(١١) ۝ فَلَنَسْـَٔلَنَّ(١٢) ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ(١٣) وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ(١٤) ۝

(١) أى ولا تتولّوا من دونه من شياطين الجنّ والإنس فيحملوكم على عبادة الأوثان والأهواء والبدع .

(٢) حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره . وقليلا نصب بتذكّرون . أى تذكّرون تذكّرا قليلا . وما مزيدة لتوكيد القلّة . (تتذكّرون) شامىّ .

(٣) مبتدأ .

(٤) تبيين .

(٥) الخبر . أى أردنا إهلاكها كقوله (إذا قمتم إلى الصلاة) .

(٦) جاء أهلها .

(٧) عذابنا .

(٨) مصدر واقع موقع الحال بمعنى بائتين يقال بات بياتا حسنا .

(٩) حال معطوفة على بياتا . كأنّه قيل فجاءهم بأسنا بائتين أو قائلين . وإنّما قيل هم قائلون بلا واو ولا يقال جاءنى زيد هو فارس بغير واو ، لأنّه لمّا عطف على حال قبلها حذفت الواو استثقالا لاجتماع حرفى عطف لأن واو الحال هى واو العطف استعيرت للوصل. وخصّ هذان الوقتان لأنّهما وقتا الغفلة فيكون نزول العذاب فيهما أشدّ وأفظع . وقوم لوط عليه السلام أهلكوا بالليل وقت السحر . وقوم شعيب عليه السلام وقت القيلولة . وقيل بياتا ليلا أى ليلا وهم نائمون أو نهارا وهم قائلون .

(١٠) دعاؤهم وتضرّعهم .

(١١) لمّا جاءهم أوائل العذاب .

(١٢) اعترفوا بالظلم على أنفسهم والشرك حين لم ينفعهم ذلك . و(دعواهم) اسم كان . و(أن قالوا) الخبر ويجوز العكس .

(١٣) (أرسل) مسند إلى(إليهم). أى فلنسأل المرسل إليهم وهم الأمم عمّا أجابوا به رسلهم.

(١٤) عما أجيبوا به .

فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ (١) وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ (٢) ﴿٧﴾ وَٱلْوَزْنُ (٣) يَوْمَئِذٍ (٤) ٱلْحَقُّ (٥) فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ (٦) فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٧) ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ (٨) فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ (٩) ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ (١٠) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ (١١) قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (١٢) ﴿١٠﴾

---

(١) (فلنقصّنّ) على الرسل والمرسل إليهم ما كان منهم .

(٢) عالمين بأحوالهم الظاهرة والباطنة وأقوالهم وأفعالهم .

(٣) عنهم وعمّا وجد منهم . ومعنى السؤال التوبيخ والتقريع والتقرير إذا فاهوا بألسنتهم وشهد عليهم أنبياؤهم .

(٤) أى وزن الأعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها . وهو مبتدأ .

(٥) خبره أى يوم يسأل الله الأمم ورسلهم . لحذفت الجملة وعوّض عنها التنوين .

(٦) أى العدل . صفته . ثم قيل توزن صحف الأعمال بميزان له لسان وكفّتان إظهارا للنصفة وقطعا للمعذرة . وقيل هو عبارة عن القضاء السوىّ والحكم العادل والله أعلم بكيفيّته .

(٧) جمع ميزان أو موزون . أى فمن رجحت أعماله الموزونة التى لها وزن وقدر وهى الحسنات . أو ما توزن به حسناتهم .

(٨) الفائزون .

(٩) هم الكفّار فإنّه لا إيمان لهم ليعتبر معه عمل فلا يكون فى ميزانهم خير فتخفّ موازينهم .

(١٠) يجحدون . فالآيات الحجج . والظلم بها وضعها فى غير موضعها أى بجحودها وترك الانقياد لها .

(١١) جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا . أو مكّناكم فيها وأقدرناكم على التصرّف فيها .

(١٢) جمع معيشة وهى ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرهما . والوجه تصريح الياء لأنّها أصليّة بخلاف صحائف فالياء فيها زائدة . وعن نافع أنّه همز تشبيها بصحائف .

(١٣) مثل (قليلا ما تذكّرون) .

وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ[(١)] ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ[(٢)] ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ[(٣)] إِذْ أَمَرْتُكَ[(٤)] قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ[(٥)] وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ[(٦)] ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا[(٧)]

---

(١) أى خلقنا أباكم آدم عليه السلام طينا غير مصوّر ثم صوّرناه بعد ذلك. دليله (ثمّ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) .

(٢) ممن سجد لآدم عليه السلام .

(٣) (ما) رفع . أى أىّ شيء منعك من السجود. و(لا) زائدة بدليل (مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى) . ومثلها (لئلا يعلم أهل الكتاب) أى ليعلم .

(٤) فيه دليل على أنّ الأمر للوجوب . والسؤال عن المانع من السجود مع علمه به للتوبيخ ولإظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره بأصله وتحقيره أصل آدم عليه السلام .

(٥) وهى جوهر نورانىّ .

(٦) وهو ظلمانىّ . وقد أخطأ الخبيث . بل الطين أفضل لرزانته ووقاره ومنه الحلم والحياء والصبر . وذلك دعاه إلى التوبة والاستغفار . وفى النار الطيش والحدّة والترفع . وذلك دعاه إلى الاستكبار . والتراب عدّة الممالك والنار عدّة المهالك . والنار مظنّة الخيانة والإفناء والتراب مئنّة الأمانة والإنماء . والطين يطفئ النار ويتلفها والنار لا تتلفه . وهذه فضائل غفل عنها إبليس ، حتى زلّ بفاسد من المقاييس . وقول نافى القياس : أوّل من قاس إبليس، قياس. على أن القياس عند مثبته مردود عند وجود النص. وقياس إبليس عناد للأمر المنصوص . وكان الجواب لما منعك أن يقول: منعنى كذا . وإنما قال أنا خير منه ، لأنّه قد استأنف قصّة وأخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم عليه السلام وبعلّة فضله عليه فعلم منها الجواب — كأنه قال منعنى من السجود فضلى عليه — وزيادة عليه وهى إنكار الأمر واستبعاد أن يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله إذ سجود الفاضل للفضول خارج عن الصواب.

(٧) من الجنّة أو من السماء لأنّه كان فيها وهى مكان المطيعين والمتواضعين . والفاء فى (فاهبط) جواب لقوله (أنا خير منه) . أى إن كنت تتكبّر فاهبط .

فَمَا يَكُونُ لَكَ(١) أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا(٢) فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ(٣) ۝ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ(٤) ۝ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ(٥) ۝ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى(٦) لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ(٧) ۝ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ(٨) وَمِنْ خَلْفِهِمْ(٩)

---

(١) فما يصحّ لك .

(٢) وتعصى .

(٣) من أهل الصّغار والهوان على الله وعلى أوليائه يذمّك كلّ إنسان ويلعنك كلّ لسان لتكبّرك . وبه علم أن الصغار لازم للاستكبار .

(٤) أمهلنى إلى يوم البعث وهو وقت النفخة الأخيرة .

(٥) إلى النفخة الأولى . وإنما أجيب إلى ذلك لما فيه من الابتلاء . وفيه تقريب لقلوب الأحباب . أى هذا برّى بمن يسيئنى فكيف بمن يحبّنى . وإنّما جسّره على السؤال مع وجود الزلل منه فى الحال ، علمه بحلم ذى الجلال .

(٦) أضللتنى أى فبسبب إغوائك إيّاى . والباء تتعلّق بفعل القسم المحذوف تقديره فبسبب إغوائك أقسم . أو تكون الباء للقسم أى فأقسم بإغوائك .

(٧) لأعترضنّ لهم على طريق الإسلام مترصّدا للردّ متعرّضا للصدّ كما يتعرّض العدوّ على الطريق ليقطعه على السابلة . وانتصابه على الظرف كقولك : ضرب زيد الظهر أى على الظهر . وعن طاوس أنّه كان فى المسجد الحرام فجاء رجل قدَرِىّ فقال طاوس : تقوم أو تقام ؟ فقام الرجل . فقيل له : أتقول هذا لرجل فقيه ؟ فقال : إبليس أفقه منه ، قال ربّ بما أغويتنى وهو يقول أنا أغوى نفسى .

(٨) أشكّكهم فى الآخرة .

(٩) أرغّبهم فى الدنيا .

وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ(١) وَعَن شَمَآئِلِهِمْ(٢) وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ(٣) ۝ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا(٤) مَّدْحُورًا(٥) لَّمَن(٦) تَبِعَكَ مِنْهُمْ(٧) لَأَمْلَأَنَّ(٨) جَهَنَّمَ مِنكُمْ(٩) أَجْمَعِينَ ۝ وَيَـٰٓـَٔادَمُ(١٠) ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ(١١) فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ(١٢) ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ(١٣)

(١) من قبل الحسنات .

(٢) من قبل السيئات وهو جمع شمال . يعنى (ثمّ لآتينّهم) من الجهات الأربع التى يأتى منهـا العدوّ فى الأغلب . وعن شقيق ما من صباح إلّا قعد لى الشيطان على أربعـة مراصد من بين يدىّ فيقول لاتخف فإنّ الله غفور رحيم فأقرأ (وإنى لغفّار لمن تاب وآمن وعمل صالحا)، ومن خلفى فيخوّفنى الضيعة على مخلّفى فأقرأ (وما من دابّة فى الأرض إلّا على الله رزقها)، وعن يمينى فيأتينى من قبل الشهوات فأقرأ (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) . ولم يقل من فوقهم ومن تحتهم لمكان الرحمة والسجدة. وقال فى الأوّلين (من) لابتداء الغاية. وفى الأخيرين (عن) لأنّ عن تدلّ على الانحراف .

(٣) مؤمنين . قاله ظنّا فأصاب لقوله (ولقد صدّق عليهم إبليس ظنّه) ؛ أو سمعه من الملائكة بإخبار الله تعالى إيّاهم .

(٤) من الجنّة أو من السماء .

(٥) معيبا من ذأمه إذا ذمّه . والذأم والذمّ العيب .

(٦) مطرودا مبعدا من رحمة الله .

(٧) اللام موطّئة للقسم .

(٨) جوابه وهو سادّ مسدّ جواب الشرط .

(٩) منك ومنهم فغلّب ضمير المخاطب .

(١٠) وقلنا (يا آدم) بعد إخراج إبليس من الجنّة .

(١١) اتّخذها مسكنا .

(١٢) فتصيرا .

(١٣) وسوس إذا تكلّم كلاما خفيّا يكرّره وهو غير متّئد . ورجل موسوِس بكسر الواو . ولا يقال موسوَس بالفتح . ولكن موسوَس له وموسوَس إليه . وهو الذى يلقى إليه الوسوسة. ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لأجله . ووسوس إليه ألقاها إليه .

لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَاوُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا[1] وَقَالَ مَانَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ[2] أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ[3] ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ[4] إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا[5] بِغُرُورٍ[6] فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ[7] بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا[8] وَطَفِقَا[9] يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ[10] وَنَادَىٰهُمَا

---

(١) ليكشف لهما ما ستر عنهما من عوراتهما . وفيه دليل على أن كشف العورة من عظائم الأمور وأنه لم يزل مستقبحا فى الطباع والعقول . فإن قلت ما للواو المضمومة فى وورى لم تقلب همزة كما فى أويصل تصغير واصل وأصله وويصل فقلبت الواو همزة كراهة لاجتماع الواوين ؟ قلت لأن الثانية مدة كألف وارى فكما لم يجب همزها فى واعد لم يجب فى ووري وهذا لأن الواوين إذا تحركتا ظهر فيهما من الثقل ما لا يكون فيهما إذا كانت الثانية ساكنة وهذا مدرك بالضرورة فالتزموا إبدالها فى موضع الثقل لا فى غيره. وقرأ عبد الله (أورى) بالقلب.

(٢) إلا كراهة أن تكونا ملكين تعلمان الخير والشر وتستغنيان عن الغذاء . وقرئ (ملِكين) لقوله (وملك لا يبلى) .

(٣) من الذين لا يموتون ويبقون فى الجنة ساكنين .

(٤) وأقسم لهما . وأخرج قسم إبليس على زنة المفاعلة لأنه لما كان منه القسم ومنهما التصديق فكأنها من اثنين .

(٥) فنزلهما إلى الأكل من الشجرة .

(٦) بما غرهما به من القسم بالله وإنما يخدع المؤمن بالله . وعن ابن عمر رضى الله عنهما من خدعنا بالله انخدعنا له .

(٧) وجدا طعمها آخذين فى الأكل منها . وهى السنبلة أو الكرم .

(٨) ظهرت لهما عورتهما لتهافت اللباس عنهما وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر . وقيل كان لباسهما من جنس الأظفار أى كالظفر بياضا فى غاية اللطف واللين فبقى عند الأظفار تذكيرا للنعم وتجديدا للندم .

(٩) وجعلا . يقال طفق يفعل كذا أى جعل .

(١٠) يجعلان على عورتهما من ورق التين أو الموز ورقة فوق ورقة ليستترا بها كما تخصف النعل .

رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ (١) وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ (٢) ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهۡبِطُواْ (٣) بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞ (٤) وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ (٥) وَمَتَٰعٌ (٦) إِلَىٰ حِينٖ (٧) ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا (٨) تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ (٩) ﴿٢٥﴾

---

(١) هذا عتاب من الله وتنبيه على الخطأ . وروى أنه قال لآدم عليه السلام ألم يكن لك فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة؟ فقال بلى ولكن ما ظننت أن أحدا يحلف بك كاذبا . قال فبعزّتى لأهبطنّك إلى الأرض ثم لا تنال العيش إلا بكدّ يمين وعرق جبين فأُهبط وعلّم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وسق وحصد ودرس وذرّى وطحن وعجن وخبز .

(٢) فيه دليل لنا على المعتزلة لأن الصغائر عندهم مغفورة .

(٣) الخطاب لآدم وحوّاء بلفظ الجمع لأنّ إبليس هبط من قبل ويحتمل أنّه هبط إلى السماء ثمّ هبطوا جميعا إلى الأرض .

(٤) فى موضع الحال أى متعادين يعاديهما إبليس ويعاديانه .

(٥) استقرار أو موضع استقرار .

(٦) وانتفاع بعيش .

(٧) إلى انقضاء آجالكم . وعن ثابت البنانى لما أهبط آدم عليه السلام وحضرته الوفاة وأحاطت به الملائكة فجعلت حوّاء تدور حولهم فقال لها خلّى ملائكة ربّى فإنّما أصابنى ما أصابنى فيك فلما توفّى غسّلته الملائكة بماء وسدر وترا وحنّطته وكفّنته فى وتر من الثياب وحفروا له قبرا ودفنوه بسرنديب بأرض الهند وقالوا لبنيه هذه سنّتكم بعده .

(٨) فى الأرض .

(٩) للثواب والعقاب . (تَخْرُجون) حمزة وعلىّ .

يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا[1] يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ[2] وَرِيشًا[3] وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ[4] ذَٰلِكَ خَيْرٌ[5] ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ اللَّهِ[6] لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ[7] ۝ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ[8] الشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا[9] لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ[10] إِنَّهُۥ[11] يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ[12]

---

[1] جعل ما فى الأرض منزلا من السماء لأن أصله من المـاء وهو منها .

[2] يستر عوراتكم .

[3] لباس الزينة إستعير من ريش الطير لأنه لباسه وزينته أى أنزلنا عليكم لباسين لباسا يوارى سوءاتكم ولباسا يزيّنكم .

[4] ولباس الورع الذى يقى العقاب . وهو مبتدأ .

[5] الجملة خبر. كأنه قيل ولباس التقوى هو خير لأن أسماء الإشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع إلى عود الذكر . أو (ذلك) صفة للمبتدأ و (خير) خبر المبتدأ كأنه قيل (ولبـاس التقوى) المشار إليه خير. أو لباس التقوى خبر مبتدأ محذوف أى وهو لباس التقوى أى ستر العورة لباس المتقين ثم قال ذلك خير. وقيل ولباس أهل التقوى من الصوف والخشن . (ولباسَ التقوى) مدنىّ وشامىّ وعلىّ عطفا على (لباسا) أى وأنزلنا عليكم لباس التقوى .

[6] الدالّة على فضله ورحمته على عباده يعنى إنزال اللباس .

[7] فيعرفوا عظيم النعمة فيـه . وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدوّ السوءات وخصف الورق عليها إظهاراً للمنّة فيما خلق من اللباس ولمـا فى العرى من الفضيحة وإشعارا بأنّ التستّر من التقوى .

[8] لا يخدعنّكم ولا يضلّنّكم بألّا تدخلوا الجنّة كما فتن أبويكم بأن أخرجهما منها. والنهى فى الظاهر للشيطان . وفى المعنى لبنى آدم أى لا تتبعوا الشيطان فيفتنكم .

[9] حال أى أخرجهما نازعا لباسهما بأن كان سببا فى أن نزع عنهما .

[10] عوراتهما .

[11] الضمير للشأن والحديث . تعليـل للنهى وتحذير من فتنته بأنّه بمنزلة العدوّ المداجى يكيدكم من حيث لا تشعرون .

[12] وذريّته أو وجنوده من الشياطين . وهو عطف على الضمير فى يراكم المؤكّد بهو .

مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ (١) إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (٢) ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً (٣) قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا (٤) قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ (٥) أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦) ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ (٧) وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ (٨) وَٱدْعُوهُ (٩) مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ (١٠) كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (١١) ﴿٢٩﴾

ولم يعطف عليه لأنّ معمول الفعل هو المستكنّ دون هذا البارز وإنّما يعطف على ما هو معمول الفعل .

(١) قال ذو النون إن كان هو يراك من حيث لا تراه فاستعن بمن يراه من حيث لا يراه وهو الله الكريم الستّار الرحيم الغفّار .

(٢) فيه دلالة خلق الأفعال .

(٣) ما يبالغ فى قبحه من الذنوب وهو طوافهم بالبيت عراة وشركهم .

(٤) أى إذا فعلوها اعتذروا بأنّ آباءهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم وبأنّ الله أمرهم بأن يفعلوها حيث أقرّنا عليها إذ لو كرهها لنقلنا عنها . وهما باطلان لأنّ أحدهما تقليد للجهّال والثانى افتراء على ذى الجلال .

(٥) إذ المأمور به لابدّ أن يكون حسنا وإن كان فيه على مراتب على ما عرف فى أصول الفقه .

(٦) استفهام إنكار وتوبيخ .

(٧) بالعدل وبما هو حسن عند كلّ عاقل فكيف يأمر بالفحشاء .

(٨) (و) قل (أقيموا وجوهكم) أى اقصدوا عبادته مستقيمين إليها غير عادلين إلى غيرها فى كل وقت سجود أو فى كل مكان سجود .

(٩) واعبدوه .

(١٠) أى الطاعة مبتغين بها وجهه خالصا .

(١١) كما أنشأكم ابتداء يعيدكم . احتجّ عليهم فى إنكارهم الإعادة بابتداء الخلق . والمعنى أنّه يعيدكم فيجازيكم عن أعمالكم فأخلصوا له العبادة .

فَرِيقًا هَدَىٰ (١) وَفَرِيقًا (٢) حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ (٣) إِنَّهُمُ (٤) ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ (٥) مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ (٦) عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ (٧) وَكُلُوا۟ (٨) وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ (٩) إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ (١٠) ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ (١١) وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ (١٢)

(١) وهم المسلمون .

(٢) أى أضلّ (فريقا) .

(٣) وهم الكافرون .

(٤) إنّ الفريق الذين حقّ عليهم الضلالة .

(٥) أى أنصارا . والآية حجة لنا على الاعتزال فى الهداية والإضلال .

(٦) لباس زينتكم .

(٧) كلّما صلّيتم . وقيل الزينة المشط والطيب . والسنة أن يأخذ الرجل أحسن هيئاته للصلاة لأنّ الصلاة مناجاة الربّ فيستحبّ لها التزيّن والتعطّر كما يجبّ التستّر والتطهّر .

(٨) من اللحم والدسم .

(٩) بالشروع فى الحرام أو فى مجاوزة الشبع . وعن ابن عباس رضى الله عنهما : كل ما شئت واشرب ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان : سرف ومخيلة . وكان للرشيد طبيب نصرانىّ حاذق فقال لعلىّ بن الحسين بن واقد : ليس فى كتابكم من علم الطب شىء والعلم علمان علم الأبدان وعلم الأديان، فقال له علىّ : قد جمع الله الطبّ كلّه فى نصف آية من كتابه وهو قوله (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) . فقال النصرانىّ ولم يرو عن رسولكم شىء فى الطبّ . فقال قد جمع رسولنا الطبّ فى ألفاظ يسيرة وهى قوله عليه السلام : " المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء وأعط كل بدن ما عوّدته " . فقال النصرانىّ ما ترك كتابكم ولا نبيّكم لجالينوس طبّا .

(١٠) من الثياب وكلّ ما يتجمّل به . استفهام إنكار على محرّم الحلال .

(١١) أى أصلها يعنى القطن من الأرض والقزّ من الدود .

(١٢) والمستلذّات من المآكل والمشارب. وقيل كانوا إذا أحرموا حرّموا الشاة وما يخرج من لحمها وشحمها ولبنها .

قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا(١) خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ(٢) كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ(٣) لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ(٤) ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ(٥) مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ(٦) وَٱلْإِثْمَ(٧) وَٱلْبَغْىَ(٨) بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ(٩) وَأَن تُشْرِكُوا۟(١٠) بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا(١١) وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ(١٢) ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ(١٣)

---

(١) غير خالصة لهم لأنّ المشركين شركاؤهم فيها .

(٢) لا يشركهم فيها أحد . ولم يقل للذين آمنوا ولغيرهم ليتنبّه على أنّها خلقت للذين آمنوا على طريق الأصالة والكفّار تبع لهم . (خالصة) بالرفع نافع فهى مبتدأ خبره (للذين آمنوا) و(فى الحياة الدنيا) ظرف للخبر . أو خالصة خبر ثان أو خبر مبتدأ محذوف أى هى خالصة . وغيره نصبها على الحال من الضمير الذى فى الظرف الذى هو الخبر أى هى ثابتة للذين آمنوا فى الحياة الدنيا فى حال خلوصها يوم القيامة .

(٣) نميّز الحلال من الحرام .

(٤) (يعلمون) أنّه لا شريك له .

(٥) (ربّى) حمزة . (الفواحش) ما تفاحش قبحه أى تزايد .

(٦) سرّها وعلانيتها .

(٧) أى شرب الخمر أو كلّ ذنب .

(٨) والظلم والكبر .

(٩) متعلّق بالبغى .

(١٠) محلّه النصب كأنّه قال حرّم الفواحش وحرّم الشرك .

(١١) حجّة . (يُنْزِل) بالتخفيف مكّىّ وبصرىّ . وفيه تهكّم إذ لا يجوز أن ينزّل برهانا على أن يشرك به غيره .

(١٢) وأن تتقوّلوا عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره .

(١٣) وقت معين يأتيهم فيه عذاب الاستئصال إن لم يؤمنوا . وهو وعيد لأهل مكّة بالعذاب النازل فى أجل معلوم عند الله كما نزل بالأمم .

فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ(١) ﴿٣٤﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ(٢) رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي(٣) فَمَنِ ٱتَّقَىٰ(٤) وَأَصْلَحَ(٥) فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ(٦) ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟(٧) بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ(٨) أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ(٩) مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ(١٠) أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ(١١) حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا(١٢) يَتَوَفَّوْنَهُمْ(١٣) قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا(١٤) كُنتُمْ تَدْعُونَ

(١) قيّد بساعة لأنّها أقلّ ما يستعمل فى الإمهال .

(٢) هى إن الشرطية ضمّت إليها ما مؤكّدة لمعنى الشرط لأنّ ما للشرط ولذا ألزمت فعلها النون الثقيلة أو الخفيفة .

(٣) يقرءون عليكم كتبى . وهو فى موضع رفع صفة لرسل .

(٤) (فمن اتّقى) الشرك .. جواب الشرط .

(٥) (وأصلح) العمل منكم .

(٦) أصلا . (فلا خوفَ) يعقوب .

(٧) منكم .

(٨) تعظّموا عن الإيمان بها .

(٩) فمن أشنع ظلما .

(١٠) ممّن تقوّل على الله ما لم يقله أو كذّب ما قاله .

(١١) ما كتب لهم من الأرزاق والأعمار .

(١٢) ملك الموت وأعوانه . وحتّى غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له . وهى حتّى التى يبتدأ بعدها الكلام، والكلام هنا الجملة الشرطية وهى (إذا جاءتهم رسلنا) .

(١٣) يقبضون أرواحهم وهو حال من الرسل أى متوفّيهم .

(١٤) (ما) فى خطّ المصحف موصولة بأين وحقّها أن تكتب مفصولة لأنّها موصولة . والمعنى أين الآلهة الذين تعبدون .

مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا(١) وَشَهِدُواْ(٢) عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ(٣) ﴿٣٧﴾ قَالَ(٤) ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ(٥) قَدْ خَلَتْ(٦) مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ(٧) فِى ٱلنَّارِ(٨) كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ(٩) لَّعَنَتْ أُخْتَهَا(١٠) حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ(١١) فِيهَا جَمِيعًا(١٢) قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ(١٣) لِأُولَىٰهُمْ(١٤) رَبَّنَا(١٥) هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا(١٦) مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ(١٧)

---

(١) ليذبّوا عنكم .

(٢) غابوا عنّا فلا نراهم .

(٣) اعترفوا بكفرهم بلفظ الشهادة التى هى لتحقيق الخبر .

(٤) أى يقول الله تعالى يوم القيامة لهؤلاء الكفار (ادخلوا) .

(٥) فى موضع الحال أى كائنين فى جملة أمم مصاحبين لهم .

(٦) مضت .

(٧) من كفّار الجنّ والإنس .

(٨) متعلّق بادخلوا .

(٩) النار .

(١٠) شكلها فى الدين أى التى ضلّت بالاقتداء بها .

(١١) أصله تداركوا أى تلاحقوا واجتمعوا فى النار فأبدلت التاء دالا وسكّنت للإدغام ثم أدخلت همزة الوصل .

(١٢) حال .

(١٣) منزلة وهى الأتباع والسفلة .

(١٤) منزلة وهى القادة والرءوس . ومعنى (لأولاهم) لأجل أولاهم لأن خطابهم مع الله لا معهم .

(١٥) يا ربّنا .

(١٦) مضاعفا .

(١٧) للقادة بالغواية والإغواء ، وللأتباع بالكفر والاقتداء .

وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ(١) ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ(٢) فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ(٣) ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ(٤) وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ(٥) وَكَذَٰلِكَ(٦) نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ(٧) ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ(٨) وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ(٩) وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ(١٠) ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ(١١) أُو۟لَٰٓئِكَ(١٢)

(١) ما لكلّ فريق منكم من العذاب . (لايعلمون) أبو بكر ، أى لا يعلم كلّ فريق مقدار عذاب الفريق الآخر.

(٢) عطفوا هذا الكلام على قول الله تعالى للسفلة (لكلّ ضعف) أى فقد ثبت أن لا فضل لكم علينا وأنّا متساوون فى استحقاق الضعف .

(٣) بكسبكم وكفركم .وهو من قول القادة للسفلة ولاوقف على(فضل). أو من قول الله لهم جميعا والوقف على (فضل) .

(٤) أى لا يؤذن لهم فى صعود السماء ليدخلوا الجنّة إذ هى فى السماء . أو لا يصعد لهم عمل صالح ولا تنزل عليهم البركة . أو لا تصعد أرواحهم إذا ماتوا كما تصعد أرواح المؤمنين إلى السماء . وبالتاء مع التخفيف أبو عمرو. وبالياء معه حمزة وعلىّ .

(٥) حتى يدخل البعير فى ثقب الإبرة ، أى لا يدخلون الجنّة أبدا لأنّه علّقه بما لا يكون . والخياط والمخيط ما يخاط به وهو الإبرة .

(٦) ومثل ذلك الجزاء الفظيع الذى وصفنا .

(٧) أى الكافرين بدلالة التكذيب بآيات الله والاستكبار عنها .

(٨) فراش .

(٩) أغطية . جمع غاشية .

(١٠) (وكذلك نجزى الظالمين) أنفسهم بالكفر .

(١١) طاقتها . والتكليف إلزام ما فيه كلفة أى مشقّة .

(١٢) مبتدأ .

أَصْحَٰبُ[(١)] ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ[(٢)] تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ[(٣)] وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا[(٤)] وَمَا كُنَّا[(٥)] لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ[(٦)] لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ[(٧)] وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ[(٨)] أُورِثْتُمُوهَا[(٩)] بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ

(١) الخبر . والجملة خبر الذين . و (لا نكلّف نفسا إلّا وسعها) اعتراض بين المبتدأ والخبر.

(٢) حقد كان بينهم فى الدنيا فلم يبق بينهم إلا التوادّ والتعاطف . وعن علىّ رضى الله عنه إنى لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم .

(٣) حال من (هم) فى صدورهم . والعامل فيها معنى الإضافة .

(٤) لما هو وسيلة إلى هذا الفوز العظيم وهو الإيمان .

(٥) (ما كنّا) بغير واو شامىّ ، على أنّها جملة موضّحة للأولى . .

(٦) اللام لتوكيد النفى . أى وما كان يصحّ أن نكون مهتدين لولا هداية الله . وجواب لولا محذوف دلّ عليه ما قبله .

(٧) فكان لطفا لنا وتنبيها على الاهتداء فاهتدينا . يقولون ذلك سرورا بما نالوا وإظهارا لما اعتقدوا .

(٨) (أن) مخفّفة من الثقيلة واسمها محذوف والجملة بعدها خبرها تقديره ونودوا بأنّه تلكم الجنّة . والهاء ضمير الشأن . أو بمعنى أى كأنه قيل لهم (تلكم الجنّة) .

(٩) أعطيتموها وهو حال من الجنّة والعامل فيها ما فى تلك من معنى الإشارة . سمّاها ميراثا لأنها لا تستحقّ بالعمل، بل هى محض فضل الله وعده على الطاعات كالميراث من الميّت ليس بعوض عن شىء بل هو صلة خالصة . وقال الشيخ أبو منصور رحمه الله : إن المعتزلة خالفوا الله فيما أخبر ونوحا عليه السلام وأهل الجنة والنار وإبليس لأنه قال الله تعالى (يضلّ من يشاء ويهدى من يشاء) وقال نوح عليه السلام (ولا ينفعكم نصحى إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم) وقال أهل الجنّة (وما كنّا لنهتدى لولا أن هدانا الله) وقال أهل النار (لو هدانا الله لهديناكم) وقال إبليس (فبما أغويتنى) .

أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن[1] قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا[2] حَقًّا[3] فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ[4] حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ[5] فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ[6] بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ[7] ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ[8] عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ[9] وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا[10] وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ[11] كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا[12] حِجَابٌ[13] وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ[14] رِجَالٌ[15] يَعْرِفُونَ كُلًّۢا[16] بِسِيمَٰهُمْ[17]

---

(١) (أن) مخفّفة من الثقيلة أو مفسّرة . وكذلك (أن لعنة الله على الظالمين) .

(٢) من الثواب .

(٣) حال .

(٤) من العذاب . وتقديره وعدكم ربكم فحذف (كم) لدلالة (وعدنا ربّنا) عليه . وإنّما قالوا لهم ذلك شماتة بأصحاب النار واعترافا بنعم الله تعالى .

(٥) وبكسر العين حيث كان عليّ .

(٦) نادى مناد وهو ملك يسمع أهل الجنّة والنار .

(٧) (أنّ لعنةَ) مكّيّ وشاميّ وحمزة وعليّ .

(٨) يمنعون .

(٩) دينه .

(١٠) مفعول ثان ليبغون أى ويطلبون لها الاعوجاج والتناقض .

(١١) بالدار الآخرة .

(١٢) وبين الجنّة والنار أو بين الفريقين .

(١٣) وهو السور المذكور فى قوله (فضرب بينهم بسور) .

(١٤) على أعراف الحجاب وهو السور المضروب بين الجنّة والنار وهى أعاليه جمع عُرْف استعير من عرف الفرس وعرف الديك .

(١٥) من أفاضل المسلمين، أو من آخرهم دخولا فى الجنّة لاستواء حسناتهم وسيّئاتهم، أو من لم يرض عنه أحد أبويه ، أو أطفال المشركين .

(١٦) من زمرة السعداء والأشقياء .

(١٧) بعلامتهم. قيل سيما المؤمنين بياض الوجوه ونضارتها وسيما الكافرين سواد الوجوه وزرقة العيون .

وَنَادَوْاْ[1] أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ[2] لَمْ يَدْخُلُوهَا[3] وَهُمْ يَطْمَعُونَ[4] ۝ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ[5] تِلْقَآءَ[6] أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ[7] قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ[8] ۝ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا[9] يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ[10] وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ[11] ۝ أَهَٰٓؤُلَآءِ[12] ٱلَّذِينَ[13] أَقْسَمْتُمْ[14] لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ[15] ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ[16] لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ۝

---

(١) أى أصحاب الأعراف .

(٢) أنّه سلام أو أى سلام . وهو تهنئة منهم لأهل الجنّة .

(٣) أى أصحاب الأعراف ولا محلّ له لأنه استئناف كأنّ سائلا سأل عن أصحاب الأعراف فقيل (لم يدخلوها) . أو له محلّ وهو صفة لرجال .

(٤) فى دخولها .

(٥) أبصار أصحاب الأعراف وفيه أنّ صارفا يصرف أبصارهم لينظروا فيستعيذوا .

(٦) ظرف . أى ناحية .

(٧) ورأوا ما هم فيه من العذاب .

(٨) فاستعاذوا بالله وفزعوا إلى رحمته ألّا يجعلهم معهم .

(٩) من رءوس الكفرة .

(١٠) (جمعكم) المال ، أو كثرتكم واجتماعكم . و(ما) نافية .

(١١) واستكبارکم على الحقّ وعلى الناس .

(١٢) مبتدأ .

(١٣) خبر مبتدأ مضمر تقديره (أهؤلاء) هم (الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة) والمشار إليهم فقراء المؤمنين كصهيب وسلمان ونحوهما .

(١٤) حلفتم فى الدنيا .

(١٥) جواب (أقسمتم) وهو داخل فى صلة الذين تقديره أقسمتم عليهم بأن لا ينالهم الله برحمة أى لا يدخلهم الجنّة . يحتقرونهم لفقرهم .

(١٦) يقال لأصحاب الأعراف بعد أن نظروا إلى الفريقين وعرفوهم بسياهم وقالوا ما قالوا .

وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟[1] عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ[2] قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ[3] ۝ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا[4] وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا[5] فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ[6] كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ[7] ۝ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ[8] عَلَىٰ عِلْمٍ[9] هُدًى[10] وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ هَلْ يَنظُرُونَ[11] إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ[12]

---

(١) (أن) مفسرة . وفيه دليل على أنّ الجنّة فوق النار .

(٢) من غيره من الأشربة لدخوله فى حكم الإفاضة. أو أريد (أو) ألقوا علينا (ممّا رزقكم الله) من الطعام والفاكهة كقوله * علفتها تبنا وماء باردا * أى وسقيتها . وإنّما سألوا ذلك مع يأسهم عن الإجابة لأن المتحيّر ينطق بما يفيد وبما لا يفيد .

(٣) هو تحريم منع كما فى (وحرّمنا عليه المراضع).وتقف هنا إن رفعت أو نصبت ما بعده ذمّا . وإن جررته وصفا للكافرين فلا .

(٤) فحرّموا وأحلّوا ما شاءوا . أو دينهم عيدهم .

(٥) اغترّوا بطول البقاء .

(٦) نتركهم فى العذاب .

(٧) أى كنسيانهم وجحودهم .

(٨) ميّزنا حلاله وحرامه ومواعظه وقصصه .

(٩) عالمين بكيفيّة تفصيل أحكامه .

(١٠) حال من منصوب (فصّلناه) كما أنّ (على علم) حال من مرفوعه .

(١١) ينتظرون .

(١٢) إلّا عاقبة أمره وما يؤول إليه من تبيّن صدقه وظهور صحّة ما نطق به من الوعد والوعيد .

يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ(١) مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ(٢) فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ(٣) أَوْ نُرَدُّ(٤) فَنَعْمَلَ(٥) غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ(٦) ۝ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ(٧) ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ(٨) عَلَى ٱلْعَرْشِ(٩)

(١) تركوه وأعرضوا عنه .

(٢) أى تبيّن وصحّ أنّهم جاءوا بالحقّ . فأقرّوا حين لا ينفعهم .

(٣) جواب الاستفهام .

(٤) جملة معطوفة على الجملة قبلها داخلة معها فى حكم الاستفهام كأنّه قيل فهل لنا من شفعاء أو هل نردّ . ورافعه وقوعه موقعا يصلح للاسم كقولك ابتداء هل يضرب زيد . أو عطف على تقدير هل يشفع لنا شافع أو هل نرد .

(٥) جواب الاستفهام أيضا .

(٦) ما كانوا يعبدونه من الأصنام .

(٧) أراد السموات والأرض وما بينهما . وقد فصّلها فى حم السجدة أى من الأحد إلى الجمعة ، لاعتبار الملائكة شيئا فشيئا ، وللإعلام بالتأنّى فى الأمور ، ولأنّ لكلّ عمل يوما ، ولأنّ إنشاء شىء بعد شىء أدلّ على عالم مدبّر مريد يصرّفه على اختياره ويجريه على مشيئته .

(٨) استولى .

(٩) أضاف الاستيلاء إلى العرش وإن كان سبحانه وتعالى مستوليا على جميع المخلوقات لأنّ العرش أعظمها وأعلاها . وتفسير العرش بالسرير والاستواء بالاستقرار كما تقوله المشبّهة باطل ، لأنه تعالى كان قبل العرش ولا مكان وهو الآن كما كان لأنّ التغيّر من صفات الأكوان . والمنقول عن الصادق والحسن وأبى حنيفة ومالك رضى الله عنهم أنّ الاستواء معلوم والتكييف فيه مجهول والإيمان به واجب والجحود له كفر والسؤال عنه بدعة .

يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا

(١) (يغشّى) حمزة وعلىّ وأبو بكر. أى يلحق الليل بالنهار والنهار بالليل .

(٢) حال من الليل أى سريعا . والطالب هو الليل كأنّه لسرعة مضيّه يطلب النهـار .

(٣) أى وخلق الشمس والقمر والنجوم .

(٤) حال أى مذللات (والشمسُ والقمرُ والنجومُ مسخّراتٌ) شامىّ . والشمس مبتدأ والبقية معطوفة عليها والخبر (مسخّرات) .

(٥) هو أمر تكوين .

(٦) لمّـا ذكر أنّه خلقهنّ مسخّرات بأمره قال (ألا له الخلق) . أى هو الذى خلق الأشياء وله الأمر .

(٧) كثر خيره أو دام برّه . من البركة النمـاء أو من البروك الثبات ومنه البركة .

(٨) نصب على الحال أى ذوى تضرّع وخفية . والتضرّع تفعّل من الضراعة وهى الذلّ أى تذلّلا وتملّقا . قال عليه السلام: " إنّكم لا تدعون أصمّ ولا غائبا إنّمـا تدعون سميعا قريبا إنّه معكم أينما كنتم " . عن الحسن "بين دعوة السرّ والعلانية سبعون ضعفا" .

(٩) المجاوزين ما أمروا به فى كلّ شىء من الدعاء وغيره . وعن ابن جريج : الرافعين أصواتهم بالدعاء . وعنه : الصياح فى الدعاء مكروه وبدعة . وقيل هو الإسهاب فى الدعاء . وعن النّبى صلّى الله عليه وسلّم سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وحسب المرء أن يقول: اللّهم إنّى أسألك الجنّة وما قرّب إليهـا من قول وعمل ، وأعوذ بك من النار وما قرّب إليهـا من قول وعمل . ثم قرأ (إنّه لا يحبّ المعتدين) .

(١٠) أى بالمعصية بعد الطاعة أو بالشرك بعد التوحيد أو بالظلم بعد العدل .

وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا[1] إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ[2] مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ[3] بُشْرًۢا[4] بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ[5] حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ[6] سَحَابًا ثِقَالًا[7] سُقْنَـٰهُ[8] لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ[9] فَأَنزَلْنَا بِهِ[10] ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ[11]

---

(١) حالان أى خائفين من الرّدّ طامعين فى الإجابة . أو من النيران وفى الجنان . أو من الفراق وفى التلاق . أو من غيب العاقبة وفى ظاهر الهداية . أو من العدل وفى الفضل .

(٢) ذكّر قريب على تأويل الرحمة بالرحم أو الترحّم ، أو لأنّه صفة موصوف محذوف أى شىء قريب ، أو على تشبيهه بفعيل الذى هو بمعنى مفعول ، أو لأنّ تأنيث الرحمة غير حقيقىّ ، أو للإضافة إلى المذكّر .

(٣) (الريح) مكّىّ وحمزة وعلىّ .

(٤) (نَشْرا) حمزة وعلىّ مصدر نشر . وانتصابه إمّا لأنّ أرسل ونشّر متقاربان فكأنّه قيل نشرها نشرا . وأما على الحال أى منشورات . (بُشْرا) عاصم تخفيف بُشُرا جمع بشير لأن الرياح تبشّر بالمطر . (نُشْرا) شامىّ تخفيف نُشُر كرُسُل ورسْل وهو قراءة الباقين جمع نشور أى ناشرة للمطر .

(٥) أمام نعمته وهو الغيث الذى هو من أجلّ النعم .

(٦) حملت ورفعت . واشتقاق الإقلال من القلّة لأنّ الرافع المطيق يرى ما يرفعه قليلا .

(٧) بالمـاء جمع سحابة .

(٨) الضمير للسحاب على اللفظ . ولو حمل على المعنى كالثقال لأنّث كما لو حمل الوصف على اللفظ لقيل ثقيلا .

(٩) (لبلد ميْت) لأجل بلد ليس فيه مطر ولسقيه . (ميّت) مدنىّ وحمزة وعلىّ وحفص.

(١٠) بالسحاب أو بالسوق . وكذلك (فأخرجنا به من كلّ الثمرات) .

(١١) مثل ذلك الإخراج وهو إخراج الثمرات .

نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ [١] ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ [٢] يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ [٣]
وَٱلَّذِى [٤] خَبُثَ لَا يَخْرُجُ [٥] إِلَّا نَكِدًا [٦] كَذَٰلِكَ [٧] نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ [٨] لِقَوْمٍ
يَشْكُرُونَ [٩] ﴿٥٨﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا [١٠] نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ [١١] فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ
مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ [١٢] إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ [١٣] عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾

(١) فيؤدّيكم التذكّر إلى الإيمان بالبعث إذ لا فرق بين الإخراجين لأنّ كلّ واحد منهما إعادة الشيء بعد إنشائه .

(٢) الأرض الطيّبة الترب .

(٣) بتيسيره وهو موضع الحال كأنّه قيل يخرج نباته حسنا وافيا لأنّه واقع فى مقابلة (نكدا) .

(٤) صفة للبلد . أى والبلد الخبيث .

(٥) أى نباته فحذف للاكتفاء .

(٦) هو الذى لا خير فيه . وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ وهو المؤمن ولمن لا يؤثّر فيه شيء من ذلك وهو الكافر . وهذا التمثيل واقع على أثر مثل ذكر المطر وإنزاله بالبلد الميت وإخراج الثمرات به على طريق الاستطراد .

(٧) مثل ذلك التصريف .

(٨) نردّدها ونكرّرها .

(٩) (نصرّف الآيات لقوم يشكرون) نعمة الله — وهم المؤمنون — ليتفكّروا فيها ويعتبروا بها .

(١٠) جواب قسم محذوف أى والله (لقد أرسلنا) .

(١١) أرسل وهو ابن خمسين سنة وكان نجّارا وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو اسم إدريس عليه السلام .

(١٢) (غيره) علىّ . فالرفع على المحلّ كأنّه قيل ما لكم إله غيره فلا تعبدوا معه غيره . والجرّ على اللفظ .

(١٣) يوم القيامة أو يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان .

قَالَ ٱلْمَلَأُ(١) مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ(٢) ۝ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ(٣) وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ(٤) ۝ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى(٥) وَأَنصَحُ لَكُمْ(٦) وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ(٧) ۝ أَوَعَجِبْتُمْ(٨) أَن جَآءَكُمْ(٩) ذِكْرٌ(١٠)

---

(١) أى الأشراف والسادة .

(٢) أى فى ذهاب عن طريق الصواب بيّن . والرؤية رؤية القلب .

(٣) ولم يقل ضلال كما قالوا ، لأنّ الضلالة أخصّ من الضلال فكانت أبلغ فى نفى الضلال عن نفسه كأنّه قال ليس بى شىء من الضلال .

(٤) استدارك لتأكيد نفى الضلالة لأنّ كونه رسولا من الله مبلّغا لرسالاته فى معنى كونه على الصراط المستقيم . فكان فى الغاية القصوى من الهدى .

(٥) ما أوحى إلىّ فى الأوقات المتطاولة أو فى المعانى المختلفة من الأوامر والنواهى والمواعظ والبشائر والنظائر . (أبْلغكم) أبو عمرو . وهو كلام مستأنف بيان لكونه رسول ربّ العالمين .

(٦) وأقصد صلاحكم بإخلاص يقال نصحته ونصحت له . وفى زيادة اللام مبالغة ودلالة على إمحاض النصيحة . وحقيقة النصح إرادة الخير لغيرك مما تريده لنفسك أو النهاية فى صدق العناية .

(٧) أى من صفاته يعنى قدرته الباهرة وشدّة بطشه على أعدائه وأنّ بأسه لا يردّ عن القوم المجرمين .

(٨) الهمزة للإنكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كأنه قيل أكذّبتم وعجبتم .

(٩) من (أن جاءكم) .

(١٠) موعظة .

مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ[1] لِيُنذِرَكُمْ[2] وَلِتَتَّقُوا[3] وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ[4] ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ[5] فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ[6] فِي الْفُلْكِ[7] وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ[8] ﴿٦٤﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ[9] أَخَاهُمْ[10] هُودًا[11] قَالَ[12] يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ[13] الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ

(١) على لسان رجل منكم أى من جنسكم . وذلك أنّهم كانوا يتعجّبون من نبوّة نوح عليه السلام ويقولون (ما سمعنا بهذا فى آبائنا الأوّلين) . يعنون إرسال البشر (ولو شاء ربّنا لأنزل ملائكة) .

(٢) ليحذّركم عاقبة الكفر .

(٣) ولتوجد منكم التقوى وهى الخشية بسبب الإنذار .

(٤) ولترحموا بالتقوى إن وجدت منكم .

(٥) فنسبوه إلى الكذب .

(٦) وكانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة وقيل تسعة : بنوه سام وحام ويافث ، وستّة ممن آمن به .

(٧) يتعلّق بمعه كأنه قيل والذين صحبوه فى الفلك .

(٨) عن الحق . يقال أعمى فى البصر وعم فى البصيرة .

(٩) وأرسلنا (إلى عاد أخاهم) . وهو عطف على (نوحا) .

(١٠) واحدا منهم من قولك يا أخا العرب للواحد منهم . وإنّما جعل واحدا منهم لأنّهم عن رجل منهم أفهم ، فكانت الحجة عليهم ألزم .

(١١) عطف بيان لأخاهم . وهو هود بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح .

(١٢) وإنّما لم يقل فقال كما فى قصّة نوح عليه السلام لأنّه على تقدير سؤال سائل قال فما قال لهم هود ؟ فقيل (قال يا قوم اعبدوا الله) .

(١٣) كذلك . وإنّما وصف الملأ بالذين كفروا دون الملأ من قوم نوح لأنّ فى أشراف قوم هود من آمن به منهم مرثد بن سعد فأريدت التفرقة بالوصف ولم يكن فى أشراف قوم نوح عليه السلام مؤمن .

إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ (١) وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ (٢) ۝ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ (٣) أَمِينٌ (٤) ۝ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ (٥) وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً (٦) فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ (٧) لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا (٨)

(١) فى خفّة حلم وسخافة عقل حيث تهجر دين قومك إلى دين آخر . وجعلت السفاهة ظرفا مجازا يعنى أنّه متمكّن فيها غير منفكّ عنها .

(٢) فى ادّعائك الرسالة .

(٣) فيما أدعوكم إليه .

(٤) على ما أقول لكم . وإنما قال هنا (وأنا لكم ناصح أمين) لقولهم (وإنّا لنظنّك من الكاذبين) أى ليقابل الاسم الاسم .

وفى إجابة الأنبياء عليهم السلام من ينسبهم إلى الضلالة والسفاهة بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والإغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بأنّ خصومهم أضلّ الناس وأسفههم ، أدب حسن وخلق عظيم . وإخبار الله تعالى ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسبلون أذيالهم على ما يكون منهم .

(٥) أى خلفتموهم فى الأرض أو فى مساكنهم . و(إذ) مفعول به وليس بظرف أى اذكروا وقت استخلافكم .

(٦) طولا وامتدادا فكان أقصرهم ستّين ذراعا وأطولهم مائة ذراع . (بصطة) حجازىّ وعاصم وعلىّ .

(٧) فى استخلافكم وبسطة أجرامكم وما سواهما من عطاياه . وواحد الآلاء إلى نحو إنى وآناء .

(٨) معنى المجىء أن يكون لهود عليه السلام مكان معتزل عن قومه يتحنّث فيه كما كان يفعل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بحراء قبل المبعث فلمّا أوحى إليه جاء قومه يدعوهم .

لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا(١) فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ(٢) إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ(٣) ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ(٤) عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ(٥) وَغَضَبٌ(٦) أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ(٧) أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ(٨) فَٱنتَظِرُوٓاْ(٩) إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ(١٠) ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ(١١) بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ(١٢) ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ(١٣) ﴿٧٢﴾

---

(١) أنكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء فى اتخاذ الأصنام شركاء معه حبًّا لما نشئوا عليه .

(٢) من العذاب .

(٣) أنّ العذاب نازل بنا .

(٤) أى قد نزل . جعل المتوقّع الذى لا بدّ من نزوله بمنزلة الواقع كقولك لمن طلب إليك بعض المطالب : قد كان .

(٥) عذاب .

(٦) سخط .

(٧) فى أشياء ماهى إلّا أسماء ليس تحتها مسمّيات لأنّكم تسمّون الأصنام آلهة وهى خالية عن معنى الألوهيّة .

(٨) حجّة .

(٩) نزول العذاب .

(١٠) ذلك .

(١١) أى من آمن به .

(١٢) الدابر الأصل أو الكائن خلف الشىء . وقطع دابرهم استئصالهم وتدميرهم عن آخرهم .

(١٣) فائدة نفى الإيمان عنهم مع إثبات التكذيب بآيات الله الإشعار بأن الهلاك خصّ المكذّبين .

وَإِلَىٰ ثَمُودَ[١] أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ[٢] مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ[٣] لَكُمْ ءَايَةً[٤] فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ[٥] وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ[٦] فَيَأْخُذَكُمْ[٧] عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟

وقصّتهم أنّ عادا قد تبسّطوا فى البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم أصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله إليهم هودا فكذّبوه فأمسك القطر عنهم ثلاث سنين. وكانوا إذا نزل بهم بلاء طلبوا إلى الله الفرج منه عند بيته الحرام. فأوفدوا إليه قيل بن عنز ونعيم ابن هزال ومرثد بن سعد — وكان يكتم إيمانه بهود عليه السلام، وأهل مكة إذ ذاك العماليق أولاد عمليق بن لاوز بن سام بن نوح وسيّدهم معاوية بن بكر. فنزلوا عليه بظاهر مكة. فقال لهم مرثد: لن تسقوا حتى تؤمنوا بهود. فخلّفوا مرثدا وخرجوا. فقال قيل: اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم. فأنشأ الله سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء. ثم ناداه مناد من السماء: ياقيل اختر لنفسك ولقومك. فاختار السوداء على ظن أنها أكثر ماء. فخرجت على عاد من واد لهم. فاستبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا. فجاءتهم منها ريح عقيم فأهلكتهم. ونجا هود والمؤمنون معه. فأتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا.

(١) وأرسلنا (إلى ثمود). وقرئ (وإلى ثمودٍ) بتأويل الحيّ أو باعتبار الأصل لأنّه اسم أبيهم الأكبر. ومنع الصرف بتأويل القبيلة. وقيل سمّيت ثمود لقلّة مائها من الثمَد وهو الماء القليل. وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام.

(٢) آية ظاهرة شاهدة على صحة نبوّتى.

(٣) كأنّه قيل ما هذه البيّنة؟ فقال (هذه ناقة الله). وهذه إضافة تخصيص وتعظيم لأنها بتكوينه تعالى بلا صلب ولا رحم.

(٤) حال من الناقة. والعامل معنى الإشارة فى هذه كأنه قيل أشير إليها (آية). (ولكم) بيان لمن هى له آية وهى ثمود لأنهم عاينوها.

(٥) أى الأرض أرض الله والناقة ناقة الله فذروها تأكل فى أرض ربّها من نبات ربّها فليس عليكم مؤنتها.

(٦) ولا تضربوها ولا تعقروها ولا تطردوها إكراما لآية الله.

(٧) جواب النهى.

إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ(١) فِى ٱلْأَرْضِ(٢) تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا(٣) وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا(٤) فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ(٥) ﴿٧٤﴾ قَالَ(٦) ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟(٧) لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ(٨) أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ(٩) قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ(١٠) ﴿٧٥﴾

---

(١) ونزّلكم . والمباءة المنزل .

(٢) فى أرض الحجر بين الحجاز والشام .

(٣) غرفا للصيف .

(٤) للشتاء . وبيوتا حال مقدّرة نحو خط هـذا الثوب قميصا . إذ الجبل لا يكون بيتا فى حال النحت ولا الثوب قميصا فى حال الخياطة .

(٥) روى أنّ عادا لما أهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوها فى الأرض ، وعمروا أعمارا طوالا فنحتوا البيوت من الجبال خشية الانهدام قبل الممات . وكانوا فى سعة من العيش . فعتوا على الله ، وأفسدوا فى الأرض ، وعبدوا الأوثان . فبعث الله إليهم صالحا . وكانوا قوما عربا وصالح من أوسطهم نسبا . فدعاهم إلى الله . فلم يتبعه إلا قليل منهم مستضعفون . فأنذرهم . فسألوه أن يخرج من صخرة بعينها ناقة عُشَراء . فصلّى ودعا ربّه . فتمخّضت تمخّض النتوج بولدها . فخرجت منها ناقة كما شاءوا . فآمن به جندع ورهط من قومه .

(٦) (وقال) شامىّ .

(٧) للذين استضعفهم رؤساء الكفّار .

(٨) (لمن آمن) بدل من الذين استضعفوا بإعادة الجار . وفيه دليل على أنّ البدل حيث جاء كان فى تقدير إعادة العامل . والضمير فى (منهم) راجع إلى (قومه) . وهو يدلّ على أنّ استضعافهم كان مقصورا على المؤمنين . أو إلى الذين استضعفوا وهو يدلّ على أن المستضعفين كانوا مؤمنين وكافرين .

(٩) قالوه على سبيل السخرية .

(١٠) وإنّما صار هذا جوابا لهم لأنّهم سألوهم عن العلم بإرساله فجعلوا إرساله أمرا معلوما مسلّما كأنّهم قالوا العلم بإرساله وبما أرسل به لا شبهة فيه وإنّما الكلام فى وجوب الإيمان به فنخبركم أنّا به مؤمنون .

قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ(١) ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ(٢) وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ(٣) وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ(٤) إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ(٥) فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ(٦) جَٰثِمِينَ(٧) ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ(٨) وَقَالَ(٩) يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ(١٠) ﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ(١١) لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ(١٢)

---

(١) وضعوا (آمنتم به) موضع أرسل به ردًّا لما جعله المؤمنون معلوما مسلّما .

(٢) أسند العقر إلى جميعهم و إن كان العاقر قدار بن سالف لأنّه كان برضاهم . وكان قدار أحمر أزرق قصيرا كما كان فرعون كذلك. وقال عليه السلام : "ياعلىّ أشقى الأوّلين عاقر ناقة صالح وأشقى الآخرين قاتلك" .

(٣) وتولّوا عنه واستكبروا . وأمر ربّهم ما أمر به على لسان صالح عليه السلام من قوله (فذروها تأكل فى أرض الله) . أو شأن ربّهم وهو دينه .

(٤) من العذاب .

(٥) الصيحة التى زلزلت لها الأرض واضطربوا لها .

(٦) فى بلادهم أو مساكنهم .

(٧) ميتين قعودا . يقال الناس جثّم أى قعود لا حراك بهم ولا يتكلّمون .

(٨) لمّا عقروا الناقة .

(٩) (وقال) عند فراقه إيّاهم .

(١٠) الآمرين بالهدى لاستحلاء الهوى . والنصيحة منيحة ، تدرأ الفضيحة . ولكنّها وخيمة ، تورث السخيمة . روى أنّ عقرهم الناقة كان يوم الأربعاء فقال صالح تعيشون بعده ثلاثة أيام تصفرّ وجوهكم أوّل يوم وتحمرّ فى الثانى وتسودّ فى الثالث ويصيبكم العذاب فى الرابع . وكان كذلك . روى أنّه خرج فى مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكى . فلمّا علم أنّهم هلكوا رجع بمن معه فسكنوا ديارهم .

(١١) أى واذكروا (لوطا) . و(إذ) بدل منه .

(١٢) أتفعلون السيّئة المتمادية فى القبح .

مَا سَبَقَكُم بِهَا(١) مِنْ أَحَدٍ(٢) مِّنَ الْعَالَمِينَ(٣) ۝ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ(٤) الرِّجَالَ شَهْوَةً(٥) مِّن دُونِ النِّسَاءِ(٦) بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ(٧) ۝ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم(٨) مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ(٩) ۝ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ(١٠)

---

(١) ما عملها قبلكم . والباء للتعدية . ومنه قوله عليه السلام : " سبقك بها عكاشة " .

(٢) من زائدة لتأكيد النفى وإفادة معنى الاستغراق .

(٣) من للتبعيض . وهذه جملة مستأنفة . أنكر عليهم أولا بقوله (أتأتون الفاحشة) ثم وبخهم عليها فقال أنتم أول من عملها .

(٤) (أئنكم لتأتون الرجال) بيان لقوله (أتأتون الفاحشة) . والهمزة مثلها فى (أتأتون) للإنكار . (إنكم) على الإخبار مدنى وحفص . يقال أتى المرأة إذا غشيها .

(٥) مفعول له أى للاشتهاء لا حامل لكم عليه إلا مجرد الشهوة ولا ذم أعظم منه لأنه وصف لهم بالبهيمية .

(٦) أى لا من النساء .

(٧) أضرب عن الإنكار إلى الإخبار عنهم بالحال التى توجب ارتكاب القبائح وهو أنهم قوم عادتهم الإسراف وتجاوز الحدود فى كل شىء . فمن ثم أسرفوا فى باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد إلى غير المعتاد .

(٨) أى لوطا ومن آمن معه . يعنى ما أجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط من إنكار الفاحشة ووصفهم بصفة الإسراف الذى هو أصل الشر ؛ ولكنهم جاءوا بشىء آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الأمر بإخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم .

(٩) يدعون الطهارة ويدعون فعلنا الخبيث . عن ابن عباس رضى الله عنهما عابوهم بما يتمدح به .

(١٠) ومن يختص به من ذويه أو من المؤمنين .

إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ(١) ۝ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا(٢) فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ(٣) ۝ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ(٤) أَخَاهُمْ شُعَيْبًا(٥) قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ(٦) مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ(٧) وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ(٨) وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا(٩) ذَٰلِكُمْ(١٠) خَيْرٌ لَّكُمْ(١١) إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ(١٢) ۝ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ(١٣)

---

(١) من الباقين فى العذاب . والتذكير لتغليب الذكور على الإناث . وكانت كافرة موالية لأهل سدوم . وروى أنّها التفتت فأصابها حجر فماتت .

(٢) وأرسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا . قالوا أمطر الله عليهم الكبريت والنار . وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطرت حجارة على مسافريهم . وقال أبو عبيدة أمطر فى العذاب ومطر فى الرحمة .

(٣) الكافرين .

(٤) (و) أرسلنا (إلى مدين) وهو اسم قبيلة .

(٥) يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا أهل بخس للمكاييل والموازين .

(٦) أى معجزة وإن لم تذكر فى القرآن .

(٧) أتموهما . والمراد فأوفوا الكيل ووزن الميزان . أو يكون الميزان كالميعاد بمعنى المصدر .

(٨) ولا تنقصوا حقوقهم بتطفيف الكيل ونقصان الوزن . وكانوا يبخسون الناس كل شىء فى مبايعتهم . وبخس يتعدّى إلى مفعولين وهما الناس وأشياءهم تقول بخست زيدا حقّه أى نقصته إيّاه .

(٩) بعد الإصلاح فيها أى لا تفسدوا فيها بعد ما أصلح فيها الصالحون من الأنبياء والأولياء . وإضافته كإضافة (بل مكر الليل والنهار) أى بل مكركم فى الليل والنهار .

(١٠) إشارة إلى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البخس والإفساد فى الأرض.

(١١) فى الإنسانية وحسن الأحدوثة .

(١٢) مصدّقين لى فى قولى .

(١٣) بكلّ طريق .

تُوعِدُونَ[١] وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ[٢] مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ[٣] وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا[٤] وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا[٥] فَكَثَّرَكُمْ[٦] وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ[٧] ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟[٨] حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا[٩] وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ[١٠] ﴿٨٧﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ[١١] فِى مِلَّتِنَا

---

(١) من آمن بشعيب بالعذاب .

(٢) عن العبادة .

(٣) بالله . وقيل كانوا يقطعون الطرق . وقيل كانوا عشّارين .

(٤) وتطلبون لسبيل الله (عوجا) أى تصفونها للناس بأنّها سبيل معوجّة غير مستقيمة لتمنعوهم عن سلوكها .

ومحلّ (توعدون) وما عطف عليه النصب على الحال . أى لا تقعدوا موعدين وصادّين عن سبيل الله وباغين عوجا .

(٥) (إذ) مفعول به غير ظرف . أى واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم .

(٦) (فكثّركم) الله ووفّر عددكم . وقيل إنّ مدين بن إبراهيم تزوّج بنت لوط فولدت ، فرمى الله فى نسلها بالبركة والنماء فكثروا .

(٧) آخر أمر من أفسد قبلكم من الأمم كقوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام .

(٨) فانتظروا .

(٩) أى بين الفريقين بأن ينصر المحقّين على المبطلين ويظهرهم عليهم . وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله تعالى منهم ، أو هو حثّ للمؤمنين على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من المشركين إلى أن يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم ، أو هو خطاب للفريقين أى ليصبر المؤمنون على أذى الكفار ، والكافرون على ما يسوءهم من إيمان من آمن منهم حتّى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيّب .

(١٠) لأنّ حكمه حقّ وعدل لا يخاف فيه الجور .

(١١) أى ليكوننّ أحد الأمرين إمّا إخراجكم وإمّا عودكم فى الكفر .

قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَـٰرِهِينَ (١) (٢) ۝ قَدِ ٱفْتَرَيْنَـا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِـكُم (٣) بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا (٤) وَمَا يَكُونُ لَنَـآ (٥) أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا (٦) وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا (٧) عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا (٨) رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَـا بِٱلْحَـقِّ (٩) وَأَنتَ خَـيْرُ ٱلْفَـٰتِحِينَ (١٠) ۝ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ

(١) (قال) شعيب .

(٢) الهمزة للاستفهام .والواو للحال .تقديره أتعيدوننا فى ملتكم فى حال كراهتنا ومع كوننا كارهين .

(٣) وهو قسم على تقـدير حذف اللام أى والله لقد افترينا على الله كذبا إن عدنا فى ملّتكم .

(٤) خلّصنا الله . فإن قلت : كيف قال شعيب (إن عدنا فى ملتكم) والكفر على الأنبياء عليهم السلام محال ؟ قلت : أراد عود قومه إلا أنّه نظم نفسه فى جملتهم و إن كان بريئا من ذلك إجراء لكلامه على حكم التغليب .

(٥) وما ينبغى لنا وما يصح .

(٦) إلا أن يكون سبق فى مشيئته أن نعود فيها ، إذ الكائنات كلّها بمشيئة الله تعـالى خيرها وشرّها .

(٧) تمييز أى هـو عالم بكلّ شىء فهو يعلم أحوال عباده كيف تحوّل وقلوبهم كيف تتقلب .

(٨) فى أن يثبتنا على الإيمان ، ويوفقنا لازدياد الإيقان .

(٩) أى احكم . والفتاحة الحكومة . والقضاء بالحق يفتح الأمر المغلق فلذا سمّى فتحا، ويسمى أهل عمان القاضى فتّاحا .

(١٠) كقوله (وهو خير الحاكمين) .

لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ (١) ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ (٢) فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ (٣) ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ (٤) كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا (٥) ٱلَّذِينَ (٦) كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ (٧) ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ (٨) وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ (٩) عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ (١٠) مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ (١١)

---

(١) مغبونون لفوات فوائد البخس والتطفيف باتّباعه لأنّه ينهاكم عنهما ويحملكم على الإيفاء والتسوية. وجواب القسم الذى وطّأته اللام فى (لئن اتّبعتم) وجواب الشرط، (إنّكم إذا لخاسرون) فهو سادّ مسدّ الجوابين .

(٢) الزلزلة .

(٣) ميتين .

(٤) مبتدأ .

(٥) خبره . لم يقيموا فيها . غنى بالمكان أقام .

(٦) مبتدأ .

(٧) لا من قالوا لهم (إنّكم إذا لخاسرون). خبر (الذين). وفى هذا الابتداء معنى الاختصاص كأنّه قيل الذين كذّبوا شعيبا هم المخصوصون بأن أهلكوا كأن لم يقيموا فى دارهم لأنّ الذين اتّبعوا شعيبا قد أنجاهم الله ، الذين كذّبوا شعيبا هم المخصوصون بالخسران العظيم دون أتباعه فهم الرابحون . وفى التكرار مبالغة واستعظام لتكذيبهم ولما جرى عليهم .

(٨) بعد أن نزل بهم العذاب .

(٩) أحزن (على قوم كافرين) . اشتد حزنه على قومه ثمّ أنكر على نفسه فقال كيف يشتدّ حزنى على قوم ليسوا بأهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم . أو أراد لقد أعذرت لكم فى الإبلاغ والتحذير ممّا حلّ بكم فلم تصدّقونى فكيف آسى عليكم .

(١٠) يقال لكلّ مدينة قرية . وفيه حذف أى فكذبوه .

(١١) بالبؤس والفقر .

وَٱلضَّرَّآءِ[1] لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ[2] ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ[3] حَتَّىٰ عَفَوا[4] وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ[5] فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً[6] وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ[7] ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ[8] ءَامَنُوا[9] وَٱتَّقَوْا[10] لَفَتَحْنَا[11] عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ[12] وَلَٰكِن كَذَّبُوا[13] فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ[14] ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ[15]

(١) الضرّ والمرض لاستكبارهم عن اتّباع نبيّهم . أو هما نقصان النفس والمـال .

(٢) ليتضرّعوا ويتذلّلوا ويحطّوا أردية الكبر .

(٣) أى أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة ، الرخاء والسعة والصحّة .

(٤) كثروا ونموا فى أنفسهم وأموالهم . من قولهم عفا النبات إذا كثر . ومنه قوله عليه السلام : "واعفوا اللحى" .

(٥) أى قالوا هذه عادة الدهر يعاقب فى الناس بين الضرّاء والسرّاء. وقد مسّ آباءنا نحو ذلك . وما هو بعقوبة الذنب . فكونوا على ما أنتم عليه .

(٦) فجأة .

(٧) بنزول العذاب .

(٨) اللام إشارة إلى أهل القرى التى دلّ عليها (وما أرسلنا فى قرية من نبىّ) كأنه قال ولو أنّ أهل تلك القرى الذين كذّبوا وأهلكوا . ويجوز أن تكون اللام للجنس .

(٩) بدل كفرهم .

(١٠) (واتّقوا) الشرك مكان ارتكابه .

(١١) (لفتّحنا) شامىّ .

(١٢) أراد المطر والنبات أو لآتيناهم بالخير من كلّ وجه .

(١٣) (ولكن كذّبوا) الأنبياء .

(١٤) بكفرهم وسوء كسبهم .

(١٥) يريد الكفّار منهم .

أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا(١) بَيَٰتًا(٢) وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى(٣) وَهُمْ يَلْعَبُونَ(٤) ۝ أَفَأَمِنُوا۟(٥) مَكْرَ ٱللَّهِ(٦) فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ(٧) ۝ أَوَلَمْ يَهْدِ(٨) لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ(٩) أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ

(١) عذابنا .

(٢) ليلا أى وقت بيات يقال بات بياتا .

(٣) نهارا . والضحى فى الأصل ضوء الشمس إذا أشرقت .

والفاء والواو فى (أفأمن) و (أو أمن) حرفا عطف دخل عليهما همزة الإنكار . والمعطوف عليه (فأخذناهم) بغتة . وقوله (ولو أنّ أهل القرى) إلى (يكسبون) اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه . وإنّما عطفت بالفاء لأنّ المعنى فعلوا وصنعوا فأخذناهم بغتة . أبعد ذلك أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وأمنوا أن يأتيهم بأسنا ضحى ؟ (أوْ أمن) شامىّ وحجازىّ على العطف بأو . والمعنى إنكار الأمن من أحد هذين الوجهين من إتيان العذاب ليلا أو ضحى . فإن قلت كيف دخل همزة الاستفهام على حرف العطف وهو ينافى الاستفهام ؟ قلت التنافى فى المفرد لا فى عطف جملة على جملة لأنّه على استئناف جملة بعد جملة .

(٤) يشتغلون بما لا يجدى عليهم .

(٥) تكرير لقوله (أفأمن أهل القرى) .

(٦) أخذه العبد من حيث لا يشعر . وعن الشبلىّ قدّس الله روحه العزيز : مكره بهم تركه إيّاهم على ما هم عليه . وقالت ابنة الربيع بن خيثم لأبيها : مالى أرى الناس ينامون ولا أراك تنام ؟ قال يابنتاه إنّ أباك يخاف البيات . أراد قوله (أن يأتيهم بأسنا بياتا) .

(٧) إلّا الكافرون الذين خسروا أنفسهم حتّى صاروا إلى النار .

(٨) يبيّن .

(٩) (أن لو نشاء) مرفوع بأنّه فاعل (يهد) . وأن مخففة من الثقيلة . أى أولم يهد للذين يخلفون من خلا قبلهم فى ديارهم ويرثون أرضهم هذا الشأن وهو أنّا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم كما أصبنا من قبلهم فأهلكنا الوارثين كما أهلكنا الموروثين . وإنما عدّى فعل الهداية باللام لأنه بمعنى التبيين .

وَنَطْبَعُ(١) عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ(٢) ۝ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا(٣) وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ(٤) فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ(٥) بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ(٦) كَذَٰلِكَ(٧) يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ(٨) ۝ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ(٩) وَإِن(١٠) وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ(١١) ۝ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم(١٢) مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ(١٣)

---

(١) مستأنف أى ونحن نختم .

(٢) (لا يسمعون) الوعظ .

(٣) كقوله (هـذا بعلى شيخا) فى أنّه مبتدأ وخبر وحال . أو تكون (القرى) صفة (تلك) و (نقصّ) خبرا . والمعنى تلك القرى المذكورة من قوم نوح إلى قوم شعيب نقص عليك بعض أنبائها ولها أنباء غيرها لم نقصّها عليك .

(٤) بالمعجزات .

(٥) عند مجىء الرسل بالبيّنات . واللام لتأكيد النفى .

(٦) بمـا كذّبوا من آيات الله من قبل مجىء الرسل . أو فمـا كانوا ليؤمنوا إلى آخر أعمارهم بمـا كذّبوا به أوّلا حين جاءتهم الرسل أى استمرّوا على التكذيب من لدن مجىء الرسل إليهم إلى أن ماتوا مصرّين مع تتابع الآيات .

(٧) مثل ذلك الطبع الشديد .

(٨) لمـا علم منهم أنّهم يختارون الثبات على الكفر .

(٩) الضمير للناس على الإطلاق . يعنى أنّ أكثر الناس نقضوا عهد الله وميثاقه فى الإيمان . والآية اعتراض . أو للأمم المذكورين فإنّهم كانوا إذا عاهدوا الله فى ضرّ ومخافة لئن أنجيتنا لنؤمننّ ، ثمّ أنجاهم ، نكثوا .

(١٠) وإنّ الشأن والحديث .

(١١) لخارجين عن الطاعة . والوجود بمعنى العلم بدليل دخول أن المخففة واللام الفارقة ولا يجوز ذلك إلّا فى المبتدأ والخبر والأفعال الداخلة عليهما .

(١٢) الضمير للرسل فى قوله (ولقد جاءتهم رسلهم) أو للأمم .

(١٣) بالمعجزات الواضحات .

إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا (١) فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ (٢) ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَـٰفِرْعَوْنُ (٣) إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ (٤) قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ (٥) فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (٦) ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ (٧) فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ (٨) ﴿١٠٦﴾

---

(١) فكفروا بآياتنا . أجرى الظلم مجرى الكفر لأنّهما من واد واحد (إنّ الشرك لظلم عظيم) . أو فظلموا الناس بسببها حين آذوا من آمن . أو لأنه إذا وجب الإيمان بها فكفروا بدل الإيمان كان كفرهم بها ظلما حيث وضعوا الكفر غير موضعه وهو موضع الإيمان .

(٢) حيث صاروا مغرقين .

(٣) يقال لملوك مصر الفراعنة كما يقال لملوك فارس الأكاسرة، فكأنّه قال يا ملك مصر. واسمه قابوس أو الوليد بن مصعب بن الريّان .

(٤) (إنى رسول) إليك.قال فرعون: كذبت .فقال موسى (حقيق على أن لا أقول على الله إلّا الحقّ) .أى أنا حقيق على قول الحقّ أى واجب على قول الحقّ أن أكون قائله والقائم به . (حقيق علىّ) نافع أى واجب علىّ ترك القول على الله إلّا الحقّ أى الصدق . وعلى هـذه القراءة تقف على العالمين . وعلى الأول يجوز الوصل على جعل حقيق وصف الرسول . وعلى بمعنى الباء كقراءة أبىّ أى إنّى رسـول خليق بألا أقول . أو يعلّق على بمعنى الفعل فى الرسول أى إنّى رسول حقيق جدير بالرسالة أرسلت على أن لا أقول على الله إلّا الحقّ .

(٥) بمـا يبيّن رسالتى .

(٦) فخلهم يذهبوا معى راجعين إلى الأرض المقـدّسة التى هى وطنهم . وذلك أنّ يوسف عليه السلام لمـا توفّى غلب فرعون على نسل الأسباط واستعبدهم فأنقذهم الله بموسى عليه السلام . وكان بين اليوم الذى دخل يوسف عليه السلام مصر واليوم الذى دخله موسى أربعمائة عام . (مَعِىَ) حفص .

(٧) من عند من أرسلك .

(٨) فأتنى بها لتصحّ دعواك ويثبت صدقك فيها .

فَأَلْقَىٰ[1] عَصَاهُ[2] فَإِذَا[3] هِىَ ثُعْبَانٌ[4] مُّبِينٌ[5] ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ[6] فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ[7] ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ[8] ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ[9] فَمَاذَا تَأْمُرُونَ[10] ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ[11] وَأَخَاهُ[12]

---

(١) موسى عليه السلام .

(٢) من يده .

(٣) (إذا) هى المفاجأة وهى من ظروف المكان بمنزلة ثمّة وهناك .

(٤) حيّة عظيمة .

(٥) ظاهر أمره . روى أنّه كان ذكرا فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الأسفل فى الأرض والأعلى على سور القصر . ثم توجّه نحو فرعون فهرب وأحدث ولم يكن أحدث قبل ذلك . وحمل على النـاس فمات منهم خمسة وعشرون ألفا قتل بعضهم بعضا . فصاح فرعون: ياموسى خذه وأنا أومن بك . فأخذه موسى فعاد عصا .

(٦) من جيبه .

(٧) أى فإذا هى بيضاء للنظّارة ولا تكون بيضاء للنظّارة إلّا إذا كان بياضا عجيبا خارجا عن العادة يجمع الناس للنظر إليه . روى أنّه أرى فرعون يده وقال ما هـذه ؟ فقال يدك . ثمّ أدخلها فى جيبه ونزعها فإذا هى بيضاء غلب شعاعها شعاع الشمس .وكان موسى عليه السلام آدم شديد الأدمة .

(٨) عالم بالسحر ماهر فيه قد خيّل إلى الناس العصا حيّة والآدم أبيض . وهذا الكلام قد عزى إلى فرعون فى سورة الشعراء وأنّه قاله للملأ . وهنـا عزى إليهم فيحتمل أنّه قد قاله هو وقالوه هم فحكى قوله ثمّة وقولهم هنا . أو قاله ابتداء فتلقّنه منه الملأ فقالوه لأعقابهم.

(٩) يعنى مصر .

(١٠) تشيرون من آمرته فأمرنى بكذا إذا شاورته فأشار عليك برأى . وهو من كلام فرعون قاله للملأ لمّـا قالوا له (إنّ هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم) .

(١١) بسكون الهـاء عاصم وحمزة ، أى أخّر واحبس أى أخّر أمره ولا تعجل . أو كأنّه همّ بقتله فقالوا أخّر أمره واحبسه ولا تقتله ليتبيّن سحره عند الخلق .

(١٢) هرون .

وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ (١) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَـٰحِرٍ عَلِيمٍ (٢) وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ (٣) قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا (٤) إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ قَالَ نَعَمْ (٥) وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ (٦) قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ (٧) وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ (٨) قَالَ (٩) أَلْقُوا۟ (١٠) فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ (١١) وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ (١٢)

(١) جامعين .

(٢) (سحّار) حمزة وعلىّ . أى يأتوك بكلّ ساحر عليم مثله فى المهارة أو بخير منه .

(٣) يريد فأرسل إليهم فحضروا .

(٤) على الخبر و إثبات الأجر العظيم . حجازىّ وحفص . ولم يقل فقالوا لأنّه على تقدير سؤال سائل ماقالوا إذ جاءوه ؟ فأجيب بقوله (قالوا إنّ لنا لأجرا) لجعلا على الغلبة . والتنكير للتعظيم كأنّهم قالوا لا بدّ لنا من أجر عظيم .

(٥) إنّ لكم لأجرا .

(٦) (و إنّكم لمن المقربين) عندى فتكونون أوّل من يدخل وآخر من يخرج . وكانوا ثمانين ألفا أو سبعين ألفا أو بضعة وثلاثين ألفا .

(٧) عصاك .

(٨) (الملقين) لما معنا . وفيه دلالة على أنّ رغبتهم فى أن يلقوا قبله حيث أكّد ضميرهم المتّصل بالمنفصل وعرّف الخبر .

(٩) (قال) لهم موسى عليه السلام .

(١٠) تخييرهم إيّاه أدب حسن راعوه معه كما يفعل المتناظرون قبل أن يتخاوضوا فى الجدال. وقد سوّغ لهم موسى ما رغبوا فيه ازدراء لشأنهم وقلّة مبالاة بهم واعتمادا على أنّ المعجزة لن يغلبها سحر أبدا .

(١١) أروها بالحيل والشعوذة وخيّلوا إليها ما الحقيقة بخلافه . روى أنّهم ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فإذا هى أمثال الحيّات قد ملأت الأرض وركب بعضها بعضا .

(١٢) وأرهبوهم إرهابا شديدا كأنّهم استدعوا رهبتهم بالحيلة .

وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ [(١)] ۝ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ [(٢)] مَا يَأْفِكُونَ [(٣)] ۝ فَوَقَعَ [(٤)] ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ [(٥)] ۝ فَغُلِبُوا۟ [(٦)] هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ [(٧)] ۝ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ [(٨)] ۝ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ رَبِّ [(٩)] مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۝ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم [(١٠)] بِهِۦ قَبْلَ أَن ءَاذَنَ لَكُمْ [(١١)] إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا [(١٢)]

---

(١) (عظيم) فى باب السحر أو فى عين من رآه .

(٢) (تَلَقَّفُ) تبتلع . (تَلْقَفُ) حفص .

(٣) ما موصولة أو مصدرية . يعنى ما يأفكونه أى يقلبونه عن الحقّ إلى الباطل و يزوّرونه. أو إفكهم تسمية للمأفوك بالإفك . روى أنّها لمّا تلقّفت ملء الوادى من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت عصا كما كانت وأعدم الله بقدرته تلك الأجرام العظيمة أو فرّقها أجزاء لطيفة ، قالت السحرة لو كان هذا سحر لبقيت حبالنا وعصيّنا .

(٤) فحصل وثبت .

(٥) من السحر .

(٦) أى فرعون وجنوده والسحرة .

(٧) وصاروا أذلاء مبهوتين .

(٨) وخرّوا سجّدا لله . كأنّما ألقاهم ملق لشدّة خرورهم . أو لم يتمالكوا ممّا رأوا فكأنّهم ألقوا . فكانوا أوّل النهار كفّارا سحرة وفى آخره شهداء بررة .

(٩) هو بدل مما قبله .

(١٠) على الخبر ، حفص . وهذا توبيخ منه لهم . وبهمزتين ، كوفىّ غير حفص . فالأولى همزة الاستفهام ومعناه الإنكار والاستبعاد .

(١١) قبل إذنى لكم .

(١٢) إنّ صنعكم هذا لحيلة احتلتموها أنتم وموسى فى مصر قبل أن تخرجوا إلى الصحراء لغرض لكم وهو أن تخرجوا من مصر القبط وتسكنوا بنى إسرائيل .

فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ (١) أَجْمَعِينَ (٢) ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ (٣) ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا (٤) رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا (٥) وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (٦) ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ (٧) وَيَذَرَكَ (٨) وَءَالِهَتَكَ (٩) قَالَ (١٠) سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ (١١) ﴿١٢٧﴾

(١) (فسوف تعلمون) وعيد أجمله ثمّ فصّله بقوله (لأقطّعنّ أيديكم وأرجلكم من خلاف)، من كلّ شقّ طرفا .

(٢) هو أوّل من قطع من خلاف وصلب .

(٣) فلا نبالى بالموت لانقلابنا إلى لقاء ربّنا ورحمته . أو إنّا جميعا يعنون أنفسهم وفرعون ننقلب إلى الله فيحكم بيننا .

(٤) وما تعيب منّا إلا الإيمان بآيات الله . أرادوا وما تعيب منّا إلّا ما هو أصل المناقب والمفاخر وهو الإيمان ومنه قوله :

ولا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم * بهنّ فلول من قراع الكتائب

(٥) أى اصبب صبّا ذريعا . والمعنى هب لنا صبرا واسعا وأكثره علينا حتّى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء إفراغا .

(٦) ثابتين على الإسلام .

(٧) أرض مصر بالاستعلاء فيها وتغيير دين أهلها لأنّه وافق السحرة على الإيمان ستّمائة ألف نفر .

(٨) عطف على (ليفسدوا) .

(٩) قيل صنع فرعون لقومه أصناما وأمرهم أن يعبدوها تقرّبا إليه كما يعبد عبدة الأصنام الأصنام ويقولون ليقرّبونا إلى الله زلفى ولذلك قال (أنا ربّكم الأعلى) .

(١٠) (قال) فرعون مجيبا للملأ .

(١١) (سنقتّل) مجازىّ . أى سنعيد عليهم قتل الأبناء ليعلموا أنّا على ما كنّا عليه من الغلبة والقهر وأنّهم مقهورون تحت أيدينا كما كانوا ولئلا يتوهّم العامّة أنّه هو المولود الذى تحدّث المنجّمون بذهاب ملكنا على يده فيثبّطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم إلى اتّباعه .

قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ[١] إِنَّ ٱلْأَرْضَ[٢] لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ[٣] وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ[٤] ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا[٥] قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ[٦] فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ[٧] ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ[٨] وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ[٩]

---

(١) قال لهم ذلك حين جزعوا من قول فرعون (سنقتّل أبناءهم) تسلية لهم ووعدا بالنصر عليهم. وأخليت هذه الجملة عن الواو لأنّها جملة منستأنفة بخلاف قوله (وقال الملأ) لأنّها معطوفة على ما سبقها من قوله (قال الملأ من قوم فرعون) .

(٢) اللام للعهد أى أرض مصر. أو للجنس فيتناول أرض مصر تناولا أوّليّا .

(٣) فيه تمنيته إيّاهم أرض مصر .

(٤) بشارة بأنّ الخاتمة المحمودة للتّقين منهم ومن القبط .

(٥) يعنون قتل أبنائهم قبل مولد موسى إلى أن استنبئ وإعادته عليهم بعد ذلك. وذلك اشتكاء من فرعون واستبطاء لوعد النصر .

(٦) تصريح بما رمز إليه من البشارة قبل، وكشف عنه. وهو إهلاك فرعون واستخلافهم بعده فى أرض مصر .

(٧) فيرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم . وعن عمرو بن عبيد أنّه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف أو رغيفان وطلب المنصور زيادة لعمرو . فلم توجد . فقرأ عمرو هذه الآية . ثمّ دخل عليه بعد ما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقى (فينظر كيف تعملون) .

(٨) سنى القحط وهنّ سبع سنين . والسنة من الأسماء الغالبة كالدابّة والنجم .

(٩) قيل السنون لأهل البوادى ونقص الثمرات للأمصار .

لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (١) ۝ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ (٢) قَالُوا لَنَا هَٰذِهِۦ (٣) وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ (٤) يَطَّيَّرُوا (٥) بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ (٦) أَلَآ إِنَّمَا طَـٰٓئِرُهُمْ (٧) عِندَ ٱللَّهِ (٨) وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٩) ۝ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا (١٠) فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۝

(١) ليتّعظوا فينبّهوا على أنّ ذلك لإصرارهم على الكفر ولأنّ الناس فى حال الشدّة أضرع خدودا وأرقّ أفئدة . وقيـل عاش فرعون أربعمائة سنة لم ير مكروها فى ثلثمائة وعشرين سنة ولو أصابه فى تلك المدّة وجع أو جوع أو حمّى لمـا ادّعى الربوبيّة .

(٢) الصحّة والخصب .

(٣) أى هذه التى نستحقّها .

(٤) جدب ومرض .

(٥) أصله يتطيّروا فأدغمت التاء فى الطاء لأنّهما من طرف اللسان وأصول الثنايا .

(٦) تشاءموا بهم وقالوا هذه بشؤمهم ولولا مكانهم لمـا أصابتنا . وإنّمـا دخل (إذا) فى الحسنة وعرّفت الحسنة و(إن) فى السيّئة ونكرت السيّئة لأنّ جنس الحسنة وقوعه كالكائن لكثرته وأمّا السيّئة فلا تقع إلّا فى الندرة ولا يقع إلّا شىء منها .

(٧) سبب خيرهم وشرهم .

(٨) فى حكمه ومشيئته ، والله هو الذى يقدّر ما يصيبهم من الحسنة والسيّئة . (قل كلّ من عند الله) .

(٩) (لا يعلمون) ذلك

(١٠) أصل (مهما) ماما فما الأولى للجزاء ضمّت إليها ما المزيدة المؤكّدة للجزاء فى قولك متى ما تخرج أخرج ، أينما تكونوا ، فإمّا نذهبنّ بك . إلّا أنّ الألف قلبت هاء استثقالا لتكرير المتجانسين وهو المذهب السديد البصرىّ . وهو فى موضع النصب بتأتنا أى أيّما شىء تحضرنا تأتنا به . و(من آية) تبيين لمهما والضمير فى (به) و(بها) راجع إلى (مهما) ، إلّا أنّ الأوّل ذكّر على اللفظ والثانى أنّث على المعنى لأنّها فى معنى الآية . وإنّمـا سموها آية اعتبارا لتسمية موسى أو قصدوا بذلك الاستهزاء .

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ (١) وَٱلْجَرَادَ (٢) وَٱلْقُمَّلَ (٣) وَٱلضَّفَادِعَ (٤) وَٱلدَّمَ (٥) ءَايَٰتٍ (٦) مُّفَصَّلَٰتٍ (٧) فَٱسْتَكْبَرُوا۟ (٨) وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ (٩) قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ (١٠) لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ (١١)

---

(١) ما طاف بهم وغلبهم من مطر أو سيل . قيل طفا المـاء فوق حروثهم وذلك أنّهم مطروا ثمـانية أيام فى ظلمة شديدة لا يرون شمسا ولا قمرا ولا يقدر أحد أن يخرج من داره . وقيل دخل المـاء فى بيوت القبط حتى قاموا فى المـاء إلى تراقيهم فمن جلس غرق. ولم يدخل بيوت بنى إسرائيل من المـاء قطرة . أو هو الجدرىّ أو الطاعون .

(٢) فأكلت زروعهم وثمـارهم وسقوف بيوتهم وثيابهم ولم يدخل بيوت بنى إسرائيل منها شىء .

(٣) وهى الدَّبَى وهو أولاد الجراد قبل نبات أجنحتها أو البراغيث أو كبار القِرْدان .

(٤) وكانت تقع فى طعامهم وشرابهم حتّى إذا تكلم الرجل تقع فى فيه .

(٥) أى الرعاف . وقيل مياههم انقلبت دما حتّى إنّ القبطى والإسرائيلى إذا اجتمعا على إناء فيكون ما يلى الإسرائيلى ماء وما يلى القبطى دما . وقيل سال عليهم النيل دما .

(٦) حال من الأشياء المذكورة .

(٧) مبيّنات ظاهرات لا يشكل على عاقل أنّها من آيات الله . أو مفرّقات بين كلّ آيتين شهر .

(٨) عن الإيمـان بموسى .

(٩) العذاب الأخير وهو الدم . أو العذاب المذكور واحدا بعد واحد .

(١٠) ما مصدريّة أى بعهده عندك وهو النبوّة . والبـاء تتعلّق بادع أى ادع الله لنـا متوسلا إليه بعهده عندك .

(١١) إلى حدّ من الزمان .

هُم بَٰلِغُوهُ(١) إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ(٢) ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا(٣) مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ(٤) بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ(٥) ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ(٦) مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ(٧) وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا(٨) وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ(٩) عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟(١٠) وَدَمَّرْنَا(١١) مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ(١٢) وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ(١٣) ﴿١٣٧﴾

(١) لا محالة فمعذّبون فيه لاينفعهم ماتقدم لهم من الإمهال وكشف العذاب إلى حلوله .

(٢) جواب لمّا . أى فلمّا كشفنا عنهم فاجئوا النكث ولم يؤخّروه .

(٣) هو ضدّ الإنعام كما أنّ العقاب هو ضدّ الثواب .

(٤) هو البحر الذى لا يدرك قعره أو هو لجّة البحر ومعظم مائه واشتقاقه من التيمّم لأنّ المنتفعين به يقصدونه .

(٥) أى كان إغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم عنها وقلّة فكرهم فيها .

(٦) هم بنو إسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه بالقتل والاستخدام .

(٧) يعنى أرض مصر والشام .

(٨) بالخصب وسعة الأرزاق وكثرة الأنهار والأشجار .

(٩) (كلمة ربّك) قوله (عسى ربّكم أن يهلك عدوّكم ويستخلفكم فى الأرض) أو (ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا فى الأرض) إلى (ما كانوا يحذرون). و(الحسنى) تأنيث الأحسن صفة الكلمة. و(على) صلة تمّت. أى مضت عليهم واستمرّت من قولك تمّ على الأمر إذا مضى عليه .

(١٠) بسبب صبرهم وحسبك به حاثّا على الصبر ودالّا على أنّ من قابل البلاء بالجزع وكله الله إليه ومن قابله بالصبر ضمن الله له الفرج .

(١١) أهلكنا .

(١٢) من العمارات وبناء القصور .

(١٣) من الجنّات أو ما كانوا يرفعون من الأبنية المشيّدة فى السماء كصرح هامان وغيره . وبضم الراء شامىّ وأبو بكر .

وهذا آخر قصّة فرعون والقبط وتكذيبهم بآيات الله . ثم أتبعه قصّة بنى إسرائيل وما أحدثوه — بعد إنقاذهم من فرعون ومعاينتهم الآيات العظام ومجاوزتهم البحر — من عبادة البقر وغير ذلك ليتسلّى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ممّا رآه من بنى إسرائيل بالمدينة .

وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ(١) قَوْمٍ(٢) يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ(٣) قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا(٤) كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ(٥) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ(٦) ۝ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ(٧) مُتَبَّرٌ(٨) مَّا هُمْ فِيهِ(٩) وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ(١٠) ۝ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـٰهًا(١١) وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ(١٢) ۝ وَإِذْ أَنجَيْنَـٰكُم(١٣) مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ

(١) روى أنهم عبر بهم موسى يوم عاشوراء بعـد ما أهلك الله فرعون وقومه فصاموه شكرا لله .

(٢) فمرّوا عليهم .

(٣) يواظبون على عبادتها وكانت تمـاثيل بقر . وبكسر الكاف حمزة وعليّ .

(٤) صنما نعكف عليه .

(٥) أصنام يعكفون عليها . وما كافّة للكاف ولذلك وقعت الجملة بعدها . قال يهوديّ لعليّ رضى الله عنه اختلفتم بعد نبيّـكم قبل أن يجفّ ماؤه، فقال : قلتم اجعل لنا إلها ولم تجفّ أقدامكم .

(٦) تعجّب من قولهم على أثر ما رأوا من الآية العظمى. فوصفهم بالجهل المطلق وأكّده.

(٧) يعنى عبدة تلك التمـاثيل .

(٨) مهلك من التبار .

(٩) أى يتبّر الله ويهدم دينهم الذى هم عليه على يدى . وفى إيقاع هؤلاء اسما لإنّ وتقديم خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبرا لهـا وسم لعبدة الأصـنام بأنّهم هم المعرّضون للتبـار وانّه لا يعدوهم البتّة .

(١٠) أى ما عملوا من عبادة الأصنام باطل مضمحلّ .

(١١) أى أغير المستحقّ للعبادة أطلب لكم معبودا .

(١٢) حال . أى على عالمى زمانكم .

(١٣) (أنجاكم) شاميّ .

يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ (١) يُقَتِّلُونَ (٢) أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم (٣) بَلَآءٌ (٤) مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ (٥) ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ (٦) فَتَمَّ مِيقَٰتُ (٧) رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ (٨) لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ (٩) ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى (١٠) وَأَصْلِحْ (١١) وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ (١٢) ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا (١٣)

---

(١) يبغونكم شدّة العذاب من سام السلعة إذا طلبها . وهو استئناف لامحلّ له ، أو حال من المخاطبين ، أو من آل فرعون .

(٢) (يَقْتُلون) نافع .

(٣) أى فى الإنجاء أو فى العذاب .

(٤) نعمة أو محنة .

(٥) لإعطاء التوراة .

(٦) روى أنّ موسى عليه الصلاة والسلام وعد بنى إسرائيل وهو بمصر إن أهلك الله عدوّهم أتاهم بكتاب من عند الله . فلمّا هلك فرعون سأل موسى ربّه الكتاب . فأمره بصوم ثلاثين يوما وهى شهر ذى القعدة . فلمّا أتمّ الثلاثين أنكر خلوف فيه فتسوّك. فأوحى الله إليه أما علمت أنّ خلوف فم الصائم أطيب عندى من ريح المسك. فأمره أن يزيد عليها عشرة أيّام من ذى الحجة لذلك .

(٧) ما وقّت له من الوقت وضربه له .

(٨) نصب على الحال أى تمّ بالغا هـذا العدد . ولقد أجمل ذكر الأربعين فى البقرة وفصّلها هنا .

(٩) هو عطف بيان لأخيه .

(١٠) كن خليفتى فيهم .

(١١) (وأصلح) ما يجب أن يصلح من أمور بنى إسرائيل .

(١٢) ومن دعاك منهم إلى الإفساد فلا تتبعه ولا تطعه .

(١٣) لوقتنا الذى وقّتنا له وحدّدنا . ومعنى اللام الاختصاص أى اختصّ مجيئه بميقاتنا .

وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ[١] قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ[٢] قَالَ لَن تَرَىٰنِي[٣] وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ[٤] فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ[٥] فَلَمَّا تَجَلَّىٰ[٦] رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ

(١) بلا واسطة ولا كيفية . روى أنّه كان يسمع الكلام من كلّ جهة . وذكر الشيخ فى التأويلات أنّ موسى عليه السلام سمع صوتا دالّا على كلام الله تعالى . وكان اختصاصه باعتبار أنّه أسمعه صوتا تولّى تخليقه من غير أن يكون ذلك الصوت مكتسبا لأحد من الخلق ، وغيره يسمع صوتا مكتسبا للعباد فيفهم منه كلام الله تعالى .

(٢) لمّا سمع كلامه طمع فى رؤيته لغلبة شوقه فسأل الرؤية بقوله (قال ربّ أرنى أنظر إليك) . ثانى مفعولى (أرنى) محذوف. أى أرنى ذاتك أنظر إليك ، يعنى مكّنى من رؤيتك بأن تتجلّى لى حتّى أراك. (أرْنى) مكىّ. وبكسر الراء مختلسة أبوعمرو . وبكسر الراء مشبعة غيرهما . وهو دليل لأهل السنّة على جواز الرؤية فإنّ موسى عليه السلام اعتقد أنّ الله تعالى يرى حتّى سأله . واعتقاد جواز مالا يجوز على الله كفر .

(٣) بالسؤال بعين فانية ، بل بالعطاء والنوال بعين باقية. وهو دليل لنا أيضا لأنّه لم يقل لن أرى ليكون نفيا للجواز. ولو لم يكن مرئيّا لأخبر بأنّه ليس بمرئىّ إذ الحالة حالة الحاجة إلى البيان .

(٤) بقى على حاله .

(٥) وهو دليل لنا أيضا لأنّه علّق الرؤية باستقرار الجبل وهو ممكن . وتعليق الشيء بما هو ممكن يدلّ على إمكانه كالتعليق بالممتنع يدلّ على امتناعه . والدليل على أنّه ممكن قوله (جعله دكّا) ولم يقل اندكّ وما أوجده تعالى كان جائزا أن لا يوجد لو لم يوجده لأنّه مختار فى فعله . ولأنّه تعالى ما آيسه عن ذلك ولا عاتبه عليه . ولو كان ذلك محالا لعاتبه كما عاتب نوحا عليه السلام بقوله (إنّى أعظك أن تكون من الجاهلين) حيث سأل إنجاء ابنه من الغرق.

(٦) أى ظهر وبان ظهورا بلا كيف . قال الشيخ أبو منصور رحمه الله : معنى التجلّى للجبل ما قاله الأشعرىّ إنّه تعالى خلق فى الجبل حياة وعلما ورؤية حتّى رأى ربّه. وهذا نصّ فى إثبات كونه مرئيّا .

وبهذه الوجوه يتبينّ جهل منكرى الرؤية . وقولهم بأنّ موسى عليه السلام كان عالما بأنّه لا يرى ، ولكن طلب قومه أن يريهم ربّه كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله (لن نؤمن لك حتّى نرى الله جهرة) فطلب الرؤية ليبيّن الله تعالى أنه ليس بمرئى ، باطل.

جَعَلَهُۥ دَكًّا(١) وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا(٢) فَلَمَّآ أَفَاقَ(٣) قَالَ سُبۡحَـٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ(٤) وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ(٥) ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصۡطَفَيۡتُكَ(٦) عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى(٧) وَبِكَلَـٰمِى(٨) فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ(٩) وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ(١٠) ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ

إذ لو كان كما زعموا لقال أرهم ينظروا إليك ثمّ يقول له لن يرونى ، ولأنّها لو لم تكن جائزة لمـا أخّر موسى عليه السلام الردّ عليهم — بل كان يردّ عليهم وقت قرع كلامهم سمعه — لمـا فيه من التقرير على الكفر . وهو عليه السلام بعث لتغييره لا لتقريره . ألا ترى أنّهم لمّـا قالوا له (اجعل لنا إلهـا كما لهم آلهة) لم يمهلهم بل ردّ عليهم من ساعته بقوله (إنّكم قوم تجهلون) .

(١) مدكوكا. مصدر بمعنى المفعول كضرب الأمير. والدقّ والدكّ أخوان . (دكّاء) حمزة وعلىّ . أى مستوية بالأرض لا أكمة فيها . وناقة دكّاء لا سنام لها .

(٢) حال أى سقط مغشيّا عليه .

(٣) من صعقته .

(٤) من السؤال فى الدنيا .

(٥) بعظمتك وجلالك وبأنّك لا تعطى الرؤية فى الدنيـا مع جوازها .

وقال الكعبىّ والأصمّ : معنى قوله (أرنى أنظر إليك) أرنى آية أعلمك بها بطريق الضرورة كأنّى أنظر إليك . (لن ترانى) لن تطيق معرفتى بهذه الصفة . (ولكن انظر إلى الجبل) فإنّى أظهر له آية فإن ثبت الجبل لتجلّيها واستقرّ مكانه فسوف تثبت لها وتطيقها . وهـذا فاسد لأنّه قال (أرنى أنظر إليك) ولم يقل إليها وقال (لن ترانى) ولم يقل لن ترى آيتى. وكيف يكون معناه لن ترى آيتى وقد أراه أعظم الآيات حيث جعل الجبل دكّا .

(٦) اخترتك على أهل زمانك .

(٧) هى أسفار التوراة . (برسالتى) حجازىّ .

(٨) وبتكليمى إيّاك .

(٩) أعطيتك من شرف النبوّة والحكمة .

(١٠) على النعمة فى ذلك فهى من أجلّ النعم .

قيل خرّ موسى صعقا يوم عرفة وأعطى التوراة يوم النحر . ولمّـا كان هرون وزيرا وتابعا لموسى تخصّص الاصطفاء بموسى عليه السلام .

فِي ٱلْأَلْوَاحِ [١] مِن كُلِّ شَيْءٍ [٢] مَّوْعِظَةً [٣] وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا [٤] بِقُوَّةٍ [٥] وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا [٦] سَأُورِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ [٧] ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ [٨] ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ [٩] فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ [١٠] وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ [١١]

(١) الألواح التوراة . جمع لوح . وكانت عشرة ألواح . وقيل سبعة . وكانت من زمرّد . وقيل من خشب . نزلت من السماء فيها التوراة . وقيل أنزلت التوراة وهى سبعون وقر بعير لم يقرأها كلّها إلّا أربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى .

(٢) فى محلّ النصب على أنّه مفعول (كتبنا) .

(٣) بدل منه . والمعنى كتبنا له كلّ شىء كان بنو إسرائيل محتاجين إليه فى دينهم من المواعظ وتفصيل الأحكام .

(٤) فقلنا له (خذها) عطفا على (كتبنا) . والضمير للألواح أو لكلّ شىء لأنّه فى معنى الأشياء .

(٥) بجدّ وعزيمة فعل أولى العزم من الرسل .

(٦) أى فيها ما هو حسن وأحسن كالقصاص والعفو والانتصار والصبر . فمرهم أن يأخذوا بما هو أدخل فى الحسن وأكثر للثواب كقوله (واتّبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربّكم) .

(٧) دار فرعون وقومه وهى مصر ومنازل عاد وثمود والقرون المهلكة كيف أقفرت منهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكّل بكم مثل نكالهم . أو جهنّم .

(٨) عن فهمها. قال ذو النون قدّس الله روحه : أبى الله أن يكرم قلوب البطّالين بمكنون حكمة القرآن .

(٩) يتطاولون على الخلق ويأنفون عن قبول الحق . وحقيقته التكلّف للكبرياء التى اختصّت بالبارى عزّت قدرته .

(١٠) هو حال أى يتكبّرون غير محقّين لأنّ التكبّر بالحقّ لله وحده .

(١١) من الآيات المنزلة عليهم .

لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ[1] لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ[2] يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ[3] بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا[4] بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ[5] ﴿١٤٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ[6] حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ[7] هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ[8] ﴿١٤٧﴾ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ[9] مِنْ حُلِيِّهِمْ[10] عِجْلًا[11] جَسَدًا[12] لَّهُ خُوَارٌ[13]

(١) طريق صلاح الأمر وطريق الهدى . (الرَشَد) حمزة وعلىّ وهما كالسقم والسقم .

(٢) الضلال .

(٣) محلّه الرفع أى ذلك الصرف .

(٤) بسبب تكذيبهم .

(٥) غفلة عناد وإعراض لا غفلة سهو وجهل .

(٦) هو من إضافة المصدر إلى المفعول به أى ولقائهم الآخرة ومشاهدتهم أحوالها .

(٧) (حبطت أعمالهم) خبر (والذين) .

(٨) وهو تكذيب الأحوال بتكذيب الإرسال .

(٩) من بعد ذهابه إلى الطور .

(١٠) وإنّما نسبت إليهم مع أنّها كانت عوارى فى أيديهم لأنّ الإضافة تكون لأدنى ملابسة. وفيه دليل على أنّ من حلف ألّا يدخل دار فلان فدخل دارا استعارها يحنث . على أنهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من أملاكهم . وفيه دليل على أنّ الاستيلاء على أموال الكفّار يوجب زوال ملكهم عنها . نعم المتّخذ هو السامرىّ ولكنّهم رضوا به فأسند الفعل إليهم . والحلىّ جمع حَلْى وهو اسم ما يتحسّن به من الذهب والفضّة . (حِليّهم) حمزة وعلىّ للإتباع .

(١١) مفعول اتّخذ . والمفعول الثانى محذوف أى إلها .

(١٢) بدل منه أى بدنا ذا لحم ودم كسائر الأجساد .

(١٣) هو صوت البقر .

أَلَمْ يَرَوْا[1] أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا[2] ٱتَّخَذُوهُ[3] وَكَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ[4] وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟[5] قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا[6] لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ[7] ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ[8] إِلَىٰ قَوْمِهِۦ[9] غَضْبَـٰنَ[10] أَسِفًا[11] قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى[12]

(١) عجب من عقولهم السخيفة حين اتّخذوه إلها .

(٢) (ألم يروا أنّه) لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتّى لا يختاروه على من لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل أن تنفد كلماته وهو الذى هدى الخلق إلى سبيل الحقّ بما ركز فى العقول من الأدلّة و بما أنزل فى الكتب .

(٣) (اتّخذوه) إلها فأقدموا على هذا الأمر المنكر .

(٤) ولمّا اشتدّ ندمهم على عبادة العجل . وأصله أنّ من شأن من اشتدّ ندمه أن يعضّ يده غمّا فتصير يده مسقوطا فيها لأنّ فاه وقع فيها . و(سقط) مسند إلى (فى أيديهم) وهو من باب الكناية . وقال الزّجاج : معناه سقط الندم فى أيديهم أى فى قلوبهم وأنفسهم كما يقال حصل فى يده مكروه وإن استحال أن يكون فى اليد تشبيها لما يحصل فى القلب وفى النفس بما يحصل فى اليد ويرى بالعين .

(٥) وتبيّنوا ضلالهم تبيّنا كأنّهم أبصروه بعيونهم .

(٦) (لئن لم ترحمنا ربّنا وتغفر لنا) حمزة وعلىّ . وانتصاب ربّنا على النداء .

(٧) المغبونين فى الدنيا والآخرة .

(٨) من الطور .

(٩) بنى إسرائيل .

(١٠) حال من موسى .

(١١) حال أيضا أى حزينا .

(١٢) قمتم مقامى وكنتم خلفائى . والخطاب لعبدة العجل من السامرىّ وأشياعه ، أو لهرون ومن معه من المؤمنين . ويدلّ عليه قوله (اخلفنى فى قومى) . والمعنى (بئسما خلفتمونى) حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله أو حيث لم تكفّوا من عبد غير الله. وفاعل (بئس) مضمر يفسّره (ماخلفتمونى) والمخصوص بالذمّ محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدى خلافتكم .

مِنۢ بَعۡدِيٓۖ (١) أَعَجِلۡتُمۡ (٢) أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ (٣) وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ (٤) وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ (٥) يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ (٦) قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ (٧) إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي (٨) فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ (٩) وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٠) ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي (١١)

---

(١) معنى (من بعدى) بعد قوله (خلفتمونى) من بعد ما رأيتم منّى من توحيد الله ونفى الشركاء عنه ، أو من بعد ما كنت أحمل بنى إسرائيل على التوحيد وأكفّهم عن عبادة البقرة حين قالوا (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة) . ومن حقّ الخلفاء أن يسيروا بسيرة المستخلف .

(٢) أسبقتم بعبادة العجل . وأصل العجلة طلب الشىء قبل حينه . وقيل عجلتم بمعنى تركتم .

(٣) وهو إتيانى لكم بالتوراة بعد أربعين ليلة .

(٤) ضجرا عند استماعه حديث العجل غضبا لله . وكان فى نفسه شديد الغضب . وكان هرون ألين منه جانبا . ولذلك كان أحبّ إلى بنى إسرائيل من موسى . فتكسّرت فرفعت ستّة أسباعها وبقى سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل كلّ شىء وفيما بقى هدى ورحمة .

(٥) بشعر رأسه غضبا عليه حيث لم يمنعهم عن عبادة العجل .

(٦) عتابا عليه لا هوانا به . وهو حال من موسى .

(٧) بنى الابن مع الأمّ على الفتح لخمسة عشر . وبكسر الميم حمزة وعلىّ وشامىّ لأنّ أصله أمّى فحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة . وكان ابن أمّه وأبيه . وإنّما ذكر الأمّ لأنّها كانت مؤمنة ولأنّ ذكرها أدعى إلى العطف .

(٨) أى إنّى لم آل جهدا فى كفّهم بالوعظ والإنذار ولكنّهم استضعفونى وهمّوا بقتلى .

(٩) الذين عبدوا العجل أى لا تفعل بى ما هو أمنيتّهم من الاستهانة بى والإساءة إلىّ .

(١٠) أى قرينا لهم بغضبك علىّ .

(١١) لمّا اتضح له عذر أخيه قال (ربّ اغفر لى ولأخى) ليرضى أخاه وينفى الشماتة عنه بإشراكه معه فى الدعاء . والمعنى اغفر لى ما فرط منّى فى حقّ أخى ولأخى إن كان فرط فى حسن الخلافة .

وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ(١) وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ(٢) سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ(٣) مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ(٤) فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ(٥) ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ(٦) ثُمَّ تَابُواْ(٧) مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ(٨) إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا(٩) لَغَفُورٌ(١٠) رَّحِيمٌ(١١) ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ(١٢) أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ(١٣) وَفِى نُسْخَتِهَا(١٤) هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ(١٥) ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ(١٦)

(١) عصمتك فى الدنيا وجنّتك فى الآخرة .

(٢) (اتّخذوا العجل) إلها .

(٣) هو ما أمروا به من قتل أنفسهم توبة .

(٤) خروجهم من ديارهم فالغربة تذلّ الأعناق . أو ضرب الجزية عليهم .

(٥) الكاذبين على الله ولا فرية أعظم من قول السامرىّ (هذا إلهكم وإله موسى) .

(٦) من الكفر والمعاصى .

(٧) رجعوا إلى الله .

(٨) وأخلصوا الإيمان .

(٩) أى السيّئات أو التوبة .

(١٠) لستور عليهم محّاء لما كان منهم .

(١١) منعم عليهم بالجنة .

وإنّ مع اسمها وخبرها خبر (الذين) وهذا حكم عام يدخل تحته متّخذو العجل وغيرهم . عظّم جناياتهم أوّلا ثم أردفها بعظم رحمته ليعلم أنّ الذنوب وإن عظمت فعفوه أعظم .

(١٢) لمّا كان الغضب لشدّته كأنّه هو الآمر لموسى بما فعل قيل (ولمّا سكت) وقال الزجاج معناه سكن . وقرئ به .

(١٣) التى ألقاها .

(١٤) وفيما نسخ منها أى كتب . فعلة بمعنى مفعول كالخطبة .

(١٥) دخلت اللام لتقدّم المفعول وضعف عمل الفعل فيه باعتباره .

(١٦) أى من قومه فحذف الجارّ وأوصل الفعل .

سَبْعِينَ رَجُلًا(١) لِّمِيقَـٰتِنَا فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ(٢) ٱلرَّجْفَةُ(٣) قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ(٤) وَإِيَّـٰىَ(٥) أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ(٦) إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ(٧) تُضِلُّ بِهَا(٨) مَن تَشَآءُ(٩) وَتَهْدِى(١٠) مَن تَشَآءُ(١١) أَنتَ وَلِيُّنَا(١٢) فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَـٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَٱكْتُبْ(١٣) لَنَا فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً(١٤) وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ(١٥) إِنَّا هُدْنَآ(١٦) إِلَيْكَ

---

(١) قيل اختار من اثنى عشر سبطا من كلّ سبط ستّة فبلغوا اثنين وسبعين رجلا فقال ليتخلّف منكم رجلان فقعد كالب و يوشع .

(٢) لاعتذارهم عن عبادة العجل .

(٣) الزلزلة الشديدة .

(٤) بما كان منهم من عبادة العجل .

(٥) لقتلى القبطىّ .

(٦) أتهلكنا عقوبة بما فعل الجهّال منّا وهم أصحاب العجل .

(٧) ابتلاؤك . وهو راجع إلى قوله (إنّا قد فتنّا قومك من بعدك) . فقال موسى : هى تلك الفتنة التى أخبرتنى بها . أو هى ابتلاء الله تعالى عباده بما شاء (ونبلوكم بالشرّ والخير فتنة) .

(٨) بالفتنة .

(٩) من علمت منهم اختيار الضلالة .

(١٠) (وتهدى) بها .

(١١) من علمت منهم اختيار الهدى .

(١٢) مولانا القائم بأمورنا .

(١٣) وأثبت لنا واقسم .

(١٤) عافية وحياة طيّبة وتوفيقا فى الطاعة .

(١٥) (وفى الآخرة) الجنّة .

(١٦) تبنا إليك . وهاد إليه يهود إذا رجع وتاب . والهود جمع هائد وهو التائب .

قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ (١) وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ (٢) فَسَأَكْتُبُهَا (٣) لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ (٤) وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ (٥) وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا (٦) يُؤْمِنُونَ (٧) ۝ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ (٨) ٱلنَّبِىَّ (٩) ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ (١٠) مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ (١١) وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ (١٢) وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ (١٣) وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ (١٤)

---

(١) من صفته أنّى (أصيب به من أشاء) أى لا أعفو عنه .

(٢) أى من صفة رحمتى أنها واسعة تبلغ كلّ شىء ، ما من مسلم ولا كافر إلّا وعليه أثر رحمتى فى الدنيا .

(٣) أى هذه الرحمة .

(٤) الشرك من أمة محمّد صلّى الله عليه وسلّم .

(٥) المفروضة .

(٦) بجميع كتبنا .

(٧) لا يكفرون بشىء منها .

(٨) الذى نوحى إليه كتابا مختصا به وهو القرآن .

(٩) صاحب المعجزات .

(١٠) أى يجد نعته أولئك الذين يتبعونه من بنى إسرائيل .

(١١) بخلع الأنداد، وإنصاف العباد .

(١٢) عبادة الأصنام، وقطيعة الأرحام .

(١٣) ما حرّم عليهم من الأشياء الطيّبة كالشحوم وغيرها، أو ما طاب فى الشريعة ممّا ذكر اسم الله عليه من الذبائح وما خلا كسبه من السحت .

(١٤) ما يستخبث كالدم والميتة ولحم الخنزير وما أهلّ لغير الله به أو ما خبث فى الحكم كالربا والرشوة ونحوهما من المكاسب الخبيثة .

وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ(١) وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ(٢) فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ(٣) وَعَزَّرُوهُ(٤) وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ(٥) أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ(٦) ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ(٧) إِلَيْكُمْ(٨) جَمِيعًا ٱلَّذِى(٩) لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ(١٠) فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ(١١) وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ

---

(١) هو الثقل الذى يأصر صاحبه أى يحبسه عن الحراك لثقله . والمراد التكاليف الصعبة كقتل النفس فى توبتهم وقطع الأعضاء الخاطئة . (آصارهم) شامىّ على الجمع .

(٢) هى الأحكام الشاقّة نحو بتّ القضاء بالقصاص عمداً كان أو خطأ من غير شرع الدية ، وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب ، وإحراق الغنائم ، وظهور الذنوب على أبواب البيوت . وشبهت بالغُلّ للزومها لزوم الغلّ .

(٣) بمحمّد صلّى الله عليه وسلّم .

(٤) وعظّموه أو منعوه من العدوّ حتّى لا يقوى عليه عدوّ . وأصل العزر المنع ومنه التعزير لأنّه منع عن معاودة القبيح كالحدّ فهو المنع .

(٥) (النور) القرآن . ومع متعلّق باتّبعوا أى واتّبعوا القرآن المنزل مع اتّباع النبىّ والعمل بسنّته .

(٦) الفائزون بكلّ خير والناجون من كلّ شرّ .

(٧) بعث كلّ رسول إلى قومه خاصـة وبعث محمّد صلّى الله عليه وسلّم إلى كافّة الإنس وكافّة الجنّ .

(٨) حال من (إليكم) .

(٩) فى محلّ النصب بإضمار أعنى وهو نصب على المدح .

(١٠) (لا إله إلّا هو) بدل من الصـلة وهى (له ملك السموات والأرض) . وكذلك (يحيى ويميت) . وفى (لا إله إلّا هو) بيـان للجملة قبلها لأنّ من ملك العالم كان هو الإله على الحقيقة . وفى (يحيى ويميت) بيان لاختصاصه بالإلهيّة إذ لا يقدر على الإحياء والإماتة غيره .

(١١) أى الكتب المنزلة . ولم يقل فآمنوا بالله وبى بعد قوله (إنّى رسول الله إليكم) لتجرى عليه الصفات التى أجريت عليه ، ولما فى الالتفات من مزيّة البلاغة ، وليعلم أنّ الذى وجب

أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ (١) وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ (٢) ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمُ (٣) ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا (٤) أُمَمًا (٥) وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنۢبَجَسَتْ (٦) مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ (٧) مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ (٨) وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ (٩) مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا (١٠)

الإيمان به هو هذا الشخص الموصوف بأنّه النبيّ الأميّ الذى يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان أنا أو غيرى إظهارا للنصفة وتفاديا من العصبيّة لنفسه .

(١) أى يهدون الناس محقّين أو بسبب الحقّ الذى هم عليه .

(٢) وبالحقّ يعدلون بينهم فى الحكم لا يجورون . قيل هم قوم وراء الصين آمنوا بمحمّد عليه الصلاة والسلام ليلة المعراج أوهم عبد الله بن سلام وأضرابه .

(٣) وصيرناهم قطعا أى فرقا وميّزنا بعضهم من بعض .

(٤) كقولك اثنتى عشرة قبيلة . والأسباط أولاد الولد جمع سِبْط . وكانوا اثنتى عشرة قبيلة من اثنى عشر ولدا من ولد يعقوب عليه السلام . نعم مميّز ما عدا العشرة مفرد فكان ينبغى أن يقال اثنى عشر سبطا . لكن المراد وقطّعناهم اثنتى عشرة قبيلة وكلّ قبيلة أسباط لا سبط فوضع أسباط موضع قبيلة .

(٥) بدل من اثنتى عشرة ، أى وقطّعناهم أمما لأنّ كلّ أسباط كانت أمّة عظيمة ، وكلّ واحدة كانت تؤمّ خلاف ما تؤمّه الأخرى .

(٦) فضرب فانفجرت .

(٧) هو اسم جمع غير تكسير .

(٨) وجعلناه ظليلا عليهم فى التيه .

(٩) وقلنا لهم (كلوا من طيّبات ما رزقناكم) .

(١٠) أى وما رجع إلينا ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم .

وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ(١) ۝ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ(٢) ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ(٣) وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ(٤) سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ(٥) ۝ وَسْـَٔلْهُمْ(٦) عَنِ ٱلْقَرْيَةِ(٧) ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ(٨) إِذْ يَعْدُونَ(٩) فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ(١٠) تَأْتِيهِمْ

(١) ولكن كانوا يضرّون أنفسهم ويرجع وبال ظلمهم إليهم .

(٢) (و) اذكر (إذ قيل لهم) .

(٣) بيت المقدس .

(٤) (تُغفَر) لكم مدنيّ وشاميّ. (خطيئاتُكم) مدنيّ. (خطاياكم) أبو عمرو. (خطيئتُكم) شاميّ .

(٥) لا تناقض بين قوله (اسكنوا هـذه القرية وكلوا منها) فى هذه السورة وبين قوله فى سورة البقرة (ادخلوا هذه القرية فكلوا) لوجود الدخول والسكنى . وسواء قدّموا الحطّة على دخول الباب أو أخّروها فهم جامعون بينهما . وترك ذكر الرغد لا يناقض إثباته . وقوله (نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين) موعد بشيئين بالغفران وبالزيادة . وطرح الواو لايخلّ بذلك لأنّه استئناف مرتّب على قول القائل : وما ذا بعد الغفران ؟ فقيل له : (سنزيد المحسنين) . وكذلك زيادة(منهم) زيادة بيان. و(أرسلنا) و(أنزلنا) و(يظلمون) و(يفسقون) من واد واحد .

(٦) واسأل اليهود .

(٧) أيلة أو مدين . وهذا السؤال للتقريع بقديم كفرهم .

(٨) قريبة منه .

(٩) إذ يتجاوزون حدّ الله فيه وهو اصطيادهم فى يوم السبت وقد نهوا عنه. (إذ يعدون) فى محلّ الجرّ بدل من القرية والمراد بالقرية أهلها . كأنّه قيل واسألهم عن أهل القرية وقت عدوانهم فى السبت وهو من بدل الاشتمال .

(١٠) منصوب بيعدون أو بدل بعد بدل .

حِيتَانُهُمْ(١) يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ(٢) كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ(٣) ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ(٤) أُمَّةٌ مِّنْهُمْ(٥) لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا(٦) مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ(٧) وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ(٨) ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِۦٓ(٩) أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ(١٠) يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا(١١)

---

(١) جمع حوت أبدلت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها .

(٢) (شرّعا) ظاهرة على وجه المـاء . جمع شارع . حال من الحيتان . والسبت مصدر سبتت اليهود إذا عظّمت سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعبّد. والمعنى (إذ يعدون) فى تعظيم هـذا اليوم ، وكذا قوله (يوم سبتهم) معناه يوم تعظيمهم أمر السبت . ويدلّ عليه (ويوم لا يسبتون لا تأتيهم) . و(يوم) ظرف (لا تأتيهم) .

(٣) مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بفسقهم .

(٤) معطوف على (إذ يعدون) وحكمه كحكمه فى الإعراب .

(٥) جماعة من صلحاء القرية الذين أيسوا من وعظهم بعد ما ركبوا الصعب والذلول فى موعظتهم ، لآخرين لا يقلعون عن وعظهم .

(٦) وإنّمـا قالوا ذلك لعلمهم أنّ الوعظ لا ينفع فيهم .

(٧) (معذرةٌ) أى موعظتنا إبلاء(*) عذر إلى الله لئلا ننسب فى النهى عن المنكر إلى التفريط. (معذرةً) حفص على أنّه مفعول له أى وعظناهم للعذرة .

(٨) ولطمعنا فى أن يتّقوا .

(٩) أى أهل القرية لمّـا تركوا ما ذكّرهم به الصالحون ترك الناسى لمـا ينساه .

(١٠) من العذاب الشديد . والذين قالوا لم تعظون من الناجين . فعن الحسن : نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين أخذوا الحيتان .

(١١) الراكبين للمنكر .

(*) فى القاموس أبلاه عذرا أدّاه إليه فقبله .

بِعَذَابٍ بَئِيسٍ(١) بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۝ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ(٢) ۝ وَإِذْ تَأَذَّنَ(٣) رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ(٤) سُوءَ الْعَذَابِ(٥) إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ(٦) وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ(٧) ۝ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا(٨) مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ(٩) وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ(١٠) وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ(١١) لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ(١٢) ۝ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ(١٣)

(١) شديد . يقال بؤس يبؤس بأسا اذا اشتدّ فهو بئيس . (بِئْس) شامىّ . (بِيس) مدنىّ . (بَيْئَس) على وزن فيعل أبو بكر غير حمّاد .

(٢) أى جعلناهم قردة أذلّاء مبعدين . وقيل (فلمّا عتوا) تكرير لقوله (فلمّا نسوا) . والعذاب البئيس هو المسخ . قيل صار الشبّان قردة والشيوخ خنازير . وكانوا يعرفون أقاربهم ويبكون ولا يتكلّمون . والجمهور على أنّها ماتت بعد ثلاث . وقيل بقيت وتناسلت .

(٣) (تأذّن) أى أعلم . وأجرى مجرى فعل القسم ولذا أجيب بما يجاب به القسم وهو قوله (ليبعثنّ عليهم) . أى كتب على نفسه ليسلطنّ على اليهود .

(٤) من يوليهم .

(٥) فكانوا يؤدّون الجزية إلى المجوس إلى أن بعث محمّد صلّى الله عليه وسلّم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم إلى آخر الدهر .

(٦) للكفّار .

(٧) للمؤمنين .

(٨) وفرّقناهم فيها فلا تخلو بلد عن فرقة .

(٩) الذين آمنوا منهم بالمدينة أو الذين وراء الصين .

(١٠) ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطّون عنه . وهم الفسقة . ومحلّ (دون ذلك) الرفع وهو صفة لموصوف محذوف أى ومنهم ناس منحطّون عن الصلاح .

(١١) بالنعم والنقم والخصب والجدب .

(١٢) ينتهون فينيبون .

(١٣) من بعد المذكورين .

خَلْفٌ[1] وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ[2] يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ[3] وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ[4] لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ[5] أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ[6] أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ[7] وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ[8] وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ[9] لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ[10] أَفَلَا تَعْقِلُونَ[11] ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ[12] بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ[13] إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

---

(١) وهم الذين كانوا فى زمن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . والخلْف بدل السوء بخلاف الخلَف فهو الصالح .

(٢) (ورثوا)التوراة ووقفوا على ما فيها من الأوامر والنواهي والتحليل والتحريم ولم يعملوا بها .

(٣) (يأخذون) حال من الضمير فى (ورثوا). والعرض : المتاع. أى حطام هذا الشىء الأدنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها . وهو من الدنو بمعنى القرب لأنّه عاجل قريب . والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشا فى الأحكام على تحريف الكلم . وفى قوله (هذا الأدنى) تخسيس وتحقير.

(٤) لا يؤاخذنا الله بما أخذنا. والفعل مسند الى الأخذ، أو الى الجار والمجرور أى (لنا).

(٥) الواو للحال . أى يرجون المغفرة وهم مصرون عائدون إلى مثل فعلهم غير تائبين .

(٦) أى الميثاق المذكور فى الكتاب .

(٧) أى أخذ عليهم الميثاق فى كتابهم ألّا يقولوا على الله إلّا الصدق . وهو عطف بيان لميثاق الكتاب .

(٨) وقرءوا ما فى الكتاب.وهو عطف على (ألم يؤخذ عليهم) لأنّه تقرير. فكأنّه قيل أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه .

(٩) من ذلك العرض الخسيس .

(١٠) الرشا والمحارم .

(١١) (أفلا يعقلون) أنّه كذلك . وبالتاء مدنىّ وحفص .

(١٢) (يُمْسكون) أبو بكر . والإمساك والتمسيك والتمسّك الاعتصام والتعلّق بشىء .

(١٣) خصّ الصلاة مع أنّ التمسّك بالكتاب يشتمل على كلّ عبادة لأنّها عماد الدين و (الذين) مبتدأ والخبر (إنّا لا نضيع أجر المصلحين) . أى إنّا لا نضيع أجرهم. وجاز أن يكون مجرورا عطفا على الذين يتقون . و (إنّا لا نضيع) اعتراض .

وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ(١) ظُلَّةٌ(٢) وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ(٣) خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم(٤) بِقُوَّةٍ(٥) وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ(٦) لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(٧) ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ(٨) رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ(٩) ذُرِّيَّتَهُمْ(١٠) وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ(١١) أَن تَقُولُواْ(١٢)

---

(١) واذكروا إذ قلعناه ورفعناه كقوله (ورفعنا فوقكم الطور) .

(٢) هى كلّ ما أظلّك من سقيفة أو سحاب .

(٣) وعلموا أنّه ساقط عليهم . وذلك أنّهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لغلظها وثقلها فرفع الله الطور على رءوسهم مقدار عسكرهم — وكان فرسخا فى فرسخ — وقيل لهم إن قبلتموها بما فيها وإلّا ليقعنّ عليكم. فلمّا نظروا إلى الجبل خرّ كلّ رجل منهم ساجدا على حاجبه الأيسر وهو ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل فرقا من سقوطه . فلذلك لا ترى يهوديّا يسجد إلّا على حاجبه الأيسر ويقولون هى السجدة التى رفعت عنّا بها العقوبة .

(٤) وقلنا لهم (خذوا ما آتيناكم) من الكتاب .

(٥) وعزم على احتمال مشاقّه وتكاليفه .

(٦) من الأوامر والنواهى ولا تنسوه .

(٧) ما أنتم عليه .

(٨) أى (و) اذكر (إذ أخذ) .

(٩) بدل من (بنى آدم). والتقدير واذ أخذ ربّك من ظهور بنى آدم ذريّتهم . ومعنى أخذ ذريّاتهم من ظهورهم إخراجهم من أصلاب آبائهم .

(١٠) (ذرّيّاتهم) مدنىّ و بصرىّ وشامىّ .

(١١) هذا من باب التمثيل . ومعنى ذلك أنّه نصب لهم الأدلّة على ربوبيّته ووحدانيّته وشهدت بها عقولهم التى ركّبها فيهم وجعلها مميّزة بين الهدى والضلالة فكأنّه أشهدهم على أنفسهم وقرّرهم وقال لهم(ألست بربّكم)وكأنّهم قالوا بلى أنت ربّنا شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوحدانيّتك.

(١٢) مفعول له أى فعلنا ذلك من نصب الأدلّة الشاهدة على صحّتها العقول كراهة (أن يقولوا) . (أن تقولوا) أبو عمرو .

يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ(١) ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ(٢) إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ(٣) أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ(٤) ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ(٥) نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ(٦) وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ(٧) ﴿١٧٤﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ(٨) نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ(٩) ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا(١٠) فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ(١١) فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ(١٢) ﴿١٧٥﴾

(١) لم ننبه عليه .

(٢) (أو) كراهة (أن يقولوا) . (أو تقولوا) أبو عمرو .

(٣) فاقتدينا بهم ، لأنّ نصب الأدلّة على التوحيد وما نبّهوا عليه قائم معهم فلا عذر لهم في الإعراض عنه والاقتداء بالآباء، كما لا عذر لآبائهم في الشرك وأدلّة التوحيد منصوبة لهم .

(٤) أي كانوا السبب في شركنا لتأسيسهم الشرك وتركه سنّة لنا .

(٥) ومثل ذلك التفصيل البليغ .

(٦) (نفصّل الآيات) لهم .

(٧) (ولعلّهم يرجعون) عن شركهم نفصّلها .

إلى هذا ذهب المحقّقون من أهل التفسير منهم الشيخ أبو منصور والزجّاج والزمخشري . وذهب جمهور المفسرين إلى أنّ الله تعالى أخرج ذريّة آدم من ظهر آدم مثل الذرّ وأخذ عليهم الميثاق أنّه ربهم بقوله (ألست بربّكم) فأجابوه ببلى . قالوا : وهي الفطرة التي فطر الله الناس عليها . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : أخرج الله من ظهر آدم ذرّيته وأراه إيّاهم كهيئة الذرّ وأعطاهم العقل وقال هؤلاء ولدك آخذ عليهم الميثاق أن يعبدوني . قيل كان ذلك قبل دخول الجنّة بين مكّة والطائف. وقيل بعد النزول من الجنّة . وقيل في الجنّة . والحجّة للأوّلين أنّه قال (من بني آدم من ظهورهم) ولم يقل من ظهر آدم ، ولأنّا لا نتذكّر ذلك فأنّى يصير حجّة .

(٨) على اليهود .

(٩) هو عالم من علماء بني إسرائيل. وقيل هو بلعم بن باعوراء أوتي علم بعض كتب الله.

(١٠) نخرج من الآيات بأن كفر بها ونبذها وراء ظهره .

(١١) فلحقه الشيطان وصار قرينا له .

(١٢) فصار من الضالّين الكافرين . روى أنّ قومه طلبوا منه أن يدعو على موسى ومن معه . فأبى . فلم يزالوا به حتى فعل وكان عنده اسم الله الأعظم .

وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ(١) بِهَا(٢) وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ(٣) وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ(٤) فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ(٥) يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ(٦) يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا(٧) فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ(٨) لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ(٩) ۝ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ(١٠) ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ(١١) ۝ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى(١٢)

---

(١) إلى منازل الأبرار من العلماء .

(٢) بتلك الآيات .

(٣) مال إلى الدنيا ورغب فيها .

(٤) فى إيثار الدنيا ولذّاتها على الآخرة ونعيمها .

(٥) أى تزجره وتطرده .

(٦) غير مطرود . والمعنى فصفته التى هى مثل فى الخسّة والضعة كصفة الكلب فى أخسّ أحواله وأذلّها وهى حال دوام اللهث به سواء حمل عليه أى شدّ عليه وهيج فطرد أو ترك غير متعرّض له بالحمل عليه . وذلك أنّ سائر الحيوان لا يكون منه اللهث إلّا إذا حرّك أما الكلب فيلهث فى الحالين . فكان مقتضى الكلام أن يقال ولكنّه أخلد إلى الأرض فحططناه ووضعنا منزلته . فوضع هذا التمثيل موضع فحططناه أبلغ حطّ . ومحلّ الجملة الشرطيّة النصب على الحال كأنّه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلّة لاهثا فى الحالين . وقيل لمّا دعا بلعم على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب . وقيل معناه هو ضالّ وعظ أو ترك . وعن عطاء من علم ولم يعمل فهو كالكلب ينبح إن طرد أو ترك .

(٧) من اليهود بعد أن قرءوا نعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى التوراة وذكر القرآن المعجز وما فيه وبشّروا الناس باقتراب مبعثه .

(٨) أى قصص بلعم الذى هو نحو قصصهم .

(٩) فيحذرون مثل عاقبته إذا ساروا نحو سيرته .

(١٠) أى مثل القوم فحذف المضاف . وفاعل ساء مضمر أى ساء المثل مثلا . وانتصاب مثلا على التمييز .

(١١) معطوف على كذّبوا فيدخل فى حيّز الصلة . أى الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم أنفسهم . أو منقطع عن الصلة أى وما ظلموا إلّا أنفسهم بالتكذيب . وتقديم المفعول به للاختصاص أى وخصّوا أنفسهم بالظلم لم يتعدّ إلى غيرها .

(١٢) حمل على اللفظ .

وَمَن يُضْلِلْ(١) فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ(٢) ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ(٣) لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ(٤) بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا(٥) وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ(٦) أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ(٧) بَلْ هُمْ أَضَلُّ(٨) أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ(٩) ﴿١٧٩﴾

---

(١) أى ومن يضلله .

(٢) حمل على المعنى. ولو كان الهدى من الله البيانَ ، كما قالت المعتزلة ، لاستوى الكافر والمؤمن إذ البيان ثابت فى حق الفريقين . فدلّ أنه من الله تعالى التوفيق والعصمة والمعونة ولو كان ذلك للكافر لاهتدى كما اهتدى المؤمن .

(٣) هم الكفّار من الفريقين المعرضون عن تدبّر آيات الله . والله تعالى علم منهم اختيار الكفر فشاء منهم الكفر وخلق فيهم ذلك وجعل مصيرهم جهنّم لذلك . ولا تنافى بين هـذا و بين قوله (وما خلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون) لأنّه إنّما خلق منهم للعبادة من علم أنّه يعبده وأمّا من علم أنّه يكفر به فإنّما خلقه لـما علم أنّه يكون منه . فالحاصل أنّ من علم منه فى الأزل أنه يكون منه العبادة خلقه للعبادة . ومن علم منه أن يكون منه الكفر خلقه لذلك . وكم من عامّ يراد به الخصوص . وقول المعتزلة بأنّ هذه لام العاقبة أى لـمّا كان عاقبتهم جهنّم جعل كأنّهم خلقوا لها ، فرارا عن إرادة المعاصى ، عدول عن الظاهر .

(٤) (لا يفقهون بها) الحقّ ولا يتفكّرون فيه .

(٥) (لا يبصرون بها) الرشد .

(٦) (لا يسمعون بها) الوعظ .

(٧) فى عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتفكّر .

(٨) من الأنعام لأنّهم كابروا العقول ، وعاندوا الرسول ، وارتكبوا الفضول . فالأنعام تطلب منافعها وتهرب عن مضارّها وهم لا يعلمون مضارّهم حيث اختاروا النـار . كيف يستوى المكلّف المأمور والمخلّى المعذور . فالآدمىّ روحانىّ شهوانىّ سماوىّ أرضىّ . فإن غلب روحه هواه فاق ملائكة السموات و إن غلب هواه روحه فاقته بهائم الأرض .

(٩) الكاملون فى الغفلة .

وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ (١) فَٱدْعُوهُ بِهَا (٢) وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ (٣) سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ (٤) أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ (٥) ۝ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم (٦) مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٧) ۝ وَأُمْلِى (٨) لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ (٩) ۝ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِهِم (١٠) مِّن جِنَّةٍ

(١) التى هى أحسن الأسماء لأنّها تدلّ على معان حسنة . فمنها مايستحقّه بحقائقه كالقديم قبل كلّ شىء، والباقى بعد كلّ شىء، والقادر على كلّ شىء، والعالم بكلّ شىء، والواحد الذى ليس كمثله شىء . ومنها ما تستحسنه الأنفس لآثارها كالغفور والرحيم والشكور والحليم . ومنها ما يوجب التخلّق به كالفضل والعفو . ومنها ما يوجب مراقبة الأحوال كالسميع والبصير والمقتدر . ومنها ما يوجب الإجلال كالعظيم والجبّار والمتكبّر .

(٢) فسمّوه بتلك الأسماء .

(٣) واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحقّ والصواب فيها فيسمّونه بغير الأسماء الحسنى . وذلك أن يسمّوه بما لا يجوز عليه نحو أن يقولوا يا سخىّ يا رفيق لأنّه لم يسمّ نفسه بذلك . ومن الإلحاد تسميته بالجسم والجوهر والعقل والعلّة . (يَلْحَدون) حمزة . لحد وألحد مال .

(٤) (وممّن خلقنا) للجنّة لأنّه فى مقابلة (ولقد ذرأنا لجهنّم) .

(٥) (يعدلون) فى أحكامهم . قيل هم العلماء والدعاة إلى الدين . وفيه دلالة على أنّ إجماع كلّ عصر حجّة .

(٦) سنستدنيهم قليلا قليلا إلى ما يهلكهم وذلك أن يواتر الله نعمه عليهم مع انهما كهم فى الغىّ فكلّما جدّد الله عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجدّدوا معصية فيتدرّجون فى المعاصى بسبب ترادف النعم ظانّين أن ترادف النعم أُثْرة من الله تعالى وتقريب ، وإنّما هو خذلان منه وتبعيد . وهو استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد أو الاستنزال درجة بعد درجة .

(٧) (من حيث لا يعلمون) ما يراد بهم .

(٨) عطف على (سنستدرجهم) وهو داخل فى حكم السين ، أى أمهلهم .

(٩) أخذى شديد . سمّاه كيدا لأنّه شبيه بالكيد من حيث إنّه فى الظاهر إحسان ، وفى الحقيقة خذلان .

(١٠) محمّد عليه السلام . و(ما) نافية بعد وقف . أى أو لم يتفكّروا فى قولهم . ثم نفى عنه الجنون بقوله (ما بصاحبهم من جنّة) جنون. نزل لمّا نسبوا النبىّ صلّى الله عليه وسلّم إلى الجنون

إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (١) ۝ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ (٢) فِى مَلَكُوتِ (٣) ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ (٤) وَأَنْ عَسَىٰٓ (٥) أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ (٦) يُؤْمِنُونَ (٧) ۝ مَن يُضْلِلِ (٨) ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ (٩) فِى طُغْيَٰنِهِمْ (١٠) يَعْمَهُونَ (١١) ۝ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ (١٢) أَيَّانَ (١٣)

(١) منذر من الله موضّح إنذاره .

(٢) (أو لم ينظروا) نظر استدلال .

(٣) الملك العظيم .

(٤) وفيما خلق الله مما يقع عليه اسم الشيء من أجناس لا يحصرها العدد .

(٥) (أن) مخفّفة من الثقيلة . وأصله وأنّه عسى . والضمير ضمير الشأن . وهو فى موضع الجرّ بالعطف على ملكوت . والمعنى أو لم ينظروا فى أنّ الشأن والحديث عسى أن يكون قد اقترب أجلهم ولعلّهم يموتون عمّا قريب فيسارعوا إلى النظر وطلب الحقّ وما ينجيهم قبل مفاجأة الأجل وحلول العقاب .

(٦) بعد القرآن .

(٧) إذا لم يؤمنوا به . وهو متعلّق بعسى أن يكون قد اقترب أجلهم . كأنّه قيل لعلّ أجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الإيمان بالقرآن قبل الفوت ؟ وماذا ينتظرون بعد وضوح الحقّ ؟ و بأىّ حديث أحقّ منه يريدون أن يؤمنوا ؟

(٨) أى يضلله الله .

(٩) بالياء عراقىّ . وبالجزم حمزة وعلىّ عطفا على محلّ (فلا هادى له) ، كأنّه قيل من يضلل الله لا يهده أحد ويذرهم . والرفع على الاستئناف أى وهو يذرهم . الباقون بالنون .

(١٠) كفرهم .

(١١) يتحيّرون .

(١٢) وهى من الأسماء الغالبة كالنجم للثريا . وسمّيت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها أو لأنّها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق. نزل لمّا سألت اليهود أو قريش عن الساعة متى تكون .

(١٣) متى ، واشتقاقه من أىّ فعلان منه لأن معناه أى وقت .

مُرْسَىٰهَا (١) قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا (٢) لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ (٣) ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ (٤) لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً (٥) يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا (٦) قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ (٧) وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٨) ﴿١٨٧﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ (٩) وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ

(١) إرساؤها ، مصدر مثل المدخل بمعنى الإدخال . أو وقت إرسائها أى إثباتها ، والمعنى متى يرسيها الله .

(٢) أى علم وقت إرسائها عنده قد استأثر به لم يخبر به أحدا من ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل ليكون ذلك أدعى إلى الطاعة وأزجر عن المعصية ، كما أخفى الأجل الخاصّ وهو وقت الموت لذلك .

(٣) لا يظهر أمرها ولا يكشف خفاء علمها إلّا هو وحده .

(٤) أى كلّ من أهلها من الملائكة والثقلين أهمّه شأن الساعة ويتمنّى أن يتجلّى له علمها وشقّ عليه خفاؤها وثقل عليه . أو ثقلت فيها لأنّ أهلها يخافون شدائدها وأهوالها .

(٥) فجأة على غفلة منكم .

(٦) كأنّك عالم بها . وحقيقته كأنّك بليغ فى السؤال عنها لأنّ من بالغ فى المسألة عن الشيء والتنقير عنه استحكم علمه فيه . وأصل هذا التركيب المبالغة ومنه إحفاء الشارب . أو (عنها) متعلق بيسئلونك أى يسئلونك عنها كأنّك حفيّ أى عالم بها .

(٧) كرّر يسئلونك وعلمها عند الله للتأكيد ولزيادة كأنّك حفيّ عنها . وعلى هذا تكرير العلماء فى كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة منهم محمد بن الحسن رحمه الله .

(٨) (لا يعلمون) أنّه المختصّ بالعلم بها .

(٩) هو إظهار للعبوديّة وبراءة عمّا يختصّ بالربوبيّة من علم الغيب . أى أنا عبد ضعيف لا أملك لنفسى اجتلاب نفع ولا دفع ضرر كالمماليك إلّا ما شاء مالكى من النفع لى والدفع عنّى .

لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ[١] إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ[٢] لِّقَوْمٍ[٣] يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ[٤] وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا[٥] لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا[٦] فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا[٧] حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا[٨] فَمَرَّتْ بِهِۦ[٩] فَلَمَّآ أَثْقَلَت[١٠] دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا[١١] لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا[١٢] لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ[١٣] ﴿١٨٩﴾

(١) أى لكانت حالى على خلاف ما هى عليه من استكثار الخير واجتناب السوء والمضارّ حتّى لا يمسّنى شىء منها ولم أكن غالبا مرّة ومغلوبا أخرى فى الحروب. وقيل الغيب الأجل، والخير العمل، والسوء الوجل. وقيل (لاستكثرت) لاعتددت من الخصب للجدب. والسوء الفقر. وقد ردّ.

(٢) إن أنا إلّا عبد أرسلت نذيرا وبشيرا وما من شأنى أن أعلم الغيب.

(٣) اللام يتعلّق بالنذير والبشير لأنّ النذارة والبشارة إنّما ينفعان فيهم. أو بالبشير وحده والمتعلق بالنذير محذوف أى (إلّا نذير) للكافرين (وبشير لقوم يؤمنون).

(٤) هى نفس آدم عليه السلام.

(٥) حوّاء خلقها من جسد آدم من ضلع من أضلاعه.

(٦) ليطمئن ويميل لأنّ الجانس إلى الجنس أميل خصوصا إذا كان بعضا منه كما يسكن الإنسان إلى ولده ويحبه محبّة نفسه لكونه بضعة منه. وذكّر (ليسكن) بعد ما أنّث فى قوله (واحدة وخلق منها زوجها) ذهابا إلى معنى النفس ليبيّن أنّ المراد بها آدم.

(٧) جامعها.

(٨) خفّ عليها ولم تلق منه ما يلقى بعض الحبالى من حملهنّ من الكرب والأذى ولم تستثقله كما يستثقلنه.

(٩) فمضت به إلى وقت ميلاده من غير إخداج ولا إزلاق. أو (حملت حملا خفيفا) يعنى النطفة (فمرت به) فقامت به وقعدت.

(١٠) حان وقت ثقل حملها.

(١١) دعا آدم وحوّاء ربهما ومالك أمرهما الذى هو الحقيق بأن يدعى ويلتجأ إليه.

(١٢) لئن وهبت لنا ولدا سويّاً قد صلح بدنه. أو ولدا ذكرا لأن الذكورة من الصلاح.

(١٣) لك. والضمير فى (آتيتنا) و(لنكوننّ) لهما ولكلّ من يتناسل من ذريّتهما.

فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا(١) جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ(٢) فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ(٣) شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ(٤) ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ(٥) نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ(٦) ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ(٧) إِلَى ٱلْهُدَىٰ(٨) لَا يَتَّبِعُوكُمْ(٩)

(١) أعطاهما ما طلباه من الولد الصالح السوى .

(٢) أى جعل أولادهما له شركاء على حذف المضاف و إقامة المضاف إليه مقامه . وكذلك (فيا آتاهما) أى آتى أولادهما . دليله (فتعالى الله عمّا يشركون) حيث جمع الضمير وآدم وحواء بريئان من الشرك . ومعنى إشراكهم فيما آتاهم الله تسميتهم أولادهم بعبد العزى وعبد مناف وعبد شمس ونحو ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم .

أو يكون الخطاب لقريش الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلّم وهم آل قصىّ . أى هو الذى خلقكم من نفس واحدة : قصىّ . وجعل من جنسها زوجها عربيّة قرشيّة ليسكن إليها . فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوىّ جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سمّيا أولادهما الأربعة بعبد مناف وعبد العزّى وعبد قصىّ وعبد الدار . والضمير فى (أيشركون) لهما ولأعقابهما الذين اقتدوا بهما فى الشرك . (شِرْكا) مدنىّ وأبو بكر أى ذوى شرك وهم الشركاء .

(٣) يعنى الأصنام .

(٤) أجريت الأصنام مجرى أولى العلم بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم إياها آلهة . والمعنى أيشركون ما لا يقدر على خلق شىء وهم يخلقون لأنّ الله خالقهم . أو الضمير فى (وهم يخلقون) للعابدين . أى أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم مخلوقو الله فليعبدوا خالقهم . أو للعابدين والمعبودين وجمعهم كأولى العلم تغليبا للعابدين .

(٥) لعبدتهم .

(٦) فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث كالكسر وغيره . بل عبدتهم الذين يدفعون عنهم .

(٧) وإن تدعوا هذه الأصنام .

(٨) إلى ماهو هدى ورشاد . أو إلى أن يهدوكم أى وإن تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى .

(٩) (لا يتّبعوكم) إلى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله . (لا يَتْبَعوكم) نافع .

سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ [(١)] ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ [(٢)] أَمْثَالُكُمْ [(٣)] فَٱدْعُوهُمْ [(٤)] فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ [(٥)] لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ [(٦)] ۝ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ [(٧)] أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ [(٨)] أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ [(٩)] ثُمَّ كِيدُونِ [(١٠)] فَلَا تُنظِرُونِ [(١١)] ۝ إِنَّ وَلِـِّۧىَ [(١٢)] ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ [(١٣)] وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ [(١٤)] ۝

---

(١) عن دعائهم . (سواء) فى أنّه لا فلاح معهم ولا يجيبونكم . والعدول عن الجملة الفعليّة إلى الاسميّة لرءوس الآى .

(٢) أى تعبدونهم وتسمّونهم آلهة .

(٣) أى مخلوقون مملوكون أمثالكم .

(٤) لجلب نفع أو دفع ضرّ .

(٥) فليجيبوا .

(٦) فى أنّهم آلهـة . ثم أبطل أن يكونوا عبـادا أمثالهم فقال (ألهم أرجل) . أى فلم تعبدون ما هو دونكم .

(٧) مشيكم .

(٨) يتناولون بها .

(٩) واستعينوا بهم فى عداوتى . فإنّى لا أبالى بكم . وكانوا قد خوّفوه آلهتهم فأمر أن يخاطبهم بذلك .

(١٠) و باليـاء يعقوب .

(١١) جميعا أنتم وشركاؤكم . و بالياء يعقوب وافقه أبو عمرو فى الوصل .

(١٢) ناصرى عليكم .

(١٣) أوحى إلى وأعزّنى برسالته .

(١٤) ومن سنّته أن ينصر الصالحين من عباده ولا يخذلهم .

وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ[1] لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿﴾ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ[2] وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ[3] ﴿﴾ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ[4] وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ[5] وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ[6] ﴿﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٌ[7] فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ[8] إِنَّهُۥ سَمِيعٌ[9] عَلِيمٌ[10] ﴿﴾

---

(١) من دون الله .

(٢) يشبهون الناظرين إليك لأنّهم صوّروا أصنامهم بصورة من قلب حدقته إلى الشيء ينظر إليه .

(٣) المرئى .

(٤) هو ضدّ الجهد . أى ما عفا لك من أخلاق الناس وأفعالهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشقّ عليهم حتّى لاينفروا كقوله عليه السلام : " يسّروا ولا تعسّروا " .

(٥) بالمعروف والجميل من الأفعال أو هو كلّ خصلة يرتضيها العقل ويقبلها الشرع .

(٦) ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عليهم . وفسّرها جبريل عليه السلام بقوله : "صل من قطعك وأعط من حرمك واعف عمّن ظلمك". وعن الصادق أمر الله نبيّه عليه السلام بمكارم الأخلاق وليس فى القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها .

(٧) وإما ينخسنّك منه نخس أى بأن يحملك بوسوسته على خلاف ما أمرت به . والنزغ النخس كأنه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصى . وجعل النزغ نازغا كما قيل جدّ جدّه . أو أريد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب كقول أبى بكر رضى الله عنه إنّ لى شيطانا يعتريني .

(٨) ولا تطعه .

(٩) لنزغه .

(١٠) بدفعه .

إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا(١) فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ(٢) ۝ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ(٣) ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ(٤) ۝ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ(٥) قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا(٦) قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي(٧) هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ(٨) وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ(٩) ۝ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ

---

(١) (طيف) مكيّ و بصريّ وعليّ أي لَمّة منه . مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفا . وعن أبي عمرو هما واحد وهي الوسوسة . وهذا تأكيد لما تقدّم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان ، وأنّ عادة المتّقين إذا أصابهم أدنى نزغ من الشيطان والمام بوسوسته (تذكّروا) ما أمر الله به ونهى عنه .

(٢) فأبصروا السداد ودفعوا وسوسته . وحقيقته أن يفرّوا منه إلى الله فيزدادوا بصيرة من الله بالله .

(٣) وأما إخوان الشياطين من شياطين الإنس، فانّ الشياطين (يمدّونهم فى الغيّ)، أى يكونون مددا لهم فيه و يعضدونهم . (يمدّونهم) من الإمداد مدنيّ. وجاز أن يراد بالإخوان الشياطين و يرجع الضمير المتعلّق به إلى الجاهلين . والأوّل أوجه لأنّ إخوانهم فى مقابلة الذين اتّقوا . وإنّما جمع الضمير فى (إخوانهم) والشيطان مفرد لأنّ المراد به الجنس .

(٤) ثمّ لا يمسكون عن إغوائهم حتّى يصرّوا ولا يرجعوا .

(٥) مقترحة .

(٦) هلا اجتمعتها أى اختلقتها كما اختلقت ما قبلها .

(٧) ولست بمقترح لها .

(٨) هذا القرآن دلائل تبصّركم وجوه الحق .

(٩) (يؤمنون) به .

فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١) ۝ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ (٢) تَضَرُّعًا وَخِيفَةً (٣) وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ (٤) بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ (٥) وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ (٦) ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ (٧) لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ (٨) وَيُسَبِّحُونَهُۥ (٩) وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ (١٠) ۝

(١) ظاهره وجوب الاستماع والإنصات وقت قراءة القرآن فى الصلاة وغيرها . وقيل معناه إذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له . وجمهور الصحابة رضى الله عنهم على أنه فى استماع المؤتم . وقيل فى استماع الخطبة . وقيل فيهما وهو الأصح .

(٢) هو عام فى الأذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك .

(٣) متضرعا وخائفا .

(٤) ومتكلما كلاما دون الجهر لأن الإخفاء أدخل فى الإخلاص وأقرب إلى حسن التفكر .

(٥) لفضل هذين الوقتين . وقيل المراد إدامة الذكر باستقامة الفكر . ومعنى (بالغدو). بأوقات الغدو وهى الغُدوات . والآصال جمع أُصُل . والأصل جمع أصيل وهو العشى .

(٦) من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه .

(٧) مكانة ومنزلة لا مكانا ومنزلا يعنى الملائكة .

(٨) لا يتعظمون عنها .

(٩) وينزهونه عما لا يليق به .

(١٠) ويختصونه بالعبادة لا يشركون به غيره . والله أعلم .

سورة الأنفال

(وهى خمس أو ستّ أو سبع وسبعون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ[1] قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ[2] وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ[3] وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ[4] إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ[5] ۝ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ[6]

(١) النفل الغنيمة لأنّها من فضل الله وعطائه . والأنفال الغنائم . ولقد وقع اختلاف بين المسلمين فى غنائم بدر وفى قسمتها فسألوا رسول الله كيف نقسم ولمن الحكم فى قسمتها للمهاجرين أم للأنصار أم لهم جميعا ؟ فقيل له قل لهم هى لرسول الله وهو الحاكم فيها خاصّة يحكم فيها ما يشاء ليس لأحد غيره فيهـا حكم . ومعنى الجمع بين ذكر الله والرسول أنّ حكمها مختصّ بالله ورسوله يأمر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته و يمتثل الرسول أمر الله فيها وليس الأمر فى قسمتها مفوّضا إلى رأى أحد .

(٢) فى الاختلاف والتخاصم وكونوا متآخين فى الله .

(٣) أحوال بينكم . يعنى ما بينكم من الأحوال حتّى تكون أحوال ألفة ومحبّـة واتّفاق . وقال الزجّاج معنى ذات بينكم حقيقة وصلكم . والبين الوصل . أى فاتّقوا الله وكونوا مجتمعين على ما أمر الله ورسوله به. قال عبادة بن الصامت رضى الله عنه نزلت فينا يامعشر أصحاب بدر حين اختلفنا فى النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا فجعله لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقسمه بين المسلمين على السواء .

(٤) فيما أمرتم به فى الغنائم وغيرها

(٥) كاملى الإيمان .

(٦) إنّمـا الكاملو الإيمان .

ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ(١) وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ(٢) زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا(٣) وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ(٤) ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ(٥) ۝ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا(٦) لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ(٧) عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ(٨) وَرِزْقٌ كَرِيمٌ(٩) ۝

(١) فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزه وسلطانه .

(٢) أي القرآن .

(٣) ازدادوا بها يقينا وطمأنينة ، لأن تظاهر الأدلة أقوى للمدلول عليه وأثبت لقدمه . أو زادتهم إيمانا بتلك الآيات لأنهم لم يؤمنوا بأحكامها قبل .

(٤) يعتمدون ولا يفوضون أمورهم إلى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون إلا إياه .

(٥) جمع بين أعمال القلوب من الوجل والإخلاص والتوكل وبين أعمال الجوارح من الصلاة والصدقة .

(٦) هو صفة لمصدر محذوف أي أولئك هم المؤمنون إيمانا حقا . أو هو مصدر مؤكد للجملة التي هي (أولئك هم المؤمنون) كقولك هو عبد الله حقا أي حق ذلك حقا . وعن الحسن رحمه الله أن رجلا سأله أمؤمن أنت ؟ قال إن كنت تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فأنا مؤمن . وإن كنت تسألني عن قوله (إنما المؤمنون) الآية فلا أدري أنا منهم أم لا . وعن الثوري من زعم أنه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد أنه من أهل الجنة فقد آمن بنصف الآية . أي كما لا يقطع بأنه من أهل ثواب المؤمنين حقا فلا يقطع بأنه مؤمن حقا . وبهذا يتشبث من يقول أنا مؤمن إن شاء الله . وكان أبو حنيفة رحمه الله لا يقول ذلك . وقال لقتادة لم تستثني في إيمانك ؟ قال اتباعا لإبراهيم في قوله (والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) . فقال له هلا اقتديت به في قوله (أولم تؤمن قال بلى) . وعن إبراهيم التيمي قل أنا مؤمن حقا فإن صدقت أثبت عليه وإن كذبت فكفرك أشد من كذبك . وعن ابن عباس رضي الله عنهما من لم يكن منافقا فهو مؤمن حقا . وقد احتج عبد الله على أحمد فقال ايش اسمك ؟ فقال أحمد . فقال أتقول أنا أحمد حقا أو أنا أحمد إن شاء الله ؟ فقال أنا أحمد حقا . فقال حيث سماك والداك لا تستثني وقد سماك الله في القرآن مؤمنا تستثني .

(٧) مراتب بعضها فوق بعض على قدر الأعمال .

(٨) وتجاوز لسيئاتهم .

(٩) صاف عن كد الاكتساب ، وخوف الحساب .

كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ(١) مِنۢ بَيْتِكَ(٢) بِٱلْحَقِّ(٣) وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ(٤) ﴿٥﴾

(١) الكاف فى محلّ النصب على أنّه صفة لمصدر الفعل المقـدّر . والتقدير قل الأنفال استقرت لله والرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبـات إخراج ربّك إيّاك من بيتك وهم كارهون .

(٢) يريد بيته بالمدينة أو المدينة نفسها لأنّهـا مهاجره ومسكنه فهى فى اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه .

(٣) إخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب .

(٤) فى موضع الحال . أى أخرجك فى حال كراهتهم . وذلك أنّ عير قريش أقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكبا منهم أبو سفيان فأخبر جبريل النبيّ عليه السلام فأخبر أصحابه فأعجبهم تلقّى العير لكثرة الخير وقلّة القوم . فلمّا خرجوا علمت قريش بذلك فخرج أبو جهل بجميع أهل مكّة، وهو النفير فى المثل السائر: لا فى العير ولا فى النفير. فقيل له إنّ العير أخذت طريق الساحل ونجت . فأبى وسار بمن معه إلى بدر . وهو ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما فى السنة . ونزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد إنّ الله وعدكم إحدى الطائفتين إمّا العير وإمّا قريشا . فاستشار النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أصحابه.وقال : العير أحبّ إليكم أم النفير ؟ قالوا بل العير أحبّ إلينا من لقاء العدوّ . فتغيّر وجه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . ثم ردّد عليهم فقال إنّ العير قد مضت على ساحل البحر . وهذا أبو جهل قد أقبل . فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدوّ . فقام عند غضب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أبو بكر وعمر رضى عنهما فأحسنا . ثم قام سعد بن عبادة فقال : انظر أمرك فامض فوالله لو سرت إلى عدنِ أَبْيَنَ ما تخلّف عنك رجل من الأنصار . ثم قال المقداد بن عمرو: امض لمـا أمرك الله فإنّا معك حيث أحببت لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى (اذهب أنت وربّك فقاتلا إنّاههنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون ما دامت عين منّا تطرف. فضحك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . وقال سعد بن معاذ : امض يارسول الله لمـا أردت فوالذى بعثك بالحقّ لو استعرضت بنا هذا البحر لخضته لخضناه معك ما تخلّف منّا رجل واحد. فسر بنا على بركة الله . ففرح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ونشّطه قول سعد. ثم قال: سيروا على بركة الله أبشروا فإنّ الله وعدنى إحدى الطائفتين . والله لكأنّى الآن أنظر إلى مصارع القوم .

وكانت الكراهة من بعضهم لقوله (وإنّ فريقا من المؤمنين لكارهون) . قال الشيخ أبو منصور رحمه الله: يحتمل أنّهم منافقون كرهوا ذلك اعتقادا . ويحتمل أن يكونوا مخلصين وأن يكون ذلك كراهة طبع لأنّهم غير متأهّبين .

يُجَـٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ (١) بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ (٢) كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ (٣) ۝ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ (٤) أَنَّهَا لَكُمْ (٥) وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ (٦) وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ (٧) بِكَلِمَـٰتِهِۦ (٨) وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَـٰفِرِينَ (٩) ۝

(١) الحقّ الذى جادلوا فيه رسـول الله صلّى الله عليه وسـلّم تلقى النفير لإيثـارهم عليه تلقّ العير. وجدالهم قولهم : ما كان خروجنا إلّا للعير. وهلّا قلت لنـا لنستعدّ. وذلك لكراهتهم القتال .

(٢) بعد إعلام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بأنّهم ينصرون .

(٣) شبّه حالهم فى فرط فزعهم وهم يسار بهم إلى الظفر والغنيمة بحال من يُعْتَل إلى القتل و يساق على الصغار إلى الموت وهو مشاهد لأسبابه ناظر إليها لايشكّ فيها . وقيل كان خوفهم لقلّة العدد وأنّهم كانوا رجّالة وما كان فيهم إلّا فارسان .

(٤) (إذ) منصوب باذكر و (إحدى) مفعول ثان .

(٥) بدل من (إحدى الطائفتين) وهما العير والنفير. والتقدير وإذ يعدكم الله أنّ إحدى الطائفتين لكم .

(٦) (غير ذات الشوكة) أى العير. وذات الشوكة : ذات السلاح . والشوكة كانت فى النفير لعددهم وعُدّتهم . أى تتمنّون أن تكون لكم العير لأنّها الطائفة التى لا سلاح لها ولا تريدون الطائفة الأخرى .

(٧) أى يثبّته ويعليه .

(٨) بآياته المنزلة فى محاربة ذات الشوكة وبمـا أمر الملائكة من نزولهم للنصرة وبمـا قضى من قتلهم وطرحهم فى قَليب بدر .

(٩) آخرهم . والدابر الآخر فاعل من دبر إذا أدبر. وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال . يعنى أنّكم تريدون الفائدة العاجلة وسَفْساف الأمور والله تعالى يريد معالى الأمور ونصرة الحق وعلوّ الكلمة . وشتّان ما بين المرادين . ولذلك اختـار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وأعزّكم وأذلّهم .

لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ(١) وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ(٢) ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ(٣) فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ(٤) أَنِّى مُمِدُّكُم(٥) بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ(٦) ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ(٧) ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ(٨) وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ(٩) وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ(١٠)

---

(١) متعلّق بيقطع . أو بمحذوف تقديره ليحقّ الحقّ ويبطل الباطل فعل ذلك . والمقدّر متأخر ليفيد الاختصاص . أى ما فعله إلّا لها وهو إثبات الإسلام وإظهاره وإبطال الكفر ومحقه . وليس هذا بتكرار لأنّ الأوّل تمييز بين الإرادتين ، وهـذا بيان لمراده فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها .

(٢) (ولو كره) المشركون ذلك .

(٣) (إذ تستغيثون) بدل من (إذ يعدكم) . أو متعلق بقوله (ليحقّ الحقّ ويبطل الباطل) واستغاثتهم أنّهم لمـّا علموا أنّه لابدّ من القتال طفقوا يدعون الله يقولون أى ربّنا انصرنا على عدوّك ياغياث المستغيثين أغثنا . وهى طلب الغوث وهو التخليص من المكروه .

(٤) فأجاب .

(٥) وأصله بأنّى ممدّكم فحذف الجار وسلّط عليه استجاب فنصب محلّه .

(٦) (مردَفين) مدنىّ . غيره بكسر الدال . فالكسر على أنّهم أردفوا غيرهم والفتح على أنّه أردف كلّ ملك ملكا آخر . يقال ردِفه إذا تبعه ، وأردفته إيّاه إذا أتبعته .

(٧) أى الإمداد الذى دلّ عليه (ممدّكم) .

(٨) إلّا بشارة لكم بالنصر .

(٩) يعنى أنّكم استغثتم وتضرّعتم لقلّتكم فكان الإمداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكينا منكم وربطا على قلوبكم .

(١٠) أى ولا تحسبوا النصر من الملائكة فإنّ الناصر هو الله لكم وللملائكة . أو (وما النصر) من الملائكة وغيرهم من الأسباب (إلّا من عند الله) . والمنصور من نصره الله .

واختلف فى قتال الملائكة يوم بدر . فقيل نزل جبريل عليه السلام فى خمسمائة ملك على الميمنة وفيها أبو بكر رضى الله عنه ، وميكائيل فى خمسمائة على الميسرة وفيها علىّ رضى الله عنه ، فى صورة الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد أرخوا أذنابها بين أكتافهم فقاتلت حتى قال أبو جهل لابن مسعود : من أين كان يأتينا الضرب ولا نرى الشخص ؟ قال من قبل الملائكة . قال فهم غلبونا لا أنتم . وقيل لم يقاتلوا وإنمـا كانوا يكثّرون السـواد ويثبّتون المؤمنين وإلّا فملك واحد كاف فى إهلاك أهل الدنيا .

إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ(١) حَكِيمٌ(٢) ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ(٣) ٱلنُّعَاسَ(٤) أَمَنَةً(٥) مِّنْهُ(٦) وَيُنَزِّلُ(٧) عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً(٨) لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ(٩) وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ(١٠) وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ(١١) وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ(١٢) ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى(١٣) رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ(١٤) فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟(١٥) سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ(١٦)

(١) (عزيز) بنصر أوليائه .

(٢) (حكيم) بقهر أعدائه .

(٣) بدل ثان من (إذ يعدكم) . أومنصوب بالنصر، أو باضمار اذكر . (يُغشيكم) مدنىّ . والفاعل هو الله على القراءتين . (يغشاكم النعاسُ) مكّىّ وأبو عمرو .

(٤) النوم .

(٥) مفعول له . أى إذ تنعسون أمنة بمعنى أمنا أى لأمنكم . أو مصدر أى فأمنتم أمنة . فالنوم يزيح الرعب ويريح النفس .

(٦) صفة لها أى أمنة حاصلة لكم من الله .

(٧) بالتخفيف مكّىّ وبصرىّ . وبالتشديد غيرهم .

(٨) مطرا .

(٩) (ليطهّركم) بالماء من الحدث والجنابة .

(١٠) وسوسته إليهم وتخويفه إياهم من العطش . أوالجنابة من الاحتلام لأنّه من الشيطان . وقد وسوس إليهم أن لا نصرة مع الجنابة .

(١١) (وليربط على قلوبكم) بالصبر .

(١٢) (به) أى بالماء . إذ الأقدام كانت تسوخ فى الرمل . أو بالربط لأنّ القلب إذا تمكّن فيه الصبر يثبّت القدم فى مواطن القتال .

(١٣) بدل ثالث من (إذ يعدكم) أو منصوب بيثبّت .

(١٤) (إنّى معكم) بالنصر .

(١٥) (فثبّتوا الذين آمنوا) بالبشرى . كان الملك يسير أمام الصف فى صورة رجل ويقول : أبشروا فإنّ الله ناصركم .

(١٦) هو امتلاء القلب من الخوف . (الرعُب) شامىّ وعلىّ .

فَٱضْرِبُوا۟[(١)] فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ[(٢)] وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ[(٣)] ۝ ذَٰلِكَ[(٤)] بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ[(٥)] لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا[(٦)] فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ[(٧)] ۝ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا[(٨)]

---

(١) أمر للمؤمنين ، أو للملائكة . وفيه دليل على أنّهم قاتلوا .

(٢) أى أعالى الأعناق التى هى المذابح تطييرا للرءوس ، أو أراد الرءوس لأنّها فوق الأعناق يعنى ضرب الهام .

(٣) هى الأصابع يريد الأطراف . والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى لأنّ الضرب إمّا أن يقع على مقتل أو غير مقتل فأمرهم أن يجمعوا عليهم النوعين .

(٤) إشارة إلى ما أصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل . وهو مبتدأ خبره (بأنهم شاقّوا الله ورسوله) . أى ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقّتهم أى مخالفتهم . وهى مشتقّة من الشقّ لأنّ كلا المتعاديين فى شقّ خلاف شقّ صاحبه . وكذا المعاداة والمخاصمة لأنّ هذا فى عُدْوَة وخُصْم أى جانب وذاك فى عدوة وخصم . والكاف فى (ذلك) لخطاب الرسول أو لكلّ أحد . وفى (ذلكم) للكفرة على طريقة الالتفات . ومحلّه الرفع على (ذلكم) العقاب أو العقاب (ذلكم فذوقوه) .

(٥) الواو بمعنى مع . أى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذى لكم فى الآخرة . فوضع الظاهر موضع الضمير .

(٦) حال من (الذين كفروا) . أى إذا لقيتموهم للقتال وهم كثير وأنتم قليل فلا تفرّوا فضلا أن تدانوهم فى العدد أو تساووهم ، أو حال من المؤمنين أو من الفريقين أى إذا لقيتموهم متزاحفين هم وأنتم . والزحف الجيش الذى يرى لكثرته كأنّه يزحف أى يدبّ دبيبا من زحف الصبى إذا دبّ على استه قليلا قليلا . سمّى بالمصدر .

(٧) فلا تنصرفوا عنهم منهزمين .

(٨) مائلا .

لِّقِتَالٍ(١) أَوْ مُتَحَيِّزًا(٢) إِلَىٰ فِئَةٍ(٣) فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ(٤) وَمَا رَمَيْتَ(٥) إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ(٦) وَلِيُبْلِيَ(٧) ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا(٨) إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ(٩) عَلِيمٌ(١٠) ﴿١٧﴾

(١) هو الكرّ بعد الفرّ يخيّل عدوّه أنّه منهزم ثمّ يعطف عليه وهو من خدع الحرب .

(٢) منضمّا . ووزن متحيّز متفيعل لا متفعّل لأنّه من حاز يحوز فبناء متفعّل منه متحوّز .

(٣) إلى جماعة أخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها . وهما حالان من ضمير الفاعل في (يولّهم) .

(٤) لمّا كسروا أهل مكّة وقتلوا وأسروا وكان القاتل منهم يقول تفاخرا قتلت وأسرت قيل لهم (فلم تقتلوهم) . والفاء جواب لشرط محذوف تقديره إن افتخرتم بقتلهم فأنتم لم تقتلوهم (ولكنّ الله قتلهم) .

(٥) يا محمّد .

(٦) لمّا قال جبريل للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم خذ قبضة من تراب فارمهم بها فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك إلّا شغل بعينه فانهزموا ، قيل (وما رميت) . يعني أن الرمية التي رميتها أنت لم ترمها أنت على الحقيقة لأنّك لو رميتها لما بلغ أثرها إلّا ما يبلغه أثر رمي البشر ولكنّها كانت رمية الله حيث أثّرت ذلك الأثر العظيم . وفي الآية بيان أنّ فعل العبد مضاف إليه كسبا وإلى الله تعالى خلقا لا كما تقول الجبريّة والمعتزلة لأنّه أثبت الفعل من العبد بقوله (إذ رميت) ثمّ نفاه عنه وأثبته لله تعالى بقوله (ولكنّ الله رمى) . (ولكن الله قتلهم . ولكن الله رمى) بتخفيف (لكن) شاميّ وحمزة وعليّ .

(٧) وليعطيهم .

(٨) عطاء جميلا . والمعنى وللإحسان إلى المؤمنين فعل ما فعل وما فعل إلّا لذلك .

(٩) (سميع) لدعائهم .

(١٠) (عليم) بأحوالهم .

ذَٰلِكُمْ[1] وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ[2] ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ[3] وَإِن تَنتَهُوا۟[4] فَهُوَ[5] خَيْرٌ لَّكُمْ[6] وَإِن تَعُودُوا۟[7] نَعُدْ[8] وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ[9] شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ[10] وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ[11] ﴿١٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ[12]

---

(١) إشارة إلى البلاء الحسن . ومحلّه الرفع أى المراد ذلكم .

(٢) معطوف على (ذلكم) . أى المراد إبلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين. (مُوَهِّنٌ كَيْدَ) شامىّ وكوفىّ غير حفص . (مُوهِن كَيدِ) حفص . (مُوهِنٌ) غيرهم .

(٣) إن تستنصروا فقد جاءكم النصر عليكم . وهو خطاب لأهل مكّة لأنّهم حين أرادوا أن ينفروا تعلّقوا بأستار الكعبة وقالوا اللّهم إن كان محمّد على حقّ فانصره وإن كنّا على الحقّ فانصرنا . وقيل (إن تستفتحوا) خطاب للمؤمنين و (إن تنتهوا) للكافرين .

(٤) (وإن تنتهوا) عن عداوة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

(٥) أى الانتهاء .

(٦) وأسلم .

(٧) (وإن تعودوا) لمحاربته .

(٨) (نعد) لنصرته عليكم .

(٩) جمعكم .

(١٠) (ولو كثرت) عددا .

(١١) (أَنَّ) بالفتح مدنىّ وشامىّ وحفص. أى ولأنّ الله مع المؤمنين بالنصر كان ذلك . وبالكسر غيرهم . ويؤيده قراءة عبد الله (والله مع المؤمنين) .

(١٢) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنّ المعنى وأطيعوا رسول الله كقوله (والله ورسوله أحق أن يرضوه) ولأنّ طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد (من يطع الرسول فقد أطاع الله) فكان رجوع الضمير إلى أحدهما كرجوعه إليهما كقولك الإحسان والإجمال لا ينفع فى فلان . أو يرجع الضمير إلى الأمر بالطاعة أى ولا تولّوا عن هذا الأمر وأمثاله . وأصله ولا تتولّوا فحذف إحدى التاءين تخفيفا .

وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ[1] ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا[2] وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ[3] ﴿٢١﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ[4] ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ[5] خَيْرًا[6] لَّأَسْمَعَهُمْ[7] وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا[8] وَّهُم مُّعْرِضُونَ[9] ﴿٢٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ[10] لِمَا يُحْيِيكُمْ[11] وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ[12]

(١) أى وأنتم تسمعونه . أو (ولا تتولّوا) عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولا تخالفوه (وأنتم تسمعون) أى تصدّقون لأنكم مؤمنون لستم كالصمّ المكذّبين من الكفرة .

(٢) أى ادّعوا السماع وهم المنافقون وأهل الكتاب .

(٣) لأنهم ليسوا بمصدّقين فكأنّهم غير سامعين . والمعنى أنكم تصدّقون بالقرآن والنبوّة فإذا توليتم عن طاعة الرسول فى بعض الأمور من قسمة الغنائم وغيرها أشبه سماعكم سماع من لا يؤمن .

(٤) أى إنّ شرّ من يدبّ على وجه الأرض البهائم . وإنّ شرّ البهائم الذين هم صمّ عن الحقّ لا يعقلونه. جعلهم من جنس البهائم ثمّ جعلهم شرّها لأنّهم عاندوا بعد الفهم وكابروا بعد العقل.

(٥) فى هؤلاء الصمّ البكم .

(٦) صدقا ورغبة .

(٧) لجعلهم سامعين حتّى يسمعوا سماع المصدّقين .

(٨) (لتولّوا) عنه . أى ولو أسمعهم وصدّقوا لارتدّوا بعد ذلك ولم يستقيموا .

(٩) (وهم معرضون) عن الإيمان .

(١٠) وحّد الضمير أيضا كما وحّده فيما قبله لأنّ استجابة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كاستجابته . والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال ، وبالدعوة البعث والتحريض .

(١١) من علوم الديانات والشرائع لأن العلم حياة كما أنّ الجهل موت قال الشاعر :

لا تعجبنّ الجهول حلّته * فذاك ميّت وثوبه كفن

أو لمجاهدة الكفّار لأنّهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم. أو للشهادة لقوله تعالى (بل أحياء عند ربّهم).

(١٢) أى يميته فتفوته الفرصة التى هو واجدها وهى التمكّن من إخلاص القلب. فاغتنموا هذه الفرصة وأخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله . أو بينه وبين ما تمنّاه بقلبه من طول الحياة فيفسخ عزائمه .

وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ(١) ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ(٢) لَّا تُصِيبَنَّ(٣) ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ(٤) ﴿٢٥﴾ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ(٥) أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ(٦) تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ(٧) فَـَٔاوَىٰكُمۡ(٨) وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ(٩) وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ(١٠) لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ(١١) ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ(١٢) ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ(١٣)

---

(١) واعلموا أنكم إليه تحشرون فيثيبكم على حسب سلامة القلوب و إخلاص الطاعة .

(٢) عذابا .

(٣) هو جواب للأمر أى إنْ أصابتكم لا تصب الظالمين منكم خاصّة ولكنّها تعمّكم . وجاز أن تدخل النون المؤكدة فى جواب الأمر لأنّ فيه معنى النهى كما إذا قلت انزل عن الدابّة لا تطرحك وجاز لا تطرحنّك . (ومن) فى (منكم) للتبعيض .

(٤) (واعلموا أنّ الله شديد العقاب) إذا عاقب .

(٥) (إذ) مفعول به لا ظرف أى واذكروا وقت كونكم أقلّة أذلّة .

(٦) أرض مكة قبل الهجرة تستضعفكم قريش .

(٧) لأنّ الناس كانوا لهم أعداء مضادّين .

(٨) (فآواكم) إلى المدينة .

(٩) بمظاهرة الأنصار وبإمداد الملائكة يوم بدر .

(١٠) من الغنائم ولم تحلّ لأحد قبلكم .

(١١) (لعلّكم تشكرون) هذه النعم .

(١٢) بأن تعطّلوا فرائضه .

(١٣) بألّا تستنّوا به .

وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ[(١)] وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ[(٢)] ۝ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ[(٣)] وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ[(٤)] ۝ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا[(٥)] وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ[(٦)] وَيَغْفِرْ لَكُمْ[(٧)] وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ[(٨)] ۝ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ[(٩)]

---

(١) جزم عطف على (لا تخونوا) أى ولا تخونوا (أماناتكم) فيما بينكم بألّا تحفظوها . ومعنى الخون النقص كما أنّ معنى الإيفاء التمام . ومنه تخوّنه إذا انتقصه . ثمّ استعمل فى ضد الأمانة والوفاء لأنّك إذا خنت الرجل فى شىء فقد أدخلت عليه النقصان فيه .

(٢) (وأنتم تعلمون) تبعة ذلك و وباله . أو (وأنتم تعلمون) أنّكم تخونون. يعنى أنّ الخيانة توجد منكم عن تعمّد لا عن سهو . أو وأنتم علماء تعلمون حسن الحسن وقبح القبيح .

(٣) أى سبب الوقوع فى الفتنة وهى الإثم والعذاب ، أو محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده .

(٤) فعليكم أن تحرصوا على طلب ذلك وتزهدوا فى الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحبّ الولد .

(٥) نصرا لأنّه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر بإذلال حزبه والإسلام بإعزاز أهله ، أو بيانا وظهورا يشهر أمركم ويبثّ صيتكم وآثاركم فى أقطار الأرض — من قولهم سطع الفرقان أى طلع الفجر ، أو مخرجا من الشبهات وشرحا للصدور ، أو تفرقة بينكم وبين غيركم من أهل الأديان وفضلا ومزيّة فى الدنيا والآخرة .

(٦) أى الصغائر .

(٧) (ويغفر لكم) ذنوبكم أى الكبائر .

(٨) (والله ذو الفضل العظيم) على عباده .

(٩) لمّا فتح الله عليه ذكّره مكر قريش به حين كان بمكّة ليشكر نعمة الله فى نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم . والمعنى واذكر إذ يمكرون بك . وذلك أنّ قريشا لما أسلمت الأنصار فرقوا(*) أن يتفاقم أمره فاجتمعوا فى دار الندوة متشاورين فى أمره ، فدخل عليهم

(*) الفرق : الخوف وقد فرق منه من باب طرب — اهـ مختار .

لِيُثْبِتُوكَ(١) أَوْ يَقْتُلُوكَ(٢) أَوْ يُخْرِجُوكَ(٣) وَيَمْكُرُونَ(٤) وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ(٥) وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ(٦) ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا(٧) قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ(٨) ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ

إبليس فى صـورة شيخ وقال أنا شيخ من نجـد دخلت مكّة فسمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم ولن تعدموا منّى رأيا ونصحا . فقال أبو البَخْتَرِىّ رأيى أن تحبسوه فى بيت وتشدّوا وثاقه وتسدّوا بابه غير كوّة تلقون إليه طعامه وشرابه منهـا وتتربّصوا به ريب المنون . فقال إبليس: بئس الرأى. يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلّصه من أيديكم . فقال هشام بن عمرو: رأيى أن تحملوه على جمل وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضرّكم ما صنع واسترحتم . فقال إبليس: بئس الرأى . يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم . فقال أبوجهل لعنه الله: أنا أرى أن تأخذوا من كلّ بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرّق دمه فى القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلّهم. فإذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا.فقال اللعين: صدق هذا الفتى . هو أجودكم رأيا . فتفرّقوا على رأى أبى جهل مجتمعين على قتله . فأخبر جبريل عليه الســلام رسول الله صلّى الله عليه وسـلّم وأمره ألّا يبيت فى مضجعه وأذن له الله فى الهجرة فأمر عليّا فنام فى مضجعه وقال له : اتّشح ببردتى فإنّه لن يخلص إليك أمر تكرهه . وباتوا مترصّدين . فلما أصبحوا ثاروا إلى مضجعه فأبصروا عليّا فبهتوا وخيّب الله سعيهـم واقتفوا أثره فأبطل الله مكرهم .

(١) ليحبسوك ويوثقوك .
(٢) (أو يقتلوك) بسيوفهم .
(٣) (أو يخرجوك) من مكّة .
(٤) ويخفون المكايد له .
(٥) ويخفى الله ما أعدّ لهم حتى يأتيهم بغتة .
(٦) أى مكره أنفذ من مكر غيره وأبلغ تأثيرا .
(٧) أى القرآن .
(٨) كان عليه السلام يقرأ القرآن ويذكر أخبار القرون المـاضية فى قراءته . فقال النضر ابن الحرث : لو شئت لقلت مثل هذا . وهو الذى جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رستم وأحاديث العجم . فنزل . أو هذا صلف منهم ووقاحة لأنهم دعوا إلى أن يأتوا بسورة واحدة من مثل هذا القرآن فلم يأتوا به .

إِن كَانَ هَٰذَا (١) هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ (٢) فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ (٣) أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ (٤) ۝ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ (٥) وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ (٦) ۝ وَمَا لَهُمۡ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ (٧) وَهُمۡ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ (٨) إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ (٩)

(١) أى القرآن .

(٢) (هذا) اسم كان . و(هو) فصل . و(الحق) خبر كان . روى أنّ النضر لما قال إن هذا إلّا أساطير الأوّلين قال له النبيّ عليه السلام : ويلك هذا كلام الله . فرفع النضر رأسه إلى السماء وقال (إن كان هذا هو الحقّ من عندك) .

(٣) أى إن كان القرآن هو الحقّ فعاقبنا على إنكاره بالسجّيل، كما فعلت بأصحاب الفيل .

(٤) بنوع آخر من جنس العذاب الأليم . فقتل يوم بدر صبرا . وعن معاوية أنه قال لرجل من سبأ ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة . قال أجهل من قومى قومك . قالوا لرسول الله عليه السلام حين دعاهم إلى الحقّ : (إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء) ولم يقولوا إن كان هذا هو الحقّ فاهدنا له .

(٥) اللام لتأكيد النفى . والدلالة على أنّ تعذيبهم وأنت بين أظهرهم غير مستقيم لأنّك بعثت رحمة للعالمين وسنّته ألا يعذّب قوما عذاب استئصال ما دام نبيّهم بين أظهرهم . وفيه إشعار بأنّهم مرصدون بالعذاب إذا هاجر عنهم .

(٦) هو فى موضع الحال . ومعناه نفى الاستغفار عنهم . أى ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذّبهم . أو معناه وما كان الله معذّبهم وفيهم من يستغفر وهم المسلمون بين أظهرهم ممّن تخلّف عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم من المستضعفين .

(٧) أى وما كان الله ليعذّبهم وأنت فيهم وهو معذّبهم إذا فارقتهم (وما لهم ألا يعذّبهم الله وهم يصدّون عن المسجد الحرام) وكيف لا يعذّبون وحالهم أنّهم يصدّون عن المسجد الحرام كما صدّوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عام الحديبية . وإخراجهم رسول الله والمؤمنين من الصدّ .

(٨) كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصدّ من نشاء وندخل من نشاء . فقيل (وما كانوا أولياءه) وما استحقّوا مع إشراكهم وعداوتهم للدين أن يكونوا ولاة أمر الحرم .

(٩) من المسلمين . وقيل الضمير ان راجعان إلى الله .

وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١) ۝ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً (٢) وَتَصْدِيَةً (٣) فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ (٤) بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٥) ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ (٦) فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً (٧) ثُمَّ يُغْلَبُونَ (٨) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ (٩) إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ۝ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ (١٠)

---

(١) (لا يعلمون) ذلك . كأنّه استثنى من كان يعلم وهو يعاند . أو أراد بالأكثر الجميع كما يراد بالقلّة العدم .

(٢) صفيرا كصوت المُكّاء . وهو طائر مليح الصوت . وهو فعال من مكا يمكو إذا صفر .

(٣) وتصفيقا تفعلة من الصدى. وذلك أنّهم كانوا يطوفون بالبيت عراة وهم مشبّكون بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفّقون . وكانوا يفعلون نحو ذلك إذا قرأ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى صلاته يخلطون عليه .

(٤) عذاب القتل والأسر يوم بدر .

(٥) بسبب كفركم .

(٦) نزل فى المطعمين يوم بدر. وكانوا اثنى عشر رجلا وكلّهم من قريش. وكان يطعم كل واحد منهم كلّ يوم عشر جزر . أى كان غرضهم فى الإنفاق الصدّ عن اتّباع محمّد صلّى الله عليه وسلّم وهو سبيل الله .

(٧) ثمّ تكون عاقبة إنفاقها ندما وحسرة فكأنّ ذاتها تصير ندما وتنقلب حسرة .

(٨) (ثمّ يغلبون) آخر الأمر . وهو من دلائل النبوّة لأنه أخبر عنه قبل وقوعه فكان كما أخبر .

(٩) والكافرون منهم . لأنّ منهم من أسلم وحسن إسلامه .

(١٠) الفريق الخبيث من الكفّار .

مِنَ ٱلطَّيِّبِ (١) وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ (٢) بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ (٣) جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ (٤)
فِى جَهَنَّمَ أُو۟لَـٰٓئِكَ (٥) هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ (٦) ۝ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ (٧) إِن يَنتَهُوا۟ (٨) يُغْفَرْ لَهُم
مَّا قَدْ سَلَفَ (٩) وَإِن يَعُودُوا۟ (١٠) فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ (١١) ۝ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ
لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ (١٢) وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ (١٣) لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ (١٤) فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٥) ۝

---

(١) أى من الفريق الطيّب من المؤمنين . اللام متعلّقة بيحشرون (ليميّز) حمزة وعلىّ .

(٢) الفريق الخبيث .

(٣) فيجمعه .

(٤) أى الفريق الخبيث .

(٥) إشارة إلى الفريق الخبيث .

(٦) (الخاسرون) أنفسهم وأموالهم .

(٧) أى أبى سفيان وأصحابه .

(٨) (إن ينتهوا) عمّا هم عليه من عداوة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقتاله ، بالدخول فى الإسلام .

(٩) (ما قد سلف) لهم من العداوة .

(١٠) (وإن يعودوا) لقتاله .

(١١) (فقد مضت سنّة الأوّلين) بالإهلاك فى الدنيا والعذاب فى العقبى .
أو معناه أنّ الكفار إذا انتهوا عن الكفر وأسلموا غفر لهم ما قد سلف من الكفر والمعاصى.
وبه احتجّ أبو حنيفة رحمه الله فى أنّ المرتدّ إذا أسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة .

(١٢) إلى ألّا يوجد فيهم شرك قطّ .

(١٣) ويضمحلّ عنهم كلّ دين باطل ويبقى فيهم دين الإسلام .

(١٤) (فإن انتهوا) عن الكفر وأسلموا .

(١٥) يثيبهم على إسلامهم .

وَإِن تَوَلَّوْا[1] فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ[2] نِعْمَ الْمَوْلَىٰ[3] وَنِعْمَ النَّصِيرُ[4] ﴿٤٠﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم[5] مِّن شَيْءٍ[6] فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ[7] وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ[8] إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ[9] وَمَا أَنزَلْنَا[10]

(١) أعرضوا عن الإيمان ولم ينتهوا .

(٢) ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته .

(٣) لا يضيع من تولّاه .

(٤) لا يغلب من نصره . والمخصوص بالمدح محذوف .

(٥) (ما) بمعنى الذى . ولا يجوز أن يكتب إلّا مفصولا إذ لو كتب موصولا لوجب أن تكون ما كافّة . وغنمتم صلته . والعائد محذوف والتقدير الذى غنمتموه .

(٦) بيانه . قيل حتّى الخيط والمخيط .

(٧) الفاء إنّما دخلت لما فى الذى من معنى المجازاة . وأنّ وما عملت فيه فى موضع رفع على أنه خبر مبتدأ تقديره فالحكم أنّ لله خمسه .

(٨) فالخمس كان فى عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقسم على خمسة أسهم : سهم لرسول الله وسهم لذوى قرابته من بنى هاشم وبنى المطلب دون بنى عبد شمس وبنى نوفل — استحقّوه حينئذ بالنصرة لقصّة عثمان وجبير بن مطعم — وثلاثة أسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل. وأمّا بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوى القربى . وإنّما يعطون لفقرهم ولا يعطى أغنياؤهم . فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل . وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنّه كان على ستّة : لله والرسول سهمان وسهم لأقاربه حتّى قبض. فأجرى أبو بكر رضى الله عنه الخمس على ثلاثة وكذا عمر ومن بعده من الخلفاء رضى الله عنهم ومعنى لله وللرسول لرسول الله كقوله (والله ورسوله أحقّ أن يرضوه) .

(٩) إن كنتم تؤمنون بالله فاعملوا به وارضوا بهذه القسمة . فالإيمان يوجب الرضا بالحكم والعمل بالعلم .

(١٠) معطوف على (بالله) أى (إن كنتم آمنتم بالله) وبالمنزل .

عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ(١) يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ(٢) وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(٣) ﴿٤١﴾ إِذْ(٤) أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ(٥) ٱلدُّنْيَا(٦) وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ(٧) وَٱلرَّكْبُ(٨) أَسْفَلَ مِنكُمْ(٩) وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ(١٠) لَٱخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَٰدِ(١١) وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا(١٢)

---

(١) يوم بدر .

(٢) الفريقان من المسلمين والكافرين . والمراد ما أنزل عليه من الآيات والملائكة والفتح يومئذ . وهو بدل من يوم الفرقان .

(٣) يقدر على أن ينصر القليل على الكثير كما فعل بكم يوم بدر .

(٤) بدل من يوم الفرقان . أو التقدير اذكروا (إذ أنتم) .

(٥) شطّ الوادى . وبالكسر فيهما مكّىّ وأبو عمرو .

(٦) القربى إلى جهة المدينة تأنيث الأدنى .

(٧) البعدى عن المدينة تأنيث الأقصى . وكلتاهما فعلى من بنات الواو . والقياس قلب الواو ياء كالعليا تأنيث الأعلى . وأمّا القصوى فكالقود فى مجيئه على الأصل .

(٨) أى العير وهو جمع راكب فى المعنى .

(٩) (أسفل) نصب على الظرف أى مكانا أسفل من مكانكم . يعنى فى أسفل الوادى بثلاثة أميال وهو مرفوع المحلّ لأنه خبر المبتدأ .

(١٠) (ولو تواعدتم)أنتم وأهل مكّة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال .

(١١) لخالف بعضكم بعضا . فثبّطكم قلّتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد . وثبّطهم ما فى قلوبهم من تهيّب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والمسلمين . فلم يتّفق لكم من التلاقى ما وفّقه الله وسبّب له .

(١٢) (ولكن) جمع بينكم بلا ميعاد (ليقضى الله أمرا كان مفعولا) من إعزاز دينه وإعلاء كلمته . أو اللام تتعلّق بمحذوف أى ليقضى الله أمرا كان ينبغى أن يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه دبّر ذلك . قال الشيخ أبو منصور رحمه الله : القضاء يحتمل الحكم أى ليحكم ما قد علم أنه يكون كائنا . أو ليتم أمرا كان قد أراده — وما أراد كونه فهو مفعول لا محالة — وهو عزّ الإسلام وأهله وذلّ الكفر وحزبه .

لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ (١) عَنۢ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ (٢) عَلِيمٌ (٣) ۝ إِذْ (٤) يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ (٥) قَلِيلًا وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ (٦) وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ (٧) وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ (٨) إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (٩) ۝

(١) (ليهلك) يتعلّق بيقضى. (حيّ) نافع وأبو عمرو. فالإدغام لالتقاء المثلين والإظهار لأنّ حركة الثانى غير لازمة لأنّك تقول فى المستقبل يحيا والإدغام أكثر. استعير الهلاك والحياة للكفر والإسلام أى ليصدر كفر من كفر عن وضوح بيّنة لا عن مخالجة شبهة حتّى لا يبقى له على الله حجة، ويصدر إسلام من أسلم أيضا عن يقين وعلم بأنّه دين الحقّ الذى يجب الدخول فيه والتمسّك به. وذلك أنّ وقعة بدر من الآيات الواضحة التى من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطا لها. ولهذا ذكر فيها مراكز الفريقين وأنّ العير كانت أسفل منهم مع أنّهم قد علموا ذلك كلّه مشاهدة ليعلم الخلق أنّ النصر والغلبة لا تكون بالكثرة والأسباب. بل بالله تعالى وذلك أنّ العدوة القصوى التى أناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت أرضا لا بأس بها، ولا ماء بالعدوة الدنيا وهى خبار(*) تسوخ فيها الأرجل ولا يمشى فيها إلّا بتعب ومشقّة. وكان العير وراء ظهور العدوّ مع كثرة عددهم وعدّتهم وقلّة المسلمين وضعفهم. ثمّ كان ما كان.

(٢) (لسميع) لأقوالهم.

(٣) (عليم) بكفر من كفر وعقابه وبإيمان من آمن وثوابه.

(٤) (إذ) نصب بإضمار اذكر. أو هو متعلق بقوله (لسميع عليم). أى يعلم المصالح إذ يقلّلهم فى عينك.

(٥) أى فى رؤياك. وذلك أنّ الله تعالى أراه إيّاهم فى رؤياه قليلا فأخبر بذلك أصحابه فكان ذلك تشجيعا لهم على عدوّهم.

(٦) لجبنتم وهبتم الإقدام.

(٧) (ولتنازعتم فى) أمر القتال وتردّدتم بين الثبات والفرار.

(٨) عصم وأنعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف.

(٩) يعلم ما سيكون فيها من الجراءة والجبن والصبر والجزع.

(*) فى القاموس الخبار كسحاب مالان من الأرض واسترخى.

وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ(١) إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ(٢) فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا(٣) وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ(٤) لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ(٥) ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ(٦) فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟(٧) وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا(٨) لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(٩) ﴿٤٥﴾

---

(١) الضميران مفعولان أى وإذ يبصّركم إيّاهم .

(٢) وقت اللقاء .

(٣) هو نصب على الحال . وإنّما قلّلهم فى أعينهم تصديقا لرؤيا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وليعاينوا ما أخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدّوا ويثبتوا . قال ابن مسعود رضى الله عنه لقد قلّلوا فى أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبى أتراهم سبعين ؟ قال أراهم مائه . وكانوا ألفا .

(٤) حتّى قال قائل منهم إنّما هم أكلة جذور . قيل قد قلّلهم فى أعينهم قبل اللقاء ثمّ كثّرهم فيما بعده ليجترئوا عليهم قلّة مبالاة بهم ثمّ تفجأهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا . ويجوز أن يبصروا الكثير قليلا بأن يستر الله بعضهم بساتر أو يحدث فى عيونهم ما يستقلّون به الكثير كما أحدث فى أعين الحول ما يرون به الواحد اثنين . قيل لبعضهم إنّ الأحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك واحد فقال مالى لا أرى هذين الديكين أربعة ؟

(٥) فيحكم فيها بما يريد . (ترجع) شامىّ وحمزة وعلىّ .

(٦) إذا حاربتم جماعة من الكفّار . وترك وصفها لأنّ المؤمنين ما كانوا يلقون إلا الكفّار . واللقاء اسم غالب للقتال .

(٧) (فاثبتوا) لقتالهم ولا تفرّوا .

(٨) (واذكروا الله كثيرا) فى مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوّكم : اللّهم اخذلهم ، اللّهم اقطع دابرهم .

(٩) تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة . وفيه إشعار بأنّ على العبد ألّا يفتر عن ذكر ربّه أشغل ما يكون قلبا ، وأكثر ما يكون همّا ، وأن تكون نفسه مجتمعة لذلك وإن كانت متوزّعة عن غيره .

وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ[1] وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ[2] وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ[3] وَٱصْبِرُوٓاْ[4] إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ[5] ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ[6] وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ[7] وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ[8] ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ[9]

---

(١) (وأطيعوا الله ورسوله) فى الأمر بالجهاد والثبات مع العدوّ وغيرهما .

(٢) فتجبنوا . وهو منصوب بإضمار أن ويدلّ عليه (وتذهبَ ريحكم) .

(٣) أى دولتكم . يقـال هبّت رياح فلان إذا دالت له الدولة ونفذ أمره . شبّهت فى نفوذ أمرها وتمشيته بالريح وهبوبهـا . وقيل لم يكن نصر قطّ إلّا بريح يبعثهـا الله . وفى الحديث "نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور" .

(٤) (واصبروا) فى القتال مع العدوّ وغيره .

(٥) أى معينهم وحافظهم .

(٦) هم أهل مكّة حين نفروا لحماية العير فأتاهم رسول أبى سفيان أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فأبى أبو جهل وقال : حتّى نقدم بدرا ونشرب بهـا الخمور وننحر الجزور وتعزف علينا القيان ونطعم بها العرب . فذلك بطرهم . ورياؤهم الناس إطعامهم . فوافوها فسقوا كئوس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان . فنهاهم أن يكونوا مثلهم بطرين طربين مرائين بأعمالهم وأن يكونوا من أهل التقوى والكآبة والحزن من خشية الله مخلصين أعمالهم لله . والبطر أن تشغله كثرة النعمة عن شكرها .

(٧) دين الله .

(٨) عالم . وهو وعيد .

(٩) (و) اذكر (إذ زيّن لهم الشيطان أعمالهم) التى عملوها فى معاداة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ووسوس إليهم أنّهم لا يغلبون . و (غالب) مبنىّ نحو لا رجل . و (لكم) فى موضع رفع خبر (لا) تقديره لا غالب كائن لكم .

وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ(١) فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ(٢) نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ(٣) وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ(٤) إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ(٥) إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ(٦) وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ(٧) وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ(٨) غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ(٩) وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ(١٠) فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ(١١) حَكِيمٌ(١٢) ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ(١٣) إِذْ(١٤) يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا(١٥)

---

(١) أى مجير لكم . أوهمهم أنّ طاعة الشيطان ممّا يجيرهم .

(٢) فلمّا تلاقى الفريقان .

(٣) (نكص) الشيطان هاربا (على عقبيه) أى رجع القهقرى .

(٤) أى رجعت عمّا ضمنت لكم من الأمان .

(٥) روى أنّ إبليس تمثّل لهم فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم فى جند من الشياطين معه راية. فلمّا رأى الملائكة تنزل نكص. فقال له الحرث بن هشام: أتخذلنا فى هذه الحالة ؟ فقال (إنّى أرى ما لا ترون) أى الملائكة . وانهزموا . فلمّا بلغوا مكّة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال : والله ما شعرت بمسيركم حتّى بلغتنى هزيمتكم . فلما أسلموا علموا أنّه الشيطان .

(٦) أى عقوبته .

(٧) (إذ يقول المنافقون) بالمدينة .

(٨) هو من صفة المنافقين، أريد والذين هم على حرف ليسوا بثابتى الأقدام فى الإسلام.

(٩) يعنون أنّ المسلمين اغترّوا بدينهم فخرجوا وهم ثلثمائة و بضعة عشر إلى زهاء ألف .

(١٠) قال جوابا لهم (ومن يتوكّل على الله) يكل إليه أمره .

(١١) غالب يسلّط القليل الضعيف على الكثير القوىّ .

(١٢) لا يسوّى بين وليّه وعدوّه .

(١٣) ولو عاينت وشاهدت لأنّ لو تردّ المضارع إلى معنى الماضى كما تردّ إن الماضى إلى معنى الاستقبال .

(١٤) نصب على الظرف .

(١٥) (يتوفّى الذين كفروا) بقبض أرواحهم .

ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ(١) يَضْرِبُونَ(٢) وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ(٣) وَذُوقُوا۟(٤) عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ(٥) ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ(٦) وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ(٧) ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ(٨) ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ(٩) كَفَرُوا۟(١٠) بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ(١١) ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ(١٢) بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ

---

(١) فاعل .

(٢) حال منهم .

(٣) (يضربون وجوههم) إذا أقبلوا (وأدبارهم) ظهورهم وأستاههم إذا أدبروا . أو وجوههم عند الإقدام وأدبارهم عند الانهزام . وقيل : فى (يتوفى) ضمير الله تعالى (والملائكة) مرفوعة بالابتداء (ويضربون) خبر . والأول الوجه. لأنّ الكفّار لايستحقّون أن يكون الله متوفّيهم بلا واسطة . دليله قراءة ابن عامر (تتوفّى) بالتاء .

(٤) (و) يقولون لهم (ذوقوا) . معطوف على (يضربون) .

(٥) أى مقدّمة عذاب النار . أو (وذوقوا عذاب) الآخرة بشارة لهم به . أو يقال لهم يوم القيامة ذوقوا . وجواب (لو) محذوف أى لرأيت أمرا فظيعا .

(٦) أى كسبت وهو ردّ على الجبريّة . وهو من كلام الله تعالى أو من كلام الملائكة . و (ذلك) رفع بالابتداء و (بما قدّمت) خبره .

(٧) عطف عليه أى ذلك العذاب بسببين : بسبب كفركم ومعاصيكم وبأنّ الله ليس بظلّام . لأن تعذيب الكفّار من العدل . وقيل ظلّام للتكثير لأجل العبيد أو لنفى أنواع الظلم .

(٨) الكاف فى محلّ الرفع أى دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون . ودأبهم عادتهم وعملهم الذى دأبوا فيه أى داوموا عليه .

(٩) من قبل قريش أو من قبل آل فرعون .

(١٠) تفسير لدأب آل فرعون .

(١١) والمعنى جروا على عادتهم فى التكذيب ، فأجرى عليهم مثل ما فعل بهم فى التعذيب .

(١٢) (ذلك) العذاب أو الانتقام .

يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ (١) وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ (٢) عَلِيمٌ (٣) ۝ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ (٤) وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ (٥) وَكُلٌّ (٦) كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ (٧) ۝ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٨) ۝ ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتَّ مِنْهُمْ (٩) ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ (١٠)

(١) بسبب أنّ الله لم يصحّ فى حكمته أن يغيّر نعمته عند قوم حتّى يغيّروا ما بهم من الحال . نعم لم يكن لآل فرعون ومشركى مكّة حال مرضيّة فيغيّروها إلى حال مسخوطة لكن كما تغيّر الحال المرضيّة إلى المسخوطة تغيّر الحال المسخوطة إلى أسخط منها . وأولئك كانوا قبل بعثة الرسول إليهم كفرة عبدة أصنام . فلما بعث إليهم بالآيات فكذبوه وسعوا فى إراقة دمه غيّروا حالهم إلى أسوأ مما كانت ، فغيّر الله ما أنعم به عليهم من الإمهال وعاجلهم بالعذاب .

(٢) (سميع) لما يقول مكذّبو الرسل .

(٣) (عليم) بما يفعلون .

(٤) تكرير للتأكيد ، أو لأنّ فى الأولى الأخذ بالذنوب بلا بيان ذلك ، وهنا بيّن أنّ ذلك هو الإهلاك والاستئصال . وفى قوله (بآيات ربهم) زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحقّ .

(٥) (وأغرقنا آل فرعون) بماء البحر .

(٦) وكلّهم من غرقى القبط وقتلى قريش .

(٧) (كانوا ظالمين) أنفسهم بالكفر والمعاصى .

(٨) أى أصرّوا على الكفر فلا يتوقّع منهم الإيمان .

(٩) بدل من (الذين كفروا) ، أى الذين عاهدتهم من الذين كفروا . وجعلهم شرّ الدوابّ لأنّ شرّ الناس الكفّار وشرّ الكفّار المصرّون وشرّ المصرّين الناكثون للعهود .

(١٠) فى كلّ معاهدة .

وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ(١) ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ(٢) فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ(٣) لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ(٤) ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ(٥) خِيَانَةً(٦) فَانبِذْ إِلَيْهِمْ(٧) عَلَىٰ سَوَاءٍ(٨) إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ(٩) ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ(١٠) الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا(١١) إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ(١٢) ﴿٥٩﴾

(١) لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون بما فيه من العار والنار .

(٢) فإمّا تصادفنّهم وتظفرنّ بهم .

(٣) ففرّق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شرّ قتلة والنكاية فيهم، من وراءهم من الكفرة حتّى لا يجسر عليك بعدهم أحد اعتبارا بهم واتّعاظا بحالهم . وقال الزجّاج : افعل بهم ما تفرّق به جمعهم وتطرد به من عداهم .

(٤) لعلّ المشرّدين من ورائهم يتّعظون .

(٥) (من قوم) معاهدين .

(٦) نكثا بأمارات تلوح لك .

(٧) فاطرح إليهم العهد .

(٨) على استواء منك ومنهم فى العلم بنقض العهد . وهو حال من النابذ والمنبوذ إليهم أى حاصلين على استواء فى العلم .

(٩) الناقضين للعهود .

(١٠) باليـاء وفتح السين شامىّ وحمزة ويزيد وحفص . وبالتـاء وفتح السين أبو بكر . وبالتاء وكسر السين غيرهم . فمن قرأ بالتاء ف(الذين كفروا) مفعول أوّل والثانى (سبقوا) . ومن قرأ بالياء ف(الذين كفروا) فاعل و(سبقوا) مفعول تقديره أن سبقوا فحذف أن. وأن مخففة من الثقيلة أى أنّهم سبقوا فسدّ مسدّ المفعولين . أو يكون الفاعل مضمرا أى ولا يحسبن محمّد الكافرين سابقين . ومن ادّعى تفرّد حمزة بالقراءة ففيه نظر لما بيّنا من عدم تفرّده بها . وعن الزهرىّ أنّها نزلت فيمن أفلت من فلّ المشركين .

(١١) فاتوا وأفلتوا من أن يظفر بهم .

(١٢) (إنّهم) لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن إدراكهم . (أنّهم) شامىّ . أى لأنّهم . وكلّ واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل ، غير أنّ المكسورة على طريقة الاستئناف والمفتوحة تعليل صريح .

وَأَعِدُّوا(١) لَهُم(٢) مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ(٣) وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ(٤) تُرْهِبُونَ بِهِۦ(٥) عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ(٦) وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ(٧) لَا تَعْلَمُونَهُمُ(٨) ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ(٩) وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ(١٠) ﴿٦٠﴾ وَإِن جَنَحُوا(١١) لِلسَّلْمِ(١٢) فَٱجْنَحْ لَهَا(١٣) وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ(١٤) إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ(١٥) ٱلْعَلِيمُ(١٦) ﴿٦١﴾

---

(١) أيها المؤمنون .

(٢) لنا قضى العهد أو لجميع الكفار .

(٣) من كلّ ما يتقوّى به فى الحرب من عددها . وفى الحديث: "ألا إنّ القوة الرمى" قالها ثلاثا على المنبر . وقيل هى الحصون .

(٤) الرباط اسم للخيل التى تربط فى سبيل الله . أو هو جمع ربيط كفصيل وفصال . وخصّ الخيل من بين ما يتقوّى به كقوله (وجبريل وميكال) .

(٥) بما استطعتم .

(٦) أى أهل مكّة .

(٧) غيرهم . وهم اليهود أو المنافقون أو أهل فارس أو كفرة الجنّ . وفى الحديث "إنّ الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق" . وروى أنّ صهيل الخيل يرهب الجنّ .

(٨) لا تعرفونهم بأعيانهم .

(٩) يوفّر عليكم جزاؤه .

(١٠) (لا تظلمون) فى الجزاء بل تعطون على التمام .

(١١) مالوا . جنح له وإليه مال .

(١٢) للصلح . وبكسر السين أبو بكر . وهو مؤنّث تأنيث ضدّها وهو الحرب .

(١٣) فمل إليها .

(١٤) ولا تخف من إبطانهم المكر فى جنوحهم إلى السلم فإنّ الله كافيك وعاصمك من مكرهم.

(١٥) (السميع) . لأقوالك .

(١٦) (العليم) بأحوالك .

وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ(١) فَإِنَّ حَسْبَكَ(٢) ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ(٣) بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ(٤) ۝ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ(٥) لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ(٦) وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ(٧) إِنَّهُۥ عَزِيزٌ(٨) حَكِيمٌ(٩) ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ(١٠) ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ(١١) ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ(١٢)

---

(١) يمكروا ويغدروا .

(٢) كافيك الله .

(٣) قوّاك .

(٤) (وبالمؤمنين) جميعا أو بالأنصار .

(٥) قلوب الأوس والخزرج بعد تعاديهم مائة وعشرين سنة .

(٦) أى بلغت عداوتهم مبلغا لو أنفق منفق فى إصلاح ذات بينهم ما فى الأرض من الأموال لم يقدر عليه .

(٧) (ولكن الله ألّف بينهم) بفضله ورحمته وجمع بين كلمتهم بقدرته فأحدث بينهم التوادّ والتحابّ وأماط عنهم التباغض والتماقت .

(٨) (عزيز) يقهر من يخدعونك .

(٩) (حكيم) ينصر من يتبعونك .

(١٠) الواو بمعنى مع وما بعـده منصوب . والمعنى كفاك وكفى أتباعك من المؤمنين الله ناصرا . ويجوز أن يكون فى محلّ الرفع ، أى كفاك الله وكفاك أتباعك من المؤمنين . قيل أسلم مع النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ثلاثة وثلاثون رجلا وستّ نسوة ثمّ أسلم عمر . فنزلت .

(١١) التحريض المبالغة فى الحثّ على الأمر من الحرض وهو أن ينهكه المرض حتّى يشفى على الموت .

(١٢) هـذه عدة من الله وبشارة بأنّ الجماعة من المؤمنين إن صبروا غلبوا عشرة أمثالهم من الكفّار بعون الله وتأييده .

بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ (1) ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا (2) فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ (3) وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ (4) مَا كَانَ لِنَبِيٍّ (5) أَن يَكُونَ (6) لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ (7) فِى ٱلْأَرْضِ

(1) بسبب أنّ الكفّار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته ، بخلاف من يقاتل على بصيرة وهو يرجو النصر من الله.

(2) (ضَعفا) عاصم وحمزة . والمراد الضعف فى البدن .

(3) بالياء فيهما كوفىّ ، وافقه البصرىّ فى الأولى .

(4) قيل كان عليهم ألّا يفروا ويثبت الواحد للعشرة . ثمّ ثقل عليهم ذلك فنسخ وخفّف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين . وتكرير مقاومة الجماعة لأكثر منها مرّتين قبل التخفيف وبعده للدلالة على أنّ الحال مع القلّة والكثرة لاتتفاوت . إذ الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المـائتين والمـائة الألف . وكذلك بين مقاومة المـائة المـائتين والألف الألفين .

(5) ما صحّ له ولا استقام .

(6) (أن تكون) بصرىّ .

(7) الإثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من الثخانة وهى الغلظ والكثافة . يعنى حتّى يذل الكفر بإشاعة القتل فى أهله ويعزّ الإسلام بالاستيلاء والقهر ثمّ الأسر بعد ذلك . روى أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أتى بسبعين أسيرا فيهم العبّاس عمّه وعقيل فاستشار النبىّ عليه السلام أبا بكر فيهم فقال : قومك وأهلك استبقهم لعلّ الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوّى بها أصحابك . وقال عمر رضى الله عنه : كذّبوك وأخرجوك فقـدّمهم واضرب أعناقهم فإنّ هؤلاء أئمّة الكفر وإنّ الله أغناك عن الفـداء . مكّن عليّاً من عقيل ، وحمزة من العبّاس ، ومكّنّى من فلان — لنسيب له — فلنضرب أعناقهم. فقال عليه السلام : مثلك ياأبابكر كمثل إبراهيم حيث قال (ومن عصانى فإنّك غفور رحيم) . ومثلك يا عمر كمثل نوح حيث قال (ربّ لاتذر على الأرض من الكافرين ديّارا) . ثمّ قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لهم إن شئتم قتلتموهم وإن شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدّتهم . فقالوا بل نأخذ الفداء . فاستشهدوا بأحد . فلمّـا أخذوا الفداء نزلت الآية .

تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا(١) وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ(٢) وَٱللَّهُ عَزِيزٌ(٣) حَكِيمٌ(٤) ۝ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ(٥) لَمَسَّكُمْ(٦) فِيمَآ أَخَذْتُمْ(٧) عَذَابٌ عَظِيمٌ(٨) ۝ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ(٩) حَلَٰلًا(١٠)

(١) متاعها . يعنى الفداء سمّاه عرضا لقلّة بقائه وسرعة فنائه .

(٢) أى ما هو سبب الجنّة من إعزاز الإسلام بالإثخان فى القتل .

(٣) (عزيز) يقهر الأعداء .

(٤) (حكيم) فى عتاب الأولياء .

(٥) لولا حكم من الله (سبق) أن لا يعذّب أحدا على العمل بالاجتهاد . وكان هـذا اجتهادا منهم لأنّهم نظروا فى أنّ استبقاءهم ربّما كان سببا فى إسلامهم ، وأنّ فداءهم يتقوّى به على الجهاد . وخفى عليهم أنّ قتلهم أعزّ للإسلام ، وأهيب لمن وراءهم . أو ما كتب الله فى اللوح ألاّ يعذب أهل بدر . أو ألّا يؤاخذ قبل البيان والإعذار . وفيما ذكر من الاستشارة دلالة على جواز الاجتهاد فيكون حجّة على منكرى القياس . (كتاب) مبتدأ و(من الله) صفته ، أى لولا كتاب ثابت من الله . و(سبق) صفة أخرى له . وخبر المبتدأ محذوف ، أى لولا كتاب بهـذه الصفة فى الوجود . و(سبق) لا يجوز أن يكون خبرا لأنّ لولا لا يظهر خبرها أبدا .

(٦) لنالكم وأصابكم .

(٧) من فداء الأسرى .

(٨) روى أنّ عمر رضى الله عنه دخل على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فإذا هو وأبو بكر يبكيان فقال يا رسول الله: أخبرنى فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت. فقال: أبكى على أصحابك فى أخذهم الفداء. ولقد عرض علىّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة — لشجرة قريبة منه . وروى أنّه عليه السلام قال : «لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد ابن معاذ» لقوله كان الإثخان فى القتل أحبّ إلىّ .

(٩) روى أنّهم أمسكوا عن الغنائم ولم يمدّوا أيديهم إليها فنزلت . وقيل هو إباحة للفداء لأنّه من جملة الغنائم . والفاء للتسبيب والسبب محذوف ومعناه قد أحللت لكم الغنائم (فكلوا) .

(١٠) مطلقا عن العتاب والعقاب. من حلّ العقال . وهو نصب على الحال من المغنوم ، أو صفة للمصدر أى أكلا حلالا .

طَيِّبًا(١) وَاتَّقُوا اللَّهَ(٢) إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ(٣) رَحِيمٌ(٤) ﴿٦٩﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم(٥) مِّنَ الْأَسْرَىٰ(٦) إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا(٧) يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ(٨) وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ(٩) ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا(١٠) خِيَانَتَكَ(١١) فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ(١٢) فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ(١٣) وَاللَّهُ عَلِيمٌ(١٤) حَكِيمٌ(١٥) ﴿٧١﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا

(١) لذيذا هنيئا أو حلالا بالشرع طيّبا بالطبع .

(٢) فلا تقدموا على شيء لم يعهد إليكم فيه .

(٣) (غفور) لما فعلتم من قبل .

(٤) (رحيم) بإحلال ما غنمتم .

(٥) فى ملكتكم كأنّ أيديكم قابضة عليهم .

(٦) جمع أسير . (من الأُسارى) أبو عمرو ، جمع أسرى .

(٧) خلوص إيمان وصحّة نيّة .

(٨) من الفداء ، إمّا أن يخلفكم فى الدنيا أضعافه أو يثيبكم فى الآخرة .

(٩) روى أنّه قدم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مال البحرين ثمانون ألفا فتوضأ لصلاة الظهر وما صلّى حتّى فرّقه . وأمر العبّاس أن يأخذ منه فأخذ منه ما قدر على حمله . وكان يقول هذا خير ممّا أخذ منّى وأرجو المغفرة . وكان له عشرون عبدا وإنّ أدناهم ليتّجر فى عشرين ألفا . وكان يقول أنجز الله أحد الوعدين وأنا على ثقة من الآخر .

(١٠) أى الأسرى .

(١١) نكث ما بايعوك عليه من الإسلام بالردّة أو منع ما ضمنوه من الفداء .

(١٢) فى كفرهم به ونقض ما أخذ على كلّ عاقل من ميثاقه .

(١٣) فأمكنك منهم أى أظفرك بهم كما رأيتم يوم بدر فسيمكن منهم إن عادوا إلى الخيانة .

(١٤) (عليم) بالمآل .

(١٥) (حكيم) فيما امر فى الحال .

وَهَاجَرُواْ[(١)] وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ[(٢)] ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ[(٣)] أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ[(٤)] وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ[(٥)] مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم[(٦)] مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ[(٧)] وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ[(٨)] فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ[(٩)] إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ[(١٠)] وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ[(١١)] ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ

---

(١) (وهاجروا) من مكّة حبًّا لله ورسوله .

(٢) هم المهاجرون .

(٣) أى آووهم إلى ديارهم ونصروهم على أعدائهم . وهم الأنصار .

(٤) أى يتولّى بعضهم بعضا فى الميراث . وكان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة وبالنصرة دون ذوى القرابات حتى نسخ ذلك بقوله (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض) . وقيل أراد به النصرة والمعاونة .

(٥) (ولم يهاجروا) من مكّة .

(٦) من تولّيهم فى الميراث . (وِلايتهم) حمزة . وقيل هما واحد .

(٧) فكان لا يرث المؤمن الذى لم يهاجر ممّن آمن وهاجر . ولمّا أبقى للذين لم يهاجروا اسم الإيمان وكانت الهجرة فريضة فصاروا بتركها مرتكبين كبيرة ، دلّ على أنّ صاحب الكبيرة لا يخرج من الإيمان .

(٨) أى من أسلم ولم يهاجر .

(٩) أى إن وقع بينهم وبين الكفّار قتال وطلبوا معونة فواجب عليكم أن تنصروهم على الكافرين .

(١٠) فإنّه لا يجوز لكم نصرهم عليهم لأنّهم لايبتدئون بالقتال إذ الميثاق مانع من ذلك .

(١١) تحذير عن تعدّى حدّ الشرع .

كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ[1] إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ[2] ۝ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا[3] لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ[4] ۝ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ[5] وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْ[6] وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ[7] فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ[8] إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ[9] ۝

---

(١) ظاهره إثبات الموالاة بينهم . ومعناه نهي المسلمين عن موالاة الكفّار وموارثتهم وإيجاب مباعدتهم ومصارمتهم وإن كانوا أقارب وأن يتركوا يتوارثون بعضهم بعضا .

(٢) أى إلّا تفعلوا ما أمرتكم به من تواصل المسلمين وتولّى بعضهم بعضا حتّى فى التوارث تفضيلا لنسبة الإسلام على نسبة القرابة ولم تجعلوا قرابة الكفّار كلا قرابة ، (تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير) ، تحصل فتنة فى الأرض ومفسدة عظيمة لأنّ المسلمين ما لم يصيروا يدا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد زائدا .

(٣) لأنّهم صدقوا إيمانهم وحقّقوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الأهل والسكن والانسلاخ من المال والدنيا لأجل الدين والعقبى .

(٤) لا منّة فيه ولا تنغيص . ولا تكرار لأنّ هذه الآية واردة للثناء عليهم مع الوعد الكريم والأولى للأمر بالتواصل .

(٥) يريد اللاحقين بعد السابقين إلى الهجرة .

(٦) جعلهم منهم تفضيلا وترغيبا .

(٧) وأولو القرابات أولى بالتوارث . وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة .

(٨) فى حكمه وقسمته أو فى اللوح أو فى القرآن . وهو آية المواريث . وهو دليل لنا على توريث ذوى الأرحام .

(٩) فيقضى بين عباده بما شاء من أحكامه . قسم الناس أربعة أقسام : قسم آمنوا وهاجروا ، وقسم آمنوا ونصروا ، وقسم آمنوا ولم يهاجروا ، وقسم كفروا ولم يؤمنوا .

سورة التوبة مدنيّة

وهى مائة وتسع وعشرون آية كوفى ومائة وثلاثون غيره

بَرَآءَةٌ[1] مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ[2] ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾

لها أسماء : براءة ، التوبة ، المقشقشة ، المبعثرة ، المشرّدة ، المخزية ، الفاضحة ، المثيرة ، الحافرة ، المنكّلة ، المدمدمة ، لأن فيها التوبة على المؤمنين ، وهى تقشقش من النفاق أى تبرئ منه ، وتبعثر عن أسرار المنافقين وتبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكّلهم وتشرّدهم وتخزيهم وتدمدم عليهم. وفى ترك التسمية فى ابتدائها أقوال : فعن علىّ وابن عباس رضى الله عنهم أنّ بسم الله أمان وبراءة نزلت لرفع الأمان . وعن عثمان رضى الله عنه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان إذا نزلت عليه سورة أو آية قال اجعلوها فى الموضع الذى يذكر فيه كذا وكذا ، وتوفّى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولم يبيّن لنا أين نضعها . وكانت قصّتها تشبه قصّة الأنفال لأنّ فيها ذكر العهود وفى براءة نبذ العهود فلذلك قرنت بينهما . وكانتا تدعيان القرينتين . وتعدّان السابعة من الطوال وهى سبع . وقيل اختلف أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال بعضهم الأنفال وبراءة سورة واحدة نزلت فى القتال . وقال بعضهم هما سورتان . وتركت بسم الله لقول من قال هما سورة واحدة .

(١) خبر مبتدأ محذوف أى هذه (براءة) ، أو مبتدأ لتخصيصها بصفتها والخبر (إلى الذين عاهدتم) كقولك رجل من بنى تميم فى الدار .

(٢) (من الله) من لابتداء الغاية متعلّق بمحذوف وليس بصلة كما فى قولك برئت من الدين . أى هذه براءة واصلة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان إلى فلان . والمعنى أنّ الله ورسوله قد برئا من العهد الذى عاهدتم به المشركين وأنّه منبوذ إليهم .

فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ[1] وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ[2] وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ[3] ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ[4] مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ

(١) فسيروا فى الأرض كيف شئتم . والسيح السير على مهل . روى أنهم عاهدوا المشركين من أهل مكّة وغيرهم فنكثوا إلّا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة. فنبذ العهد إلى الناكثين ، وأمروا أن يسيحوا فى الأرض أربعة أشهر آمنين أين شاءوا لا يتعرّض لهم. وهى الأشهر الحرم فى قوله (فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين) . وذلك لصيانة الأشهر الحرم من القتل والقتال فيها . وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكّة سنة ثمان . وكان الأمير فيها عتاب بن أسيد . وأمّر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر على موسم سنة تسع ثم أتبعه عليّا راكب العضباء ليقرأها على أهل الموسم. فقيل له : لو بعث بها إلى أبى بكر . فقال "لا يؤدّى عنّى إلّا رجل منّى" فلما دنا علىّ سمع أبو بكر الرغاء فوقف. وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. فلما لحقه قال أمير أو مأمور؟ قال: مأمور. فلّما كان قبل التروية خطب أبو بكر وحثّهم على مناسكهم وقام علىّ يوم النحر عند جمرة العقبة فقال : يأيها الناس إنى رسول رسول الله إليكم. فقالوا بماذا؟ فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية. ثم قال أمرت بأربع : ألا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ولا يدخل الجنّة إلّا كل نفس مؤمنة ، وأن يتمّ إلى كلّ ذى عهد عهده . فقالوا عند ذلك : يا علىّ أبلغ ابن عمّك أنّا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وأنّه ليس بيننا وبينه عهد إلّا طعن بالرماح وضرب بالسيوف . والأشهر الأربعة شوّال وذو القعدة وذو الحجة والمحرّم أو عشرون من ذى الحجة والمحرّم وصفر وشهر ربيع الأوّل وعشر من ربيع الآخر. وكانت حرما لأنهم أومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم ، أو على التغليب لأنّ ذا الحجة والمحرّم منها . والجمهور على إباحة القتال فى الأشهر الحرم وأنّ ذلك قد نسخ .

(٢) لا تفوتونه وإن أمهلكم .

(٣) مذلّهم فى الدنيا بالقتل وفى الآخرة بالعذاب .

(٤) ارتفاعه كارتفاع (براءة) على الوجهين . ثمّ الجملة معطوفة على مثلها. والأذان بمعنى الإيذان وهو الإعلام كما أن الأمان والعطاء بمعنى الإيمان والإعطاء . والفرق بين الجملة الأولى والثانية أنّ الأولى إخبار بثبوت البراءة والثانية إخبار بوجوب الإعلام بما ثبت. وإنّما علّقت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وعلّق الأذان بالناس لأنّ البراءة مختصّة بالمعاهدين

يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ[1] أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ[2] مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ[3] فَإِن تُبْتُمْ[4] فَهُوَ[5] خَيْرٌ لَّكُمْ[6] وَإِن تَوَلَّيْتُمْ[7] فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ[8] وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ[9] ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ[10] ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا[11]

والناكثين منهم . وأمّا الأذان فعامّ لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث .

(١) يوم عرفة لأنّ الوقوف بعرفة معظم أفعال الحج، أو يوم النحر لأنّ فيه تمام الحجّ من الطواف والنحر والحلق والرمى . ووصف الحجّ بالأكبر لأنّ العمرة تسمّى الحجّ الأصغر .

(٢) أى بأن الله حذفت صلة الأذان تخفيفا .

(٣) عطف على المنوىّ فى (برىء) ، أو على الابتداء وحذف الخبر أى ورسوله برىء . وقرئ بالنصب عطفا على اسم إنّ ، والجرّ على الجوار أو على القسم كقولك لعمرك . وحكى أنّ أعرابيّا سمع رجلا يقرؤها فقال إن كان الله بريئا من رسوله فأنا منه برىء . فلبّبه الرجل إلى عمر فحكى الأعرابىّ قراءته فعندها أمر عمر بتعلّم العربية .

(٤) (فإن تبتم) من الكفر والغدر .

(٥) أى التوبة .

(٦) (خير لكم) من الإصرار على الكفر .

(٧) (وإن تولّيتم) عن التوبة أو ثبتّم على التولّى والإعراض عن الإسلام .

(٨) غير سابقين الله ولا فائتين أخذه وعقابه .

(٩) مكان بشارة المؤمنين بنعيم مقيم .

(١٠) استثناء من قوله (فسيحوا فى الأرض) والمعنى (براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين) فقولوا لهم سيحوا إلاّ الذين عاهدتم منهم . والاستثناء بمعنى الاستدراك . كأنّه قيل بعد أن أمروا فى الناكثين : لكن الذين لم ينكثوا فأتمّوا إليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفىّ كالغادر .

(١١) من شروط العهد أو وفوا بالعهد ولم ينقضوه . وقرئ (لم ينقضوكم) أى عهدكم وهو أليق . لكن المشهورة أبلغ لأنّه فى مقابلة التمام .

وَلَمْ يُظَٰهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا (١) فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ (٢) إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ (٣) إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ (٤) ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ (٥) ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ (٦) فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ (٧) حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ (٨) وَخُذُوهُمْ (٩) وَٱحْصُرُوهُمْ (١٠) وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ (١١) فَإِن تَابُواْ (١٢) وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ (١٣) إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ (١٤) رَّحِيمٌ (١٥) ﴿٥﴾

---

(١) ولم يعاونوا عليكم عدوّا .

(٢) فأدّوه إليهم تامّا كاملا .

(٣) إلى تمام مدّتهم .

(٤) يعنى أنّ قضيّة التقوى ألاّ يسوّى بين الفريقين فاتّقوا الله فى ذلك .

(٥) مضى أو خرج .

(٦) التى أبيح فيها للناكثين أن يسيحوا .

(٧) الذين نقضوكم وظاهروا عليكم .

(٨) من حلّ أو حرم .

(٩) وأسروهم . والأخذ الأسر .

(١٠) وقيّدوهم وامنعوهم من التصرّف فى البلاد .

(١١) كلّ ممرّ ومجتاز ترصدونهم به . وانتصابه على الظرف .

(١٢) (فإن تابوا) عن الكفر .

(١٣) فأطلقوا عنهم بعد الأسر والحصر أو فكفّوا عنهم ولا تتعرّضوا لهم .

(١٤) (غفور) بستر الكفر والغدر بالإسلام .

(١٥) (رحيم) برفع القتل قبل الأداء بالالتزام .

وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ[١] حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ[٢] ثُمَّ أَبْلِغْهُ[٣] مَأْمَنَهُۥ[٤] ذَٰلِكَ[٥] بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ[٦] ۝ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّمْ[٧] عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ فَمَا ٱسْتَقَـٰمُوا۟ لَكُمْ[٨] فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ[٩] إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ[١٠] ۝ كَيْفَ[١١] وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ

---

(١) (أحد) مرتفع بفعل شرط مضمر يفسّره الظاهر ، أى وإن استجارك أحد استجارك . والمعنى وإن جاءك أحد من المشركين بعد الأشهر لا عهد بينك وبينه واستأمنك ليسمع ما تدعو إليه من التوحيد والقرآن فأمّنه .

(٢) ويتدبّره ويطّلع على حقيقة الأمر .

(٣) (ثمّ أبلغه) بعد ذلك .

(٤) داره التى يأمن فيها إن لم يسلم ثمّ قاتله إن شئت . وفيه دليل على أنّ المستأمن لا يؤذى وليس له الإقامة فى دارنا ويمكّن من العود .

(٥) أى الأمر بالإجارة فى قوله (فأجره) .

(٦) بسبب أنّهم قوم جهلة لا يعلمون ما الإسلام وما حقيقة ما تدعو إليـه فلا بدّ من إعطائهم الأمان حتّى يسمعوا أو يفهموا الحق .

(٧) (كيف) استفهام فى معنى الاستنكار، أى مستنكر أن يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا فى ذلك ولا تحدّثوا به نفوسكم ولا تفكّروا فى قتلهم. ثمّ استدرك ذلك بقوله (إلّا الذين عاهدتم) أى ولكن الذين عاهدتم منهم (عند المسجد الحرام) ولم يظهر منهم نكث كبنى كنانة وبنى ضمرة فتربّصوا أمرهم ولا تقاتلوهم .

(٨) ولم يظهر منهم نكث أى فما أقاموا على وفاء العهد . وما شرطية أى فإن (استقاموا لكم فاستقيموا لهم) .

(٩) (فاستقيموا لهم) على الوفاء .

(١٠) يعنى أنّ التربّص بهم من أعمال المتّقين .

(١١) تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد . وحذف الفعل لكونه معلوما أى كيف يكون لهم عهد (و) حالهم أنّهم (إن يظهروا عليكم) أى يظفروا بكم بعد ما سبق لهم من تأكيد الأيمان والمواثيق (لا يرقبوا فيكم إلّا ولا ذمّة) .

لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا(١) وَلَا ذِمَّةً(٢) يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ(٣) وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ(٤) وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ(٥) ۝ ٱشْتَرَوْا۟(٦) بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ(٧) ثَمَنًا قَلِيلًا(٨) فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ(٩) إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ(١٠) ۝ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ(١١) إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ(١٢) ۝ فَإِن تَابُوا۟(١٣) وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ(١٤) فِى ٱلدِّينِ(١٥) وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ(١٦)

---

(١) لا يراعوا حلفا ولا قرابة .

(٢) عهدا .

(٣) بالوعد بالإيمان والوفاء بالعهد . وهو كلام مبتدأ فى وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن ، مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد .

(٤) (وتأبى قلوبهم) الإيمان والوفاء بالعهد .

(٥) ناقضون العهد أو متمردون فى الكفر ، لا مروءة تمنعهم عن الكذب ، ولا شمائل تردعهم عن النكث كما يوجد ذلك فى بعض الكفرة من التفادى عنهما .

(٦) استبدلوا .

(٧) بالقرآن .

(٨) عرضا يسيرا وهو اتّباع الأهواء والشهوات .

(٩) فعدلوا عنه وصرفوا غيرهم .

(١٠) أى بئس الصنيع صنيعهم .

(١١) لا تكرار لأنّ الأوّل على الخصوص حيث قال (فيكم) ، والثانى على العموم لأنه قال (فى مؤمن) .

(١٢) المجاوزون الغاية فى الظلم والشرارة .

(١٣) (فإن تابوا) عن الكفر .

(١٤) فهم إخوانكم على حذف المبتدأ

(١٥) لا فى النسب .

(١٦) ونبيّنها .

لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ(١) ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم(٢) مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ(٣) فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ(٤) إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ(٥) لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ(٦) ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ(٧) وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ(٨) وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ(٩)

---

(١) يفهمون فيتفكرون فيها . وهذا اعتراض كأنه قيل وإن من تأمل تفصيلها فهو العالم تحريضا على تأمل ما فصل من أحكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها .

(٢) أى نقضوا العهود المؤكدة بالأيمان .

(٣) وعابوه .

(٤) فقاتلوهم . فوضع (أئمة الكفر) موضع ضميرهم. وهم رؤساء الشرك أو زعماء قريش الذين همّوا بإخراج الرسول . وقالوا إذا طعن الذمى فى دين الإسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لأن العهد معقود معه على ألا يطعن . فإذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة . (أئمة) بهمزتين كوفى وشامى. الباقون بهمزة واحدة غير ممدودة بعدها ياء مكسورة . أصلها أأممة لأنها جمع إمام كعماد وأعمدة فنقلت حركة الميم الأولى إلى الهمزة الساكنة وأدغمت فى الميم الأخرى. فمن حقق الهمزتين أخرجهما على الأصل . ومن قلب الثانية ياء فلكسرتها .

(٥) وإنما أثبت لهم الأيمان فى قوله (وإن نكثوا أيمانهم) لأنه أراد أيمانهم التى أظهروها ثم قال (لا أيمان لهم) على الحقيقة . وهو دليل لنا على أن يمين الكافر لا تكون يمينا . ومعناه عند الشافعى رحمه الله أنهم لا يوفون بها لأن يمينهم يمين عنده حيث وصفها بالنكث . (لا إيمان) شامى أى لا إسلام .

(٦) متعلق بـ(فقاتلوا أئمة الكفر) وما بينهما اعتراض. أى ليكن غرضكم فى مقاتلتهم انتهاءهم عما هم عليه بعد ما وجد منهم من العظائم . وهذا من غاية كرمه على المسىء . ثم حرض على القتال فقال (ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم) .

(٧) (نكثوا أيمانهم) التى حلفوها فى المعاهدة .

(٨) (وهموا بإخراج الرسول) من مكة .

(٩) (وهم بدءوكم) بالقتال والبادئ أظلم. فما يمنعكم من أن تقاتلوهم. وبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها . ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها من نكث العهد وإخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب .

أَتَخْشَوْنَهُمْ (١) فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ (٢) إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٣) ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ (٤) وَيُخْزِهِمْ (٥) وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ (٦) وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ (٧) ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ (٨) وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ (٩) وَٱللَّهُ عَلِيمٌ (١٠) حَكِيمٌ (١١) ﴿١٥﴾

(١) توبيخ على الخشية منهم .

(٢) بأن تخشوه فقاتلوا أعداءه .

(٣) (إن كنتم مؤمنين) فاخشوه أى أنّ قضيّة الإيمان الكامل ألّا يخشى المؤمن إلّا ربّه ولا يبالى بمن سواه .

ولمّا وبخهم الله على ترك القتال جرّد لهم الأمر به بقوله (قاتلوهم)، ووعدهم النصر ليثبّت قلوبهم ويصحّح نيّاتهم بقوله (يعذّبهم الله) الخ .

(٤) (يعذّبهم الله بأيديكم) قتلا .

(٥) (ويخزهم) أسرا .

(٦) يغلّبكم عليهم .

(٧) طائفة منهم . وهم خزاعة عيبة (*) رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

(٨) لما لقوا منهم من المكروه . وقد حصّل الله هذه المواعيد كلّها فكان دليلا على صحّة نبوّته .

(٩) ابتداء كلام وإخبار بأنّ بعض أهل مكّة يتوب عن كفره . وكان ذلك أيضا . فقد أسلم ناس منهم كأبى سفيان وعكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو . وهى تردّ على المعتزلة قولهم إنّ الله تعالى شاء أن يتوب على جميع الكفرة لكنهم لا يتوبون باختيارهم .

(١٠) يعلم ما سيكون كما يعلم ماقد كان .

(١١) (حكيم) فى قبوله التوبة .

(*) عيبة الرجل موضع سرّه كما يؤخذ من القاموس .

أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ(١) وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً(٢) وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ(٣) ۝ مَا كَانَ(٤) لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ(٥) شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ(٦) أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ(٧) ۝ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ(٨)

(١) (أم) منقطعة والهمزة فيها للتوبيخ على وجود الحسبان، أى لا تتركون على ما أنتم عليه حتّى يتبيّن المخلص منكم وهم الذين جاهدوا فى سبيل الله لوجه الله . ولمّا معناها التوقّع . وقد دلّت على أنّ تبيّن ذلك متوقّع كائن وأنّ الذين لم يخلصوا دينهم لله يميّز بينهم و بين المخلصين.

(٢) أى بطانة من الذين يضادّون رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والمؤمنين. (ولم يتّخذوا) معطوف على (جاهدوا) داخل فى حيّز الصـلة . كأنّه قيل : ولمّـا يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتّخذين وليجة من دون الله . والمراد بنفى العلم نفى المعلوم كقولك : ما علم الله منّى ما قيل فىّ . تريد ما وجد ذلك منّى . والمعنى أحسبتم أن تتركوا بلا مجاهدة ولا براءة من المشركين .

(٣) من خير أو شرّ فيجازيكم عليه .

(٤) ما صحّ لهم وما استقام .

(٥) (مسجد الله) مكّىّ و بصرىّ . يعنى المسجد الحرام . و إنّما جمع فى القراءة بالجمع لأنّه قبلة المساجد و إمامها فعامره كعامر جميع المساجد ، ولأنّ كل بقعة منه مسجد . أو أريد جنس المساجد . و إذا لم يصلحوا لأن يعمروا جنسها دخل تحت ذلك ألّا يعمروا المسجد الحرام الذى هو صـدر الجنس . وهو آكد إذ طريقه طريق الكناية كما تقول فلان لا يقرأ كتب الله . فإنه أنفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك .

(٦) (شاهدين على أنفسهم بالكفر) باعترافهم بعبادة الأصنام . وهو حال من الواو فى (يعمروا) . والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متضادّين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله و بعبادته .

(٧) دائمون .

(٨) عمارتها رمّ ما استرمّ منها وقمّها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وصيانتها ممّـا لم تبن له المساجد من أحاديث الدنيا لأنها بنيت للعبادة والذكر . ومن الذكر درس العلم .

مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ (١) وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ (٢) فَعَسَىٰٓ أُوْلَـٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ (٣) ۝ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَـٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ (٤) ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ (٥)

---

(١) ولم يذكر الإيمان بالرسول عليه السلام لما علم أن الإيمان بالله قرينته الإيمان بالرسول لاقترانهما فى الأذان والإقامة وكلمة الشهادة وغيرها . أو دلّ عليه بقوله (وأقام الصلاة وآتى الزكاة) .

(٢) فيه تنبيه على الإخلاص . والمراد الخشية فى أبواب الدين بألّا يختار على رضا الله رضا غيره لتوقّع مخوف . إذ المؤمن قد يخشى المحاذير ولا يتمالك ألّا يخشاها . وقيل كانوا يخشون الأصنام ويرجونها فأريد نفى تلك الخشية عنهم .

(٣) تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم لأطماعهم فى الانتفاع بأعمالهم لأنّ عسى كلمة إطماع . والمعنى إنّما تستقيم عمارة هؤلاء وتكون معتدًّا بها عند الله دون من سواهم .

(٤) السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية . ولا بدّ من مضاف محذوف تقديره أجعلتم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله . وقيل المصدر بمعنى الفاعل . يصدقه قراءة ابن الزبير (سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام) . والمعنى إنكار أن يشبّه المشركون بالمؤمنين وأعمالهم المحبطة بأعمالهم المثبتة ، وأن يسوّى بينهم ، وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر لأنهم وضعوا المدح والفخر فى غير موضعهما . نزلت جوابا لقول العبّاس ، حين أسر فطفق علىّ رضى الله عنه يوبّخه بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلّم وقطيعة الرحم : تذكر مساوينا وتدع محاسننا ؟ فقيل : أولكم محاسن ؟ فقال : نعمر المسجد ونسقى الحاجّ ونفكّ العانى . وقيل افتخر العبّاس بالسقاية ، وشيبة بالعمارة ، وعلىّ رضى الله عنه بالإسلام والجهاد . فصدّق الله تعالى عليا .

(٥) من أهل السقاية والعمارة .

وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ (1) ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ (2) رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ (3) لَّهُمْ فِيهَا (4) نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (5) ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ (6) ﴿٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ (7) عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ (8) فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ (9) وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا (10) وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا (11) وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ (12)

(1) لا أنتم المختصون بالفوز دونهم .

(2) (يَبْشُرهم) حمزة .

(3) تنكير المبشّر به لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرّف .

(4) فى الجنّات .

(5) دائم .

(6) لا ينقطع .

(7) أى آثروه واختاروه .

(8) أى ومن يتولّ الكافرين .

(9) أقاربكم . (وعشيراتكم) أبو بكر .

(10) اكتسبتموها .

(11) فوات وقت نفاقها .

(12) وهو عذاب عاجل ، أو عقاب آجل ، أو فتح مكّة .

وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝ لَقَدْ(١) نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ(٢) كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ(٣) حُنَيْنٍ(٤) إِذْ(٥) أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ(٦) عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا(٧) رَحُبَتْ

(١) لمّا أمر الله النبىّ عليه السلام بالهجرة جعل الرجل يقول لابنه ولأخيه ولقرابته : إنّا قد أمرنا بالهجرة . فمنهم من يسرع إلى ذلك ويعجبه ، ومنهم من تتعلّق به زوجته أو ولده فيقول : تدعنا بلا شىء فنضيع . فيجلس معهم ويدع الهجرة . فنزل . والآية تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين ، واضطراب حبل اليقين . إذ لا تجد عند أورع الناس ما يستحبّ له دينه على الآباء والأبناء والأموال والحظوظ .

(٢) كوقعة بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكّة . وقيل إنّ المواطن التى نصر الله فيها النبىّ عليه السلام والمؤمنين ثمانون موطنا . ومواطن الحرب مقاماتها ومواقفها.

(٣) أى (و) اذكروا (يوم حنين) .

(٤) واد بين مكّة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر ألفا وبين هوازن وثقيف وهم أربعة آلاف . فلمّا التقوا قال رجل من المسلمين : لن نغلب اليوم من قلّة . فساءت رسول الله عليه الصلاة والسلام .

(٥) بدل من (يوم)

(٦) فأدركت المسلمين كلمة الإعجاب بالكثرة وزلّ عنهم أنّ الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ فلّهم مكّة وبقى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وحده وهو ثابت فى مركزه ليس معه إلّا عمّه العبّاس آخذا بلجام دابّته وأبو سفيان بن الحرث ابن عمه آخذا بركابه . فقال للعبّاس : صح بالناس . وكان صيّتا فنادى : يا أصحاب الشجرة فاجتمعوا وهم يقولون لبّيك لبّيك . ونزلت الملائكة عليهم الثياب البيض على خيول بلق . فأخذ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كفّا من تراب فرماهم به . ثمّ قال انهزموا وربّ الكعبة. فانهزموا . وكان من دعائه عليه السلام يومئذ : اللّهم لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان . وهذا دعاء موسى عليه السلام يوم انفلاق البحر .

(٧) ما مصدرية . والباء بمعنى مع أى مع رُحْبها . وحقيقته ملتبسة برحبها، على أنّ الجارّ والمجرور فى موضع الحال كقولك : دخلت عليه بثياب السفر أى ملتبسا بها . والمعنى لم تجدوا موضعا لفراركم عن أعدائكم فكأنّها ضاقت عليكم .

ثُمَّ وَلَّيْتُم(١) مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ(٢) عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا(٣) وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟(٤) وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ(٥) وَٱللَّهُ غَفُورٌ(٦) رَّحِيمٌ(٧) ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ(٨) فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ(٩) بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا(١٠) وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً(١١) فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ(١٢)

(١) ثمّ انهزمتم .

(٢) رحمته التى سكنوا بها وأمنوا .

(٣) يعنى الملائكة وكانوا ثمـانية آلاف أو خمسة آلاف أو ستّة عشر ألفا .

(٤) (وعذّب الذين كفروا) بالقتل والأسر وسبى النساء والذرارى .

(٥) وهم الذين أسلموا منهم .

(٦) (غفور) بستر كفر العدوّ بالإسلام .

(٧) (رحيم) بنصر الولىّ بعد الانهزام .

(٨) أى ذوو نجس . وهو مصدر يقـال نَجِس نجسا وقذر قذرا . لأنّ معهم الشرك الذى هو بمنزلة النجس ، ولأنّهم لا يتطهّرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهى ملابسة لهم ، أو جعلوا كأنّهم النجاسة بعينها مبالغة فى وصفهم بها .

(٩) فلا يحجّوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون فى الجاهليّة .

(١٠) وهو عام تسع من الهجرة حين أمّر أبو بكر رضى الله عنه على الموسم . ويكون المراد من نهى القربان النهى عن الحجّ والعمرة . وهو مذهبنا . ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عندنا . وعنـد الشافعى رحمه الله يمنعون عن المسجد الحرام خاصة . وعند مالك يمنعون منه ومن غيره . وقيل نهى المشركين أن يقربوه راجع الى نهى المسلمين عن تمكينهم منه .

(١١) أى فقرا بسبب منع المشركين عن الحجّ وما كان لكم فى قدومهم عليكم من الأرفاق والمكاسب .

(١٢) من الغنائم أو المطر والنبات أو من متاجر حجيج الإسلام .

إِن شَآءَ[1] إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ[2] ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ[3] وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ[4] وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ[5] وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ[6] مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ[7] حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ[8] عَن يَدٍ[9] وَهُمْ صَٰغِرُونَ[10] ﴿٢٩﴾

---

(١) هو تعليم لتعليق الأمور بمشيئة الله تعالى لتنقطع الآمال إليه .

(٢) (عليم) بأحوالكم ، (حكيم) فى تحقيق آمالكم . أو (عليم) بمصالح العباد ، (حكيم) فيما حكم وأراد .

(٣) نزل فى أهل الكتاب لأنّ اليهود مثنيّة والنصارى مثلّثة .

(٤) لأنّهم فيه على خلاف ما يجب حيث يزعمون أن لا أكل فى الجنّة ولا شرب .

(٥) لأنّهم لا يحرّمون ما حرّم فى الكتاب والسنّة ، أو لا يعملون بما فى التوراة والإنجيل .

(٦) ولا يعتقدون دين الإسلام الذى هو الحقّ . يقال فلان يدين بكذا إذا اتّخذه دينه ومعتقده .

(٧) بيـان للذين قبله . وأمّا المجوس فملحقون بأهل الكتاب فى قبول الجزية . وكذا الترك والهنود وغيرهما بخلاف مشركى العرب لمـا روى الزهرىّ أنّ النبىّ عليه السلام صالح عبدة الأوثان على الجزية إلّا من كان من العرب .

(٨) إلى أن يقبلوها . وسمّيت جزية لأنّها ممّـا يجب على أهلها أن يجزوه أى يقضوه ، أو هى جزاء على الكفر على التحميل فى تذليل .

(٩) أى عن يد مواتية غير ممتنعة . ولذا قالوا أعطى بيـده إذا انقاد . وقالوا نزع يده عن الطـاعة . أو حتى يعطوها عن يد إلى يد نقـدا غير نسيئة لا مبعوثا على يد أحد ولكن عن يد المعطى إلى يد الآخذ .

(١٠) أى تؤخذ منهم على الصغار والذّل . وهو أن يأتى بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلّمها وهو قائم والمتسلّم جالس ، وأن يتلتل تلتلة ويؤخذ بتلبيبه ويقال له أدّ الجزية يا ذمىّ وإن كان يؤدّيها ، ويزخّ فى قفاه . وتسقط بالإسلام .

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ(١) عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ(٢) وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ(٣) يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ(٤) قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ(٥) أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ(٦) ۝ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ(٧) وَرُهْبَـٰنَهُمْ(٨) أَرْبَابًا(٩) مِّن دُونِ ٱللَّهِ(١٠)

---

(١) كلّهم أو بعضهم .

(٢) مبتدأ وخبر كقوله (المسيح ابن الله) . وعزير اسم أعجمى . ولعجمته وتعريفه امتنع صرفه . ومن نوّن — وهم عاصم وعلىّ — فقد جعله عربيًّا .

(٣) أى قول لا يعضده برهان ، ولا يستند إلى بيان . فما هو إلّا لفظ يفوهون به فارغ عن معنى تحته كالألفاظ المهملة .

(٤) لا بدّ فيه من حذف مضاف تقديره يضاهى قولهم قولهم . ثم حذف المضاف وأقيم الضمير المضاف إليه مقامه فانقلب مرفوعا . يعنى أن الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلّم من اليهود والنصارى يضاهى قولهم قول قدمائهم . يعنى أنّه كفر قديم فيهم غير مستحدث . أو الضمير للنصارى أى يضاهى قولهم (المسيح ابن الله) قول اليهود (عزير ابن الله) لأنهم أقدم منهم . (يضاهئون) عاصم . وأصل المضاهاة المشابهة . والأكثر ترك الهمز . واشتقاقه من قولهم امرأة ضهياء وهى التى أشبهت الرجال بأنّها لا تحيض . كذا قاله الزجّاج .

(٥) أى هم أحقّاء بأن يقال لهم هذا .

(٦) كيف يصرفون عن الحقّ بعد قيام البرهان .

(٧) أى أهل الكتاب .

(٨) علماءهم .

(٩) نسّاكهم .

(١٠) آلهة . حيث أطاعوهم فى تحليل ما حرّم الله وتحريم ما أحلّ الله كما يطاع الأرباب فى أوامرهم ونواهيهم .

وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ[1] وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا[2] لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ[3] ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ[4] ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ[5] بِٱلْهُدَىٰ[6] وَدِينِ ٱلْحَقِّ[7] لِيُظْهِرَهُۥ[8] عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ[9] وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ[10] أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ[11] وَيَصُدُّونَ[12] عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ[13]

(١) عطف على (أحبارهم) . أى اتّخذوه ربّا حيث جعلوه ابن الله .

(٢) يجوز الوقف عليه لأن ما بعده يصلح ابتداء ويصلح وصفا لـ (واحدا) .

(٣) تنزيه له عن الإشراك .

(٤) مثّل حالهم فى طلبهم أن يبطلوا نبوّة محمد صلّى الله عليه وسلّم بالتكذيب، بحال من يريد أن ينفخ فى نور عظيم منبثّ فى الآفاق ، يريد الله أن يزيده ويبلّغه الغاية القصوى من الإشراق، ليطفئه بنفخه. أجرى (ويأبىالله) مجرى لايريد الله. ولذا وقع فى مقابلة (يريدون). وإلّا لا يقال كرهت أو أبغضت إلا زيدا .

(٥) محمّدا عليه السلام .

(٦) بالقرآن .

(٧) الإسلام .

(٨) ليعليه .

(٩) على أهل الأديان كلّهم . أو ليظهر دين الحقّ على كلّ دين .

(١٠) استعار الأكل للأخذ .

(١١) أى بالرشا فى الأحكام .

(١٢) (يصدّون) سفلتهم .

(١٣) دينه .

وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ(١) وَلَا يُنفِقُونَهَا(٢) فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا(٣) فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ(٤) هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ(٥) فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ(٦) ﴿٣٥﴾

(١) يجوز أن يكون إشارة إلى الكثير من الأحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين ذميمتين فيهم أخذ الرشا وكنز الأموال، والضنّ بها عن الإنفاق فى سبيل الخير. ويجوز أن يراد المسلمون الكانزون غير المنفقين. ويقرن بينهم وبين المرتشين من أهل الكتاب تغليظا. وعن النبي صلى الله عليه وسلم "ما أدّى زكاته فليس بكنز وإن كان باطنا. وما بلغ أن يزكّى فلم يزكّ فهو كنز وإن كان ظاهرا". ولقد كان كثير من الصحابة رضى الله عنهم كعبد الرحمن ابن عوف وطلحة يقتنون الأموال ويتصرّفون فيها. وما عابهم أحد ممن أعرض عن القنية لأن الإعراض اختيار للأفضل والاقتناء مباح لا يذمّ صاحبه.

(٢) الضمير راجع إلى المعنى لأنّ كلّ واحد منهما دنانير ودراهم فهو كقوله (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا). أو أريد الكنوز والأموال. أو معناه ولا ينفقونها والذهب كما أنّ معنى قوله * فإنّى وقيّار بها لغريب * وقيّار كذلك. وخصّا بالذكر من بين سائر الأموال لأنهما قانون التموّل وأثمان الأشياء. وذكر كنزهما دليل على ما سواهما.

(٣) معناه أنّ النار تحمى عليها أى توقد. وإنّما ذكّر الفعل لأنّه مسند إلى الجارّ والمجرور أصله يوم تحمى النار عليها فلما حذفت النار قيل (يحمى) لانتقال الإسناد عن النار إلى (عليها) كما تقول رفعت القصّة إلى الأمير فإن لم تذكر القصّة قلت رفع إلى الأمير.

(٤) وخصّت هذه الأعضاء لأنّهم كانوا إذا أبصروا الفقير عبسوا، وإذا ضمّهم وإيّاه مجلس ازورّوا عنه وتولّوا بأركانهم وولّوه ظهورهم. أو معناه يكوون على الجهات الأربع: مقاديمهم ومآخيرهم وجنوبهم.

(٥) يقال لهم هذا ما كنزتموه لتنتفع به نفوسكم وما علمتم أنكم كنزتموه لتستضرّ به أنفسكم وهو توبيخ.

(٦) أى وبال المال الذى كنتم تكنزونه، أو وبال كونكم كانزين.

إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا(١) فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ(٢) يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ(٣) ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ(٤) فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ(٥) وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً(٦) كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً(٧) وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ(٨) ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ(٩) زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ(١٠) يُضَلُّ(١١) بِهِ(١٢) ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

(١) من غير زيادة . والمراد بيان أنّ أحكام الشرع تبتنى على الشهور القمرية المحسوبة بالأهلة دون الشمسيّة .

(٢) فيما أثبته وأوجبه من حكمه أو فى اللوح .

(٣) ثلاثة سرد : ذو القعدة للقعود عن القتال ، وذو الحجة للحجّ ، والمحرّم لتحريم القتال فيه . وواحد فرد وهو رجب لترجيب العرب إياه أى لتعظيمه .

(٤) (ذلك الدين القيّم) أى الدين المستقيم ، لا ما يفعله أهل الجاهلية . يعنى أن تحريم الأربعة الأشهر هو الدين المستقيم ودين إبراهيم وإسماعيل . وكانت العرب تمسّكت به فكانوا يعظّمونها ويحرّمون القتال فيها ، حتّى أحدثت النسىء فغيّروا .

(٥) (فلا تظلموا فيهنّ) فى الحرُم أو فى الاثنى عشر (أنفسكم) بارتكاب المعاصى .

(٦) حال من الفاعل أو المفعول .

(٧) جميعا .

(٨) أى ناصر لهم . حثّهم على التقوى بضمان النصرة لأهلها .

(٩) بالهمزة مصدر نسأه إذا أخّره ، وهو تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر . وذلك أنّهم كانوا أصحاب حروب وغارات . فإذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شقّ عليهم ترك المحاربة فيحلّونه ويحرّمون مكانه شهرا آخر حتّى رفضوا تخصيص الأشهر الحرم بالتحريم فكانوا يحرّمون من بين شهور العام أربعة أشهر .

(١٠) أى هذا الفعل منهم زيادة فى كفرهم .

(١١) (يُضَلّ) كوفى غير أبى بكر .

(١٢) بالنسىء .

يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا[1] لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ[2] فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ[3] زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ[4] وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ[5] ﴿٣٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟[6] فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ[7] إِلَى ٱلْأَرْضِ[8] أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ[9] فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ[10]

(١) الضمير للنسىء أى إذا أحلّوا شهرا من الأشهر عاما رجعوا لحرّموه فى العام القابل .

(٢) ليوافقوا العــدّة التى هى الأربعة ولا يخالفوها . وقد خالفوا التخصيص الذى هو أحد الواجبين . واللّام تتعلّق بيحلّونه ويحرّمونه أو بيحرّمونه فحسب ، وهو الظاهر .

(٣) أى (فيحلّوا) بمواطأة العدّة وحدها من غير تخصيص (ما حرّم الله) من القتـال أو من ترك الاختصاص للأشهر بعينها .

(٤) زيّن لهم الشيطان ذلك . فحسبوا أعمالهم القبيحة حسنة .

(٥) حال اختيارهم الثبات على الباطل .

(٦) اخرجوا .

(٧) تثاقلتم وهو أصـله ، إلّا أنّ التاء أدغمت فى الثاء فصارت ثاء ساكنة فدخلت ألف الوصل لئلا يبتدأ بالساكن . أى تباطأتم .

(٨) ضمّن معنى الميل والإخلاد فعدّى بإلى ، أى ملتم إلى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاقّ السفر ومتاعبه . أو ملتم إلى الإقامة بأرضكم ودياركم . وكان ذلك فى غزوة تبوك . استنفروا فى وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعـد الشقّة وكثرة العدوّ فشقّ عليهم ذلك . وقيل ما خرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى غزوة إلا ورّى عنها بغيرها إلّا فى غزوة تبوك ليستعدّ الناس تمـام العدّة .

(٩) بدل الآخرة .

(١٠) فى جنب الآخرة .

إِلَّا قَلِيلٌ ۝ إِلَّا تَنفِرُوا(١) يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا(٢) وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(٣) ۝ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ(٤) إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا(٥) ثَانِيَ اثْنَيْنِ(٦) إِذْ هُمَا(٧) فِي الْغَارِ(٨) إِذْ يَقُولُ(٩) لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا(١٠)

(١) (إلّا تنفروا) إلى الحرب .

(٢) سخط عظيم على المتثاقلين حيث أوعدهم بعذاب أليم مطلق يتناول عذاب الدارين، وأنّه يهلكهم ويستبدل بهم قوما آخرين خيرا منهم وأطوع ، وأنّه غنيّ عنهم فى نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيئا . وقيل الضمير فى (ولا تضرّوه) للرسول عليه السلام لأنّ الله وعده أن يعصمه من الناس وأن ينصره . ووعده كائن لا محالة .

(٣) من التبديل والتعذيب وغيرهما .

(٤) (إلّا تنصروه) فسينصره من نصره حين لم يكن معه إلّا رجل واحد. فدلّ بقوله (فقد نصره الله) على أنّه ينصره فى المستقبل كما نصره فى ذلك الوقت .

(٥) أسند الإخراج إلى الكفّار لأنّهم حين همّوا بإخراجه أذن الله له فى الخروج فكأنّهم أخرجوه .

(٦) أحد اثنين كقوله (ثالث ثلاثة) . وهما رسول الله وأبو بكر . وانتصابه على الحال .

(٧) بدل من (إذ أخرجه) .

(٨) هو نقب فى أعلى ثور . وهو جبل فى يمنى مكّة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا .

(٩) بدل ثان .

(١٠) (إنّ الله معنا) بالنصرة والحفظ . قيل طلع المشركون فوق الغار فأشفق أبو بكر على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : إن تصب اليوم ذهب دين الله . فقال عليه السلام : "ما ظنّك باثنين الله ثالثهما". وقيل لما دخل الغار بعث الله حمامتين فباضتا فى أسفله ، والعنكبوت فنسجت عليه . وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم اللّهم أعم أبصارهم فجعلوا يتردّدون حول الغار ولا يفطنون . قد أخذ الله بأبصارهم عنه . وقالوا من أنكر صحبة أبى بكر فقد كفر لإنكاره كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة .

فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ(١) عَلَيْهِ(٢) وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا(٣) وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟(٤) ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ(٥) هِىَ ٱلْعُلْيَا(٦) وَٱللَّهُ عَزِيزٌ(٧) حَكِيمٌ(٨) ﴿٤٠﴾ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا(٩) وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ(١٠) فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ(١١) ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ(١٢)

(١) ما ألقى فى قلبه من الأمنة التى سكن عندها وعلم أنّهم لا يصلون إليه .

(٢) على النبىّ صلّى الله عليه وسلّم . أو على أبى بكر لأنّه كان يخاف وكان عليه السلام ساكن القلب .

(٣) هم الملائكة صرفوا وجوه الكفار وأبصارهم عن أن يروه . أو أيّده بالملائكة يوم بدر والأحزاب وحنين .

(٤) أى دعوتهم إلى الكفر .

(٥) دعوته إلى الإسلام . (وكلمةَ الله) بالنصب يعقوب بالعطف. والرفع على الاستئناف أوجه إذ هى كانت ولم تزل عالية .

(٦) فصل .

(٧) يعزّ بنصره أهل كلمته .

(٨) يذلّ أهل الشرك بحكمته .

(٩) (خفافا) فى النفور لنشاطكم له (وثقالا) عنه لمشقته عليكم .أو خفافا لقـلّة عيالكم وثقالا لكثرتهـا ، أو خفافا من السلاح وثقالا منه ، أو ركبانا ومشاة ، أو شبابا وشيوخا ، أو مهازيل وسمانا، أو صحاحا ومراضا .

(١٠) إيجاب للجهاد بهما إن أمكن أو بأحدهما على حسب الحال والحاجة .

(١١) الجهـاد .

(١٢) (خير لكم) من تركه .

إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ(١) ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا(٢) قَرِيبًا(٣) وَسَفَرًا قَاصِدًا(٤) لَّاتَّبَعُوكَ(٥) وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ(٦) وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ(٧) يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ(٨) وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ(٩) ﴿٤٢﴾ عَفَا اللَّهُ عَنكَ(١٠) لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ(١١)

(١) (إن كنتم تعلمون) كون ذلك خيرا فبادروا إليه .

(٢) هو ماعرض لك من منافع الدنيا . يقال الدنيا عرض حاضر، يأكل منه البرّ والفاجر. نزل فى المتخلّفين عن غزوة تبوك من المنافقين . أى لو كان مادعوا إليه مغنما .

(٣) سهل المأخذ .

(٤) وسطا مقاربا . والقاصد والقصد المعتدل .

(٥) لوافقوك فى الخروج .

(٦) المسافة الشاطّة الشاقّة .

(٧) من دلائل النبوّة لأنّه أخبر بما سيكون بعد القفول فقالوا كما أخبر . و(بالله) متعلّق بسيحلفون. أو هو من جملة كلامهم. والقول مراد فى الوجهين، أى (سيحلفون) يعنى المتخلّفين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون (بالله لو استطعنا لخرجنا معكم) . أو (سيحلفون بالله) يقولون (لو استطعنا) . وقوله (لخرجنا) سدّ مسدّ جوابى القسم ولو جميعا . ومعنى الاستطاعة استطاعة العُدّة أو استطاعة الأبدان كأنّهم تمارضوا .

(٨) بدل من (سيحلفون) أو حال منه أى مهلكين. والمعنى أنّهم يهلكونها بالحلف الكاذب أو حال من (لخرجنا) أى لخرجنا معكم وإن أهلكنا أنفسنا وألقيناها فى التهلكة بما نحملها على المسير فى تلك الشقّة .

(٩) (والله يعلم إنّهم لكاذبون) فيما يقولون .

(١٠) كناية عن الزلّة لأنّ العفو رادف لها . وهو من لطف العتاب ، بتصدير العفو فى الخطاب . وفيه دلالة فضله على سائر الأنبياء عليهم السلام حيث لم يذكر مثله لسائر الأنبياء عليهم السلام .

(١١) بيان لما كنى عنه بالعفو . ومعناه مالك أذنت لهم فى القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلّوا لك بعللهم وهلّا استأنيت بالإذن (حتّى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين).

حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَـٰذِبِينَ (١) ۝ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ (٢) بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ (٣) ۝ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ (٤) ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ (٥) فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (٦) ۝ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ (٧) عُدَّةً (٨) وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ (٩) فَثَبَّطَهُمْ (١٠) وَقِيلَ (١١) ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ (١٢) ۝

---

(١) يتبيّن لك الصادق فى العذر من الكاذب فيه . وقيل شيئان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلّم ولم يؤمر بهما إذنه للمنافقين وأخذه الفدية من الأسارى فعاتبه الله . وفيه دليل جواز الاجتهاد للأنبياء عليهم السلام لأنّه عليه السلام إنّما فعل ذلك بالاجتهاد. وإنّما عوتب مع أنّ له ذلك لتركه الأفضل وهم يعاتبون على ترك الأفضل .

(٢) ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك فى (أن يجاهدوا) .

(٣) عدة لهم بأجزل الثواب .

(٤) يعنى المنافقين . وكانوا تسعة وثلاثين رجلا .

(٥) شكّوا فى دينهم واضطربوا فى عقيدتهم .

(٦) يتحيّرون ، لأنّ التردّد ديدن المتحيّر كما أنّ الثبات ديدن المتبصّر .

(٧) للخروج أو الجهاد .

(٨) أهبة لأنّهم كانوا مياسير .

(٩) نهوضهم للخروج . لمّا كان (ولو أرادوا الخروج) معطيا معنى نفى خروجهم واستعدادهم للغزو قيل (ولكن كره الله انبعاثهم) . كأنّه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم .

(١٠) فكسّلهم وضعّف رغبتهم فى الانبعاث. والتثبيط التوقيف عن الأمر بالتزهيد فيه .

(١١) أى قال بعضهم لبعض ، أو قاله الرسول عليه السلام غضبا عليهم ، أو قاله الشيطان بالوسوسة .

(١٢) هو ذمّ لهم وإلحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شأنهم القعود فى البيوت .

لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ (١) إِلَّا خَبَالًا (٢) وَلَأَوْضَعُوا (٣) خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ (٤) الْفِتْنَةَ (٥) وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ (٦) وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٧) ۝ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ (٨) مِن قَبْلُ (٩) وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ (١٠) حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ (١١) وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ (١٢) وَهُمْ كَارِهُونَ (١٣) ۝

(١) (ما زادوكم) بخروجهم معكم .

(٢) إلّا فسادا وشرّا . والاستثناء متّصل لانّ المعنى ما زادوكم شيئا إلّا خبالا. والاستثناء المنقطع أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك ما زادوكم خيرا إلّا خبالا. والمستثنى منه فى هذا الكلام غير مذكور. وإذا لم يذكر وقع الاستثناء من الشيء فكان استثناء متّصلا لأن الخبال بعضه .

(٣) ولسعوا بينكم بالتضريب والنمائم وإفساد ذات البين. يقال: وضع البعير وضعا إذا أسرع . وأوضعته أنا . والمعنى ولأوضعوا ركائبهم بينكم . والمراد الإسراع بالنمائم لأن الراكب أسرع من الماشى . وخطّ فى المصحف (ولاأوضعوا) بزيادة الألف لأن الفتحة كانت تكتب ألفا قبل الخطّ العربى . والخطّ العربىّ اخترع قريبا من نزول القرآن. وقد بقى من تلك الألف أثر فى الطباع فكتبوا صورة الهمزة ألفا وفتحها ألفا أخرى . ونحوه (أو لا أذبحنّه) .

(٤) حال من الضمير فى أوضعوا .

(٥) أى يطلبون أن يفتنوكم بأن يوقعوا الخلاف فيا بينكم ويفسدوا نيّاتكم فى مغزاكم .

(٦) أى نمّامون يسمعون حديثكم فينقلونه إليهم .

(٧) بالمنافقين .

(٨) بصدّ الناس أو بأن يفتكوا به عليه السلام ليلة العقبة أو بالرجوع يوم أحد .

(٩) من قبل غزوة تبوك .

(١٠) ودبّروا لك الحيل والمكايد ودوّروا الأراء فى إبطال أمرك .

(١١) وهو تأييدك ونصرك .

(١٢) وغلب دينه وعلا شرعه .

(١٣) اى على رغم منهم .

وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ (١) أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ (٢) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ (٣) ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ (٤) حَسَنَةٞ (٥) تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٞ (٦) يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا (٧) مِن قَبْلُ (٨) وَيَتَوَلَّواْ (٩) وَّهُمْ فَرِحُونَ (١٠) ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا (١١) هُوَ مَوْلَىٰنَا (١٢) وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ (١٣) ﴿٥١﴾

---

(١) ولا توقعنى فى الفتنة — وهى الإثم — بألّا تأذن لى. فإنى إن تخلفت بغير إذنك أثمت. أو لا تلقنى فى الهلكة فإنّى إذا خرجت معك هلك مالى وعيالى. وقيل قال الجدّ بن قيس المنافق قد علمت الأنصار أنّى مُستهتَر بالنساء فلا تفتنّى ببنات الأصفر يعنى نساء الروم ولكنّى أعينك بمالى فاتركنى.

(٢) يعنى أنّ الفتنة هى التى سقطوا فيها وهى فتنة التخلّف.

(٣) (لمحيطة بالكافرين) الآن، لأنّ أسباب الإحاطة معهم. أو هى تحيط بهم يوم القيامة.

(٤) فى بعض الغزوات.

(٥) ظفر وغنيمة.

(٦) نكبة وشدّة فى بعضها نحو ما جرى يوم أحد.

(٧) (أمرنا) الذى نحن متّسمون به من الحذر والتيقّظ والعمل بالحزم.

(٨) من قبل ما وقع.

(٩) (ويتولّوا) عن مقام التحدّث بذلك إلى أهاليهم.

(١٠) مسرورون.

(١١) أى قضى من خير أو شرّ.

(١٢) أى الذى يتولّانا ونتولّاه.

(١٣) وحقّ المؤمنين ألّا يتوكّلوا على غير الله.

قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ۝ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ۝

(١) تنتظرون بنا .

(٢) وهما النصرة والشهادة .

(٣) (ونحن نتربص بكم) إحدى السوءيين .

(٤) وهو قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود .

(٥) (أو) بعذاب (بأيدينا) وهو القتل على الكفر .

(٦) (فتربّصوا) بنا ما ذكرنا .

(٧) (إنّا معكم متربّصون) ما هو عاقبتكم .

(٨) (قل أنفقوا) فى وجوه البرّ .

(٩) طائعين أو مكرهين . نصب على الحال . (كُرها) حمزة وعلىّ . وهو أمر فى معنى الخبر . ومعناه (لن يتقبّل منكم) أنفقتم طوعا أو كرها . ونحوه (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم) . وقوله :

أسيئى بنا أو أحسنى لا ملومة * لدينا ولا مقليّة إن تقلّت

أى لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ولا نلومك أسأت إلينا أو أحسنت . وقد جاز عكسه فى قولك رحم الله زيدا . ومعنى عدم القبول أنّه عليه السلام يردّها عليهم ولا يقبلها أو لا يثيبها الله . وقوله (طوعا) أى من غير إلزام من الله ورسوله . و (كرها) أى ملزمين . وسمى الإلزام إكراها لأنّهم منافقون فكان إلزامهم الإنفاق شاقّا عليهم كالإكراه .

(١٠) تعليل لردّ إنفاقهم .

(١١) متمرّدين عاتين .

وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ (١) مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ (٢) كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ (٣) وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ (٤) ۝ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا (٥) وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ (٦) وَهُمْ كَٰفِرُونَ ۝ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ (٧) وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ (٨) ۝ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا (٩) أَوْ مَغَٰرَٰتٍ (١٠) أَوْ مُدَّخَلًا (١١)

(١) وبالياء حمزة وعليّ .

(٢) (أنّهم) فاعل منع . و(هم) و(أن تقبل) مفعولاه . أى وما منعهم قبول نفقاتهم إلا كفرهم .

(٣) جمع كسلان .

(٤) لأنّهم لا يريدون بهما وجه الله تعالى . وصفهم بالطوع فى قوله (طوعا) وسلبه عنهم هاهنا لأنّ المراد بطوعهم أنّهم يبذلونه من غير إلزام من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أو من رؤسائهم . وما طوعهم ذلك إلا عن كراهة واضطرار ، لا عن رغبة واختيار .

(٥) الإعجاب بالشىء أن تسرّ به سرور راض به متعجّب من حسنه . والمعنى فلا تستحسن ما أوتوا من زينة الدنيا فإنّ الله إنّما أعطاهم ما أعطاهم ليعذّبهم بالمصائب فيها أو بالإنفاق منه فى أبواب الخير وهم كارهون له ، أو بنهب أموالهم وسبى أولادهم ، أو بجمعها وحفظها وحبّها والبخل بها والخوف عليها . وكل هذا عذاب .

(٦) وتخرج أرواحهم . وأصل الزهوق الخروج بصعوبة . ودلّت الآية على بطلان القول بالأصلح لأنّه أخبر أنّ إعطاء الأموال والأولاد لهم للتعذيب والإماتة على الكفر ، وعلى إرادة الله تعالى المعاصى لأنّ إرادة العذاب بإرادة ما يعذّب عليه . وكذا إرادة لإماتة على الكفر .

(٧) لمن جملة المسلمين .

(٨) يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالإسلام تقيّة .

(٩) مكانا يلجئون إليه متحصّنين ، من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة .

(١٠) أو غيرانا .

(١١) أو نفقا يندسّون فيه . وهو مفتعل من الدخول .

لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ[(١)] وَهُمْ يَجْمَحُونَ[(٢)] ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُم[(٣)] مَّن يَلْمِزُكَ فِى الصَّدَقَـٰتِ[(٤)] فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا[(٥)] هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَـٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ[(٦)] ﴿٥٩﴾ إِنَّمَا[(٧)] ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ

---

(١) لأقبلوا نحوه .

(٢) يسرعون إسراعا لا يردّهم شىء . من الفرس الجموح .

(٣) ومن المنافقين .

(٤) يعيبك فى قسمة الصدقات ويطعن عليك .

(٥) (إذا) للفاجأة، أى وإن لم يعطوا منها فاجئوا السخط. وصفهم بأن رضاهم وسخطهم لأنفسهم لا للدين وما فيه صلاح أهله لأنه عليه السلام استعطف قلوب أهل مكّة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون منه .

(٦) جواب (لو) محذوف تقديره (ولو أنّهم رضوا) لكان خيرا لهم. والمعنى (ولو أنّهم رضوا) ما أصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت به نفوسهم وإن قلّ نصيبهم (وقالوا) كفانا فضل الله وصنعه و(حسبنا) ما قسم لنا، سيرزقنا غنيمة أخرى فيؤتينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أكثر ممـا آتانا اليوم (إنّا إلى الله) فى أن يغنمنا فضله (لراغبون) . ثم بين مواضعها التى توضع فيها فقال (إنمـا الصدقات) الآية .

(٧) قصر جنس الصدقات على الأصناف المعدودة. أى هى مختصّة بهم لا تتجاوز إلى غيرهم كأنّه قيل إنّمـا هى لهم لا لغيرهم كقولك إنّمـا الخلافة لقريش تريد لا تتعدّاهم ولا تكون لغيرهم . فيحتمل أن تصرف إلى الأصناف كلّهـا وأن تصرف إلى بعضها كما هو مذهبنا . وعن حذيفة وابن عبّاس وغيرهما من الصحابة والتابعين أنّهم قالوا: فى أىّ صنف منها وضعتها أجزأك . وعند الشافعىّ رحمه الله لا بدّ من صرفها إلى الأصناف . وهو المروىّ عن عكرمة . ثمّ الفقـير الذى لا يسأل لأنّ عنده ما يكفيه للحـال . والمسكين الذى يسأل لأنّه لا يجد شيئا فهو أضعف حالا منه . وعند الشافعىّ رحمه الله على العكس .

وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا[١] وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ[٢] وَفِى ٱلرِّقَابِ[٣] وَٱلْغَٰرِمِينَ[٤] وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ[٥] وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ[٦] فَرِيضَةً[٧] مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ[٨] حَكِيمٌ[٩] ﴿٦٠﴾

(١) هم السعاة الذين يقبضونها .

(٢) (والمؤلّفة قلوبهم) على الإسلام ، أشراف من العرب . كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يتألّفهم على أن يسلموا . وقوم منهم أسلموا فيعطيهم تقريرا لهم على الإسلام .

(٣) هم المكاتبون يعانون منها .

(٤) الذين ركبتهم الديون .

(٥) فقراء الغزاة أو الحجيج المنقطع بهم .

(٦) المسافر المنقطع عن ماله . وعدل عن اللام إلى (فى) فى الأربعة الأخيرة للإيذان بأنّهم أرسخ فى استحقاق التصدّق عليهم ممن سبق ذكره ، لأنّ فى للوعاء فنبّه على أنّهم أحقّاء بأن توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنّة لها . وتكرير(فى) فى قوله (وفى سبيل الله وابن السبيل) فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين . وإنما وقعت هذه الآية فى تضاعيف ذكر المنافقين ليدلّ بكون هذه الأصناف مصارف الصدقات خاصّة دون غيرهم ، على أنّهم ليسوا منهم حسما لأطماعهم وإشعارا بأنّهم بعداء عنها وعن مصارفها فما لهم ومالها وما سلطهم على التكلّم فيها ولمز قاسمها . وسهم المؤلفة قلوبهم سقط بإجماع الصحابة فى صدر خلافة أبى بكر رضى الله عنه لأنّ الله أعزّ الإسلام وأغنى عنهم . والحكم متى ثبت معقولا لمعنى خاصّ يرتفع وينتهى بذهاب ذلك المعنى .

(٧) فى معنى المصدر المؤكد لأنّ قوله (إنما الصدقات للفقراء) معناه فرض الله الصدقات لهم .

(٨) (عليم) بالمصلحة .

(٩) (حكيم) فى القسمة .

وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ[1] قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ[2] لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ[3] وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ[4] وَرَحْمَةٌ[5] لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ[6] وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ[7] ﴿٦١﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ[8]

---

(١) الأذن الرجل الذى يصدّق كلّ ما يسمع ويقبل قول كلّ أحد . سمّى بالجارحة التى هى آلة السماع كأن جملته أذن سامعة . وإيذاؤهم له هو قولهم فيه : هو أذن .

(٢) (أُذُن خير) كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح. قصدوا به المذمّة وأنّه من أهل سلامة القلوب والغرّة. ففسّره الله تعالى بما هو مدح له وثناء عليه كأنّه قيل: نعم هو أذن ولكن نعم الأذن . ويجوز أن يريد هو أذن فى الخير والحقّ وفيما يجب سماعه وقبوله وليس بأذن فى غير ذلك .

(٣) فسر كونه أذن خير . أى يصدّق بالله لما قام عنده من الأدلّة .

(٤) ويقبل من المؤمنين الخلّص من المهاجرين والأنصار . وعدّى فعل الإيمان بالباء إلى الله لأنّه قصد به التصديق بالله الذى هو ضدّ الكفر به ، وإلى المؤمنين باللام لأنّه قصد السماع من المؤمنين وأن يسلّم لهم ما يقولونه ويصدّقه لكونهم صادقين عنده، ألا ترى إلى قوله (وما أنت بمؤمن لنا) كيف ينبو عن الباء .

(٥) بالعطف على (أذن) . (ورحمةٍ) حمزة، عطف على (خير) أى هو أذن خير وأذن رحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله .

(٦) أى (و) هو (رحمة للذين آمنوا منكم) أى أظهروا الإيمان أيّها المنافقون حيث يقبل إيمانكم الظاهر ولا يكشف أسراركم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين. أو هو رحمة للمؤمنين حيث استنقذهم من الكفر إلى الإيمان ويشفع لهم فى الآخرة بإيمانهم فى الدنيا .

(٧) (لهم عذاب أليم) فى الدارين .

(٨) الخطاب للمسلمين .

وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ (١) ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ (٢) مَن يُحَادِدِ (٣) ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ (٤) نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ (٥) أَن تُنَزَّلَ (٦) عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ (٧) قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ (٨) إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ (٩) ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ (١٠)

(١) كان المنافقون يتكلّمون بالمطاعن أو يتخلّفون عن الجهاد ثمّ يأتونهم فيعتذرون إليهم ويؤكّدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم. فقيل لهم (والله ورسوله أحقّ أن يرضوه إن كانوا مؤمنين) أى إن كنتم مؤمنين كما تزعمون فأحق من أرضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق. وإنما وحّد الضمير لأنّه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسول الله فكانا فى حكم شىء واحد كقولك إحسان زيد وإجماله نعشنى. أو (والله أحق أن يرضوه ورسوله) كذلك.

(٢) أنّ الأمر والشأن.

(٣) يجاوز الحدّ بالخلاف. وهى مفاعلة من الحدّ كالمشاقّة من الشقّ.

(٤) على حذف الخبر أى لحق أنّ له.

(٥) خبر بمعنى الأمر أى ليحذر المنافقون.

(٦) (تنزل) بالتخفيف مكىّ وبصرىّ.

(٧) من الكفر والنفاق. والضمائر للمنافقين لأنّ السورة إذا نزلت فى معناهم فهى نازلة عليهم دليله (قل استهزءوا). أو الأولان للمؤمنين والثالث للمنافقين. وصحّ ذلك لأنّ المعنى يقود إليه.

(٨) أمر تهديد.

(٩) مظهر ما كنتم تحذرونه أى تحذرون إظهاره من نفاقكم. وكانوا يحذرون أن يفضحهم الله بالوحى فيهم وفى استهزائهم بالإسلام وأهله، حتّى قال بعضهم وددت أنّى قدّمت فجلدت مائة وأنّه لا ينزل فينا شىء يفضحنا.

(١٠) بينا رسول الله صلى الله عليه وسلّم يسير فى غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه. فقالوا انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات. فأطلع الله نبيّه على ذلك. فقال احبسوا علىّ الركب. فأتاهم. فقال: قلتم كذا وكذا. فقالوا يانبىّ الله لا والله ما كنّا فى شىء من أمرك ولا من أمر أصحابك ولكن كنّا فى شىء ممّا يخوض

قُلْ أَبِٱللَّهِ (١) وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ (٢) ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ (٣) قَدْ كَفَرْتُم (٤) بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ (٥) إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ (٦) نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ (٧) ﴿٦٦﴾ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ (٨) بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ (٩) يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ (١٠) وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ (١١) وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ (١٢) نَسُوا۟ ٱللَّهَ (١٣) فَنَسِيَهُمْ (١٤) إِنَّ

فيه الركب ليقصّر بعضنا على بعض السفر . أى (ولئن سألتهم) وقلت لهم لم قلتم ذلك لقالوا (إنّما كنّا نخوض ونلعب) .

(١) يامحمّد .

(٢) لم يعبأ باعتذارهم لأنّهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كأنّهم معترفون باستهزائهم وبأنّه موجود فيهم حتّى وبخوا بإخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزأ به يلى حرف التقرير . وذلك إنّما يستقيم بعد ثبوت الاستهزاء .

(٣) لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فإنّها لا تنفعكم بعد ظهور سرّكم .

(٤) قد أظهرتم كفركم باستهزائكم .

(٥) بعد إظهاركم الإيمان .

(٦) (إن نعف عن طائفة منكم) بتوبتهم وإخلاصهم الإيمان بعد النفاق .

(٧) مصرّين على النفاق غير تائبين منه (إن يُعفَ . تُعذَّب طائفةٌ) غير عاصم .

(٨) الرجال المنافقون كانوا ثلثمائة والنساء المنافقات مائة وسبعين .

(٩) أى كأنّهم نفس واحدة . وفيه نفى أن يكونوا من المؤمنين ، وتكذيبهم فى قولهم (ويحلفون بالله إنّهم لمنكم) ، وتقرير لقوله (وما هم منكم) .

(١٠) بالكفر والعصيان . وصفهم بما يدلّ على مضادّة حالهم لحال المؤمنين .

(١١) عن الطاعة والإيمان .

(١٢) (ويقبضون أيديهم) شحًّا بالمبارّ والصدقات والإنفاق فى سبيل الله .

(١٣) تركوا أمره أو أغفلوا ذكره .

(١٤) فتركهم من رحمته وفضله .

ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ (١) ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ (٢) فِيهَا هِىَ (٣) حَسْبُهُمْ (٤) وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ (٥) وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٦) ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ (٧) وَخُضْتُمْ (٨) كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ (٩) أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ (١٠) وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ

---

(١) هم الكاملون فى الفسق الذى هو التمرّد فى الكفر والانسلاخ عن كلّ خير. وكفى المسلم زاجرا أن يلمّ بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذى وصف به المنافقون حين بالغ فى ذمّهم.

(٢) مقدّرين الخلود فيها .

(٣) أى النار .

(٤) فيه دلالة على عظم عذابها وأنّه بحيث لا يزاد عليه .

(٥) وأهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين ملحقين بالشياطين الملاعين .

(٦) دائم معهم فى العاجل لا ينفكّون عنه. وهو ما يقاسونه من تعب النفاق ، والظاهر المخالف للباطن خوفا من المسلمين ، وما يحذرونه أبدا من الفضيحة ونزول العذاب إن اطلع على أسرارهم .

(٧) الكاف محلّها رفع . أى أنتم مثل الذين من قبلكم . أو نصب على فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم وهو أنكم استمتعتم بخلاقكم كما استمتعوا بخلاقهم أى تلذّذوا بملاذّ الدنيا . والخلاق النصيب مشتق من الخلق وهو التقدير أى ما خلق للإنسان بمعنى قدّر من خير .

(٨) (وخضتم) فى الباطل .

(٩) كالفوج الذى خاضوا أو كالخوض الذى خاضوه. والخوض الدخول فى الباطل واللهو. وإنما قدّم (فاستمتعوا بخلاقهم)، وقوله (كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) مغن عنه، ليذمّ الأوّلين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر فى العاقبة وطلب الفلاح فى الآخرة ، ثم يشبّه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم .

(١٠) فى مقابلة قوله (وآتيناه أجره فى الدنيا وإنّه فى الآخرة لمن الصالحين) .

ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ(١) نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ(٢) وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ(٣) أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ(٤) وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ(٥) ﴿٧٠﴾ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ(٦) يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ(٧) وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ(٨) وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ(٩) ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ(١٠) حَكِيمٌ(١١) ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً(١٢)

---

(١) هو بدل من (الذين) .

(٢) وأهل مدين هم قوم شعيب .

(٣) مدائن قوم لوط وائتفا كهنّ انقلاب أحوالهنّ عن الخير إلى الشرّ .

(٤) فما صحّ منه أن يظلمهم بإهلاكهم لأنّه حكيم فلا يعاقبهم بغير جرم .

(٥) (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالكفر وتكذيب الرسل .

(٦) (بعضهم أولياء بعض) فى التناصر والتراحم .

(٧) بالطاعة والإيمان .

(٨) عن الشرك والعصيان .

(٩) السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة ، فهى تؤكّد الوعد كما تؤكّد الوعيد فى سأنتقم منك يوما .

(١٠) غالب على كلّ شيء قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب .

(١١) واضع كلًّا موضعه .

(١٢) يطيب فيها العيش . وعن الحسن رحمه الله : قصورا من اللؤلؤ والياقوت الأحمر والزبرجد .

فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ[1] وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ[2] ذَٰلِكَ[3] هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ[4] ﴿٧٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ[5] وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ[6] ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟[7] وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ[8] وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ[9]

---

(١) هو علم بدليل قوله (جنّات عدن التى وعد الرحمن). وقد عرفت أنّ الذى والتى وضعا لوصف المعارف بالجمل . وهى مدينة فى الجنّة .

(٢) وشىء من رضوان الله (أكبر) من ذلك كلّه ، لأنّ رضاه سبب كلّ فوز وسعادة .

(٣) إشارة إلى ما وعد ، أو إلى الرضوان .

(٤) (هو الفوز العظيم) وحده دون ما يعدّه الناس فوزا .

(٥) (جاهد الكفّار) بالسيف (والمنافقين) بالحجّة (واغلظ عليهم) فى الجهادين جميعا ولا تحابهم . وكلّ من وقف منــه على فساد فى العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجــاهد بالحجّة وتستعمل معه الغلظة ما أمكن منها .

(٦) جهنّم .

(٧) أقام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن و يعيب المنافقين المتخلّفين فيسمع من معه منهم. منهم الجلاس بن سويد . فقال والله لئن كان ما يقول محمّد حقّاً لإخواننا الذين خلّفناهم وهم سادتنا لنحن شرّ من الحمير . فقال عامر بن قيس الأنصارى للجلاس : أجل والله إنّ محمّدا صادق وأنت شرّ من الحمار . و بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلّم . فاستحضر . فحلف بالله ما قال . فرفع عامر يده فقال : اللّهم أنزل على عبدك ونبيّك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب . فنزل (يحلفون بالله) . فقال الجلاس : يا رسول الله والله لقد قلته وصدق عامر . فتاب الجلاس وحسنت توبته .

(٨) يعنى إن كان ما يقول محمّد حقّاً فنحن شرّ من الحمير ، أو هى استهزاؤهم .

(٩) وأظهروا كفرهم بعد إظهارهم الإسـلام . وفيه دلالة على أنّ الإيمـان والإسلام واحد لأنه قال (وكفروا بعد إسلامهم) .

وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ (١) وَمَا نَقَمُوٓاْ (٢) إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ (٣) فَإِن يَتُوبُواْ (٤) يَكُ (٥) خَيْرًا لَّهُمْ (٦) وَإِن يَتَوَلَّوْاْ (٧) يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ (٨) وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٩) ﴿٧٤﴾ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ (١٠)

(١) من قتل محمد عليه السلام ، أو قتل عامر لردّه على الجلاس . وقيل أرادوا أن يتوجوا ابن أبىّ وإن لم يرض رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

(٢) وما أنكروا وما عابوا .

(٣) وذلك أنّهم كانوا حين قدم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة فى ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فأثروا بالغنائم . وقتل للجلاس مولى فأمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بديته اثنى عشر ألفا فاستغنى .

(٤) (فإن يتوبوا) عن النفاق .

(٥) (يك) الثواب .

(٦) وهى الآية التى تاب عندها الجلاس .

(٧) يصرّوا على النفاق .

(٨) بالقتل والنار .

(٩) ينجيهم من العذاب .

(١٠) روى أنّ ثعلبة بن حاطب قال يارسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا . فقال عليه السلام ياثعلبة قليل تؤدّى شكره خير من كثير لا تطيقه . فراجعه وقال: والذى بعثك بالحق لئن رزقنى مالا لأعطينّ كلّ ذى حقّ حقّه . فدعا له . فاتّخذ غنما فنمت كما ينمى الدود حتّى ضاقت بها المدينة . فنزل واديا وانقطع عن الجمعة والجماعة . فسأل عنه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد . فقال ياويح ثعلبة . فبعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مصدّقين لأخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم . ومرّا بثعلبة فسألاه الصدقة . فقال ما هذه إلّا جزية ، وقال ارجعا حتى أرى رأيى . فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلّم قبل أن يكلّماه ياويح ثعلبة مرّتين . فنزلت . فجاء ثعلبة بالصدقة . فقال إن الله منعنى أن أقبل منك فجعل التراب على رأسه . فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم . فجاء بها إلى أبى بكر رضى الله عنه فلم يقبلها . وجاء بها إلى عمر رضى الله عنه فى خلافته فلم يقبلها . وهلك فى زمان عثمان رضى الله عنه .

لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ(١) لَنَصَّدَّقَنَّ(٢) وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ(٣) ۝ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ(٤) بَخِلُوا۟ بِهِۦ(٥) وَتَوَلَّوا۟(٦) وَّهُم مُّعْرِضُونَ(٧) ۝ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ(٨) إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ(٩) بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ(١٠) ۝ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟(١١) أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ(١٢) وَنَجْوَىٰهُمْ(١٣) وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ(١٤) ۝ ٱلَّذِينَ(١٥)

---

(١) أى المـال .

(٢) لنخرجنّ الصدقة . والأصل لنتصدقنّ. ولكن التاء أدغمت فى الصاد لقربها منها .

(٣) (ولنكوننّ من الصالحين) بإخراج الصدقة .

(٤) أعطاهم الله المـال ونالوا مناهم .

(٥) منعوا حقّ الله ولم يفوا بالعهد .

(٦) (وتولّوا) عن طاعة الله .

(٧) مصرّون على الإعراض .

(٨) فأورثهم البخل نفاقا متمكّنا فى قلوبهم لأنّه كان سببا فيه .

(٩) أى جزاء فعلهم وهو يوم القيامة .

(١٠) بسبب إخلافهم ما وعدوا الله من التصدّق والصلاح، وكونهم كاذبين . ومنه جعل خلف الوعد ثلث النفاق .

(١١) يعنى المنافقين .

(١٢) ما أسرّوه من النفاق بالعزم على إخلاف ما وعدوه .

(١٣) وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن فى الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها.

(١٤) فلا يخفى عليه شىء .

(١٥) محلّه النصب أو الرفع على الذمّ أو الجرّ على البدل من الضمير فى (سرّهم ونجواهم) .

يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ (١) وَٱلَّذِينَ (٢) لَا يَجِدُونَ (٣) إِلَّا جُهْدَهُمْ (٤) فَيَسْخَرُونَ (٥) مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ (٦) وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧) ۝ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ (٨) إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً (٩) فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ

---

(١) يعيبون المطّوعين المتبرّعين .

(٢) متعلّق بيلمزون .

(٣) عطف على (المطّوعين) .

(٤) طاقتهم. وعن نافع (جَهدهم) وهما واحد. وقيل الجُهد الطاقة والجهد المشقة روى أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حثّ على الصدقة. فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال كان لى ثمانية آلاف فأقرضت ربّى أربعة وأمسكت أربعة لعيالى . فقال عليه السلام : بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت . فبارك الله له حتّى صولحت تماضر امرأته عن ربع الثمن على ثمانين ألفا . وتصدّق عاصم بمائة وسق من تمر . وجاء أبو عقيل بصاع من تمر فقال : بتّ ليلتى أجر بالجرير على صاعين . فتركت صاعا لعيالى وجئت بصاع . فلمزهم المنافقون. وقالوا : ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلّا رياء. وأمّا صاع أبى عقيل فالله غنىّ عنه.

(٥) فيهزءون .

(٦) جازاهم على سخريتهم . وهو خبر غير دعاء .

(٧) مؤلم .

(٨) لمّا سأل عبد الله بن عبد الله بن أبىّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يستغفر لأبيه فى مرضه، نزل. وقد مرّ أنّ هذا الأمر فى معنى الخبر كأنّه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم .

(٩) والسبعون جار مجرى المثل فى كلامهم للتكثير، وليس على التحديد والغاية. إذ لو استغفر لهم مدّة حياته لن يغفر الله لهم لأنّهم كفّار والله لا يغفر لمن كفر به . والمعنى وإن بالغت فى الاستغفار فلن يغفر الله لهم . وقد وردت الأخبار بذكر السبعين وكلّها تدلّ على الكثرة لا على التحديد والغاية . ووجه تخصيص السبعين من بين سائر الأعداد أنّ العدد قليل وكثير. فالقليل مادون الثلاث . والكثير الثلاث فما فوقها . وأدنى الكثير الثلاث وليس لأقصاه غاية . والعدد أيضا نوعان : شفع ووتر. وأوّل الأشفاع اثنان . وأوّل الأوتار ثلاثة. والواحد ليس بعدد.

ذَٰلِكَ(١) بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ(٢) وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ(٣) ۝ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ(٤) بِمَقْعَدِهِمْ(٥) خِلَٰفَ(٦) رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ(٧) وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ(٨) قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ(٩) ۝ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا(١٠)

والسبعة أوّل الجمع الكثير من النوعين لأنّ فيها أوتارا ثلاثة وأشفاعا ثلاثة . والعشرة كمال الحساب لأنّ ما جاوز العشرة فهو إضافة الآحاد إلى العشرة كقولك اثنا عشر وثلاثة عشر إلى عشرين. والعشرون تكرير العشرة مرّتين. والثلاثون تكريرها ثلاث مرات. وكذلك إلى مائة. فالسبعون يجمع الكثرة والنوع والكثرة منه وكمال الحساب والكثرة منه . فصار السبعون أدنى الكثير من العدد من كلّ وجه . ولا غاية لأقصاه . فجاز أن يكون تخصيص السبعين لهذا والله أعلم .

(١) إشارة إلى اليأس من المغفرة .

(٢) بسبب أنّهم (كفروا بالله ورسوله) ولا غفران للكافرين .

(٣) الخارجين عن الإيمان ما داموا مختارين للكفر والطغيان .

(٤) المنافقون الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلّم فأذن لهم وخلّفهم بالمدينة فى غزوة تبوك . أو الذين خلّفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان .

(٥) بقعودهم عن الغزو .

(٦) مخالفة له .وهو مفعول له ، أو حال . أى قعدوا لمخالفته أو مخالفين له .

(٧) أى لم يفعلوا ما فعله المؤمنون من بذل أموالهم وأرواحهم فى سبيل الله . وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما فى المؤمنين من باعث الإيمان وداعى الإيقان .

(٨) قال بعضهم لبعض أو قالوا للمؤمنين تثبيطا .

(٩) استجهال لهم لأنّ من تصوّن من مشقّة ساعة فوقع بسبب ذلك التصوّن فى مشقّة الأبد كان أجهل من كلّ جاهل .

(١٠) أى فيضحكون قليلا على فرحهم بتخلّفهم فى الدنيا ويبكون كثيرا جزاء فى العقبى ، إلّا أنه أخرج على لفظ الأمر للدلالة على أنّه حتم واجب لا يكون غيره . يروى أنّ أهل النفاق يبكون فى النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم .

جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ (١) ۝ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ (٢) فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ (٣) فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ (٤) أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ (٥) عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ (٦) فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ (٧) ۝ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم (٨) مَّاتَ (٩) أَبَدٗا (١٠) وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ (١١) إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ (١٢) ۝ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ

---

(١) من النفاق .

(٢) (رجعك الله) أى ردّك من تبوك . وإنما قال (إلى طائفة منهم) لأنّ منهم من تاب من النفاق ومنهم من هلك .

(٣) (للخروج) إلى غزوة بعد غزوة تبوك .

(٤) وبسكون الياء حمزة وعليّ وأبو بكر .

(٥) (مَعِيَ) حفص .

(٦) أوّل مادعيتم إلى غزوة تبوك

(٧) مع من تخلّف بعد .

(٨) من المنافقين يعنى صلاة الجنازة . سأل ابن عبد الله بن أبىّ ، وكان مؤمنا ، أن يكفّن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم أباه فى قميصه ويصلّي عليه فقبل . فاعترض عمر رضى الله عنه فى ذلك فقال عليه السلام : ذلك لا ينفعه وإنّى أرجو أن يؤمن به ألف من قومه . فنزل . روى أنّه أسلم ألف من الخزرج لمّا رأوه يطلب التبرّك بثوب النبىّ صلّى الله عليه وسلّم .

(٩) صفة لأحد .

(١٠) ظرف لتصلّ .

(١١) كان عليه السلام إذا دفن الميّت وقف على قبره ودعا له فقيل (ولا تقم على قبره) .

(١٢) تعليل للنهى ، أى أنّهم ليسوا بأهل للصلاة عليهم لأنّهم كفروا بالله ورسوله .

أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ(١) ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ(٢) أَنْ(٣) ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَـٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ(٤) مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ(٥) ﴿٨٦﴾ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ(٦) وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ(٧) فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ(٨) ﴿٨٧﴾ لَـٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَـٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ(٩) وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ(١٠) وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ(١١) ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ(١٢) ﴿٨٩﴾ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ(١٣) مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ

---

(١) التكرير للمبالغة والتأكيد ، وأن يكون على بال من المخاطب لا ينساه، وأن يعتقد أنه مهمّ ، ولانّ كلّ آية فى فرقة غير الفرقة الأخرى .

(٢) يجوز أن يراد سورة بتمامها وأن يراد بعضها كما يقع القرآن والكتاب على كلّه وعلى بعضه.

(٣) بأن آمنوا . أو هى أن المفسّرة .

(٤) ذوو الفضل والسعة .

(٥) مع الذين لهم عذر فى التخلّف كالمرضى والزمنى .

(٦) أى النساء جمع خالفة .

(٧) ختم عليها لاختيارهم الكفر والنفاق .

(٨) (لا يفقهون) ما فى الجهاد من الفوز والسعادة وما فى التخلّف من الهلاك والشقاوة.

(٩) أى إن تخلّف هؤلاء فقد نهض إلى الغزو من هو خير منهم .

(١٠) تناول منافع الدارين لإطلاق اللفظ . وقيل الحور لقوله (فيهنّ خيرات) .

(١١) الفائزون بكلّ مطلوب .

(١٢) قوله (أعدّ) دليل على أنها مخلوقة .

(١٣) (المعذّرون) من عذّر فى الأمر إذا قصّر فيه وتوانى. وحقيقته أن يوهم أنّ له عذرا فيما فعل ولا عذر له . أو المعتذرون بادغام التاء فى الذال ونقل حركتها إلى العين وهم الذين يعتذرون بالباطل . قيل هم أسد وغطفان . قالوا إنّ لنا عيالا وإنّ بنا جهدا فأذن لنا فى التخلّف .

ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ(١) سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ(٢) عَذَابٌ أَلِيمٌ(٣) ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ(٤) وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ(٥) حَرَجٌ(٦) إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ(٧) مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ(٨) مِن سَبِيلٍ(٩) وَٱللَّهُ غَفُورٌ(١٠) رَّحِيمٌ(١١) ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ(١٢) قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ(١٣) تَوَلَّواْ(١٤) وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ(١٥) حَزَنًا(١٦) أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ(١٧) ﴿٩٢﴾

(١) هم منافقو الأعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا فظهر بذلك أنهم كذبوا الله ورسوله فى ادّعائهم الإيمان .

(٢) من الأعراب .

(٣) (عذاب أليم) فى الدنيا بالقتل وفى الآخرة بالنار .

(٤) الهرمى والزمنى .

(٥) هم الفقراء من مزينة وجهينة وبنى عذرة .

(٦) إثم وضيق فى التأخر .

(٧) بأن آمنوا فى السرّ والعلن وأطاعوا كما يفعل الناصح بصاحبه .

(٨) المعذورين الناصحين .

(٩) أى لاجناح عليهم ولا طريق للعتاب عليهم .

(١٠) (غفور) يغفر تخلّفهم .

(١١) (رحيم) بهم .

(١٢) لتعطيهم الحمولة .

(١٣) حال من الكاف فى (أتوك) . و"قد" قبله مضمرة أى إذا ما أتوك قائلا (لا أجد ما أحملكم عليه) ويجوز أن يكون (قلت لا أجد) استئنافا كأنه قيل إذا ما أتوك لتحملهم تولّوا. فقيل ما لهم تولّوا باكين ؟ فقيل (قلت لا أجد ما أحملكم عليه) . إلا أنه وسّط بين الشرط والجزاء كالاعتراض .

(١٤) هو جواب إذا .

(١٥) أى تسيل كقولك تفيض دمعا. وهو أبلغ من يفيض دمعها لأن العين جعلت كأنّ كلّها دمع فائض. ومن للبيان كقولك: أفديك من رجل. ومحلّ الجارّ والمجرور النصب على التمييز.

(١٦) مفعول له .

(١٧) لئلّا يجدوا ما ينفقون . ومحله نصب على أنه مفعول له وناصبه (حزنا) . والمستحملون أبو موسى الأشعرى وأصحابه أو البكّاءون وهم ستة نفر من الأنصار .

إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ(١) وَهُمْ أَغْنِيَآءُ رَضُوا۟(٢) بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ(٣) وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ(٤) إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ(٥) قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟(٦) لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ(٧) قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ(٨) وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ(٩) وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ(١٠) فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ(١١) ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ(١٢) فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ(١٣) إِنَّهُمْ رِجْسٌ(١٤) وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ(١٥)

---

(١) (يستأذنونك) فى التخلّف .

(٢) استئناف كأنّه قيل ما بالهم استأذنوا وهم أغنياء فقيل (رضوا) .

(٣) أى بالانتظام فى جملة الخوالف .

(٤) يقيمون لأنفسهم عذرا باطلا .

(٥) (إذا رجعتم إليهم) من هذه السفرة .

(٦) (قل لا تعتذروا) بالباطل .

(٧) لن نصدّقكم . وهو علة للنهى عن الاعتذار لأنّ غرض المعتذر أن يصدّق فيما يعتذر به .

(٨) علّة لانتفاء تصديقهم لأنّه تعالى إذا أوحى إلى رسوله الإعلام بأخبارهم وما فى ضمائرهم لم يستقم مع ذلك تصديقهم فى معاذيرهم .

(٩) أتنيبون أم تثبتون على كفركم .

(١٠) أى تردّون إليه وهو عالم كلّ سرّ وعلانية .

(١١) فيجازيكم على حسب ذلك .

(١٢) لتتركوهم ولا توبّخوهم .

(١٣) فأعطوهم طلبتهم .

(١٤) تعليل لترك معاتبتهم أى أنّ المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم لأنّهم أرجاس لا سبيل إلى تطهيرهم .

(١٥) ومصيرهم النار . يعنى وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلّفوا عتابهم .

جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ(١) ﴿٩٥﴾ يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ(٢) فَإِن تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ(٣) ﴿٩٦﴾ ٱلۡأَعۡرَابُ(٤) أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا(٥) وَأَجۡدَرُ(٦) أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ(٧) وَٱللَّهُ عَلِيمٌ(٨) حَكِيمٞ(٩) ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ(١٠) مَغۡرَمٗا(١١) وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ(١٢)

---

(١) أى يجزون جزاء كسبهم .

(٢) أى غرضهم بالحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك فى دنياهم .

(٣) أى فإنّ رضاكم وحدكم لا ينفعهم إذا كان الله ساخطا عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته وآجلها . وإنّما قيل ذلك لئلا يتوهّم أنّ رضا المؤمنين يقتضى رضا الله عنهم .

(٤) أهل البدو .

(٥) (أشدّ كفرا ونفاقا) من أهل الحضر، لجفائهم وقسوتهم و بعدهم عن العلم والعلماء .

(٦) وأحقّ بألّا يعلموا .

(٧) يعنى حدود الدين وما أنزل الله من الشرائع والأحكام . ومنه قوله عليه السلام "إن الجفاء والقسوة فى الفدّادين" يعنى الأكرة لأنّهم يفدّون أى يصيحون فى حروثهم . والفديد الصياح .

(٨) (عليم) بأحوالهم .

(٩) (حكيم) فى إمهالهم .

(١٠) أى يتصدّق .

(١١) غرامة وخسرانا لأنّه لا ينفق إلا تقيّة من المسلمين ورياء لا لوجه الله وابتغاء المثوبة عنده .

(١٢) أى دوائر الزمان وتبدّل الأحوال بدور الأيّام لتذهب غلبتكم عليه فيتخلص من إعطاء الصدقة .

عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ(١) وَٱللَّهُ سَمِيعٌ(٢) عَلِيمٌ(٣) ﴿٩٨﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ(٤) قُرُبَٰتٍ(٥) عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ(٦) ٱلرَّسُولِ أَلَآ إِنَّهَا(٧) قُرْبَةٌ(٨) لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ(٩) رَّحِيمٌ(١٠) ﴿٩٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ(١١)

---

(١) أى عليهم تدور المصائب والحروب التى يتوقعون وقوعها فى المسلمين . (السُّوء) مكىّ وأبو عمرو . وهو العذاب . والسَّوء بالفتح ذمّ للدائرة كقولك رجل سَوء فى مقابلة قولك رجل صدقٍ .

(٢) (سميع) لما يقولون إذا توجّهت عليهم الصدقة .

(٣) (عليم) بما يضمرونه .

(٤) (ما ينفق) فى الجهاد والصدقات .

(٥) أسبابا للقربة عند الله . وهو مفعول ثان ليتّخذ .

(٦) أى دعاءه لأنّه عليه السلام كان يدعو للمتصدّقين بالخير والبركة و يستغفر لهم كقوله اللّهم صلّ على آل أبى أوفى .

(٧) أى النفقة أو صلوات الرسول .

(٨) (قُرُبة) نافع . وهذا شهادة من الله للتصدّق بصحّة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات ، وتصديق لرجائه ، على طريق الاستئناف ، مع حرفى التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات الأمر وتمكّنه . وكذلك (سيدخلهم الله فى رحمته) أى جنّته ، وما فى السين من تحقيق الوعد . وما أدلّ هذا الكلام على رضا الله عن المتصدّقين ، وأنّ الصدقة منه بمكان إذا خلصت النيّة من صاحبها .

(٩) يستر عيب المخلّ .

(١٠) يقبل جهد المقلّ .

(١١) مبتدأ .

ٱلْأَوَّلُونَ [١] مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ [٢] وَٱلْأَنصَارِ [٣] وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ [٤] رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ [٥] وَرَضُوا۟ عَنْهُ [٦] وَأَعَدَّ [٧] لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا [٨] ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم [٩] مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ [١٠] وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ [١١]

---

(١) صفة لهم .

(٢) تبيين لهم . وهم الذين صلّوا إلى القبلتين ، أو الذين شهدوا بدرا أو بيعة الرضوان .

(٣) عطف على المهاجرين . أى ومن الأنصار . وهم أهل بيعة العقبة الأولى — وكانوا سبعة نفر ، وأهل العقبة الثانية — وكانوا سبعين .

(٤) من المهاجرين والأنصار . فكانوا سائر الصحابة . وقيل هم الذين اتّبعوهم بالإيمان والطاعة إلى يوم القيامة .

(٥) (رضى الله عنهم) بأعمالهم الحسنة . الخبر .

(٦) (ورضوا عنه) بما أفاض عليهم من نعمته الدينيّة والدنيويّة .

(٧) عطف على (رضى) .

(٨) (من تحتها) مكّىّ .

(٩) يعنى حول بلدتكم . وهى المدينة .

(١٠) وهم جهينة وأسلم وأشجع وغفار . وكانوا نازلين حولها .

(١١) (ومن أهل المدينة) عطف على خبر المبتدأ الذى هو (ممن حولكم) . والمبتدأ (منافقون) . ويجوز أن يكون جملة معطوفة على المبتدأ والخبر إذا قدّرت (ومن أهل المدينة) قوم (مردوا على النفاق) ، أى تمهّروا فيه ، على أنّ مردوا صفة موصوف محذوف . وعلى الوجه الأوّل لا يخلو من أن يكون كلاما مبتدأ أو صفة لمنافقون فصل بينها و بينه بمعطوف على خبره . ودلّ على مهارتهم فيه بقوله : (لا تعلمهم) . أى يخفون عليك مع فطنتك وصدق فراستك لفرط تنوّقهم فى تحامى ما يشكّكك فى أمرهم .

نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ(١) سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ(٢) ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ(٣) ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ(٤) ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ(٥) خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا(٦) عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ(٧) ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً(٨)

---

(١) أى لا يعلمهم إلّا الله ولا يطّلع على سرّهم غيره لأنّهم يبطنون الكفر فى سويداء قلوبهم ويبرزون لك ظاهرا كظاهر المخلصين من المؤمنين .

(٢) هما القتل وعذاب القبر ، أو الفضيحة وعذاب القبر ، أو أخذ الصدقات من أموالهم ونهك أبدانهم .

(٣) أى عذاب النار .

(٤) أى قوم آخرون سوى المذكورين .

(٥) أى لم يعتذروا من تخلّفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم . ولكن اعترفوا على أنفسهم بأنّهم بئسما فعلوا نادمين . وكانوا عشرة : فسبعة منهم لمّا بلغهم ما نزل فى المتخلّفين أوثقوا أنفسهم على سوارى المسجد . فقدم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فدخل المسجد فصلّى ركعتين — وكانت عادته كلّما قدم من سفر — فرآهم موثّقين فسأل عنهم . فذكر له أنّهم أقسموا ألّا يحلّوا أنفسهم حتّى يكون رسول الله صلّى الله عليه وسلّم هو الذى يحلّهم . فقال : وأنا أقسم ألّا أحلّهم حتّى أومر فيهم . فنزلت . فأطلقهم . فقالوا يارسول الله : هذه أموالنا التى خلّفتنا عنك فتصدّق بها وطهّرنا . فقال : ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئا . فنزل (خذ من أموالهم صدقة) .

(٦) (خلطوا عملا صالحا) خروجا إلى الجهاد (وآخر سيّئا) . تخلّفا عنه . أو التوبة والإثم . وهو من قولهم بعت الشاء شاة ودرهما أى شاة بدرهم . فالواو بمعنى الباء لأن الواو للجمع والباء للإلصاق فيتناسبان . أو المعنى خلط كلّ واحد منهما بالآخر فكلّ واحد منهما مخلوط ومخلوط به كقولك : خلطت الماء واللبن تريد خلطت كلّ واحد منهما بصاحبه بخلاف قولك خلطت الماء باللبن لأنّك جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به ، وإذا قلته بالواو فقد جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما كأنّك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء.

(٧) ولم يذكر توبتهم لأنّه ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة .

(٨) كفّارة لذنوبهم . وقيل هى الزكاة .

تُطَهِّرُهُمْ(١) وَتُزَكِّيهِم(٢) بِهَا(٣) وَصَلِّ عَلَيْهِمْ(٤) إِنَّ صَلَوٰتَكَ(٥) سَكَنٌ لَّهُمْ(٦) وَٱللَّهُ سَمِيعٌ(٧) عَلِيمٌ(٨) ۝ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ(٩) أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ(١٠) عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ(١١) وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ(١٢) ٱلرَّحِيمُ(١٣) ۝ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ(١٤)

(١) (تطهّرهم) عن الذنوب وهو صفة لصدقة. والتاء للخطاب أو لغيبة المؤنث.

(٢) التاء للخطاب لامحالة. والتزكية مبالغة فى التطهير وزيادة فيه أو بمعنى الإنماء والبركة فى المال.

(٣) بالصدقة.

(٤) واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحّم. والسنّة أن يدعو المصدّق لصاحب الصدقة إذا أخذها.

(٥) (صلاتك) كوفىّ غير أبى بكر. قيل الصلاة أكثر من الصلوات لأنّها للجنس.

(٦) (سكن لهم) يسكنون إليه وتطمئنّ قلوبهم بأنّ الله قد تاب عليهم.

(٧) (سميع) لدعائك أو سميع لاعترافهم بذنوبهم ودعائهم.

(٨) (عليم) بما فى ضمائرهم من الندم والغمّ لما فرط منهم.

(٩) المراد المتوب عليهم. أى ألم يعلموا قبل أن يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم.

(١٠) (يقبل التوبة) إذا صحّت.

(١١) ويقبلها إذا صدرت عن خلوص النية. وهو للتخصيص، أى أنّ ذلك ليس إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. إنّما الله هو الذى يقبل التوبة ويردّها. فاقصدوه بها ووجّهوها إليه.

(١٢) كثير قبول التوبة.

(١٣) يعفو الحوبة.

(١٤) (وقل) لهؤلاء التائبين (اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) أى فإنّ عملكم لا يخفى خيرا كان أو شرا على الله وعباده كما رأيتم وتبيّن لكم. أو غير التائبين ترغيبا لهم فى التوبة. فقد روى أنّه لمّا تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالأمس معنا لا يكلّمون ولا يجالسون فما لهم؟ فنزلت. وقوله تعالى (فسيرى الله) وعيد لهم وتحذير من عاقبة الإصرار والذهول عن التوبة.

وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ ٱلْغَيْبِ (١) وَٱلشَّهَٰدَةِ (٢) فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣) ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ (٤) لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ (٥) وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ (٦) وَٱللَّهُ عَلِيمٌ (٧) حَكِيمٌ (٨) ﴿١٠٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ (٩) مَسْجِدًا

(١) ما يغيب عن الناس .

(٢) ما يشاهدونه .

(٣) (فينبئكم بما كنتم تعملون) تنبئة تذكير ومجازاة عليه .

(٤) (مرجون) بغيرهمز مدنىّ وكوفىّ غير أبى بكر. (مرجئون) غيرهم من أرجيته وأرجأته إذا أخرته . ومنه المرجئة . أى وآخرون من المتخلفين موقوفون إلى أن يظهر أمر الله فيهم .

(٥) (يعذّبهم) إن أصرّوا ولم يتوبوا .

(٦) (يتوب عليهم) إن تابوا . وهم ثلاثة : كعب بن مالك ، وهلال بن أميّة ، ومرارة بن الربيع . والضابط مكة . تخلفوا عن غزوة تبوك. وهم الذين ذكروا فى قوله (وعلى الثلاثة الذين خلّفوا) .

(٧) (عليم) برجائهم .

(٨) (حكيم) فى إرجائهم .

و "إمّا" للشكّ . وهو راجع إلى العباد أى خافوا عليهم العذاب وارجوا لهم الرحمة . وروى أنّه عليه السلام أمر أصحابه ألّا يسلّموا عليهم ولا يكلّموهم . ولم يفعلوا كما فعل ذلك الفريق من شدّ أنفسهم على السوارى وإظهار الجزع والغمّ. فلمّا علموا أنّ أحدا لا ينظر إليهم فوّضوا أمرهم إلى الله وأخلصوا نيّاتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله .

(٩) تقديره (و) منهم (الذين اتّخذوا). (الذين) بغير واو مدنىّ وشامىّ. وهو مبتدأ خبره محذوف أى جازيناهم . روى أنّ بنى عمرو بن عوف لمّا بنوا مسجد قباء بعثوا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يأتيهم. فأتاهم فصلّى فيه . فحسدتهم إخوانهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبنى مسجدا ونرسل إلى رسول الله يصلّى فيه ويصلّى فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام — وهو الذى قال لرسول الله عليه السلام يوم أحد لا أجد قوما يقاتلونك إلا قاتلتك معهم ، فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين . فبنوا مسجدا إلى جنب مسجد قباء وقالوا للنبىّ صلّى الله عليه وسلّم : بنينا مسجدا لذى العلّة والحاجة ونحن نحبّ أن تصلّى لنا فيه. فقال إنّى على جناح سفر وإذا قدمنا من تبوك إن شاء الله صلّينا فيه . فلما قفل من غزوة تبوك سألوه إتيان المسجد فنزلت عليه .

ضِرَارًا(١) وَكُفْرًا(٢) وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ(٣) وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ(٤) مِن قَبْلُ(٥) وَلَيَحْلِفُنَّ(٦) إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ(٧) وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ(٨) ۝ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا(٩) لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ(١٠) عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ(١١)

فقال لوحشى قاتل حمزة ومعن بن عدى وغيرهما انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه ففعلوا وأمر أن يتّخذ مكانه كُناسة تلق فيها الجيف والقُمامة . ومات أبوعامر بالشام.

(١) مفعول له . وكذا ما بعده . أى مضارّة لإخوانهم أصحاب مسجد قباء .

(٢) وتقوية للنفاق .

(٣) لأنّهم كانوا يصلّون مجتمعين فى مسجد قباء فأرادوا أن يتفرّقوا عنه وتختلف كلمتهم .

(٤) وإعدادا لأجل من (حارب الله ورسوله) وهو الراهب . أعدّوه له يصلّى فيه ويظهر على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . وقيل كلّ مسجد بنى مباهاة أو رياء أو سمعة أو لغرض سوى ابتغاء وجه الله أو بمال غير طيّب فهو لاحق بمسجد الضرار .

(٥) متعلّق بحارب . أى من قبل بناء هذا المسجد . يعنى يوم الخندق .

(٦) (وليحلفنّ) كاذبين .

(٧) ما أردنا ببناء هذا المسجد إلّا الخصلة الحسنى وهى الصلاة وذكر الله والتوسعة على المصلّين .

(٨) (لكاذبون) فى حلفهم .

(٩) (لاتقم فيه) للصلاة .

(١٠) اللام للابتداء و(أسّس) نعت له . وهو مسجد قباء أسّسه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وصلّى فيه أيّام مقامه بقباء وهى يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة . أو مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالمدينة .

(١١) (من أوّل يوم) من أيّام وجوده. قيل القياس فيه «مذ» لأنّه لابتداء الغاية فى الزمان، ومن لابتداء الغاية فى المكان . والجواب أن من عامّ فى الزمان والمكان .

أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ[(١)] يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿[(٢)]﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ[(٣)] عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ[(٤)] فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ[(٥)]

---

(١) (أحقّ أن تقوم فيه) مصلياً .

(٢) قيل لمـّا نزلت مشى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومعه المهاجرون حتّى وقفوا على باب مسجد قباء فإذا الأنصار جلوس. فقال: أمؤمنون أنتم ؟ فسكت القوم. ثم أعادها فقال عمر : يارسول الله إنهم لمؤمنون وأنا معهم. فقال عليه السلام: أترضون بالقضاء؟ قالوا نعم. قال أتصبرون على البلاء ؟ قالوا نعم . قال أتشكرون فى الرخاء ؟ قالوا نعم . قال عليه السلام : مؤمنون أنتم وربّ الكعبة . فجلس ثمّ قال يامعشر الأنصار إن الله عزّ وجلّ قد أثنى عليكم فما الذى تصنعون عند الوضوء وعند الغائط؟ قالوا يا رسول الله نتبع الغائط الأحجار الثلاثة ثم نتبع الأحجار المـاء. فتلا النبيّ عليه السلام (رجال يحبّون أن يتطهّروا) . قيل هو عامّ فى التطهّر عن النجاسات كلّها . وقيل هو التطهّر من الذنوب بالتوبة . ومعنى محبّتهم للتطهر أنّهـم يؤثرونه ويحرصون عليـه حرص المحبّ للشيء . ومعنى محبّة الله إيّاهم أنّه يرضى عنهم ويحسن إليهـم كما يفعل المحبّ بمحبوبه .

(٣) وضع أساس ما يبنيه .

(٤) هذا سؤال تقرير. وجوابه مسكوت عنه لوضوحه. والمعنى(أفمن أسّس) بنيان دينه على قاعدة محكمة، وهى تقوى الله ورضوانه(خير) أم من أسّسه على قاعدة هى أضعف القواعد وهو الباطل والنفاق الذى مثله مثل شفا جرف هار فى قلّة الثبات والاستمساك . وضع شفا الجرف فى مقابلة التقوى لأنّه جعل مجازا عما ينافى التقوى . والشفا الحرف والشفير. وجرف الوادى جانبه الذى يتحفّر أصله بالمـاء وتجرفه السيول فيبقى واهيا . والهار الهائر وهو المتصدّع الذى أشفى على التهدّم والسقوط وزنه فعَل قصر عن فاعل كخلف من خالف . وألفه ليس بألف فاعل. إنّما هى عينه. وأصله هور فقلبت ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها . ولا ترى أبلغ من هذا الكلام ولا أدل على حقيقة الباطل و كنه أمره . (أفمن أُسِّس بنيانُه ، أمن أُسِّس بنيانه)شامىّ ونافع.(جرْف) شامىّ وحمزة ويحيى. (هار) بالإمالة أبوعمرو وحمزة فى رواية ويحيى.

(٥) فطاح به البـاطل فى نار جهنّم . ولمـّا جعل الجرف الهـائر مجازا عن الباطل رشّح المجـاز بمجيء بلفظ الانهيار الذى هو للجرف ، وليصوّر أنّ المبطل كأنّه أسّس بنيانه على شفا

وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (١) لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ (٢) إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ (٣) وَٱللَّهُ عَلِيمٌ (٤) حَكِيمٌ (٥) إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ (٦) يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ (٧) فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ (٨)

جرف هار من أودية جهنّم فانهار به ذلك الجرف فهوى فى قعرها . قال جابر : رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار حين انهار .

(١) لا يوفّقهم للخير عقوبة لهم على نفاقهم .

(٢) لا يزال هدمه سبب شكّ ونفاق زائد على شكّهم ونفاقهم لما غاظهم من ذلك وعظم عليهم .

(٣) (تَقَطَّعَ) شامىّ وحمزة وحفص أى تتقطع. غيرهم (تُقطّع) أى إلّا أن تُقَطّع قلوبهم قِطَعا وتفرّق أجزاء. فحينئذ يسلون عنه. وأمّا ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكّنة. ثمّ يجوز أن يكون ذكر التقطّع تصويرا لحال زوال الريبة عنها . ويجوز أن يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم أو فى القبور أو فى النار . أو معناه إلّا أن يتوبوا توبة تتقطّع بها قلوبهم ندما وأسفا على تفريطهم .

(٤) (عليم) بعزائمهم .

(٥) (حكيم) فى جزاء جرائمهم .

(٦) مثّل الله إثابتهم بالجنّة على بذلهم أنفسهم وأموالهم فى سبيله ، بالشراء . وروى تاجرهم فأغلى لهم الثمن . وعن الحسن أنفسا هو خلقها وأموالا هو رزقها . ومرّ برسول الله صلّى الله عليه وسلّم أعرابىّ وهو يقرؤها ، فقال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله . فخرج إلى الغزو واستشهد .

(٧) بيان محلّ التسليم .

(٨) أى تارة يقتلون العدوّ وطورا يقتلهم العدوّ . (فيُقتَلون ويقتُلون) حمزة وعلىّ .

وَعْدًا[1] عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ[2] وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ[3] فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ[4] وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ[5] ﴿١١١﴾ التَّائِبُونَ[6] الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ[7] السَّائِحُونَ[8] الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ[9] الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ[10] وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ[11] وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ[12] وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ[13] ﴿١١٢﴾

---

(١) مصدر أى وعدهم بذلك وعدا .

(٢) (حقا) صفته. أخبر بأنّ هذا الوعد الذى وعده للمجاهدين فى سبيله وعد ثابت قد أثبته (فى التوراة والإنجيل والقرآن) . وهو دليل على أنّ أهل كلّ ملّة أمروا بالقتال ووعدوا عليه .

(٣) لأن إخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكريم منّا فكيف بأكرم الأكرمين . ولا ترى ترغيبا فى الجهاد أحسن منه وأبلغ .

(٤) فافرحوا غاية الفرح فإنّكم تبيعون فانيا بباق .

(٥) قال الصادق ليس لأبدانكم ثمن إلّا الجنّة فلا تبيعوها إلّا بها .

(٦) رفع على المدح أى هم التائبون يعنى المؤمنين المذكورين . أو هو مبتدأ خبره العابدون أى الذين عبدوا الله وحده وأخلصوا له العبادة . وما بعده خبر بعد خبر أى التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال . وعن الحسن هم الذين تابوا من الشرك وتبرّءوا من النفاق.

(٧) (الحامدون) على نعمة الإسلام .

(٨) الصائمون لقوله عليه السلام "سياحة أمّتى الصيام" ، أو طلبة العلم لأنّهم يسيحون فى الأرض يطلبونه فى مظانّه أو السائرون فى الأرض للاعتبار .

(٩) (الراكعون الساجدون) المحافظون على الصلوات .

(١٠) بالإيمان والمعرفة والطاعة .

(١١) عن الشرك والمعاصى . ودخلت الواو للإشعار بأنّ السبعة عقد تامّ أو للتضادّ بين الأمر والنهى كما فى قوله (ثيبات وأبكارا) .

(١٢) أوامره ونواهيه أو معالم الشرع

(١٣) المتّصفين بهذه الصفات .

مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ[1] مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ[2] ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ[3] فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ[4] إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ[5] حَلِيمٌ[6] ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ[7] إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) همّ عليه السلام أن يستغفر لأبي طالب فنزل . أى ما صحّ له الاستغفار فى حكم الله وحكمته .

(٢) من بعد ما ظهر لهم أنّهم ماتوا على الشرك . ثمّ ذكر عذر إبراهيم . فقال : (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه) الآية .

(٣) أى وعد أبوه إيّاه أن يسلم . أو هو وعد أباه أن يستغفر. وهو قوله (لأستغفرنّ لك). دليله قراءة الحسن (وعدها أباه) . ومعنى استغفاره سؤاله المغفرة له بعد ما أسلم أو سؤاله إعطاء الإسلام الذى به يغفر له .

(٤) فلمّا تبيّن من جهة الوحى لإبراهيم أنّ أباه يموت كافرا ، وانقطع رجاؤه عنه ، (تبرّأ منه) وقطع استغفاره .

(٥) هو المتأوّه شفقا وفرقا . ومعناه أنّه لفرط ترحمه ورقّته كان يتعطّف على أبيه الكافر .

(٦) هو الصبور على البلاء، الصفوح عن الأذى. لأنّه كان يستغفر لأبيه وهو يقول لأرجمنّك .

(٧) أى ما أمر الله باتّقائه واجتنابه كالاستغفار للشركين وغيره ممّا نهى عنه و بيّن أنّه محظور ، لا يؤاخذ به عباده الذين هداهم للإسلام ولا يخذلهم إلّا إذا قدموا عليه بعد بيان حظره وعلمهم بأنّه واجب الاجتناب . وأما قبل العلم والبيان فلا. وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار للشركين . والمراد بما يتّقون ما يجب اتّقاؤه للنهى . فأمّا ما يعلم بالعقل فغير موقوف على التوقيف .

وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ (١) وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ (٢) ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ (٣) مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ (٤) ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ (٥) إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ (٦) ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ (٧) حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ (٨) وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ (٩) وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ (١٠)

---

(١) أى تاب عليه من إذنه للمنافقين فى التخلّف عنه كقوله (عفا الله عنك) .

(٢) فيه بعث للمؤمنين على التوبة ، وأنّه ما من مؤمن إلّا وهو محتاج إلى التوبة والاستغفار حتّى النبيّ صلّى الله عليه وسلم والمهاجرين والأنصار .

(٣) فى غزوة تبوك . ومعناه فى وقتها . والساعة مستعملة فى معنى الزمان المطلق . وكانوا فى عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد ، ومن الزاد تزوّدوا التمر المدوّد والشعير المسوّس والإهالة الزنخة وبلغت بهم الشدّة حتى اقتسم التمرة اثنان وربّما مصّها الجماعة ليشربوا عليها الماء ، ومن الماء حتى نحروا الإبل وعصروا كرشها وشربوه ، وفى شدّة زمان من حمارّة القيظ ومن الجدب والقحط .

(٤) (من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم) عن الثبات على الإيمان أو عن اتّباع الرسول فى تلك الغزوة والخروج معه . وفى (كاد) ضمير الشأن والجملة بعده فى موضع النصب وهو كقولهم ليس خلق الله مثله أى ليس الشأن خلق الله مثله . (يَزيغ) حمزة وحفص .

(٥) تكرير للتوكيد .

(٦) أى (و) تاب (على الثلاثة) وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية . وهو عطف على النبيّ .

(٧) (خلّفوا) عن الغزو .

(٨) برُحْبها أى مع سعتها . وهو مثل للحيرة فى أمرهم كأنّهم لا يجدون فيها مكانا يقرّون فيه قلقا وجزعا .

(٩) أى قلوبهم لا يسعها أنس ولا سرور لأنّها حرجت من فرط الوحشة والغمّ .

(١٠) وعلموا أن لا ملجأ من سخط الله إلّا إلى استغفاره .

ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ(1) لِيَتُوبُوٓاْ(2) إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ(3) ﴿١١٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ(4) ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ(5) وَلَا يَرْغَبُواْ(6) بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ(7) ذَٰلِكَ(8) بِأَنَّهُمْ(9) لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ(10) وَلَا نَصَبٌ(11) وَلَا مَخْمَصَةٌ(12) فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ(13)

---

(1) (ثمّ تاب عليهم) بعد خمسين يوما .

(2) ليكونوا من جملة التوابين .

(3) عن أبى بكر الورّاق أنّه قال : التوبة النصوح أن تضيق على التائب الأرض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة هؤلاء الثلاثة .

(4) (وكونوا مع الصادقين) فى إيمانهم دون المنافقين، أو مع الذين لم يتخلّفوا ، أو مع الذين صدقوا فى دين الله نيّة وقولا وعملا . والآية تدلّ على أنّ الإجماع حجّة لأنّه أمر بالكون مع الصادقين فلزم قبول قولهم .

(5) المراد بهذا النفى النهى . وخصّ هؤلاء بالذكر وإن استوى كلّ الناس فى ذلك لقربهم منه ولا يخفى عليهم خروجه .

(6) ولا أن يضنّوا .

(7) عما يصيب نفسه. أى لا يختاروا إبقاء أنفسهم على نفسه فى الشدائد. بل أمروا بأن يصحبوه فى البأساء والضرّاء ويلقوا أنفسهم بين يديه فى كلّ شدّة .

(8) (ذلك) النهى عن التخلّف .

(9) بسبب أنّهم .

(10) عطش .

(11) تعب .

(12) مجاعة .

(13) فى الجهاد .

وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ (١) وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا (٢) إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ (٣) إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ (٤) ۝ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةٗ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةٗ (٥) وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا (٦) إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ (٧) لِيَجۡزِيَهُمُ (٨) ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ (٩) ۝ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗ (١٠)

(١) الموطئ إمّا مصدر كالمورد وإمّا مكان . أى ولا يدوسون مكانا من أمكنة الكفّار بحوافر خيولهم وأخفاف رواحلهم وأرجلهم . فإن كان مكانا فمعنى (يغيظ الكفار) يغيظهم وطؤه ويغضبهم ويضيّق صدورهم .

(٢) ولا يصيبون منهم إصابة بقتل أو أسر أو جرح أو كسر أو هزيمة . يقال نال منه إذا رزأه ونقصه . وهو عامّ فى كلّ مايسوءهم .

(٣) عن ابن عبّاس رضى الله عنهما لكلّ روعة سبعون ألف حسنة .

(٤) أى أنّهم محسنون والله لا يبطل ثوابهم .

وفيه دليل على أنّ من قصد خيرا كان سعيه فيه مشكورا من قيام وقعود ومشى وكلام وغير ذلك ، وعلى أنّ المدد يشارك الجيش فى الغنيمة بعد انقضاء الحرب لأنّ وطء ديارهم مما يغيظهم . وقد أسهم النبىّ صلّى الله عليه وسلّم لابنى عامر وقد قدما بعد تقضّى الحرب .

(٥) (ولا ينفقون) فى سبيل الله (نفقة صغيرة) ولو تمرة (ولا كبيرة) مثل ما أنفق عثمان رضى الله عنه فى جيش العسرة .

(٦) أى أرضا فى ذهابهم ومجيئهم. وهو كلّ منفرج بين جبال وآكام يكون منفذا للسيل. وهو فى الأصل فاعل من ودى إذا سال . ومنه الودى . وقد شاع فى الاستعمال بمعنى الأرض .

(٧) (إلّا كتب لهم) ذلك من الإنفاق وقطع الوادى .

(٨) متعلّق بكتب أى أثبت فى صحائفهم لأجل الجزاء .

(٩) أى يجزيهم على كلّ واحد جزاء أحسن عمل كان لهم فيلحق مادونه به توفيرا لأجرهم .

(١٠) اللام لتأكيد النفى. أى أنّ نفير الكافّة عن أوطانهم لطلب العلم غير صحيح للإفضاء إلى المفسدة .

فَلَوْلَا نَفَرَ(١) مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ(٢) لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ(٣) وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا إِلَيْهِمْ(٤) لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ(٥) ﴿١٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَٰتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ(٦) وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً(٧) وَاعْلَمُوٓا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ(٨) ﴿١٢٣﴾

(١) فحين لم يكن نفير الكافّة فهلاّ (نفر من كلّ فرقة منهم طائفة) .

(٢) أى من كلّ جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير.

(٣) ليتكلّفوا الفقاهة فيه ويتجشّموا المشاقّ فى تحصيلها .

(٤) وليجعلوا مرمى همّتهم فى التفقّه إنذار قومهم وإرشادهم (إذا رجعوا إليهم) دون الأغراض الخسيسة من التصدّر والترؤّس والتشبّه بالظلمة فى المراكب والملابس .

(٥) (لعلّهم يحذرون) ما يجب اجتنابه .

وقيل إنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان إذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك بعد ما أنزل فى المتخلّفين من الآيات الشداد ، استبق المؤمنون عن آخرهم إلى النفير وانقطعوا جميعا عن التفقّه فى الدين . فأمروا أن ينفر من كلّ فرقة منهم طائفة إلى الجهاد ويبقى سائرهم يتفقّهون حتّى لا ينقطعوا عن التفقّه الذى هو الجهاد الأكبر. إذ الجهاد بالحجاج أعظم أثرا من الجهاد بالنصال . والضمير فى (ليتفقّهوا) للفرق الباقية بعد الطوائف النافرة من بينهم . (ولينذروا قومهم) ولينذر الفرق الباقية قومهم النافرين إذا رجعوا إليهم ، بما حصّلوا فى أيّام غيبتهم من العلوم . وعلى الأوّل الضمير للطائفة النافرة إلى المدينة للتفقّه .

(٦) يقربون منكم (من الكفّار). القتال واجب مع جميع الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن الأقرب فالأقرب أوجب . وقد حارب النبىّ صلّى الله عليه وسلّم قومه ثمّ غيرهم من عرب الحجاز ثمّ الشأم والشأم أقرب إلى المدينة من العراق وغيره . وهكذا المفروض على أهل كلّ ناحية أن يقاتلوا من وليهم .

(٧) شدّة وعنفا فى المقال ، قبل القتال .

(٨) (واعلموا أنّ الله مع المتّقين) بالنصرة والغلبة .

وَإِذَا مَآ[(١)] أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم[(٢)] مَّن يَقُولُ[(٣)] أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ[(٤)] إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا[(٥)] وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ[(٦)] ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ[(٧)] فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ[(٨)] وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ[(٩)] ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ[(١٠)] أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ[(١١)] فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ[(١٢)] وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ[(١٣)] ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ[(١٤)] هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ

---

(١) (ما) صلة مؤكدة .

(٢) فمن المنافقين .

(٣) (يقول) بعضهم لبعض إنكارا واستهزاء بالمؤمنين .

(٤) (هذه) السورة . وأيكم مرفوع بالابتداء .
وقيل هو قول المؤمنين للحث والتنبيه .

(٥) يقينا وثباتا أو خشية ، أو إيمانا بالسورة لأنهم لم يكونوا آمنوا بها تفصيلا .

(٦) يعدون زيادة التكليف، بشارة التشريف .

(٧) شك ونفاق . فهو فساد يحتاج إلى علاج كالفساد فى البدن .

(٨) كفرا مضموما إلى كفرهم .

(٩) هو إخبار عن إصرارهم عليه إلى الموت .

(١٠) يعنى المنافقين . و بالتاء حمزة خطاب للمؤمنين .

(١١) يبتلون بالقحط والمرض وغيرهما .

(١٢) (ثم لايتوبون) عن نفاقهم .

(١٣) لا يعتبرون .
أو بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يتوبون) بما يرون من دولة الإسلام ، (ولا هم يذكرون) بما يقع بهم من الاصطدام .

(١٤) تغامزوا بالعيون إنكارا للوحى وسخرية به قائلين : (هل يراكم من أحد) من المسلمين لننصرف فإنا لا نصبر على استماعه و يغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم . أو إذا ما أنزلت سورة فى عيب المنافقين أشار بعضهم إلى بعض (هل يراكم من أحد) إن قمتم من حضرته عليه السلام.

ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟(١) صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم(٢) بِأَنَّهُمْ(٣) قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ(٤) ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ(٥) مِّنْ أَنفُسِكُمْ(٦) عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ(٧) حَرِيصٌ عَلَيْكُم(٨) بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ(٩) ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟(١٠) فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ(١١) لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ(١٢) وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ(١٣) ٱلْعَظِيمِ(١٤) ﴿١٢٩﴾

---

(١) (ثمّ انصرفوا) عن حضرة النبيّ عليه السلام مخافة الفضيحة .

(٢) (صرف الله قلوبهم) عن فهم القرآن .

(٣) بسبب أنّهم .

(٤) لا يتدبّرون حتى يفقهوا .

(٥) محمّد عليه السلام .

(٦) من جنسكم ومن نسبكم عربيّ قرشيّ مثلكم .

(٧) شديد عليه شاقّ — لكونه بعضا منكم — عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم الوقوع فى العذاب .

(٨) على إيمانكم .

(٩) (بالمؤمنين) منكم ومن غيركم (رءوف رحيم) . قيل لم يجمع الله اسمين من أسمائه لأحد غير رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

(١٠) فإن أعرضوا عن الإيمان بك وناصبوك .

(١١) فاستعن بالله وفوّض إليه أمورك فهو كافيك معرّتهم وناصرك عليهم .

(١٢) فوّضت أمرى إليه .

(١٣) هو أعظم خلق الله ، خلق مطافا لأهل السماء ، وقبلة للدعاء .

(١٤) بالجر . وقرئ بالرفع على نعت الرب جل وعزّ . عن أبىّ آخر آية نزلت (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) الآية .

تمّ المجلّد الأوّل ويليه المجلّد الثـانى وأوّله سورة يونس

تم طبع هذا المجلد بالمطبعة الأميرية ببولاق
يوم ٣ من رجب سـنة ١٣٥٥
(١٩ من سبتمبر سنة ١٩٣٦) م
مدير المطبعة الأميرية
محمد أمين بهجت

المطبعة الأميرية ١٣٩٧٣-١٩٣٤-٧٥٠٠

